



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1 الحاج لخضر



نيابة العمادة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

تناسب الآيات والسُّور بين «نظم الدرر» للبقاعي
و«التحرير والتنوير» لابن عاشور
-دراسة مقارنة-

من سورة النبأ إلى سورة الانفطار

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث (ل. م. د) في العلوم الإسلامية
تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إشراف:
أ.د/ نورة بن حسن

إعداد الطالب:
الطبيب صفيّة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عيسى بوعكاز	أستاذ	جامعة باتنة -1-	رئيساً
نورة بن حسن	أستاذ	جامعة باتنة -1-	مقررًا
سامية دبي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة باتنة -1-	عضوًا
شريفة زغيشي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة باتنة -1-	عضوًا
رضوان لحشين	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	عضوًا
عبد المطلب بوغرارة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	عضوًا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2021-2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِهْدَاءٌ

إلى الَّتِي لا يمكن أبداً الوفاء بحَقِّها: أُمِّي الغالية

حفظها الله ورعاها وامتَّعها بالصِّحَّة والعافية ...

إلى روح أخي الرَّحِيم الكَرِيم، صاحب الفضل الكبير:

منير المدعو: عَبَّاس

رحمه الله، وأنار قبره، وأكرم نزه، وأسكنه فسيح جنَّاته،

وتقبَّله ضمن شهداء الواجب الوطنيِّ ...

إليهما أهدي هذا العمل.

محبُّكم الطَّيِّب.

شُكْرُكَ رَبِّي

الحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا على عظيم ما أكرم به ومنّ، ثمّ الشُّكر لمن أمر الله بشكرهما فقال: ﴿أَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَوْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (لقمان:14)، فجزاهما الله خيرًا. ثمّ الشُّكر الجزيل لكلِّ من أسهم من قريبٍ أو بعيدٍ في وصولي إلى هذه المرحلة من الطُّلب، فشكرًا لأساتذتي الأفاضل، وعلى رأسهم فضيلة الأستاذة الدكتورة نورة بن حسن، على حسن إشرافها على أطروحتي البحثية، وعظيم ما تحمّلته من عناء التَّوجيه والإرشاد والتَّصحيح والنُّصح، فلولاها- بعد الله تعالى- ما وصل هذا العمل إلى ما هو عليه، وشكرًا للجنة التَّكوين التي سهّرت على إنارة دربنا في البحث العلميّ.

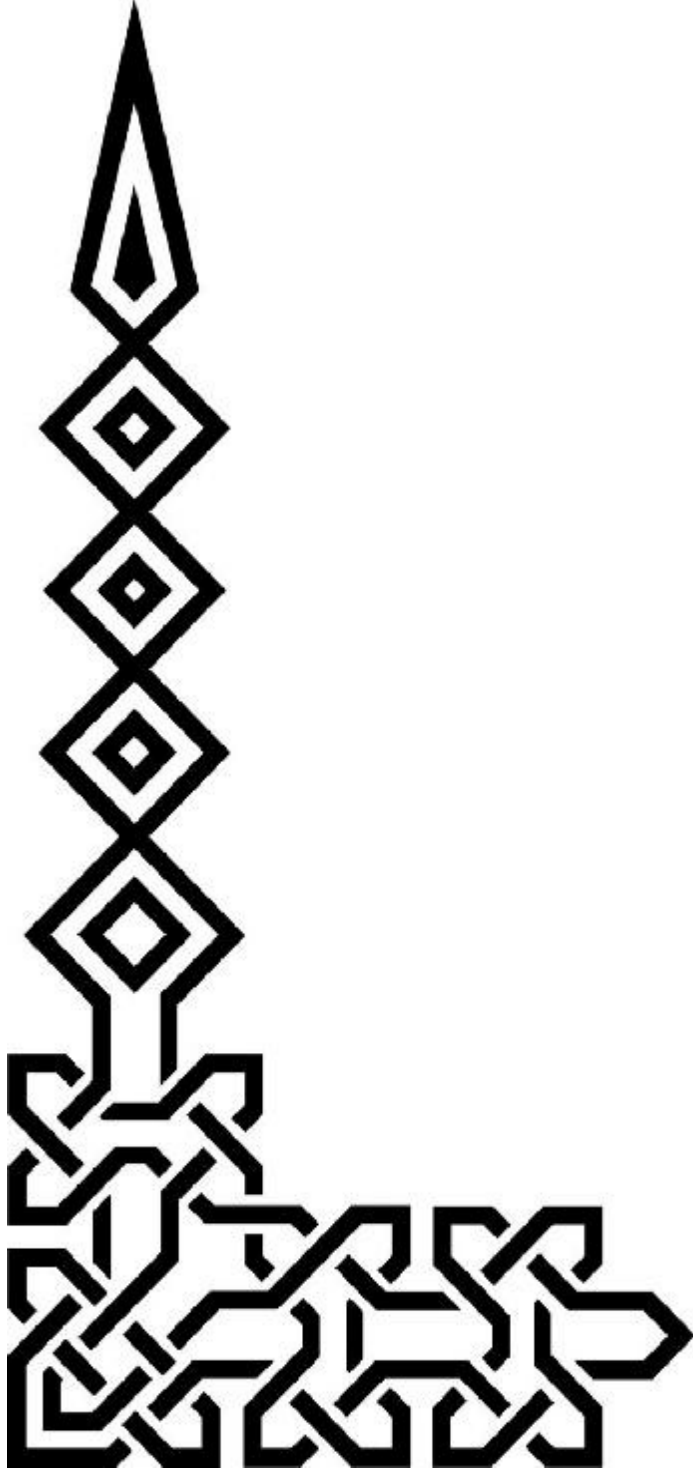
وشكرًا لكلِّ من فضيلة الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي عميد كليّة العلوم الإسلاميّة بجامعة باتنة 1، وأعضاء اللّجنة الموقّرة على قبولهم مناقشة أطروحتي، وكلِّ أساتذة الكليّة بجمع فروعها.

وشكرٌ خاصٌّ لبعض من لهم عليّ أفضالٌ خاصّة وهم: خالي العزيز: علي زغدودي (حميدة)، ومعلّمي في المرحلة الابتدائيّة الأستاذ المحترم: بوضياف عمار، وأستاذي في مادّة الفيزياء في مرحلة التّعليم المتوسّط الأستاذ المحترم: حجيرة الصّالح الذي كان له فضلٌ كبيرٌ عليّ في حبّ الدِّراسة وتمييزي في المادّة؛ فجزاهم الله عني خيرًا.

ولئن أحرّت ذكركم، فما ذاك إلّا لخصوص منزلتهم؛ فشكرًا لأمّ أولادي أمّ إسراء، وشكرًا لأولادي: إسراء وأواب على ما تحمّلوه وصبروا عليه من بُعدٍ وقلةِ اهتمامٍ بسبب ارتباطي بالبحث لمُدّةٍ طويلةٍ.

وصلّى الله على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.





هفتاد و نه

الحمد لله مُنَزِلِ الْقُرْآنِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشَّرْكِ وَالْإِلْحَادِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَنْ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَأُرْسِلَ بِهِ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مَعْجَزَةٌ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، تَحَدَّى بِهِ مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ، فَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ أَوْ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ مَجْتَمِعِينَ وَعَزِيْزِينَ وَمْتَفَرِّقِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ؛ الَّذِي أَحْكَمَ آيَاتِهِ وَفَصَّلَ مَعَانِيهِ؛ فَهُوَ عَلَى أَفْصَحِ اللَّفْظِ وَأَبْلَغِ الْعِبَارَةِ وَأَحْسَنِ السَّبْكِ، وَأَجْمَلِ التَّنْسِجِ وَأَبْدَعَ الْأُسْلُوبِ وَأَرْوَعَ الْبَيَانِ، مَتَنَاسِبُ الْآيَاتِ وَالسُّورِ مِتْلَاحِمِ الْأَجْزَاءِ، عَذْبٌ عَلَى اللِّسَانِ عَظِيمِ السُّلْطَانِ عَلَى الْفِكْرِ وَالْجِنَانِ، هَادٍ إِلَى أَقْوَمِ الشَّرَائِعِ وَصَالِحِ الْمَنَافِعِ وَإِلَى الْحَقِّ فِي الْعَقَائِدِ وَالْمَسَالِكِ؛ فَهُوَ آيٌّ وَسُورٌ مَعْدُودَاتٌ لَا يَنْقُضِي مِنْ مَدْلُولَاتِهَا الْعَجْبُ.

إِنَّ هَذَا الْأُسْلُوبَ الْعَجِيبَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الْقَائِمُ عَلَى إِحْكَامِ اللَّفْظِ وَالْعِبَارَةِ وَتَفْصِيلِ الْمَعْنَى وَالْإِشَارَةِ، جَعَلَ الْعُلَمَاءَ يَبْحَثُونَ عَنْ أَسْرَارِ النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ، وَمِنْ ذَلِكَ بَحْثُهُمْ عَنْ أَسْرَارِ تَرْتِيبِ آيِهِ وَسُورِهِ وَوُجُوهِ الْارْتِبَاطِ بَيْنَهَا حَتَّى صَارَ الْقُرْآنُ وَحْدَةً مُتْكَامِلَةً، كَالْبِنَاءِ الْمَرْصُوعِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهُوَ مَا يَعْرِفُ بِعِلْمِ الْمُنَاسِبَةِ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ مَفْسِّرَيْنِ جَلِيلَيْنِ، أَحَدُهُمَا مِنْ عُلَمَاءِ الْقُرْنِ التَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ، وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْقَعْقَعِيِّ، وَالْآخَرُ مِنْ عُلَمَاءِ الْقُرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الْهَجْرِيِّ، وَهُوَ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ. فَجَاءَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مُقَارِنَةً بَيْنَ جِهَادِ الْعُلَمَاءِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ.

1- إشكالية البحث:

لَا يَزَالُ الْعُلَمَاءُ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَطَّلِعُ بَعْضُهُمْ عَلَى أَعْمَالِ بَعْضٍ؛ اسْتِزَادَةً فِي الْعِلْمِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ تَأْلِيفَ عَالِمٍ جَلِيلٍ فِي فَنٍّ مَا، بَعْدَ إِطْلَاقِ عَلَى أَعْمَالِ سَابِقِيهِ، يَكُونُ ذَا فَائِدَةٍ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ شَرْحًا وَإِضَاحًا لِعَمَلٍ سَابِقٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَلْخِيصًا وَحَسَنَ إِخْرَاجٍ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاكًا عَلَيْهِ؛ تَكْمِيلًا لِنَاقِصٍ، أَوْ تَصْحِيحًا وَتَصْوِيبًا لِأَخْطَاءِ، أَوْ رَفْعًا لِلْبَسِ، أَوْ زِيَادَةً فَوَائِدَ وَتَدْعِيمًا بِحُجَجٍ.

هذا، وقد وقفت على كلام لابن عاشور ذكره في التمهيد لتفسيره «التحرير والتنوير»، ينتقد فيه عمل البقاعي في مناسبات الآي، بأنه لم يأت في كثير من الآي بما فيه مقنع؛ فكان ذلك من أسباب اهتمامه في تفسيره ببيان مناسبات الآي.

ومن هذا الانتقاد، من ابن عاشور لعمل البقاعي في المناسبات، انبثقت إشكالية هذه الدراسة، وهي المعبر عنها في السؤال الرئيس الآتي:

إلى أي مدى وافق ابن عاشور البقاعي في مناسبات السور الخمس الأولى من حزب (عم) أو خالفه فتمكّن بذلك من الإضافة عليه والإتيان بما فيه مقنع؟

ويندرج تحت هذا السؤال الرئيس أسئلة فرعية أهمها:

- ما علم المناسبات؟ وما موقف العلماء منه؟ وفيه تكمن أهميته؟ وما أشهر المؤلفات فيه؟
- من هما البقاعي وابن عاشور؟ وما منهج كل واحد منهما في المناسبات، من خلال كتابيهما: «نظم الدرر» و«التحرير والتنوير»؟
- ما مواضع الاتفاق والاختلاف بين المفسرين في مناسبات عينة الدراسة؟
- ما أسباب الاختلاف بين المفسرين في مناسبات عينة الدراسة إن وجد؟ وما طبيعة ذلك الاختلاف؟ وما مدى إمكانية الجمع بين أقوالهما أو الترجيح بينها؟

والإجابة عن هذه الإشكالية وما تفرّع عنها من أسئلة دعت إلى بحث الموضوع بعنوان: "تناسب الآيات والسور بين «نظم الدرر» للبقاعي و«التحرير والتنوير» لابن عاشور - دراسة مقارنة - من سورة النبأ إلى سورة الانفطار".

2- أهمية البحث:

- تكتسي هذه الدراسة أهمية علمية كبيرة، تتجلى في النقاط الآتية:
- أنّها متعلّقة بكلام الله تعالى، وتدرس جانباً من جوانب إعجازه، وهو تناسب أجزاءه، فتكشف عن أسراره، وذلك في إطار علم من أشرف العلوم، وهو علم التفسير.
 - أنّها تسهم في الكشف عن أهمية علم المناسبات ودوره في التفسير.

- أهميّة الدّراسات المقارنة، ثمّ إنّ هذه الدّراسة مقارنةً بين جهود عَلمين جهديّن، ذويّ مرتبةٍ عاليةٍ من التّحقيق والتّدقيق؛ في مؤلّفيهما العظيمين الّذين كُثر الاعتناء بهما مؤخّرًا من قبل الباحثين.
 - يرى ابن عاشور أنّ كثيرًا من المناسبات الّتي ذكرها البقاعي غير مقنعة، وذلك يعني أنّه سيذكر مناسباتٍ يراها أكثر إقناعًا، وهذا ما يسهم في إثراء موضوع علم المناسبات، خاصّةً وأنّ المتكلّمين فيها عالمين جليلين متمرّسين في علم التّفسير والمناسبات.
 - أنّها تُبرز أنّ القرآن مهما مرّ عليه الزّمان، ومهما تداولت على تنويره الأفهام، فإنّه لا يزال مجيدًا بما يتحمّله من المعاني.
 - أنّها تبرز دور علم المناسبات في دحض افتراءات الطّاعنين في ترتيب القرآن.
 - أنّها تُسلّط نظرًا على النّاحية التّاريخيّة لنشأة علم المناسبة ومراحل تطوّره والتّسلسل التّاريخيّ لأهمّ المؤلّفات فيه، كما أنّها تُبرز مدى تطوّر علم المناسبات بمرور الزّمن، من خلال الكشف عن المناسبات عند أحد المفسّرين المتأخّرين، ومقارنتها بنظيراتها عند أحد المفسّرين المتقدّمين عليه بخمسة قرون.
 - أنّ هذه الدّراسة واردةٌ على نحوٍ لم يُسبق إليه، في حدود اطلّاعي، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الدّراسات السّابقة.
 - كما تكمن أهميّة هذه الدّراسة في القيمة العلميّة للنتائج المتوصّلة إليها، وذلك عكس ما أشار به عليّ بعض من استشرته من أهل الاختصاص بالتّفسير؛ بأنّ هذه الدّراسة قد لا تكون ذات فائدةٍ كبيرةٍ، أو أنّها لا تفضي إلى نتيجةٍ أصلًا، أو أنّها لا تصلح لأنّ ابن عاشور لم يبحث في مناسبات الآيات إلّا مواضع متفرّقة.
- هذا، ولمّا كانت هذه الدّراسة على ذلك القدر من الأهميّة؛ فقد سعيت من خلالها إلى تحقيق مجموعةٍ من الأهداف، وهي الملخّصة في العنصر الآتي.

3- أهداف البحث:

أسعى في هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

- إبراز مدى عناية كلا المفسرين بالمناسبات، وجهودهما فيها.
- الوقوف على منهجَي المفسرين في المناسبات، والكشف عن سبل الاستفادة من تراثهما فيها.
- الإسهام في الوفاء بحق العالمين في الاعتناء بأعمالهما وإبرازها وتقريبها لطلبة العلم.
- الوقوف على مدى اتِّفاق أو اختلاف المفسرين في مناسبات السُّور الخمس عينة الدِّراسة، والإضافة عند كلِّ واحدٍ منهما.
- الكشف عن أسباب اختلاف المفسرين في مناسبات عينة الدِّراسة.
- الوقوف على بعض أسرار ترتيب أجزاء القرآن الكريم ووجوه ارتباطها، وهي التي تسهم بدورها في الرِّدِّ على افتراءات الطَّاعنين في انسجام أجزاءه وتناسقها.

وقد حملني على هذه الدِّراسة مجموعة من الدوافع والأسباب، وهي الملحَّصة في العنصر الآتي.

4- دوافع وأسباب اختيار الموضوع:

- اقتراح بحث هذا الموضوع من قبل أستاذتي المحترمة المشرفة على هذه الدِّراسة.
- الرِّغبة في خدمة كلام الله تعالى، وخدمة علم التَّفسير والإسهام فيه ولو بقدر يسير، كتتويج لمساري الدِّراسي الطَّويل.
- النِّزعة النَّقدية عند الباحث والميل الشَّخصيُّ إلى الدِّراسات العقلية القائمة على الملاحظة والتَّحليل والمناقشة والاستنباط، فكانت المناسبات من مجالاتها؛ لأنَّها من قبيل التَّفسير بالرَّأي النَّاشئ عن الاجتهاد والاستنباط، ولأنَّ المقارنة بين الأقوال فيها ممَّا يستدعي ذلك النوع من الدِّراسات.
- مكانة البقاعيِّ وابن عاشور العلميَّة العالية.
- لمَّا كان البقاعيُّ من أرباب فنِّ المناسبة وابن عاشور ممَّن انتقد عليه عمله، تأكَّدت عندي الرِّغبة في المقارنة بين عمليهما.

- لم أقف على دراسةٍ مقارنةٍ بين تناسب الآيات والسُّور عند البقاعيِّ وابن عاشور، وذلك بعد استشارة أهل الاختصاص والبحث في فهارس الرسائل العلميَّة من خلال مواقع البحث المختلفة في الشبَّكة العنكبوتيَّة، بل وجدت أنَّ إجراء مثل هذه الدِّراسة من توصيات إحدى الرسائل العلميَّة، وهي رسالة خالد محمود محمَّد العزَّام، بعنوان: "التَّناسب القرآنيُّ عند ابن عاشور في تفسيره التَّحرير والتَّنوير، دراسةٌ تطبيقيَّةٌ" الجزء الأوَّل والجزء الثَّلاثون من القرآن الكريم" (رسالة دكتوراه فلسفة في اللُّغويَّات العربيَّة التَّطبيقيَّة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2007م).
- وأما سبب اختيار عيِّنة الدِّراسة، وهي بعض سُور المفصَّل، اثنتان من طوَّاله (النَّبأ والتَّازعات) وثلاثٌ من أواسطه (عبس والتَّكوير والانفطار)؛ فللوقوف على أكبر قدرٍ من وجوه تناسب الآي والسُّور، مع قلة العمل التَّفسيريِّ، خلافاً لما يكون عليه الحال لو اخترت من السُّور الطَّوال؛ بسبب طولها وطول آيها.

5- الدِّراسات السَّابقة:

لم أقف في بادئ الأمر على دراسةٍ مقارنةٍ بين تفسيريِّ البقاعيِّ وابن عاشور في المناسبات، وبعد الشُّروع في إنجاز البحث والإطِّلاع على مضامين الدِّراسات السَّابقة المتعلِّقة بالمناسبات والتَّفسير عند كلِّ واحدٍ من المفسِّرين على حدة، وجدت أنَّ بعضها قد أجرت موازنةً لأقوال ابن عاشور في المناسبات بأقوال غيره من المفسِّرين ومنهم البقاعيُّ، دون أن تُدَلَّ عناوينها على ذلك، وكان ذلك في سلسلة رسائل ماجستير، نوقشت في جامعة أمِّ القرى بالمملكة العربيَّة السَّعوديَّة بكليَّة الدَّعوة وأصول الدِّين، قسم الكتاب والسُّنة وشعبة التَّفسير وعلوم القرآن، وهي بعنوان: "المناسبات وأثرها في تفسير التَّحرير والتَّنوير للطَّاهر بن عاشور"، وجاءت السِّلسلة في سبع رسائل، اختلفت في عيِّنة الدِّراسة، لتشمل مجموعها جميع سور القرآن الكريم، والمتاح منها على شبكة الأنترنت - في حدود ما وصلتُ إليه - خمسٌ، أذكرها مرتَّبةً بحسب ترتيب عيِّنات الدِّراسة، وهي كالآتي:

- الأولى: إعداد: أحمد بن محمد بن قاسم مذکور (1429هـ/2008م)، وعيبتها تتجلى في تنمة عنوانها وهي: "من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعًا ودراسةً ونقدًا".
- الثانية: إعداد: ندين بنت مصطفى بن عليّ السليمي (1430هـ/2009م)، وعيبتها تتجلى في تنمة عنوانها وهي: "من خلال سورتي الأنفال والتوبة جمعًا ودراسةً وتحليلًا".
- الثالثة: إعداد: يوسف بن زيدان بن مزيد السلمي (1430هـ/2009م)، وعيبتها تتجلى في تنمة عنوانها وهي: "من أول سورة الرعد إلى آخر سورة مريم جمعًا ودراسةً ونقدًا".
- الرابعة: إعداد: عمر بن محمد بن عبد الله المديفر (1429هـ)، وعيبتها تتجلى في تنمة عنوانها وهي: "من سورة طه إلى سورة القصص جمعًا ودراسةً ونقدًا".
- الخامسة: إعداد: ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني (1429-1430)، وعيبتها تتجلى في تنمة عنوانها وهي: "من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس جمعًا ودراسةً وموازنةً".

وبقية أجزاء الدراسة التي لم يتيسر لي الاطلاع عليها هي:

- دراسة عبدالرحمن يتيم بردي الفضلي (1430هـ)، "من أول سورة النساء إلى آخر سورة الأعراف جمعًا ودراسةً وتحليلًا".
- دراسة عبد الله معايل عجيمان القحطاني (1431هـ)، "من أول سورة العنكبوت إلى آخر سورة الحجرات جمعًا ودراسةً وتحليلًا".

ولم تصرّح أيُّ رسالةٍ من رسائل هذه السلسلة بأهدافها، وبعد الاطلاع على مضامينها تبين أنّ هدفها واحدٌ، وهو الكشف عن جهود ابن عاشور في المناسبات وآثار تلك المناسبات؛ فعمدت إلى جمع المناسبات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره، وموازنتها بأقوال غيره من المفسرين، واتفقت رسائل هذه السلسلة (الأجزاء الخمسة التي اطلعت عليها) في إجراء موازنةٍ لأقوال ابن عاشور في المناسبات بأقوال الرازي (ت: 606هـ) في «مفاتيح الغيب»، والبقاعي (ت: 885هـ) في «نظم الدرر»، كحدّ أدنى، لتتسع المقارنة، من رسالةٍ إلى أخرى، لتشمل أقوال أعلام آخرين، كالرّمحشيري (ت: 538هـ) في «الكشاف»، وأبي حيّان الأندلسي (ت: 745هـ) في «البحر المحيط»، والألوسي (ت: 1270هـ) في «روح المعاني»، وغيرهم من المفسرين.

فأساس تلك الدراسات هو المناسبات التي كشف عنها ابن عاشور، يوازنها الباحثون بنظيراتها عند مفسرين آخرين إن وجدت؛ فيبينون من وافقه ومن خالفه، فيجمعون بين الأقوال أو يرجحون، ثم يعقبون ببيان أثار تلك المناسبات.

وقد اختلفت الدراسة الثانية من هذه السلسلة عن بقية أجزائها باعتبارها بالبحث عن منشأ اختلاف أقوال المفسرين في المناسبة وأسبابه، وتتبعها التام لجميع آيات عينة الدراسة، فالفجوات فيها قليلة جداً، خلافاً للدراسات الأخرى بقية أجزاء السلسلة؛ حيث لوحظ فيها فجوات كبيرة بين الآيات التي ذكرت مناسباتها؛ ومن الأمثلة على ذلك:

في الدراسة الأولى: بعد ذكر مناسبة الآية 62 من سورة البقرة، فإن المناسبة المذكورة بعدها مباشرة هي مناسبة الآية 94 من السورة نفسها، وبعد ذكر مناسبة الآية 31 من سورة آل عمران، فإن المناسبة المذكورة بعدها مباشرة هي مناسبة الآية 75 من السورة نفسها.

فمن أصل 286 آية في سورة البقرة، لم يذكر الباحث سوى مناسبات 81 آية، ومجموع التي وازن فيها أقوال ابن عاشور بأقوال البقاعي 69 آية؛ أي أن البقاعي ليس له قول في مناسبات 12 آية من تلك التي كشف مناسباتها ابن عاشور.

ومن أصل 200 آية في سورة آل عمران، لم يذكر سوى مناسبات 25 آية، ومجموع التي وازن فيها أقوال ابن عاشور بأقوال البقاعي 20 آية، أي أن البقاعي ليس له قول في مناسبات 5 آيات من تلك التي كشف مناسباتها ابن عاشور.

ومن أصل 641 آية، مجموع آي السور السبع عينة الدراسة الثالثة، جمع الباحث 149 مناسبة، وهي نسبة ضعيفة جداً، تدل على فجوات كبيرة بين الآيات التي ذكرت مناسباتها. ومن أصل 992 آية، مجموع آيات السور التسع عينة الدراسة الرابعة، بلغ عدد المناسبات التي وقف عليها الباحث 142 مناسبة، وهي نسبة ضعيفة جداً، تدل على فجوات كبيرة بين الآيات التي ذكرت مناسباتها.

وانطلاقاً من تعاملي مع تفسير ابن عاشور في المناسبات خاصة، وبالنظر إلى النتائج المتوصل إليها من خلال العينة التي تناولتها الدراسة الحالية؛ أستبعد أن تكون مثل تلك الفجوات، فرمًا يرجع سببها إلى صعوبة الكشف عن المناسبات عند ابن عاشور؛ إذ تلبس أحياناً ببيانه مواقع

الجميل؛ فيظنُّ القارئ أنَّ كلام ابن عاشور في الآية إنما يتعلَّق بالنحو لا بالبلاغة والمناسبة؛ إذ يتميَّز عمل ابن عاشور في تفسيره بعنايته الكبيرة بمسائل النحو، واعتماده الكبير على النحو في التفسير والتَّرجيح والمناسبات، وربَّما احتاج الوقوف على المناسبة عنده إلى تركيزٍ عالٍ لدقَّة عبارة ابن عاشور وغوصه في المعاني، فصعوبة استخراج المناسبات عنده لا تعني عدم وجودها، ولذلك أرى أنَّ عمل ابن عاشور في المناسبات يحتاج إلى إعادة استقراءٍ.

وما يرجِّح ما افترضته هو مقارنة النتائج التي توصلتُ إليها من خلال استقراء الدِّراسة الحاليَّة لمناسبات السُّور الخمس عند ابن عاشور بنتائج دراسة نظيراتها في الرِّسالة الخامسة من هذه السِّلسلة، حيث توصل ممدوح بن تركي إلى أنَّ مجموع المناسبات التي ذكرها ابن عاشور في تفسير سور المفصل (من سورة ق إلى سورة النَّاس): 138 مناسبةً، موزَّعةً على سُوره جميعًا، وأمَّا مجموع المناسبات التي وقف عليها في السُّور الخمس عيِّنة الدِّراسة الحاليَّة (النَّبأ، النَّازعات، عبس، التَّكوير، الانفطار)، وهي بعض المفصل، ف: 22 مناسبةً من خلال 176 آيةً تشكِّل مجموع هذه السُّور، وهو ما اعتَّبره تقصيرًا في استقراء المناسبات عند ابن عاشور؛ مقارنةً بما توصلتُ إليه في دراستي هذه؛ إذ وجدت أنه من بين 176 آيةً لم يكشف عن مناسبات 25 آيةً فقط؛ أي أنَّ مجموع الآيات التي تحدَّث عن مناسباتها في هذه السُّور الخمس 151 آيةً، وهو أكثر ممَّا ذكر ممدوح بن تركي أنه في سور المفصل جميعًا (وهو 138 آيةً)، فإنَّه أحيانًا يذكر في السُّورة الواحدة مناسبة آيةً واحدةً فقط، مثلما حصل في سورة الانفطار، وفي سورة التَّكوير ذكر مناسبتَي آيتين فقط، وفي عبس مناسبات ثلاث آياتٍ فقط، وفي النَّازعات ذكر مناسبات خمس آياتٍ فقط، قارن فيها بين ما قاله البقاعيُّ وابن عاشور في أربع منها، وفي سورة النَّبأ ذكر مناسبات إحدى عشرة آيةً فقط، لم يقارن في ثلاثٍ منها بين أقوال البقاعيِّ وابن عاشور، بل ولم يذكر في بعض السُّور أيَّ مناسبة، على غرار سُور: الحاقَّة، والمعارج، والبلد، والشَّرح، والتَّين، والعلق، وغيرها، فإن كان الحال كما قال، فهو يدلُّ على نقيض ما ذكره ابن عاشور في مقدِّمة تفسيره من الاهتمام بتناسب الآي.

6- الفجوة العلميّة التي تعالجها الدّراسة الحاليّة:

من خلال استعراض الدّراسات السّابقة المتعلّقة بمقارنة المناسبات عند البقاعيّ وابن عاشور، وبيان أوجه الاتّفاق وأوجه الاختلاف بين تلك الدّراسات، أُنبّه إلى أنّ الدّراسة الحاليّة تتّفق مع الدّراسات السّابقة في بعض الجزئيّات، وتختلف معها في عدّة جوانب تمثّل الفجوة العلميّة التي تعالجها هذه الدّراسة، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أ- جزئيّات الاتّفاق:

- الاتّفاق في جزئيّة مقارنة المناسبات عند البقاعيّ وابن عاشور ولو بشكلٍ جزئيٍّ تمثّله الموازنة.

- اتّفاق هذه الدّراسة مع الدّراسة الخامسة من تلك السّلسلة في جزءٍ من عينيّتها.

ب- جوانب الاختلاف:

يمكن تلخيص جوانب الاختلاف بين الدّراسات السّابقة والدّراسة الحاليّة في العناصر الآتية:

- **الموضوع العامّ:** تناولت الدّراسات السّابقة بيان أثر المناسبات وهو ما لم تتطرّق إليه دراستي.

• حدود البحث وعينيّة الدّراسة:

- اتّساع مجال مقارنة المناسبات عند ابن عاشور في «التّحرير والتّنوير» في الدّراسات السّابقة، ليشمل علاوةً على «نظم الدرر» للبقاعيّ تفاسير لمفسّرين آخرين.
- عينيّة الدّراسة الحاليّة تمثّل جزءاً من عينيّة الدّراسة الخامسة من سلسلة رسائل الماجستير.

إلى هذا الحدّ تبدو هذه الدّراسة غير مجديّة، ولا تسدُّ أيّ فجوةٍ علميّة، إلاّ أنّ الأمر على خلاف ما يبدو، وبيان ذلك في جوانب الاختلاف الآتية:

• أصل الدّراسة:

أصل الدّراسات السّابقة هو الموازنة، وأصل الدّراسة الحاليّة هو المقارنة، والموازنة أخصُّ من المقارنة؛ إذ الأولى مقيدةٌ والأخرى مطلقةٌ؛ فكلُّ موازنةٍ مقارنةٌ وليست كلُّ مقارنةٍ موازنةً، وبيان ذلك أنّ موازنة أقوال ابن عاشور في المناسبة بأقوال غيره تعني تقييد عينيّة الدّراسة بالمواضع التي كشف ابن عاشور عن مناسباتها، في حين أنّ المقارنة بين المناسبات عند ابن عاشور وعند مفسّرٍ آخر في عينيّة ما تقتضي شمول الدّراسة لجميع أجزاء تلك العينيّة، فتُحدّد

أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين المفسرين في التعامل مع تلك العينة، ومواضع الاتفاق ومواضع الاختلاف فيها.

هذا، وإنَّ التقييد الذي تفرضه الموازنة قد يؤدي إلى بنس حق الطرف الآخر في إبراز كامل جهده في تلك العينة، وإلى عدم إمكانية تحقيق الغاية من علم المناسبات المتمثلة في إبراز ترابط جميع أجزاء القرآن الكريم وانسجامها وتناسقها؛ وذلك في حال ما وجدت فجوات عند من عُقدت له الموازنة، وهو ما حصل فعلاً مع تلك الدراسات السابقة (سلسلة رسائل الماجستير المذكورة)؛ فسدت الدراسة الحالية تلك الفجوات الكبيرة، على الأقل في السور الخمس عينة هذه الدراسة، ولعلَّ بعض الباحثين يكملون سدَّ فجوات باقي سور القرآن الكريم في دراساتٍ لاحقة.

• أنواع المناسبات:

– لم تتطرق الدراسات السابقة إلى تناسب المقاطع فيما بينها، بل لم أقف على أيِّ دراسةٍ سابقةٍ - في حدود اطلاعي - فصلت بين مناسبات المقاطع ومناسبات الآيات من الناحية المنهجية في الأقسام التطبيقية لتلك الدراسات على النحو الوارد في هذه الدراسة؛ وإنما قد يذكر بعضها مناسبات بعض المقاطع في خضم مناسبات الآيات دون التنبيه إلى ذلك، بل قد ينسب بعض تلك الدراسات أحياناً مناسبات المقاطع إلى الآيات الأولى من تلك المقاطع، وذلك بالرغم من أنَّ كثيراً من المؤلفات في المناسبات تُميّز بين مناسبات الآيات ومناسبات المقاطع نظرياً، وتذكر أمثلةً، فسدت هذه الدراسة تلك الفجوة، على الأقل في عينة هذه الدراسة.

– لم تكشف الدراسات السابقة (سلسلة رسائل الماجستير المذكورة) عن تناسب تلك السور فيما بينها عند أيِّ مفسرٍ من هؤلاء المفسرين، خلافاً للدراسة الحالية التي سدت تلك الفجوة فتناولت نظرياً وعملياً تناسب السور عند البقاعي وابن عاشور، وكشفت عن تناسب سور عينة الدراسة فيما بينها جميعاً عند البقاعي.

• مناقشة الأقوال:

حَرَصَتِ الدِّراسةُ الحَالِيَّةُ على بيان منشأ اختلاف أقوال المفسرين في المناسبات، وبيان أسبابه، وهو ما خلت منه جُلُّ الدراسات السابقة (رسائل الماجستير المذكورة)، إلاَّ الدِّراسة

الثَّانِيَّة من السِّلْسِلَة؛ فَكَانَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مَتَمِّمَةً لِلدِّرَاسَةِ السَّابِقَةِ الثَّانِيَّةِ فِي سِدِّ هَذِهِ الْفَجْوَةِ فِي عَيِّنَةٍ أُخْرَى غَيْرِ عَيِّنَتِهَا.

فَالْمَلَا حِظْ فِي الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ أَهْمًا قَارَنْتَ بَيْنَ الْمُنَاسِبَاتِ عِنْدَ الْمَفْسِّرِينَ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَوْعِبْ جَمِيعَ آيَاتِ السُّورِ الْمَدْرُوسَةِ، لِتَأْسُسِ تِلْكَ الدِّرَاسَةَ عَلَى مَوَازِنَةِ أَقْوَالِ أَحَدِهِمَا بِأَقْوَالِ الْآخَرِ، كَمَا أَهْمًا لَمْ تَمَيِّزْ بَيْنَ مَنَاسِبَاتِ الْآيَاتِ وَمَنَاسِبَاتِ الْمَقَاطِعِ، وَلَمْ تَقَارِنْ كَذَلِكَ بَيْنَ مَنَاسِبَاتِ السُّورِ، وَلَمْ تَنَاقِشِ الْأَقْوَالَ، فَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْفَجْوَاتُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تَعَالَجُهَا الدِّرَاسَةُ الْحَالِيَّةُ، فَبَانَ بِذَلِكَ وَتَأَكَّدَ تَمَيُّزُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ عَنِ سَابِقَاتِهَا، بَلْ هِيَ مِنْ تَوْصِيَّاتِ بَعْضِ الدِّرَاسَاتِ، كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ.

7- المنهج:

من أجل معالجة إشكالية الدراسة وتحقيق أهدافها اعتمدت المنهج الوصفي مع توظيف آليات: الاستقراء، والتحليل، والنقد، والمقارنة، والاستنباط، وأتبع في ذلك المنهجية الآتية.

8- المنهجية:

يمكن تلخيص منهجية البحث في النقاط الآتية:

أولاً: منهجية التعامل مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة ومن بعدهم

- اعتمدت الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية، وبرواية ورش عن نافع، وبالعد الكوفي. وأعزو الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها في متن الدراسة، وإذا اقتضت على جزء من آية فإني أحرص على أن أنبه إليه.

- اعتنيت بشكل الأحاديث النبوية وتخريجها من مصادرها في الهامش، فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بتخرجه منهما أو من واحدٍ منهما، فأذكر الكتاب ثم الباب ثم رقم الحديث ثم الجزء والصفحة، وكوّن الحديث في أحد الصحيحين يُغني عن ذكر درجته، لاتفاق الأمة على صحتهما، وما كان في غير الصحيحين فأخرجه من مظانه، فإن تعددت مظانه فإني أنبه إلى ذلك، وأقتصر على ذكر بعضها اختصاراً وبدون ذكر الكتب والأبواب، ثم أذكر كلام العلماء أو محققي تلك المصادر في الحكم عليه صحةً أو ضعفاً.

- عزوت الآثار إلى مصادرها، مع ذكر كلام النقاد في درجتها إن وُجد.

- ثانياً: منهجية التعامل مع غريب اللفظ وأسماء الأعلام والكتب والأماكن والمصطلحات
- تحرّيت قدر الإمكان ضبط الألفاظ التي قد تشكّل على بعض الباحثين، مشيراً إلى الاختلاف الموجود في ضبطها في الهامش إن وجد، كما حرصت على إثبات الشدّة والتّنين في محالهما لكونهما معيّرين عن حرفين.
 - أشرح بعض غريب الألفاظ في الهامش، إذا دعت الحاجة إلى شرحه؛ كأن يتوقّف فهم المراد من الكلام على فهم ذلك الغريب، وأمّا كلمات القرآن فسيأتي الحديث عنها في أثناء بيان منهجية المقارنة بين المناسبات عند المفسّرين.
 - تحرّيت قدر المستطاع تعريف المصطلحات العلميّة الواردة في المتن، وبيان معاني بعض الشّهادات، والرّتب، والألقاب عند أوّل موضع تُذكر فيه، فما ناسب المقام لأن أشرحه في المتن فعلتُ، وإلاّ ففي الهامش.
 - أكتفي بذكر تواريخ وفيات الأعلام عند ورود أسمائهم، ولا أترجم لهم؛ لكثرة الأسماء الواردة في هذه الدّراسة.
 - استعنت بموقع: (www.date-convert.net) للتأكّد من صحّة توافق التّواريخ الهجريّة والميلاديّة؛ لوقوفي على بعض الأخطاء فيها، وقد وجدت الموقع، من خلال مقارنة النتائج، دقيقاً جدّاً في تحديد المُوافق؛ فاستعنت به كذلك لتحديد بعض ما لم أقف على ذكره من المُوافق الهجريّ أو الميلاديّ.
 - لا أعرف بالكتب، ولا بالأماكن والبقاع والمدارس والمساجد، إلاّ مكائبيّ ولادة المفسّرين: البقاعيّ وابن عاشور.

ثالثاً: منهجية التّوثيق وتوظيف الهامش وذكر الفهارس

- أوثّق النّصوص من مصادرها وذلك بذكر جميع معلومات المصدر عند أوّل ذكرٍ له، مع ذكر الجزء والصّفحة، فإذا ورد ذكر المصدر مرّةً أخرى، حينئذٍ أكتفي بذكر اسم الشّهرة للمؤلّف والعنوان مختصراً، والجزء والصّفحة.
- هذا، وقد استفدت من المساحة المخصّصة للهامش في إثراء البحث من نواحٍ أخرى عدّة، وهي الملخّصة في العناصر الآتية:

- الشُّرُوح والتَّوضِيحَات: وذلك من خلال:
 - تفصيل بعض ما أُجْمِلَ ذِكْرُهُ في متن البحث، والإفصاح عن بعض من أُجْمِلَ فيه، والتَّمثِيل لبعض ما ذُكِرَ فيه.
 - نسبة بعض الأقوال والآراء إلى أصحابها، وتمييزُ كلام مؤلِّفٍ ما عن كلام مَنْ نَقَلَ عنه.
 - تلخيصُ بعض الأحداث والوقائع التَّاريخيَّة.
 - تلخيصُ القول في تناسب بعض الآيات.
 - الاحتِراسُ ممَّا قد يُفْهَم خطأً من كلام الباحث.
- التَّنْبِيهَات: وهي على أنواعٍ:
 - التَّنْبِيه إلى بعض الأخطاء: ومنها:
 - أخطاء الطِّبَاعَة في المصادر والمراجع الَّتِي استفدت منها في البحث، من خلال النُّصوص المنقولة منها، فأُثْبِتُ الصَّوَابَ في المتن، وأشير إلى الخطأ في الهامش.
 - بعض أخطاء دراساتٍ سابقةٍ.
 - أخطاء في نسبة بعض الكتب إلى غير مؤلِّفيها.
 - التَّنْبِيه إلى بعض الاختلافات: ومنها:
 - بيانُ وجود قولٍ آخر غير الَّذِي أُثْبِتَ في متن البحث، وأحياناً بيانُ سبب اختلاف الأقوال.
 - الاختلافُ في لفظٍ منقولٍ عن عالمٍ ما، ومحاولةُ بيان اللِّفْظ الصَّوَابِ إن أمكن.
 - اختلافُ طبعاتٍ بعض الكتب في بعض الألفاظ والعبارات، ومحاولةُ بيان الصَّوَابِ إن أمكن.
 - وجود حالاتٍ تخالفُ الصُّورَةَ العامَّةَ والغالبَةَ المَثْبِتَةَ في متن البحث.
 - الاختلافات الحاصلة في عناوين بعض الكتب.
 - التَّنْبِيه إلى بعض الإضافات: ومنها:
 - الزِّيَادَة في كلام بعض العلماء بما يقتضيه السِّياق، وجعلت الزِّيَادَة في المتن بين معقوفين [].
 - وجود دراساتٍ في موضوعٍ ما.

○ حصول تحقيق لبعض المخطوطات.

● البرهنة والإثبات: ومن ذلك:

- البرهنة لبعض ما قرّر في المتن.
- الاستشهاد لصحة بعض ما ورد في المتن، أو تعزيز الاستشهاد الحاصل في المتن بشواهد أخرى.
- تدعيم ما توصلت إليه بأقوال غيري، وأشير إليه بعبارة: "قارن مع".

● آراء للباحث: ومنها:

- عرض بعض الأفكار لمشاريع بحثية مستقبلية.
- عرض اجتهاداتي الخاصة في بعض المناسبات.
- ذكر ترجيحاتي في بعض القضايا.
- تعليقات لي على بعض الآراء لبعض المفسرين.
- ذيلت البحث بفهارس، اعتمدت فيها الترتيب الألف بائي، ما عدا فهرس الآيات القرآنية اعتمدت فيه ذكر اسم السورة، ورقم الآية، حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.

رابعاً: طريقة عرض الدراسة المقارنة

- قبل إجراء المقارنة بين المناسبات عند المفسرين (البقاعي وابن عاشور) أقدم لكل سورة بذكر عدد آيها، وبيان كونها مكية أو مدنية.
- أجريت المقارنة بين المناسبات عند المفسرين على النحو الآتي:
 - استقراء مناسبات السورة عند البقاعي، والمناسبات المعنية بهذه الدراسة تتمثل في: مناسبة السورة للسورة التي قبلها، ثم مناسبات مقاطع السورة مقطعاً مقطعاً، ثم مناسبات أي السورة فيما بينها آية آية (مناسبة الآية لما قبلها أو لما بعدها).
 - عند إيراد المناسبات التي ذكرها البقاعي، فإن كان واضحاً وموجزاً فإني أذكره بنصه ولا أعقب عليه، وإن كان واضحاً طويلاً فإني أختصره بلفظي طلباً للإيجاز، وإن كان كلامه معقداً العبارة، وربما يحتمل أوجهها من المعاني، أو كان يحتاج إلى شيء من البيان، فإني أذكره

بنصّه سواءً كان طويلاً أو موجزاً، ثمّ أعقبه بشرحه وفق ما فهمته منه، وإيرادي لقوله في هذه الحالة إنّما هو من باب فسح المجال أمام القارئ لفهم آخر ممكن.

– في أثناء ما سبق أشرح بعض كلمات القرآن المهمّة في فهم المناسبة؛ فالغرض هو خدمة المناسبة، وليس هو تفسير النّصّ القرآنيّ؛ ولذلك لا أشرح بعض كلماته التي ليس لها أثر في فهم المناسبة، وأشرح أيضاً المصطلحات البلاغيّة الدالّة على المناسبات، التي يستعملها المفسّران، وهي التي لا يمكن تجاوزها لفهم المناسبة.

– بعد إنهاء دراسة مناسبات السّورة عند البقاعيّ (استقراءً، وتحليلاً، وذكرًا، وشرحًا)، أعقب مباشرةً بدراسة مناسبات السّورة نفسها عند ابن عاشور، وبالمنهجية نفسها.

– بعد إنهاء سرد المناسبات عند المفسّرين، أنجز المقارنة بينهما، وذلك على النحو الآتي:

○ أبتدئ بمقارنة مناسبة السّورة للسّورة التي قبلها عند المفسّرين.

○ أعقب بمقارنة مناسبات مقاطع السّورة عند المفسّرين، مبتدئاً ببيان مواضع الاتّفاق

ومواضع الاختلاف في تحديد المقاطع، ثمّ معيّباً بالمقارنة بين مناسباتها، وفي المقارنة

أحاول أن أقف على القول الصّواب.

○ أختتم المقارنة بمقارنة مناسبات آيات السّورة عند المفسّرين؛ فأبتدئ بذكر الآيات

التي اتّفقا في مناسباتها، وأوضح وجوه الاتّفاق، وأبين ما إذا زاد أحدهما عن الآخر

بوجه آخر للمناسبة، ثمّ أعقب بذكر الآيات التي اختلفا في مناسباتها، فأوضح

وجوه الاختلاف، وأحاول أن أقف على أسبابه، كما أحاول أن أقف على القول

الصّواب أو التّوفيق بين الأقوال، ثمّ أختتم بتلخيص نتائج المقارنة.

– أطبق المنهجية السّابقة نفسها على بقية السّور.

– اخترت هذه الطّريقة في إجراء المقارنة، بدل الطّريقة التي تعتمد على ذكر قوليّ المفسّرين

في الآية الواحدة، في موضع واحد، وإجراء المقارنة بينهما في الموضع نفسه، بالرّغم ممّا

لهذه الطّريقة من مميّزاتٍ شكليّة؛ في عدم تكرار كتابة الآيات، والاختصار؛ لعدم

الحاجة إلى التّذكير بقوليّ المفسّرين في المقارنة ولو باختصار، لما في الطّريقة التي

اعتمدها من مميّزاتٍ لا تقلُّ أهميّةً عن مميّزات الطّريقة الأخرى، بل ربّما تفوقها أهميّةً،

أذكر منها:

المحافظة على تسلسل معاني الآي عند المفسّر الواحد في ذهن القارئ، وتسهيل فهم تناسبها عند ذلك المفسّر؛ فتظهر دقّة انسجام الآي وتربطها عنده، ومنه وحدة السورة من منظوره، خلافاً للطريقة الأخرى التي تؤدّي إلى حصول تشويش في ذهن القارئ؛ عند ذكر قولي عالمين محققين مدققين لغويين، فلا يكاد القارئ يفهم المناسبة عند الأوّل، حتّى تأتيه الثانية، ولا يكاد يشرع في قراءة مناسبة الآية التي تليها، عند كلا المفسّرين، حتّى يحتاج إلى مراجعة التي قبلها، والتأكد من نسبة كلّ مناسبة إلى قائلها؛ ليربط بينها وبين التي تليها، وإرهاق الدّهن وتشتيته لا محالة كائنين، وفهم وجه ارتباط جميع آي السورة عند واحدٍ من المفسّرين في هذه الحالة أمرٌ غير يسير.

تميّز الطريقة التي اعتمدها بالسهولة في عرض المقارنة؛ وذلك من خلال جمع الآيات المتفق في مناسباتها تحت عنوانٍ واحدٍ، والآيات المختلف في مناسباتها تحت عنوانٍ واحدٍ، وذلك ما يسهّل عمليّة إحصاء مواضع الاتّفاق ومواضع الاختلاف، وأسباب الاختلاف وضوره، ومواقف الباحث من اختلافهما.

● بعد إنهاء المقارنة بين مناسبات السور الخمس عيّنة الدّراسة اختتمت بذكر نتائجها.

وبناءً على ما سبق ذكره جاءت خطة البحث على النحو الآتي.

9- الخطة:

استهللت البحث بمقدّمة عرضت فيها إشكاليّة البحث، وبيّنت مدى أهميّة موضوع هذه الدّراسة، والأهداف المتوخّاة منه، وأسباب اختياره، وذكرت فيها الدّراسات السابقة، ومنهج البحث، ومنهجيّته، وخطة البحث، وأهمّ الصّعوبات التي اعترضتني.

ثمّ يأتي الباب الأوّل، المتمثّل في الدّراسة النظريّة، في ثلاثة فصول؛ فحُصّ الفصل الأوّل للتأصيل لعلم المناسبات؛ فجاء في ستّة مباحث، يتناول المبحث الأوّل منها التّعريف بعلم المناسبات وبيان موضوعه وثمرته وأهمّيّته، ثمّ إبراز فوائده في المبحث الثّاني، ليتناول المبحث الثّالث بعده مراحل ظهوره، ثمّ يليه بيان أنواع المناسبات في المبحث الرّابع، ثمّ موقف العلماء من علم المناسبات في المبحث الخامس، ليختتم هذا الفصل بالمبحث السّادس الذي خصّص للتّعريف بأشهر المصنّفات في المناسبات.

وأما الفصل الثاني من الباب الأول، فهو حول البقاعيِّ وكتابه «نظم الدرر»؛ حيث جاء في أربعة مباحث، أما المبحث الأول فهو في التعريف بالبقاعيِّ، بحياته الشخصية ومسيرته العلميَّة، وأما المبحث الثاني فيتناول الحديث عن عصر البقاعيِّ وأثره في بناء شخصيَّته وتوجُّهاته ومواقفه، ليعرِّج المبحث الثالث إلى التعريف بكتاب «نظم الدرر»، ليختتم هذا الفصل بالمبحث الرابع المخصَّص للحديث عن منهج البقاعيِّ في «نظم الدرر»، في التفسير وفي المناسبات.

وأما الفصل الثالث، وهو الأخير من الباب الأول، فهو حول ابن عاشور وكتابه «التحرير والتنوير»، وقد جاء في خمسة مباحث، تناول المبحث الأول التعريف بابن عاشور، بحياته الشخصية ومسيرته العلميَّة، وأما المبحث الثاني فتناول عصر ابن عاشور، ليتناول المبحث الذي بعده أثر عصر ابن عاشور في بناء شخصيَّته وتوجُّهاته ومواقفه، ليعرِّج المبحث الرابع إلى التعريف بتفسير «التحرير والتنوير» ومنهج ابن عاشور فيه، ليختتم الفصل بالمبحث الخامس الذي يتناول موقف ابن عاشور من المناسبات ومنهجه فيها من خلال «التحرير والتنوير».

ثمَّ يأتي الباب الثاني والمتمثِّل في الدِّراسة التَّطبيقية، حيث جاء في أربعة فصول؛ تناول الفصل الأول مناسبات سورة النبأ بين البقاعيِّ وابن عاشور، فجاء في ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول مناسبات سورة النبأ عند البقاعيِّ، وأما المبحث الثاني فتناول مناسبات سورة النبأ عند ابن عاشور، ليختتم الفصل بالمبحث الثالث الذي هو في المقارنة بين مناسبات سورة النبأ عند البقاعيِّ وابن عاشور.

وأما الفصل الثاني، فتناول مناسبات سورة النَّازعات بين البقاعيِّ وابن عاشور، وهو الآخر جاء في ثلاثة مباحث؛ أما المبحث الأول فتناول مناسبات سورة النَّازعات عند البقاعيِّ، وتناول المبحث الثاني مناسبات سورة النَّازعات عند ابن عاشور، ليختتم الفصل بالمبحث الثالث الذي هو في المقارنة بين مناسبات سورة النَّازعات عند البقاعيِّ وابن عاشور.

وأما الفصل الثالث، فتناول مناسبات سورة عبس بين البقاعيِّ وابن عاشور، وهو الآخر جاء في ثلاثة مباحث؛ أما المبحث الأول فتناول مناسبات سورة عبس عند البقاعيِّ، وتناول

المبحث الثاني مناسبات سورة عبس عند ابن عاشور، ليختتم الفصل بالمبحث الثالث الذي هو في المقارنة بين مناسبات سورة عبس عند البقاعي وابن عاشور.

وأما الفصل الرابع، وهو الأخير من الباب الثاني، فتناول مناسبات سورتي التكوير والانفطار بين البقاعي وابن عاشور، وجاء في مبحثين، تناول المبحث الأول مناسبات سورة التكوير بين البقاعي وابن عاشور، وتناول المبحث الآخر مناسبات سورة الانفطار بين البقاعي وابن عاشور. ليختتم هذا الباب بذكر أهم نتائج الدراسة التطبيقية.

ثم ذيلت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، وبعض التوصيات.

10- الصُّعوبات:

هذا، وقد بذلتُ في هذه الدراسة ما استطعت من مجهودٍ، بغية تحقيق المقصود، في ليالٍ حالفتُ فيها السُّهاد وخالفتُ وطىء المهاد وشهية الاضطجاع والرُقَاد، سرَّيتُ فيها حُفْبًا إلى الورا، إلى دولتي الممالك والعمانيّين، فلمحتُ علمين شاحخين في سمائهما (البقاعي وابن عاشور)، كلُّ واحدٍ منهما مثل كوكبٍ دُرِّيٍّ في الليل الحالك، تفسّحتُ في سيرتيهما؛ لأكشف عن سرِّ توفّدهما، فكانت الشجرة المباركة عند البقاعي «نظم الدرر»، وعند ابن عاشور «التحرير والتنوير»، زيتونتان: الأولى: شرقية، والأخرى: غربية، زيتونها تناسب في القرآن الكريم، مختلف الأشكال والألوان والمذاق، وزيتها: نور الإيمان واليقين بكلام الله الرحمن الرحيم، زيت كل واحدٍ منهما بالنسبة للآخر نورٌ على نور؛ فاللهم ثبت الإيمان في قلوب عبادك، إنك على كل شيء قدير.

واجهت في تلك الرحلة الطويلة، الشاقة والشيقة في الوقت نفسه، بعض الصُّعوبات، ولاقيتُ فيها بعض العقبات، أشدّها:

- دقّة فنّ المناسبات وصعوبته، فقد أعرض عن الخوض فيه بسبب دقّته وصعوبته كثيرٌ من العلماء الأجلّاء.

● صعوبة اللّغة الّتي كتب بها البقاعيّ، وقد صرّح البقاعيّ نفسه بذلك حين قال: " وكثيرٌ من العلماء يعجز عن قراءة بعض المواضيع الّتي فيه بالحاضر فضلاً عن فهم معانيها"⁽¹⁾، فإذا كان هذا حال كثيرٍ من علماء عصره مع كلامه، فكيف هو حال من ليس في مرتبتهم، ولا تُقارن منزلته بمنزلتهم، وكانت بضاعته مزجاةً في كلّ علمٍ وفنٍّ، كصاحب الدّراسة الحاليّة.

وإذا كان البقاعيّ قد يقيم في تأمّل آيةٍ شهوراً للكشف عن مناسبتها، فإنّي صاحب الباع القصير في علوم اللّغة والبلاغة قد أقيم اليوم واليومين حتّى أفهم كلامه فيها، فأقول معرّفًا بمقدار تعبي في استقراء كلامه في مناسبة آيةٍ واحدةٍ، وتحليله، وفهم مراده، كما قال البقاعيّ في التّعريف بمقدار تعبه في الكشف عن مناسبة آيةٍ واحدةٍ، حيث قال: "ومن أراد تصديق ذلك، فليتأمل شيئاً من الآيات قبل أن ينظر ما قلته، ثمّ لينظره، يظهر له مقدار ما تعبت"⁽²⁾؛ فأقول: ومن أراد تصديق ذلك فليتأمل شيئاً من كلام البقاعيّ قبل أن ينظر ما كتبه، ثمّ لينظره، يظهر له مقدار ما تعبت. وقال محمود توفيق: "ولعلّ من أسباب الانصراف عن طبع هذا التّفسير صعوبة القراءة فيه، فعبارته متداخلةٌ قد تصل إلى حدّ المعاضلة، وغير قليلٍ من القرّاء لا يكاد يصبر على متابعة القراءة فيه"⁽³⁾.

● صعوبة استخراج المناسبات من التّحرير والتّنوير؛ بسبب طول كلام ابن عاشور في تفسير الآي؛ كون كتابه موضوعاً في أصله للتّفسير، خلافاً لكتاب البقاعيّ الّذي أفرده في المناسبات خاصّةً، وأيضاً بسبب عدم التزام ابن عاشور بطريقةٍ محدّدةٍ في عرض المناسبات، وكثرة الأوجه الّتي يوردها في تفسير الآية الواحدة، وبناءً على تعدّد أوجه التّفسير تتعدّد أوجه المناسبة.

(1) عبد الله عبد الرّحمن الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم، المجلّة العلميّة لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانيّة والإداريّة)، المملكة العربيّة السّعوديّة، مج:6، ع:2، 1426هـ/2005م، ص:20. ويقصد البقاعيّ بهذا الكلام كتابه «نظم الدرر».

(2) أبو الحسن، برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، 1404هـ/1984م، (1/15).

(3) محمود توفيق محمّد سعد، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه وأويله بلاغة القرآن الكريم، ط:1، 1424هـ، ص:56.

فخلاصة الكلام في الصُّعوبات: أنَّها تدور بين تعقيد العبارة عند البقاعيِّ، ودقَّة المعاني وكثرة الأقوال عند ابن عاشور، وذلك ما استهلك مَيَّ طاقةً كبيرةً حتَّى أصل إلى تحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدِّراسة.

وختامًا، ومصدقًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (82) (النِّساء: من الآية 82)، فإنَّ هذا جهدٌ بشريٌّ؛ يعتريه ما يعترى البشر من ضعفٍ وخللٍ، وحسبي أيُّ قد بلغت فيه من جهدي حدَّ طاقته، واستوفيت فيه من الزَّمان أقصى مُدَّتِه، وهو مع ذلك بحاجةٌ للنُّصح والتَّقييم والتَّقويم، من أساتذتي الأجلَّاء المبجَّلين، قصدتُ من خلاله أن أسلِّط الضَّوء أكثرَ على موضوعٍ اشتدَّت الحاجة إليه في هذا الزَّمان، لكثرة من تجرَّأ على نصِّ القرآن بالطَّعن والبهتان، من خلال البحث في جهودِ علميَّين جهديَّين شاحِخين في سماء علم التَّفسير؛ اعترافًا بفضلهما، وتنويهاً بجهودهما، والله أسأل أن يتقبَّل هذا العمل، وأن يرفعه -على زهادته- إلى درجة العلم النافع، الَّذي ينفع صاحبه وينفع به الآخريين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (88) ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (89) (الشُّعراء: 88-89).

الباب الأول: الدراسة النظرية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التأسيس لعلم المناسبات

الفصل الثاني: البقاعي وكتابه «نظم الدرر»

الفصل الثالث: ابن عاشور وكتابه «التحرير والتنوير»

توطئة الباب

يأتي هذا الباب، وهو باب الدِّراسة النَّظريَّة، تمهيدًا للدِّراسة التَّطبيقيَّة في الباب الآخر من هذه الأطروحة، وذلك من أجل إعطاء صورة واضحة عن العلم الذي تدور في فلكه هذه الدِّراسة، وإعطاء لمحة تعريفية موجزة بعلمي هذه الدِّراسة المقارنة، وبكتابيهما اللذين تُجرى المقارنة من خلالهما.

وبناءً على ذلك؛ يأتي هذا الباب في ثلاثة فصول: الأوَّل في التَّأصيل لعلم المناسبات، ثُمَّ يليه فصلٌ حول البقاعيِّ وكتابه «نظم الدرر»، ثُمَّ فصلٌ أخيرٌ حول ابن عاشور وكتابه «التَّحرير والتَّنوير».

* * *

الفصل الأوّل: التّأصيل لعلم المناسبات

وفيه ستّة مباحث:

المبحث الأوّل: علم المناسبات (تعريفه، موضوعه، ثمرته، وأهميّته)

المبحث الثّاني: فوائد علم المناسبات

المبحث الثّالث: مراحل ظهور علم المناسبات

المبحث الرّابع: أنواع المناسبات

المبحث الخامس: موقف العلماء من علم المناسبات

المبحث السّادس: أشهر المصنّفات في المناسبات

* * *

توطئة:

بحث العلماء في علوم القرآن الكريم امتثالاً لأمره عزّ وجلّ بتدبّر القرآن في قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: 82)، فوقفوا على أنواع كثيرة من علوم القرآن، ومن تلك العلوم علم المناسبات، فما حقيقة هذا العلم؟ وفيه تكمن أهميته؟ ومتى كانت نشأته؟ وما هي مراحل تطوره؟ وما أنواع المناسبات؟ وما موقف العلماء منها؟ وما أشهر المصنّفات في علم المناسبات؟ تأتي الإجابة عن كلّ تلك الأسئلة فيما يلي من مباحث هذا الفصل.

المبحث الأوّل: علم المناسبات (تعريفه، موضوعه، ثمرته، وأهميته)

قبل الشروع في أيّ علمٍ لابد لطالبه من الوقوف على مبادئه، وإنّ من أهمّ مبادئ أيّ علم: التعريف، والموضوع، والثمرّة، والأهميّة، وفيما يلي بيان لهذه المبادئ.

المطلب الأوّل: تعريف علم المناسبات

"علم المناسبات" مرّكبٌ إضافيٌّ، وتعريف المرّكب يقتضي أولاً التعريف بأجزائه، ثمّ إنّ تعريف أيّ مصطلحٍ يمرّ أولاً ببيان أصله اللغويّ، ثمّ ببيان معناه عند أهل الاصطلاح؛ وفيما يلي تطبيقٌ لذلك على تعريف "علم المناسبات".

الفرع الأوّل: تعريف العلم

عرّف العلماء "العِلْمَ" لغةً واصطلاحاً، وفيما يلي ذكرٌ لبعض تعاريفهم.

أ- لغةً:

قال ابن فارس (ت: 395هـ): "العين واللام والميم أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على أثرٍ بالشّيء يتميّز به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفةٌ"⁽¹⁾.

وقد تعدّدت تعاريف علماء اللّغة للعلم، ومما قيل فيه: "العِلْمُ: نقيض الجهل"⁽²⁾،

(1) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط: 2، 1399هـ/1979م، (109/4).

(2) نفسه، (110/4).

وقيل: العِلْمُ المعرفة⁽¹⁾، وعَرَفَهُ الرَّاعِبُ (ت:502هـ) بأنّه: "إدراك الشّيء بحقيقته"⁽²⁾، وعَرَفَ أيضاً بأنّه: "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"، وقيل: هو "وصول النَّفس إلى معنى الشّيء"⁽³⁾. فيطلق العِلْمُ ويراد به حصول المعرفة والإدراك، ويطلق ويراد به الأمر المعلوم⁽⁴⁾.

ب- اصطلاحاً:

تداولت لفظ العِلْمِ اصطلاحاتٌ مختلفةٌ: ففي اصطلاح الحكماء: هو صورة الشّيء الحاصلة في العقل. وفي اصطلاح المتكلمين: هو صفةٌ يتجلّى بها الأمر لمن قامت به. وفي لسان الشّرع العامّ: هو معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه، وعند الماديين: ليس إلاّ خصوص اليقينيّات التي تستند إلى الحسّ وحده، وفي عرف التّدوين العامّ: يطلق العلم على المسائل المضبوطة بجهةٍ واحدة⁽⁵⁾.

ولمّا كانت هذه الدّراسة متعلّقةً بعلم المناسبات كعلمٍ وفنٍّ مدوّنين، فالاصطلاح المعنيّ هو اصطلاح علماء التّدوين، فهم يطلقون العِلْمَ على مجموع مسائل وأصولٍ كليّةٍ تجمعها جهةٌ واحدةٌ، كعلم الكلام، وعلم النّحو، وعلم الأرض، وعلم الكونيّات، وعلم الآثار. وجمعه: علوم⁽⁶⁾.

(1) ينظر: إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:2، 1399هـ/1979م، (5/1990).

(2) أبو القاسم، الحسين بن محمّد المعروف بالرّاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د ط ت)، (2/446).

(3) ينظر: عليّ بن محمّد السيّد الشّريف الجرجانيّ، معجم التّعريفات، تحقيق ودراسة: محمّد صديّق المنشاويّ، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط ت)، ص:130.

(4) أبو البقاء، أيّوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ، الكليّات معجم في المصطلحات والفرق اللّغويّة، قابله على نسخة خطيّة وأعدّه للطّبع ووضع فهرسه عدنان درويش ومحمّد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت-لبنان، ط:2، 1419هـ/1998م، ص:611.

(5) ينظر: محمّد عبد العظيم الرّزقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط:1، 1415هـ/1995م، (1/14-15).

(6) ينظر: مجّع اللّغة العربيّة بجمهورية مصر العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط:4، 1425هـ/2004م، ص:624.

الفرع الثاني: تعريف المناسبات

المناسبات جمع مناسبةٍ. وفيما يلي تعريف المناسبة لغةً واصطلاحًا.

أ- المناسبة لغةً:

ورد في «مقاييس اللغة» أن: "الثون والسين والباء كلمةٌ واحدةٌ قياسها: اتّصال شيءٍ بشيءٍ، منه النسب، سُمّي للاتّصاله وللاتّصال به"⁽¹⁾.

والمناسبة: من ناسب يُناسبُ مناسبةً، فهو مُناسبٌ، والمفعول مُناسبٌ⁽²⁾، ومعناها: الاشتراك في النسب؛ يُقال: ناسبتهُ أي: شَرِكْتُهُ فِي نَسَبِهِ⁽³⁾، وفلانٌ يَناسبُ فلانًا، فهو نَسِيبُهُ، أي قَرِيبُهُ⁽⁴⁾، وهذا يُناسبُ هذا أي يُقَارِبُهُ شَبَهًا، وَالْمُنَاسِبُ الْقَرِيبُ⁽⁵⁾.

والمناسبة: المقاربة⁽⁶⁾ والمشاكلة⁽⁷⁾، والمشاكلة: المُوافقة⁽⁸⁾، والمشابهة، والمماثلة⁽⁹⁾.

وتناسب: مُطَاوَعُ الفَعْلِ نَاسَبٌ؛ تَنَاسَبَ يَتَنَاسَبُ، تَنَاسَبًا، فهو مُتَنَاسِبٌ⁽¹⁰⁾، والتَّنَاسَبُ:

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (423/5-424).

(2) أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط: 1، 1429هـ/2008م، (2199/3).

(3) ينظر: أبو الحسن، علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، المخصّص، تح: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط: 1، 1417هـ/1996م، (331/1).

(4) الجوهري، الصحاح، (224/1)، محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العليم الطحاوي، طبع ضمن سلسلة "التراث العربي" الصادرة عن وزارة الإعلام في الكويت، رقم (16)، مطبعة حكومة الكويت، ط: 2، 1407هـ/1987م، (265/4).

(5) أحمد بن محمّد بن عليّ المُقَرَّبِي المُقَرَّبِي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشنّاوي، دار المعارف، القاهرة، ط: 2، (602/2).

(6) بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل أحمد عليّ الدّيميّطي، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص: 36، أبو الفضل، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكرٍ الشّيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تح: مركز الدّراسات القرآنيّة، صدر عن وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، المدينة المنوّرة، 1426هـ، (1840/5).

(7) الجوهري، الصحاح، (224/1)، أبو الفضل، جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقيّ المصريّ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (756/1).

(8) الجوهري، نفسه، (1737/5)، ابن منظور، نفسه، (357/11).

(9) ابن منظور، نفسه، (356/11-357).

(10) ينظر: أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، (2199/3).

التشاكل⁽¹⁾ والتشابه⁽²⁾، وتناسب الشئيان: تشاكلا وتماثلا وتوافقا، عكسه تعارضا⁽³⁾.

وفرق الجرجاني بين معاني المناسبة المتقاربة، بفروقٍ دقيقة، فذكر أنّ:

● الاتّحاد أو الاشتراك بين الشئيين في الجنس يُسمّى: مجانسة؛ كاشتراك إنسانٍ وفرسٍ في الحيوانية.

● الاتّحاد أو الاشتراك بين الشئيين في النوع يُسمّى: مماثلة؛ كاشتراك زيدٍ وعمروٍ في الإنسانية.

● الاتّحاد في الخاصّة أو الاشتراك بين الشئيين في الشكل يُسمّى: مشاكلة؛ كاشتراك الأرض والهواء في الكريّة.

● اتّحاد أو اشتراك الشئيين في الكيف يُسمّى: مشابهة؛ كاشتراك الإنسان والحجر في السّواد.

● الاتّحاد أو الاشتراك بين الشئيين في الكمّ يُسمّى: مساواة؛ كاشتراك ذراعٍ من خشبٍ وذراعٍ من ثوبٍ في الطّول.

● الاتّحاد أو الاشتراك بين الشئيين في الأطراف يُسمّى: مطابقة؛ كاشتراك الإجمّتين⁽⁴⁾ في الأطراف.

● الاتّحاد في وضع الأجزاء أو الاشتراك بين الشئيين في الوضع المخصوص، يُسمّى: موازنة، وهو ألاّ يختلف البعد بينهما، كسطح كلّ فلكٍ.

● وأمّا الاتّحاد في الإضافة فهو الذي يُسمّى: مناسبة؛ كاشتراك زيدٍ وعمروٍ في بنوّة بكرٍ.⁽⁵⁾

ومّا ورد من معاني المناسبة في المعاجم المعاصرة: الملاءمة، واللياقة، والانسجام، والموافقة والتّسبيق؛ يُقال ناسب الأمر أو الشئ فلاناً لآئمته ووافق مزاجه، فهو مُناسبٌ: بمعنى موافق، ملائم، لائق، منسجم، وناسب بين الشئيين: وفاق ونسق.⁽⁶⁾

فيتبيّن ممّا سبق أنّ أصل معنى المناسبة يرجع إلى الاتّصال والاشتراك في أمرٍ ما.

(1) الرّبيدي، تاج العروس، (265/4).

(2) مجّمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 916.

(3) أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، (2199/3).

(4) الإجمّنة: إناء تُغسل فيه الثياب (مجّمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 7).

(5) ينظر: الجرجاني، معجم التّعريفات، ص: 10، 180.

(6) ينظر: مجّمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 916، أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، (2199/3).

ب- المناسبة اصطلاحاً:

قبل النَّظَر في تعاريف العلماء والباحثين للمناسبات اصطلاحاً، يجدر التّنبية إلى ضرورة ملاحظة اختلاف استعمالهم للمصطلح قيّد التعريف من ناحية اشتقاقاته وإضافاته؛ فتحت عنوان "تعريف المناسبة اصطلاحاً" أحياناً يُعرّف التّناسب، وأحياناً يُعرّف علم المناسبة، وأحياناً أخرى تُعرّف المناسبة فعلاً. ولا شكّ في أنّ كلّ واحدٍ من هذه المصطلحات له من الدّلالة ما يميّزه عن البقيّة.

ولا يمكن الحديث عن تعريف المناسبة في اصطلاح علماء التّفسير وعلوم القرآن دون ذكر تعريفها في اصطلاح البلاغيّين؛ لأنّ من أوجه إعجاز القرآن الكريم بلاغته⁽¹⁾، والمناسبة أساس البلاغة أو سرّها كما عبّر به البقاعيّ؛ إذ بالمناسبة تتحقّق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال، وتلك هي البلاغة⁽²⁾، ولأنّ المناسبة أحد ركنيّ البلاغة؛ حيث عرّفَت الأخيرة بأنّها: "القوّة على البيان مع حسن النّظام"⁽³⁾، وقد قيل: "أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقلّ مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه"⁽⁴⁾.

• المناسبة في اصطلاح البلاغيّين:

ذكر الرّمثانيّ (ت: 386هـ) أنّ المناسبة أحد وجهيّ التّجانس، وأنّ الوجه الآخر هو المزوجة، وأنّ الفرق بين المناسبة والمزوجة هو أنّ المزوجة تقع في الجزاء، من باب المعاملة بالمثل عدلاً، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْتَدِيْ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة: من الآية 194)، وأمّا المناسبة ف: "تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصلٍ واحدٍ"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الزُّبُرَ وَيُرِيهِ

(1) أبو الحسن، عليّ بن عيسى الرّمثانيّ، النُّكْت في إعجاز القرآن، طبع ضمن كتاب: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمثانيّ والخطّابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ، في الدّراسات القرآنيّة والنّقد الأدبيّ»، تح: محمّد خلف الله أحمد، ومحمّد زغلول سلام، ذخائر العرب (16)، دار المعارف، مصر، ط: 3، 1976م، ص: 78.

(2) ينظر: أبو الحسن، برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ الشّافعيّ، مساعد النَّظَر للإشراف على مقاصد السُّور، قدّم له وحققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: عبد السّميع محمّد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1408هـ/1987م، (142/1).

(3) أبو عليّ، الحسن بن رشيق القيروانيّ، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، تح: النّبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1420هـ/2000م، (387/1).

(4) نفسه، (392/1).

﴿الْصَّدَقَاتُ﴾ (البقرة: من الآية 276)، قال الرّماني: "فجونس بإرباء الصّدقة ربا الجاهلية، والأصل واحد وهو الزيادة، إلّا أنّه جعل بدل تلك الزيادة المذمومة زيادةً محمودة".⁽¹⁾

وعرّف التّناسب بأنّه: "ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر... ويُسمّى التّشابه أيضاً"⁽²⁾، أو أنّه: "مراعاة النّظير، أي أن يُجمع في الكلام بين أمرٍ وما يناسبه"⁽³⁾.

فمدار التّناسب في البلاغة على ارتباط معاني الكلام وترتيبها وانسجامها وعدم تنافرها.

• المناسبة في اصطلاح علماء التّفسير وعلوم القرآن:

عرّف أبو بكر بن العربيّ التّناسب بأنّه: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتّى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة البيان"⁽⁴⁾. والملاحظ على التّعريف أنّه قصر التّناسب على مستوى الآيات دون السّور.

وعرّف مصطفى مسلم (ت: 1442هـ) المناسبة بأنّها "تعني ارتباط السّورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كلّ آية بما قبلها وما بعدها"⁽⁵⁾، فهو يقرّر فيه مستوى آخر من مستويات التّناسب، وهو تناسب السّور.

وقريبٌ منه تعريف مناع القطّان، بل هو أجمع؛ إذ ضمّ مستوى آخر من مستويات التّناسب، وهو تناسب جمل الآيات؛ حيث عرّف المناسبة بأنّها: "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية

(1) ينظر: الرّماني، النّكت في إعجاز القرآن، ضمن كتاب: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، ص: 99-100.

(2) ذكره ابن النّقيب (ت: 698هـ) في مقدّمة تفسيره، ونسبه محقّق المقدّمة إلى الرّنجانيّ (كان حيّاً سنة: 660هـ) (ينظر: أبو عبد الله، جمال الدّين محمّد بن سليمان البلخيّ المقدسيّ الحنفيّ، الشّهير بابن النّقيب، مقدّمة تفسير ابن النّقيب في علم البيان والمعاني والبدع وإعجاز القرآن، والمطبوع خطأ بعنوان: «الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيمّ الجوزيّة»، تح: زكريّا سعيد عليّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: 177-178)، وذكره أيضاً النّويريّ (ت: 733هـ) (شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب النّويريّ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عليّ بوملحم، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1424هـ/2004م، (90/7).

(3) أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، (2199/3).

(4) أبو بكر، محمّد بن عبد الله بن محمّد ابن العربيّ المعافريّ الإشبيليّ (ت: 543هـ)، سراج المريدين في سبيل الدّين لاستنارة الأسماء والصفّات في المقامات والحالات الدّينيّة والدّنيويّة بالأدلة العقليّة والشرعيّة القرآنيّة والسّنيّة وهو القسم الرّابع من علوم القرآن في التّدكير، تح: عبد الله التّورّاتي، طبع ضمن: أعلّاق أندلسيّة إشبيليّة⁽⁴⁾، سلسلة مؤلّفات الإمام أبي بكر ابن العربيّ (4)، دار الحديث الكنانيّة، طنجة، المملكة المغربيّة، ط: 1، 1438هـ/2017م، (144/4).

(5) مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعيّ، دار القلم، دمشق، ط: 3، 1421هـ/2000م، ص: 58.

الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعدّدة، أو بين السورة والسورة"⁽¹⁾.
ويتبيّن من التعريفات السابقة أنّه إذا كان التّناسب هو الارتباط، فالمناسبة هي وجه ذلك
الارتباط.

وأضاف أحمد فرحات في تعريف المناسبة قيّدًا آخر ليجعله أمتع، وهو متعلّق بتحديد نوع
التّرتيب الذي يُبحث فيه ارتباط تلك الأجزاء، حيث قال: "هي وجوه الارتباط بين الآيات
والسُور، طبقًا لترتيب التّلاوة في المصحف العثماني"⁽²⁾؛ فالترتيب الذي تُبحث فيه وجوه الارتباط
هو ترتيب المصحف العثماني، وليس ترتيب التّزول ولا غيره ممّا رُوي من اختلاف ترتيب مصاحف
بعض الصّحابة الكرام⁽³⁾.

قال عبد القادر أحمد عطا: "ولقد عُرف سرُّ ترتيب القرآن قديمًا بعلم المناسبات، وما عُرف
منه فإنّما هو ما في ترتيب المصحف، أمّا أسرار ترتيب التّزول فلا نعلم أحدًا تعرّض له في كتاب، لا
في القديم ولا في الحديث، إلّا قليلًا في كتب الأصول"⁽⁴⁾.

والملاحظ في التعريفات السابقة للمناسبة أنّها تدور حول وجوه ارتباط جمل وآيات وسُور
القرآن العظيم، بالتّرتيب الذي جُعِلت عليه في المصحف الشّريف؛ وبناءً على ذلك فالمناسبة هي
وجه ارتباط الجملة أو الآية أو السورة القرآنيّة بما قبلها وما بعدها، وسرُّ ترتيبها بعد سابقتها وقبل
لاحقتها.

والتّرتيب والارتباط يفتقران؛ فليس كلُّ ارتباطٍ دالًّا على التّرتيب، في حين أنّ كلّ ترتيبٍ يدلُّ
على الارتباط؛ فالحديث عن علل التّرتيب يقتضي وجوبًا التّسليم بوجود الارتباط، بخلاف الحديث
عن الارتباط فإنّه لا يستلزم التّسليم بوجود التّرتيب وعلته؛ فالارتباط أعمُّ والتّرتيب أخصُّ.

(1) مناع القطّان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 7، ص: 92.

(2) أحمد فرحات، في علوم القرآن، ص 70، نقلًا عن: عبد المجيد حميد جبر الحمداني، علم المناسبة في سور القرآن وآيه، مجلّة
البحوث والدراسات الإسلاميّة، مجلّة بحثيّة محكّمة، دائرة البحوث والدراسات، ديوان الوقف السنيّ، جمهورية العراق، ع: 46،
2016، ص: 215.

(3) نُقل اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السُور، مثل: مصحف عليّ الذي ربّبه على التّزول، ومصحف ابن مسعود، ومصحف
أبي بن كعب، وغيرها (ينظر: الشيبوطي، الإتيان، 406/2).

(4) جلال الدّين الشيبوطي، تناسق الدرر في تناسب السُور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط: 1،
1406هـ/1986م، مقدّمة المحقّق، ص: 21.

ومثالٌ على ذلك: الارتباط بين آيات الوعد وآيات الوعيد: وجهه هو التّضادُّ، وأمّا تقديم أحدهما على الآخر بحسب المقام فهو داخلٌ في علل التّرتيب، وكذلك الارتباط بين العلم والحكمة في صفات الله تعالى دالٌّ على الكمال، وأمّا تقديم الوصف بأحدهما على الآخر بحسب المقام فهو داخلٌ في علل التّرتيب.

وأما في السُّور فمثاله: تعليل الشُّيوطيّ لوجه الارتباط والقرن بين سورة البروج وسورة الطّارق، بتأخيرهما في المطالع⁽¹⁾، في حين رأى أنّ علّة التّرتيب بينهما تتمثّل في تقديم الأطول⁽²⁾. وممن نَبّه إلى التّمايز بين التّرتيب والارتباط الرّازيُّ حين قال: "إنّ أكثر لطائف القرآن مُودعة في التّرتيبات والرّوابط"⁽³⁾. وكذلك الشُّيوطيّ، حيث قال: "السّادس: مناسباتُ ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها"⁽⁴⁾، فالعطف يقتضي المغايرة.

ولذلك كان أبو بكر النّيسابوريُّ يقول: "لِمَ جُعِلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السُّورة إلى جنب هذه السُّورة؟"⁽⁵⁾، وأمّا سؤال علل التّرتيب ف: لماذا وُضعت هذه قبل هذه أو بعدها؟ ولماذا ابتدئ بكذا وحُتم بكذا؟

والملاحظ أنّ تلك التّعريفات تتضمّن شقين؛ الشّق الأوّل هو: ماهية المناسبة، والشّق الثّاني هو: مستوى المناسبة.

وقد اختار محمّد عمر بازمول تعريفًا للمناسبة، استلهمه من تعريف البقاعيِّ لعلم المناسبة، وهو أجمع من التّعريفات السّابقة من جهة الشّق الثّاني الذي هو مستوى المناسبة، فقال إنّها: "علل

(1) المطالع: جمع مطلع، وهو مفتتح السُّورة وأولها (ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، 248/21)، فيراد بالمطلع أو المفتتح أحيانًا الحروف المفتتح بها كالحواميم مثلًا أو الطّواسين، أو يراد به الكلمة الأولى من السُّورة كالافتتاح بالحمد أو بالتسبيح مثلًا، أو يراد به الآية الأولى المفتتح بها، كالافتتاح بآية واردة بأسلوب السُّؤال والغرض منه التّشويق، أو بأسلوب التّوبيخ وغيرها من الأساليب، أو يراد به الآيات الأولى المشكّلة لوحدة معنويّة جزئيّة.

(2) ينظر: جلال الدّين الشُّيوطيّ، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا ومرزوق عليّ إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 156.

(3) محمّد الرّازيُّ فخر الدّين، تفسير الفخر الرّازيِّ المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: 1، 1401هـ/1981م، (10/145).

(4) الشُّيوطيّ، تناسق الدرر، ص: 54.

(5) الرّكشيُّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 37.

ترتيب أجزائه بعضها ببعض" (1).

فالتعبير باللفظ الأعمّ: "أجزائه"، والصيغة الأعمّ: "بعضها ببعض" يوسّع مستويات التناسب، فلا يجعلها مقتصرةً على الآيات فيما بينها، أو السُّور فيما بينها، وهو ما سيتبيّن عند ذكر أنواع المناسبات.

وأما الشّق الأوّل لتعريفه فهو أضيق؛ لاقتصاره على علل الترتيب. ومن المناسبات غير المتعلّقة بالترتيب ولا بالمستويات السابقة للمناسبة على سبيل المثال: تناسب اسم السُّورة ومقصودها، فلا وجود للآي ولا وجود للسُّور ولا تعلق بالترتيب.

ومثله اختيار فهد الرُّومي؛ حيث اتّفقا في الشّق الثاني، واختلفا في الأوّل فقال: "هي وجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض" (2).

وبناءً على ما سبق ذكره وبيانه، يمكن صياغة تعريفٍ للمناسبات يتضمّن ماهيتها ومستواها فأقول: المناسبات هي: وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وأسرار ترتيبها المصحفي العثماني، والمناسبة واحدتها.

وجاء في التعريف:

- "وجوه ارتباط"؛ لأنّ هذا هو معنى المناسبة، فالارتباط يقتضي أمرًا مشتركًا بين الشّيئين.
- "أجزاء القرآن"؛ لأنّ مستويات التناسب متعدّدة، وليست مقتصرةً على مستوى الآيات والسُّور، فالأجزاء إمّا أن تكون ظاهرةً مثل الآيات والسُّور، أو مقدّرةً مثل مقاصد السُّور، وموضوعاتها.
- "بعضها ببعض"؛ لأنّ التناسب قد يكون بين جزأين من مستويين مختلفين؛ فمثلاً: مناسبة مطلع السُّورة - وهو من مستوى الآيات - لمقصود السُّورة وهو من مستوى آخر.
- "أسرار ترتيبها"؛ متعلّقة بما جاء مرتّبًا، وهي الجمل والآيات المتتالية، والسُّور المتتالية، فيبحث في سرّ ترتيب الجملة أو الآية أو السُّورة بوضعها بعد سابقها وقبل لاحقها.

(1) محمّد بن عمر بن سالم بازمول، علم المناسبات في السُّور والآيات، ويليه: مراد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع لأبي الفضل، جلال الدّين عبد الرّحمن الشّيوطي الشّافعي، المكتبة المكيّة، مكّة المكرّمة، ط:1، 1423هـ/2002م، ص:27.

(2) فهد بن عبد الرّحمن بن سليمان الرُّومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، ط:14، 1426هـ/2005م، ص:447.

- "ترتيبها المصحفيّ العثمانيّ"؛ ليخرج به ترتيب النُزول، وترتيب المصاحف الخاصّة بالصّحابة.
- تقديم الارتباط على التّرتيب في التّعريف لأنّه سابقٌ في الوجود عليه.

الفرع الثالث: تعريف علم المناسبات كمركبٍ

بناءً على الاختلاف في التّعريف الاصطلاحيّ للتّناسب والمناسبة، عُرّف علم المناسبات عند علماء التّفسير وعلوم القرآن بتعريفاتٍ مختلفةٍ، منها:

- تعريف البقاعيّ (ت: 885هـ): "علم مناسبات القرآن علمٌ تُعرف منه علل ترتيب أجزائه"⁽¹⁾. والملاحظ في تعريفه أنّه يقصّر مستوى المناسبة على المرتّب، وهو الآيات المتتالية والسُور المتتالية، فالمناسبة وفقاً لتعريفه متعلّقةٌ بوجه التّرتيب.

- تعريف محمّد عمر بازمول: "معرفة مجموع الأصول الكليّة والمسائل المتعلّقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعضٍ" أو: "معرفة مجموع الأصول الكليّة والمسائل المتعلّقة بالمعنى الذي يربط بين سور القرآن العظيم وآياته"، وقال: "والعلل هي المعاني التي تصلح أن تكون رابطةً بين الآية والآية، والسُورة والسُورة"⁽²⁾.

فعرّف بازمول العلم بالمعرفة، وهذا فيه نظرٌ؛ فالعلم قائمٌ بنفسه، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ولو قال: إنّهُ مجموع الأصول الكليّة... إلخ، لكان أحسن في الدلالة على العلم، كما أنّه قدّم تعريفين مختلفين؛ فالأوّل متعلّقٌ بعلل التّرتيب، والثّاني متعلّقٌ بالمعاني الرّابطة، ثمّ استدرك بعد ذكرهما بتفسير العلل، بأنّها المعاني الرّابطة التي اقتضت التّرتيب على النحو الحاصل، وهو تحصيل حاصلٍ؛ لأنّ كلّ ترتيبٍ يقتضي الرّبط، وليس كلّ ربطٍ يقتضي التّرتيب.

والملاحظات نفسها حول التّعريفات التي تجعل علم المناسبة جارياً على مستوى معيّنٍ دون البقيّة، أو مهتمّاً بعلل التّرتيب دون وجوه الارتباط مفردةً، أو العكس، ومن هذه التّعريفات:

- "هو العلم الكاشف عن أوجه التّرابط بين آيات القرآن الكريم وسُوره وعلل ذلك"⁽³⁾.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (6/1)، البقاعيّ، مصاعد النظر، (142/1).

(2) بازمول، علم المناسبات في السُور والآيات، ص: 27-28.

(3) أحمد نتوف (Ahmed Natouf)، التّناسب مصادره وأنواعه ومصطلحاته في سورة البقرة،

- "علمٌ يبحث في المعاني الرّابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السُّور بعضها ببعض، حتّى تُعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم" (1).
 - "الكشف عن علل اختيار طريق النّظم وترتيبه" (2).
- وعرّفه بعض الباحثين بأنّه: "علمٌ يُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن ووجه اتّصال بعضها ببعض" (3)، ويبدو أنّه أجمع التعريفات المذكورة، وقد سبق تعليل أجزائه في التّعريف المقترح للمناسبة.

ومن أجل تعريفٍ جامعٍ مانعٍ، لعلم المناسبات يمكن القول: إنّهُ العلم الذي يبحث في تناسب أجزاء القرآن العظيم، فيكشف أنواع المناسبات ارتباطاً وترتيباً.

فإن لم يكن استعمال الكلمة واشتقاقها في التّعريف بالعلم المختصّ بها حسناً، حتّى لا يُعرّف الماء بعد الجهد بالماء؛ فإنّه يمكن التّعبير عنه على النحو الآتي:

هو العلم الذي يبحث في ارتباط أجزاء القرآن العظيم وبيّن وجوهه، ويكشف عن سرّ ترتيبها بالترتيب المصحفيّ العثمانيّ.

أو يقال: هو العلم الذي يوقف به على وجوه ارتباط وعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم وفق المصحف العثمانيّ.

وتعليل أجزاء التّعريف سبق بيانه في تعريف المناسبة اصطلاحاً.

(1) أبو العلاء، عادل بن محمّد، مصابيح الدُرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسُّور، مجلّة الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، ع:129، السّنة:37-1425هـ، ص:18.

(2) عليّ عبد العزيز سيور، مناسبات الآيات والسُّور (نشأة علم المناسبة، محلّها، ودلالاتها وأثرها في التّفسير)، مجلّة كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، إسلاميّة فكريّة محكّمة، دبي، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ع:25، ربيع الثّاني 1424هـ/يونيو 2003م، ص:26.

(3) ممدوح بن تركي بن محمّد القحطانيّ، المناسبات وأثرها في تفسير "التّحرير والتّنوير" للطاهر ابن عاشور، من أوّل سورة ق إلى آخر سورة النّاس، جمعاً ودراسةً وموازنةً، رسالة ماجستير، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسّنة، شعبة التّفسير وعلوم القرآن، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1429-1430هـ، ص:24، الخضر ناصر الجونة صالح، المناسبة بين كلمات الآية الواحدة في القرآن الكريم - دراسة تأصيليّة تفسيريّة - رسالة ماجستير، كليّة التّربية، قسم الثّقافة الإسلاميّة، تخصّص: تفسير وحديث، جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1433-1434هـ، ص:19.

المطلب الثاني: موضوع علم المناسبات وثمرته وأهميته

يتجلى موضوع علم المناسبات وثمرته من تعريفه، وقد تكلم العلماء في بيانها، كما بسطوا القول في بيان أهميته هذا العلم، وتوضيح ذلك في الفرعين الآتيين.

الفرع الأوّل: موضوع علم المناسبات وثمرته

تحدّث البقاعي عن موضوع علم المناسبات العام فقال: "وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الترتيب"⁽¹⁾؛ فموضوع علم المناسبات في القرآن الكريم هو أجزاء القرآن الكريم. والبحث في أجزاء القرآن الكريم أعمّ ممّا ذكره البقاعي؛ فهو من حيث الترتيب، وكذلك من حيث الارتباط مجرداً عن الترتيب. وأجزاء القرآن - كما سبق ذكره - منها الظاهر؛ كالحروف، والكلمات، والجمل، والآيات، والمقاطع⁽²⁾، والسور، وأسماء السور، ومنها المقدر؛ كالمقاصد، والأغراض، والمحاور، والمواضيع.

وأما ثمرة علم المناسبة عموماً فهي: "الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب"⁽³⁾. ولهذا الثمرة أهمية كبيرة وفوائد كثيرة، يأتي بيانها فيما يلي.

الفرع الثاني: أهمية علم المناسبات

علم المناسبة علم من علوم القرآن، يحتلّ مكانة عظيمة بين العلوم وفي نفوس العلماء؛ لذلك تعددت عباراتهم في وصف هذا العلم، فقد وصفه أبو بكر بن العربي (ت: 543هـ) بأنه علم

(1) البقاعي، نظم الدرر، (5/1)، البقاعي، مصاعد النظر، (142/1).

(2) المقاطع: جمع مقطع، وهو الموضع الذي ينقطع فيه الكلام (ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 65)؛ فيطلق على آخر السورة. ويطلق كذلك على مجموعة من الآيات (ينظر: الشبوطي، مراصد المطالع، ط: المكتبة المكيّة ص: 84، 86، ومعنى المقطع من كلام بازمول محقق مراصد المطالع)، تُشكّل تلك الآيات "فقرة ذات معنى معيّن ووحدة خاصّة" (سامية دبي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير في الكتاب والسنة، كليّة العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1421هـ-1422هـ/ 2000-2001م، ص: 127)، ويمكن أن يقال في صياغة الإطلاق الثاني: هو مجموعة من الآيات ذات وحدة معنوية جزئية من وحدة معنوية كليّة للسورة القرآنية. وأحياناً يُطلق مقطع السورة ويراد به المقطع الأخير منها، وأحياناً يطلق ويراد به آخر السورة سواء كان هو نفسه المقطع الأخير أو أكثر منه أو جزءاً منه، وسيُضح ذلك أكثر من خلال استقراء المناسبات عند المفتيّن البقاعي وابن عاشور، والمقارنة بينهما في هذه الدراسة.

(3) البقاعي، نظم الدرر، (5/1)، البقاعي، مصاعد النظر، (142/1) وفيه "المرتبة" بدل "الرتبة".

عظيم⁽¹⁾، ووصفه العزّ بن عبد السّلام (ت: 660هـ) بأنّه علمٌ حسن⁽²⁾، والزّركشيّ (ت: 794هـ) بأنّه: "علمٌ شريفٌ، تُحزّر به العقول و يُعرف به قدر القائل فيما يقول"⁽³⁾، وبالشّرف كذلك وصفه الشّيوطي⁽⁴⁾.

ويرى البقاعيّ أنّه في غاية النّفاضة⁽⁵⁾، وأنّه غاية العلوم، وأدقّها أمرًا، وأخفها سرًّا، وأعلاها قدرًا⁽⁶⁾، ووصف ابن عاشور البحث في تناسب الآيات بأنّه: "منزَعٌ جليل"⁽⁷⁾.

وترجع أهمّيّة علم المناسبات إلى أهمّيّة التّناسب نفسه، وأهمّيّة المناسبات، وإلى منزلة علم المناسبة من بقيّة العلوم، وبيان ذلك على التّحو الآتي:

أ- أهمّيّة التّناسب:

ترجع أهمّيّة التّناسب إلى منزلته من الكلام، وقيّمته في القرآن الكريم، وتفصيل ذلك في الآتي.

1- التّناسب روح الكلام:

وضّح البقاعيّ قيمة التّناسب في الكلام في أثناء حديثه عن مقصود كتابه «نظم الدرر»، حيث قال: "جلُّ مقصوده بيانُ ارتباط الجمل بعضها ببعضٍ حتّى أنّ كلّ جملةٍ تكون آخذةً بحجزةٍ ما أمامها متّصلةً بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسرّه ولبابه، الذي هو للكلام بمنزلة الرّوح، وبيانُ معاني المفردات وكلّ جملةٍ على حيالها بمنزلة الجسد، فالرّوح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق ويفهم، ويسري ذهنه في ميادين التّراكيب ويعلم"⁽⁸⁾.

فشبّه البقاعيّ الكلام بالكائن الحيّ؛ حيث تكون معاني مفردات الكلام ومعاني كلّ جملةٍ على حيالها بمنزلة الجسد، وارتباط تلك المعاني واتّصالها وتناسقها وتماسكها بمنزلة الرّوح، وإنّ

(1) ينظر: أبو بكر، ابن العربيّ، سراج المريدين، (144/4).

(2) الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 37.

(3) نفسه، ص: 36.

(4) الشّيوطي، الإتيان، (1836/5)، أبو الفضل، جلال الدّين عبد الرّحمن أبو بكر الشّيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1408هـ/1988م، (43/1).

(5) البقاعيّ، نظم الدرر، (6/1).

(6) ينظر: البقاعيّ، مصاعد النّظر، (142/1).

(7) محمّد الطّاهر ابن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، 1984م، (8/1).

(8) البقاعيّ، نظم الدرر، (447-446/22).

الجسد إذا غابت عنه الرُّوح يفقد حياته، وتذهب معها معظم قيمته؛ فالتناسب في القرآن العظيم روح معاني كلام الله تعالى.

2- التناسب وجهٌ من وجوه إعجاز القرآن الكريم:

إنَّ حُسْنَ النِّظام، الَّذِي هو من حسن الكلام، لوْنٌ من ألوان إعجاز القرآن الكريم؛ فعلى الرَّغم من تباعد زَمَان نُزول نجوم القرآن، واختلاف موضوعات آيه وسُوْره، إلَّا أَنَّهُ جاء كالبناء الواحد يشدُّ بعضه بعضاً⁽¹⁾.

وقد عدَّ غيرُ واحدٍ من العلماء التَّناسبَ في القرآن الكريم وجهًا من وجوه إعجازه؛ فقد ذكر الرَّازيُّ أنَّ من أوجه إعجاز القرآن الكريم: ترتيبه ونظم آياته⁽²⁾، وعدَّ الشُّيوطيُّ من وجوه إعجازه: مناسبة آياته وسُوْره، وارتباط بعضها ببعض⁽³⁾، بل واعتبر الأصبهانيُّ (ت: 749هـ) النِّظمَ والتَّرتيبَ الرُّكنَ الأبين لإعجاز القرآن الكريم⁽⁴⁾.

ويوضِّح الرَّقائبيُّ وجه الإعجاز من هذه النَّاحية بعجز جميع الخلق عن الإتيان بـ "كتابٍ محكم الاتِّصال والتَّرباط، متين النَّسج والسَّرد، متآلف البدايات والنِّهايات، مع خضوعه في التَّأليف لوقائع الزَّمن وأحداثه المختلفة التي يجيء كلُّ جزءٍ من أجزاء هذا الكتاب تبعًا لها ومتحدِّثًا عنها: سببًا بعد سببٍ وداعيةً إثر داعيةٍ، مع تراخي زمان هذا التَّأليف، وتطاول آمد هذه النُّجوم إلى أكثر من عشرين عامًا؛ لأنَّ كلَّ تلك العوامل تستلزم في مجرى العادة التَّفكُّك والانحلال، ولا تدع مجالًا للارتباط والاتِّصال بين نجوم هذا الكلام.

والقرآن الكريم قد خرق العادة في هذه النَّاحية: نزل مفرَّقًا منجَّمًا، ولكنه تمَّ مترابطًا محكمًا. وتفرَّقت نجومه تفرَّق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب. ولم يتكامل نزوله إلَّا بعد عشرين عامًا، ولكن تكامل انسجامه بدايةً وختامًا!! ففي ذلك برهانٌ ساطعٌ على أنَّ مصدره هو خالق القُوى والقُدْر، ومالك الأسباب والمسبِّبات، ومدبِّر الخلق

(1) ينظر: عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مجلَّة جامعة الشَّارقة للعلوم الشَّرعيَّة والإنسانيَّة، دوريَّة علميَّة محكَّمة، جامعة الشَّارقة، الإمارات العربيَّة المتَّحدة، مج: 2، ع: 2، ربيع الثَّاني 1426هـ/يونيو 2005م، ص: 6.

(2) ينظر: الرَّازيُّ، التَّفسير الكبير، (139/7).

(3) الشُّيوطيُّ، معترك الأقران، (43/1).

(4) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (43/1).

والكائنات، وقُيُوم الأرض والسّمَاوات، العليم بما كان وما سيكون، الخبير بالزّمان وما يحدث فيه من شؤون"⁽¹⁾.

ويقول محمّد دراز في إعجاز القرآن في تناسبه: "لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزاتٌ، وفي أساليب تربيته معجزاتٌ، وفي نبوءاته الصّادقة معجزاتٌ، وفي تشريعاته الخالدة معجزاتٌ، وفي كلّ ما استخدمه من حقائق العلوم النّفسيّة والكويّية معجزاتٌ ومعجزاتٌ، لعمري إنّه في ترتيب آيه على هذا الوجه هو معجزة المعجزات!"⁽²⁾.

ب- أهميّة المناسبات:

ترجع أهميّة المناسبات إلى قيمة المناسبات نفسها، وأهميّة الوقوف عليها، وخطورة الجهل بها، وتفصيل ذلك في الآتي.

1- قيمة المناسبات:

ما يُكسب علم المناسبة أهميّة كبيرة هو المناسبات نفسها؛ إذ هي لطائف مكنونة في ترابط الآي والسّور، والوقوف عليها وقوفٌ على معانٍ جليّة، وقد قال الرّازي: "إنّ أكثر لطائف القرآن مُودعة في التّرتيبات والرّوابط"⁽³⁾، ولا يزال العلماء يجتهدون في استكشاف تلك اللّطائف الدّرة.

2- خطورة الجهل بالمناسبات:

مما تُدرّك به قيمة الشّيء النّظر في نتائج فقدانه، وكذلك المناسبات، فقد ذكر البقاعي أنّ أهمّيّتها تكمن في خطورة الجهل بها، فقد يشكُّ قارئ القرآن ويتزعزع إيمانه إذا خفي عليه وجهه ربط كلّ جملة بما تلتها، فيظنُّ في جمل القرآن التّنافر بتباعد الأغراض وتناهي المقاصد، بل قد يكون الجهل بها سبباً في امتناع أذكّاء المخالفين عن الدّخول في هذا الدّين بعد أن اتّضح له دلائله، وذكر أيضاً أنّ تضييع هذا الباب - وهو المناسبات - سببٌ في حيرة

(1) الرّزقاني، مناهل العرفان، (53/1)، بتصرّف يسير في العبارة.

(2) محمّد عبد الله دراز، النّبأ العظيم نظراتٌ جديدة في القرآن، تح: عبد الحميد الدّخاخي، دار طيبة، الرّياض - المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 2، 1421هـ/2000م، ص: 264.

(3) الرّازي، التّفسير الكبير، (145/10).

المفسّرين في معاني بعض الآيات، وذكر بعض التّماذج⁽¹⁾.

ج- منزلة علم المناسبة من بقيّة العلوم

علم المناسبة من علوم القرآن الكريم المتعلّقة بتفسيره، وتجلّى أهمّيته - إضافةً إلى ما سبق ذكره - في نسبه من علم التّفسير، إذ هي مثل نسبة علم المعاني والبيان من النّحو⁽²⁾، فكما أنّ علم المعاني والبيان بمثابة الرّوح للنّحو، فكذلك علم المناسبات هو بمثابة الرّوح لعلم التّفسير، ولا تخفى أهميّة تفسير القرآن الكريم وحاجة البشريّة إليه، فكيف بأهميّة علم المناسبة إذا كان هو روح علم التّفسير.

كما تكمن أهميّة علم المناسبات في فوائده الجليّة، فمن مقرّرات العقول أنّ أهميّة علم ما متوقّفة على قيمة نتائجه ومخرجاته وما يتوصّل به إليه، وهو ما سيذكر في المبحث الآتي.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (11/1-14).

(2) ينظر: البقاعي، مصاعد النّظر، (142/1).

المبحث الثاني: فوائد علم المناسبات

إنّ لعلم المناسبات فوائدَ غزيرة⁽¹⁾، وإنّ لثمرته فوائدَ عظيمةً، وإنّ في البحث في التّناسب علماً جماً⁽²⁾، وفيما يلي ذكرٌ لأهمّ تلك الفوائد، والتي يمكن إرجاعها في الإجمال إلى فوائد متعلّقة بتفسير القرآن الكريم، وأخرى بالكشف عن أمورٍ خفيّةٍ في القرآن الكريم، وأخرى بالانتصار للقرآن الكريم، وأخرى بالتّرجيح في بعض القضايا العلميّة المختلف فيها، وهي في الواقع فوائد يتفرّع بعضها عن بعضٍ، وبيّناها فيما يلي:

المطلب الأوّل: الفوائد التّفسيريّة

علم المناسبات مفيدٌ في تفسير القرآن. ويمكن إجمال فوائده التّفسيريّة في النّقاط الآتية:

أ- التّوجيه إلى تدبّر كتاب الله عزّ وجلّ:

يوجّه علم المناسبات المشتغل به إلى تدبّر كلام الله تعالى، وفي ذلك امتثالٌ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (النساء: من الآية 82)، وهذه أهمّ فائدةٍ من فوائد علم المناسبات، وجميع فوائد هذا العلم متفرّعة عنها.

ب- تحرير ألفاظ القرآن الكريم:

إنّ تدبّر القرآن يحتاج إلى فهم ألفاظه، وعلم المناسبات يساعد في تحريرها، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: "إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ: كَيْفَ يَقرَأُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَلْيَسْأَلْهُ عَمَّا قَبْلَهَا"⁽³⁾، وعلّق عليه البقاعي بقوله: "يريد- والله أعلم-: أنّ ما قبلها يدلُّ على تحرير

(1) ينظر: الزركشي، الرهان في علوم القرآن، ص: 36.

(2) ينظر: نفسه، ص: 38.

(3) رواه عبد الرزّاق (ت: 211هـ) في مصنّفه (أبو بكر، عبد الرزّاق بن همام الصنعائي، المصنّف، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، طبع ضمن: ديوان الحديث النبويّ (22)، دار التأصيل، ط: 1، 1436هـ/2015م، كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه، رقم: 6067، 274/3)، ومن طريقه المستغفريّ (ت: 432هـ) في «فضائل القرآن»، وقال محقّق الكتاب: "منقطع، لكن مراسيل إبراهيم عن عبد الله خاصّةً مقبولة" (أبو العباس، جعفر بن محمد المستغفريّ، فضائل القرآن، تح: أحمد بن فارس السّلم، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1427هـ/2006م، ص: 184، وانظر الحاشية رقم: 3)، وصحّح إسناده إلى ابن مسعود محقّق إتقان السّيوطيّ (جلال الدّين السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، دمشق-سوريا، ط: 1، 1429هـ/2008م، ص: 229، حاشية رقم: 6، وهذه الطّبعة من الإتقان معتمدةً في هذا الموضوع فقط).

لفظها، بما تدعو إليه المناسبة⁽¹⁾.

ج- تيسير فهم معاني كلام الله تعالى:

إنَّ الغرض من تدبُّر القرآن فهم معانيه، وإنَّ التأمُّل في النِّظام يرشد إلى فحوى الكلام وملايساته⁽²⁾، ويفيد كثيراً في "حسن التّأويل، ودقّة الفهم، والإحساس بترابط وتناسق السِّياق القرآني"⁽³⁾، ويفيد في الوقوف على الحقِّ من معاني آياتٍ حار فيها المفسِّرون لتضييعهم علم المناسبة⁽⁴⁾؛ ولذلك قال مسلمٌ بن يسارٍ - فيما روي عنه-: "إذا حدّثت عن الله حديثاً فقف حتّى تنظر ما قبله وما بعده"⁽⁵⁾.

ومن الوسائل المعينة في فهم كلام الله تعالى، وهي مرتبطةٌ بعلم المناسبات: اضطرار الباحث - من أجل الإجابة فيه- إلى أن يطلب مقصود السُّورة، وبالتالي الاستفادة منه في معرفة المقصود من جميع جملها⁽⁶⁾، وهذا الأمر غايةٌ في النِّفاسة لتفسير القرآن العظيم.

د- التّرجيح بين وجوه التّأويل:

من فوائد علم المناسبات أنّه من أدوات التّرجيح بين الوجوه المشتبهة، والاحتمالات المتعدّدة، والأقوال المختلفة في تفسير كلمةٍ أو آيةٍ قرآنيّة⁽⁷⁾، وممّن عمل به في ذلك الرّازيُّ في تفسير سورة فصّلت، حيث قال: "وكلُّ من أنصّف ولم يتعسّف علم أنّاً إذا فسّرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السُّورة من أوّلها إلى آخرها كلاماً واحداً منتظماً مسوقاً نحو غرضٍ واحدٍ، فيكون هذا التّفسير أولى ممّا ذكره"⁽⁸⁾، وكذلك رجّح بدلالة المناسبة ابن كثيرٍ

(1) البقاعي، مصاعد النّظر، 154/1.

(2) محمّد عناية الله أسد سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسُّور، دار عمّار، عمّان-الأردن، (د ط ت)، ص:107.

(3) أحمد عبد الغفّار، «حول القرآن»، ص:91 (نقلاً عن: الحمداني، علم المناسبة في سور القرآن وآيه، ص:217).

(4) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (13/1-14).

(5) أبو عبيد، القاسم بن سلّام الهروي، فضائل القرآن، تح: مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، (د ط ت)، ص:377.

(6) البقاعي، نظم الدرر، (6/1).

(7) ينظر: سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسُّور، ص:129.

(8) الرّازي، التّفسير الكبير، (135/27).

والشوكاني وابن عاشور وغيرهم من المفسرين، وسيأتي بيان ذلك.⁽¹⁾
ومثل محمد عناية الله سبحانه لهذه الفائدة بمعنى "الكوثر"، فذكر أنه ورد في معناه
عشرون احتمالاً أو أكثر، والذي توصل إليه بالنظر إلى النظم قول زائد عليها وهو أنه: "الكعبة
بيت الله"⁽²⁾.

وأكد الفراهي هذه الفائدة فقال: "إذا كثرت وجوه التأويل في آية، كان الأمر كاشتراك
اللفظ، والحاكم عند اشتراك اللفظ موقع استعماله. فهكذا عند اشتراك الوجوه في آية لا سبيل
إلا بالنظر إلى موقع الآية. ومن هنا ظهرت شدة الحاجة إلى النظام ... ومن ذلك موقع
السورة فإن في العلم به نوراً وهدى"⁽³⁾.

وبالتزجیح بين تلك المعاني يُرفع الخلاف والاختلاف في تفسير كلام الله تعالى، وتجمع
الكلمة، وتُرَدُّ الأقوال الباطلة في التفسير، قال الفراهي: "إني رأيت جُلَّ اختلاف الآراء في
التأويل من عدم التزام رباط الآيات، فإنه لو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام لجمعنا تحت
راية واحدة وكلمة سواء ... وبالنظام يتبين سمت الكلام، فينفي عن آيات الله أهواء المبتدعين
وانتحال المبطلين، وزيع المحرفين الذين ﴿يَمْرُقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: من الآية
13)، والذين يَقلعون كلام الله عمّا بين يديه ومن خلفه، ويضمّون به ما يعجب هوى
نفوسهم"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: الفوائد الكشفيّة

يساعد علم المناسبات في الكشف عن عديد من الأمور التي قد تخفى على بعض من لا يهتم
بالمناسبات من المفسرين وعلى كثير من طلبة العلم فضلاً عن عامة الناس، ومن ذلك:

أ- الكشف عن قدر الأمور وأهميتها:

يمكن من خلال المناسبات الكشف عن قدر الأمور وأهميتها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره
محمد عناية الله في مكانة صلاة الجمعة وأهميتها، بأنها تُدرك بامعان النظر في نظام سورة الجمعة

(1) ينظر: ص: 66، 84، 250 من هذه الأطروحة.

(2) سبحاني، إمعان النظر في نظام الآي والسور، ص: 135-144.

(3) عبد الحميد الفراهي، التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية ومكبتها، المطبعة الحميدية، الهند، ط: 1، 1388هـ، ص: 29.

(4) عبد الحميد الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، الهند، ط: 1، 2008م، ص: 17-18.

والبحث عن رباط معانيها، وقد أحصى في ذلك -على سبيل المثال لا الحصر- ستّ جهاتٍ تتجلّى بها أهميّة صلاة الجمعة، وهذه الجهات مبنيةٌ على تناسب السّورة مع السّورة التي قبلها ومع السّورة التي بعدها، وعلى التّأمّل في مفتحها ونظم آياتها، فتوصّل إلى أنّ صلاة الجمعة إعدادٌ وترويضٌ للجهد، وأنّ الغفلة عنها من أمارات النّفاق، وأنّ خطبة الجمعة فُرِضت من أجل تذكير النّاس بأهداف البعثة وتعليمهم الكتاب والحكمة وتركيتهم، وأنّها نعمةٌ خالصةٌ لهذه الأُمّة، وأنّ تعطيلها مُنذِرٌ بالخزي والدّمار، وأنّ يومها هو اليوم الَّذي تَمّت فيه البعثة⁽¹⁾.

وكذلك الرّكاة تُعرف منزلتها في الإسلام من خلال اقتراحها بالصّلاة في الذّكر في القرآن الكريم، ولأجل ذلك أصرّ أبو بكر -رضي الله عنه- على قتال من فرّق بين الصّلاة والرّكاة، وساوى بينهما في حكم المصير على تركهما⁽²⁾.

ب- الكشف عن أسرار النّصّ القرآنيّ:

تحدّث العلماء عن انطواء التّناسب على كثيرٍ من الأسرار، وقد سبق ذكر كلام الرّازي: "إنّ أكثر لطائف القرآن مُودعةٌ في التّرتيبات والرّوابط"⁽³⁾، وإنّ سبيل الكشف عن تلك الأسرار هو علم المناسبات، قال الرّمحشريّ (ت: 538هـ) في تفسير الآيات (45-49) من سورة الرّم: "وهذه الأسرار والنُّكت، لا يبرزها إلّا علم النّظم، وإلّا بقيت محتجبةً في أكامها"⁽⁴⁾. وقال الفراهي: "لَمَّا كان أكثر الحِكم ومعالي الأمور محبوءةً تحت دلالات النّظم، فَمَن ترك النّظر فيه ترك من معنى القرآن مُعظمه"⁽⁵⁾، وقال محمّد عناية الله: "النّظام مفتاحٌ لكثيرٍ من كنوز القرآن وحِكمه، كما أنّه سرٌّ من أسرار إعجازه، فإنّه هو الَّذي جعل القرآن بحرًا لا يُسبر غوره ولا ينفذ كتبه"⁽⁶⁾.

(1) ينظر: سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسّور، ص: 159-167.

(2) ينظر: نفسه، ص: 212-213.

(3) الرّازي، التّفسير الكبير، (10/145).

(4) أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر الرّمحشريّ الخوارزمي، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التّأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط: 3، 1430هـ/2009م، ص: 943.

(5) عبد الحميد الفراهي الهندي، دلائل النّظام، المطبعة الحميدية، الهند، ط: 1، 1388هـ، ص: 38.

(6) سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسّور، ص: 145.

ومن أنواع تلك الأسرار التي يكشف عنها علم المناسبة:

1- أسرار الترتيب:

إنّ لترتيب آيات القرآن الكريم أسرارَه ومعانيه، وهي زائدةٌ على معاني الآيات منفردةً، والأمر نفسه بالنسبة للسُّور، قال البقاعي: "فانفتح له ذلك الباب ... ورأى أنّ المقصود بالترتيب معانٍ جليّة الوصف، بديعة الرّصف عالية الأمر، عظيمة القدر"⁽¹⁾، فعلم المناسبة يكشف عن تلك المعاني وعن عظمتها؛ بجلال وصفها وبديع رصفها وعلوّ أمرها وقدرها. وقال الفراهي: "إنّه لا يخفى أنّ نظم الكلام بعضٌ منه، فإن تركته ذهب بعض معناه، فإنّ للتركيب معنًى زائدًا على أشتات الأجزاء، فلا شك أنّ من حُرِم فهم النظام فقد حُرِم حظًا وافرًا من الكلام"⁽²⁾.

ومن الأمثلة على ذلك: اقتزان آيات الوعيد بآيات الوعد، ففي ذلك معانٍ زائدةٌ عن معاني كلّ واحدةٍ منها مستقلةً، ذكر منها الرّازي ثلاثةً هي: إظهار عدله سبحانه وتعالى، وأنّ على المؤمن أن يوازن بين الخوف والرّجاء، وأنّ وعده سبحانه يُظهر كمال رحمته، ووعيده يُظهر كمال حكمته؛ فيصير ذلك سببًا للعرفان.⁽³⁾

2- أسرار التكرار:

بالوقوف على المناسبات تتبيّن أسرار التكرار في القرآن الكريم، سواءً أكان تكرار لفظٍ أم تكرار آيةٍ أم تكرار قصّةٍ⁽⁴⁾. قال أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ): "فإن رأيت شيئًا مكرّرًا من حيث الظاهر فانظر في سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته"⁽⁵⁾، ويزيده توضيحًا قول البقاعي في أسرار تكرار القصص القرآني: "وبه يتبيّن لك

(1) البقاعي، نظم الدرر، (12/1-13).

(2) الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص: 18.

(3) ينظر: الرّازي، التفسير الكبير، (3/174)، ونقل هذا المثال عن الرّازي عبد الله بن مقبل (عبد الله بن مقبل بن ظافر القرني،

المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرّازي، رسالة ماجستير فرع الكتاب والسنة، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1412-1413هـ، ص: 138).

(4) أحمد رشيد العزاوي وهيفاء رزاق ناھي، علم المناسبة في سورة المجادلة، «الأستاذ»: مجلّة علميّة محكمة فصليّة، صادرة عن كليّة التربية- ابن رشد للعلوم الإنسانيّة، جامعة بغداد، العراق، ع: 209، مج: 1، حزيران 2014م/1435هـ، ص: 342.

(5) أبو حامد، الغزالي الطوسي، جواهر القرآن، تح: محمّد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط: 2، 1406هـ/1986م، ص: 68.

أسرار القصص المكرّرات، وأنّ كلّ سورةٍ أعيدت فيها قصّةٌ فلمعنى أدعى في تلك السّورة استُدِلَّ عليه في تلك القصّة غير المعنى الَّذي سيقّت له في السّورة السّابقة، ومن هنا اختلطت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيّرت النّظوم بالتأخير والتّقديم والإيجاز والتّطويل مع أنّها لا يخالف شيءٌ من ذلك أصلَ المعنى الَّذي تكوّنت به القصّة⁽¹⁾. وقال محمّد عناية الله: "النّظام هو الَّذي يشخّص معاني الآيات المتكرّرة، ويحدّد مراميها"⁽²⁾.

3- أسرار التّشريع:

المناسبة تفيد في فهم أسرار التّشريع وحكمه، من خلال إدراك مدى التّلازم بين أحكام الشّريعة، ومن أمثلة ذلك: التّلازم بين غضّ البصر وحفظ الفرج في قوله تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور: 30)، فحفظ الفرج لا يتمُّ إلّا بغضّ البصر⁽³⁾.

المطلب الثالث: الانتصار للقرآن الكريم

طعن طائفةٌ من النّاس في تناسق النّصّ القرآنيّ، فبُثِّوا شبهاتٍ تلقّفتها نفوس ضعاف الإيمان والعلم ومن في قلوبهم زيغٌ، فكان علم المناسبات المنتصر للقرآن في هذه النّاحية، وذلك من خلال إظهار حسن تأليف القرآن الكريم وتناسق أجزائه، وبيان أنّ ذلك من أوجه إعجازه، وكان علم المناسبات ترياق الشّفاء لمن أصابه داء تلك الشّبّهات، وتفصيل هذه الفائدة في العناصر الآتية:

أ- إظهار حسن كلام الله تعالى:

القرآن أحسن الكلام، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ (الزّمر: من الآية 23)، وعلم المناسبات هو العلم الَّذي يظهر بعض وجوه حسنه لمن طلب ذلك واحتاج إليه، وخاصّةً في زمنٍ ابتعد فيه النّاس عن اللّغة وبيّانها وتذوّقها، وذلك من خلال ما يلي:

- إظهار بلاغة النّصّ القرآنيّ، فعلم مناسبات القرآن سرُّ البلاغة كما ذكر البقاعي؛ لأدائه

(1) البقاعي، نظم الدرر، (14/1).

(2) سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسّور، ص: 168.

(3) ينظر: فهد الرّومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص: 448.

إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال في كلّ جمل القرآن العظيم⁽¹⁾. ويرى محمّد عناية الله أنّ: "النظام يفتح العيون على وجوه البلاغة في القرآن، يجعل المهتمّ به يتذوّق بلاغة القرآن، ويدرك ميزته التي أعجزت فرسان الكلام"⁽²⁾.

● إظهار حسن كلام الله تعالى في تسلسل أجزائه وتلاؤمها وقوّة ارتباطها ببعض، وهو من فوائد ثمرّة علم المناسبات (التي هي الاطّلاع على الرتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلّق)، ف: "من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبّه بعضه ببعض، لئلا يكون مقطّعا متبّرا"⁽³⁾، فكيف إذا تعلّق الأمر بأحسن الكلام، فلقد "تميّز القرآن المجيد بنظم فريد، وسبكٍ نضيد، وتصريفٍ عجيب، وتنوّع في الأساليب، وثراء في الأداء، والانتقال من موضوع إلى موضوع، ومن قصّة إلى قصّة، ومن مثل إلى مثل، دون أن يؤدّي ذلك إلى اضطرابٍ أو خلل، أو سامية أو ملل، أو تناقضٍ أو اختلاف، بل تناسقٍ وائتلاف"⁽⁴⁾.

وقد ذكر الزركشي أنّ فائدة علم المناسبات: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التّأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"⁽⁵⁾. وهذا الجعل إنّما يكون من المفسّر في ذهن قارئ القرآن، وإلا فالقرآن الكريم مترابط، علم وجه ترابطه من علمه، وجهله من جهله⁽⁶⁾.

● إظهار عظمة القرآن من خلال بيان جمعه بين بديع إحكام الآيات وجلال تفصيل المعاني،

وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿الْبُرُكْتَانِ أَحْكَمَتَا - إِنَّنَهُنَّ لَمِّمٌ فَصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝١﴾ (هود:1). وقد قرّر البقاعي هذه الفائدة فقال: "ورأى أنّ المقصود بالتّرتيب معانٍ جليّة

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (6/1)، والحاوية رقم: 1 من الصّفحة نفسها، البقاعي، مساعد النّظر، (142/1).

(2) سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسّور، ص: 105، بتصرّفٍ يسيرٍ في العبارة.

(3) ابن عبد السلام، عزّ الدّين عبد العزيز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المكتبة العلميّة بالمدينة المنوّرة، مطابع دار الفكر بدمشق، (د ط ت)، ص: 278.

(4) فريق من المختصّين، المناسبات القرآنيّة، مركز معاهد للاستشارات التّربويّة والتّعليميّة، الرياض، 1438هـ، ص: 27، بتصرّفٍ يسيرٍ.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 36.

(6) قارن مع: أحمد حسن، في مناسبة الآيات والسّور، مجلّة الجامعة الإسلاميّة، تصدر عن الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، ع: 2، السّنة الثّانية، شوال 1389هـ، ص: 29، الحاشية رقم: 3.

الوصف، بديعة الرّصف ... فسبحان من أنزله، وأحكمه وفصله، وغطّاه وجلّاه، وبينه غاية البيان وأخفاه"⁽¹⁾.

ب- ردُّ أباطيل الطّاعنين في القرآن الكريم:

من الفوائد المتفرّعة عن فائدة إظهار حسن كلام الله تعالى في تناسق أجزاءه: ردُّ أباطيل الطّاعنين في القرآن الكريم، ومن تلك الأباطيل:

1- شبهة أنّ القرآن فقراتٌ غير متناسقة:

وحجّة الطّاعنين في ذلك نزول آيات القرآن في أوقات متباعدة، وفي موضوعات متعدّدة، فلا رابط بينها. وقد جاء في الموسوعة الإسلاميّة الاستشراقية، عند الحديث عن القرآن والتّرابط بين الآيات في السُّور، قولهم: "تتألّف معظم السُّور القرآنيّة من مقاطع ذات صلةٍ ضعيفةٍ فيما بينها، وغالبًا ما لا يوجد صلةٌ ظاهرةٌ أو قويّةٌ فيما بينها"⁽²⁾.

وقال المستشرق بلاشير (Blachère) مؤيدًا لفكرة إعادة ترتيب المصحف بترتيب نزوله: "وحيثُ يستعيد الكلُّ وحدته التّفسيّة والتّاريخيّة، وفضلاً عن ذلك فإنّ العناصر غير المتجانسة التي تتألّف منها السُّور المسهبة، كما هو الأمر في سورة البقرة، والسُّور السّت أو السّبع التي تليها، لا تعود تظهر بشكل مجموعاتٍ ساء ترابطها أو اصطناعاً"⁽³⁾.

وبعد أن أكّد سعيد حوّى فائدة علم المناسبات في إبطال شبهات الطّاعنين في تناسق أجزاء القرآن الكريم، قال عن طعنهم: "وذلك لا يليق في كلام البشر، فكيف بكلام ربِّ العالمين، إنّها لشبهةٌ فظيعةٌ جدًّا أن يحاول محاولٌ إشعار المسلم بأنّ كتاب الله ينزل عن كتب البشر في هذا الشّأن"⁽⁴⁾.

2- التّشكيك في تمام القرآن:

إنّ علم المناسبات هو العلم الكفيل بإثبات ترابط جميع أجزاء القرآن الكريم دون أيّ خللٍ أو فجوةٍ، وبالتالي إثبات أنّ القرآن الكريم لا نقص فيه ولا تحريف، وبذلك يتمُّ الرّدُّ

(1) البقاعي، نظم الدرر، (12/1-13).

(2) نقلاً عن: عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، ص: 6.

(3) بلاشير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، نقله إلى العربيّة: رضا سعادة، تح: محمّد علي الرّعي، دار الكتاب اللبناي-بيروت، ط: 1، 1974م، ص: 43-44.

(4) سعيد حوّى، الأساس في التّفسير، دار السّلام، القاهرة، ط: 1، 1405هـ/1985م، (27/1).

على الادّعاءات الكاذبة المشكّكة في تمام القرآن.⁽¹⁾

3- إنكار إعجاز القرآن الكريم:

علم المناسبة يسدُّ باب طعن الكافرين في القرآن العظيم بآيات لا يتبيّن لهم وجه إعجازها بنظمها فيتّضح به الإعجاز بترتيبها، وقد مثل البقاعي لذلك بنظم الآيات:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا... وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽⁸⁶⁾

(الأنعام: 84-86)، والآيات: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...

وَكَلمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁽¹⁶⁴⁾ (التيساء: 163-164)، والآيات: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ

... فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿14﴾ (ص: 12-14)، والآيات: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ... فَحَقَّ

وَعِيدُهُ﴾⁽¹⁴⁾ (ق: 12-14)، فأشار إلى ما قد يقال في نظمها وخفاء وجه الإعجاز فيه،

وأحال الطالب للجواب إلى مطالعة كلامه فيها في كتابه «نظم الدرر».⁽²⁾

ج- إظهار إعجاز القرآن العظيم:

بعدما تبين في المطلب الثاني من المبحث الأوّل أنّ التناسب أحد أوجه إعجاز القرآن

الكريم، فإنّ علم المناسبات هو العلم الذي يظهر هذا الوجه من الإعجاز.

هذا، وإنّ في إظهار إعجاز القرآن الكريم في تناسب آيه وسوره وجودة سبكها فوائد كثيرة،

منها:

- ترسيخ الإيمان في القلوب بأنّ القرآن كلام الرّبّ سبحانه وتعالى حقًا، قال البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكّن من اللبّ، وذلك أنّه يكشف أنّ للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كلّ جملة على حياها بحسب التّركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى التّرتيب"⁽³⁾.

(1) أحمد بن محمّد بن قاسم مذکور، المناسبات وأثرها في تفسير التّحرير والتّنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعًا ودراسةً ونقلًا، رسالة ماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسّنّة، شعبة التّفسير وعلوم القرآن، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1429هـ/2008م، ص: 32، وللاطلاع على بعض تلك الادّعاءات ينظر: بلاشير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، ص: 35-37.

(2) ينظر: البقاعي، مصادع النّظر، (147/1-148).

(3) البقاعي، نظم الدرر، (10/1-11).

- اطمئنان الفكر، وشكر منزل الذكر، والوقوف على حكمة الحكيم في رصف المعاني الجليّة، وتسبيح منزله على تلك الهيئة العظيمة⁽¹⁾.
- السّمُو بالدارس إلى ذروة الشّوق والمحبة واللذّة؛ حيث إنّ زيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النّظام وقوّة البرهان تسمو بالدارس إلى ذروة الشّوق والمحبة واللذّة⁽²⁾، قال محمّد رشيد رضا: "وقد خطر لي وجه آخر هو الذي يطرد في أسلوب القرآن الخاصّ في مزج مقاصد القرآن بعضها ببعض من عقائد وحكم ومواعظ وأحكام تعبديّة ومدنيّة وغيرها، وهو نفي السّامة عن القارئ والسّامع من طول النّوع الواحد منها، وتجديد نشاطهما وفهمهما واعتبارهما في الصّلاة وغيرها"⁽³⁾.
- تسهيل حفظ القرآن الكريم، من خلال تلك المخطّطات التي يرسمها علم المناسبات في ذهن القارئ، المؤسّسة على أوجه الارتباط بين الآيات والمقاطع والسّور وتسلسلها المنطقيّ.

المطلب الرّابع: التّرجيح بين المذاهب والأقوال في بعض المسائل العلميّة

يحتجّ بعض العلماء بعلم المناسبات في ترجيح مذاهبهم في بعض القضايا العلميّة المختلف فيها، ومن ذلك ما يلي:

أ- ترجيح القول بأنّ ترتيب السّور القرآنيّة توقيفيّ:

اعتمد بعض العلماء الكشّف عن مناسبات السّور في ترجيح القول بترتيبها التّوقيفيّ، ومنهم سعيد حوّي؛ حيث ذكر أنّ تفسيره سيرهن على أنّ ترتيب سُور القرآن توقيفيّ بشكلٍ عمليّ، وذلك من خلال إثبات التّناسب بين جميع السّور⁽⁴⁾. وذلك غير لازم؛ إذ يمكن أن يكون ترتيبها اجتهاديّاً، ويكون اجتهاد الصّحابة مبنيّاً على مراعاة التّناسب، أو أنّه اجتهاديّ وافق ما في اللّوح المحفوظ بهداية الله تعالى أصحاب نبيّه صلى الله عليه وسلّم إليه كما هو رأي

(1) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (13-12/1).

(2) ينظر: سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسّور، ص: 106.

(3) محمّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، دار المنار، القاهرة-مصر، (ج1: ط: 2،

1366هـ/1947م)، (ج2: ط: 2، 1350هـ)، (ج3، 4: ط: 3، 1367هـ)، (ج5: ط: 1، 1328هـ)، (445/2).

(4) ينظر: سعيد حوّي، الأساس في التّفسير، (25/1).

البقاعي⁽¹⁾.

ب- تأكيد المذهب القائل بوحدة القرآن:

يرى القائلون بوحدة القرآن أنّ علم المناسبة مؤكّد لمذهبهم⁽²⁾، قال البقاعي: "وبه أيضاً يتّضح أنّه لا وقف تامّ في كتاب الله، وعلى آخر سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (النّاس: 1)، بل هي متّصلة -مع كونها آخر القرآن- بالفاحة التي هي أوّلها كما أنّها بما قبلها بل أشدّ"⁽³⁾.

ج- الوقوف على أنفع الأساليب والمناهج في الدّعوة إلى الله:

تحدّث الرّازي عن آيات دعوة بني إسرائيل في سورة البقرة فقال: "واعلم أنّه سبحانه ذكّرهم تلك النّعم أوّلاً على سبيل الإجمال فقال: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 40)، وفرّع على تذكيرها الأمر بالإيمان بمحمّد -صلى الله عليه وسلّم- فقال: ﴿وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 41)، ثمّ عقّبها بذكر الأمور التي تمنعهم عن الإيمان به، ثمّ ذكّرهم تلك النّعم على سبيل الإجمال ثانياً بقوله مرّة أخرى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ تبييناً على شدة غفلتهم، ثمّ أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله: ﴿وَأِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 47) مقروناً بالترهيب البالغ بقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا يُجْزَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ إلى آخر الآية (البقرة: 48). ثمّ شرع بعد ذلك في تعديد تلك النّعم على سبيل التّفصيل، وقال: "ومن تأمل وأنصف علم أنّ هذا هو النّهاية في حسن التّرتيب لمن يريد الدّعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع"⁽⁴⁾. وقال في موضع آخر: "اعلم أنّ عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التّمرد والعناد، ومزيد الخضوع والانقياد"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (199/4)، (427/7).

(2) منهم سعيد حوى (ينظر: سعيد حوى، الأساس في التّفسير، 27/1، 28).

(3) البقاعي، نظم الدرر، (15/1).

(4) الرّازي، التّفسير الكبير، (30/3).

(5) نفسه، (174/6).

فالملاحظ في كلام الرّازي أنّه اعتمد ترتيب الآي الواردة في الدّعوة إلى دين الله تعالى واتباع شريعته في استنباط أنفع الأساليب والمناهج الدّعويّة.

هذا، وبعد بيان فوائد علم المناسبات يتبيّن خطأ من أنكر فائدته، ومن هؤلاء المنكرين: الشّوكاني لما قال: "واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة"⁽¹⁾، بل تتضح أهميّة علم المناسبات، وأنّه لا غنى للمفسّر عنه، والتّعامل مع النّصّ القرآنيّ من منظوره، لئلاّ يفتقد تفسيره إلى تلك الفوائد الجليلة.

هذا وإنّ معرفة مراحل ظهور هذا العلم، غزير الفوائد بالغ الأهميّة، ممّا يحتاج إليه طالبه؛ لتكون درايته به أكمل، وانتفاعه منه أيسر، وبيان تلك المراحل هو ما سيتناوله المبحث التّالي.

(1) محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد الله الصّنعائيّ الشّوكانيّ، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التّفسير، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1431هـ/2010م، دار التّوادر، الكويت، (72/1).

المبحث الثالث: مراحل ظهور علم المناسبات

مرّ علم المناسبات - كغيره من العلوم - بعدة مراحل، ابتداءً بمرحلة النشأة، ثمّ التطوّر، ثمّ استقلاليّة هذا العلم، وتفصيل ذلك في الآتي.

المطلب الأوّل: النشأة الأولى لعلم المناسبات

أول ما نزل القرآن الكريم نزل متناسب الآيات في نجومها، وفي سورها التي نزلت جملة⁽¹⁾، حتّى شهد له بجمال الأسلوب وحلاوته وعذوبته، وتناسق الكلمات والجمل وعدم تنافرهما وعدم الشذوذ فيها العقلاء من الأعداء فضلاً عن الأولياء؛ فبعدما سمع الوليد بن المغيرة من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شيئاً من القرآن، طلب منه أبو جهل أن يقول فيه قولاً يُشعر بأنه منكّر له وكاره له، فقال الوليد: "وَمَآذَا أَقُولُ: فَوَاللّٰهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيرِهِ مِنِّي وَلَا بِالشَّعَارِ الجِرِّ، وَاللّٰهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللّٰهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُنِيرٌ أَعْلَاهُ يَغْدُقُ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَىٰ وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ"، فلم يجد إلّا أن يقول عن القرآن: "سِحْرٌ يُؤَثِّرُ"⁽²⁾.

ثمّ ظهرت بعدها ملامح تناسب بقیة أجزاء القرآن الكريم، فمن إشارات التّناسب بين نجوم القرآن وآیه: أنّها لم تكن تُرتب بترتيب نزولها، وإنّما بتوقيف من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وبالصّورة

(1) أمّا تناسب السّور فلم يكن في أوّل الأمر؛ لأنّ ترتيبها لم يحصل بعد، بل لم يتمّ نزول كثير من السّور.

(2) الحديث بتمامه رواه الحاكم (ت: 405هـ) في المستدرک، عن أبي عبد الله محمد بن عليّ الصّنعانيّ عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزّاق عن معمر عن أيّوب السّختيانيّ عن عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنه، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاريّ ولم يخرجه"، وقال محقق المستدرک: "هذا الإسناد ليس على شرط البخاريّ، فقد اختلف فيه على معمرٍ وصلاً وإرسالاً، وروي عن حمّاد بن زيد عن أيّوب عن عكرمة مرسلًا، وحمّاد بن زيد أثبت الناس في أيّوب" (أبو عبد الله، الحاكم النيسابوريّ، المستدرک على الصّحیحين، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، ديوان الحديث النبويّ (13)، دار التأصيل، ط: 1، 1435هـ/2014م، كتاب التّفسير، تفسير سورة المذثر، حديث رقم: 3918، 492/4-493)، وذكر البيهقيّ (ت: 458هـ) الطّرق المرسلّة وقال: "وكلّ ذلك يؤكّد بعضه بعضًا"، يعني أنّ ما أرسل من طريقٍ وُصل من طريقٍ آخر (أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقيّ، دلائل النّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد المعطي قلّججي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، دار الرّيّان للتراث، ط: 1، 1408هـ/1988م، 199/2)، وصحّ الحديث الألبانيّ، وقال بعد أن ذكر موافقة الدّهبيّ للحاكم: "وهو كما قالوا" (محمد ناصر الدّين الألبانيّ، صحیح السّيرة النّبويّة، ما صحّ من «سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه» للحافظ ابن كثير، المكتبة الإسلاميّة، عمّان - الأردن، ط: 1، 1421هـ، ص: 159)، وطرف الحديث: "أنّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم...".

التي هي عليها الآن في المصاحف⁽¹⁾، بإجماع المسلمين كما حكاها الباقلاني⁽²⁾ (ت: 403هـ)⁽²⁾، وابن الزبير الثقفى الغرناطي⁽³⁾ (ت: 708هـ)⁽³⁾، والزركشي⁽⁴⁾ (ت: 794هـ)⁽⁴⁾، والسبيوطي⁽⁵⁾ (ت: 911هـ)⁽⁵⁾، والزرقاني⁽⁶⁾ (ت: 1367هـ)⁽⁶⁾.

وأما تناسب السور فقد ظهرت في حياته صلى الله عليه وسلم إشارات إليه، وذلك من خلال قراءته وعرضاته بترتيب مخالف لترتيب النزول⁽⁷⁾؛ فقد يجعل السورة المدنية قبل المكية وهي متأخرة عنها في النزول، وقد يجعل سورة أقصر أو أقل عدد آي قبل سورة أطول أو أكثر منها عدد آي كما في المصحف الشريف، ولا شك في أنّ العدول عن ترتيب النزول - في الآي والسور - إلى ترتيب آخر مبني على حكم وأسرار مرجعها إلى معرفة المناسبات بينها⁽⁸⁾، فكان ذلك منشأ القول بوجود المناسبات بين الآي والسور والاهتمام بطلبها.

وبناءً على ما سبق؛ صرح كثير من أهل العلم بأنّ القرآن أنزل متناسب الآيات والسور، وأنّ التناسب أصل فيه ووصف له؛ فقال الزمخشري في مقدّمة تفسيره: "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزله بحسب المصالح منجماً"⁽⁹⁾، وذكر ابن الزبير الثقفى الغرناطي أنّ رعي المناسبة متأصل في كتاب الله تعالى⁽¹⁰⁾، وقال البقاعي: "الحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسباً

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 166-167.

(2) أبو بكر، ابن الطيب الباقلاني، الانتصار للقرآن، تح: محمّد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، بالاشتراك مع دار الفتح عمّان-الأردن، ط: 1، 1422هـ/2001م، (1/225، 281).

(3) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى، البرهان في تناسب سور القرآن، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط: 1، محرم 1428هـ، ص: 79.

(4) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 180.

(5) السبيوطي، الإتقان، (2/394).

(6) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، (1/281) وما بعدها، فيها بيان مستند الإجماع.

(7) وهذا على رأي من يقول بالتوقيف في ترتيب السور كلياً أو جزئياً، حيث اختلف العلماء في ترتيب السور أتوقيفي هو أم اجتهادي؟ وسيأتي الكلام عليه في المبحث الخامس من هذا الفصل.

(8) ينظر: ابن الزبير الثقفى، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 81، البقاعي، دلالة البرهان القويم، ص: 1ب-2أ، نقلاً عن:

عبد الله الخطيب، برهان الدين البقاعي ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 36.

(9) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: 23.

(10) ينظر: أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفى الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه

اللفظ من آي التنزيل، تح: عبد الغني محمّد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (1/23).

سوره وآياته"⁽¹⁾، وقال ابن عاشور: "فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسبٌ في الغرض أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتّصل"⁽²⁾. فاتّفتت آراء هؤلاء العلماء في نزول القرآن متناسبًا.

المطلب الثاني: تطوّر علم المناسبات

اختلفت مظاهر عناية علماء الأُمَّة الإسلاميّة بالمناسبات، وهي التي تعبّر عن تطوُّرات علم المناسبات، وبيان ذلك في الآتي.

الفرع الأوّل: المناسبات والتفسير بالسياق

من أوّل مظاهر العناية بالمناسبات في القرآن الكريم تفسيرُ آيةٍ بالسياق، وكان ذلك في عهد الصحابة رضي الله عنهم؛ إذ كانوا هم المرجع في التفسير بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلّم. وقد عُرف السياق بأنّه: "مجموع النصّ الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها، وعليه يتوقّف الفهم السليم لها"⁽³⁾، وتحدّث ابن القيم عن أهميّة السياق فقال: "السياق يرشد إلى تبين الجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العامّ، وتقييد المطلق، وتنوُّع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالّة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"⁽⁴⁾.

فسرّ الصحابة بالسياق، ووجّهوا السائلين إلى النظر في السياق، كما فعل جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - لما سُئل عن قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ الْبَارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (المائدة: 37)؛ حيث أرشد السائل إلى ضرورة النظر في السياق الذي وردت فيه، وأنها مرتبطة بما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا نَقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (36).

(1) البقاعي، نظم الدرر، (2/1).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (79/1).

(3) محمّد إقبال عروي، الوظيفة التّرجيحية للسياق عند المفسّرين، مجلّة آفاق التّحافة والتّراث، مجلّة فصليّة ثقافيّة تراثيّة تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للتّحافة والتّراث، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، السّنة التاسعة، ع: 35، رجب 1422هـ - أكتوبر (تشرين الأوّل) 2001م، ص: 7.

(4) أبو عبد الله، محمّد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزيّة، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمّد العمران، مطبوع ضمن: آثار الإمام ابن قيم الجوزيّة وما لحقها من أعمال (1)، دار عالم الفوائد، (1314/4).

(المادة:36)⁽¹⁾؛ فتبيّن بذلك أنّ الآية تتحدّث عن الكفّار، فذلك يدلُّ دلالةً واضحةً على اعتقاد الصّحابة بتناسب أي القرآن العظيم، وأخذ التّابعين عنهم هذا الأسلوب من أساليب النّظر في نصوص القرآن الكريم، ومن ذلك ما يروى عن التّابعيّ الجليل مسلم بن يسار أنّه قال: "إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ"⁽²⁾.

ولم يزل علماء التّفسير إلى يومنا هذا- كما تداد لهذه المرحلة- يفسّرون بالسّياق، ويعتمدونه في التّرجيح في حال تعدّد الأقوال واختلافها⁽³⁾، وأقدم من وُقِف عليه في استعمال ذلك في كتابٍ مؤلّف في التّفسير: الطّبريّ في «جامع البيان»⁽⁴⁾.

الفرع الثّاني: المناسبات في كتب علوم القرآن

دخل الحديث عن المناسبات كتب علوم القرآن وذلك في إطار الانتصار لنظم القرآن. فأما النّظم: فمصدر، نَظَمَهُ يُنْظِمُهُ نَظْمًا وَنِظَامًا، ويرجع معناه إلى التّأليف، ومنه: نَظَمْتُ الشّعر، وَنَظَمْتُ اللُّؤْلُؤَ أَي جَمَعْتُهُ فِي السِّلْكِ، وكلُّ شيءٍ قَرْنَتَهُ بآخِرٍ أَوْ ضَمَمْتَهُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، فقد نَظَمْتَهُ. وقال اللّيث: النَّظْمُ نَظْمُكَ الحِرَزَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ، وَالنِّظَامُ: مَا نَظَمْتَهُ فِيهِ الشَّيْءُ مِنْ خِيَطٍ وَغَيْرِهِ، وكلُّ خِيَطٍ يُنْظَمُ بِهِ لؤلؤٌ أَوْ غَيْرُهُ فَهُوَ نِظَامٌ وَجَمْعُهُ نُظْمٌ، ويقال: جاءنا نُظْمٌ من جرادٍ، وهو الكثير⁽⁵⁾.

(1) علاء الدّين عليّ بن بلبان الفارسيّ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط:2، 1414هـ/1993م، كتاب إخباره صلّى الله عليه وسلّم عن مناقب الصّحابة، باب صفة النّار وأهلها، ذكر الإخبار عن وصف خمسة أنفس يدخلون النّار من هذه الأُمَّة، حديث رقم: 7483، (527-526/16)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيحٌ على شرط مسلم، ثمّ ذكر تخريجه مفصّلًا، فينظر تخريجه: (528-527/16)، وطرف الحديث: {يُخْرِجُ اللَّهُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ...}.

(2) أبو عبيد، القاسم بن سلّام، فضائل القرآن، ص:377.

(3) ينظر شرح قاعدة "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلّا بدليل يجب التّسليم له" في: حسين بن عليّ بن حسين الحرّبيّ، قواعد التّرجيح عند المفسّرين، دراسة نظريّة تطبيقية، دار القاسم، الرّياض، ط:1، 1417هـ/1996م، (1/125-135).

(4) ينظر: نور الدّين عتر، علم المناسبات وأهمّيّته في تفسير القرآن الكريم، مجلّة كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، إسلاميّة فكريّة ثقافيّة محكّمة، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة-دبي، ع:11، 1416هـ/1995م، ص:87، 90، 91، حسين الحرّبيّ، قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (1/128)، وينظر كمثال: أبو جعفر، محمّد بن جرير الطّبريّ، تفسير الطّبريّ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي بالتعاون مع مركز البحوث والدّراسات العربيّة والإسلاميّة، دار هجر، عبد السّنند حسن يمّامة، القاهرة، ط:1، 1422هـ/2001م، (5/567-568).

(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (12/578).

فيرجع معنى النظم في اللغة إلى جمع أشياء كثيرة، متجانسة⁽¹⁾، وضمّها وقرنها ببعضها، والتأليف بينها في نظام ما.

وأما في اصطلاح اللغويين، فإنه: "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف"⁽²⁾.

هذا، وقد ظهر في القرن الثالث الهجريّ الطعن في أسلوب القرآن من بعض الزنادقة وأهل البدع⁽³⁾، وذلك ما أدى إلى اهتمام العلماء بالحديث عن إعجاز القرآن في نظمه ردًا عليهم، ومن هؤلاء العلماء: الجاحظ (ت: 255هـ) في كتابه «نظم القرآن»⁽⁴⁾، وعبد الله بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ) في كتابه «تأويل مشكل القرآن»⁽⁵⁾، ومحمد بن يزيد الواسطي (ت: 306هـ) في كتابه «إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه»⁽⁶⁾، وعبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) في كتابه «دلائل الإعجاز» وغيرهم، دافعوا فيها عن أسلوب القرآن ونظمه، وردّوا شبهات الطاعنين في نظم القرآن، وبيّنوا وجوه ترابط آيات أشكلت عليهم، وبيّنوا أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه البديع وتأليفه العجيب، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم تحدّاهم بالنظم والتأليف، وبيّنوا المقدار المعجز منه، بأنّه مقدار سورة منه ولو كانت أصغر سورة⁽⁷⁾، وأنّ الإعجاز ليس مقتصرًا على نظم الألفاظ والجمل

(1) كالألّئ والحزّز والحروف والكلمات والأبيات... إلخ، ولا تستعمل كلمة (النظم) بمعنى الجمع بين أجناسٍ مختلفة.

(2) أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ النحويّ، دلائل الإعجاز، علّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 5، 2004م، ص: 4.

(3) ينظر: عبد الله بن مقبل، المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازيّ، ص: 48، وذكر من أهل البدع والزندقة: عليّ بن ربّن الطبري (ت: 232هـ)، وابن الرّاونديّ أبا الحسين (ت: 293هـ).

(4) قال مصطفى صادق الرّافعيّ: "فصنّف أدينا الجاحظ المتوفّي سنة 255 كتابه «نظم القرآن»، وهو فيما ارتقى إليه بحثنا أوّل كتاب أفرد لبعض القول في الإعجاز أو فيما يهتّى القول به" (مصطفى صادق الرّافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصريّة، صيدا-بيروت، ط: 3، 1426هـ/2005م، ص: 127)، وذكره ابن النّديم في الفهرست (ابن النّديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص: 57).

(5) أبو محمّد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 2، 1428هـ/2007م، ص: 11، 23.

(6) ابن النّديم، الفهرست، ص: 57، 245، وقال الرّافعيّ: "بيد أنّ أوّل كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التّأليف، إنّما هو فيما نعلم كتاب «إعجاز القرآن» لأبي عبد الله محمّد بن يزيد الواسطيّ المتوفّي سنة 306هـ" (الرّافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص: 127).

(7) رسائل الجاحظ، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الجليل، بيروت، ط: 1، 1411هـ/1991م، (229/3)، الطبريّ، تفسير الطبريّ، (200/1-201)، الرّضائيّ، النّكت في إعجاز القرآن، ضمن كتاب: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، ص: 78.

وتأليفها، وإنما هو كذلك في نظم المعاني ووضعها في مواضعها اللائقة بها وارتباطها ببعضها⁽¹⁾، فكان ذلك سبباً للحديث عن تناسب الآي ومقاطع السُّور في معانيها⁽²⁾ في كتب علوم القرآن الكريم، ضمن موضوع "نظم القرآن"، والذي عدّه الباقلانيُّ علمًا شريفًا دقيقًا هائلًا وعجيبًا⁽³⁾. وحتى بعد استقلالية علم المناسبات، لم تزل كتب علوم القرآن تتحدّث عن هذا العلم إلى يومنا هذا.

الفرع الثالث: المناسبات في كتب التفسير

ظهر عند بعض المفسرين، في أواخر القرن الرابع الهجريّ، طلب الوجه الجامع بين الآيتين المتجاورتين في الوضع المتباعدتين في المعنى ظاهرًا، زائدًا على مجرد طلب تفسيرهما، وذلك في جميع القرآن أو معظمه لا في مواضع محدودةٍ منه. وأقدم من لوحظ عنده ذلك: عليُّ بن عيسى الرُّمائيُّ (ت: 386هـ)، في تفسيره⁽⁴⁾ الذي ذكر محيي الدين بن عربيّ (ت: 638هـ) أنّه نحى فيه هذا المنحى؛ فبعد أن أكّد ابن عربيّ وجود التّناسب بين آي القرآن الكريم، قال: "وما رأينا أحدًا ذهب إلى النظر في هذا إلا الرُّمائيّ من النّحويين، فإنّ له تفسيرًا للقرآن، أخبرني من وقف عليه أنّه نحى في القرآن هذا المنحى"⁽⁵⁾، وأكّد مساعد الطيّار أنّه نحى ذلك المنحى⁽⁶⁾؛ فيكون بذلك الرُّمائيُّ أوّل من تحدّث عن المناسبات بين الآيات بشكلٍ عامٍّ في كتابٍ من كتب التفسير.

(1) ينظر: الخطّابيُّ، بيان إعجاز القرآن، ضمن كتاب: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، ص: 27-28، أبو بكر، محمّد بن الطيّب الباقلانيُّ، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، طبع ضمن: "ذخائر العرب" رقم: 12، دار المعارف، مصر، ص: 56-57، 280-293.

(2) ينظر: الخطّابيُّ، نفسه، ص: 49-54.

(3) الباقلانيُّ، إعجاز القرآن، ص: 279-280.

(4) صدر جزءٌ من تفسير الرُّمائيّ، من سورة الفاتحة إلى سورة التّكوير، (عليُّ بن عيسى بن عبد الله، تفسير أبي الحسن الرُّمائيّ وهو التفسير المسمّى «الجامع لعلم القرآن»، تح: خضر محمّد نهبها، موسوعة تفاسير المعتزلة (5)، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، د ط ت).

(5) محي الدين ابن العربيّ، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، جمع وتأليف: محمود محمود الغراب، مطبعة نصر، دمشق، 1410هـ/1989م، (1/13).

(6) ينظر: تدوينة مساعد الطيّار، بموقع ملتقى أهل التفسير، بتاريخ: 1427/11/02هـ، الموافق ل: 2006/11/22م، السّاعة: 04:54 pm، كتبها جوابًا عن سؤالٍ لمشارك في الملتقى حول تفسير الرُّمائيّ، وهي على الرّابط: (<https://vb.tafsir.net/tafsir6827/>)، تاريخ تصفّحي للموقع: 2019/11/11م في السّاعة: 11:45ص.

ثمّ تبعه غيره من المفسّرين، فتحدّثوا عن أنواعٍ أخرى من التّناسب في جميع القرآن، منهم الخطيب الإسكافي (ت: 420هـ)، في كتابه «دُرّة التّنزيل وعرّة التّأويل»؛ بيّن فيه مناسبة الأسماء الحسنى لمضامين الآيات التي حُتمت بها⁽¹⁾، ومناسبة كلّ لفظٍ للسّياق الذي ورد فيه، ومناسبة كلّ تذييلٍ لما سبقه من الآيات⁽²⁾.

ومنّ اعتنى كثيراً ببيان وجوه الاتّصال بين الآيات عبد القاهر الجرجانيّ (ت: 471هـ) في تفسيره: «درج الدرر في تفسير الآي والسّور»، اعتنى فيه ببيان وجه اتّصال الآية بما قبلها⁽³⁾، وبيان وجه اتّصال المقطع، أو كما يسمّيه هو "الفصل"، بالذي قبله⁽⁴⁾.

ومن الجهود أيضاً، جهود ابن برّجان (ت: 536هـ)، في تفسيره: «تنبيه الأفهام إلى تدبّر الكتاب الحكيم وتعرّف الآيات والنّبأ العظيم»، في بيان مناسبات بعض السّور، مثل المناسبة بين سورة النحل والسّورة التي قبلها وهي الحجر، والمناسبة بين سورة الإسراء والسّورة التي قبلها وهي النحل، ويعبر عن تناسبها بانتظامها، كما أنّه يذكر أيضاً مناسبات الآيات⁽⁵⁾، ولعلّه هو من حاز قصب السّبِق في ابتداء الحديث عن تناسب السّور في كتب التّفسير. والرّخشيّ (ت: 538هـ) في تفسيره «الكشاف» اعتنى كذلك ببيان المناسبات⁽⁶⁾، وكذلك الرازيّ (ت: 606هـ)⁽⁷⁾

(1) ينظر: أبو عبد الله، محمّد بن عبد الله الأصبهانيّ، المعروف بالخطيب الإسكافيّ، دُرّة التّنزيل وعرّة التّأويل، تح: محمّد مصطفى أيدين، طبع ضمن: سلسلة الرّسائل العلميّة الموصى بطبعتها (30)، معهد البحوث العلميّة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ط: 1، 1422هـ/2001م، أصله رسالة دكتوراه بعنوان: (درة التّنزيل وعرّة التّأويل)، بكلّيّة الدّعوة وأصول الدّين بمكّة المكرّمة: قسم الكتاب والسّنّة، (1418هـ)، مقدّمة المحقّق، ص: 15.

(2) ينظر: نفسه، مبحث: دراسة كتاب «دُرّة التّنزيل وعرّة التّأويل»، ص: 123.

(3) ينظر: عبد القاهر بن عبد الرّحمن الجرجانيّ، درج الدرر في تفسير الآي والسّور، تح: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللّطيف القيسيّ، مجلّة الحكمة، سلسلة إصدارات الحكمة (22)، بريطانيا-مانشستر، ط: 1، 1429هـ/2008م، (327/1)، (350/1، 390)، (597/2، 754)، وغيرها من المواضع.

(4) ينظر: نفسه، (521/2)، (591/2)، (1612/4، 1627)، وغيرها من المواضع.

(5) ينظر: عبد السّلام بن عبد الرّحمن بن محمّد بن برّجان اللّخميّ الإشبيليّ، تفسير ابن برّجان المسمّى تنبيه الأفهام إلى تدبّر الكتاب الحكيم وتعرّف الآيات والنّبأ العظيم، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1434هـ/2013م، مقدّمة التّحقيق والدراسة (32-33)، مصطفى محمّد الذّهبيّ، التّفسير والمفسّرون، دار الحديث، القاهرة، 1433هـ/2012م، (350-349/3).

(6) أبو الفضل، عبد الله محمّد الصّديقيّ الغماريّ الحسنيّ، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، ص: 15-16.

(7) الرّكشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 36.

سواءً أكانت بين الآيات أم بين السُّور⁽¹⁾، ولا زالت كتب التفسير إلى يومنا هذا تعني بالكشف عن المناسبات.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ الرّازيَّ أوّل من استخدم مصطلح المناسبة⁽²⁾، وذلك عند تفسيره لآخر سورة المائدة، لمّا قال: "مفتتح السُّورة من الشريعة، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزّته وقدرته وعُلُوّه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح وهذا المختتم!"⁽³⁾. وليس كما ذهبوا إليه؛ فقد سبقه إلى استعماله ابن الجوزيَّ

(ت: 597هـ) في تفسيره؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَوَّكْتُ عَلَى اللَّهِ رَيْبِي وَرَيْبَكُمْ مِمَّنْ دَابَّتْهُ

إِلَّا هُوَ أَخِذْ يُنَاصِبُهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿56﴾ (هود: 56): "فإن قيل: ما وجه المناسبة بين

قوله: ﴿إِلَّا هُوَ أَخِذْ يُنَاصِبُهَا﴾ وبين كونه على صراطٍ مستقيمٍ؟ فعنه جوابان" وذكرهما⁽⁴⁾، وفي

قوله تعالى: ﴿إِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿17﴾﴾ (ص: 17) تحدّث عن

مناسبة أمر الله تعالى نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بذكر قصّة داود عليه السّلام، لأمره بالصبر

على ما يقوله المشركون، فقال: "في وجه المناسبة بين قوله: ﴿إِصْبِرْ﴾ وبين قوله: ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا

دَاوُدَ﴾ قولان" وذكرهما⁽⁵⁾. وقبل ابن الجوزيَّ ابن عطية (ت: 541هـ)؛ حيث قال في مناسبة قوله

تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ (الإسراء: من الآية 60)، لما بعده من الآية نفسها

وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّئَآءَ الْيَاسِيَةَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، معقّباً على تأويل الطبريَّ للجزء

الأوّل من الآية: "إلّا أنّه لا يناسب ما بعده مناسبةً شديدةً، ويُحتمل أن يُجعل الكلام مناسباً لما

(1) محمّد حسين الدّهيي، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، 1433هـ/2012م، (251/1).

(2) منهم: عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم (عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم،

ص3)، وإسماعيل الميمني (إسماعيل الميمني، المناسبات في القرآن الكريم وأثرها في التفسير، بحثٌ مقدّم في المؤتمر القرآنيّ الدوليّ

السّنويّ (مقدس: 4)، المنعقد في: 14-15 جمادى الآخرة 1435هـ الموافق 14-15/4/2014م، جامعة مالايا، كوالا لمبور-

ماليزيا، يشرف على المؤتمر: مركز بحوث القرآن بجامعة مالايا، ص6).

(3) الرّازيُّ، التفسير الكبير، (147/12).

(4) ينظر: أبو الفرج، جمال الدّين عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد الجوزيَّ القرشيّ البغداديّ، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم،

بيروت-لبنان، ط: 1 الجديدة، 1423هـ/2002م، ص: 658.

(5) ينظر: نفسه، ص: 1205.

بعده، توطئةً له، فأقول..."، وذكر ما ترجّح عنده من وجه المناسبة⁽¹⁾، وقبل ابن الجوزيّ وابن عطية: الزّمخشريّ (ت: 538هـ)، حيث قال في تفسير الآية 17 من سورة الغاشية: "فإن قلت: كيف حَسُنَ ذِكْرُ الإِبِلِ مع السَّمَاءِ والجبال والأرض ولا مناسبة! قلتُ: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم؛ فانتظمها الذّكر على حسب ما انتظمها نظرهم، ولم يدع من زعم أنّ الإبل السّحاب إلى قوله إلّا طلبُ المناسبة..."⁽²⁾، وقبلهم استعمل الباقلائيّ مصطلح التّناسب، حيث قال: "ثمّ نبّه على أمر القرآن وأنّه من آياته بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبٌ﴾ (غافر: 13)، وإمّا ذكر هذين الأمرين الذّين يختصُّ بالقدرة عليهما؛ لتناسبهما في أنّهما من تنزيه من السّماء، ..."⁽³⁾.

المطلب الثالث: استقلاليّة علم المناسبات

عبّر الزّمخشريّ عن علم المناسبة بـ: "علم النّظم"⁽⁴⁾، وكذلك أبو بكر بن العربيّ (ت: 543هـ) عدّ النّظر في ارتباط الآي علمًا، فقال في كتابه «سراج المريدين»: "إنّ ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتّى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة البيان"⁽⁵⁾ علمٌ عظيمٌ"⁽⁶⁾، وذكر أنّ هذا العلم قد أُفرد بالتأليف، وأنّ عمل المؤلّف كان في بيان مناسبات سورة واحدة وهي سورة البقرة؛ فيكون بذلك أوّل من أفرد جزءًا من القرآن بالبحث في مناسباته، بل أوّل من أفرد المناسبات بالتأليف على الإطلاق، ولكن في ظلّ علم ارتباط الآي، فقال: "لم يتعرّض له إلّا عالمٌ واحدٌ، عمل منه سورة البقرة"⁽⁷⁾، ولا يُعرف إلى الآن من هو؟ ولا أين مؤلّفه؟! ثمّ تبعه بالتأليف فيه ابن العربيّ نفسه، حيث قال بعد كلامه السّابق: "ثمّ فتح الله لنا فيه، فلمّا لم نجد له حملةً، ورأينا الخلق بأوصاف البطلّة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله وردّناه

(1) ينظر: أبو محمّد، عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشّاني محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1422هـ-2001م، (467/3).

(2) الزّمخشريّ، تفسير الكشّاف، ص: 1198.

(3) ينظر: الباقلائيّ، إعجاز القرآن، ص: 302.

(4) ينظر: الزّمخشريّ، تفسير الكشّاف، ص: 943.

(5) ورد فيما نقله عنه الزّركشيّ: "المباني" بدل "البيان" (الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 37).

(6) أبو بكر، ابن العربيّ، سراج المريدين، (144/4).

(7) نفسه، (145-144/4).

إليه⁽¹⁾. وتفصيل كلامه هذا ورد في كتابه «الناسخ والمنسوخ»، حيث ذكر في معرض حديثه عن سورة الأنعام أنّ له كتابًا في هذا العلم، فقال: «والأحكام فيها قليلٌ لعارض بيّنًا وجهه في «ترتيب آي القرآن»، وهو كتابٌ أخفيناها بعد أن جمعناه، لمّا رأينا فيه من علوّه على أقدار أهل الزّمان، وأنّه ليس له في هذه الأقطار حفيٌّ، فوضعناه في سربٍ خفيٍّ⁽²⁾؛ فهو بيّنٌ فيه وجه ارتباط الآي ووجه ترتيبها، وبسبب ما ذكره من إخفائه له لم يُوقَف على كتابه.

فمتى سُمّي علم المناسبة بهذا الاسم؟ ومن نظر له؟ ومتى أفردت المناسبات بالتأليف؟ تأتي الإجابة عن هذه التّساؤلات في الفرعين الآتيين.

الفرع الأوّل: اعتبار المناسبة علمًا والتّنظير له

ذكر محقق «مقدّمة ابن النّقيب» أنّ من سَمّى هذا الفنّ بـ: "المناسبة" هو: ابن أبي الإصبع (ت: 654هـ)، في كتابه: «تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن»⁽³⁾. ويصرّح بعده العزّ بن عبد السّلام (ت: 660هـ) بتسميته "علم المناسبة"، ولم أقف على من سمّاه قبله هكذا، ولذلك يمكن اعتباره أوّل من أطلق عليه هذه التّسمية حتّى يثبت خلافه.

وينظر العزّ لعلم المناسبة ويستحسنه بشروطٍ، ويُنكر التّكلّف فيه، حيث نقل عنه الزّركشي أنّه قال: "المناسبة علمٌ حسنٌ، ولكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمرٍ مُتّحدٍ، مرتبطٍ أوّلُه بآخره، فإن وقع على أسبابٍ مختلفةٍ؛ لم يُشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"، وقال: "ومن ربط ذلك فهو متكلّفٌ بما لا يقدر عليه إلّا بربطٍ ركيكٍ يصاب عن مثله حسنُ الحديث فضلًا عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نيفٍ وعشرين سنةً، في أحكامٍ مختلفةٍ ولأسبابٍ مختلفةٍ، وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعضٍ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرّف الإله في خلقه وأحكامه ببعضها ببعضٍ، مع اختلاف العلل والأسباب كتصرّف الملوك والحكّام والمفتين، وتصرّف الإنسان نفسه بأموارٍ

(1) أبو بكر، ابن العربي، سراج المريدين، (145/4).

(2) أبو بكر، ابن العربيّ المعافريّ، النّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: عبد الكبير العلويّ المدغريّ، مكتبة الثقافة الدّينيّة، 1992م/1413هـ، (210/2).

(3) ينظر: ابن النّقيب، مقدّمة تفسير ابن النّقيب، ص: 177، الحاشية (*). ابن أبي الإصبع المصريّ، تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفيّ محمّد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء الثّراث الإسلاميّ، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، ص: 363، ابن أبي الإصبع المصريّ: بديع القرآن، تح: حفيّ محمّد شرف، نضمة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، (د ط ت)، القسم الثّاني: تحقيق النّص، ص: 145.

متوافقةً ومختلفةً ومتضادّةً، وليس لأحدٍ أن يطلب ربط بعض تلك التصرّفات مع بعضٍ، مع اختلافها في نفسها، واختلاف أوقاتها⁽¹⁾.

وبعد الرجوع إلى كتاب العزّ بن عبد السّلام الذي ذكر فيه هذا الكلام، وهو «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز» تبين لي أنّه لم يذكر عبارة: "المناسبة علمٌ" فضلاً عن أن يستحسنه! حيث قال: "واعلم أنّ من الفوائد أنّ من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعضٍ، ويتشبّث بعضه ببعضٍ، لئلاً يكون مقطّعاً متبرّأً، وهذا بشرط أن يقع الكلام..."⁽²⁾، فإنّما أن يرجع ذلك إلى اختلاف النسخ المخطوطة؛ فيكون الحال كما ذكر، أو أنّه من جرّاء اختصار الزركشي لقوله وتصرفه فيه؛ فلا تثبت حينئذٍ الأسبقية في التسمية للعزّ بن عبد السّلام، فيكون احتمالاً آخر، وهو أنّ الذي سمّاه "علم المناسبة" هو: أبو الحسن الشّهابيّ (ت: 672هـ)؛ حيث نقل عنه الزركشي قوله: "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره، هو الشّرخ الإمام أبو بكر النّيسابوريّ، وكان غزير العلم في الشّريعة والأدب، وكان يقول على الكرسيّ إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السّورة إلى جنب هذه السّورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"⁽³⁾.

ويظهر التّنظير لهذا العلم في كلام النّيسابوريّ، بتعريفه بسؤال المناسبات، من خلال دعوته إلى ضرورة البحث في أسباب وضع الآيات والسّور المتجاورة - في المصحف - جنباً إلى جنبٍ. ولم يترجم الزركشي للنّيسابوريّ ولم يميّزه. ويظهر من قول الشّهابيّ: "ولم نكن سمعناه من غيره"، أنّه معاصرٌ له، من علماء القرن السّابع الهجريّ، وليس هو عبد الله بن محمّد بن زياد - الفقيه الشّافعيّ الحافظ (ت: 324هـ) - كما اعتقد كثيرٌ من الباحثين.⁽⁴⁾

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 37.

(2) ابن عبد السّلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص: 278.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 37.

(4) ينظر: عبد الحكيم الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، مجلّة الأحمديّة، مجلّة علميّة دوريّة محكمة تعنى بالدراسات الإسلاميّة وإحياء التّراث، دار البحوث للدراسات الإسلاميّة وإحياء التّراث، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ع: 11، جمادى الأولى 1423هـ، يوليو "تموز" 2002م، والمقال يبحث أسبقية النّيسابوريّ في المناسبات، ومن هو تحديداً من علماء نيسابور؟ ويبيّن فيه أنّ أسبقية ليست مطلقة، وإنّما في إظهار علم المناسبة في بغداد، كما بيّن أنّ منشأ الغلط في هذه المسألة هو تصرّف السّيوطيّ في كلام الزركشيّ.

كما يستفاد من قول الشَّهْرَابِيِّ: "وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة" انتشار العلم بها في أقطارٍ أخرى غير بغداد، ويُستفاد من كلامه أيضاً وجودُ البحث في مناسبات السُّور.

ونتيجةً لما سبق ذكره، من اعتبارهم المناسبة علمًا، تناول العلماء المناسبات ضمن أنواع علوم القرآن، كما فعل كمال الدين محمد بن عليّ الزمكاني (ت: 727هـ) في كتابه «البرهان في إعجاز القرآن»⁽¹⁾، والزرکشي (ت: 749هـ) في «البرهان في علوم القرآن»، وغيرهما ممَّن جاء بعدهما؛ فنظروا لها ومثّلوا بنماذج تطبيقية.

الفرع الثاني: أفراد المناسبات بالتأليف

ابتدأ أفراد المناسبات بالتأليف في أوائل القرن الثامن الهجري، ولا يزال التأليف فيها مستمرًا إلى زماننا هذا، والتأليف في المناسبات منه ما هو متعلِّقٌ بالجانب الفنيّ التطبيقيّ؛ فتستقلُّ عن كتب التفسير، ومنه ما هو متعلِّقٌ بالجانب النظريّ؛ فلا تكفي بمجرد إدراجها كمبحثٍ من مباحث كتب علوم القرآن.

أ- أفراد الجانب الفنيّ للمناسبات بالتأليف:

بعدما عدت المناسبة علمًا من علوم القرآن وتُسمّى علمها: علم المناسبة، ابتدئ أفراد الجانب الفنيّ فيها بالتأليف في أوائل القرن الثامن الهجري، حيث ألف أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الرُّبَيْرِ الثَّقَفِيُّ الغرناطيّ العاصميّ الأندلسي (ت: 708هـ) «البرهان في تناسب سور القرآن»⁽²⁾، وهو - كما يظهر من عنوانه - مفردٌ في مناسبات السُّور، فهو أوّل مؤلّفٍ مفردٍ في المناسبات، وفي الوقت نفسه أوّل كتابٍ مفردٍ في نوعٍ خاصٍّ من المناسبات.

(1) عبد القاهر عبد الله الحوري، المناسبات في تفسير غرائب القرآن ووعائب الفرقان للنيسابوري من سورة الجمعة إلى سورة الناس (دراسة مقارنة مع الرّازي وابن عاشور)، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كليّة أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1436هـ/2015م، ص: 69.

(2) رجح محقق الكتاب العنوان المثبت في المتن (ينظر: ابن الرُّبَيْرِ الثَّقَفِيُّ، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 37-38)، وطبع بعنوان آخر هو: «البرهان في ترتيب سور القرآن» (أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الرُّبَيْرِ الغرناطيّ، البرهان في ترتيب سور القرآن، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1410هـ/1990م)، وأمّا البقاعيّ فذكر أنّ عنوانه: «المُعَلِّم بالبرهان في ترتيب سُور القرآن» (البقاعيّ، نظم الدرر، 6/1).

ثمّ أَلَّفَ المَخْدُومَ المِهَانِمِيَّ الهِنْدِيَّ (ت:835هـ) «تبصير الرّحمن وتيسير المَنان» الَّذِي خَصَّهُ لبيان مناسبات الآيات دون السُّور⁽¹⁾، فقال في مقدّمة الكتاب: "فهذه خيراتُ حسانٍ من نُكتِ نظم القرآن، لم يطمثَ أكثرهنَّ إنسٌ قبلي ولا جانٌّ ... فأمكنني أن أبرزهنَّ من خدورهنَّ، ليُرى بما رايًا جمالهنَّ صور الإعجاز؛ من بديع ربط كلماته، وترتيب آياته، من بعد ما كان يُعَدُّ من قبيل الألغاز، ... فكلُّ كلمةٍ سلطان دارها، وكلُّ آيةٍ برهان جارها، وإنَّ ما تُوهّم فيها من التّكرار؛ فمن قصور الأنظار العاجزة عن الاستكبار"⁽²⁾.

وأَلَّفَ بعدهما برهان الدّين البقاعيُّ (ت:885هـ) «نظم الدرر في تناسب الآي والسُّور»، وهو أحد طرفيّ موضوع هذه الدّراسة المقارّنة، جامعًا فيه بين مناسبات الآيات ومناسبات السُّور، فهو أوّل الكتب المفردة في بيان المناسبات المستوعبة لجميع آي القرآن وسُوره، وصار مرجعًا مهمًّا، عوّل عليه كثيرٌ ممّن جاء بعد البقاعيِّ.

ثمّ يفرّد السُّيوطيُّ (ت:911هـ) نوعًا من أنواع المناسبات بالتأليف، وهو: تناسب المقاطع والمطالع، في كتابه: «مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع»، ويقصد به البحث في التّناسب بين مطالع وخواتيم كلّ سورة. وأَلَّفَ أيضًا، على طريقة ابن الرُّبَيْر، كتابًا مستقلًّا في تناسب السُّور، سمّاه: «تناسق الدرر في تناسب السُّور»⁽³⁾.

وعلى طريقة البقاعيِّ في «نظم الدرر» الجامع لمناسبات الآيات والسُّور؛ أَلَّفَ محمّد بن مبارك القزوينيُّ المعروف بحكيم شاه (ت:920هـ) «ربط السُّور والآيات»⁽⁴⁾.

(1) محمّد هارون العزيميُّ النّدويُّ، العَلّامة المِهَانِمِيَّ وتفسيره تبصير الرّحمن وتيسير المَنان، البعث الإسلامي، مجلّة إسلاميّة شهريّة جامعة، تصدرها مؤسّسة الصّحافة والنّشر، الهند، ع:7، مج:42، ربيع الثّاني:1418هـ، أغسطس وسبتمبر 1997م، ص:88، 91، 92.

(2) عليُّ بن أحمد بن إبراهيم المِهَانِمِيَّ، تفسير القرآن المسمّى تبصير الرّحمن وتيسير المَنان، عالم الكتب، ط:2، 1403هـ/1983م، ص:3.

(3) لخصّه السُّيوطيُّ من كتابه «أسرار التّنزيل» (ينظر: السُّيوطيُّ، الإِتقان، 1836/5).

(4) مصطفى بن عبد الله الشّهير بجاجي خليفة وبكاتب حلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، (د ط ت) (832/1)، عمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، مكتبة المشّي ودار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت-لبنان، (د ط ت) (170/11). وفي هديّة العارفين أنّه توفيّ سنة:928هـ، وعنوان كتابه: «حور العين في ربط السُّور والآيات القرآنيّة» (ينظر: إسماعيل باشا البغداديُّ، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، (د ط ت)، (229/2).

ولا يزال أفراد المناسبة بالتأليف مستمرًا إلى وقت كتابة هذه الأسطر.

ب- أفراد الجانب النظريّ للمناسبات بالتأليف:

تأخّر التدوين المستقلّ للجانب النظريّ لعلم المناسبات عن الجانب الفنيّ، حيث كان النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجريّ ظرفه الزمانيّ الابتدائيّ، من خلال مقالٍ لأحمد حسن بعنوان «في مناسبة الآيات والسُّور»⁽¹⁾، وهو أقدم ما وقفت عليه من عملٍ مفردٍ في الجانب النظريّ للمناسبات، ثمّ أتبعه المؤلّف نفسه بمقالاتٍ أخرى بعنوانٍ واحدٍ: «في مناسبات الآيات والسُّور»، في أعدادٍ لاحقةٍ من المجلّة نفسها التي نشر فيها مقاله الأوّل.

وألف محمد أحمد يوسف القاسم «الإعجاز البيانيّ في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره»، عرّف فيه بعلم المناسبات وبيّن أهميّته، وذكر أنواع المناسبات وغيرها من المباحث المتعلّقة بهذا العلم⁽²⁾، قال عنه مساعد الطيّار: "وهو من أنفس كتب المعاصرين في ترتيب السُّور"⁽³⁾، وقال: "وهو دراسة متميِّزة في علم المناسبات"⁽⁴⁾.

ثمّ صنفت بعد ذلك كثير من الأعمال في علم المناسبة، ما بين كتبٍ وبحوثٍ ومقالاتٍ علميّةٍ ورسائلٍ ماجستيرٍ ودكتوراه.

(1) أحمد حسن، في مناسبة الآيات والسُّور، ص: 28-32.

(2) محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البيانيّ في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، دار المطبوعات الدوليّة، القاهرة، ط: 1، 1399هـ/1979م.

(3) مُساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، محرّر في علوم القرآن، سلسلة المقرّرات الدّراسيّة (1)، مركز الدّراسات والمعلومات القرآنيّة بمعهد الإمام الشّاطبيّ (3) التابع للجمعيّة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدّة، ط: 2، 1429هـ/2008م، ص: 205.

(4) مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، أنواع التّصنيف المتعلّقة بتفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزيّ، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 2، رجب 1423هـ، ص: 153.

المبحث الرابع: أنواع المناسبات

ذكر ابن أبي الإصبع المصري (ت: 654هـ) أنَّ المناسبة على ضربين: مناسبة في المعاني (معنويَّة) ومناسبة في الألفاظ (لفظيَّة).

أما المعنويَّة فهي: أن يُبتدأ الكلام بمعنى ثمَّ يُتمَّم بما يناسبه معنى دون لفظٍ، ومثَّل لها بمناسبة معاني فواصل بعض الآيات لمعاني الآيات التي جاءت فيها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: 38)، فعزَّة الله وحكمته قضتا بقطع يد السارق.

وأما اللفظيَّة فهي: "الإتيان بلفظاتٍ متنزاتٍ مقفأةٍ وغير مقفأةٍ، فالمقفأة مع الاتزان مناسبة تامَّة، والمُتنزَّة من غير التَّففية مناسبة ناقصة"، واستشهد للثانية بقوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ (ق: 1-2)، وللأولى بقوله تعالى: ﴿ث وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنْتَ بِعِنْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ (القلم: 1-3)⁽¹⁾.

ولعلَّ التَّقسيم الذي يحدِّد مجال المناسبة أو مستواها أوَّلًا، ثمَّ يُحدِّد أنواعها ووجوهها يكون أكثر دقَّةً، وهو ما تبناه مصطفى مسلم وآل هوميل وغيرهما؛ حيث جعلت المناسبات على قسمين: مناسبات السُّورة الواحدة والمناسبات بين السُّور، وكلُّ قسمٍ فيه أنواع⁽²⁾، وهو التَّقسيم الذي أتبعناه في هذه الدِّراسة، وأما المناسبات المعنويَّة واللفظيَّة، فإنَّها تكون في جميع تلك الأنواع.

وكثيرٌ ممَّن تحدَّث عن أنواع المناسبات - في حدود ما وقفت عليه - إنَّما يكتفي بذكر أسماء الأنواع وبيان بعض شواهدها، دون أن يذكر من كلام العلماء في تقرير تلك الأنواع إلا قليلاً؛ لذلك اعتنيت - قدر الإمكان - بأن أذكر من كلام العلماء في تقرير كلِّ نوع.

(1) ينظر: ابن أبي الإصبع، بدیع القرآن، القسم الثَّاني، ص: 145-150، ابن أبي الإصبع، تحریر التَّحبير، ص: 363-367.

(2) إبراهيم بن سليمان آل هوميل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مجلَّة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، مجلَّة علميَّة محكَّمة، تصدرها عمادة البحث العلميِّ بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، ع: 25، المحرَّم 1420هـ/أبريل 1999م، ص: 109، مصطفى مسلم، مباحث في التَّفسير الموضوعيِّ، ص: 68 وما بعدها، عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسیر القرآن الكريم، ص: 6-7.

وبناءً على ما سبق تقريره، تكون المناسبات على النحو الآتي:

المطلب الأوّل: مناسبات السورة الواحدة

تتضمّن السورة الواحدة أنواعاً عديدةً من المناسبات، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: مناسبات الآيات آيةً آيةً، ومناسبات المقاطع، والقسم الثالث الذي اقترح له تسمية: "مناسبات النّظام".

الفرع الأوّل: مناسبات الآيات آيةً آيةً

مناسبات الآية الواحدة ثلاثة أنواع: مناسبات أجزاء الآية، ومناسبة الآية لما قبلها، ومناسبة الآية لما بعدها. وتفصيل هذه الأنواع في الآتي.

أ- مناسبات أجزاء الآية الواحدة:

قد تكون الآية الواحدة كلمةً واحدةً أو كلمتين أو أكثر من ذلك، كما قد تكون جملةً واحدةً أو جملتين أو أكثر من ذلك؛ فتنوّع مناسبات الآية الواحدة بتنوّع أجزائها، وبيانها في الآتي.

1- مناسبات الكلمة:

وتتمثّل هذه المناسبة في: ملائمة الكلمة لبقية كلمات الآية، وملاءمتها لمعنى الآية. قال ابن عطية: "كتاب الله لو نُزعت منه لفظة، ثمّ أُدير لسان العرب في أن يُوجد أحسن منها لم يوجد"⁽¹⁾. وذكر الشيوطي أنّ من رعاية المناسبة وحسن الجوار في الألفاظ أن "يلائم بعضها بعضاً بأن يُقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله؛ فهذا ائتلاف اللفظ مع اللفظ، وأمّا ائتلاف اللفظ مع المعنى فإنّ "تكون ألفاظ الكلام ملائمةً للمعنى المراد، فإنّ كان فخماً كانت ألفاظه مفحّمةً، أو جزلاً فجزلةً، أو غريباً فغريبةً، أو متداولاً فمتداولةً، أو متوسّطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك"⁽²⁾، واستشهد للأوّل بقوله تعالى: ﴿تَاللّٰهِ تَفْتُوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُوْنُ حَرَضًا﴾ (يوسف: من الآية 85)، فقال: "أُتي بأغرب ألفاظ القسم،

(1) ابن عطية، المحرّر الوجيز، (52/1).

(2) الشيوطي، الإتيقان، (1744/5).

وهي التّاء، فإنّها أقلُّ استعمالاً وأبعدُ من أفهام العامّة بالنّسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، فإنّ "تزال" أقرب إلى الأفهام، وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض، فاقترضى حسنُ الوضع في النّظم أن يُجاوَرَ كلُّ لفظةٍ بلفظةٍ من جنسها في الغرابة توجّياً لحسنِ الجوار، ورغبةً في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعدّل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النّظم، ولمّا أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (الأنعام: من الآية 109)، فأتى بجميع الألفاظ متداولةً لا غرابة فيها، وممّا استشهد به للثاني قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: من الآية 286)، فقال: "أُتي بلفظ الاكتساب المُشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لِثقلها".⁽¹⁾

وقد أنجزت رسالة ماجستير بعنوان: «المناسبة بين كلمات الآية الواحدة في القرآن الكريم - دراسة تأصيلية تفسيرية»⁽²⁾، وضح فيها صاحبها أقسام المناسبة بين الألفاظ وأنواعها ووجوهها.

2- المناسبة بين جمل الآية الواحدة:

وهي مثل مناسبة الآية للآية التي قبلها، فالكلام في وجوهها واحد، وسيأتي قريباً.

وللبقاعي كلامٌ يقرّر فيه النوعين السابقين من المناسبات حيث قال: "وذلك أنّه لمّا منّ الله -وله الحمد- عليّ بصوغي لكتاب المناسبات بين السُّور والآيات بل الجمل والكلمات..."⁽³⁾، وذكر في موضعٍ آخر أنّ جُلَّ مقصود كتابه «نظم الدرر» بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض⁽⁴⁾، وفي «مساعد النظر» قال عن «نظم الدرر»: "وهذا الكتاب لبيان الدّاعي إلى وضع كلّ جملةٍ في مكانها، وإقامة حجّتها في ذلك وبرهانها، لأنّ هذا العلم - على العموم - علمٌ تُعرف منه علل التّرتيب"⁽⁵⁾.

وقال الزُّرقاني: "الخاصّة الرابعة: جودة سبك القرآن وإحكام سرده: ومعنى هذا أنّ القرآن

(1) الشُّبوطي، الإتيان، (1744/5-1745).

(2) سبق ذكرها، ينظر: ص: 14 من هذه الأطروحة، الحاشية رقم (3).

(3) البقاعي، مساعد النظر، (101/1).

(4) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (446/22).

(5) البقاعي، مساعد النظر، (142/1).

بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، مبلغاً لا يدانيه فيه أيُّ كلامٍ آخر، مع طول نفسه وتنوّع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد... فبيّن كلمات الجملة الواحدة من التّأخي والتّناسق، ما جعلها رائعة التّجانس والتّجاذب، ويبيّن جُمْل السُّورة الواحدة من التّشابك والتّرابط، ما جعلها وحدةً صغيرةً متآخِذة الأجزاء متعانقة الآيات"⁽¹⁾.

3- مناسبة آخر الآية لأولها:

يُسَمَّى آخر الآية فاصلةً⁽²⁾، وقال ابن أبي الإصبع في تقرير مناسبة الفاصلة: "فانظر إلى مناسبة ما بين الفاصلة وما تقدّمها"⁽³⁾، وقال الزّركشي: "وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها"⁽⁴⁾، ومنها: مناسبات ختم الآي بأسماء الله الحسنى⁽⁵⁾ وصفاته، كمناسبة ختم

الآية: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾⁽⁷¹⁾

(الأنفال: 71)، قال ابن عطية الأندلسي: "وقوله: ﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ صفتان مناسبتان، أي عليم بما يُبتونونه من إخلاصٍ أو خيانةٍ، حكيمٌ فيما يجازيهم به"⁽⁶⁾.

وقد أنجزت كثيرٌ من الرّسائل الجامعيّة في بيان مناسبات الفواصل القرآنيّة، منها سلسلة رسائل ماجستير بالجامعة الإسلاميّة بغزّة، بعنوان: «المناسبة بين الفواصل القرآنيّة وآياتها»؛ بحيث تناول كلُّ باحثٍ قسماً من القرآن الكريم بالدراسة.⁽⁷⁾

(1) الزّرقاني، مناهل العرفان، (248/2).

(2) ينظر: الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 53، فضل حسن عبّاس، إعجاز القرآن، جامعة القدس المفتوحة، عمان-الأردن، 2007م، ص: 214.

(3) ابن أبي الإصبع: بديع القرآن، القسم الثّاني، ص: 149.

(4) الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 36.

(5) بازمول، علم المناسبات في السُّور والآيات، ص: 23.

(6) ابن عطية، الخرر الوجيز، (555/2).

(7) تناول الجزء الأوّل من سورة البقرة أحمد محمّد عطية، سنة: 1431هـ/2010م (أحمد محمّد عطية يوسف المنيراوي، المناسبة بين الفواصل القرآنيّة وآياتها دراسة تطبيقية للجزء الأوّل من سورة البقرة، رسالة ماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة أصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلاميّة: غزّة، 1431هـ/2010م)، وناقش قبله عمر حسين دراسة سورة آل عمران سنة: 1429هـ/2008م (عمر حسين الدويك، المناسبة بين الفاصلة القرآنيّة وآياتها "دراسة تطبيقية لسورة آل عمران، رسالة ماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة أصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلاميّة: غزّة، 1429هـ/2008م)، ودراسة الأجزاء الأخرى من القرآن الكريم قُدّمت ما بين سنتي: 2009م و2010م.

ب- مناسبة الآية لما قبلها:

من أهمّ أنواع المناسبة، إن لم يكن أساس نشأة علم المناسبة، مناسبة الآية لما قبلها، وما قبلها إمّا أن يكون آيةً أو مقطعاً، وفي تقرير هذا النوع من المناسبة قال وليّ الدين الملوّي (ت: 774هـ): "والذي ينبغي في كلّ آية أن يُبحث أوّل كلّ شيءٍ عن كونها مكتملةً لما قبلها أو مستقلةً، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علمٌ جمٌّ"⁽¹⁾.

ويعدُّ الزركشيّ المكتملة من أوجه الارتباط الظاهرة، فهو يقسم ارتباط الآي إلى قسمين: ظاهرٌ وغير ظاهرٍ، ويعبر عن وجوه التناسب تارةً بأنواع ارتباط الآي⁽²⁾، وتارةً أخرى بوجوه ارتباط الآي⁽³⁾، فالمناسبة بين الآية والآية - كما سبق تقريره - هي وجه ارتباطهما. وتحدّث الزركشيّ عن وجوهها عموماً فقال: "ومرجعها والله أعلم إلى معي ما رابط بينهما عامٌّ أو خاصٌّ، عقليّ أو حسبيّ أو خياليّ وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الدّهنيّ كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والتّظهيرين والضدّين، ونحوه أو التلازم الخارجيّ كالمترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"⁽⁴⁾، ثمّ يفصّل فيها القول أكثر، وملخص تفصيله أنّه جعل الارتباط بين آيتين على صورتين: ارتباط ظاهرٌ لا إشكال فيه؛ لتعلّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالاختصار على الآية الأولى، وكذلك إذا كانت الآية الثانية للأولى على جهة التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البديل⁽⁵⁾.

وارتباط غير ظاهرٍ؛ إذا بدت كلّ جملةٍ مستقلةً عن الأخرى، وأتت خلاف النوع المبدوء به. فإن كانت معطوفةً على ما قبلها بحرفٍ من حروف العطف؛ فلا بدّ أن تكون بينهما جهةً جامعةً، فللعطف بين الأمرين فوائد منها: جعلهما كالنظيرين والشريكين، وقد تكون العلاقة بينهما المضادةً كمناسبة ذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب، وكذلك للقرآن عاداتٌ منها: ذكر الوعد والوعيد بعد ذكر

(1) الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 38، البقاعيّ، نظم الدرر، (7/1-8)، السيوطيّ، الإتيان، (5/1839).

(2) الزركشيّ، نفسه، ص: 39.

(3) نفسه، ص: 40.

(4) نفسه، ص: 36.

(5) ورد في البرهان: "والتشديد"، مكان: "أو البديل"، والأخيرة، وهي المثبتة في متن البحث، من نقل السيوطيّ (السيوطيّ، الإتيان، 1840/5)، وهي أوضح وأنسب. ومعلوم أنّ الإتيان ابتناه السيوطيّ على برهان الزركشيّ، فرمّا كلمة: "التشديد" خطأً من النسخ أو من المحقّقين.

الأحكام؛ ليكون ذلك باعثًا على العمل بما سبق، ثمّ يذكر آيات التّوحيد والتّزويه ليعلم عظم الأمر والنّاهي.

وقد يُشكّل وجه الارتباط أحيانًا في العطف، وذكر الزّركشي أمثلة له وبين وجوها، منها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ (البقرة: من الآية 189)، فقد يُقال أيُّ رابطٍ بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت؟ وبين الزّركشي أنّه قد يكون من باب الاستطراد⁽¹⁾، أو التّمثيل.

وقد يكون الارتباط من باب حُسن التّخلّص، ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ ①﴾ (المعارج: 1)، فإنّه سبحانه ذكر أوّلًا عذاب الكفّار وأنّ لا دافع له من الله ثمّ تخلّص إلى قوله: ﴿تَمْرُجُ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: من الآية 4) بوصف ﴿الله ذِكْرُ الْمَعَارِجِ﴾ (المعارج: من الآية 3)، وقال الزّركشي: "واعلم أنّه حيثُ قُصِدَ التّخلّص فلا بدّ من التّوطئة له". وإنّ لم تكن الآية أو الجملة معطوفةً على ما قبلها، فلا بدّ من قرائن معنويّة مؤدّنة بالرّبط وباتّصال الكلام، فننزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثّاني ولذلك أسبابٌ منها:

• الأوّل: التّنظير، وهو إلحاق التّنظير بالتّنظير، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنفال: من الآية 5) عَقِبَ قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ④﴾ (الأنفال: 4)؛ فإنّ الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كرهٍ من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون، فكراحتهم لما فعّله من الغنائم ككراحتهم للخروج معه.

• الثّاني: المضادّة، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة: من الآية 6). فإنّ أوّل السّورة كان حديثًا عن القرآن الكريم وأنّ من شأنه كَيْتٌ وكَيْتٌ، وأنّه لا يهدي القوم الّذين من صفاتهم كَيْتٌ وكَيْتٌ، فرجع إلى الحديث عن المؤمنين، فلمّا أكمله عَقِبَ بما هو حديثٌ عن الكفّار، فبينهما جامعٌ وهميٌّ بالتّضادّ من هذا الوجه، وحكمته التّشويق والثّبوت على الأوّل، كما قيل: وبضدّها تبين الأشياء.

(1) سيأتي بيان معناه قريبًا في أثناء ذكر ما نقله الشّيوطي من وجه التّفريق بين الاستطراد والتّخلّص.

• الثالث: الاستطراد، كقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْهِ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَّاسًا يُؤْرِكُ سَوَاءَ تَكْمٌ وَرَيْشًا وَلِيَّاسَ النَّقْوَىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ- اِيْتِ اللّٰهِ لَعَلَّهٗمْ يَدْكَرُوْنَ ۝۲۶﴾ (الأعراف: 26)، نقل الزركشي قول الزمخشري: "هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بُدُوِّ السَّوَاتِ وَخَصْفِ الْوَرَقِ عَلَيْهَا؛ إِظْهَارًا لِلْمَنَّةِ فِيْمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنَ اللَّيَّاسِ وَمَا فِي الْعَرِيِّ وَكَشْفِ الْعَوْرَةِ مِنَ الْمَهَانَةِ وَالْفُضِيْحَةِ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّ السِّتْرَ بَابٌ عَظِيْمٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّقْوَىٰ"⁽¹⁾.

• الرابع: الانتقال من حديثٍ إلى آخر تنشيطاً للسَّامِعِ، كقوله تعالى بعد ذكر الأنبياء في سورة ص: ﴿هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنْ لِلْمُتَّقِيْنَ لِحُسْنِ مَّكَابٍ ۝۴۹﴾ (ص: 49)، فإنَّ هذا القرآن نوعٌ من الذِّكْرِ، لَمَّا انْتَهَى ذِكْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّنْزِيلِ، أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ نَوْعًا آخَرَ وَهُوَ ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا فَقَالَ: ﴿هٰذَا ذِكْرٌ ۝﴾. اه ملخصًا من البرهان.⁽²⁾

وزاد الشُّيُوْبِيُّ عَلَى الزَّرْكَشِيِّ فِي الْقِسْمِ غَيْرِ الْمَعْطُوفِ وَجْهَيْنِ آخِرَيْنِ هُمَا:

• الخامس: حُسْنُ التَّخْلُصِ، وَذَكَرَ قَوْلَ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْاِسْتِطْرَادِ وَحُسْنِ التَّخْلُصِ وَهُوَ: "أَنَّكَ فِي التَّخْلُصِ تَرَكْتَ مَا كُنْتَ فِيهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَقْبَلْتَ عَلَى مَا تَخْلُصْتَ إِلَيْهِ، وَفِي الْاِسْتِطْرَادِ تَمَّرْتَ بِذِكْرِ الْأَمْرِ الَّذِي اسْتِطْرَدْتَ إِلَيْهِ مَرُورًا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، ثُمَّ تَتَرَكُهُ وَتَعُودُ إِلَى مَا كُنْتَ فِيهِ، كَأَنَّكَ لَمْ تَقْصِدْهُ، وَإِنَّمَا عَرَضَ عُرُوضًا".

• السادس: حُسْنُ الْمَطْلَبِ، وَهُوَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى الْغَرَضِ بَعْدَ تَقَدُّمِ الْوَسِيْلَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْبُ ۝۴﴾ (الفاتحة: 4).⁽³⁾

والكلام السَّابِقُ كُلُّهُ فِي وَجْهِ الْمُنَاسِبَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَمِنْ وَجْهِ تَنَاسُبِ الْآيَتَيْنِ الْمُتَتَالِيَتَيْنِ: الْمُنَاسِبَةُ اللَّفْظِيَّةُ (التَّامَّةُ وَالنَّاقِصَةُ) كَمَا سَبَقَ ذَكَرَهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ أَبِي الْإِصْبَعِ فِي بَدَايَةِ هَذَا الْمُبْحَثِ.

ج- مناسبة الآية لما بعدها:

يُظْهِرُ هَذَا النَّوْعَ خَاصَّةً فِي الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ بَدَايَاتُ السُّوْرِ؛ إِذْ لَا آيَةَ قَبْلَهَا لِبَحْثِ الْمُنَاسِبَةِ مَعَهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْآيَاتِ بَدَايَاتِ الْمَقَاطِعِ؛ فَتُبْحَثُ مُنَاسِبَتُهَا لِمَا بَعْدَهَا، كَأَنَّ تَكُونَ التَّشْوِيْقَ مِثْلًا،

(1) ينظر قول الزمخشري في: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: 360، ورد فيه: عقيب بدل عقب، والتسُّرُّ بدل السِّتْرِ.

(2) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 39-48.

(3) الشُّيُوْبِيُّ، الإِتْقَانُ، (1844/5-1845).

وتكون مناسبة الثانية للأولى تفصيلاً إجمالاً⁽¹⁾؛ فهنا يظهر الاختلاف بين مناسبة الآية لما بعدها، ومناسبة ما بعدها لها (مناسبة الآية لما قبلها).

وقد تجتمع المناسبتان في آية واحدة (مناسبة الآية لما قبلها ولما بعدها)، مثلما هو الحال مع الآية 34 من سورة عبس، عند البقاعي وابن عاشور، حيث يشير قولهما إلى مناسبتها لما قبلها والمتمثلة في وجه الارتباط، ومناسبتها لما بعدها والمتمثلة في علة الترتيب.⁽²⁾

الفرع الثاني: مناسبات المقاطع

سبق التعريف بالمقطع بأنه مجموعة من الآيات ذات وحدة معنوية جزئية من وحدة معنوية كلية للشّورة القرآنية؛ فالشّورة مؤلفة من مقاطع، والمقطع من مجموعة من الآيات، وأحياناً يُعبّر عن المقطع الأوّل في الشّورة بمطلع الشّورة، وعن المقطع الأخير فيها بمقطع الشّورة؛ وبناءً عليه يمكن تصنيف أنواع مناسبات المقاطع على النحو الآتي:

أ- مناسبة مقطع الشّورة لمطلعها:

أفرد السُّيوطي هذا النوع من المناسبة بتأليف سَمَاه: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع»، وذكر في مقدّمة الكتاب كلاماً في تقريره، حيث قال: "إنّ من علوم القرآن العظيم مناسبة مطالع الشُّور ومقاطعها ... وقد صرّح بذلك المحققون"، وذكر بعضهم⁽³⁾.

ويؤكّد أبو حيّان الأندلسي وجود هذا النوع من المناسبة في جميع القرآن، قائلاً: "وقد تتبعت أوائل الشُّور المطوّلة، فوجدتها يناسبها أواخرها؛ بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء، وسأبين ذلك - إن شاء الله - في آخر كلّ سورة سورة"، ثمّ علّق على هذا النوع قائلاً: "وذلك من أبداع الفصاحة؛ حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم أخذاً في شيء، ثمّ يستطرد منه إلى شيء آخر، ثمّ إلى آخر

(1) ومثاله مناسبتا الآيتين الأوليين من سورة النبأ، وسيأتي بيانهما في الباب التّطبيقيّ من هذه الأطروحة.

(2) سيأتي بيانها في موضعها من الباب التّطبيقيّ.

(3) جلال الدّين السُّيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، تح:

عبد المحسن بن عبد العزيز العسكّر، صدر ضمن سلسلة: منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتّوزيع بالرياض (21)، مكتبة دار

المنهاج، الرياض، ط: 1، 1426هـ، ص: 45-47.

هكذا طويلاً، ثمَّ يعود إلى ما كان آخذاً فيه أوّلاً. ومن أمعن النَّظْرَ في ذلك (سهل عليه⁽¹⁾) مناسبة ما يظهر ببادئ النَّظَرِ أَنَّهُ لا مناسبة له⁽²⁾.

وهذا النَّوع من المناسبة من أساليب البلاغة العربيّة، وهو: "رُدُّ الأَعْجَازِ عَلَى الصُّدُورِ"⁽³⁾، ويُعبّر عن المطالع والمقاطع أحياناً بالمُفْتَتِحِ والخَوَاتِيمِ.

والمناسبة بين المطالع والمقاطع إمّا أن تكون لفظيّة؛ كتكرار اللفظ فيهما، مثل تكرار ﴿الْفَرِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر: من الآية 1) في الآية الأخيرة (الحشر: 24)، وقد يجيء التكرار بالجناس، مثل تكرار ﴿أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1) في الآية الأخيرة (الإخلاص: 4)، ومعنى الأوّل: الواحد، ومعنى الآخر: الجمع. أو تكون المناسبة معنويّة؛ بتكرار المعنى نفسه فيهما (تهديد/تهديد⁽⁴⁾)، أو تأتي المناسبة بطريق التّضادِّ (الاستعجال/الصّبر⁽⁵⁾) (التّوبيخ/الثّناء⁽⁶⁾)، أو تكون المناسبة بالإيماء، كالإيماء بهجرة موسى عليه السّلام من وطنه في مطلع سورة القصص إلى هجرة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة في مقطع السّورة نفسها.⁽⁷⁾

ب- تناسب مقطعين متتاليين:

الكلام في وجوه تناسب مقطعين متتاليين هو نفسه الكلام في وجوه تناسب آيتين متتاليتين؛ فالقطع قد يكون آيةً واحدةً طويلةً ذات جُمْلٍ عديدةٍ، والذي يليه مثله.

ومن الشّواهد لهذا النَّوع: المناسبة بين المقطع الأوّل من سورة البقرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ آلِهِمْ مَنْ أُخْلِصَ لَهُمْ نَصْرًا مِنْ رَبِّكَ...﴾ (البقرة: 1) وأوّلئك

(1) ورد في الطّبعة المعتمدة في هذه الأطروحة من تفسير البحر المحيط وهي طبعة دار الكتب العلميّة قوله: "سَهَّلَ عَلَيْنَا" بدل "سهل عليه"، والمثبت في المتن هو الصّواب المناسب لسبب الكلام وهو منقولٌ من طبعةٍ أخرى، وهي طبعة دار الفكر المستفاد منها في تصحيح هذا الخطأ فقط (أبو حيّان، محمّد بن يوسف الأندلسيُّ الغرناطيُّ، البحر المحيط في التّفسير، عناية: زهير جعيّد، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1431هـ-1432هـ/2010م، 755/2).

(2) أبو حيّان، محمّد بن يوسف الأندلسيُّ، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1413هـ-1993م، (378/2).

(3) الشّيوطيُّ، مراصد المطالع، ط: دار المنهاج، مقدّمة تحقيق الكتاب، ص: 14-15.

(4) مثاله مناسبة الآية 40 من سورة التّبا للآيات (1-3) منها (نفسه، مقدّمة تحقيق الكتاب، ص: 32).

(5) مثاله مناسبة الآية 127 من سورة النّحل للآية 1 منها (نفسه، مقدّمة تحقيق الكتاب، ص: 31).

(6) مثاله مناسبة الآية 14 من سورة الصّفّ للآية 2 منها (نفسه، مقدّمة تحقيق الكتاب، ص: 31-32).

(7) الشّيوطيُّ، نفسه، مقدّمة تحقيق الكتاب، ص: 31-32.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ (البقرة: 1-5) والمقطع الذي يليه وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ (البقرة: 6-20)، ووجه المناسبة أنه بعد أن بيّن الله تعالى أوصاف المؤمنين أرفده ببيان أحوال الكافرين⁽¹⁾، وذلك من باب التّضادّ.

ومن شواهدة أيضاً ما ذكره الجرجاني في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (الحشر: 22)، حيث قال: "هذا فصلٌ آخر في الثناء على الله، واتّصالها بذكر المؤمنين ليجدّد إيمانهم بتجديد الوعد السابق في قلوبهم"⁽²⁾، وذكّر المؤمنين جاء في الآيات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ... أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الحشر: 18-20).

الفرع الثالث: مناسبات نظام السّورة

إنّ الارتباط بين آيات السّورة الواحدة، حتّى تكون كالكلمة الواحدة أو كالجملّة الواحدة، لا يكون إلّا برباطٍ يجمعها جميعاً، وهو ما يُسمّى بالنّظام، وهو ذلك الخيط الذي ينتظم جميع الآي حتّى تصير كاللؤلؤ في عقدها⁽³⁾.

واختلف العلماء في تحديد طبيعة ذلك النّظام؛ فمن قائلٍ: إنّ غرض السّورة، كالمشداي⁽⁴⁾، ومن قائلٍ: إنّ مقصود السّورة، كالبقاعي⁽⁵⁾، ومن قائلٍ إنّ موضوع السّورة أو محور مواضيعها، كسيّد قطب⁽⁶⁾، ومن قائلٍ إنّ عمود السّورة وهو عبد الحميد الفراهي⁽⁷⁾. وهذه الأنواع قريبة جدّاً من بعضها؛ فالمقصود والغرض متقاربان في المعنى، والمحور والعمود والموضوع كأنّها شيءٌ واحدٌ، وأنواع مناسبات نظام السّورة، بين المقصود والغرض والموضوع والمحور والعمود، هي نفسها، فالاختلاف فقط في طبيعة ذلك النّظام، وفيما يلي ذكرٌ لأنواع مناسبات النّظام.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (91/1).

(2) ينظر: الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسّور، (1612/4).

(3) سبق بيان معنى النّظام في أثناء بيان معنى النّظم (ص: 35 من هذه الأطروحة).

(4) البقاعي، نظم الدرر، (18-17/1).

(5) ينظر: البقاعي، مصاعد النّظر، (149/1). ويفرّق البقاعي في أثناء تفسير سورة الفاتحة بين الغرض والمقصود؛ بأنّ الغرض وسيلة

للمقصود (ينظر: البقاعي، نظم الدرر، 20/1-21).

(6) ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط: 32، 1423هـ/2003م، (28/1)، (555/4).

(7) الفراهي، تفسير نظام القرآن، ص: 17.

أ- مناسبة اسم السورة لنظامها:

لاشكّ في وجود مناسباتٍ لتسمية السور بمسمياتها؛ لذلك قال الزركشي: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كلّ سورة بما سُمّيت به"، وذكر بعض مناسبات تسمية السور، كتسميتها بأشهر ما فيها، أو بما تكرّر الحديث عنه فيها كثيرًا، إلى أن قال: "واعلم أنّ تسمية سائر سور القرآن يجري فيها من رعي التسمية ما ذكرنا"⁽¹⁾.

وقد ظهر للبقاعي أنّ: "اسم كلّ سورة مترجمٌ عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيءٍ تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه"⁽²⁾. وكان ممّا ذكر في كتابه «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور»: بيان مناسبة اسم كلّ سورة لمقصودها؛ ولذلك ذكر أنّه يصلح أن يُسمّى كذلك: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كلّ سورة للمسمّى"⁽³⁾.

وقرّر الشبوطي هذا النوع من المناسبات الذي ذكره البقاعي، فقال: "ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها"⁽⁴⁾. ومن أمثلته: مناسبة اسم سورة الرحمن لمقصودها، حيث قال البقاعي: "مقصودها بالذات إثبات الاتّصاف بعموم الرحمة ... وعلى ذلك دلّ اسمها الرحمن لأنّه العامّ الامتنان"⁽⁵⁾.

ب- مناسبات أجزاء السورة لنظامها:

المقصود بجزءٍ من السورة في هذا النوع من أنواع المناسبة: مفتتح السورة أو محتتمها أو مقطعٍ من مقاطع السورة، أو آية، أو جزء آية؛ قال البقاعي: "إنّ كلّ سورة لها مقصدٌ واحدٌ يدار عليه أوّلها وآخرها، ويُستدلُّ عليه فيها، فتُرتّب المقدمات الدّالة عليه، على اتقن وجهه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل، استدلّ عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلمّ حرّاً. فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداءً، ثمّ انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقّى غير الأوّل منيع"⁽⁶⁾.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 190-191.

(2) البقاعي، نظم الدرر، (18/1-19).

(3) البقاعي، مساعد النظر، (98/1).

(4) الشبوطي، الإتيان، (1862/5).

(5) البقاعي، نظم الدرر، (139/19).

(6) البقاعي، مساعد النظر، (149/1).

فكلام البقاعيّ ينبّه إلى ارتباط جميع أجزاء السّورة بمقصودها، وفيما يأتي بيانٌ لأنواع تلك المناسبات:

1- مناسبة مفتاح السّورة لنظامها:

صرّح الشّيوطيّ بالمناسبة بين مطلع السّورة ومقصودها، واعتبره من قبيل براءة الاستهلال⁽¹⁾.

ومعنى براءة الاستهلال: "أن يشتمل أوّل الكلام على ما يناسب الحال المتكلّم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله"⁽²⁾.

ومن شواهد هذا النوع: افتتاح سورة الرّحمن باسم الله "الرّحمن"، وفي ذلك يقول البقاعيّ: "فمقصودها بالذات إثبات الاتّصاف بعموم الرّحمة ... وصدّرها بالاسم الدالّ على عموم الرّحمة براءة استهلال"⁽³⁾.

2- مناسبة مختتم السّورة لنظامها:

من أنواع مناسبات النّظام المناسبة بينه وبين مختتم السّورة، ويُسمّى هذا النوع: حسن الختام، أو براءة الختم، أو براءة المقطع.

ومعنى براءة المقطع: "أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسّل أو الخطيب أو الشّاعر مستعدباً حسناً، لتبقى لذّته في الأسماع"⁽⁴⁾، وقال الشّيوطيّ: "هي أيضاً مثل الفواتح في الحُسن، لأنّها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمّنة للمعاني البديعة، مع إيدان السّامع بانتهاء الكلام، حتّى لا يبقى معه للنفوس تشوّفٌ إلى ما يُدكر بعد"⁽⁵⁾.

ومن شواهد هذا النوع من المناسبة: اختتام سورة الصّافات بقوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ

رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ (الصّافات: 180-182)؛ قال الرّحشريّ: "اشتملت السّورة على ذكر ما قاله المشركون في

(1) ينظر: الشّيوطيّ، تناسق الدرر، ص: 54.

(2) الشّيوطيّ، الإتيان، (5/1830-1831).

(3) البقاعيّ، نظم الدرر، (19/139-140).

(4) النويريّ، نهاية الأرب في فنون الأدب، (7/113).

(5) الشّيوطيّ، الإتيان، (5/1833).

الله ونسبوا إليه ممّا هو منزّه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما خوّله في العاقبة من النّصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عمّا وصفه به المشركون، والتّسليم على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين على ما قيّض لهم من حسن العواقب⁽¹⁾. وقال ابن عاشور: "وفي الانتقال من الآيات السّابقة إلى التّسبيح والتّسليم إيدانٌ بانتهاء السّورة على طريقة براعة الختم، مع كونها من جوامع الكلم"⁽²⁾.

3- مناسبة مقطعٍ من مقاطع السّورة أو آيةٍ أو جزء آيةٍ لنظام السّورة:

من مناسبات النّظام: مناسبة مقطعٍ من مقاطع السّورة له، أو مناسبة آيةٍ من السّورة أو جزء آيةٍ له، ومن شواهد هذا النّوع:

- مناسبة مقطعٍ من مقاطع السّورة لنظامها: مناسبة قوله تعالى في سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (33) ... لِكُلِّ لِمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿37﴾ (عبس: 33-37) لمقصود السّورة الذي هو التّخويف بالقيامة⁽³⁾، ومناسبة المقطع ظاهرة، بذكر بعض أهوالها.
- مناسبة آيةٍ من السّورة لنظامها: مناسبة قوله تعالى في سورة النّبأ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ سُبْحَانَ﴾ (النّبأ: 9) لمقصود السّورة الذي هو إثبات البعث؛ وهي تذكير النّوم والاستيقاظ منه بالموت والبعث بعده⁽⁴⁾.
- مناسبة كلمةٍ مكرّرةٍ في السّورة لمقصودها؛ كتكرار كلمة الصّبر سبع مرّاتٍ في سبع عشرة آيةٍ من سورة الكهف، ومقصود السّورة تبشير المؤمنين وحثّهم على الصّبر إلى أن يأتي وعد الله⁽⁵⁾.

ج- مناسبة موضوعات السّورة المتنوّعة لنظامها:

قد يلتبس هذا النّوع من المناسبة مع مناسبات المقاطع لنظام السّورة، والواقع أنّهما مختلفتان؛ لأنّ المقاطع قد تكون أحياناً كلّها في موضوعٍ واحدٍ، ويتناول كلّ مقطعٍ جزئيةً ما وجانباً ما من

(1) ينظر: الرّخشي، تفسير الكشّاف، ص: 917.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (199/23).

(3) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (249/21).

(4) ينظر: نفسه، (189/21).

(5) ينظر: سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسّور، ص: 302-303.

جوانب ذلك الموضوع.

قال سيّد قطب: "يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أنّ لكلّ سورةٍ من سوره موضوعٌ رئيسيٌّ أو عدّة موضوعاتٍ رئيسيّةٍ مشدودةٍ إلى محورٍ خاصٍ. ولها جوٌّ خاصٌ يظلّل موضوعاتها كلّها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معيّنة، تحقّق التّناسق بينها وفق هذا الجوّ، وهذا طابعٌ عامٌّ في سور القرآن جميعاً، ولا يشدُّ عن هذه القاعدة طوال السُّور" (1).

وتحديد المحور أو المقصود أمرٌ اجتهاديٌّ تختلف فيه الآراء كما هو معلومٌ، وكذلك المناسبات من التّفسير بالرّأي الذي يختلف باختلاف الأفهام وزوايا النّظر وغيرها من الاعتبارات.

ومن شواهد هذا النّوع من المناسبة: مناسبة موضوعات سورة البقرة وقصصها لمقصودها أو محورها. ومما قيل في مقصود سورة البقرة: أنّه بيان قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة، من خلال الدّلالة على القدرة على إحياء وإماتة الإنسان، والحيوان، والطّير، والنّبات، والقدرة على الإحياء والإماتة في الأعمال (الأعراض)، فهو القادر على إحياء جميع المخلوقات المادّيّة والمعنويّة وإماتتها، فتلك هي المناسبة التي ربطت بين جميع المقاطع - بموضوعاتها المختلفة - لخدمة مقصود السُّورة. (2)

ومما قيل في محور سورة البقرة أنّه: "يدور حول منهج خلافة الله في الأرض بين من أضعوه ومن أقاموه"، وأنّ هذا المحور يتناسب مع موضوعات السُّورة. (3)

وأما الباحثة بن حسن فترى أنّ محور سورة البقرة يدور حول تضمّن الكتاب - وهو القرآن الكريم - لمعالم التّقوى، وأنّ هذا المحور يتناسب مع موضوعات السُّورة وقصصها؛ فالسُّورة باختصارٍ افتتحت بالإشارة إلى الموضوع الرّئيس، ثمّ تحدّثت عن أصناف النّاس إزاء الكتاب الذي تضمّن معالم التّقوى (المتّقون، الكفّار، المنافقون)، ثمّ دعوةً للنّاس جميعاً ليلتحقوا بالصّنف الأوّل وهم أهل التّقوى، ثمّ قصّة الاستخلاف وبدء اختبار التّقوى، بنو إسرائيل كنموذجٍ لغير الأتقياء، ثمّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام كنموذجٍ لأهل التّقوى، ثمّ تفصيل معالم التّقوى في مختلف المجالات؛

(1) سيّد قطب، في ظلال القرآن، (27/1-28). بتصرّفٍ بالحذف.

(2) عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، ص: 11-12.

(3) نخبّة من علماء التّفسير وعلوم القرآن، التّفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، صدر عن: كليّة الدّراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشّارقة، الإصدار رقم: 102، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط: 1، 1431هـ/2010م، (28/1 وما بعدها)، وفيها بيان وجوه مناسبات المواضع لمحور السُّورة.

العبادات، الأسرة، المعاملات، فخاتمةً تنعطف على البدء.⁽¹⁾

المطلب الثاني: المناسبات بين السُور

تناول كثيرٌ من العلماء والباحثين المناسبات بين كلِّ سورتين متتاليتين، كما تناولوا بالبحث المناسبة بين مجموعةٍ من السُور؛ كالسَّبْع الطَّوَال، والسُّور ذوات المطالع المتشابهة كالحواميم، والمسِّحات، والمبتدئة بالحمد... إلخ، وأوّل من ألّف في تناسب السُّور هو أبو جعفر بن الرُّبَيْر الغرناطي كما سبق ذكره.

ويمكن تقسيم المناسبات بين السُّور إلى قسمين: مناسبات المطالع والمقاطع، ومناسبات الموضوعات والمضامين والمقاصد، وبيان ذلك في الآتي.

الفرع الأوّل: مناسبات المطالع والمقاطع

من صور تناسب السُّور تناسبها في المطالع والمقاطع، وبيان ذلك في الآتي.

أ- التَّنَاسُبُ بَيْنَ مَفْتَتِحِي السُّورَتَيْنِ:

من شواهد هذا النوع من المناسبة ما ذكره الزُّرْكَشِيُّ في مناسبة افتتاح سورة الإسراء بالتَّسْبِيح وسورة الكهف بالتَّحْمِيد، حيث قال: "لأنَّ التَّسْبِيحَ حيث جاء مقدّم على التَّحْمِيدِ، يقال سبحان الله والحمد لله"⁽²⁾.

ب- التَّنَاسُبُ بَيْنَ خَاتِمَتِي السُّورَتَيْنِ:

ذكر السُّيُوطِيُّ أنَّ من وجوه المناسبة بين السُّورَتَيْنِ في التَّنَالِي والتَّنَاسُقِ تآخِيهِمَا وتَشَابِهَهُمَا فِي المَقْطَعِ، حيث قال في تناسب الفاتحة والبقرة: "إنَّ سورة الفاتحة كما حُتِمَتْ بالدُّعَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ بَأَلَّا يُسَلِّكَ بِهِمْ طَرِيقَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ إجمالاً، حُتِمَتْ سورة البقرة بالدُّعَاءِ بَأَلَّا يُسَلِّكَ بِهِمْ طَرِيقَهُمْ فِي المُواخَذَةِ بِالخَطَا والنَّسِيَانِ، وَحَمَلِ الإِصْرِ، وَمَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ تَفْصِيلاً، وَتَضَمَّنَ آخِرَهَا أَيْضًا الإِشَارَةَ إِلَى طَرِيقِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُفَرِّقُوا﴾

(1) نورة بن حسن، التفسير الموضوعي: سورة البقرة أمودجًا، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 2001/2000م.

(2) الزُّرْكَشِيُّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 39.

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﷺ (البقرة: من الآية 285) ⁽¹⁾، فتآخت السورتان وتشابهما في المقطع، وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق ⁽²⁾.

ج- تناسب مطلع السورة ومقطع السورة التي قبلها:

يرى الشيوطيُّ أنّه من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وأنّه نوعٌ من البديع يُسمّى: تشابه الأطراف، ومثّل له باعتلاق سورة النساء بآل عمران، وذكر أنّ من وجوه ذلك الاعتلاق: أنّ آل عمران حُتّمت بالأمر بالتّقوى، وافتتحت النساء به ⁽³⁾.

وقرّر الزّركشيُّ وجوده بين كلّ سورتين متتاليتين، حيث قال: "وإذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدته في غاية المناسبة لما حُتّم به السورة قبلها، ثمّ هو يخفى تارةً ويظهر أخرى ... كافتتاح سورة الحديد بالتّسبيح فإنّه مناسبٌ لختام سورة الواقعة من الأمر به" ⁽⁴⁾، وكذلك قرّره البقاعيُّ فقال: "فسبحان من جعله متعانق المقاطع والمطالع" ⁽⁵⁾.

الفرع الثاني: مناسبات الموضوعات والمضامين والمقاصد

من صور تناسب السور تناسب موضوعاتها أو مضامينها أو مقاصدها، وبيانه في الآتي:

أ- التّناسب بين السورتين في الموضوع:

يرى العُمريُّ أنّ التّناسب في الموضوع هو الأصل والأساس في التّناسب بين السورتين ⁽⁶⁾. ورأيه هذا مبنيٌّ على القول بالوحدة الموضوعيّة في سور القرآن الكريم. ويرى إبراهيم خليفة أنّ المسلك العامّ في تطلّب المناسبة بين السور هو عقد المناسبة بين موضوع السورة السّابقة وموضوع السورة التي هي بصدد التّفسير، وهو بمثابة المناسبة بين رُوحي السورتين، فموضوع السورة هو الرّوح العامّة السّارية في كيان السورة، خلافاً للمسلك الخاصّ

(1) في «تناسق الدرر» ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 136)، والمثبت في المتن من طبعة الكتاب الأخرى: «أسرار

ترتيب القرآن»، وهو الصّواب (السيوطيُّ، أسرار ترتيب القرآن، ص: 62).

(2) السيوطيُّ، تناسق الدرر، ص: 70.

(3) ينظر: نفسه، ص: 76-77.

(4) الزّركشيُّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 38.

(5) البقاعيُّ، نظم الدرر، (248/21).

(6) العُمريُّ، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص: 16.

الذي يبحث في التّناسب بين أجزاء السُّورتين، كتناسب مطلع هذه ومقطع تلك، أو تناسب مفتحتيهما أو خاتمتيهما، أو آيتين منهما. كما يرى أنّه قد ذهل عن هذا المسلك العامّ أغلب المفسّرين، بل كافتهم في أغلب سور القرآن، وعقدُ المناسبة في هذا المسلك بين موضوعي السُّورتين هو ربطٌ بأوثق رباطٍ بين كافّة جزئيات هذه وكافّة جزئيات تلك، وهو ما يُبرز حقاً روعة القرآن وسُمُوّ إعجازه في هذا المجال.⁽¹⁾

ومن شواهد هذا النوع من المناسبات: تناسب سورة القيامة والسُّورة التي قبلها وهي المدثر، فكلتا السُّورتين تتحدّثان عن يوم القيامة⁽²⁾.

ب- التّناسب بين السُّورتين في المضمون:

من شواهد هذا النوع المناسبة بين مضموني الكوثر والماعون، قال الزّركشي: "ومن لطائف سورة الكوثر أنّها كالمقابلة للتي قبلها؛ لأنّ السّابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمرٍ أربعة: البخل وترك الصّلاة والرّياء فيها ومنع الرّكاة. فذكر هنا في مقابلة البخل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾⁽¹⁾ (الكوثر: 1) أي الكثير، وفي مقابلة ترك الصّلاة ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم عليها، وفي مقابلة الرّياء ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا للنّاس، وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَانْحَرِ﴾ وأراد به التّصدّق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة"⁽³⁾.

ويرى السيوطي أنّ تناسب السُّور في المضمون قاعدة استقرّ بها القرآن، حيث قال: "القاعدة التي استقرّ بها القرآن: أنّ كلّ سورة تفصيلٌ لإجمال ما قبلها، وشرحٌ له، وإطناؤٌ لإيجازه، وقد استقرّ معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها. وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة". ثمّ بيّن السيوطي كيف ذلك⁽⁴⁾.

(1) ينظر: إبراهيم خليفة، التفسير التحليلي لسورة النساء، ص: 89-90 (نقلاً عن: أحمد ماهر سعيد نصر، علم المناسبات في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية"، حولية كلية أصول الدّين والدّعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر، ع: 37، (د ت)، ص: 78).

(2) ينظر: الحمداي، علم المناسبة في سور القرآن وآيه، ص: 232.

(3) الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 38.

(4) السيوطي، تناسق الدرر، ص: 65 وما بعدها.

ج- التّناسب بين السّورتين في المقاصد:

مَن اعتنى ببيان تناسب السّور في مقاصدها البقاعيّ في كتابه: «نظم الدرر»، فهو يرى مقاصد سور القرآن الكريم متصاعدةً في معانيها، منسولةً من مقصود القرآن الأعظم.⁽¹⁾ ومن شواهد هذا النوع التّناسب بين مقصود الانشقاق ومقصود البروج، ووجهه: أنّ مقصود سورة البروج الدّلالة على القدرة على مقصود سورة الانشقاق، قال البقاعيّ: "مقصودها -يعني البروج- الدّلالة على القدرة على مقصود الانشقاق الذي هو صريح آخرها، من تنعيم الوليّ وتعذيب الشّققيّ، بمن عذّبه في الدّنيا، ممّن لا يمكن في العادة أن يكون عذابه ذلك إلّا من الله وحده، تسليّةً لقلوب المؤمنين وتثبيتاً لهم على أذى الكافرين"⁽²⁾.

وبعد بيان أنواع المناسبات يخطر بالذهن السّؤال التّالي: هل اتّفق العلماء على اعتبار علم المناسبة؟ وإذا اختلفوا فيه، فما محلّ الاختلاف؟ وما أسبابه؟ فيأتي المبحث التّالي للإجابة عن هذه التّساؤلات.

(1) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 157.

(2) البقاعيّ، نظم الدرر، (352/21).

المبحث الخامس: موقف العلماء من علم المناسبات

لمّا كان علم المناسبة منصرفاً إلى شقّين: تناسب الآي وتناسب السُّور، لزم تفصيل القول في كليهما؛ لتحديد محلّ الخلاف إن وجد.

كما يستدعي المقام الحديث عن موقف العلماء من ترتيب آي القرآن الكريم وسُوره، هل كان بالاجتهاد أم بالتوقيف؟ ومحاولة الكشف عن مدى ارتباط القول في ترتيب الآي والسُّور بالقول في تناسب الآي والسُّور، وتفصيل جميع ذلك في المطلبين الآتين.

المطلب الأوّل: ترتيب الآي والتناسب بينها

يتناول هذا المطلب التعريف بمذاهب العلماء في ترتيب الآي وفي تناسبها، والبحث في العلاقة بين القول بالتوقيف في ترتيب الآي والقول بتناسبها، وبيان ذلك في الآتي.

الفرع الأوّل: مذاهب العلماء في ترتيب الآي

سبق بيان حصول الإجماع على أنّ ترتيب آي القرآن الكريم توقيفي؛ كما حكاه الباقلاني، وابن الزبير الغرناطي، والزرّكشي، والسُّيوطي، والزرّقاني⁽¹⁾، ولم يُنقل خلاف في ذلك.

إلا أنّ كلام الشوكاني في التناسب يوحى بمخالفته للإجماع، حيث قال: "فأيّ معنى لطلب المناسبة بين آياتٍ نعلم قطعاً أنّه قد تقدّم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً، وتأخّر ما أنزله الله متقدّماً، فإنّ هذا عملٌ لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممّن تصدّى لذلك من الصّحابة، وما أقلّ نفع مثل هذا وأنزرته، وأحقر فائدته"⁽²⁾.

فالشوكاني يصرّح بأنّ ترتيب الآي على نحو ما هي عليه في المصحف الشريف من عمل الصّحابة، ولم يبيّن إن كان عن اجتهادٍ أو توقيفٍ! فهذا لوحده لا يكفي للدلالة على أنّه يخالف الإجماع، لولا ما أتبعه من الكلام، من تعليقه قلة نفع طلب التناسب، ونزرته، وحقارة فائدته، بأنّ ترتيب الآي كان من الصّحابة، ولو كان يعتقد أنّ مستندهم في ذلك هو عمل النّبّي صلّى الله عليه وسلّم، لما حقر فائدته؛ لأنّ ما كان من الوحي، لا بدّ أن يكون من ورائه الحكمة.

(1) ذُكر في أثناء الحديث عن المرحلة الأولى من مراحل علم المناسبة، وهي مرحلة: النشأة الأولى لعلم المناسبات (ص: 33).

(2) الشوكاني، فتح القدير، (73/1).

الفرع الثاني: مذاهب العلماء في تناسب الآي

للعلماء في تناسب الآي مذهبان:

أ- المذهب الأوّل: إنكار تناسب الآي

وهو مذهب الشوكاني، وخالصة رأيه في التناسب: أنه علمٌ متكلفٌ لم يكلفوا به ولا فائدة منه؛ وبالتالي هو ضياعٌ للأوقات، وأنه تكلمٌ بمحض الرأى المنهبي عنه، وجيء فيه بتكلفاتٍ وتعسّفاتٍ يتنزّه عنها كلام الله، وأنه من غير المعقول طلب المناسبة بين أجزاءٍ نزلت لأسبابٍ مختلفة، فالقرآن نفسه مختلفٌ لاختلافها؛ فالقرآن الكريم أنزل بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، والعرب تُنوع في فنون خطاباتها وأغراضها، وكما أنه لا يصحُّ طلب المناسبة بين كلام العربيّ البليغ الواحد في فنون الخطاب المتنوعة والأغراض المختلفة وفي المقامات المتعددة التي قد تستغرق عمره - وعدّ ذلك من حماقة واختلال العقل والعبث بالوقت والعمر - فذلك في كلام الله أولى، فإن لم تكن فائدة من بحث تناسبها بترتيب النزول فمن باب أولى لا فائدة من بحث تناسبها بترتيب الصحابة، الذي حصل فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وأن فيه مفسدةً عظيمةً، وهي فتح باب الشكِّ والريب على الجاهل، وقاصر الفهم، ومن في قلبه مرضٌ، الذي ظنَّ أنه لا بدَّ من مناسبةٍ حتى يكون القرآن معجزاً، وذلك إذا وقف على تكلفاتٍ وتعسّفاتٍ المتكلمين في بيانها.

وحكّم عليه في الأخير بأنه مفسدةٌ تعترّ في ساحاتها كثيرٌ من المحقّقين، وبسبب ذلك حتّى على تركه قائلاً: "فدع عنك هبّاً صيح في حجراته ... وهات حديثاً ما حديث الرّواحل".⁽¹⁾

وقد تابعه على كلامه كلُّ من محمّد بن عبد الله الغزنوي (ت: 1296هـ) في تعليقه على تفسير «جامع البيان في تفسير القرآن» للإيجي، ومحمّد السيّد صديق حسن الحسيني القنوجي (ت: 1307هـ) في تفسيره «فتح البيان في مقاصد القرآن»، حيث ذكر قوله دون أن يعزوا إليه أو يتعقّباه بشيء، وهو ما يوحى بموافقتهما له⁽²⁾؛ فالقول في كلام الشوكاني قولٌ في كلامهما. والذي يظهر من كلام الشوكاني أنه ينكر التناسب، ولكن الأمر الذي يعترض قوله هو عمله نفسه في تفسيره؛ فقد ذكر فيه بعض المناسبات، على سبيل المثال: رنطه بين قوله تعالى:

(1) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، (72/1-73).

(2) آل هوبل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، ص: 120.

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (52) (النحل: 52) وبين الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهِبُونَ ﴾ (51) (النحل: 51)، حيث قال: "ثمّ لما قرّر سبحانه وحدانيّته، وأنّه الذي يجب أن يُخصَّ بالرهبة منه والرغبة إليه، ذكر أنّ الكلّ في ملكه وتحت تصرّفه فقال: ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، وهذه الجملة مقرّرة لمن تقدّم في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ (النحل: 49) - إلى آخره" (1).

بل ويجعل المناسبة قرينةً يعتمدها في التّرجيح، حيث قال في تفسير الآية 11 من سورة الأنفال: "﴿ يَغْشَىٰكُمْ ﴾ هي قراءة نافع وأهل المدينة، على أنّ الفاعل هو الله سبحانه. وهذه القراءة هي المطابقة لما قبلها، أعني قوله: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ولما بعدها، أعني: ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ ﴾ فيتشاكل الكلام ويتناسب" (2).

وإنكار الشّوكائيّ للتّناسب مبنيٌّ على أسبابٍ عديدةٍ منها - كما سبق بيانه - اعتقاده أنّ ترتيب الآي اجتهادٌ من الصّحابة، وإنّ ثبت عنه ذلك الاعتقاد حقّاً؛ ففي موقفه تناقضٌ ظاهرٌ؛ إذ كيف له أن يخوض في التّناسب والترتيب من فعل الصّحابة؟! فقد صنع أكثر من صنيع من أنكر عليهم؛ لأنهم على أقلّ تقديرٍ يعتقدون بالتّوقيف في ترتيب الآي، فإنّ كان ينكر منهم غرضهم من الخوض فيه وهو إثبات إعجاز القرآن، فيتوجّه غرضه هو بأنّه يرمي إلى تعليل ترتيب الصّحابة للآي، وبيان الأسس التي اعتمدها في ترتيبه، لا أنّه من الإعجاز القرآنيّ، وهذا بعيدٌ. وقيل في تأويل صنيعه هذا: إنّهُ يُنكر التّكلف في طلب المناسبات فقط، لا أنّه ينكره كُليّةً، بدليل أنّه تناول المناسبات في تفسيره (3). وهذا ليس صحيحاً؛ فهو ينكره لأسبابٍ أخرى زائدة على التّكلف، كما سبق ذكرها من كلامه.

(1) الشّوكائيّ، فتح القدير، (168/3)، وينظر مثلاً آخر وهو في بيان مناسبة الآيات (46-56) من سورة الزخرف لما قبلها، (558/4).

(2) نفسه، (290/2-291)، وينظر مثلاً آخر وهو في تفسير الواو من الآية 5 من سورة القصص والتّرجيح بالمناسبة (159/4).

(3) قول محمّد عناية الله سبحانه (سبحاني، إمعان النّظر في نظام الآي والسُّور، ص: 36-42)، ونور الدّين عتر (نور الدّين عتر، علم المناسبات وأهمّيّته في تفسير القرآن الكريم، ص: 92)، وآل هومل (آل هومل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، ص: 126).

وبناءً على ما سبق؛ فإنّ تناوله للمناسبات في تفسيره تناقضٌ ظاهرٌ، قد يكون هفوةً من هفواته وكبوةً لجواده، وجلّ من لا يخطئ - سبحانه وتعالى -.

وقيل: ربّما كان حديثه عن المناسبة في أوّل الأمر في بداية التفسير، ولم تُمكّنهُ المدّة الطويلة الّتي ألّف فيها تفسيره من مراجعته بعد الانتهاء منه⁽¹⁾، وهو احتمالٌ واردٌ.

وأما الفرضيّة الّتي أطرحها، فهي: أنّه لا يكون في قوله تعارضٌ أساساً؛ وذلك بأنّه بيّنُ تناسب الآيات الّتي نزلت جملةً واحدةً، سواءً كانت هذه الآيات سوراً تامّةً، أم مقاطع من السور، أو يبحث حتّى في مناسبات الآية الواحدة. أمّا إن نزلت الآيات أو المقاطع متفرّقةً كما صرّح به، فإنّه لا يبحث في تناسبها، وحينئذٍ لا يكون تناقضٌ في كلامه، وهو ما أميل إليه لولا أنّ هذا الأمر يحتاج إلى دراسةٍ استقرائيّةٍ في عمل الشوكانيّ، ولعلّها تكون باب بحثٍ يتناوله الباحثون.

وقد وقفتُ على كثيرٍ من المواضيع في تفسيره يتحدّث فيها عن التّناسب بين أجزاء الآية الواحدة، سواءً كانت كلماتٍ أم جملاً⁽²⁾، ويبقى الأمر في حاجةٍ إلى دراسةٍ استقرائيّةٍ. ووقفتُ فيما بعدُ على مقالٍ لمحمّد آيدين نحى فيه إلى مثل هذه الفرضيّة، وبما أنّه يظهر الاتّفاق بيننا في الفكرة، وهو ما يدعم إمكانيّة صحّتها؛ فإنّي أذكرها بنصّها، حيث قال: "وكلام الشوكانيّ هذا يُحمل على المقاطع المنفصلة، أمّا المقطع الواحد فلا يُنكر وجود التّناسب فيه، ولا طلبه"⁽³⁾.

ب- المذهب الثّاني: إثبات تناسب الآي

وهو مذهب القائلين بالتّوقيف في ترتيب الآي، ولم أقف على مخالفٍ منهم في إثبات المناسبات بينها، وإنّما اختلافهم في هل يُشترط ويُطلب في جميع الآي؟! فانقسموا إلى طائفتين:

1- الطائفة الأولى: تُثبت التّناسب في جميع آي القرآن العظيم، وتحتُّ على بحثه فيها جميعاً،

(1) ذكر هذا الاحتمال آل هومل (آل هومل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، ص: 126).

(2) ينظر على سبيل المثال: تفسير الآية 13 من سورة البقرة (الشوكانيّ، فتح القدير، 43/1)، والآية 136 من سورة النساء (524/1).

(3) محمّد آيدين (Muhammad AYDIN)، تأملات في المناسبات ودراسة تطبيقية من القرآن الكريم، sakarya universitesi ilahiyat fakültesi dergisi 17/2008، ص: 40.

وذلك لا يعني أنّها تدعو إلى التكلّف في إبرازها. ومن أعلام هذه الطائفة: الرّازي (ت: 606هـ)⁽¹⁾، ومحيي الدّين ابن عربيّ (ت: 638هـ)⁽²⁾، وأبو بكر النّيسابوري⁽³⁾، وابن النّقيب الحنفيّ (ت: 698هـ)⁽⁴⁾، وأبو حيّان الأندلسيّ (ت: 745هـ)⁽⁵⁾، والرّزكشيّ (ت: 749هـ)⁽⁶⁾، ووليّ الدّين الملوّيّ (ت: 774هـ)⁽⁷⁾، والمخدوم المهائميّ (ت: 835هـ)⁽⁸⁾، والمشدائيّ (ت: 864هـ)⁽⁹⁾، والبقاعيّ (ت: 885هـ)، والفراهيّ (ت: 1349هـ)⁽¹⁰⁾، ومحمّد عبد الله درّاز (ت: 1377هـ)⁽¹¹⁾، وابن عاشور (ت: 1393هـ)⁽¹²⁾، وسعيد حوّي (ت: 1409هـ) الذي يعلّم البحث فيه من فروض العصر⁽¹³⁾، وغيرهم، وأكثرهم قد ورد كلامهم فيما سبق من المباحث، ومن لم يذكر قوله منهم فقد أحلت إلى مظانّه، وكذلك الحال مع أفراد الطائفة الثّانية.

2- الطائفة الثّانية: تُثبت تناسب الآي ولكن لا تشترطه في كلّ المواضع، ونهت عن التكلّف في طلبه في المواضع التي لا يكون فيها، وذلك مذهب سيّويه (ت: 180هـ)⁽¹⁴⁾، والعزّ بن عبد السّلام (ت: 660هـ)⁽¹⁵⁾، وعمل به السّيوطيّ (ت: 911هـ) في «قطف الأزهار»،

(1) الرّازي، التفسير الكبير، (139/7).

(2) محي الدّين ابن عربيّ، رحمة من الرّحمن، (14-13/1).

(3) ينظر: الرّزكشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 37.

(4) ابن النّقيب، مقدّمة تفسير ابن النّقيب، ص: 177.

(5) أبو حيّان الأندلسيّ، تفسير البحر المحيط، (103/1).

(6) ينظر: الرّزكشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 36-48.

(7) نفسه، ص: 38، البقاعيّ، نظم الدرر، (8-7/1)، السّيوطيّ، الإتقان، (5/1839-1838).

(8) المهائميّ، تبصير الرّحمن وتيسير المئان، ص: 3.

(9) البقاعيّ، نظم الدرر، (18-17/1).

(10) الفراهيّ، دلائل التّظام، ص: 5، 14.

(11) درّاز، الثّبا العظيم، ص: 194-195، 264.

(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (79/1، 81).

(13) سعيد حوّي، الأساس في التّفسير، (9/1).

(14) أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبيّ، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمّد الحزّاط، دار القلم، دمشق،

(628/3).

(15) الرّزكشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 37، ابن عبد السّلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص: 278.

حيث صرّح أنّه يبيّن فيه الخفيّ من مناسبات الآيات⁽¹⁾، وقال به طاهر الجزائريّ (ت: 1338هـ)⁽²⁾، وتابع فيه العزّ بن عبد السّلام كلٌّ من: مناع القطّان (ت: 1420هـ)⁽³⁾، وصبّحي الصّالح⁽⁴⁾. وعمل به من المفسّرين ابن عرفة (ت: 803هـ)⁽⁵⁾، ومحمود شكريّ الألوّسيّ (ت: 1342هـ)، وعنوان كتابه «منتهى العرفان والنقل المحض في ربط بعض الآي ببعض» يوحي بتبنيّه لهذا الرّأي. وعمل كثيرٌ من المفسّرين، سواءً من مدرسة الأثر كالتّبريّ وابن كثيرٍ، أم من مدرسة الرّأي أصحاب التّفاسير المختصرة كالزّمخشريّ، بما يتوافق مع هذا الرّأي، فلا يذكرون المناسبات في كلّ موضعٍ قصداً للاختصار، ويذكرونها في المواضع التي تُحتّم فيها الدّراسة الاحتكام للمناسبة⁽⁶⁾.

ومن نُقل عنه إنكارٌ وجهٍ من وجوه التّناسب، وهو ما يترتّب عليه إنكار التّناسب في مواضع كثيرةٍ من القرآن الكريم، أبو العلاء محمّد بن غانم، المعروف بالغانميّ (من أدباء القرن الخامس الهجريّ)⁽⁷⁾، وذلك بإنكاره التّخلّص.

والتّخلّص - كما ذكر ابن الأثير (ت: 637هـ) - هو: "الخروج من كلامٍ إلى آخر غيره بلطفيةٍ تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه"⁽⁸⁾، وعرفه الشّيوطيُّ بأنّه: "أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجهٍ سهلٍ يختلسه اختلاصاً، دقيق المعنى بحيث لا يشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع عليه الثّاني لشدّة الالتئام بينهما"⁽⁹⁾.

(1) جلال الدّين الشّيوطيّ، فطف الأزهار في كشف الأسرار، تح: أحمد بن محمّد الحمّادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، إدارة الشؤون الإسلاميّة، دولة قطر، ط: 1، 1414هـ/1994م، ص: 98.

(2) طاهر الجزائريّ الدّمشقيّ، التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن على طريق الإتقان، اعتنى به: عبد الفتّاح أبو غُدّة، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت-لبنان، ط: 3، 1412هـ، ص: 295، 297.

(3) مناع القطّان، مباحث في علوم القرآن، ص: 92.

(4) صبّحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 10، آب (أغسطس) 1977، ص: 152.

(5) ينظر: مصطفى محمّد الذهبيّ، التّفاسير والمفسّرون، (119/3).

(6) نور الدّين عتر، علم المناسبات وأهمّيّته في تفسير القرآن الكريم، ص: 82، 90.

(7) صلاح الدّين خليل بن أبيك الصّفديّ، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت-لبنان، ط: 1، 1420هـ/2000م، (194/20).

(8) ضياء الدّين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبّانة، دار نخضة مصر، الفجالة-القاهرة، ط: 2، (128/3).

(9) الشّيوطيّ، الإتقان، (1843/5).

وقد نقل ابن الأثير (ت: 637هـ) عن الغامّي قوله: "إنّ كتاب الله خالٍ من التخلُّص"، ووصف قوله بأنّه فاسدٌ، وردّ عليه بشواهد للتخلُّص من القرآن الكريم⁽¹⁾. وسبب إنكاره له هو ما فيه من التكلُّف⁽²⁾، وأنّ القرآن "إنّما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم⁽³⁾"، وهو ما يتنافى مع التّناسب، وتعقُّبه جلال الدّين السيوطي وغلّطه فقال: "وليس كما قال، ففيه من التخلُّصات العجيبة ما يُحير العقول"⁽⁴⁾.

الفرع الثالث: أثر القول في ترتيب الآي في القول في تناسبها

يتبيّن من العرض السّابق لمواقف العلماء من ترتيب الآي ومن تناسبها، الارتباط بين القول في ترتيب الآي والقول في تناسبها؛ حيث إنّ القائلين بالتّوقيف في ترتيب الآي هم المبتنون للتّناسب بينها، واختلفوا بعد ذلك في ثبوت التّناسب في جميعها وفي ثبوت أنواع من المناسبة. في حين أنّ القائلين باجتهاد الصّحابة في ترتيب الآي لا يثبتون التّناسب بينها، إلّا في الآي النّازلة جملةً واحدةً، وبذلك يتبيّن أنّ القول بتناسب الآي متوقّف على القول بالتّوقيف في ترتيبها إثباتاً ونفيّاً. فهل الأمر نفسه ينطبق على ترتيب السُّور والتّناسب بينها؟ ذلك ما سيتناوله المطلب الآتي.

المطلب الثّاني: ترتيب السُّور والتّناسب بينها

يتناول هذا المطلب التعريف بمذاهب العلماء في ترتيب السُّور وفي تناسبها. والواقع أنّ علماء التّفسير وعلوم القرآن قد اختلفوا في ترتيب السُّور هل هو بالتّوقيف أم بالاجتهاد؟ واختلفوا كذلك في القول بتناسب السُّور بين النّفي والإثبات، فاستوقفتني إشكاليّة أخرى متمثّلة في السُّؤال الآتي: هل هناك تلازمٌ بين القول بالتّوقيف في ترتيب السُّور والقول بتناسبها؟ فكان من المناسب للإجابة عن هذا التّساؤل مقابلة القائلين بالتّوقيف والقائلين بالاجتهاد بالقائلين بالتّناسب والمنكرين له، وهو ما سيأتي بيانه في الفروع الآتية.

(1) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، (128/3).

(2) ينظر: الرّكشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 42، السيوطي، الإتيان، (1843/5).

(3) عرّف ابن الأثير الاقتضاب بأنّه: "ضدّ التخلُّص" (ابن الأثير، المثل السائر، (121/3)، وأنّه: "قطع الكلام واستئناف كلامٍ آخر غيره بلا علاقةٍ تكون بينه وبينه" (نفسه، (139/3).

(4) السيوطي، الإتيان، (1843/5).

الفرع الأوّل: مذاهب العلماء في ترتيب السُور

للعلماء في ترتيب السُور ثلاثة أقوال:

أ- القول الأوّل: ترتيب السُور اجتهاداً من الصحابة

يرى أصحاب هذا القول أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَّضَ أمر ترتيب السُور إلى أمته بعده، فاجتهدوا في ذلك وأعملوا الأنظار. ونسبه ابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ) إلى جمهور العلماء، وتابعه في ذلك كلٌّ من الزركشي⁽¹⁾ والشيوطي⁽²⁾، ومن نقل عنهما. ومن أصحاب هذا القول: مالك بن أنس، وأبو بكر الباقلاني (ت: 403هـ)⁽³⁾، وجزم بهذا القول أحمد بن فارس (ت: 395هـ)⁽⁴⁾، وهو مذهب ابن جزّي الكلبّي (ت: 741هـ)⁽⁵⁾، وابن كثير (ت: 774هـ)⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾ وغيرهم من أهل العلم. ولهم في ذلك أدلّة، تنظر في مظانّها المُحال إليها، فالمقام هنا للوصف لا أكثر.

ب- القول الثاني: ترتيب السُور توقيفي

نسب هذا القول إلى الجمهور الألوسي (ت: 1270هـ)⁽⁸⁾، وذكر عبد الله محمد الصديق الغماري (ت: 1413هـ) أنّه الصّحيح عند عامّة السلف⁽⁹⁾، ونسبه إلى جمهور أئمّة المفسرين

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 181.

(2) الشيوطي، الإتيان، (405/2).

(3) ابن الزبير الثقفني، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 79، وينظر اختيار الباقلاني ومناقشته هذه المسألة في: الباقلاني، الانتصار للقرآن، (278/1-292).

(4) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 182، الشيوطي، تناسق الدرر، ص: 56.

(5) أبو القاسم، محمد بن أحمد بن جزّي الكلبّي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1415هـ/1995م، (7/1).

(6) أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السّلامة، دار طيبة، الرياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 2، 1420هـ/1999م، (29/1-30).

(7) البقاعي، نظم الدرر، (427/7)، (199/4).

(8) أبو الفضل، شهاب الدّين السيّد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء الثّراث العربي، بيروت، (26/1).

(9) الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص: 7.

المحقّقين: نور الدّين عتر⁽¹⁾، وإلى الجمهور عموماً وصحّحه: عادل بن محمّد أبو العلاء⁽²⁾، وكذلك مصطفى مسلم (ت: 1442هـ)⁽³⁾، ورجّحه فضل حسن عبّاس (ت: 1432هـ)⁽⁴⁾، وقال: إنّه مذهب الجمهور، ونفى عنهم القول بالاجتهاد الذي ذكره عنهم الشّيوطي⁽⁵⁾.

ومعنى التّوقيف: أنّ الصّحابة لمّا ألفوا القرآن أفوه عن علم أجمعوا عليه، وننتهي نحنُ إليه، وهو جواب مفتي المدينة ربيعة الرّأي (ت: 136هـ) لمن سأله عن سبب تقديم البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضْعُ وثمانون سورة⁽⁶⁾.

وأنّ مصدرَ هذا العلم هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، على ما كانوا يسمعون منه، كما قاله الإمام مالك الذي يذهب للتّوقيف في أحد قوليّه⁽⁷⁾، واختاره أبو جعفر النّخّاس (ت: 338هـ)⁽⁸⁾.

وأنّ النّبّي -صلّى الله عليه وسلّم- وقفه عليه جبريل -عليه السّلام- الذي وقفه عليه ربُّ العالمين؛ كما قاله أبو بكر الأنباري (ت: 304هـ)⁽⁹⁾، ومن المعاصرين عبد الحميد الفراهي (ت: 1349هـ)⁽¹⁰⁾، وقال أبو بكر الأنباري: "فمن أحرّ سورةً مقدّمةً، أو قدّم أخرى مؤخّرةً، فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغير الحروف والكلمات"⁽¹¹⁾، بل ذهب إلى أبعد من ذلك؛ فاعتبر أنّ من ربّب السّور بخلاف التّرتيب الذي دلّ عليه الأثر وأجمع عليه الصّحابة، فقد أفسد نظم القرآن،

(1) نور الدّين عتر، علم المناسبات وأهمّيّته في تفسير القرآن الكريم، ص: 70.

(2) ينظر: أبو العلاء، عادل بن محمّد، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسّور، ص: 26.

(3) مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعي، ص: 78.

(4) فضل حسن عبّاس، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمّان-الأردن، ط: 1، 1997م، ص: 461.

(5) نفسه، ص: 449.

(6) ذكر القرطبي أنّ ابن وهبٍ ذكره في جامعه (ينظر: أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السّنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1427هـ/2006م، 97/1)، وطرف الأثر: "سمعتُ ربيعةً يُسأل: لم قدّمت البقرة وآل عمران...".

(7) ينظر: نفسه، (98/1).

(8) الرّكشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 182.

(9) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (98/1).

(10) الفراهي، دلائل التّظام، ص: 13.

(11) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (98/1).

وكفر به، وردّ على محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حكاه عن ربّه تعالى⁽¹⁾.
 وأنّ القرآن على هذا الترتيب عند الله في اللّوح المحفوظ كما قاله الكرمانيّ (توفي نحو سنة: 505هـ)⁽²⁾، والبغويّ (ت: 516هـ)⁽³⁾، وشرف الدّين الطّبيّ (ت: 743هـ)⁽⁴⁾، ووليّ الدّين محمّد بن أحمد الملوّبيّ (ت: 774هـ)⁽⁵⁾. فهو بذلك ترتيبٌ ثابتٌ بالوحي كما قاله ابن الحصار الإشبيليّ (ت: 611هـ)⁽⁶⁾.
 ورجّح القول بالتوقيف ابنُ الرُّبَيْرِ الغرناطيّ (ت: 708هـ)⁽⁷⁾، والرُّزْكَشِيّ (ت: 794هـ) حيث اعتبر الخلاف لفظيًّا، ولكنّه في مقابل ذلك يُرجع ترتيب آل عمران والنساء إلى اجتهاد الصحابة، وأنّ ترتيبها وفق المصحف العثمانيّ أكمل⁽⁸⁾، ورجّحه من المعاصرين بازمول⁽⁹⁾، واختاره الشُّيُوطِيّ⁽¹⁰⁾، ومن المعاصرين: سامي عطا حسن⁽¹¹⁾، وانتصر له من المعاصرين صبحي الصّالح⁽¹²⁾.

ج- القول الثالث: بعضها توقيفيّ وبعضها اجتهاديّ

يميل القاضي ابن عطية الأندلسيّ إلى القول بالتوقيف في ترتيب السبع الطّوال والحواميم

- (1) ينظر: القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، (100/1).
- (2) محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط: 1، 1406هـ/1986م، ص: 24.
- (3) الحسين بن مسعود البغويّ، شرح السنّة، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمّد زهير الشّاويش، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط: 2، 1403هـ/1983م، (4/522).
- (4) الشُّيُوطِيّ، تناسق الدرر، ص: 57، الشُّيُوطِيّ، الإِتقان، (2/407)، وينظر: شرف الدّين الحسين بن عبد الله الطّبيّ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب، وهو حاشية الطّبيّ على الكشّاف، جائزة دبي الدّوليّة للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدّراسات، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط: 1، 1434هـ/2013م، (1/616).
- (5) الرُّزْكَشِيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 37، البقاعيّ، نظم الدرر، (1/7-8)، الشُّيُوطِيّ، الإِتقان، (5/1838-1839).
- (6) الشُّيُوطِيّ، نفسه، (2/410)، تناسق الدرر، ص: 57.
- (7) ابن الرُّبَيْرِ التّقفيّ الغرناطيّ، ملاك التّأويل، (1/90).
- (8) ينظر: الرُّزْكَشِيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 38، 181-185.
- (9) بازمول، علم المناسبات في السُّور والآيات، ص: 16، 33-34.
- (10) الشُّيُوطِيّ، تناسق الدرر، ص: 60-61.
- (11) سامي عطا حسن، المناسبات بين الآيات والسُّور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، دراسات: علوم الشّريعة والقانون، مجلّة علميّة محكمة، عمادة البحث العلميّ، الجامعة الأردنيّة، مج: 30، ع: 1، 2003م، ص: 15.
- (12) صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، ص: 71.

والمفصّل، وأنّ ما سواها ربّتها الصّحابة باجتهادهم⁽¹⁾.

ويرى ابن الزُّبير أنّ الآثار تشهد بأكثر ممّا نصّ عليه ابن عطية، وأنّ قليلاً فقط من السُّور يمكن أن يجري فيها الخلاف (ومع ذلك فهو يرجّح القول بالتّوقيف)⁽²⁾.

وأما البيهقيّ فيرى أنّ ترتيب كلّ السُّور توقيفيّ سوى الأنفال وبراءة⁽³⁾، وكذلك الأمر عند أبي بكر بن العربيّ (ت: 543هـ)⁽⁴⁾، وذكر الشُّيوطيّ أنّه انشرح صدره لمذهب البيهقيّ واختاره، ثمّ اختار بعده القول بالتّوقيف في جميع القرآن؛ لمّا منّ الله عليه بجوابٍ نفيسٍ - كما قال - لمسألة اختلاف مصحّفيّ أبيّ وابن مسعودٍ في ترتيب السُّور، وهو أنّ التّرتيب العثمانيّ هو الذي استقرّ في العرصة الأخيرة، ولم يبلغ ذلك ألبتة وابن مسعود⁽⁵⁾.

ومال إلى القول الثّالث من المُحدّثين عبد العظيم الزُّرقانيّ فقال: "ولعلّه أمثل الآراء"⁽⁶⁾.

ويرى ابن الزُّبير أنّ لا خلاف بين القول بالاجتهاد والقول بالتّوقيف على التّحقيق، فقد يصدر القولان من شخصٍ واحدٍ؛ فالإمام مالك القائل بأنّ ترتيب السُّور اجتهادٌ من المسلمين، هو نفسه القائل بأنّ الصّحابة - رضي الله عنهم - إنّما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ووجه الجمع بين القولين: أنّهم اجتهدوا فرتبوه على وفق ما كانوا يسمعون منه صلّى الله عليه وسلّم؛ فصار الخلاف: هل ذلك بتوقيفٍ قوليٍّ أو بمجرد استنادٍ فعليّ، بحيث بقي لهم فيه مجالٌ للنّظر؟ فهذا موضع الخلاف، وإن كان مستندهم السّماع فقيم أعمال الأنظار؟ وأجاب عنه ابن الزُّبير من خلال حديث حذيفة - رضي الله عنه -: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا..."

(1) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (50/1).

(2) ينظر: ابن الزُّبير التّفقيّ، الرهان في تناسب سور القرآن، ص: 81-82.

(3) ينظر: الشُّيوطيّ، أسرار ترتيب القرآن، ص: 43، الشُّيوطيّ، تناسق الدرر، ص: 57، الشُّيوطيّ، الإِتقان، (408/2).

(4) أبو بكر، محمّد بن عبد الله المعروف بابن العربيّ، أحكام القرآن، تح: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 3، 1424هـ/2003م، (446/2).

(5) الشُّيوطيّ، الإِتقان، (411/2)، الشُّيوطيّ، تناسق الدرر، ص: 60-61.

(6) الزُّرقانيّ، مناهل العرفان، (290/1).

الحديث⁽¹⁾، قال: "فتقدّمه النساء تارةً وتارةً آل عمران كان من أجل التوسعة على الأمة، واجتهاد الصحابة كان بمراعاة ما كان من فعله الأكثر. والله اعلم"⁽²⁾.

وتأول بعض العلماء فعل النبي صلى الله عليه وسلم، بعدم وجوب ترتيب السور في الصلاة، وإنما يجب ذلك في المصحف؛ لقول عائشة رضي الله عنها لعراقيّ طلب مصحفها ليؤلف القرآن عليه: "وَمَا يَضُرُّكَ أَيُّهُ قَرَأَتْ قَبْلُ؟"⁽³⁾⁽⁴⁾، وقال السيوطي: "فلعلّه فعل ذلك لبيان الجواز"⁽⁵⁾.

وتأول بعض العلماء ما روي من اختلاف مصاحف أبيّ وعليّ وعبد الله بن مسعود في ترتيب السور⁽⁶⁾، أنه إنما كان قبل العرض الأخير، وأن النبي صلى الله عليه وسلم رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك.⁽⁷⁾

وذهب البقاعي إلى رأي آخر، هو الآخر فيه توفيق بين الآراء، وهو أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة، وأن الله تعالى وقّهم قدرًا إلى الترتيب الذي رضي له لكتابه الحكيم شرعًا وقدّرًا، فحينئذ لا يُنتزع الوصف برئانية الترتيب لاجتهاد الصحابة، وبذلك يكون الخلاف صورياً فقط.⁽⁸⁾

(1) أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيريّ النيسابوريّ، صحيح مسلم المسمّى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: أبو قتيبة نظر محمّد الفارابي، دار طيبة، الرياض، ط: 1، 1427هـ/2006م، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، حديث رقم: 203- (772)، (351/1).

(2) ينظر: ابن الزبير الثقفّي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 79-80.

(3) أبو عبد الله، محمّد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط: 1، 1423هـ/2002م، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم: 4993، ص: 1277، وينظر: ص 257 من هذه الأطروحة، الحاشية رقم 3.

(4) ينظر: القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، (99/1).

(5) السيوطيّ، الإتقان، (411/2).

(6) ينظر: الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 183، السيوطيّ، نفسه، (406/2).

(7) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، (98/1).

(8) سيأتي بيان رأي البقاعيّ في ترتيب السور وتناسبها في المبحث الرابع من الفصل الخاصّ بالبقاعيّ وكتابه «نظم الدرر»، وينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (199/4)، (427/7).

الفرع الثاني: مذاهب العلماء في تناسب السُّور

للعلماء في تناسب السُّور مذهبان: الإثبات والإنكار.

أ- المذهب الأوّل: إثبات التَّناسب بين السُّور

أثبت التَّناسب بين السُّور جمعٌ من العلماء وتنوّع تعاملهم معه؛ ومن هؤلاء الأعلام الزُّركشي (ت: 749هـ) في كتابه «البرهان»، وحثّ على البحث في تناسب السُّور كلٌّ من وليّ الدِّين المَلَوِيّ المنفلوطي (ت: 774هـ)، وأبي بكر التِّيسابوري⁽¹⁾.
وبحث عن المناسبات بين بعض السُّور كلٌّ من ابن بَرَّجان (ت: 536هـ)⁽²⁾، والرّازي (ت: 606هـ)⁽³⁾، وأبي الحسن الحرّاليّ المغربي (ت: 637هـ أو 638هـ)⁽⁴⁾، ومحمّد عليّ الصّابوي (ت: 1442هـ) في «صفوة التّفاسير»⁽⁵⁾.

وطائفةٌ أخرى من العلماء بحثت تناسب جميع السُّور، أذكر منهم: ابن الزُّبير الغرناطي (ت: 708هـ) في «البرهان في تناسب سور القرآن»، وبرهان الدِّين البقاعي (ت: 885هـ) في «نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور»⁽⁶⁾، والسُّيوطي (ت: 911هـ) في «تناسق الدرر في تناسب السُّور»، وحكيم شاه القزويني (ت: 920هـ) في «ربط السُّور والآيات»، وأشرف عليّ التّهانويّ الهندي (ت: 1362هـ) في «سبق الغايات في نسق الآيات»⁽⁷⁾، وعبد الله محمّد الصّديق العُماري (ت: 1413هـ) في «جواهر البيان في تناسب سور القرآن»، ووهبة الرُّحيلي

(1) ينظر: الزُّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 37-39، البقاعي، نظم الدرر، (7/1-8)، السُّيوطي، الإتقان، (5/1838).

(2) ينظر: تفسير ابن بَرَّجان، مقدّمة التّحقيق والدِّراسة، (1/32-33)، مصطفى محمّد الدّهني، التّفاسير والمفسِّرون، (3/349-350).

(3) محمّد حسين الدّهني، التّفاسير والمفسِّرون، (1/251).

(4) عبد الرّؤوف المناوي، الكواكب الدرّيّة في تراجم السّادة الصّوفيّة أو طبقات المناوي الكبرى، حقّقها وقَدّم لها وعلّق حواشيها: دكتور عبد الحميد صالح جمّدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، (د ط ت)، (2/123).

(5) ينظر على سبيل المثال: تناسب سورة البقرة مع آل عمران (محمّد عليّ الصّابوي، صفوة التّفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط: 4، 1402هـ/1981م، 1/182)، وسورة الإنسان مع الرسائل (نفسه، 3/501).

(6) البقاعي، نظم الدرر، (1/2).

(7) أشرف عليّ التّهانوي (ت: 1362هـ)، سبق الغايات في نسق الآيات، تحقيق ودراسة من أوّله إلى خمسين آيةً من سورة البقرة، إعداد: أسامة عبد الرّحمن المراكبي، صدر عن: جامعة الأزهر، كليّة أصول الدِّين والدّعوة الإسلاميّة بالمنوفيّة، دار الأندلس للطباعة (مستلّة من حوليّة كليّة أصول الدِّين والدّعوة بالمنوفيّة، ع: 34، عام: 2014م)، ص: 4.

(ت:1436هـ) في «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج»، وسعيد حوى (ت:1409هـ) في «الأساس في التفسير»⁽¹⁾.

وأجاز ابن عاشور التّناسب بين السُّور، وأنكر أن يكون البحث فيه واجباً على المفسّر، وكشف عن المناسبة بين بعض السُّور⁽²⁾. وكذلك أجاز صبحي الصّالح وأنكر أن يكون في جميع سور القرآن الكريم⁽³⁾.

ب- المذهب الثاني: إنكار التّناسب بين السُّور

وهو مذهب من أنكر تناسب الآيات من بابٍ أولى، ومنهم الشُّوكاني ومن تابعه على مذهبه، وكثير من المفسّرين من مدرسة الرّأي ومدرسة الأثر لم يتناولوا الحديث عن تناسب السُّور مطلقاً، ومع ذلك لا يمكن الحكم عليهم بإنكار تناسبها، فعدم الفعل لا يعني الإنكار كما هو مقرّر.

الفرع الثالث: أثر القول في ترتيب السُّور في القول في تناسبها

يرى الرّكشي أنّ طلب أوجه الاتّصال بين السُّور مبنيٌّ على أنّ ترتيب السُّور توقيفيٌّ⁽⁴⁾. وبعد الاطّلاع على مذاهب العلماء في ترتيب السُّور وعلى مواقفهم من طلب تناسبها، تبين لي أنّ تبنيّ القول بالتّوقيف في ترتيب السُّور لا يلزم منه تبنيّ القول بطلب التّناسب بينها، كما هو الحال مع ابن عاشور على الأقلّ في القسم الذي أثبت فيه التّرتيب التّوقيفيّ، وصرّح بذلك صبحي الصّالح حيث قال: "أمّا التماس أوجه التّرابط بين السُّور-على ما فيه من تعسفٍ وتكلفٍ- فهو مبنيٌّ على أنّ ترتيب السُّور توقيفيٌّ، ولهذا انتصرنا وعليه عولنا، إلا أنّ ترتيب السُّور التّوقيفيّ لا يستلزم حتماً أن يكون بين كلّ سورةٍ سابقةٍ وكلّ سورةٍ لاحقةٍ أوامرٌ قرّبيٌّ"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: فضل حسن عبّاس، التفسير والمفسّرون أساسياته وأبجدياته ومناهجه في العصر الحديث، دار النّفائس، عمّان، الأردن، ط:1، 1437هـ/2016م، (3/54-60).

(2) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (1/8)، وسيأتي بيان مذهب ابن عاشور في تناسب السُّور وموقفه من ترتيبها في المبحث الخامس من الفصل الخاصّ بابن عاشور وكتابته «التّحرير والتّنوير».

(3) ينظر: صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، ص:151-152.

(4) ينظر: الرّكشي، البرهان في علوم القرآن، ص:38.

(5) ينظر: صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، ص:151-152.

كما أنّ القول بالاجتهاد في ترتيب السُّور لا يلزم منه تبني القول بنفي تناسب السُّور، كما هو الحال مع البقاعيّ، قال ابن الزُّبير الغرناطيّ: "ومن ظنَّ مَنْ اعتمد القول بأنَّ ترتيب السُّور اجتهادٌ من الصَّحابة، أمَّهم لم يراعوا في ذلك التَّناسب والاشتباه، فقد سقطت مخاطبته، وإلاّ فما المُراعى وترتيب النُّزول غير ملحوظٍ في ذلك بالقطع؟ بل هذا معلومٌ في ترتيب آي القرآن الواقع ترتيبها بأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقيفه بغير خلافٍ"، ثمَّ قال: "ألا ترى أنّ سورة البقرة من المدنيّ وقد تقدّمت سور القرآن بتوقيفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّحيح المقطوع به، وتقدّم المدنيّ على المكِّيّ في ترتيب السُّور والآي كثيرٌ جدًّا، فإذا سقط تعلق المكان بترتيب النُّزول لم يبق إلاّ رعي التَّناسب والاشتباه، وارتباط⁽¹⁾ النَّظائر والأشباه. وتدبر بعقلك وضوح ذلك في عدّة سور كالأنفال وبراءة، والطلاق والتَّحريم..."⁽²⁾.

هذا، وإنّ القول باجتهاد الصَّحابة في ترتيب السُّور، من غير توقيفٍ قوليّ أو استنادٍ فعليّ من الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقتضي أنّ من طلب المناسبة بناءً عليه فإنَّه لا يكون غرضه بيان إعجاز النَّظم القرآنيّ، وإنَّما غاية ما يدلُّ عليه هو الأسس والمعاني التي بنى عليها الصَّحابة ترتيبهم لسُّور القرآن، وحينئذٍ لا يكون فيه كثير فائدة.

وخلاصة ما سبق، في بيان الاجتهاد أو التَّوقيف في ترتيب الآي والسُّور وعلاقته بالتَّناسب:
أنَّ الموقف من المناسبات مرتبطٌ إلى حدِّ ما بالموقف من ترتيب القرآن الكريم، وليس مبنياً عليه بالكلية كما هو مذهب الزُّركشيّ ومن تابعه، فالقول بالتَّوقيف لا يعني بالضرورة إثبات التَّناسب وطلبه، وأكثر القائلين به يثبتون التَّناسب في الآي والسُّور ويطلبونه، كما أنّ القول بالاجتهاد لا يعني بالضرورة ترك طلب التَّناسب، وأكثر القائلين به - وذلك في ترتيب السُّور خاصّةً - لا يبحثون التَّناسب بينها، مع اختلافهم في جوازه أو إنكاره مطلقاً.

ومن أجل تسهيل استيعاب علم المناسبات أكثر، وتحصيل زاده النَّظريّ والتَّطبيقيّ؛ أذكر في المبحث الآتي بعض المصنّفات فيه، ليرجع إليها من أراد طلب هذا العلم.

(1) في الأصل: "وارتبط"، ويبدو أنّه من أخطاء الطِّباعة، والمثبت في المتن هو الأنسب.

(2) ابن الزُّبير القففيّ، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 81.

المبحث السادس: أشهر المصنّفات في المناسبات

قبل ذكر الكتب المفردة في المناسبات لا بأس من ذكر الكتب الأخرى التي تضمّنت الحديث عن المناسبات تنظيراً أو تطبيقاً أو كليهما، فأذكر هنا ما تيسّر لي الوقوف عليه، لأنّه من غير الممكن الإحاطة بجميعها.

المطلب الأوّل: كتب علوم القرآن التي تذكر المناسبات

تناول كثيرٌ من المؤلّفين في علوم القرآن علم المناسبات ضمن أنواع علوم القرآن، فأذكر منهم مرتّبين بحسب تاريخ وفياتهم إلّا من لا يزال حيّاً:

• كمال الدّين محمّد بن عليّ الرّمّلكانيّ (ت: 727هـ) في كتابه «البرهان في إعجاز القرآن»⁽¹⁾.

• الرّكشيّ (ت: 749هـ) في «البرهان في علوم القرآن»، حيث اعتبر معرفة المناسبات بين الآيات النّوع الثّاني من أنواع علوم القرآن⁽²⁾، وفصّل الحديث عن علم المناسبة نظريّاً مع تناول نماذج تطبيقية؛ عرّف المناسبة في اللّغة والاصطلاح، وتحدّث عن أنواعها، وعن فضل علم المناسبة وفائدته، ودقّته وقلة اعتناء العلماء به، ومواقف بعض العلماء منه، وعن بعض المصادر المعتمدة ببيانها، وحكم طلب المناسبات.

• الشّيوطيّ (ت: 911هـ) في «الإتقان في علوم القرآن»، تناول مناسبات الآيات والسُّور ضمن أنواع علوم القرآن، ونظّر لها معتمداً على كلام الرّكشيّ مع بعض ما يضيفه هو، وجعلها النّوع الثّاني والسّتين من أنواع علوم القرآن⁽³⁾، وفي «معترك الأقران في إعجاز القرآن» اعتبر مناسبة آيات القرآن وسوره وارتباط بعضها ببعض الوجه الرّابع من وجوه إعجاز القرآن العظيم، وذكر فيه ما ذكر في الإتقان⁽⁴⁾، وطبّق لهذا العلم في كتابه «أسرار التّنزيل» أو «قطف الأزهار في كشف الأسرار» الذي جمع فيه كلام العلماء في النّظم

(1) عبد القاهر الحوري، المناسبات في تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان، ص: 69.

(2) الرّكشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 36.

(3) ينظر: الشّيوطيّ، الإتقان، (1836/5 وما بعدها).

(4) ينظر: الشّيوطيّ، معترك الأقران، (43/1 وما بعدها).

القرآنيّ، ويبيّن فيه مناسبة ترتيب السُّور والخفيّ من مناسبات الآيات⁽¹⁾، وقال عنه: "وكتابي اللّذي صنّفته في أسرار التّنزيل كافلٌ بذلك، جامعٌ لمناسبات السُّور والآيات، مع ما تضمّنه من بيان جميع وجوه الإعجاز، وأساليب البلاغة"⁽²⁾.

- ابن عَقِيْلَة (ت: 1150هـ) في «الزّيّادة والإحسان في علوم القرآن»، ابتناه على برهان الزّركشيّ وإتقان السُّيوطيّ وزاد عليهما.
- طاهر الجزائريّ (ت: 1338هـ) في «التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن عن طريق الإِتقان»، جعل الفصل الثّاني عشر منه في معرفة المناسبات بين الآيات وما يتعلّق بذلك، وتحدّث فيه عن المناسبة بين السُّور.⁽³⁾
- الزّرقانيّ (ت: 1367هـ) في «مناهل العرفان»، جعل الخاصّة الرّابعة من خصائص أسلوب القرآن: جودة سبكه وإحكام سرده، وتحدّث فيها عن المناسبات، ومثّل بتناسب آيات سورة الفاتحة⁽⁴⁾، كما اعتبر طريقة تأليف القرآن وانتظامه ووحدته وترابطه وانسجامه، على الرّغم من أنّه أنزل منجّماً على غير ترتيبه في المصحف، الوجه الثّاني من وجوه إعجازه.⁽⁵⁾
- محمّد عبد الله دراز (ت: 1377هـ) في «النّبأ العظيم»، وهو كتابٌ لإثبات أنّ القرآن من الله تعالى، تحدّث في آخره عن نظام عقد المعاني في سورة البقرة.⁽⁶⁾
- منّاع القطّان (ت: 1420هـ) في «مباحث في علوم القرآن».⁽⁷⁾
- فضل حسن عبّاس (ت: 1432هـ) في «إتقان البرهان في علوم القرآن»، جعل علم المناسبات الفصل الثّاني والعشرين من كتابه.⁽⁸⁾
- مصطفى مسلم (ت: 1442هـ) في «مباحث في التّفسير الموضوعيّ»، تحدّث فيه عن

(1) السُّيوطيّ، قطف الأزهار، ص: 95، 98.

(2) السُّيوطيّ، الإِتقان، (5/1836).

(3) طاهر الجزائريّ، التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن، ص: 294-305.

(4) الزّرقانيّ، مناهل العرفان، (2/248-250).

(5) نفسه، (2/265-268).

(6) دراز، النّبأ العظيم، ص: 204 وما بعدها.

(7) منّاع القطّان، مباحث في علوم القرآن، ص: 91-94.

(8) فضل حسن عبّاس، إتقان البرهان، (2/282-292).

علم المناسبات وعن علاقته بالتفسير الموضوعي، وطبق لها عملياً، ومما قاله في ذلك: "من المهم أن نلّم أولاً بأطراف ما قيل في علم المناسبات بين الآيات في السورة الواحدة، وبين السور بعضها مع بعض، لتكون على بينة في هذا الأمر، ولكي نضعه في الحسبان عندما نحاول تفسير السورة تفسيراً موضوعياً"⁽¹⁾.

- فهد الرومي في «دراسات في علوم القرآن الكريم»⁽²⁾.
- محمّد بن عمر سالم بازمول في «تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة ويليها التناسق الموضوعي في السور القرآنية»⁽³⁾.
- صلاح أحمد القبندي في «مفاتيح سور القرآن الكريم بطاقات في تعريف سور القرآن الكريم»⁽⁴⁾، فيه ذكر لمناسبات السور، وفيه بيان للمحور الرئيسي لكل سورة ولقاطعها.

المطلب الثاني: كتب التفسير التي تذكر المناسبات

إن كان ورداً أن لا يُعنى كتاب في التفسير بمناسبات السور؛ فإنه من الصعب جداً أن يُقصى كتاب في التفسير من قائمة الكتب التي تُعنى بذكر تناسب الآيات ولو جزئياً؛ ولذلك فإنه ليس المقصود هنا استيعاب جميع الكتب، وإنما أذكر بعض التي تظهر فيها المناسبات، دون إعادة ذكر التفاسير المذكورة آنفاً في إطار مراحل تطوّر علم المناسبات، ومن تلك التفاسير، مرتبةً بحسب تواريخ وفيات أصحابها:

- تفسير أبي الحسن عليّ بن أحمد التّجيبّي الحرايّي المغربيّ (ت: 637هـ أو 638هـ)، قال المناوي: "أبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول وتحار فيه الفحول... لكنّه لم يتمّ"⁽⁵⁾. ونقل منه البقاعي في تفسيره ما أعجبه من مناسبات الجزء الذي اطلع

(1) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 57.

(2) فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص: 445-453.

(3) محمّد بن عمر سالم بازمول، تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، ويليها: التناسق الموضوعي في السور القرآنية، سلسلة دراسات قرآنية (10)، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الصنوبر البحري- المحمدية، الجزائر العاصمة، ط: 1، 1439هـ/2018م.

(4) صلاح أحمد القبندي، مفاتيح سور القرآن الكريم بطاقات في تعريف سور القرآن الكريم، الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية جامعة، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، ط: 1، الإصدار: 120، 1437هـ/2016م.

(5) المناوي، الكواكب الدرزية، (2/123، 126).

- عليه، وهو في البقرة وجزء من آل عمران، مع عزوه إليه⁽¹⁾.
- «رِيّ الظَّمَان في تفسير القرآن» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المُرسِيّ السُّلَمِيّ (ت: 655هـ)، وهو تفسيرٌ كبيرٌ جدًّا، قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض⁽²⁾. وهو الآخر مثل كتاب ابن العريّ مندرجٌ فيما أُلّف في المناسبات في ظلّ علم ارتباط الآي، قبل أن يؤصّل لعلم المناسبات.
 - «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبيّ (ت: 671هـ)، يُعبّر فيه عن تناسب الآيات بوجه الاتّصال والنّظم⁽³⁾، ويبدو أنّه يقتصر على الآيات التي يخفى وجه نظمها، وأمّا لفظ التّناسب؛ فيعبّر به عن ذكر أمرٍ ما في موضعه، كذكر عبادةٍ مخصوصةٍ في الآية⁽⁴⁾، أو ختم الآية بصفةٍ ما من صفات الله تعالى⁽⁵⁾.
 - «التّحريز والتّحبير لأقوال أئمّة التّفسير في معاني كلام السّميع البصير» لابن النّقيب الحنفيّ (ت: 698هـ)⁽⁶⁾، ذكر البقاعيّ أنّه في نحو ستّين مجلّدًا، يذكّر فيه المناسبات بين الآيات لا بين جملها، وبين القصص لا بين جميع آياتها.⁽⁷⁾
 - «التّسهيل لعلوم التّنزيل» لابن جزيّ الكلبيّ (ت: 741هـ)، اهتمّ اهتمامًا بالغًا

(1) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (10/1). وقد حقّق تراث الحرّاليّ ابن عبد السّلام الخياط، وبين أنّه في التّفسير على قسمين: نظريّ وتطبيقيّ، أمّا التّظريّ ف: «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل»، و«عروة المفتاح»، و«التّوشية والتّوفية»، وأمّا التّطبيقيّ فكتابه في التّفسير وهو مفقود، وجمّع بعض نصوصه من تفسير البقاعيّ. (ينظر: تراث أبي الحسن الحرّاليّ المراكشيّ في التّفسير، 1- مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، 2- عروة المفتاح، 3- التّوشية والتّوفية، 4- نصوص من تفسيره المفقود، تصدير: محمد بن شريفة، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السّلام الخياطي، وهو ضمن: سلسلة تراث أبي الحسن الحرّاليّ المراكشيّ (1)، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المملكة المغربية، ط: 1، 1997/1418، مقدّمة المحقّق، ص: 8).

(2) ياقوت الحمويّ الرّوميّ، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت- لبنان، ط: 1، 1993م، (2547/6).

(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، (331/6)، (451/6)، (205/22)، (116/15)، وغيرها من المواضع.

(4) نفسه، (67-66/2).

(5) نفسه، (339/1)، (454/2)، وغيرها من المواضع.

(6) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 62.

(7) البقاعيّ، نظم الدرر، (10/1)، ووضع ابن النّقيب لتفسيره مقدّمةً في علم البيان والمعاني والبدع وإعجاز القرآن طُبعت مستقلّةً، وكانت قد طُبعت قبلها ونُسبت عن طريق الخطأ لابن القيم، تح عنوان: «الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن» (ابن النّقيب، مقدّمة تفسير ابن النّقيب، مقدّمة التّحقيق، ص: 5-6).

بالمناسبات بين الآيات والسُّور. (1)

- تفسير الحسن بن محمّد بن عبد الله الطَّيْبِيّ (ت: 743هـ)، أكثر فيه من تناسب الآيات والسُّور. (2)
- «البحر المحيط» لأبي حيّان الأندلسيّ (ت: 745هـ)، استعمل فيه كثيراً عبارة: "مناسبة هذه الآية لما قبلها" (3)، وعبارة: "مناسبة هذه السُّورة لما قبلها" (4)، وهو ما يفنّد ما يُنقل عنه من أنّه ينكر التَّناسب (5)، وقد صرّح في مقدّمة كتابه قائلاً: "ثمّ أشرع في تفسير الآية ذاكرةً سبب نزولها إذا كان لها سببٌ، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها" (6).
- «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» لنظام الدِّين النَّيسابوريّ (توفي قبل 750هـ (7))، أوّل فيه عنايةً كبيرةً بذكر المناسبة وربط اللّاحق بالسّابق (8)، وقال في خاتمة كتابه: "وكذا الكلام في بيان الرِّبّاطات والمناسبات بين السُّور والآيات ... فإنّ للخواطر والظُّنون فيها مجالاً، وللتّاس الأكياس في استنباط الوجوه والتّسبب هنالك مقالاً" (9).
- «تفسير القرآن العظيم» لابن كثيرٍ (ت: 774هـ)، اعتنى ببيان المناسبات، ومن الأنواع الّتي تناولها: المناسبة بين الآية والآية السّابقة لها (10)، والمناسبة بين المقاطع (11)، والمناسبة

(1) ينظر: محمّد قاسم الشّوم، علوم القرآن ومناهج المفسّرين، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط: 1، 1435هـ/2014م، ص: 149.

(2) عبد الحكيم الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنيّة، ص: 44.

(3) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: أبو حيّان الأندلسيّ، تفسير البحر المحيط، (1/232)، (6/169)، (8/108).

(4) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نفسه، (2/389)، (6/274)، (8/352).

(5) ذكر نور الدِّين عتر أنّ أحد الكُتّاب المعاصرين نسب إلى أبي حيّان إنكار المناسبات، وردّ نور الدِّين عليه (ينظر: نور الدِّين عتر، علم المناسبات وأهمّيّته في تفسير القرآن الكريم، ص: 71-72).

(6) أبو حيّان الأندلسيّ، تفسير البحر المحيط، (1/103).

(7) عبد القاهر الحوري، المناسبات في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ص: 5-6.

(8) محمّد حسين الدّهبيّ، التّفسير والمفسّرون، (1/278).

(9) نظام الدِّين الحسن بن محمّد بن حسين القميّ النَّيسابوريّ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريا عمّيرات، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط: 1، 1416هـ/1996م، (6/607).

(10) ينظر على سبيل المثال: تفسير الآية 29 من سورة البقرة (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/213).

(11) ينظر على سبيل المثال: في أثناء تفسيره الآية 196 من سورة البقرة (نفسه، 1/530).

بين القصّة والقصّة التي تليها⁽¹⁾، وأحياناً يذكر أكثر من مناسبة في الموضوع الواحد⁽²⁾، وأحياناً يبيّن مناسبة الجملة المعترضة⁽³⁾، ومناسبة ختم الآيات بالصفات الواردة فيها⁽⁴⁾، ويستعمل أحياناً المناسبة في التّرجيح بين المعاني؛ فيرجّح المعنى الذي تظهر فيه المناسبة⁽⁵⁾ ويستحسنه⁽⁶⁾.

- «تفسير ابن عرفة» (ت: 803هـ)، عُني ابن عرفة بفنّ المناسبات في تفسيره، ولعلّه ممّن يميل إلى عدم الالتزام بالنّظر في وجه المناسبة في كلّ آية⁽⁷⁾.
- «اللّباب في علوم الكتاب» لابن عادل الحنبليّ الدّمشقيّ (ت: 880هـ)، تعرّض فيه كثيراً لمناسبات الآيات والسُّور واهتمّ بها⁽⁸⁾.
- «السّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير» للخطيب الشّربينيّ (ت: 977هـ)، اعتنى فيه كثيراً بذكر المناسبات بين الآيات⁽⁹⁾.
- «إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السّعود (ت: 982هـ)، اهتمّ فيه بإبداء وجوه المناسبات بين الآيات⁽¹⁰⁾.
- «البحر المديد» لابن عجيبة (ت: 1224هـ)، يذكر فيه مناسبات السُّور⁽¹¹⁾.
- «روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني» لشهاب الدّين أبي الثّناء الألويسيّ

(1) ينظر على سبيل المثال: في أثناء تفسيره للآيات (16-21) من سورة مريم (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 218/5).

(2) ينظر على سبيل المثال: تفسير الآية 93 من سورة آل عمران (نفسه، 76/2).

(3) ينظر على سبيل المثال: تفسير الآية 18 من سورة الرُّوم (نفسه، 307/6).

(4) ينظر على سبيل المثال: نفسه (716-715/1)، (305/3).

(5) ينظر على سبيل المثال: تفسير الآية 47 من سورة التّوبة (نفسه، 160/4).

(6) ينظر على سبيل المثال: تفسير الآية 47 من سورة العنكبوت (نفسه، 285/6).

(7) ينظر: مصطفى مدّ الدهي، التّفسير والمفسّرون، (119/3).

(8) ينظر: عبد الحيّ حسن موسى عبد المجيد، الإمام أبو حفص عمر بن عليّ بن عادل الحنبليّ المتوفى سنة 880هـ ومنهجه في التّفسير، رسالة ماجستير في أصول الدّين، كليّة الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين، 1424هـ/2003م، ص: 182-185.

(9) مدّ حسين الدهي، التّفسير والمفسّرون، (292/1).

(10) نفسه، (298/1).

(11) مصطفى مدّ الدهي، التّفسير والمفسّرون، (397/3).

- (ت:1270هـ)، يُعنى بإظهار مناسبات السُّور والآيات.⁽¹⁾
- «تفسير المنار» لمحمّد رشيد رضا (ت:1354هـ)، يعنى بمناسبات السُّور⁽²⁾، ومناسبات الآيات كذلك، وقد قال: "ولعمري أنّ وجوه الاتّصال بين الآيات، وما فيها من دقائق المناسبات، لهي ضربٌ من ضروب البلاغة، وفنٌّ من فنون الإعجاز، إذا أمكن للبشر الإشراف عليه، فلا يمكنهم البلوغ إليه"⁽³⁾. وقد نقل كثيرًا من أقوال الرّازيّ والباقعيّ في تناسب الآيات⁽⁴⁾.
 - «الجواهر في تفسير القرآن» لطنطاوي جوهرى (ت:1358هـ)، تناول فيه مناسبات السُّور بنظرٍ ثاقبٍ وقريحةٍ نفّاذةٍ، غير مقلّدٍ لمن سبقه.⁽⁵⁾
 - «تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المئنان» لعبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ (ت:1376هـ)، وقد أنجزت سلسلة رسائل ماجستير حول المناسبات في تفسيره، قدّمت بجامعة إفريقيا العالميّة بالسُّودان، كليّة الدّراسات الإسلاميّة، قسم التّفسير وعلوم القرآن، حيث تناول كلُّ باحثٍ جزءًا من القرآن الكريم بالدّراسة.
 - «التّحرير والتّنوير» لمحمّد الطّاهر بن عاشور (ت:1394هـ)، وهو أحد قسَمي هذه الدّراسة المقارنة.
 - «الأساس في التّفسير» لسعيد حوّى (ت:1409هـ)، ألّف تفسيره من أجل إبراز الوحدة القرآنيّة؛ فهو يبرز فيه وجوه الارتباط بين آيات السُّورة الواحدة، ووجوه ارتباط السُّور بعضها ببعض، سواءً كانت متتاليّة أم متباعدة، فكان تفسيره تطبيقًا عمليًّا لهذه النّظريّة.⁽⁶⁾
 - «التّفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج» لوهبة الرّحيليّ (ت:1436هـ)، من أجل تفسير أيّ سورةٍ فإنّه يقسّمها إلى وحداتٍ موضوعيّةٍ، والتزم في كلّ وحدةٍ ببيان مناسبتها

(1) محمّد حسين الدّهنيّ، التّفسير والمفسّرون، (308/1).

(2) فضل حسن عبّاس، التّفسير والمفسّرون، (100/2).

(3) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار، (246/1).

(4) نفسه، (119/3)، (48/4، 434)، (47/5، 104-105)، وغيرها من المواضع.

(5) ينظر: فضل حسن عبّاس، التّفسير والمفسّرون، (330/2).

(6) ينظر: نفسه، (60-54/3).

لما قبلها، وأحياناً تكون الوحدة آية⁽¹⁾، وأحياناً أكثر من آية⁽²⁾، ويذكر في بداية تفسير كلّ سورةٍ مناسبتها لما قبلها، إلاّ سورة البقرة لم أفق على ذكر مناسبتها لسورة الفاتحة.

● «صفوة التّفاسير وقبسات من نور القرآن» لمحمد عليّ الصّابونيّ (ت: 1442هـ)، ذكر في مقدّمته أنّه بيّن المناسبة بين الآيات السّابقة والآيات اللاحقة⁽³⁾، وأمّا مناسبات السُّور فنادرًا ما يذكرها⁽⁴⁾.

● جميع كتب التّفسير الموضوعيّ تذكر المناسبات باعتبارها لبنةً أساسيّةً للوحدة الموضوعيّة للسُّورة القرآنيّة، ومن أمثلتها: «التّفسير الموضوعيّ لسُور القرآن العظيم» لعبد الحميد محمود طهماز (ت: 1431هـ).⁽⁵⁾

المطلب الثالث: مصنّفات مفردة في المناسبات

وهي إمّا كتبٌ أو رسائلٌ علميّةٌ أو مقالاتٌ علميّةٌ، وأهمّها ما يلي:

الفرع الأوّل: كتبٌ في المناسبات

● «نهر النّجاة في بيان مناسبات آيات أمّ الكتاب» لمحمد المرعشيّ المعروف بساجّقليّ زادة (ت: 1150هـ).⁽⁶⁾

● «منتهى العرفان والتّقلّ المحض في ربط بعض الآي ببعض» لمحمد شكريّ الألوسيّ (ت: 1342هـ)، حفيد أبو الثّناء الألوسيّ، وهو مخطوط، وصل فيه إلى سورة الأنعام، وحالت منيّته دون أمنيّته في إتمامه.⁽⁷⁾

● «سبق الغايات في نسق الآيات» لأشرف عليّ التّهانويّ الهنديّ (ت: 1362هـ)، ذكر

(1) ينظر على سبيل المثال: وهبة الزّحيلي، التّفسير المير في العقيدة والشّريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط: 10، 1430هـ/2009م، (1/114، 144، 294).

(2) ينظر على سبيل المثال: نفسه، (1/104-105، 110، 329).

(3) الصّابونيّ، صفوة التّفاسير، (1/20).

(4) ينظر: نفسه (1/182)، (3/501).

(5) عبد الحميد محمود طهماز، التّفسير الموضوعيّ لسُور القرآن العظيم، دار القلم، دمشق، ط: 2، 1435هـ/2014م.

(6) ينظر: كحالة، معجم المؤلّفين، (12/14).

(7) ينظر: أشرف عليّ التّهانويّ، سبق الغايات في نسق الآيات، ص: 19، عبد الحكيم الأنيّس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنيّة، ص: 53-54.

فيه المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره كلّها، مختصراً إيّاها من «التفسير الكبير» للرازيّ و «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود، بالإضافة إلى جهده الخاص الذي يصدره بعبارة: "قال المسكين".⁽¹⁾

• «سمط الدرر في ربط الآيات والسور» لمحمد طاهر بن غلام (ت: 1406هـ)، من علماء باكستان.⁽²⁾

• «جواهر البيان في تناسب سور القرآن» لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسيني (ت: 1413هـ).

• «المختارات من المناسبات بين السور والآيات» لابتنسام عمر العمودي⁽³⁾، ولها أيضاً: «مناسبات ختام الآيات» يليه الجزء الثاني من كتاب «المختارات من المناسبات بين الآيات».⁽⁴⁾

• «التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم» لفاضل صالح السامرائي.⁽⁵⁾

• «مناسبة أوائل السور لأواخرها من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس» لعبد الكريم إبراهيم صالح.⁽⁶⁾

• «علم المناسبات في السور والآيات» لمحمد بن عمر بن سالم بازمول.

• «التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي» لأبي زيد.⁽⁷⁾

(1) أشرف علي التهانوي، سبق الغايات في نسق الآيات، ص: 4.

(2) محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1418هـ/1997م، ص: 723-724.

(3) ابتسام عمر العمودي، المختارات من المناسبات بين السور والآيات، صدر عن مركز تدبّر للدراسات والاستشارات، الرياض، ط: 1، 1436هـ/2015م.

(4) ابتسام عمر العمودي ورولا أسعد حجازي، مناسبات ختام الآيات يليه الجزء الثاني من كتاب «المختارات من المناسبات بين الآيات»، مراجعة وتنسيق: رباب محمد الشرجي، دار الصمعي، الرياض، ط: 1، 1440هـ/2018م.

(5) فاضل صالح السامرائي، التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، دار ابن كثير، بيروت-لبنان، ط: 1، 1437هـ/2016م.

(6) عبد الكريم إبراهيم صالح، مناسبة أوائل السور لأواخرها من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017م.

(7) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كتيبة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 19، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، 1992م، أصله أطروحة دكتوراه الدولة في اللغة العربية وآدابها، نوقشت في سنة: 1990م.

- «مصايح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسُّور» لأبي العلاء عادل بن محمّد، تناول فيه الجانب النظريّ والتاريخيّ لعلم المناسبات، ثمّ أورد بعض النماذج التّطبيقية.

الفرع الثّاني: رسائل علمية في المناسبات

- «مناسبات سور القرآن»، رسالة ماجستير لمحمّد يعقوب ذو الكفل.⁽¹⁾
- «فواتح السُّور وخواتمها - أنواعها ودلالاتها ومناسباتها»، رسالة دكتوراه لعبد العزيز الحضيريّ.⁽²⁾
- «المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الرّازيّ»، رسالة ماجستير لعبد الله بن مقبل بن ظافر القرنيّ.
- «فواتح السُّور ومناسبتها لمقاصد السُّور»، رسالة ماجستير لمنال بنت منصور محمّد القرشيّ.⁽³⁾
- «التناسب في سورة البقرة»، رسالة ماجستير لطارق مصطفى محمّد حميدة.⁽⁴⁾
- «علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم»، رسالة دكتوراه لعليّ بن محمّد الإمام الشّيخ.⁽⁵⁾
- «التناسب القرآنيّ وآليات اشتغاله من خلال الخطاب التّفسيريّ تفسير البحر المحيط نموذجاً»، رسالة دكتوراه لفارس عبد العزيز.⁽⁶⁾

(1) نوقشت بكلية الشريعة، الجامعة الأردنية، 1992م (عبد القاهر الحوري، المناسبات في تفسير غرائب القرآن ووعائب الفرقان، ص:69).

(2) نوقشت بجامعة الإمام محمّد بن سعود، 1997م (نفسه، ص:69، مذكور، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتّنبؤ للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص:34).

(3) نوقشت بجامعة أمّ القرى، 1427هـ/2006م (مذكور، نفسه، ص:34).

(4) نوقشت بجامعة القدس بفلسطين، 1428هـ/2007م (فريق من المختصّين، المناسبات القرآنية، ص:40، عبد القاهر الحوري، المناسبات في تفسير غرائب القرآن ووعائب الفرقان، ص:70).

(5) نوقشت بجامعة أمّ درمان الإسلامية، 1429هـ/2008م (عبد القاهر الحوري، نفسه، ص:70).

(6) نفسه، ص:70.

الفرع الثالث: بحوثٌ ومقالاتٌ علميةٌ في المناسبات

- «أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن» لنور الدّين عتر.⁽¹⁾
- «علم المناسبات وأهمّيته في تفسير القرآن الكريم» لنور الدّين عتر.⁽²⁾
- «علم المناسبات بين المانعين والمجيزين» لإبراهيم آل هويل.⁽³⁾
- «المناسبات بين الآيات والسُّور وفوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها» لسامي عطا حسن.⁽⁴⁾
- «مناسبات الآيات والسُّور (نشأة علم المناسبة، محلّها، ودلالاتها، وأثرها في التّفسير)» لعلي عبد العزيز سيور.⁽⁵⁾
- «المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم» لعبد الله الخطيب ومصطفى مسلم.
- «أسرار ترابط خواتيم السُّور القرآنيّة مع فواتحها التي بعدها» لإياد حميد.⁽⁶⁾
- «المناسبات بين سور القرآن عند الألويسي» لفاضل الحوي الشّهري.⁽⁷⁾
- «علم المناسبات وأثره في تدبُّر القرآن الكريم مبادئٌ وتأصيلٌ» لعبد المحسن المطيري.⁽⁸⁾
- «أهمّيّة علم المناسبات في فهم القرآن» لنور الله كورت والجازي العجمي.⁽⁹⁾
- «التّناسب السّياقيّ للآيات القرآنيّة المعترضة بين الموضوع الواحد-دراسة لنماذج

(1) نور الدّين عتر، أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن، مجلّة كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، دبي، ع: 13، 1417هـ/1996م، ص: 59-96.

(2) نور الدّين عتر، علم المناسبات وأهمّيته في تفسير القرآن الكريم، ص: 67-100.

(3) آل هويل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، ص: 94-140.

(4) سامي عطا حسن، المناسبات بين الآيات والسُّور، ص: 13-31.

(5) عليّ سيور، مناسبات الآيات والسُّور، ص: 17-62.

(6) إياد حميد إبراهيم، أسرار ترابط خواتيم السُّور القرآنيّة مع فواتحها التي بعدها، مجلّة أبحاث ميسان، مجلّة علميّة محكمة، تصدر عن عمادة كليّة التّربية جامعة ميسان، العراق، مج: 7، ع: 13، 2010م، ص: 101-177.

(7) فاضل بن صالح الحوي الشّهري، المناسبات بين سور القرآن عند الألويسي، صدر عن: جامعة الأزهر، كليّة أصول الدّين والدّعوة الإسلاميّة بالمنوفيّة، دار الأندلس للطباعة (مستلّة من حوليّة كليّة أصول الدّين والدّعوة بالمنوفيّة، ع: 32، 1434هـ/2013م).

(8) عبد المحسن بن زين المطيري، علم المناسبات وأثره في تدبُّر القرآن الكريم مبادئٌ وتأصيلٌ، جامعة الأزهر، حوليّة كليّة اللّغة العربيّة بنين بجرجا، مجلّة علميّة محكمة، ع: 20، 1437هـ/2016م، ج: 2، ص: 1926-1986.

(9) نور الله كورت، والجازي منصور العجمي، أهمّيّة علم المناسبات في فهم القرآن، جرنال البصرة، أكاديميّة الدّراسات الإسلاميّة، جامعة مالايا بماليزيا، مج: 7، ع: 2، ديسمبر 2017، ص: 109-130.

- مختارة-» لمحمود بطاينة و محمد رضا الحوري.⁽¹⁾
- «المناسبات بين السُّور القرآنيّة في تفسير الإمام الرّازي» لعبد الحكيم قليل، ومحمد بن السّايح.⁽²⁾
 - «آراء العلماء في تطلُّب المناسبات بين السُّور والآيات» لطارق يوسف.⁽³⁾
 - «الإعجاز في تناسب الآيات والسُّور - دراسة تحليليّة» لأحمد الفريح.⁽⁴⁾
 - «التَّناسب مصادره وأنواعه ومصطلحاته في سورة البقرة» لأحمد نتوف.
 - «علم المناسبات في القرآن الكريم دراسة تأصيليّة» لأحمد ماهر سعيد نصر.⁽⁵⁾

وفي الأخير، يمكن تلخيص أهمّ نتائج هذا الفصل في التّقاط الآتية:

- علم المناسبات هو العلم الذي يوقّف به على وجوه ارتباط وعلل ترتيب أجزاء القرآن الكريم وفق المصحف العثمانيّ.
- علم المناسبات مهمٌّ وتكمن أهمّيّته في أنّ التَّناسب روح الكلام ووجهٌ من أوجه إعجاز القرآن، وأنّ المناسبات معانٍ جليّة، وأنّ الجهل بها أمرٌ خطيرٌ، وأنّ علم المناسبات كالرُّوح لعلم التّفسير، وأنّ فوائده غزيرةٌ: في التّفسير، والكشف عن الخفيّ من دلالات النُّصوص، وفي الانتصار للقرآن الكريم من شبهات الطّاعنين
- نشأة علم المناسبات كانت بنزول القرآن الكريم، فالتَّناسب أصلٌ في القرآن الكريم.

(1) محمود فايز بطاينة ومحمد رضا حسن الحوري، التَّناسب السّياقيّ للآيات القرآنيّة المعترضة بين الموضوع الواحد-دراسة لنماذج مختارة-، المجلّة الأردنيّة في الدّراسات الإسلاميّة، مجلّة علميّة عالميّة محكّمة، جامعة آل البيت، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، مع: 13، ع: 4، صفر 1439هـ/تشرين الأوّل 2017م، ص: 59-84.

(2) عبد الحكيم قليل ومحمد بن السّايح، المناسبات بين السُّور القرآنيّة في تفسير الإمام الرّازي، مجلّة الدّراسات الإسلاميّة، مجلّة دوريّة علميّة محكّمة ومعتمدة، تعنى بالبحوث والدّراسات الإسلاميّة، يصدرها قسم العلوم الإسلاميّة بكلّيّة العلوم الإنسانيّة والعلوم الإسلاميّة والحضارة، جامعة عمّار ثلجي بالأغواط- الجزائر، ع: 11، جوان 2018.

(3) طارق يوسف إسماعيل سليمان، آراء العلماء في تطلُّب المناسبات بين السُّور والآيات، المجلّة العربيّة للنشر العلميّ (AJSP)، مجلّة علميّة محكّمة، تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشريّة رماح- الأردن، ع: 12، 2019/10/2، (ص: 355-380).

(4) أحمد بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، الإعجاز في تناسب الآيات والسُّور - دراسة تحليليّة، مجلّة الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، ع: 156، ص: 11-59.

(5) سبق ذكره (ص: 62 من هذه الأطروحة، الحاشية 1).

- أشار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى علم المناسبات، وعمل بمقتضاه الصحابة والتابعون.
- تطوّر علم المناسبات عبر القرون؛ فتناوله العلماء في كتب علوم القرآن من باب الدِّفاع عن نظم القرآن، وإبراز إعجازه فيه، ثمّ في كتب التفسير في جميع القرآن أو معظمه لا في مواضع محدودةٍ منه، ليستقلّ بالتأليف بعد أن عُدَّ البحث في المناسبات علمًا ونُظِرَ له في كتب علوم القرآن.
- أُفردت المناسبات بالتأليف من الجانب الفنيّ قبل إفرادها بالتأليف من الجانب النظريّ.
- يعتبر الرّمانيّ (ت: 386هـ) أوّل من تحدّث عن المناسبات بين الآيات بشكلٍ عامٍّ في كتابٍ من كتب التفسير، فهو أقدم من وُقِفَ عليه في ذلك إلى حدِّ الآن.
- أوّل من أفرد جزءًا من القرآن بالبحث في مناسباته، بل أوّل من أفرد المناسبات بالتأليف على الإطلاق، ولكن في ظلِّ علم ارتباط الآي، عالمٌ ذكر أبو بكر بن العربيّ (ت: 543هـ) أنّ عمله كان في بيان مناسبات سورةٍ واحدةٍ وهي سورة البقرة، ولم يسمِّه.
- لم أفف على من أطلق تسمية "علم المناسبة" قبل العزّ بن عبد السلام (ت: 660هـ)، لذلك يمكن اعتباره أوّل من سمّاه بهذا الاسم، إلى أن يثبت خلافه.
- أوّل مؤلّفٍ مفردٍ في المناسبات في ظلِّ علم المناسبة، وفي الوقت نفسه أوّل كتابٍ مفردٍ في نوعٍ خاصٍّ من المناسبات وهو مناسبات السُّور، كتابُ أبي جعفر بن الزُّبير الغرناطيّ (ت: 708هـ) «البرهان في تناسب سور القرآن».
- أوّل الكتب المفردة في بيان المناسبات المستوعبة لجميع آي القرآن وسوره، جامعًا بين مناسبات الآيات ومناسبات السُّور، كتاب برهان الدّين البقاعيّ (ت: 885هـ) «نظم الدرر في تناسب الآي والسُّور»، وهو أحد طرفيّ موضوع هذه الدِّراسة المقارنة.
- المناسبات قسمان: مناسبات السُّورة الواحدة، والمناسبات بين السُّور.
- مناسبات السُّورة الواحدة أنواعٌ؛ فمنها مناسبات الآيات آيةً آيةً، ومناسبات مقاطع السُّورة، واضطلّحت على النوع الأخير بمصطلح: "مناسبات نظام السُّورة".
- نظام السُّورة هو ذلك الرِّباط الذي تنتظم فيه جميع أجزاء السُّورة الواحدة، هو عند بعض العلماء مقصودها، وعند البعض عمودها، وعند البعض غرضها الأهمُّ، وعند البعض محورها، وعند البعض موضوعها.

- المناسبات بين السُّور قسمان: مناسبات المطالع والمقاطع، مناسبات الموضوعات والمضامين والمقاصد، وكلُّ قسمٍ فيه أنواعٌ.
- أصَّل العلماء لأقسام المناسبات وأنواعها بشواهد من القرآن، وقرَّروها بما جادوا به من فصيح الكلام.
- يكاد يحصل إجماعُ العلماء على تناسب الآي لولا ما ذهب إليه الشُّوكانيُّ من إنكاره، واختلفوا في تناسب السُّور.
- يرجع الاختلاف في اعتبار التَّناسب من عدمه بنسبةٍ كبيرةٍ إلى الاختلاف في ترتيب القرآن الكريم.

* * *

الفصل الثاني: البقاعيُّ وكتابه «نظم الدرر»

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالبقاعيِّ

المبحث الثاني: عصر البقاعيِّ وأثره في بناء شخصيَّته وتوجُّهاته

ومواقفه

المبحث الثالث: التعريف بكتاب «نظم الدرر»

المبحث الرابع: منهج البقاعيِّ في «نظم الدرر»

* * *

توطئة:

إنّ دراسة نظريّة ما عند عالمٍ من العلماء، أو دراسة منهجه في فنٍّ من الفنون، أو بيان آرائه وجهوده وإسهاماته في فنٍّ من الفنون أو علمٍ من العلوم تستدعي الاطّلاع على سيرته الشخصيّة ومسيرته العلميّة، ودراسة عصره للوقوف على أثره في تكوين شخصيّته ومواقفه وتوجّهاته، كما تستدعي بالضرورة التّعريف على مؤلّفاته التي تناولت موضوع تلك الدّراسة ومنهجه فيها. ولمّا كان موضوع دراستي متعلّقًا بعلم المناسبات عند البقاعيِّ من خلال كتابه «نظم الدُّرر»، فإنّي أتناول في مباحث هذا الفصل التّعريف بالبقاعيِّ وبعصره، مبينًا أثر العصر في بناء شخصيّته وتوجّهاته ومواقفه، وكذلك التّعريف بكتابه «نظم الدُّرر»، وبيان منهجه فيه، وذلك على النحو الآتي.

المبحث الأوّل: التّعريف بالبقاعيِّ

برهان الدّين البقاعيُّ، شخصيّة فذة، جمعت بين العلم والعمل والرّحلة والجهاد والرّباط في سبيل الله، واجهت منذ الطفولة إلى آخر سنوات عمرها الكثير من المحن والابتلاءات، سواءً على المستوى الشّخصيِّ الاجتماعيِّ أو على المستوى العلميِّ، فقابلتها بالصّبر والاحتساب، وزادت عليهما في المستوى العلميِّ بالردود العلميّة القائمة على الحجّة والبرهان متجسّدةً في مؤلّفاته الغزيرة. وشخصيّة كهذه، حريٌّ بطلاب العلم الوقوف على سيرتها، والاقتداء بمحطّات الهدى فيها، والاستفادة من تجربتها، ويأتي هذا المبحث لإلقاء نظرةٍ سريعةٍ على حياته الشخصيّة ومسيرته العلميّة.

المطلب الأوّل: حياته الشخصيّة

يعرّف هذا المطلب باسم البقاعيِّ ونسبه ونسبته، وتاريخ ومكان ولادته، ونشأته، ورحلاته وبعض أحداثها، وفي الأخير تاريخ ومكان وفاته.

الفرع الأوّل: اسمه ونسبه ونسبته

البقاعيُّ هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن عليِّ بن أبي بكرٍ، قال في نظمٍ له:

وخطَّ إبراهيمُ نجلَ عمرٍ بن *** الرّباطِ حسنٍ نجلِ عليِّ

بن أبي بكرٍ البقاعيُّ الشّافعيُّ *** اللهُ يعفو ما لهم من زلّلٍ⁽¹⁾

وأُمّه: فاطمة بنت أبي محمّد عليّ بن محمّد بن سليمان السّليميّ⁽²⁾. والبقاعيُّ من قومٍ يقال لهم: "بنو حسن"، وله من النّظم في ذلك:

إنّا بنو حسنٍ والنّاس تعرفنا *** وقت النّزال وأسد الحرب في حنقٍ⁽³⁾

ولحسنٍ ثلاثة أبناء، والبقاعيُّ من بني مكّيّ بن حسنٍ، ويغلب على ظنّ البقاعيِّ أنّه ليس بين أبي بكرٍ وحسنٍ إلّا مكّيّ بن حسنٍ، ولم يعرف ما بعد حسنٍ، لكنّ قال له شخصٌ من أهل بلدهم إنهم يُنسبون إلى سعد بن أبي وقاصّ الزّهريّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأنّ عندهم نسبةٌ شاهدةٌ بذلك، إلّا أنّه لم يتيسّر للبقاعيِّ الحصول عليها⁽⁴⁾.

ولقبه: برهان الدّين⁽⁵⁾، وكنيته: أبو الحسن⁽⁶⁾، ونسبته: الخرباويّ⁽⁷⁾ البقاعيّ⁽⁸⁾، نزيل القاهرة

(1) ينظر: إبراهيم بن حسن البقاعيّ، عنوان الزّمان بتراجم الشُّيوخ والأقران، تح: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القوميّة، مركز تحقيق الثّراث، القاهرة، ط: 1، (ج1: 1422هـ/2001م، ج2: 1424هـ/2004م، ج4: 1430هـ/2009م)، (61/2-62)، والرّباط: بضمّ الرّاء المهملة لقب جدّه حسن، شُبهه بالحبل الكبير الذي تُربط به الأشياء لأنّه كان طويلاً، فالأصل كسر الرّاء وأما الضّمّ فهو من لحن العوامّ (نفسه، 66/1، 61/2).

(2) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعيّ، إظهار العصر لأسرار أهل العصر تاريخ البقاعيّ، دراسة وتحقيق: محمّد سالم بن شديد العوفي، (ج1: هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، جيزة- مصر، ط: 1، 1992م/1412هـ، ج2، ج3: عربيّة للطباعة والنّشر، ط: 1، 1993م/1414هـ)، (88/2)، البقاعيّ، عنوان الزّمان، (118/4).

(3) شمس الدّين محمّد بن عبد الرّحمن السّخاويّ، الصّوّء اللّامع لأهل القرن الثّاسع، دار الجليل، بيروت-لبنان، (د ط ت)، (110/1)، والحنق: الغضب والغيظ (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 69/10-70).

(4) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (61/2، 62).

(5) ينظر: نفسه، (19/2)، البقاعيّ، مصاعد النّظر، (127/1)، البقاعيّ، نظم الدرر، (450/22)، ابن حجر العسقلانيّ، إنباء الغمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربيّة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء الثّراث الإسلاميّ، القاهرة، 1419هـ/1998م، (104/4، 209، 226)، السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (101/1)، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّبيوطيّ، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرّره: فيليب جيّ، المطبعة السّوريّة الأمريكيّة في نيويورك، 1927م، ص: 24، محمّد بن عليّ الشّوكانيّ، البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، (د ط ت)، ص: 19.

(6) البقاعيّ، عنوان الزّمان، (61/2)، السّخاويّ، نفسه، (101/1)، السّبيوطيّ، نفسه، ص: 24.

(7) السّخاويّ، نفسه، (101/1).

(8) البقاعيّ، عنوان الزّمان، (61/2)، البقاعيّ، مصاعد النّظر، (127/1).

ثمّ دمشق⁽¹⁾.

أمّا البقاعيُّ⁽²⁾، فنسبةٌ إلى البقاع العزيريِّ⁽³⁾، بين بيروت ودمشق⁽⁴⁾، من عمل الشّام (سوريّة)⁽⁵⁾ قديماً، وحالياً من أرض لبنان⁽⁶⁾.

وأما الخرباويُّ، فنسبةٌ إلى قرية "حَرْبَةُ رَوْحَا"⁽⁷⁾ مسقط رأسه، وهي بالمنطقة الجبليّة من البقاع العزيريِّ؛ إذ البقاع قسمان: جبلٌ وسهلٌ⁽⁸⁾، وبالتّقسيم الحديث للبلدان تقع خربة روجا في قضاء راشيا، أحد أقضية محافظة البقاع بدولة لبنان، وتبعد 79 كلم عن العاصمة بيروت⁽⁹⁾.

وبناءً على ما سبق، يكون اسمه الكامل بسلسلة نسبه ونسبته: أبو الحسن، برهان الدّين، إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن عليّ بن أبي بكر بن مكّي بن حسن، الخرباويُّ البقاعيُّ، نزيل القاهرة ثمّ دمشق.

(1) السّخاويُّ، الصّوّء اللّامع، (101/1)، الشّوكانيُّ، البدر الطّالع، (19/1).

(2) اختلف في ضبطها، فقيل: هي بضم الموحّدة ثمّ قافّ (البقاعيُّ) (ينظر: السّخاويُّ، نفسه، 191/11)، وقيل: هي بكسر الموحّدة وفتح القاف مخفّفةً وبعدها ألفٌ ثمّ عينٌ مهملةٌ (البقاعيُّ) (ينظر: أبو العبّاس، أحمد القلقشنديُّ، صبح الأعشى، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1340هـ/1922م، (110/4)، محمّد أمين بن فضل الله بن محبّ الدّين بن محمّد المّجيبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبيّة، القاهرة، 1284هـ، (177/1)، أبو سعد، عبد الكريم بن محمّد بن منصور التّميميُّ السّمعانيُّ، الأنساب، اعتنى بتصحيحه والتّعليق عليه: عبد الرّحمن بن يحيى المّعلّميّ اليمانيُّ، الفاروق الحديثة للطّباعة والنّشر، (د ط ت)، 280/2، حاشية المصحّح رقم 5). ولعلّ سبب الاختلاف هو مستند الضّبط: فمن ذهب إلى أنّها بالكسر فمستنده القياس؛ إذ البقاع بالكسر جمع بُقعة، ومن ذهب إلى أنّها بالضمّ فمستنده السّماع مع ما فيه من لحن العوامّ، مثل: الرّباط والرّباط.

(3) "نسبةٌ إلى العزير، عكس الدّليل، وكأنّهُ نسبةٌ إلى الملك العزير ابن السّلطان صلاح الدّين يوسف بن أيّوب رحمه الله" (القلقشنديُّ، نفسه، 110/4).

(4) خير الدّين الزّركليُّ، الأعلام، قاموس تراجم الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط: 15، 2002م، (189/2).

(5) ينظر: البقاعيُّ، عنوان الزّمان، (116/4)، السّخاويُّ، الصّوّء اللّامع، (191/11)، الزّركليُّ، الأعلام، (56/1)، (37/2)، (216/4).

(6) البقاعيُّ، مساعد النّظر، مقدّمة التّحقيق، (31/1)، عادل نويهض، معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، قدّم له: حسن خالد، مؤسّسة نويهض التّقافيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت-لبنان، ط: 3، 1409هـ/1988م، (17/1).

(7) بالرّاء المهملة المفتوحة، بعدها واو ساكنة، ثمّ حاءٌ مهملةٌ بعدها ألفٌ (البقاعيُّ، عنوان الزّمان، 66/1).

(8) ينظر: نفسه، (61/2، 62).

(9) ينظر الرّابط: (<https://www.libandata.org/ar/almdn/khrbt-rwha>)، تاريخ التّصفّح: 2021/05/21م.

الفرع الثّاني: مولده ونشأته

ولد البقاعيُّ في سنة: 809هـ تقريبًا (الموافقة ل: 1406م⁽¹⁾)، بالمنطقة الجبليّة من البقاع المعروفة ب: خربة روحا، وقد ذكر مولده في نظمٍ له فقال:

أَجَزْتَهُمْ مَطْلُوبَهُمْ وَمَوْلَدِي *** تاسع قرن تاسع في الجبل⁽²⁾

نشأ البقاعيُّ في مسقط رأسه (خربة روحا)⁽³⁾، وسط أسرةٍ متعلّمةٍ ومتديّنةٍ وفقيرةٍ، في رعاية أبوين صالحين، أمّا أبوه فقد كان كثير التّفطيش على دينه، مكثّرًا من مخالطة الفقهاء وأهل العلم، عالمًا بأخبار أهل الزّمان ومدخلتهم لاسيما الأتراك، فصيح العبارة، شجاعًا في قول الحقِّ، كريمًا مع حقّة ذات يده جدًّا، لا يكثرث بقلّة الرّزق وشدائد الدُّنيا، وكان قد قرأ القرآن من آخره إلى سورة الجاثية⁽⁴⁾، وأمّا أمّه فكانت امرأةً صالحّةً⁽⁵⁾.

وكان عمّه شهابُ الدّين أحمد بن حسن الرُّباط (توفيّ قبل سنة: 820هـ) فقيهاً حافظاً للقرآن، حسن الخطِّ، وكانت صنّعه التّرسُّل؛ يرتزق منها عند التُّركمان، وكان ذا رفاهيّة ظاهرة، فتعلّم منه البقاعيُّ الكتابة، واستفاد منه كثيرًا⁽⁶⁾.

كان البقاعيُّ ملازمًا لمسجدٍ في قريته يقال له زاوية الشّيخ موسى، يقرأ به القرآن⁽⁷⁾، ويراجع فيه محفوظه منه⁽⁸⁾، فأتمّ حفظه، وصلّى به التّراويح قبل أن يبلغ الثّانية عشرة⁽⁹⁾.

(1) الزّركلي، الأعلام، (56/1)، كحّالة، معجم المؤلّفين، (71/1).

(2) ينظر: البقاعي، عنوان الزّمان، (62/2).

(3) ينظر: السّخاوي، الضّوء اللّامع، (101/1)، الشّوكاني، البدر الطّالع، (19/1).

(4) ينظر: البقاعي، عنوان الزّمان، (117/4).

(5) البقاعي، إظهار العصر، (88/2).

(6) ينظر: البقاعي، عنوان الزّمان، (66/1).

(7) نفسه، (66/2).

(8) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 17.

(9) ينظر: عمر بن فهد الهاشميّ المكيّ، معجم الشّيوخ، تح: محمّد الرّاهي، طبع ضمن سلسلة: مؤرّخو مكّة المكرّمة (1)، دار اليمامة،

الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1402هـ/1982م، ص: 336، برهان الدّين إبراهيم البقاعيّ، الإعلام بسنّ الهجرة

إلى الشّام، قدّم له واعتنى به: محمّد مجير الخطيب الحسني، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1418هـ/1997م، ترجمة مقدّم

الكتاب للبقاعيّ، ص: 56.

وفي سنة: 821هـ، جرت كائنةٌ لأقارب البقاعيِّ (بنو حسنٍ)، قُتل فيها أبوه وبعض أقاربه؛ فخرج البقاعيُّ مع أمِّه وجدِّه لأُمِّه من القرية بعد تلك الكائنة، وتشتَّتوا في البلاد زماناً طويلاً، متنقِّلين في قرى وادي التَّيم والعرقوب وغيرهما، إلى غاية سنة ثلاثٍ وعشرين وثمانمائة، سنة انتقلهم إلى دمشق.⁽¹⁾

الفرع الثالث: رحلاته وبعض أحداثها

بناءً على ما ذكره البقاعيُّ من رحلاته في ترجمته، وعلى ما ذكره السَّخاويُّ وابن العماد وغيرهما، وعلى تاريخ تأليف بعض كتبه ومكان تأليفها، وبعض الأحداث التي شهدتها، يمكن تلخيص رحلاته على النحو الآتي:

- رحلته الأولى إلى دمشق: دخلها في سنة: 823هـ، وخرج منها في سنة: 827هـ.
- رحلته الأولى إلى القدس: دخلها في سنة: 827هـ، ومكث فيها إلى ذي القعدة من السنة نفسها.
- دخوله الثّاني إلى دمشق: دخلها في ذي القعدة من سنة: 827هـ، ومكث فيها إلى سنة: 831هـ.⁽²⁾
- دخوله الثّاني إلى القدس: أوّل سنة: 832هـ، ومكث فيها إلى يوم الأربعاء 06 صفر 834هـ.
- رحلته الأولى إلى القاهرة: دخلها يوم الثلاثاء 29 صفر 834هـ، ومكث فيها إلى أواخر 834هـ⁽³⁾، وفي طريقه إليها قبل أن يدخلها يوم الثلاثاء 16 صفر 834هـ، سافر إلى

(1) ملخص الكائنة أنه بعد صلاة عصر يوم السبت 08 شعبان، وفي ليلة الأحد 09 شعبان سنة: 821هـ، بقرية خربة روحا، أوقع ناسٌ من القرية يقال لهم بنو مزاحمٍ بأقارب البقاعيِّ بني حسنٍ، فقتلوا أبا البقاعيِّ ذبحاً، وقتلوا أخويه عليّاً وسويداً وستةً من أولاد عمِّهم، وضرب البقاعيُّ بالسيف ثلاث ضرباتٍ إحداهما في رأسه جرحته، وكان إذ ذاك ابن اثنتين عشرة سنة، وقد أعقبت هذه الواقعة الكثير من الحروب والوقائع، لعلها زادت على مائة وقعة، استمرت أكثر من ثلاثين سنة، قاربت القتل في ألفا (ينظر: البقاعيُّ، عنوان الزمان، (62/2)، (118/4)، أبو الفلاح، شهاب الدّين عبد الحيّ بن أحمد بن محمّد العكريُّ، ابن العماد الحنبليّ الدمشقيُّ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط: 1، 1413هـ/1993م، 509/9).

(2) ينظر: البقاعيُّ، نفسه، (62/2-63).

(3) ينظر: البقاعيُّ، نفسه، (63/2)، (64)، شمس الدّين محمّد بن عبد الرّحمن السَّخاويُّ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1419هـ/1999م، ص: 325.

الخليل ثمَّ إلى غزة.

- دخوله الثّالث إلى القدس: في أواخر سنة: 834هـ، ومكث فيها إلى أوائل سنة: 835هـ.
- دخوله الثّاني إلى القاهرة: في أوائل سنة: 835هـ، ومكث فيها إلى سنة: 836هـ.⁽¹⁾
- رحلته إلى حلب: دخلها في سنة: 836هـ، ومكث فيها إلى سنة: 837هـ، مرَّ فيها على دمشق والقدس والخليل وحماة وحمص.⁽²⁾
- دخوله الثّالث إلى القاهرة: في سنة: 837هـ، ومكث فيها إلى سنة: 838هـ.
- رحلته إلى دمياط وإسكندريّة وما بينهما من البلاد في سنة: 838هـ.
- دخوله الرّابع إلى القاهرة: في سنة: 838هـ⁽³⁾، ومكث فيها إلى سنة: 844هـ.⁽⁴⁾
- ركب البحر غازياً عدّة مرّات⁽⁵⁾: 844هـ⁽⁶⁾، 847هـ-848هـ⁽⁷⁾.
- رحلته إلى مكّة للحجّ: في سنة: 848هـ، وجاور بها في سنة: 849هـ.⁽⁸⁾
- رحلته إلى الطّائف، والمدينة، وينبع سنة: 849هـ.⁽⁹⁾

(1) ينظر: البقاعيُّ، عنوان الزّمان، (64/2)، البقاعيُّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ترجمة مقدّم الكتاب للبقاعيِّ، ص: 57.

(2) ينظر: البقاعيُّ، عنوان الزّمان، (64/2)، ابن فهد، معجم الشُّيوخ، ص: 337.

(3) ينظر: البقاعيُّ، نفسه، (64/2، 65)، البقاعيُّ، فهرست مصنّفات البقاعيِّ (عن نسخة منقولة من خطّه)، دراسة وتحقيق: محمّد أجمال أيّوب الإصلاحي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنيّة، السّلسلة الثّالثة (57)، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، 1426هـ/2005م، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيِّ ودراسة الفهرست، ص: 27.

(4) ذكر البقاعيُّ أنّه كتب ترجمته لنفسه سنة: 841هـ بالقاهرة، وأنّه قرأ البخاريَّ بحضرة السُّلطان الملك الظّاهر أبي سعيد حقمق سنة: 842هـ (البقاعيُّ، عنوان الزّمان، 66/2، 71)، وأنّه استمرَّ في قراءة الحديث في القصر بعد تعيينه سنتين (البقاعيُّ، فهرست مصنّفات البقاعيِّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيِّ ودراسة الفهرست، ص: 38)، أي إلى حين خروجه للغزو سنة: 844هـ (حاجّي خليفة، كشف الطُّنون، 86/1).

(5) ينظر: البقاعيُّ، عنوان الزّمان، (67/2)، السّخاويُّ، الصّوّ اللّامع، (102/1).

(6) غزوة قبرص ورودس من البحر (ينظر: حاجّي خليفة، كشف الطُّنون، 86/1).

(7) غزو رودس (ينظر: البقاعيُّ، مصاعد النّظر، 133/1، العسقلانيُّ، إنباء الغمر، 208/4، 226).

(8) ينظر: البقاعيُّ، عنوان الزّمان، (67/2)، ابن فهد، معجم الشُّيوخ، ص: 337.

(9) ينظر: ابن فهد، نفسه، ص: 337، السّخاويُّ، الصّوّ اللّامع، (102/1)، البقاعيُّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ترجمة مقدّم الكتاب للبقاعيِّ، ص: 57.

- دخوله الخامس إلى القاهرة: في رمضان سنة: 849هـ، ومكث فيها إلى سنة: 859هـ⁽¹⁾، وتخلّله الجهاد والمرابطة في دمياط⁽²⁾.
- بلاد الرّيداني - بين دمشق وبلعبك⁽³⁾ - دخلها في يوم 14 جمادى الآخرة 859هـ، وغادرها في رمضان من السنّة نفسها⁽⁴⁾.
- دخوله الثّالث إلى دمشق: في يوم الاثنين رابع شهر رمضان سنة: 859هـ، وغادرها يوم الأربعاء خامس شهر شوّال من السنّة نفسها، وفي خروجه من دمشق متّجّهاً إلى القاهرة مرّاً بخرّبة روحا وشبعا والقدس والخليل وعزّة وغيرها من القرى.
- دخوله الأخير إلى القاهرة: في نهاية شوّال سنة: 859هـ⁽⁵⁾، ومكث فيها إلى سنة: 880هـ⁽⁶⁾.
- دخوله الأخير إلى دمشق: في سنة: 880هـ⁽⁷⁾، ومكث فيها إلى أن توفّي رحمه الله تعالى⁽⁸⁾.

وقد تنوّعت أحداث رحلاته ما بين طلبٍ للعلم، ورباطٍ وجهادٍ في سبيل الله، وتدرّيسٍ وتعليمٍ، وإقراءٍ وتأليفٍ كتبٍ، ومحنٍ ومعاناةٍ ومضايقاتٍ، وليست الأخيرة للمحتسب الصّابر إلّا ممّا يحمد الله تعالى عليه، الذي تظهر نعمه في التّقم، كما سيأتي ذكره من كلام البقاعيّ.

(1) لمّا رجع إلى القاهرة في سنة: 849 هـ استمرّ في ملازمة شيخه ابن حجر حتّى وفاته سنة: 852 هـ (ينظر: ابن فهد، معجم الشيوخ، ص: 337، البقاعيّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ترجمة مقدّم الكتاب للبقاعيّ، ص: 57)، وفي سنة: 857 هـ عُيّن لتدريس القراءات بالمدرسة المؤيّدية بالقاهرة بعد وفاة المقرئ فيها أمين الدّين محمّد بن عليّ بن موسى الشّافعيّ في آخر ذي الحجة سنة: 856 هـ (ينظر: البقاعيّ، إظهار العصر، 267/1-269)، والسّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (103/1-104)، وهو ما يفيد بقاءه في القاهرة في أثناء تلك المدّة.

(2) في «مصاعد النّظر» أنّه كان مرابطاً في ثغر دمياط في سنة: 850 هـ (البقاعيّ، مصاعد النّظر، (139/1)، وعند محمود توفيق: أنّه جاهد وربط في دمياط سنّي: 851 هـ و852 هـ (محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 21).

(3) أبو عبد الله، شهاب الدّين ياقوت بن عبد الله الحمويّ الرّوميّ البغداديّ، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، (د ط ت)، (146/3).

(4) عمل على إعادة بناء خان الفندق من بلاد الرّيداني (ينظر: البقاعيّ، إظهار العصر، (111/2، 125).

(5) ينظر: نفسه، (125/2، 141-144).

(6) ابن العماد، شذرات الذهب، (218/10)، البقاعيّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ترجمة مقدّم الكتاب للبقاعيّ، ص: 71.

(7) نفسها.

(8) ينظر: عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 15.

أمّا طلبه للعلم وأعماله العلميّة، فسيأتي بيان ذلك في المطلب الثّاني لهذا المطلب، وأمّا تعبده وجهاده ورباطه، فقد كان البقاعيُّ كثير العبادة⁽¹⁾، محبّاً للجهاد في سبيل الله، كثير الدُّعاء⁽²⁾، فهو مثالٌ للعالم العامل العابد المجاهد المرابط، وقد ذكر عن نفسه أنّه جاهد في البحر مرّتين، ثمّ حجّ⁽³⁾، ورمى بالنُّشّاب وياشر الثّقاف⁽⁴⁾، وذكر السّخاويُّ أنّه حجّ وركب البحر في عدّة غزواتٍ ورباطٍ غير مرّة⁽⁵⁾.

ومن الغزوات التي شارك فيها: غزوة قبرص ورودس من البحر سنة: 844هـ، وفيها ألف «الإسفار عن أشردة الأسفار»⁽⁶⁾، فهو وفي أثناء الجهاد في سبيل الله لم تسوّل له نفسه ترك العلم والتّأليف. ومن الغزوات التي شارك فيها أيضاً: ما كان ما بين سنتي: 847هـ و848هـ لقتال الفرنج برودس⁽⁷⁾، ورباط في ثغر دمياط سنتي: 851هـ و852هـ⁽⁸⁾.

وأما الحن والابتلاءات، فقد تعرّض البقاعيُّ للكثير منها، وفيما يأتي ذكرٌ لبعضها:

- الكائنة التي حصلت له في قريته، وهي التي كانت سبباً في خروجه منها، والتي قتل فيها أبوه وبعض أقاربه.
- موت أمّه في رمضان سنة: 827هـ، في القدس⁽⁹⁾.
- وفاة كلّ أولاده في حياته وفي سنٍّ مبكّرٍ وكانوا ثلاثة أو يزيدون⁽¹⁰⁾.

(1) ينظر: أحمد شهاب الدّين بن حجر الهيتمي المكيّ، الفتاوى الحديثيّة، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د ط ت)، ص: 53.

(2) ينظر: البقاعيُّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 36.

(3) ينظر: البقاعيُّ، عنوان الرّمان، (67/2).

(4) البقاعيُّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 29، وفي الحاشية رقم (3): النُّشّاب:

التّبّل. وأمّا الثّقاف فهي حديدة أو خشبة تُسوّى بها الرّماح (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 20/9).

(5) السّخاويُّ، الضّوء اللّامع، (102/1).

(6) حاجي خليفة، كشف الطّنون، (86/1).

(7) العسقلانيُّ، إنباء الغمر، (208/4-209، 226).

(8) ينظر: البقاعيُّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 45، محمود توفيق، الإمام

البقاعيُّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 21.

(9) البقاعيُّ، عنوان الرّمان، (63/2).

(10) ينظر: البقاعيُّ، نفسه، مقدّمة المحقّق، (13/1)، عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيُّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان

القوم، ص: 8-9. توفيّ ابنه أبو حاتم محمّد سنة: 853هـ (البقاعيُّ، إظهار العصر، 119/3)، وأمّا ابنه أبو اليسر محمّد

فولادته كانت سنة: 859هـ (البقاعيُّ، نفسه، 85/2)، وابنه أبو اللّطف أحمد ولد سنة: 863هـ (البقاعيُّ، نفسه، 42/3).

- غاية البؤس والقلة والعرى في دخوله الأوّل إلى القاهرة⁽¹⁾، حيث دخلها وليس معه إلاّ درهمٌ واحد⁽²⁾.
- سجّن السلطان حقمق له في حبس أوّلي الجرائم في شهر رجبٍ من سنة: 851هـ، لمّا شكاه أحد جيرانه إليه أنّه رماه بالتّشاب، ثمّ نفاه لولا أن شفع فيه بعض الأمراء⁽³⁾.
- تنكّر النّاس له والمبالغة في أذاه، وتعرّض جماعة من أهل العلم له بكلّ ما يكره إلى حدّ الحكم بالتّكفير وإراقة دمه، ممّا حتمّ عليه الخروج من القاهرة إلى دمشق، وذلك لأمرين:
— الأوّل: مسألة في تفسيره، وهي ضرورة الفصل بين كلام الله وبين تفسيره بقوله: "أيّ" أو نحوها دفعًا لما لعلّه يتوهّم، حتّى استعان بالقاضي الزيّنيّ بن مزهرٍ فأنقذه وحكم بإسلامه وعذره⁽⁴⁾.
- الثّاني: إنكاره هو وبعض أهل العلم وجماعةٌ كثيرةٌ من طلبة العلم على ابن الفارض (ت: 632هـ) أبياتًا في تائيته، وتفسيره وتكفيره بسببها، ممّا تسبّب في حصول مشاحناتٍ بينهم وبين مؤيّديه، وذلك في سنة: 875هـ، فكادت العواصم أن تقتله، وحصل له من الأمراء ما لا خير فيه⁽⁵⁾.
- هجر بعض العلماء له، في دمشق بعد سنة: 880هـ، بسبب إكثاره الإنكار على ابن عربيّ وأمثاله إلى حدّ تكفير بعضهم، وتأليفه كتابًا في الردّ على الغزاليّ في مسألة "ليس في الإمكان أبدع ممّا كان"⁽⁶⁾، وحقيقة الأمر أنّه لم يردّ على الغزاليّ وإمّا ردّ مقولة "ليس في الإمكان أبدع ممّا كان" ونفى أن تكون من كلام الغزاليّ حيث قال: "وإيّاك أن تلتفت إلى من قال: إنّّه ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم، فإنّه مذهبٌ فلسفيّ خبيثٌ، والآية نصٌّ في إبطاله، وإن نسبه

(1) السّخاويّ، الضّوء اللّامع، (101/1-102).

(2) البقاعيّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ترجمة مقدّم الكتاب للبقاعيّ، ص: 57.

(3) ينظر: السّخاويّ، الضّوء اللّامع، (102/1)، محمّد بن أحمد بن إياس الحنفيّ، بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، تح: محمّد مصطفى، (ج2: دار النّشر: فرانز شتاينر- فيسبادن، ط: 1، 1392هـ/1972م، ج3: مركز تحقيق الثّراث، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط: 3، 1404هـ/1984م)، (259/2)، عليّ بن داود الجوهريّ الصّيريّ، إنباء الهصر بأنباء العصر، تح: حسن حبشي، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، إدارة الثّراث، مصر، ط: 2، 2002م، ص: 509.

(4) ينظر: السّخاويّ، نفسه، (106/1)، الشّوكانيّ، البدر الطّالع، (20/1-21).

(5) ينظر: ابن إياس الحنفيّ، بدائع الزّهور، (47/3-51).

(6) ابن العماد، شذرات الدّهب، (218/10).

بعض الملحدّين إلى الغزالي فإبّى لا أشكُّ أنّهُ مدسوسٌ عليه فإنّه مذهبٌ فلسفيٌّ خبيثٌ بشهادة الغزالي ... والغزالي بريءٌ منه بشهادة ما وجد من عقائده في الإحياء وغيره⁽¹⁾.
قال الشّوكانيُّ: " ولم يزل المترجم له رحمه الله يكابد الشّدائد ويناهد العظام قبل رحلته من مصر وبعد رحلته إلى دمشق حتّى توفّاه الله"⁽²⁾.

الفرع الرّابع: وفاته

قضى البقاعيُّ آخر خمس سنواتٍ من عمره بدمشق، بمنزله المجاور للمدرسة البادرانيّة، بالقرب من المسجد الأمويّ⁽³⁾، أقام هناك إلى أن توفّاه الأجل -رحمة الله عليه- ليلة السّبت: 18 رجب، سنة: 885هـ، الموافقة لسنة: 1480م، عن ستِّ وسبعين سنةً⁽⁴⁾، وصُلّي عليه من الغد بالجامع الأمويّ، ودفن بالحمريّة خارج دمشق من جهة قبر عاتكة⁽⁵⁾، ويقوم عليها الآن حيُّ الشّويكة⁽⁶⁾.

وذكر السّخاويُّ أنّ وفاته كانت - فيما قيل - بعد أن تفتّت كبده، وتابعه عليه الشّوكانيُّ⁽⁷⁾.

المطلب الثّاني: مسيرته العلميّة

قيل في المثل: " ربّ ضارّةٍ نافعة"⁽⁸⁾، وقال البقاعيُّ في ترجمته لنفسه: " وكان كثيرًا ما يشاهد النّعم في النّقم، ومن أعظم ذلك أنّ قتل أبيه وأعمامه كان سببًا في انتقاله إلى دمشق، وكان مبدأ

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (177/20-178).

(2) الشّوكانيُّ، البدر الطّالع، (21/1).

(3) عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيُّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 15.

(4) بالتّاريخ الهجريّ، أمّا بالميلاديّ ف: 74 سنةً.

(5) السّخاويُّ، الصّوّء اللّامع، (107/1)، ابن العماد، شذرات الدّهب، (510/9)، الشّوكانيُّ، البدر الطّالع، (21/1)، الزّركلي، الأعلام، (56/1).

(6) البقاعيُّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ترجمة مقدّم الكتاب للبقاعيّ، ص: 71.

(7) السّخاويُّ، الصّوّء اللّامع، (107/1)، الشّوكانيُّ، البدر الطّالع، (21/1).

(8) مثلٌ مشتهرٌ على ألسنة النّاس، ولم أقف على قصّته في كتب الأمثال، وأصله قوله تعالى: ﴿وَعَيَّنَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْعًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 216).

حصول السّعادة لطلب العلم ومعرفة بلاد البشر⁽¹⁾، وقال: "إلى أن أراد الله تعالى بإقبال السّعادتين الدُّنيويّة والأخرويّة؛ فنقلني جدّي لأمي عليّ بن محمّد السُّليميّ إلى دمشق"⁽²⁾.

الفرع الأوّل: طلبه للعلم وشيوخه

ابتدأت مسيرة البقاعيّ العلميّة بعد دخوله دمشق سنة: 823هـ، ففيها انصرفت همّته إلى الاعتناء بالقرآن الكريم؛ فجوّد بها القرآن و"جدّد حفظه"⁽³⁾، واهتمّ بالقراءات القرآنيّة؛ فعرف أصول السّبع، وتأهّل للمطالعة على ذلك، وحفظ بعض «الشّاطبيّة». ثمّ تاقّت نفسه إلى الاشتغال بالعلم سنة: 826هـ، وعمره لم يتجاوز حينئذٍ السّبعة عشر عامًا؛ فلازم تاج الدّين محمّد بن بهادر، وأخذ عنه النّحو والصّرف والفقه، ودرس عليه في المعقولات، ولمّا قدم ابن الجزريّ إليها في سنة: 827هـ، تلا عليه بالعرض، وحفظ منظومته «طبيّة النّشر في القراءات العشر»⁽⁴⁾، ثمّ خرج البقاعيّ في السنّة نفسها من دمشق، وارتحل إلى بلادٍ عدّة، في الشّام ومصر والحجاز. وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ممّا طلبه البقاعيّ في دمشق في رحلته الأولى إليها، استمرّ في الطّلب في رحلاته ومن ذلك:

أ- في الفقه:

اهتمّ البقاعيّ بالفقه الشّافعيّ، فدرس «الحاوي الصّغير» لنجم الدّين عبد الغفار بن عبد الكريم القزوينيّ (ت: 665هـ)، وحفظ نظمه المُسمّى «البهجة الوردية»⁽⁵⁾، وحضر بحته على فقيه الشّام تقيّ الدّين أبي بكر بن قاضي شهبه، وسمع بحته أيضًا على الشّرف الشّبكي، وسمع كثيرًا منه على الشّمس الونائيّ⁽⁶⁾.

(1) البقاعيّ، عنوان الرّمان، (66/2).

(2) ابن العماد، شذرات الذهب، (509/9).

(3) هكذا نقل ابن العماد قول البقاعيّ (ابن العماد، نفسه، 509/9)، وذكره بمعناه ابن فهد (ابن فهد، معجم الشُّيوخ، ص: 337)، خلافاً لما ورد في عنوان الرّمان من كلام البقاعيّ أنّه قال: "وحفظه" (البقاعيّ، عنوان الرّمان، 62/2)، وقد سبق ذكرُ أنّه حفظه في قريته قبل أن يغادرها.

(4) البقاعيّ، نفسه، (62/2-63)، ابن فهد، نفسه.

(5) خمسة آلاف بيتٍ من نظم زين الدّين عمر بن مظفر الورديّ الشّافعيّ (ت: 749هـ)، (ينظر: حاجي خليفة، كشف الطُّنون، 627/1).

(6) البقاعيّ، عنوان الرّمان، (63/2، 65).

ومن الذين أخذ عنهم في الفقه وأصوله: القاياتي في القاهرة، لازمه كثيراً⁽¹⁾، وابن بهادر بعد أن رجع إلى دمشق في الثّانية، ولازمه إلى أن مات في رمضان سنة: 831هـ.

وفي القدس -الأولى والثّانية- اهتمّ بالجبر والحساب لأهمّيتهما في علم الفرائض، فحفظ منظومة ابن الهائم في الجبر وعرضها على تلميذه العماد إسماعيل بن شرف، وبحث في الحساب «الوسيلة» وفي الفرائض «الفصول» كلاهما لابن الهائم، على تلميذه زين الدّين ماهر.⁽²⁾

وفي فقه المالكيّة: حضر درس أبي الفضل المَشْدَلِيّ البجائيّ المغربيّ المالكيّ بالجامع الأزهر، وظهر له أنّ من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب.⁽³⁾

ومن الأحناف: أخذ عن أبي حفص عمر بن قديد بن عبد الله القلمطائيّ القاهريّ الحنفيّ، المعروف بابن قديد، في الأصول وغيرها.⁽⁴⁾

وقد أفرد البقاعيّ شيوخه في الفقه بالذّكر في رسالة خاصّة سمّاها: «الشّجرة البهيّة في السّلسلة الفقهيّة»، ذكرها في كتابه «دلالة البرهان القويم».⁽⁵⁾

ب- في الحديث:

اهتمّ البقاعيّ في رحلاته بطلب علم الحديث؛ فبحث على العماد بن شرف «شرح النّخبة» لابن حجر في القدس في الثّانية، وفي الثّالثة: قرأ «سنن أبي داود» وغيره.

وفي القاهرة: لازم ابن حجر العسقلانيّ وأخذ عنه، فبحث عليه شرح النّخبة، وسمع عليه غالب شرح ألفيّة العراقيّ بحثاً، وكتب جملةً من تصانيفه وقرأها عليه⁽⁶⁾. وأخذ عن زين الدّين عبد الرّحمان بن سراج الدّين عمر بن عبد الرّحمان المقدسيّ الحنبليّ كتاب «علوم الحديث» لابن

(1) ينظر: السّخاويّ، الضّوء اللّامع، (102/1، 104)، السّيوطيّ، نظم العقيان، ص: 24.

(2) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (63/2)، البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 24.

(3) ينظر: الشّوكانيّ، البدر الطّالع، (248/2).

(4) عبد الرّحمن بن عبد اللّطيف بن عبد الرّحمن الرشيدان، الثّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة للإمام العالمة الحافظ برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ الشّافعيّ (ت 885هـ) من بداية نوع «معرفة من تقبل روايته ومن تردّد» إلى نهاية مبحث «الإشارة بالرّمز»، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، كليّة الحديث الشّريف والدراسات الإسلاميّة، قسم علوم الحديث، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1415هـ-1416هـ، ص: 21.

(5) ينظر: عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 16.

(6) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (63/2-64).

الصّلاح شفاهاً⁽¹⁾، وسمع جملةً من كتب الحديث على مشايخها، وقرأ بنفسه⁽²⁾؛ فقرأ صحيح البخاريّ على نور الدّين بن عُديسٍ عليّ النّحراويّ المالكيّ (ت: 840هـ)⁽³⁾، وقرأ «السّنن الكبرى» للنّسائيّ على ناصر الدّين الرّفناويّ⁽⁴⁾، وسمع «المعجم الأوسط» للطّبرانيّ وانتقاه في «الملتقط»، و«الرّغيب» للأصفهانيّ وانتقاه في «منتقى الغريب الفاني»، و«دلائل النّبوة» للبيهقيّ وانتقاه في «إشارة المتقي»⁽⁵⁾.

وفي سفرته إلى حلب رفقة شيخه ابن حجر، أخذ عن شيوخ الرّواية بها وبغيرها⁽⁶⁾، فقرأ عليه مشايخها جملةً من كتب الحديث⁽⁷⁾، وسمع من علماء دمشق والقدس والخليل وحماة وحمص⁽⁸⁾، وأكثر عن برهان الدّين القوف من التّصانيف والأجزاء⁽⁹⁾، وقرأ على العزّ بن الفرات الجزء الثّاني من حديث ابن مسعود لابن ساعدٍ بإجازته من العزّ بن جماعة بقراءته على الحسن بن عمر الكردي بحضوره له في الرّابعة على ابن اللّبيّ، وكان في الموجودين من يرويه متّصلاً بالسماع⁽¹⁰⁾.

ج- في التّفسير وعلوم القرآن:

سمع البقاعيّ من دروس القايّاتي في الكشّاف⁽¹¹⁾، وقرأ على المَشْدَلِيّ التّفسير، ومنه تعلّم القاعدة الكليّة للتّناسب التي أقام عليها تفسيره⁽¹²⁾، واستفاد من أبي شامة عبد الرّحمان بن

(1) برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ، النّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة، تح: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرّشد- ناشرون، الرياض-المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1428هـ/2007م، (71/1).

(2) البقاعيّ، عنوان الرّمان، (64/2).

(3) خير خليل عبد الكريم، النّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة للبقاعيّ ت 885هـ، من بداية الكتاب إلى نهاية قسم الحسن، تحقيقٌ ودراسةٌ، رسالة ماجستير، قسم الدّراسات العليا، شعبة السّنّة، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1406هـ، ص: 38.

(4) ينظر: السّخاويّ، الضّوء اللّامع، (109/1)، خير خليل، نفسه، ص: 47.

(5) ينظر: البقاعيّ، عنوان الرّمان، (65/2).

(6) السّخاويّ، الضّوء اللّامع، (102/1).

(7) البقاعيّ، عنوان الرّمان، (64/2).

(8) البقاعيّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ترجمة مقدّم الكتاب للبقاعيّ، ص: 57.

(9) البقاعيّ، عنوان الرّمان، (64/2).

(10) السّخاويّ، الضّوء اللّامع، (102/1).

(11) نفسه، (104/1).

(12) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 20.

إسماعيل الدّمشقيّ من كتابه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز»⁽¹⁾.

د- في أصول الدّين والمنطق:

في دمشق: أخذ البقاعيّ في المنطق على بدر الدّين الهنديّ تلميذ الشّريف الجرجانيّ، بحث عليه أوائل الشّمسيّة، فأعجب الشّيخ به⁽²⁾، وأخذ في المنطق كذلك عن ابن بهادر⁽³⁾. وفي القاهرة: قرأ في أصول الدّين والمنطق على القاياتي⁽⁴⁾، وبحث عليه شرح العقائد بقرائه⁽⁵⁾، وأخذ عن ابن قديد في المنطق والحكمة والجدل⁽⁶⁾.

هـ- في النّحو و علوم العربيّة:

في القدس: حفظ البقاعيّ منظومة ابن الهائم في قواعد الإعراب، وعرضها على العماد إسماعيل بن شرف تلميذ ابن الهائم، وبحث على الحافظ تاج الدّين بن الغرابيليّ «شرح نظم كافيّة ابن الحاجب».

وفي دمشق: درس في النّحو والصّرف والمعاني والبيان على ابن بهادر سبط ابن الشّهيد⁽⁷⁾. وفي القاهرة: أخذ النّحو والمعاني والبيان عن القاياتي⁽⁸⁾، وعن ابن قديد الحنفيّ⁽⁹⁾. وسمع على عبد السّلام البغداديّ بحث الكافيّة الشّافية لابن مالك وذيلها في الخطّ لابن خطيب الدّهشة، وكذا تلخيص المفتاح، ومختصر ابن الحاجب وغيرها⁽¹⁰⁾.

(1) البقاعيّ، إظهار العصر، مقدّمة محقّق الكتاب، (30/1).

(2) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (167/2-168).

(3) ابن فهد، معجم الشّيوخ، ص: 337.

(4) السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (104/1).

(5) البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 29.

(6) عبد الرّحمن الرّشيدان، النّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة، دراسة وتحقيق، ص: 21.

(7) البقاعيّ، عنوان الزّمان، (63/2)، ابن فهد، معجم الشّيوخ، ص: 337.

(8) السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (104/1).

(9) عبد الرّحمن الرّشيدان، النّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة، دراسة وتحقيق، ص: 21.

(10) البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 29.

و- في الشعر والأدب:

قرأ البقاعيّ «سِفْطُ الزُّنْد» لأبي العلاء المعرّيّ، و«مصارع العشاق» للسّرّاج، وانتقاهما، وكتب عن شعراء دميّاط وإسكندريّة وما بينهما من البلاد.⁽¹⁾

ز- في السيرة والتاريخ:

سمع البقاعيّ سيرة ابن هشام على مجد الدّين البرماويّ القاهريّ⁽²⁾، وقرأ على المقرئيّ المؤرّخ بعض مؤلّفاته⁽³⁾.

إضافةً إلى ما ذكر، أخذ البقاعيّ عن كثيرٍ من المشايخ في فنون العلم المتنوّعة، وفي البقاع المختلفة؛ فأكثر من المسموع على مشايخ القاهرة في الثّالثة، وغالبه بقراءته، وقرأ فيها على مشايخ من دمشق، وسمع بأكثر البلاد فيما بين دميّاط وإسكندريّة في أثناء رحلته إليهما، وأدرك كثيراً من أصحاب الصّلاح بن أبي عمر، وابن أميلة وغيرهم من الآخذين عن الفخر، وأخذ عن أصحاب أبي الفتح محمّد الميّدوميّ، وتقّيّ الدّين السّبكيّ، وجمال الدّين بن ثباتة، وعلاء الدّين مُغلّطايّ، وصلاح الدّين خليل بن كيكلدي العلائيّ، وابن شيخ الجبل، وغيرهم من تلك الطّبقة.⁽⁴⁾ وأخذ عن العلاء القلقشنديّ، وعن التّقّيّ الحُصينيّ الشّاميّ⁽⁵⁾، وسمع من البرهان الحلبيّ، والبرهان الواسطيّ، والتّدمرّيّ، والمجد البرماويّ، والبدر البوصيريّ⁽⁶⁾، وكثيرٍ من العلماء، جمّعهم وترجم لهم في معجمه الذي سمّاه: «عنوان الزّمان بتراجم الشّيوخ والأقران»، واختصره في «عنوان العنوان بتجريد أسماء الشّيوخ والتّلامذة والأقران»⁽⁷⁾.

(1) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (65/2).

(2) خبير خليل، الثّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة، تحقيق ودراسة، ص: 25.

(3) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 20.

(4) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (65-64/2).

(5) ينظر: السّخاويّ، الصّوء اللّامع، (102/1).

(6) السّبيوطيّ، نظم العقبان، ص: 24.

(7) السّخاويّ، الصّوء اللّامع، (105/1)، وأمّا محقق «عنوان الزّمان» فقال: إنّ «عنوان العنوان بتراجم الشّيوخ والتّلاميذ والأقران» ملحقٌ مكتملٌ لعنوان الزّمان وزاد فيه ذكر تلاميذه (ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، مقدّمة المحقّق، 10-9/1).

هذا، وقد برع البقاعي في طلب العلم وتمييز على أقرانه، وناظر وانتقد حتى على شيوخه⁽¹⁾، وكتب له الشيخ المحدث حافظ الشام برهان الدّين القوف في التّصحيح لبعض الطّبايق "الإمام"، وكتب له ابن شرف لمّا عرض عليه منظومتيّ ابن الهائم في الجبر وقواعد الإعراب: "الشيخ الإمام المقرئ المجيد"⁽²⁾، وكتب له ابن حجر: "البارع المفنّن"، وأذن له في التّدريس، ثمّ كتب له: "العلامة"⁽³⁾، وقال الشّوكاني في ترجمته له: "وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران"⁽⁴⁾، ونتيجة لتفوّقه في الطّلب شغل عددًا من المناصب العلميّة، وبيّناها في الفرع الآتي.

الفرع الثاني: وظائفه العلميّة

ذكر السّخاوي أنّ البقاعي تكسّب بالنّساخته وتعليم الأطفال وبغير ذلك⁽⁵⁾. ولتميّز البقاعي في الطّلب وتمكّنه وتفوّقه فيه، نال المكانة العلميّة التي تليق به، فأقرأ ودرّس، ونظّم وألّف، وأخذ عنه الطّلبة، وتبوّأ عدّة مناصب دينيّة وتعليميّة منها:

- أذن له ابن حجر في التّدريس (القاهرة الأولى: 834هـ - أواخر 834هـ)، وأجازه به الشّرف السّبكي وبالإفتاء كذلك (القاهرة الرّابعة: 838هـ - 846هـ).⁽⁶⁾
- تولّى وظيفة معيدٍ بمسجدٍ في "رحبة باب العيد" القريبة من الأزهر، وبمسجد "الظاهر"، حيث يقوم بإعادة الدّرس على بعض الطّلاب بشيءٍ من التّوضيح لما لم يستطيعوا فهمه من الشّيخ.⁽⁷⁾
- رقاہ ابن حجر فعينه في حياة الظّاهر جقمق لقراءة الحديث بالقلعة⁽⁸⁾ سنة: 842هـ، عوضًا عن نور الدّين السّوفيّ إمام الملك الأشرف، وكان السّلطان يحضر معهم أحيانًا،

(1) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، (510/9).

(2) ينظر: البقاعي، عنوان الزّمان، (64-63/2).

(3) البقاعي، فهرست مصنّفات البقاعي، القسم الأوّل: ترجمة البقاعي ودراسة الفهرست، ص: 25، وبيّن في الحاشية رقم (6) أنّ ما ورد في «عنوان الزّمان» في التّركيبة والتّونسيّة: "التّاريخ المفنّن" تحريفٌ.

(4) الشّوكاني، البدر الطّالع، (20/1).

(5) ينظر: السّخاوي، الصّوّء اللّامع، (102/1).

(6) البقاعي، عنوان الزّمان، (65-64/2).

(7) محمود توفيق، الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 19.

(8) السّخاوي، الصّوّء اللّامع، (102/1).

وشرط عليهم عدم اللّغط، فقرأ البخاريّ بحضرتة، فاستمعوا قراءته وفصاحته⁽¹⁾، فاستمرّ سنتين⁽²⁾، وبعد عودته من الجهاد والغزو والحجّ كان يرجع إلى القصر ويستمرّ في وظيفته بقراءة الحديث، إلى أن أوقفه السُّلطان في شهر رجب سنة: 851هـ، وأمر بسجنه لمّا شكاه شخصٌ إليه، ثمّ نفاه لولا أن شفع فيه بعض الأمراء⁽³⁾.

— تدرّس القراءات بالمدرسة المؤيّدية بالقاهرة، سنة: 857هـ، حيث أخذ الوظيفة عن المقرّي أمين الدّين محمّد بن عليّ بن موسى الشّافعيّ، شيخ القراءات بالمدرسة المؤيّدية والمدرسة الشّيخونية، وذلك بعدما توفّي يوم الأربعاء 29 ذي الحجة سنة: 856هـ، وربّما حضر درسه أكثر من مائتي إنسانٍ، منهم القضاة الأربعة إلاّ المالكيّ، ومنهم بعض شيوخه وبعض الطّلبة والفضلاء. ويرى البقاعيّ أنّها كانت مناسبةً عظيمةً أن تكون أوّل وظيفة حصلت له، والقراءات أوّل علمٍ اشتغل به⁽⁴⁾. وكونها أوّل وظيفة في نظر البقاعيّ، مع أنّها سبقها بعض الوظائف، إنّما ذلك باعتبار أنّه صار شيخًا للقراءات؛ يُقرئ ويُدرّس ويفيد ويجيز، بخلاف الوظائف السّابقة المقتصرة على الإعادة والإقراء⁽⁵⁾.

— درّس تفسير القرآن العظيم في جامع الظّاهر بالحسينية خارج القاهرة، ختمه يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان من سنة: 860هـ، عن نيّفٍ وعشرين سنةً، ثمّ ابتداءً يوم الجمعة سادس عشره في ختمةٍ أخرى⁽⁶⁾.

— عُيّن ناظرًا على خان الزّبداني (859هـ)، وعلى جامع الفكّاهين (863هـ)⁽⁷⁾.

— تولّى مشيخة القراء بترية أمّ الصّالح عند عودته إلى دمشق سنة: 880هـ، ولّاه متصرّف دمشق⁽⁸⁾.

ولمّا تعدّدت وظائف البقاعيّ، كان له تلامذةٌ كثيرٌ، وفي الفرع الآتي ذكرٌ لبعضهم.

(1) ينظر: العسقلانيّ، إنباء الغمر، (104/4)، البقاعيّ، عنوان الزّمان، (71/2).

(2) البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 38.

(3) ينظر: ابن إياس الحنفيّ، بدائع الزّهور، (259/2).

(4) ينظر: البقاعيّ، إظهار العصر، (267/1-269)، السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (103/1-104).

(5) ينظر: البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 43.

(6) ينظر: البقاعيّ، إظهار العصر، (203/2).

(7) نفسه، (86/3)، السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (103/1، 108-109).

(8) ينظر: السّخاويّ، نفسه، (106/1).

الفرع الثالث: تلاميذه

ذكر الهيتمي أنّ بعض تلامذة البقاعي من مشايخه، وأنّ بعضهم لم يتيسر له التصنيف، وبعضهم صنّف في الفقه تصانيف تضاهي تصانيف السعد التفتازاني وغيره من بلاغتها وحسن سبكها وجودة تراكيبها.⁽¹⁾

وقد ترجم البقاعي لتلاميذه في معجمه المكمل لعنوان الزمان والذي سمّاه: «عنوان العنوان بتراجم الشيوخ والتلاميذ والأقران»، وسمّاه محققه: «المعجم الصغیر»⁽²⁾، إلاّ أنّه وبسبب عدم تيسر الحصول على نسخة منه، فقد عوّلت في ذكرهم على من ترجم للبقاعي، ومن ترجم لتلاميذه. ومن هؤلاء التلاميذ من اختصّ بالبقاعي ولازمه كثيراً وأخذ عنه كثيراً، ومنهم من أخذ عنه بعض مؤلفاته، ومنهم من تردّد عليه يسيراً، ومنهم من ذكر أنّه أخذ عنه، دون بيان ما أخذ، وسوف أقتصر على ذكر بعض من اختصّ به، وبعض من أكثر من مجالسته أو من الأخذ عنه؛ طلباً للاختصار.

فمن ذكر أنّه اختصّ به:

- علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عليّ النور، أبو الحسن المحليّ ثمّ القاهريّ الشافعيّ، ويُعرف بابن قريّة المحليّ، قرأ على البقاعيّ مناسباته وغيرها من الحديث وغيره، وأوصى له البقاعيّ بكلّ ما كان بخطّه من كتبه وغيرها، فسافر إلى الشّام فأخذها⁽³⁾، وذكر الهيتمي أنّه من تلامذة البقاعيّ، ونعته بالشيخ العلامة⁽⁴⁾.
- أحمد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن يوسف الشّهاب الدّمياطيّ، ويُعرف بالأشموقيّ نسبةً لأبّه لكون أصلها منها، أخذ عن البقاعيّ وتزايد اختصاصه به بحيث كان يرسل إليه ببعض تصانيفه.⁽⁵⁾

(1) ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، ص: 53-54.

(2) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزمان، مقدّمة المحقق، (10-9/1).

(3) السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (107/1)، (18/6).

(4) ينظر: ابن حجر الهيتميّ، الفتاوى الحديثية، ص: 54.

(5) السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (18/2).

- عليّ بن إبراهيم بن أبي بكرٍ نور الدّين، الأنصاريّ الشّافعيّ، ويُعرف بالكلبشيّ وبالكلبشاويّ، لازم البقاعيّ في مناسباته وغيرها، وعظّم اختصاصه به ثمّ تنافرا. (1)

ومّن ذكر بكثرة مجالسته للبقاعيّ أو بكثرة الأخذ عنه:

- أحمد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن زهير الرّمليّ ثمّ الدّمشقيّ الشّافعيّ، لازم البقاعيّ بدمشق حين إقامته بها، وأخذ عنه كثيراً في ألفيّة الحديث وغيرها، وكتب من مناسباته قطعةً وسمعتها، وعادى الكثير من أهل بلده بسببه، وليّ مشيخة الإقراء بترية أمّ الصّالح بعد البقاعيّ، ووصفه ابن العماد بالإمام العلامة. (2)
- يعقوب بن عبد الرّحمن بن يعقوب بن عبد الرّحمن بن محمّد بن عمر بن الحسن بن عليّ بن أبي بكر بن بكار بن أطوال، المغربيّ الفاسيّ المالكيّ، قاضي الجماعة بمدينتي فاس وتازة، ويعرف بابن المعلّم، حضر مجلس البقاعيّ كثيراً، وسمع عليه في المناسبات. (3)
- محمّد بن محمّد الغزّيّ، وصّفه حفيده الغزّيّ مؤلّف «الكواكب السّائرة» بالشيخ الإمام شيخ الإسلام، أخذ عن البقاعيّ الحديث وعلومه، والعربيّة، وقرأ عليه الكتب السّنة، وشرّح ألفيّة الحديث للعراقيّ له، ونخبة الفكر وشرّحها لابن حجر، وغالب مؤلّفاته بالمناسبات وغيرها. (4)

ولم يقتصر دور البقاعيّ على تعليم الطُّلاب وتأليف الرّجال، بل ألف كثيراً من الكتب، في الفرع الآتي ذكرٌ لبعضها.

(1) السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (152/5).

(2) ينظر: نفسه، (221/1)، ابن العماد، شذرات الدّهب، (168/10).

(3) السّخاويّ، نفسه، (284/10).

(4) نجم الدّين محمّد بن محمّد الغزّيّ، الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1418هـ/1997م، (4-3/2).

الفرع الرّابع: مؤلّفاته

للبقاعيّ مكانةٌ علميّةٌ رفيعةٌ؛ فقد وصفه ابن حجر بقوله: "صاحبنا العلامه"⁽¹⁾، وكتب له على «عنوان الرّمان»: "الشّيخ الإمام، العلامه الأوحّد، المتقن المتفنّن، الحافظ المحقّق"⁽²⁾، وذكر الشّيوطي أنّه "مهر وبرع في الفنون"⁽³⁾، وقال ابن العماد: "وبالجمله فقد كان من أعاجيب الدّهر وحسناته"⁽⁴⁾.

وقد تُرجمت هذه المكانة بغزارة النّشاط والإنتاج العلميّ، وقد قال الشّيوطي: "وله تصانيف كثيرةٌ حسنة"⁽⁵⁾، قال عنها الشّوكاني: "وتصانيفه شاهدةٌ بأنّه من الأئمّة المتقنين المتبحّرين في جميع المعارف"⁽⁶⁾، وذكر البقاعيّ أنّها تقارب المائة، وأكثرها لم يُسبق إليه⁽⁷⁾.

وقد تنوّعت مؤلّفاته تنوّع العلوم والفنون، منها المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها المفقود، وطلبًا للاختصار أقتصر على ذكر المطبوع منها، وأعرضها مصنّفه على النّحو الآتي:

أ- مؤلّفاته في التّفسير وعلوم القرآن:

1. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور»، يعتبره البقاعيّ أجلّ كتبه⁽⁸⁾.
2. «الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة»⁽⁹⁾.
3. «الأجوبة السّريّة عن الألغاز الجزريّة»⁽¹⁰⁾.

(1) العسقلانيّ، إنباء الغمر، (209/4).

(2) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (135/1).

(3) الشّيوطي، نظم العقبيّان، ص: 24.

(4) ابن العماد، شذرات الدّهب، (510/9).

(5) الشّيوطي، نظم العقبيّان، ص: 24.

(6) ينظر: الشّوكانيّ، البدر الطّالع، (18/1).

(7) عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 19-20.

(8) نفسه، ص: 20.

(9) البقاعيّ، الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة، تح: عبد الرّحيم السّايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، (د ط ت). وحقّق قبلها بعنوانٍ آخر (أبو الحسن، البقاعيّ، الأقوال القديمة في حكم النّقل من الكتب القديمة، تح: محمّد مرسي الخولي، نشر في: مجلّة معهد المخطوطات العربيّة، الصّادرة عن المنظمة العربيّة للتّربية والتّحافة والعلوم، مج: 26، ج: 2، الحرم 1401هـ/ نوفمبر (تشرين ثان) 1980م، ص: 37-96).

(10) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعيّ، الأجوبة السّريّة عن الألغاز الجزريّة، تح: جمال بن السّيّد بن رفاعي الشايب، مخطوطٌ يطبع لأوّل مرّة، مكتبة أولاد الشّيخ للتّراث، الهرم، (د ط ت).

4. «القول المفيد في أصول التّجويد لكتاب ربّنا المجيد». (1)
5. «الفتح القدسيُّ في آية الكرسيِّ». (2)
6. «لعب العرب بالميسر في الجاهليّة الأولى». (3)
7. «الاستشهاد بآيات الجهاد». (4)
8. «الصّوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات». (5)
9. «مساعد النّظر للإشراف على مقاصد السُّور». (6)

ب- مؤلّفاته في الحديث وعلومه:

1. «الإعلام بسبّ الهجرة إلى الشّام». (6)
2. «حاشية على نزهة النّظر». (7)

- (1) ذكر البقاعيُّ أنّه سبق وأن كُتِبَ عنه بعنوانٍ آخر، وهو: «تكليم الخبير في تعليم الصّغير كتاب ربّنا القدير» (برهان الدّين إبراهيم بن عمر بن الحسن البقاعيُّ، القول المفيد في أصول التّجويد، تح: خير الله الشّريف، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1416هـ/1995م، ص: 25).
- (2) إبراهيم بن عمر البقاعيُّ الشّافعيُّ، الفتح القدسيُّ في آية الكرسيِّ، تح: عبد الحكيم الأنيس، سلسلة الدّراسات القرآنيّة (3)، دار البحوث للدّراسات الإسلاميّة وإحياء الثّراث، دبي- دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ط: 1، 1422هـ/2001م.
- (3) جمع وعناية: عمر السّويديّ (كارلو لندبرج)، مطبعة بريل، ليدن، 1303هـ/1885م (محمّد عيسى صالحية، المعجم الشّامل للثّراث العربيّ المطبوع، معهد المخطوطات العربيّة (المنظمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم)، القاهرة، ط: 2، 1992م، 203/1)، برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيُّ، الثّكت والفوائد على شرح العقائد، تح: إحسان الطّيف أحمد الدّوري، المكتبة العصريّة، صيدا-بيروت، لبنان، ط: 1، 2012م/1433هـ، القسم الدّراسيُّ، ص: 26).
- (4) تح: مرزوق علي إبراهيم، دار الرّسالة، القاهرة، 1423هـ/2002م (برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيُّ، ما لا يستغني عنه الإنسان من مُلح اللّسان، تح: مشهور مشاهرة وناصر الدّين أبو خضير، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 2010م، ترجمة البقاعيِّ، ص: 22، البقاعيُّ، الثّكت والفوائد على شرح العقائد، القسم الدّراسي، ص: 26).
- (5) تح: محمّد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/1996م، ونشره محمّد رستم في مجلّة الإحياء المغربيّة، ع: 7، فبراير 1996م، ص: 177-211 (البقاعيُّ، ما لا يستغني عنه الإنسان من مُلح اللّسان، ترجمة البقاعيِّ، ص: 30، البقاعيُّ، الثّكت والفوائد على شرح العقائد، القسم الدّراسيُّ، ص: 26).
- (6) دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1418هـ/1997م (البقاعيُّ، الثّكت والفوائد على شرح العقائد، القسم الدّراسيُّ، ص: 27).
- (7) برهان الدّين إبراهيم بن إبراهيم اللّقانيّ (ت: 1041هـ)، قضاء الوطر في نزهة النّظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ضمّنه مصيّفه: حاشية على الثّزّهة لتلميذ المصنّف برهان الدّين البقاعيِّ (885هـ)، حاشية على الثّزّهة لتلميذ المصنّف قاسم بن فُطْلُوبِغَا (879هـ)، دراسة وتحقيق: أبو حفص اليمانيّ شادي بن محمّد بن سالم آل نعمان، قدّم له: أبو الحسن السّليمانيّ ومشهور بن حسن آل سلمان، الدّار الأثريّة، عمّان، الأردن، ينشر لأوّل مرّة، ط: 1، 1431هـ/2010م.

3. «الثّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة».

ج- مؤلّفاته في العقيدة والمنطق والكلام:

1. «الثّكت والفوائد على شرح العقائد».⁽¹⁾

2. «مصرع التّصوّف أو تنبيه الغيبيّ إلى تكفير ابن عربيّ»⁽²⁾، وطبع معه في كتابٍ واحدٍ:

«تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتّحاد». والعنوان: «مصرع التّصوّف» من وضع النّاشر لا من المؤلّف⁽³⁾.

3. «الإيدان بفتح أسرار التّشهُد والأذان».⁽⁴⁾

4. «سرُّ الرُّوح».⁽⁵⁾

5. «تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع ممّا كان».⁽⁶⁾

د- مؤلّفاته في الفقه وأصوله والفتاوى:

1. «إنارة الفكر بما هو الحقُّ في كفيّة الذّكر».⁽⁷⁾

(1) العقائد للنّسفيّ والشرح لسعد الدّين التّفنّازي، وقد سبق ذكره قريباً.

(2) برهان الدّين البقاعيّ، مصرع التّصوّف أو تنبيه الغيبيّ إلى تكفير ابن عربيّ، تح: عبد الرّحمان الوكيل، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1400هـ/1980م. أمّا ابن العماد فذكره بعنوان: «تنبيه الغيبيّ بتكفير عمر بن الفارض وابن عربيّ» (ابن العماد، شذرات الدّهَب، 510/9)، وذكر محقّق «فهرست مصنّفات البقاعيّ» أنّ ابن العماد هو من ضمّ إليه عمر بن الفارض مع أنّه موضوعٌ في الأصل لتكفير ابن عربيّ (البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص:62)، وفي «نظم الدرر» أنّه: «تنبيه الغيبيّ على تكفير ابن عربيّ» (البقاعيّ، نظم الدرر، 445/22).

(3) ينظر: البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص:66.

(4) إبراهيم بن عمر البقاعيّ الشّافعيّ، الإيدان بفتح أسرار التّشهُد والأذان، دراسة وتحقيق: مجدي فتحي السيّد، النّاشر: مكتبة الفوائد، توزيع: مكتبة الرُّشد-الرياض، ط:1، 1416هـ/1995م. صنّفه إحسان الدّوري ضمن آثاره في العقائد والتّصوّف (البقاعيّ، الثّكت والفوائد على شرح العقائد، القسم الدّراسي، ص:28).

(5) أبو الحسن، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعيّ الشّافعيّ، سرُّ الرُّوح، تح: محمّد بدر الدّين النّعساني الحلبيّ، مطبعة السّعادة، القاهرة، ط:1، 1326هـ/1908م.

(6) برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ، تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع ممّا كان، ويليه: تثبيت قواعد الأركان بأن ليس في الإمكان أبدع ممّا كان، وهو من أوثق المساعي في الرّدّ على البقاعيّ لتقيّ الدّين محمّد بن محمّد البلاطنسي (ت:936هـ)، تح: يونس بن عبد الغنيّ الفتيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 2019م. (غلاف الكتاب متوقّف على الرّابط التّالي:

<https://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb329076-320754&search=books>,

تاريخ التّصوّف: 2021/10/10، على السّاعة: 23:40د).

(7) برهان الدّين البقاعيّ، إنارة الفكر بما هو الحقُّ في كفيّة الذّكر، تح: سليمان بن مسلم الحرش، مكتبة العبيكان، الرياض، ط:1، 1421هـ/2001م.

2. «القول المعروف في مسألة يا دائم المعروف»⁽¹⁾.

هـ - مؤلفاته في السيرة والتراجم والتاريخ والفهارس:

1. «بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيّد ورقة»⁽²⁾.

2. «عنوان الزّمان بتراجم الشيوخ والأقران»⁽³⁾.

3. «عنوان العنوان أو المعجم الصّغير»⁽⁴⁾.

4. «إظهار العصر لأسرار أهل العصر - تاريخ البقاعي».

5. «فهرست مصنّفات البقاعي».

و - مؤلفاته في اللّغة والأدب:

قال السّيوطي: " وشعره كثيرٌ، والجيد منه وسط"⁽⁵⁾، ومن مؤلفاته في اللّغة والأدب:

1. «رفع اللّثام عن عرائس النّظام»⁽⁶⁾.

2. «ما لا يستغني عنه الإنسان من ملح اللّسان».

كانت تلك كتبه المطبوعة لحدّ الآن - في حدود اطلّاعي - وأمّا المخطوط والمفقود من كتبه

فكثيرٌ.

(1) أبو الحسن، برهان الدّين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، القول المعروف في مسألة يا دائم المعروف، تح: أبو عبد الله حسين عكاشة، منشورٌ في: مجلّة الثّراث النّبويّ، مجلّة علميّة نصف سنويّة، تعنى بمخطوطات السّنة النّبويّة وعلومها وما يتّصل بهما من دراسات، وقف السّنة والثّراث النّبويّ، المملكة العربيّة السّعوديّة، ع: 1 و2، السّنة الأولى، مج: 1، محرّم ورجب 1439هـ/أكتوبر 2017 - مارس 2018م، ص: 205-261.

(2) برهان الدّين البقاعي الشّافعي، بذل النّصح والشفقة للتعريف بصحبة السيّد ورقة، وفيه: ديوان ورقة بن نوفل، تح: محمّد نبيل طريفي، دار الفكر العربيّ، بيروت-لبنان، ط: 1، 2003م.

(3) ذكره حاجي خليفة بعنوان: «معجم البقاعي» (حاجي خليفة، كشف الطّنون، 1733/2).

(4) إبراهيم بن حسن البقاعي، عنوان العنوان أو المعجم الصّغير، تح: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القوميّة، مركز تحقيق الثّراث، القاهرة، 1424هـ/2003م. (غلاف الكتاب متوقّف على الرّابط التّالي:

<https://aljameah.com/products/9fb42882-2473-4698-a786-9ed40b3df5d4>,

تاريخ التّصّح: 2021/10/10، السّاعة: 23:45د).

(5) السّيوطي، نظم العقبيان، ص: 24.

(6) محمّد غانم شريف ويونس أحمد عيدان، رفع اللّثام عن عرائس النّظام (في العروض والقافية) تحقيقٌ ونقدٌ، مجلّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانيّة، مجلّة علميّة محكّمة، تصدر عن كليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة تكريت، العراق، مج: 26، ع: 12، 2019م، ص: 255-282.

والسؤال المطروح ضمن هذا السياق: كيف كان عصر البقاعيِّ؟ وهل كانت ظروف العصر المختلفة في صالح العلم تعلُّماً وتعليمًا؟ وهل كان للبيئة التي عاش فيها البقاعيُّ أثرٌ في كتاباته؟ فكان من المناسب في هذا المقام، وللإجابة عن تلك التساؤلات، الحديث عن عصر البقاعيِّ وأثره في بناء شخصيَّته وتوجُّهاته ومواقفه، وذلك ما سيأتي بيانه في المبحث الآتي.

المبحث الثّاني: عصر البقاعيّ وأثره في بناء شخصيّته وتوجّهاته ومواقفه
امتدّت حياة البقاعيّ -رحمه الله- من سنة: 809هـ إلى سنة: 885هـ (أي: 76 سنة من
القرن الثّاسع الهجريّ)، الموافقة ل: 1406م-1480م (أي: 74 سنة من القرن الخامس عشر
الميلاديّ)، وقضى جُلَّ عمره في مصر وبلاد الشّام.

المطلب الأوّل: عصر البقاعيّ

شهد عصر البقاعيّ كثيرًا من الأحداث وتقلّبات الأحوال في شتى المجالات: السّياسيّة،
والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة، والعلميّة، والفكريّة، وبيان ذلك فيما يأتي.

الفرع الأوّل: الحياة السّياسيّة

وفيه الحديث عن أحوال العالم الإسلاميّ عمومًا، ثمّ أحوال مصر والشّام خصوصًا باعتبار أنّ
جُلَّ حياة البقاعيّ كانت فيهما.

أ- العالم الإسلاميّ سياسيًا:

بعد سقوط الخلافة العبّاسيّة في بغداد ومقتل الخليفة على يد هولاءكو في سنة: 656هـ⁽¹⁾،
انقسم العالم الإسلاميّ إلى ممالك توزّعت بين المغول والأترّك والعرب؛ فحكم المغول العراق وفارس
وتركستان وأفغانستان، وحمك التّرك مصر والشّام ممثّلين بالمماليك البحريّة ثمّ خلفهم الشّراكسة،
وحكموا آسيا الصّغرى ممثّلين بالسّلاجقة ثمّ بالعثمانيّين، وانحصرت سيادة العرب في اليمن
والمغرب⁽²⁾، وأمّا الحجاز فكانت تحت نفوذ المماليك، وأحيانًا تدخلت تحت سيطرة دولة بني رسول
باليمن أو دولة بني طاهر التي خلفتها⁽³⁾.

وفي سنة: 659هـ، أحيا الظاهر بيبرس الخلافة العبّاسيّة صورياً، ونقلها من بغداد إلى القاهرة
من أجل إضفاء الشّرعيّة على حكمه، واشترط مقابل نقلها أن تكون إدارة الأمور العامّة بيد
السّلطان، وأمّا الخليفة فيحتفظ بلقب (أمير المؤمنين)، فكان له ما أراد، ونصّب على رأس

(1) محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط: 5، 1421هـ/2000م، ص: 27، 46.

(2) ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، مراجعة وتعليق: شوقي ضيف، دار الهلال، مصر، (د ط ت)، (121/3).

(3) ينظر: محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، (ص: 97، 103).

السّلطنة؛ فكان هو من يحكم في العالم الإسلاميّ، وبتفويضٍ رسميٍّ من الخلافة⁽¹⁾. وبذلك صارت الدّولة المملوكيّة قائدة العالم الإسلاميّ في هذا العصر، ولكن تحت غطاء الخلافة العبّاسيّة، فالواجهة للخلافة والحكم للسّلطنة.

وشهد هذا العصر عودة القوّة للدّولة العثمانيّة الفتية⁽²⁾، والتي كان سقوط الدّولة المملوكيّة والخلافة العبّاسيّة على يدها (سنة: 923هـ/1517م)، وتولّت الخلافة بعدها⁽³⁾، حيث خاضت في أثناء هذا العصر الكثير من المعارك الضّارية التي مكّنتها من توسيع رقعتها ومناطق نفوذها⁽⁴⁾: منها ما أسقطت به الإمبراطوريّة البيزنطيّة (سنة: 829هـ) ثمّ إسقاط آخر أباطرتها، ومعها فتح القسطنطينيّة واتّخاذها عاصمةً للدّولة العثمانيّة (سنة: 856هـ/1453م)، ومنها ما كان ضدّ جيش التّحالف الصّليبيّ الذي تشكّل من جيوش بولندا والمجر والنّمس وألمانيا وفرنسا استجابةً لدعوة البابا لشنّ حربٍ صليبيّةٍ ضدّ العثمانيّين (سنة: 847هـ/1443-1444م)، فيقاتلها السّلطان العثمانيّ مراد الثّاني وينتصر عليها في وقعة (فارنا) سنة: 848هـ/1444م-1445م⁽⁵⁾.

وأما الأندلس فكانت في آخر عهدها، عهد مملكة غرناطة، التي انتهى تاريخ الأندلس بسقوطها عام: 897هـ، حيث عاشت في فترة حياة البقاعيّ صداماتٍ بينها وبين قشتالة النّصرانيّة، كانت الحرب فيها سجّالاً، خسرت فيها غرناطة بعض القواعد والثّعور لصالح قشتالة التي استولت على جبل طارق سنة: 867هـ، ممّا حال دون وصول الإمدادات من الدّولة المرينيّة في المغرب التي انتهت سنة: 869هـ، وخلفتها دولة بني وطّاس⁽⁶⁾.

- (1) ينظر: مفيد الزّبيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، دار أسامة، الأردن-عمّان، 2009م، ص: 28، 245-246، محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 47.
- (2) ينظر: محمود شاكر، نفسه، ص: 203، محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -8- العهد العثمانيّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط: 4، 1421هـ/2000م، ص: 77.
- (3) محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 72-73، مفيد الزّبيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 20-21.
- (4) لمزيدٍ من التّفصيل يُنظر: عبد السّلام الترمانيّ، أحداث التّاريخ الإسلاميّ بترتيب السّنين، دار طلاس، دمشق، ط: 1، 1417هـ/1997م، (4/294، 367، 396، 409، 414، 427، 434، 445، 452، 473).
- (5) ينظر: نفسه، (4/323، 377، 379، 404).
- (6) ينظر: عبد الرّحمان عليّ الحجّي، التّاريخ الأندلسيّ من الفتح الإسلاميّ حتّى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق-بيروت، ط: 2، 1402هـ/1981م، ص: 550.

ب- مصر والشّام سياسياً:

عاش البقاعيّ في مرحلةٍ مهمّةٍ من التّاريخ السّياسيِّ لمصر والشّام تعرف بعصر المماليك أو العصر المملوكيّ⁽¹⁾، وبالتّحديد كانت حياته في العهد الثّاني من العصر المملوكيّ، وهو عهد المماليك البرجيّة أو الجركسيّة⁽²⁾، الّذين ابتداءً حكمهم سنة: 784هـ/1382م⁽³⁾، ليُزول على يد العثمانيّين في سنة: 923هـ/1517م⁽⁴⁾.

لقد تميّز هذا العهد بكثرة الصّراع على السّلطة، حتّى أنّه تولّاهما في فترة حياة البقاعيّ فقط: ستّة عشر سلطاناً، كان وصولهم إلى السّلطة في الغالب عن طريق الخلع للسّابق، أو العزل، وأحياناً عن طريق التّوريث، وأحياناً نادرةً بالاختيار.⁽⁵⁾

وانجرّ عن الصّراع على السّلطة حروبٌ بين المماليك وثوراتٌ وانقلاباتٌ ومؤامراتٌ⁽⁶⁾، فرمّما جلس الواحد منهم على عرش السّلطنة ليلَةً واحدةً⁽⁷⁾، أو مدّة ستّة أسابيع⁽⁸⁾، وربّما حكم آخرٌ

(1) حكمت دولة المماليك أكثر من قرنين ونصف من تاريخ العرب والمسلمين (648هـ-923هـ/1250م-1517م)، وجاء العصر المملوكيّ بين مرحلتين هائقتين: مرحلة الخِلافة العبّاسيّة في بغداد (سقطت في سنة: 656هـ/1258م)، ومرحلة الوجود العثمانيّ في الوطن العربيّ (ابتدأت في سنة: 1517م) (ينظر: مفيد الزّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 3، 20-21، محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 69).

(2) وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، طبع ضمن: صفحات من تاريخ مصر (25)، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط: 1، 1415هـ/1995م، ص: 121. ويقال لهم الجراكسة أو الشّراكسة (مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 20، 89). أكثر السّلطان سيف الدّين قلاوون -وهو من المماليك البحريّة- من شراء المماليك الشّراكسة الشّباب؛ لينشئ منهم فرقةً مقاتلةً مخصّصةً، يعتمد عليها في مواجهة التّحدّيات الدّاخلية والخارجية، وقام بتدريبهم في الأبراج والقلاع -ولذلك سموها "المماليك البرجيّة"- ليكونوا سنّداً ووعوناً له على منافسيه الأمراء الظّاهريّة (الّذين كانوا أتباع الظّاهر بيبرس في حياته) وأعوانهم، خاصّةً بعد إعلان بعضهم العصيان على حكمه، وتحالفهم مع الصّليبيّين (ينظر: مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 41، 74).

(3) ينظر: مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 20-21. وذهب آخرون إلى أنّ حكمهم كان ابتداءً من سنة: 792هـ (محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 69)، ويرجع الاختلاف إلى ما تخلّل فترة حكم سلطانهم الأوّل الظّاهر برقوق من خلعه ما يزيد عن مدّة 8 أشهر، بين سنتي: 791هـ و792هـ، وتولية الملك البحريّ المنصور الصّالح حاجي مكانه. فالقول الأوّل لا يَعتدُّ بهذا الانقطاع، والثّاني لا يَعتدُّ إلاّ باستمرار البرجيّة في الحكم.

(4) محمود شاكر، نفسه، ص: 72-73، مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 20-21.

(5) ينظر: محمود شاكر، نفسه، ص: 69، مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 106-123.

(6) ينظر: مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 106-123.

(7) تسلّم خير بك السّلطنة مساءً وُخّل صباحاً عام: 872هـ (محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 71).

(8) عثمان بن حنمق (ينظر: مفيد الزّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 116-117).

مدّة تسعةٍ وعشرين سنةً⁽¹⁾. ويرجع هذا التّباین إلى كثرة الاختلاف بين السّلاطين المتتابعة في طبيعة سياسة الرّعيّة بين الرّفق والاستبداد، أو في الشّخصيّة قوّةً وضعفًا، أو في الخبرة طولًا وقصرًا، أو في حسن الإدارة والسّياسة وفشلها، أو في إخلاص الرّعيّة ومقتها، وأمّا الحاشية فقد تميّزت في الغالب بالعدو والحيانة.

وأما النّظام المعتمد في تسيير الدّولة في العهد المملوكيّ عمومًا فهو النّظام الإقطاعيّ، القائم على تقسيم البلاد إلى إقطاعاتٍ أو قراريط، يقوم على كلّ إقطاعٍ أميرٌ.⁽²⁾ وأمّا السّياسة الخارجيّة، فقد كانت دولة المماليك دولةً مجاهدةً في سبيل الله، تغزو فتفتح وتبسط نفوذها تارةً⁽³⁾، وتفشل تارةً⁽⁴⁾، ويُعار عليها تارةً أخرى⁽⁵⁾، وتسالم فتعقد الصّلح والاتّفاقيّات والمعاهدات، وتُحسّن علاقاتها مع بقيّة الدّول الإسلاميّة وتتوتّر أحيانًا أخرى لتتطوّر إلى صراعاتٍ⁽⁶⁾؛ وهكذا ظلّت علاقاتها الخارجيّة تتأرجح بين العداء والسّلام⁽⁷⁾ إلى حين زوال الدّولة.

ولمّا كانت قيادة العالم الإسلاميّ في عصر البقاعيّ منوطه بالدّولة المملوكيّة، وعُرف عصره بعصر المماليك، ولمّا كانت حياة البقاعيّ جُلّها في مصر والشّام تحت ظلّ دولة المماليك؛ فإنّ

- (1) الأشرف قبايبي (872هـ-901هـ) (مفيد الرّيدّي، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 123).
- (2) ينظر: نفسه، ص: 251-252، وفيه بيان كيفيّة الإقطاع، سعيد عبد الفّتاح عاشور، العصر المماليكيّ في مصر والشّام، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، ط: 2، 1976م، ص: 360.
- (3) مثلًا فتح قبرص، وليماسول وجزرٍ أخرى، ولارناقة، وبسطت نفوذ مصر على مكّة وجدّة، كما بسطت نفوذها على التّصيف الشّرقيّ من آسيا الصّغرى (مفيد الرّيدّي، نفسه، ص: 112-114، 162-165)، وحقّقت انتصاراتٍ على التّركمان (مفيد الرّيدّي، نفسه، ص: 124، محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 84).
- (4) شنّت حملاتٍ على الصّليبيّين في جزيرة رودس ولم تنجح في إخضاعها (ينظر: مفيد الرّيدّي، نفسه، ص: 166-167).
- (5) غارات من التّركمان (ينظر: نفسه، ص: 113)، وملوك قبرص (ينظر: محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 74).
- (6) ظلّ السّلطان حُشقدم (865هـ-872هـ) -على سبيل المثال- مسالمًا في علاقته مع الصّليبيّين حتّى نهاية حكمه، تخلّل عهده صلحٌ واتّفاقيّاتٌ ومعاهداتٌ، وكان هناك توتّرٌ ملحوظٌ في علاقته مع العثمانيّين ولكن دون نشوب حروبٍ أو صراعاتٍ، واستمرّ التّوتّر بين المماليك والعثمانيّين، فحصلت بينهم بعض المواجهات ونشبت بينهم بعض الصّراعات انتصر فيها المماليك (مفيد الرّيدّي، نفسه، ص: 118، 120-126)، وأمّا في عهد حقمق خاصّةً (842هـ-857هـ) فقد كانت علاقة دولة المماليك مع الدّول الإسلاميّة من آسيا الصّغرى والعثمانيّين حسنةً (مفيد الرّيدّي، نفسه، ص: 114، 116).
- (7) نفسه، ص: 167.

الحديث عن عصر البقاعيِّ سيرتكز على الحديث عن عصر المماليك ودولتهم في شتى المجالات، وذلك على النحو الآتي.

الفرع الثّاني: الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة

ارتكزت الدولة المملوكيّة في اقتصادها عمومًا على ثلاثة مجالاتٍ أساسيّةٍ هي: الزراعة والتجارة والصناعة، ولمّا كانت غالبية الشعب من طبقة الفلاحين، اهتمّ السلاطين المماليك باستثمار طاقات هذه الفئة من المواطنين، إلا أنّ الغلّة تستأثر بها الطبقة العليا⁽¹⁾.

ولمّا لم يكن النظام الإقطاعي كافيًا لسدّ الحاجات الماديّة، اتّجه الشراكسة نحو التجارة، حيث كانت مصر تحتلّ مركزًا تجاريًا هامًا بين الشرق والغرب، فأقاموا علاقاتٍ تجاريةٍ مع إيطاليا ودولٍ أوروبيةٍ غربيّةٍ خلال القرن الخامس عشر (عصر البقاعيِّ)، وظلّت موانئ مصر والشّام على البحر المتوسط مراكز للاتّصال التجاريّ بين المحيط الهنديّ وشرقيّ آسيا، والمحيط الأطلسيّ وغربيّ أوروبا، ففتحت أسواق السلع الشّرقيّة والغربيّة⁽²⁾، وبناءً على ذلك وعلى الظروف السياسيّة الداخليّة والخارجيّة نشطت مختلف الصناعات الحربيّة والمدنيّة الصّغيرة والكبيرة.⁽³⁾

وقد عرّف اقتصاد مصر والشّام في هذه الفترة تأرجحًا بين الاستقرار والتدهور، والمتحكّم في ذلك عوامل مختلفة منها السياسيّة الداخليّة والخارجيّة، ومنها العوامل الطّبيعيّة والبيئيّة.

ففي عهد برسباي (825هـ-841هـ) شهد الاقتصاد نموًّا، خاصّةً بعد عودة نفوذ مصر على مكّة وجدّة، وتوطّد العلاقات التجاريّة بين هذه المدن، واحتكار الدولة تجارة التوابل والفلفل، ثمّ تأثر بعده بالقحط والجراد وانتشار الطّاعون، وانتشرت المجاعة، ثمّ تحسّنت التجارة الدوليّة مرّة أخرى في عهد حقمق (842هـ-857هـ)⁽⁴⁾، والتجارة المحليّة في عهد السُلطان إينال (857هـ-865هـ)⁽⁵⁾ الذي أسهم في انتعاشها وتشجيعها من خلال التسهيلات والإعفاءات الممنوحة للتّجار⁽⁶⁾، إلا أنّ الكلمة في الأخير كانت لأمرائه، حيث أسهموا بشكلٍ كبيرٍ في تخريب البلاد

(1) ينظر: موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيُّ، ص: 223، 233، 234.

(2) ينظر: نفسه، ص: 169.

(3) ينظر: نفسه، ص: 234-237.

(4) ينظر: نفسه، ص: 112-116.

(5) محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيُّ، ص: 69.

(6) ينظر: مفيد الرّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيُّ، ص: 169.

ونهبها، ففرغت الخزانة من الأموال وضعفت التّجارة، وانتشر الطّاعون مرّةً أخرى، ممّا زاد من تدهور اقتصاد الدّولة⁽¹⁾.

وفي عهد حُشَقَم (865هـ-872هـ) عُمرت البلاد بالرّشوة والفساد الماليّ، وخاصّةً من طرف أتباعه الذين استولوا على الأموال، واستمرّت الأزمة الماليّة في عهد قايتبائي (872هـ-901هـ)، مع القحط والضّرائب الخارجيّة على منتوجاته، وشحّ الموارد، وانتشار الطّاعون وقتله ثلث سكّان القاهرة والماشية أيضًا⁽²⁾.

ولارتباط الوثيق بين الظّروف الاجتماعيّة والظّروف السياسيّة والاقتصاديّة للبلاد؛ كثرت التّقلّبات كذلك على الصّعيد الاجتماعيّ، فتارةً يحلّ الأمن الاجتماعيّ وتارةً أخرى تنتشر الجرائم والآفات الاجتماعيّة، وهذا التّباين يكون بين سلطنةٍ وأخرى، وأحياناً في أثناء السلطنة الواحدة، فكان عهد السّلطان حقمق (842هـ-857هـ) -على سبيل المثال- من أحسن فترات حكم الماليك، حيث حارب حقمق الآفات الاجتماعيّة؛ لأنّه كان ورعاً متديّناً، فحرّم المعاصي وشرب الخمر، ولم يهتمّ بجمع الأموال وإدّخارها في خزائنه، ووَزَع المناصب على الطّمّوحين من أعوانه، فتراجعت بذلك أحداث القتل والتّعذيب، وعمّ الأمن والسّلم الدّاخليّين الذين افتقرت إليهما البلاد منذ سنين.

وعلى التّقيض منه عهد الأشرف إينال (857هـ-865هـ)؛ انتشرت فيه المفاصد الاجتماعيّة والجرائم الماليّة، وكثر السّرّاق واللّصوص؛ فاعتُدي على النّاس، ونُهبت أموالهم، وهُجرت الأسواق، ونُهبت أموال الخزينة، وغابت العدالة الاجتماعيّة؛ فهُضمت حقوق النّاس وخاصّةً الموظّفين منهم، وانتشرت الفتن والغلاء، وساد الخوف وفقد الأمن⁽³⁾.

لقد كان المجتمع المملوكيّ مقسّماً إلى طبقاتٍ، والذي ساعد على تكريس الطّبقيّة بالدّرجة الأولى هو الانفصال التّام بين الطّبقة الحاكمة والشّعب، كون الأولى تختلف عن الأخرى من كلّ النّواحي: في الأصل، والجنس، والدّم، والانتماء، وغيرها. والأثر الطّبيعيّ للطّبقيّة هو استئثار الطّبقة

(1) ينظر: مفيد الزّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 117.

(2) ينظر: نفسه، ص: 121-122، 126.

(3) نفسه، ص: 114-118.

العليا الحاكمة بالثروة، ويسر حال الطبقة المقرّبة منها (التّجّار)، ومعاناة الطبقة الدّنيا (الفلاحون) وما كان قريباً منها (العامة) من الفقر والحرمان والظلم الاجتماعي، ومن الاحتقار والرّسوم والضرائب والنهب والسلب... إلخ.⁽¹⁾

كما لم يسلم عصر البقاعيّ من جوائح الأمراض والأوبئة، حيث انتشر الطاعون في مصر والشّام مرّاتٍ كثيرةً في حياته، وقتل الكثير من النّاس⁽²⁾، وانتشر الوباء فيهما في سنة: 841 هـ، وأتى على البهائم، ومرةً أخرى في مصر، في سنة: 876 هـ، هلك فيه كثيرٌ من النّاس⁽³⁾. وعانت الدّولة المملوكيّة الشّركيّة من القحط والمجاعة مرّاتٍ عديدةً⁽⁴⁾، فأصاب الشّام وحدها القحط والجفاف ستّ عشرة مرّةً، ثلاثٌ منها في حياة البقاعيّ⁽⁵⁾، ومصر مرّتين في حياته⁽⁶⁾، وأصاب بلاد الشّام الجرادُ ثمانِي مرّاتٍ، ثلاثٌ منها في حياة البقاعيّ، ممّا تسبب في غلاء الأسعار، ممّا أثر كثيراً على حياة المواطن في مجتمع الدّولة المملوكيّة⁽⁷⁾.

الفرع الثالث: الحياة الثّقافيّة والعلميّة والفكريّة

سادت الثّقافة الدّينيّة في عهد المماليك بعد أن صارت مصر قاعدة الخلافة العبّاسيّة، وقصدها المسلمون من المشرق والمغرب، وكثر بناء المساجد، حيث قلّمًا يوجد سلطانٌ لم يشيّد

(1) ينظر: مفيد الرّيدّي، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكي، ص: 221-223.

(2) في مصر: في سنوات: (809 هـ، 818 هـ، 819 هـ، 821 هـ، 822 هـ، 833 هـ، 864 هـ، 873 هـ، 881 هـ) (ينظر: عبد السّلام التّرماني، أحداث التّاريخ الإسلاميّ بترتيب السّنين، 260/4، 290، 292، 297، 301، 335، 424، 452، 476)، وفي الشّام: في سنوات: (813 هـ، 826 هـ، 864 هـ) (ينظر: عبد السّلام التّرماني، نفسه، 284/4، 315، 424).

(3) ينظر: نفسه، (360/4، 461).

(4) مفيد الرّيدّي، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكي، ص: 113، 114.

(5) ينظر: فيصل عبد الله بن حمد، العوامل المؤثّرة في تذبذب أسعار الموادّ الغذائيّة في بلاد الشّام خلال العصرين المملوكين الأوّل (648-784 هـ/1250-1381 م) والثّاني (784-922 هـ/1381-1517 م)، المنارة للبحوث والدراسات، مجلّة علميّة متخصّصة محكّمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، جامعة آل البيت، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، مج: 14، ع: 2، ص: 290، 312-313.

(6) ومع القحط الغلاء، وذلك في سنّي: 854 هـ و864 هـ (ينظر: عبد السّلام التّرماني، أحداث التّاريخ الإسلاميّ بترتيب السّنين، 424، 396/4).

(7) ينظر: مفيد الرّيدّي، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكي، ص: 114، فيصل عبد الله، العوامل المؤثّرة في تذبذب أسعار الموادّ الغذائيّة في بلاد الشّام خلال العصرين المملوكين الأوّل والثّاني، ص: 292، 316.

مسجدًا أو أكثر، كما كثرت بيوت الصّوفيّة من الرّوايا والرّبط والخانقاوات؛ ممّا أدهش الرّحالة الأجنبيّ الذين زاروا مصر حينذاك.⁽¹⁾

وتميّزت دولة المماليك الأولى والثّانية بالفنّ والعمارة الدّينيّة والمدنيّة؛ قال سعيد عبد الفتّاح عاشور: "إنّ الحياة الفنيّة بلغت في عصر المماليك بالذّات أسمى درجات الرّفقيّ والرّوعة، وما زالت التّحف الفنيّة الرّائعة التي تزخر بها دور الآثار في العالم والتي ترجع إلى عصر المماليك، فضلًا عن العمائر المماليكيّة الفارقة الحسن من مساجد وقصور ومدارس وقباب وغيرها"⁽²⁾.

ومن مفارقات الأوضاع في الدّولة المملوكيّة: كثرة الأعياد والاحتفالات الدّينيّة والوطنيّة والسّلطانيّة والقوميّة والموسميّة، والتي غالبًا ما تُنفق فيها أموال طائلة، ويسرف فيها في الطّعام والشّراب، بالرّغم من قساوة الطّروف السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة للبلاد.⁽³⁾

كما انتقل إلى القاهرة -زاهرة المماليك- بعد سقوط الخلافة الإسلاميّة في العراق وانتقال مركز الخلافة الإسلاميّة العبّاسيّة إليها، العلماء والمعلّمون وطلبة العلم من بغداد -العاصمة القديمة للخلافة العبّاسيّة- وغرناطة -مركز الخلافة الإسلاميّة في إسبانيا وبلاد الأندلس-⁽⁴⁾ فصار العلماء يشكّلون طبقة محترمة مستقلّة من طبقات المجتمع المملوكيّ، تعرف بطبقة "أهل العمامة"⁽⁵⁾، قال الشّيوطيّ: "واعلم أنّ مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السّنّة، وعفت منها البدعة، وصارت محلّ سكن العلماء، ومحطّ رجال الفضلاء"⁽⁶⁾؛ فشهدت بذلك مصر نشاطًا علميًا غزيرًا⁽⁷⁾، ساعد على إنشاء جيلٍ آخر من العلماء في ظلّ الدّولة المملوكيّة - ومنهم البقاعيّ - من خلال استثمار كثرة المساجد، التي لم يقتصر دورها في عهد المماليك على توفير دور العبادة، وإمّا كانت تستخدم أيضًا كمدارس

(1) ينظر: مفيد الرّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 245، 249.

(2) سعيد عبد الفتّاح، العصر المماليكيّ في مصر والشّام، ص: 384.

(3) ينظر: مفيد الرّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 223-231.

(4) ينظر: نفسه، ص: 256.

(5) ينظر: نفسه، ص: 222-223.

(6) جلال الدّين عبد الرّحمن الشّيوطيّ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، ط: 1، 1968م/1387هـ، (94/2).

(7) ينظر: مفيد الرّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 256-257.

يقصدها المعلّمون وطلبة العلم⁽¹⁾، وكثرة المدارس الموروثة من العهد الأيوبيِّ وما قبله، ومنها ما أنشأه سلاطين المماليك وبعض أمرائهم، ومن أمثلتها:

في مصر: جامع عمرو ابن العاص، ومدرسة جامع ابن طولون، وجامع الأزهر، والمدرسة الصّالحية، والمدرسة العريّة، والمدرسة الظّاهريّة، والمدرسة الشّيخونية، ومدرسة السّلطان حسن بالقلعة بالقاهرة، والمدرسة الجمالية أو المحموديّة ...

في دمشق: مدرسة دار الحديث الظّاهريّة، ودار الحديث الأشرفيّة، والمدرسة النّاصريّة في جبل قاسيون، وأخرى ناصريّة داخل باب الفراديس، والجامع الأمويّ ...⁽²⁾

ولم تكن إسهامات سلاطين المماليك في النهضة العلميّة مقتصره على إنشاء المساجد والمدارس والإنفاق عليها، وإتّما أسهموا فيها كذلك من خلال التّقرب من العلماء والجلوس عندهم لطلب العلم، ودعمهم ومنحهم العطايا والهبات، وعقد المجالس العلميّة والدينيّة معهم، وكذلك كان الحال مع الأمراء، الأمر الذي كان يشجّع العلماء على النّشاط العلميّ أكثر⁽³⁾، ومن هؤلاء في زمن حياة البقاعيّ: الظّاهر حقمق، الذي كان محافظاً على دينه متجنّباً للشّهوات، محبّاً للعلم والعلماء⁽⁴⁾، وكان يعقد معهم المجالس ويستمع إليهم، ومن هؤلاء العلماء البقاعيّ⁽⁵⁾.

فكانت النتيجة أن ازدهرت كثير من العلوم والفنون الدّينيّة والدّنيويّة، وكثر التّأليف فيها، على غرار علم التّاريخ: العامّ، والخاصّ بالبلدان وبالطبّقات، والفقّه والحديث، واللّغة العربيّة وعلومها، والأدب: نظماً ونثراً، والجغرافيا، والفلاحة، والطّب، والسّياسة، والحكم، والموسوعات الضّخمة التي تتحدّث عن أحوال وموضوعاتٍ شتى، عامّة أو تخصّ العصر المملوكيّ، والعلوم الطّبيعيّة: كالمهندسة، وعلم النّجوم، والفلك، والزّراعة، والفلاحة، وعلوم الحيوان.⁽⁶⁾

(1) ينظر: مفيد الزّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 245.

(2) ينظر: نفسه، ص: 261-262، سعيد عبد الفتّاح، العصر المماليكيّ في مصر والشّام، ص: 342-343.

(3) ينظر: مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 256-257، 260، سعيد عبد الفتّاح، نفسه، ص: 341-342.

(4) ينظر: مفيد الزّيديّ، نفسه، ص: 116.

(5) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (71/2).

(6) ينظر: مفيد الزّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 257-260.

ومن أبرز العلماء المؤلّفين الذين أسهموا في هذه النّهضة العلميّة في الفترة التي عاشها البقاعيّ: شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن عليّ بن الهائم (ت: 815هـ)، والسّيّد الشّريف الجرجانيّ (ت: 816هـ)، والتّبريزيّ فتح الدّين فتح الله (ت: 816هـ) الذي نبغ في الطّب، والفيروزآباديّ (ت: 817هـ) اللّغويّ الشّهير، والقلقشنديّ (ت: 821هـ) صاحب «الأعشى في صناعة الإنشا» في الأدب، وغياب الدّين الكاشيّ (ت: 830هـ) في الرّياضيّات، وابن الجزريّ (ت: 833هـ) صاحب «النّشر في القراءات العشر»، وتقّي الدّين المقرئيّ (ت: 845هـ) صاحب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، و«السّلوك في معرفة دول الملوك»، وابن حجر العسقلانيّ (ت: 852هـ) صاحب «الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة»، وبدر الدّين العينيّ (ت: 855هـ) صاحب «عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان» في التّاريخ العامّ، و خليل بن شاهين الظّاهريّ (ت: 872هـ) في علم الأرض والفلك، وأبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت: 874هـ) صاحب «النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، وهو من أصلٍ مملوكيّ، ومحمّد بن عبد الكريم الصّفديّ (ت: 896هـ) في علوم الحيوان، وشمس الدّين السّخاويّ (ت: 902هـ) صاحب «الصّوّء اللّامع في أعيان القرن التّاسع»، وجلال الدّين السّيوطيّ (ت: 911هـ) صاحب «المزهر في علوم اللّغة وأنواعها»⁽¹⁾، وغيرهم كثيرٌ من العلماء الموسوعيّين الذين برعوا في العديد من العلوم والفنون. ولكثرة الموسوعات والمجموعات، وتعدّد المكتّرين من درس الموضوعات المختلفة، واستكثارهم من المعاجم في أكثر مؤلّفاتهم في العصر المملوكيّ، رأى جرجي زيدان أنّه يصحّ أن يسمّى هذا العصر بـ: "عصر الموسوعات أو المجاميع"⁽²⁾.

أمّا الجانب الفكريّ، فقد تميّز العهد المملوكيّ بخدمة سلاطينه للمذهب السّنيّ، ومحاربتهم للتّشيع، إمّا بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة من خلال أمرهم باتّباع المذاهب السّنيّة الأربعة وتحريم ما عداها، والتّضييق في الوظائف الدّينيّة على من ينتسب لغيرها، ومن خلال إنشاء المدارس كأداة

(1) ينظر: مفيد الرّيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، ص: 257-259، أحمد جلايلي، الحياة التّقافيّة في مصر المملوكيّة، الأثر، مجلّة جامعيّة محكّمة في الآداب واللّغات، تصدر عن جامعة قاصدي مرباح، ورقلة-الجزائر، ع: 6، ماي 2007م، ص: 174-177.

(2) ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، (125/3).

لخدمة السُّنة ومذاهبها اتِّباعًا لصنيع الأيوبيين قبلهم⁽¹⁾. وأمّا المذهب الرّسمي للدولة فالشّافعي⁽²⁾، وفي العقيدة مذهب الأشاعرة⁽³⁾.

وانتشر التّصوّف في العهد المملوكي بعد أن وفد إلى مصر- في القرن السّابع الهجري- كثيرٌ من مشايخ الصّوفيّة من المغرب والأندلس، فوجدوا مصر أرضًا صالحةً لنشر مذهبهم وتعاليم فكرهم، نتيجةً للظُّروف القاسية التي كان يعانيها المواطن المصريّ الذي وجد في الصّوفيّة والتّصوّف ملجأً للخلاص من شرور الدُّنيا وطلب خير الآخرة، بعد فقدان أمل الحياة الدُّنيا. إلّا أنّ حياة الصّوفيّة تغيّرت في أواخر العهد المملوكي حيث خرجت من دائرة الهدوء والسّكينة، إلى طقوسٍ فيها رقصٌ وصياحٌ وبكاءٌ وتمزيقٌ ثيابٍ، ثمّ أخذ الصّوفيّة يعيشون حياةً مترفةً، وانصرفوا عن الدِّكر والعبادة إلى البحث عن المال والمتعة، في ظلّ أوقافٍ واسعةٍ تمتّعت بها نُزل الصّوفيّة⁽⁴⁾؛ فكثرت التّأليف في الرّدود العلميّة على المتصوّفة، وألّف المتصوّفة في الدِّفاع عن فكرهم وطرقهم، وكذلك دافع عن أعلامهم بعض من تعاطف معهم واعتذر لهم، وكان من أطراف تلك السّجالات: البقاعيُّ والسُّيوطيُّ رحمهما الله جميعًا⁽⁵⁾.

(1) ينظر: سعيد عبد الفتّاح، العصر المماليكي في مصر والشّام، ص: 349-350.

(2) محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، ط: 2، 1384هـ/1965م، (55/2).

(3) تقيّ الدّين أحمد بن عليّ المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطّ المقرئ، تح: محمّد زينهم ومديحة الشّرقاوي، مكتبة مدّبولي، القاهرة، ط: 1، 1998م، (212/3، 390).

(4) ينظر: مفيد الرّيدي، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكي، ص: 247، 250-251، سعيد عبد الفتّاح، العصر المماليكي في مصر والشّام، ص: 351، 353.

(5) ألف البقاعيُّ في الرّد على ابن العربيّ وابن الفارض؛ فردّ السُّيوطيُّ على البقاعيِّ بتأليف «تنبيه الغيِّ بتهرئة ابن العربيّ»، طبع في القاهرة سنة: 1995م (البقاعيُّ، الفتح القدسيّ في آية الكرسيّ، مقدّمة المحقّق، ص: 32-33)، وعند ابن العماد أنّ عنوانه: «تنبيه الغيِّ بتهرئة ابن العربيّ» (ابن العماد، شذرات الذهب، 510/9). وألّف البقاعيُّ في الرّد على بعض البدع؛ كبدعة لزوم قراءة الفاتحة في عواقب الصّلوات التي أفتى بها السُّيوطيُّ (حاجّي خليفة، كشف الطُّنون، 1018/2)، وبدعة: "يا دائم المعروف"، وردّ السّخاويُّ على البقاعيِّ بتأليف «القول المألوف في الرّد على منكر المعروف»، وردّ عليه كذلك نقله من التّوراة والإنجيل في: «الأصل الأصيل في تحريم التّنقل من التّوراة والإنجيل» (ينظر: السّخاويُّ، الصّوء اللّامع، 106/1).

المطلب الثّاني: أثر عصر البقاعيِّ في بناء شخصيّته وتوجّهاته ومواقفه

يقال: "الإنسان ابن بيئته"، فهل ينطبق مدلول هذه المقولة على شخص البقاعيِّ؟ وللإجابة عن هذا التّساؤل؛ يبحث هذا المطلب أثر عصر البقاعيِّ في بناء شخصيّته العلميّة، وأثره في توجّهاته المذهبيّة: العقديّة والفقهيّة، وأثره في حياته ومواقفه السّياسيّة.

الفرع الأوّل: أثر عصر البقاعيِّ في بناء شخصيّته العلميّة وفي نتاجه العلميِّ

بالنّظر إلى الواقع الثّقافيِّ والعلميِّ للدولة المملوكيّة، الّذي سادت فيه الثّقافة الدّينيّة، وكثرت فيه المساجد والمدارس، وشهد نشاطاً علمياً غزيراً، نتيجةً لهجرة العلماء والمعلّمين وطلبة العلم إليها، يمكن اعتبار البقاعيِّ أثراً من آثار هذه الحركة العلميّة، وحسنه من حسنات هذا العصر، حيث إنّه نشأ وتربّى في بعض تلك المساجد، وتعلّم في بعض تلك المدارس وجلس فيها للتّدريس، وصار بعد ذلك من أعلام ذلك العصر، الّذي ازدهرت فيه كثيرٌ من العلوم والفنون الدّينيّة والدّنيويّة، وأسهم البقاعيُّ في كثيرٍ منها، يظهر ذلك جليّاً في تنوع مؤلّفاته وشمولها مختلف العلوم والفنون.

كما يظهر جليّاً أثر الواقع الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ لعصره في مؤلّفاته، ومن ذلك أنّه بسببٍ من استشهاده له من الأموات في طاعون سنة: 853هـ بالقاهرة صنّف «سرُّ الرّوح»، وهو اختصارٌ وتهذيبٌ لكتاب «الرّوح» لابن القيم⁽¹⁾، وأنّ نُقلته من مصر إلى الشّام، بسبب أمورٍ أنكرها وفتنٍ أبصرها، دفعته لتأليف «الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام»⁽²⁾، كما يظهر تأثره بنشاط الصّناعات الحربيّة الّتي كانت من موارد اقتصاد الدولة المملوكيّة، من خلال تأليفه «كتابٌ في علم السّيف»⁽³⁾.

وأما تأثر البقاعيِّ بالواقع الفكريِّ لعصره، فيمكن الوقوف عليه من خلال الكشف عن توجّهاته المذهبيّة، وذلك ما سيأتي في الفرع التّالي.

(1) ينظر: البقاعيُّ، سرُّ الرّوح، ص: 176.

(2) ينظر: البقاعيُّ، الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، ص: 81.

(3) الكتاب مفقودٌ (ينظر: البقاعيُّ، ما لا يستغني عنه الإنسان من مُلح اللّسان، مقدّمة التّحقيق، ص: 32).

الفرع الثّاني: أثر عصر البقاعيِّ في توجّهاته المذهبيّة

لقد تميّز العصر المملوكيُّ بانتشار المذهب السُّنّيِّ، بسيادة العقيدة الأشعرية، والمذهب الفقهيِّ الشّافعيِّ، فهل كان لذلك أثرٌ في عقيدة وفقه البقاعيِّ؟
أ- عقيدته:

ذهب كثيرٌ من الباحثين ومحقّقي مؤلّفات البقاعيِّ إلى أنّ البقاعيِّ أشعريُّ العقيدة، والحال كما قالوا، وجاءوا بشواهد من كتبه: كتفسيره اسم الجلال "الله" بالملك، وتأويله للصّفات الإلهيّة وفق مذهب الأشاعرة، على غرار تأويل صفة الاستواء بالانفراد في التدبير، وتأويل صفة الوجه والعين واليد والأصابع وغيرها من الصّفات، والاقْتصار في إثبات الصّفات على صفات المعاني وهي الصّفات السّبع التي يثبتها الأشاعرة.⁽¹⁾

ولقد صرّح البقاعيُّ في مقدّمة كتابه «النُّكت والفوائد على شرح العقائد» بمذهبه العقديِّ في أثناء بيان مقصده من تأليف الكتاب، حيث قال: "فليس القصد إلّا لزوم الطّاعة، بمذهب أهل السُّنة والجماعة"⁽²⁾، إلّا أنّه يجب الوقوف على معنى مصطلح أهل السُّنة والجماعة عنده. وبتتبّع استعمال البقاعيِّ لمصطلح "أهل السُّنة والجماعة" تبين أنّه يقصد به الأشاعرة، وقد صرّح بذلك في موضعٍ في تفسيره حيث قال: "وثبت قول الأشاعرة، أهل السُّنة والجماعة، أنّه إذا وجد السّبب والمسبّب توقّف وجود الأثر على إيجاد الله تعالى، فإنّ أنفد السّبب وُجد الأثر، وإن لم يُنفذه لم يوجد"⁽³⁾.

(1) من هؤلاء الباحثين والمحقّقين: محمود توفيق (محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه وتأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 97)، ومحقّق كتاب «الإبذان بفتح أسرار التّشهُد والأذان» (البقاعيُّ، الإبذان بفتح أسرار التّشهُد والأذان، مقدّمة التّحقيق، ص: 3، وما بعدها)، وسامي العمري (سامي بن علي بن محمّد القليبي العمري، الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي ابن أبي بكر البقاعيِّ الشّافعيِّ، دراسةً وتحقيقاً، رسالة ماجستير، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم العقيدة، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1419هـ، (99/1-101)، وزهر صالح إسماعيل (زهر صالح إسماعيل أبو عبيد الله، منهج البقاعيِّ في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، رسالة ماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة أصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلاميّة - غزّة، فلسطين، 1433هـ/2012م، ص: 52-53)، وخبير خليل (خبير خليل، النُّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة، تحقيقٌ ودراسة، ص: 4-5).

(2) البقاعيُّ، النُّكت والفوائد على شرح العقائد، ص: 158.

(3) البقاعيُّ، نظم الدرر، (415/22).

وأما عبارة "أهل السُّنَّة" فهي عنده أعمُّ، تشمل الأشاعرة وغيرهم، حيث قال: "وقد صحَّ بهذا ما قال الأشعريّة وسائر أهل السُّنَّة من أنّ للعبد مشيئةً، تسمّى كسبًا، لا تؤثّر إلاّ بمشيئة الله تعالى وتحريكها لقدرة العبد"⁽¹⁾، وقال: "والَّذي سمعه موسى عليه السّلام عند أهل السُّنَّة من الأشاعرة هو الصّفة الأزليّة من غير صوتٍ ولا حرفٍ، ولا بعد في ذلك كما لا بعد في رؤية ذاته سبحانه... ولمّا كَلّمه بصفة الرُّبوبيّة النَّاظرة إلى العطف واللطف، وكانت الرُّؤية جائزةً، اشتاق إلى الرُّؤية شوقًا"⁽²⁾.

ويتبيّن من كلامه السّابق ترجيحه مذهب الأشاعرة، وأنّه في أبوابٍ مختلفةٍ، كبابِ القدر وأفعال العباد، وباب صفات الله تعالى، وباب رؤيته عزّ وجل، كما رجّح مذهب الأشاعرة في تعلق قدرة الله تعالى بما يشاء لا بما لم يشأ، حيث قال: "﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾" (البقرة: من الآية 20): أيّ مشيءٍ، أيّ يصحُّ أن تقع عليه المشيئة، هذا المراد، مع أنّه رجّح قول سيبويه في تعريف الشّيء؛ وهو أنّه متعلّق حتّى بالمعدوم والمحال، فيكون المعنى حينئذٍ: أنّ الله قديرٌ على كلّ شيءٍ شاءه أم لم يشأه، ووجّه تعريف الأشاعرة للشّيء واستثناءهم للمعدوم منه بأنّ ذلك من حيث الواقع لا من حيث الافتراض، حيث قال: "وإن كان الشّيء كما قال سيبويه يقع على كلّ ما أخبر عنه، وهو أعمُّ العامِّ كما أنّ الله أخصُّ الخاصِّ، يجري على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والمحال، وقول الأشاعرة: إنّ المعدوم ليس بشيءٍ، بمعنى أنّه ليس بثابتٍ في الأعيان متميّزٍ فيها"⁽³⁾.

ومن جميع ما سبق تتبيّن صحّة انتساب البقاعيّ لمذهب الأشاعرة. ومن العوامل التي جعلت البقاعيّ يتبنّى مذهب الأشاعرة في العقيدة أنّه كان المذهب السائد والرسميّ للدولة في عصر الماليك، بعد أن توارثوه من الدولة الأيوبيّة، فاستمروا عليه، وحظروا غيره من المذاهب، وربّما آذوا من تمذهب بغيره وحكموا بكفره وضربوا عنقه.⁽⁴⁾

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (161/21).

(2) نفسه، (77/8).

(3) ينظر: نفسه، (126-125/1).

(4) المقرئ، المواعظ والاعتبار، (212/3، 390).

ب- مذهبه الفقهيُّ

يصرِّح البقاعيُّ بمذهبه الفقهيِّ عندما يذكر اسمه الكامل في كتبه، حيث كان يتبعه بقوله:
"الشّافعيُّ"⁽¹⁾؛ جرياً على عادة علماء عصره في ذلك⁽²⁾.

وقال في نظم له:

وخطَّ إبراهيمُ نجلِ عمرِ بن *** الرُّباطِ حسنِ نجلِ عليِّ
بن أبي بكرِ البقاعيِّ الشّافعيِّ *** اللهُ يعفو ما لهم من زلِّ⁽³⁾

وقد اشتهر عند علماء عصره بأنّه شافعيُّ، وذكروا عنه ذلك ومنهم: الإمام الشُّيوطيُّ⁽⁴⁾
وابن الصِّيرفيُّ⁽⁵⁾.

كما يظهر مذهبه الفقهيُّ من خلال مؤلّفاته؛ إذ يُكثر فيها من النّقل من مجموع النّوويِّ،
عمدة مراجع الشّافعيّة⁽⁶⁾. وللبقاعيِّ سلسلةٌ فقهيةٌ يعدّد فيها شيوخه في الفقه وشيوخ شيوخه حتّى
يصل بها إلى الشّافعيِّ⁽⁷⁾.

وتبنيّه للمذهب الشّافعيِّ راجعٌ إلى بيئته التي نشأ فيها، حيث إنّ كان المذهب الرّسميِّ للدولة
الملوكيّة، وراجعٌ أيضاً إلى تكوينه في الفقه، حيث إنّ أغلب شيوخه في الفقه شافعيّة، ودرس
عليهم كتب الشّافعيّة، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من أن يدرس على بعض المالكيّة والأحناف كما سبق
ذكره في طلبه للعلم في الفقه.

هذا، وإنّ تأثر البقاعيِّ بعصره لا يعني انصهاره فيه وتميُّعه، فقد كان نموذجاً للعالم المصلح
والمرشد النّاصح؛ فلمّا ظهرت بعض البدع في عصره، وانتشر التّصوّف والخرف عن قصد الرُّهد في
الدُّنيا إلى قصد طلبها، لم يسكت البقاعيُّ عن تلك الانحرافات؛ فلقد أولى أهميّةً بالغةً للرّدّ على ما

(1) ففي «عنوان الرّمان» -مثلاً- قال: "إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن عليِّ بن أبي بكرِ البقاعيِّ الشّافعيِّ" (البقاعيُّ، عنوان الرّمان، 61/2).

(2) ينظر: محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك وتناجه العلميِّ والأدبيِّ، (47/2).

(3) البقاعيُّ، عنوان الرّمان، (62/2).

(4) الشُّيوطيُّ، نظم العقبيّان، ص: 24.

(5) ينظر: الصِّيرفيُّ، إنباء الهصر، ص: 508.

(6) ينظر: البقاعيُّ، الإيدان بفتح أسرار التّشهُد والأذان، ص: 18-19.

(7) ينظر: عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيُّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 18.

انتشر في عصره من التصوف والغلو فيه إلى القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، ويظهر ذلك جلياً من خلال مؤلفاته، على غرار كتابه: «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد»، كما اهتم في مؤلفاته بالرّد على البدع المحدثه، ومنها: كتاب «إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر»، ألفه بدمشق في رجوعه الأخير إليها، لمّا رأى قوماً يجتمعون على الذكر في جامعها الأعظم (الجامع الأموي) بعد صلاة الجمعة، بأصوات مزعجة، وعلى هيئة منكّرة أشبه بالرقص؛ فكتب بياناً للحق في المسألة⁽¹⁾، وكتاب «القول المعروف في مسألة يا دائم المعروف»، وغيرها من كتب الرّدود.

الفرع الثالث: أثر عصر البقاعي في مواقفه السياسيّة

كان البقاعي محتكاً بالسياسة مهتماً بها، بل كانت له مشاركة في بعض المواقف السياسيّة.

أ- علاقته بالطبقة السياسيّة:

لقد عاصر البقاعي كثيراً من سلاطين المماليك، وكانت علاقته مع السُلطة ورجالها متقلّبة: تارة طيبة وتارة مشحونة، وبسبب ذلك وجدّ التّعارض في مواقفه تجاه السُلطة؛ فمرة يمدح السُلطان المملوكيّ بقصيدة، ومرة أخرى يصفه بأقبح الأوصاف ويذمّه ويشتمه بعباراتٍ شديدة، ومرة يمدح كُتاب السّرّ وابن الخليفة وهكذا.

فقد أثنى على السُلطان الظّاهر حقمق، وامتدحه بقصيدة لمّا اختتم قراءة البخاريّ في القصر بحضرته، وكان ذلك في أوّل عهده⁽²⁾، وامتدح بعض كُتاب السّرّ بقصيدة، كما امتدح يحيى بن الخليفة المستعين بالله العبّاس بقصيدة تزيد على أربعين بيتاً⁽³⁾.

ثمّ تتوتّر العلاقة بعد ذلك بين السُلطان حقمق والبقاعيّ، بسبب شكوى أحد جيران البقاعيّ أنّه رماه بالنّشاب، فأمر السُلطان بسجن البقاعيّ في حبس أولي الجرائم وصادر وظيفته، وكان ذلك في رجب سنة: 851هـ⁽⁴⁾، ويذكر السّخاويّ كلاماً نسبته للبقاعيّ يذمّ فيه السُلطان

(1) ينظر: البقاعيّ، إنارة الفكر، ص: 23-27.

(2) قرأ البخاريّ بحضرته في سنة: 842هـ، وهي السّنة الأولى التي تولّى فيها حقمق السّلطنة، وأنشده القصيدة بعد ختمه القراءة (ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، 71/2، محمود شاکر، التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، ص: 69)، وذكر البقاعيّ أنّه قرأ سنتين (البقاعيّ، فهرست مصنّفات البقاعيّ، القسم الأوّل: ترجمة البقاعيّ ودراسة الفهرست، ص: 38).

(3) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (71-73).

(4) ينظر: السّخاويّ، الصّوّء اللّامع، (102/1)، ابن إياس الحنفيّ، بدائع الزّهور، (259/2)، الصّيريّ، إنباء المصّر، ص: 509.

بسبب ذلك، ويتهمه بالانسلاخ من شرائع الدّين في الباطن وإظهار خلاف ما يبطن، وبمثله ذكر أنّه أنّهم الأشرف إينال، إلّا أنّ الظّاهر حقمق، على ما نقل السّخاويّ من قول البقاعيّ فيه، أصبرٌ على إظهار خلاف ما يُبطن⁽¹⁾.

وفي سلطنة الأشرف قايتباي (872هـ-901هـ)، ناله من الأمراء ما لا خير فيه بسبب ردوده على ابن الفارض، فكان ذلك سبباً في خروجه من القاهرة.⁽²⁾

وبسبب أنّه لم يكن يشعر بأنّ له مكانةً تليق به عند رجال السّلطة المملوكيّة؛ إذ ناله منهم الأذى والحبس والتّجويع، كان الطّابع العامّ لحديثه عنهم يتّسم بالحدّة والسّخط والتّدنر، والدّم والانتقاص والشّتيم، ووصفهم بأبشع الأوصاف، وخاصّةً إذا أخذ السّلطان في الزّوال، وأمّا ما كان منه من مدحٍ ففي أوّل ملكه.

ولم تتوقّف الأمور عند ذلك الحدّ، بل كان يذمّ المصريّين ويصفهم بالدّلّ وعدم قدرتهم على ردّ الأذى عن أنفسهم، ويقابل بالثناء على أهل الشّام؛ بأنّهم كثيراً ما يعاندون الملوك، ويردّونهم عن أغراضهم، وأنّ الله تعالى يمنع من يريدهم بأذى.⁽³⁾

ب- مشاركته في الأحداث السياسيّة:

تمكّن البقاعيّ في فتراتٍ علاقاته الطّيبة مع سلاطين الدّولة المملوكيّة من دخول قصور الحكم والجلوس بحضرة السّلاطين وقراءة الكتب بحضرتهم، والمشاركة في حملاتهم والتّكفل بمراسلتهم بالتّقارير عن أحداث الحملات؛ حيث شارك في سفريّة الأشرف برسباي في قصد أخذ آمد مصاحباً لابن حجر⁽⁴⁾، وفي عهد حقمق (842هـ-857هـ) كان من ضمن من خرج لقتال الفرنج برودس في سنّي: 847هـ-848هـ، وبعث تقريراً شرح فيه قصّتهم في الدّهاب إلى أنّ حاصروا القلعة⁽⁵⁾. فكان من أثر دولة المماليك -المجاهدة في سبيل الله- في حياة البقاعيّ أن كان أحد أبنائها البارزين، حيث جاهد معها مرّاتٍ وغزا وربط.

(1) ينظر: السّخاويّ، الصّوّء الأملع، (102/1).

(2) ينظر: ابن إياس الحنفيّ، بدائع الزّهور، (3/49-51).

(3) ينظر: البقاعيّ، إظهار العصر، مقدّمة محقّق الكتاب، (1/39-41، 48).

(4) البقاعيّ، عنوان الزّمان، (2/64).

(5) ينظر: العسقلانيّ، إنباء الغمر، (4/208-209، 226).

ج- تأريخه للأحداث السياسيّة:

إنّ صِلات البقاعيّ الطيّبة في بعض الأحيان مع بعض سلاطين الدّولة المملوكيّة ومجالسته لهم، جعلته قريبًا من مصادر الأحداث؛ ما مكّنه من الوقوف على مجريات السّياسة، ويتيسّر له الحصول على قدرٍ كبيرٍ من المعرفة بأحداثها، بل ربّما حصل في بعض الأحيان على أخبارٍ لم يتسنّ لغيره الحصول عليها، ومن ذلك ما نقله من صورة الرّسالة التي أرسلها السّلطان محمّد الثّاني التي فيها خبر فتحه العظيم للقسطنطينيّة، وهو الكتاب الذي أرسله إلى السّلطان المصريّ إينال، وردّ السّلطان المملوكيّ عليه.

فكان لهذه الصّلات الطيّبة وما لها من آثارٍ، انعكاسٌ ظاهرٌ فيما حوته كتاباته في التّاريخ من تدوينٍ لأحداث السّياسة.⁽¹⁾

د- اهتمامه بأحوال دول العالم الإسلاميّ:

لم يكن البقاعيّ معزولًا عن العالم الإسلاميّ، بل كان مهتمًا بمتابعة أخباره، يتألّم لألمه ويتأسّف لعدم نصرته، ويشهد له بذلك قصيدته التي تأسّف فيها على همم الملوك ومروءاتهم في عدم إعانة أهل سبته على الفرنج، وذلك لما استنجدوا أهل الإسلام، حيث قال فيها:

حروف النّدا، سحقا لمن سمع النّدا *** ولم ينطلق شوقًا إلى صدمة العدا

ليكسر جمع الشّرك مفرد عزمه *** إذا ما تثنى الرّمح سكرًا وعربدا

ومنها:

على سبته تهمى الدّموع سحائبًا *** وتغنى النّواعي صبرها والتّجلدًا

على سبته تذكى القلوب سعيها *** لتقطر دمع العين وردًا مؤردًا

ومنها:

وقد أسمع الملهوف لو أنّ غوثه *** يفيد حياةً: مطلقًا أو مقيدًا

ولكن هي الأشباح قد دفنت بها *** القلوب فما تحتاج حفرًا لتلحدًا

لقد تحذوا الدّنيا قرارًا وغرّهم *** بليل الأماييّ من أضلّ وما هدى⁽²⁾

(1) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، مقدّمة المحقّق، (9/1، 13).

(2) ينظر: نفسه، (70/2-71).

وألف في الحثِّ على الجهاد في سبيل الله «الاستشهاد بآيات الجهاد»، كما كان مهتمًّا بمتابعة أخبار الدّولة العثمانيّة وفتح القسطنطينيّة، وبعلاقة دولة المماليك بالممالك المجاورة لها سلماً أو حرباً، ويظهر ذلك كلّهُ في كتابه «تاريخ البقاعيِّ» أو: «إظهار العصر لأسرار أهل العصر».⁽¹⁾

يتبيّن ممّا سبق انطباق مقولة "الإنسان ابن بيئته" على شخص البقاعيِّ، إلّا أنّ ذلك لم يجعل منه إمعةً، يحسن إن أحسن النَّاس ويسيء إن أساءوا، بل كان ناقداً، ينكر ويعارض ما يراه مخالفاً للصّواب، حتّى وإن كان شائعاً في عصره، سواءً في العقيدة أو في الشريعة أو في السياسة.

وبعد أن تناول المبحثان الأوّلان من هذا الفصل التّعريف بالبقاعيِّ وعصره، يأتي المبحثان التّاليان للتّعريف بـ «نظم الدرر» ومنهج البقاعيِّ فيه.

(1) ينظر: البقاعيُّ، إظهار العصر، مقدّمة محقق الكتاب، (48/1).

المبحث الثالث: التّعريف بكتاب «نظم الدرر»

قدّم البقاعيُّ لكتابه «نظم الدرر» بمقدّمةٍ، ذكر فيها اسم الكتاب، وعرّف فيها بمضمونه، وبيّن سبقه فيه، والجهد الذي بذله فيه، كما أكّد فيها أهميّة الكتاب وقدره بذكر مميّزاته، ومكانته من كتب التّفسير، وذكر فيها بعض الكتب التي طالعتها واستفاد منها في تأليفه. واختتم كتابه بخاتمةٍ تضمّنت الحديث عن المُدّة التي استغرقها في تأليف كتابه، والعقبات والحن التي واجهها أثناء تأليفه، وامتدح فيها الكتاب وبيّن مقصوده منه، كما تضمّنت الخاتمة كلام بعض نسّاخ الكتاب في بيان تاريخ الفراغ من نسخه، وتفصيل ذلك في المطلبين الآتين.

المطلب الأوّل: عنوان الكتاب وموضوعه وتصنيفه

يعرف الكتاب من خلال عنوانه، فإن لم تف دلالة العنوان فبمعرفة موضوعه والصّنف الذي ينتمي إليه من أصناف المؤلّفات، وبيان هذه العناصر بالنّسبة لـ «نظم الدرر» في الفروع الآتية.

الفرع الأوّل: عنوان الكتاب: تحقيقه وشرحه

ذكر البقاعيُّ في مقدّمة تفسيره أنّه سمّى كتابه: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور»، فكان هذا هو العنوان الذي اختاره واعتمده. وذكر أنّ هناك عناوين أخرى تناسب أن يُسمّى بها وهي: «فتح الرّحمان في تناسب أجزاء القرآن»، و«ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان»، وذكر أنّ هذا الأخير هو أنسب الأسماء له⁽¹⁾، وذكره في خاتمة الكتاب نفسه بحذف حرف العطف «ترجمان القرآن مبدي مناسبات الفرقان»، وكذلك بـ: «نظم الدرر من تناسب الآي والسّور»، وبهذا الأخير في: «إظهار العصر»⁽²⁾، و«الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة»⁽³⁾، و«مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السّور»⁽⁴⁾، و«دلالة البرهان القويم»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (5/1).

(2) البقاعيُّ، إظهار العصر، (204/2)، (216/3).

(3) البقاعيُّ، الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة، ص: 46، 65.

(4) البقاعيُّ، مصاعد النّظر، (1/ 114، 116، 118، 125).

(5) وزاد في آخر العنوان عبارة: "من الفرقان" (ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72، عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيُّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 36).

ويذكره البقاعيّ أحياناً بمسمّياتٍ أخرى على غرار: «المناسبات»⁽¹⁾، و«مناسبات نظم القرآن»⁽²⁾، وفي رجزٍ له يثني عليه سمّاه «كتاب لَمَّا»، وأرجع التّسمية إلى جُلِّ مقصوده منه، وهو بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض، فسّمّاه «لَمَّا»؛ لأنّه أكثر من استعمالها فيه⁽³⁾. وذكره في «مصاعد النّظر» بقوله: "وذلك أنّه لَمَّا منّ الله - وله الحمد - عليّ بصوغي لكتاب المناسبات بين السُّور والآيات"، وكلامه هنا من باب ذكر الكتاب بما يدلُّ على مضمونه، بدليل تتمة الكلام: "بل الجمل والكلمات"⁽⁴⁾؛ فهذا ليس من العنوان كما هو ظاهرٌ.

وممّا نُقل من مسمّياته: «نظم الدرر في تناسب الآي والسُّور»⁽⁵⁾، و«المناسبات القرآنيّة»⁽⁶⁾، و«الجواهر والدرر في مناسبة الآي والسُّور»⁽⁷⁾، بالإضافة إلى ما عُرف به واشتهر من مثل: «مناسبات البقاعيّ»، و«تفسير البقاعيّ»⁽⁸⁾.

ومن خلال التّسميات المتعدّدة للكتاب، يتبيّن أنّه كتابٌ في التّفسير، وفي بيان تناسب الآيات والسُّور؛ لذلك كان البقاعيّ يرى أنّ الأنسب له أن يسمّى «ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان»؛ لدلالة العنوان على مضمونه بالمطابقة، إلّا أنّه اختار غيره.

ويمكن الوصول إلى معنى العنوان الّذي اعتمده البقاعيّ «نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور»، من خلال الوقوف على معنى مفرداته، ومن خلال كلام البقاعيّ عن مضمون كتابه

(1) البقاعيّ، الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة، ص: 45، وذكر حاجي خليفة أنّه اسم شهرة (حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/444)، وهو كما قال؛ إذ ذكّر البقاعيّ له بهذا الاسم كان من باب الاختصار والتّعريف بمضمونه، فيشتهر الكتاب بالاسم المختصر، وهي عادةٌ معروفةٌ عند العلماء، ويشهد لذلك أنّ البقاعيّ بعدما ذكره بهذا الاسم أعقبه بقوله: "وذلك أنّي لَمَّا صنّفت الكتاب المذكور وهو المسمّى: «نظم الدرر من تناسب الآي والسُّور»... (البقاعيّ، الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة، ص: 46).

(2) البقاعيّ، عنوان الرّمان، (2/67)، ويبدو أنّ هذه التّسمية كانت قبل أن يستقرّ على التّسمية الأخيرة.

(3) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (22/446-447).

(4) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (1/101).

(5) حاجي خليفة، كشف الظنون، (2/1961)، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلاميّة (مؤسسة آل البيت)، الفهرس الشّامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط: علوم القرآن، مخطوطات التّفسير وعلومه، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلاميّة، عمّان-المملكة الأردنيّة الهاشميّة، 1989م، (1/498).

(6) ابن العماد، شذرات الذهب، (9/510).

(7) السُّيوطي، نظم العقيان، ص: 24.

(8) الزّركلي، الأعلام، (1/56)، حاجي خليفة، كشف الظنون، (1/444).

ومقصوده، ومن كلامه في مدحه، ومن كلام العلماء الذين اطّلعوا على الكتاب.
 أمّا كلمة "نظم"، فقد سبق بيان أنّ معناها يرجع إلى الجمع والضّمّ والتّأليف⁽¹⁾، وأمّا كلمة
 "الدرر"، فجمع دُرّة، وهي: اللؤلؤة العظيمة، وتُجمع كذلك على: دُرٌّ ودُرّات⁽²⁾. والدرُّ يجتمع فيه
 البهاء والحسن والجمال والإشعاع والنّدرّة والنّفاسة والمكونيّة؛ فهو مكنون الأصداف وسرّها.

وقد اختلف الباحثون في معنى العنوان؛ ف قيل إنّه يقصد بالدرر كلامه هو؛ إذ لا يصحّ أن
 يقصد بالدرر الآيات والسُّور؛ لأنّ نظمها من الله لا من البشر⁽³⁾، وقيل في تقدير معنى العنوان:
 "أنجزت نظماً كالدرر ثمين، ثمّ بيّنت فيه التّناسب بين الآيات والسُّور"⁽⁴⁾، وقيل: المعنى أنّه "ينظم
 درراً توضّح تناسب الآيات والسُّور"⁽⁵⁾.

فالقول الأوّل يعطف بين جزئيّ العنوان؛ فيجعل "نظم الدرر" مدحاً للكتاب بأنّه ثمين، ثمّ
 عطف عليه شيئاً ممّا ضمّنه فيه وهو بيان التّناسب، وذلك باعتبار الكتاب كتاب تفسير. ويبدو أنّ
 هذا الطّرح بعيد؛ لعدم وجود العطف في الجملة.

وأما القول الثّاني، فإنّه يجليّ المعنى بمحذوفٍ مقدّرٍ بعد حرف الجرّ وهو: "توضيح"، فتكون
 العلاقة بين جزئيّ العنوان حينئذٍ علاقة بيان الجملة، أو تعقيب الأمر بذكر الغرض منه، وهو أقرب
 من القول الأوّل.

وبالتّأمل في كلام البقاعيّ عن كتابه، يتّضح فعلاً أنّه يقصد بـ "نظم الدرر" كلامه هو، ومن
 ذلك قوله: "بما أبان عنه من عجائب المقدور وغرائب الأمور"⁽⁶⁾؛ فهذا المعنى يناسب كلمة
 "الدرر" في العنوان، التي توحى بالندرة، فهي عجائب وغرائب المعاني التي أبان عنها كتابه.
 وقال في الثّناء على كتابه: "ولا نسج ناسجٍ على منواله وشكله... فإنّه أخرج من كتاب الله

(1) ينظر: ص: 35-36 من هذه الأطروحة، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (578/12)،

(2) ابن منظور، نفسه، (282/4).

(3) سامية دبيي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور للبقاعيّ دراسة تحليليّة نقدية، ص: 61-62، سرحان بن خميس، سؤال
 النّظم القرآنيّ بين رسائل الثّور ونظم الدرر، مجلّة البحوث والدراسات، دوريّة أكاديميّة دوليّة نصف سنويّة، محكّمة، تصدر عن
 جامعة الشّهد حمه لخضر-الوادي-الجزائر، مج: 15، ع: 01، شتاء 2018، ص: 111-112.

(4) سامية دبيي، نفسه، ص: 61-62.

(5) سرحان بن خميس، سؤال النّظم القرآنيّ بين رسائل الثّور ونظم الدرر، ص: 115.

(6) البقاعيّ، نظم الدرر، (446/22).

تعالى خفايا أسرارٍ ما ظفر بها أحدٌ، وأبدى غرائب أنوارٍ ما عثر على بارقٍ منها ولا وجد، وأجرى سوانح أنهارٍ ما صدر عن عذب ينابيعها ولا ورد، كان قلبي فيه مُدَدًا طوالاً أسير الواردات، وسمير الخفايا الشّاردات، بيّنت فيه سرائر آياتٍ، ما بيّن أحدٌ ظاهر تفسيرها، وأبدت أسرار سُورٍ ما كشف أحدٌ خفيّ ضميرها"⁽¹⁾. فهو هنا يشرح عبارة "نظم الدرر"؛ إذ أشار إلى نظمه بقوله: "ولا نسج ناسجٌ على منواله وشكله"، ويشير إلى الدرر التي جاءت فيه بقوله: "فإنّه أخرج من كتاب الله تعالى خفايا أسرارٍ ما ظفر بها أحدٌ، وأبدى غرائب أنوارٍ ما عثر على بارقٍ منها ولا وجد".

وقال في نظمٍ له مادحًا كتابه:

هذا كتاب لَمَّا *** لَمَّ المعاني لَمَّا

وقال:

صنعته وفي بحور *** علمه ما طمًا

وقد علا تركيبه *** وعاد يحلو نظمًا

وقال:

أودعته فرائدًا *** يرقص منه الفهمًا

تجلو العمى من لطفها *** وتسمع الأصمّ⁽²⁾

فوصف كتابه ب: حلاوة النّظم، وعُلُوّ التّركيب، ويعني به كلامه كما هو ظاهرٌ، وأنّ ذلك كان من صنعه. ونسب إلى الكتاب الفرائد اللّطيفة، والتي يقابلها في العنوان الدرر؛ فعبارة "نظم الدرر" يقصد بها كتابه المنظوم الذي ضمّ معانٍ لطائف وفرائد، وأشار إلى هذا المعنى بقوله كذلك: "لمّ المعاني"، وقد قال عنه حاجي خليفة: "جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير منه العقول"⁽³⁾، وقال عنه قاضي قضاة المالكيّة الشّريف حسام الدّين الطّهطاوي (ت: 873هـ): "قد غاص في بحار العلوم، فاستخرج منها فرائد الدرر، وسبر محاسنها فجمع منها أحاسن الغور، وتتبع

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (101/1-102).

(2) ينظر: نفسه، (447/22-448).

(3) حاجي خليفة، كشف الطّنون، (1961/2).

شواذّ المُلح، فجمع منها ما شتّ، وأرسل خيله في حلبتها، فحازت قصب السّبِق، فتصرّف فيها كيف شاء...»⁽¹⁾.

وأما الشّطر الثّاني من العنوان، وهو قوله: "في تناسب الآيات والسُّور"، فالَّذي أرّجحه هو معنّى آخر، غير ما سبق ذكره من تقدير محذوفٍ بعد حرف الجرِّ بمعنى "توضيح"، أو بمعنى "نمّ بيّنت فيه"، وهو: تقدير محذوفٍ قبل حرف الجرِّ بمعنى: "الكامنة أو المكنونة"؛ فهو يجمع المعاني المكنونة في تناسب الآيات والسُّور، وليس جامعًا للمعاني النَّفيسة الّتي توضّح وتبيّن تناسبها؛ إذ بالوقوف على وجه التّناسب تظهر هذه المعاني، فتلك الدرر المنظومة - وهي المعاني النَّفيسة الّتي لَمّها- استخرجها من الوقوف على وجه تناسب الآيات والسُّور.

ويشهد لهذا حديثه عن ورقات الرّزكشيّ في مناسبات بعض الآيات، حيث قال عنها: "وإذا تأملتّها عظم عندك ما في هذا البحر الرّآخر من نفائس الجواهر، وبدائع السّرائر"⁽²⁾، أي أنّ تناسب الآيات والسُّور بحرٌ زاخرٌ بنفائس الجواهر، فالبقاعيّ نظم كتابًا جمع فيه هذه الجواهر من بحر التّناسب.

ويشهد له أيضًا حديثه عن أهميّة معرفة المناسبات، حيث قال: "ورأى أنّ المقصود بالترتيب معانٍ جليّة الوصف بدیعة الرّصف عالية الأمر عظيمة القدر مباعدةً لمعاني الكلام على أنّها منها أخذت، فسبحان من أنزله وأحكمه وفصله وغطّاه وجلّاه، وبيّنه غاية البيان وأخفاه، وبذلك أيضًا يوقف على الحقّ من معاني آياتٍ حار فيها المفسّرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب، منها قوله تعالى..."، وذكر أمثلةً من سورة البقرة، وسورة النّساء، وسورة هود، وسورة سبحان، وسورة السّجدة، وسورة يس⁽³⁾. فيوضّح البقاعيّ أنّه يقف على معانٍ خفيّة جليّة حار فيها المفسّرون، وذلك من خلال الكشف عن وجوه المناسبات. ويؤكّده ما نقله عن الرّازيّ أنّه قال في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعةً في التّرتيبات والرّوابط"⁽⁴⁾، فهو يجمعها.

ويشهد لهذا المعنى أيضًا العنوان الآخر الّذي ذكره في أكثر من موضعٍ في أكثر من مؤلّفٍ له - كما سبق ذكره-، وهو «نظم الدرر من تناسب الآي والسُّور». ولعلّه الصّواب في عنوان

(1) البقاعيّ، مساعد النّظر، (117-116/1).

(2) البقاعيّ، نظم الدرر، (16/1).

(3) نفسه، (14-12/1).

(4) نفسه، (6/1).

الكتاب، وهو الذي أرّجحه؛ لكثرة ذكره به في مؤلفاته الأخرى، وأمّا العنوان الآخر الذي فيه "في" بدل "من"، فإنّما أن يكون قد حصل فيه تصحيّف من النّسخ، أو أن يكون البقاعيّ قد تراجع عنه وصحّحه، فيكون العنوان الذي في خاتمة «نظم الدرر» وفي الكتب الأخرى مقدّمًا على العنوان الذي ورد في مقدّمة «نظم الدرر».

وقد اطّلع محمود توفيق على جزء من نسخة مخطوطة كتبت في عصر البقاعيّ، قام المؤلّف بتصحيحه بنفسه، كتّب على وجه الورقة الأولى منه: «نظم الدرر من تناسب الآي والسّور»، وآثر محمود توفيق هذا العنوان⁽¹⁾.

وخلاصة الكلام في شرح العنوان أنّه بمعنى: جمع المعاني التّفيسية الكامنة في تناسب الآيات والسّور، فهو يجمعها - وهي الدرر - من أصدافها - وهي مناسبات الآيات والسّور. وهذا العنوان مترجمٌ لجزءٍ فقط من مضمون كتابه، ولذلك رأى أنّ الأنسب له هو العنوان الآخر: «ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان»، ولكنّه اختار الأوّل؛ لذكر الكتاب بأهمّ ما يميّزه عن غيره من كتب التّفسير.

الفرع الثّاني: موضوع الكتاب ومضمونه

ذكر البقاعيّ أنّ «نظم الدرر» كتابٌ تفسيريّ⁽²⁾، وأنّه كالرّديف لتفسير القاضي ناصر الدّين البيضاويّ⁽³⁾، وأنّه يذكر فيه مناسبات ترتيب السّور والآيات⁽⁴⁾، ويُدرج فيه اليسير من غرائب التّفسير ممّا لم يظفر به في كتاب⁽⁵⁾.

والقارئ للكتاب، يستطيع أن يلحظ جليًّا أنّه في أصله كتابٌ في بيان المناسبات، وأنّ العمل التّفسييريّ الذي فيه إنّما جاء لخدمة ذلك الأساس⁽⁶⁾.

وممّا يمكن أن يشهد لذلك من كلام البقاعيّ، أنّه ذكر أنّ الأصل الذي بنى عليه تفسيره هو

(1) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 52-53.

(2) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (443/22).

(3) نفسه، (4/1).

(4) نفسه، (2/1).

(5) ينظر: نفسه، (16/1).

(6) ينظر: مشهور موسى مشهور مشاهرة، التّناسب القرآنيّ عند الإمام البقاعيّ دراسةً بلاغيّةً، رسالة ماجستير في اللّغة العربيّة وأدائها، كليّة الدّراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، كانون الثّاني 2001، ص: 16.

القاعدة التي أرشده إليها شيخه أبو الفضل المشدائيّ البجائيّ في التّناسب، حيث قال: "والقاعدة التي افتتحت بها كتابي عن الشيخ أبي الفضل المغربيّ - رحمه الله - لم يسمعها منه غيري. لو كنت ممن يتشيع بما لم يعط لم أنسبها إليه، فإنّها أحسن من كلّ ما في كتابي، وهي الأصل الذي أبتني ذلك كلّه عليه"⁽¹⁾.

وقد ذكر البقاعيّ أنّ جُلَّ مقصوده بيانّ المناسبات⁽²⁾، ووصف كتابه بأنّه في المناسبات حيث قال: "وذلك أنّه لمّا منّ الله - وله الحمد - عليّ بصوغي لكتاب المناسبات بين السُّور والآيات، بل الجمل والكلمات..."⁽³⁾.

ويتوجّه ما سبق ذكره من تعريفه لكتابه بأنّه كتاب تفسير⁽⁴⁾ بأنّ الحديث عن المناسبات بين الآيات والسُّور عنصرٌ من عناصر التّفسير، إذ هو من قبيل التّفسير بالرّأي، وقد قال الشُّوكانيّ: "ومن أمعن النّظر في كتاب المترجم له في التّفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسُّور علم أنّه من أوعية العلم المفرطين في الذّكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول"⁽⁵⁾.

الفرع الثّالث: تصنيف الكتاب

اعتبر عديدٌ من الباحثين تفسير البقاعيّ تفسيراً موسوعياً، بل عدّه عبد القادر عطا أوّل تفسيرٍ موسوعيّ من نوعه تخصّص في المناسبات⁽⁶⁾.

وأما مشهور موسى، فبالإضافة إلى وصفه بالموسوعيّة، يرى أنّه جامعة قرآنيّة، حيث قال: "وبهذا فإنّ تفسير الإمام البقاعيّ ليس حلقةً في تاريخ علم المناسبات فحسب، بل هو موسوعة في علم التّفسير، وإن شئت قلت: هو جامعة قرآنيّة لم يهمل فيها صاحبنا أيّ تخصّص في موضوعه"⁽⁷⁾.

ويرى جوده محمّد أنّه موسوعة علميّة لا نظير له في بابهِ وطراره؛ لما يحفل به من أنواع العلوم،

(1) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (137/1).

(2) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (446/22).

(3) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (101/1).

(4) قال البقاعيّ: "التّفسير الذي لم تسمح الأعصار بمنّله" (البقاعيّ، نظم الدرر، (443/22).

(5) الشُّوكانيّ، البدر الطّالع، (20/1).

(6) الشُّبّوطي، تناسق الدرر، مقدّمة المحقّق، ص: 22.

(7) مشهور موسى مشاهرة، التّناسب القرآنيّ عند الإمام البقاعيّ، ص: 35.

فقال: "وخلاصة القول: أنّ تفسير الإمام البقاعيِّ لا نظير له في بابهِ وطرازهِ، وأنّه موسوعةٌ علميّةٌ حافلةٌ بمصائل علوم اللّغة والأدب والأصول والفقه، وزاخرةٌ بنتاج المنقول والمعقول، وقد حوت من المعارف الرّبانيّة والأسرار العرفانيّة ما يذهل الألباب"⁽¹⁾، وقالت أمينة رابح: "هذا الكتاب الموسوعيُّ، الَّذي جعله صاحبه في بيان التّناسب القرآني، اعتنى من خلاله بعلومٍ عديدةٍ كالبلاغة والسُّنّة بالإضافة إلى ذكر أقوال أهل الكتاب"⁽²⁾.

ولا غرو في اعتبارهم تفسير البقاعيِّ موسوعيًّا؛ فقد تكلم البقاعيُّ عن قصّة تأليفه فقال: "ركبت إلى بيده وفسّحت أرجائه وفنائه مطايا ليالٍ حالفت فيها الشُّهاد، وخالفت وطيء المهاد، وشهيت الاضطجاع والرُّقاد، أدرس مسائل العلوم، وأسرد وسائل الفنون والرُّسوم، وأمنع جلائل الهموم، وأمعن النَّظر في دقائق الفهوم ..."⁽³⁾.

هذا، وإنّ خاصيّة الموسوعيّة في كتب التّفسير إنّما مرجعها في الواقع إلى خاصيّة شموليّة القرآن الكريم لكلِّ مجالات الحياة، بل ويتعدّها إلى الحديث عن حياة البرزخ والحياة الآخرة، بل ويشمل حتى الحديث عن ما قبل الحياة؛ فكلُّ من انبرى لتفسير القرآن الكريم، ملتمزًا جميع سوره وآيه وجمله وكلماته، لا بدّ أن يصطبغ تفسيره بصبغة الموسوعيّة، لخاصيّة القرآن، لا لاختصاصه هو بتفسيره، وهذا خلافاً لمن تناول جانبًا واحدًا من جوانب التّفسير: كتفسير الغريب، أو تفاسير الأحكام، أو التّفاسير المختصرة.

هذا، وإنّ تخصُّص كتاب البقاعيِّ في بيان المناسبات لا يرفع عنه وصف الموسوعيّة، لما قد يبدو من التناقض بين القول بالتخصُّص والقول بالموسوعيّة، بل الأمر على عكس ما قد يُتصوّر؛ ذلك أنّ البحث عن وجه ارتباط الجملة بالجملة، والآية بالآية، والسُّورة بالسُّورة، يقتضي الوقوف على جميع جوانب هذه الأجزاء شكلاً ومضموناً، بناءً ومعنىً، فينظر المفسّر في الناحية اللُّغويّة والبلاغيّة والنحويّة والصرفيّة، والأصوليّة والمنطقيّة والفلسفيّة والفقهية، والتّاريخيّة والجغرافيّة والفلكيّة

(1) جوده محمّد أبو اليزيد المهدي، الاتجاه الصوّفي عند أئمّة تفسير القرآن الكريم، الدّار الجوديّة، القاهرة، ط:1، 2007م، ص:224-225.

(2) أمينة رابح، معالم تحقيق وحدة السُّورة عند البقاعيِّ من خلال مخطوط دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم، المجلّة الجزائريّة للمخطوطات، مجلّة علميّة محكمة يصدرها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلاميّة في شمال إفريقيا، جامعة وهران- الجزائر، ع:5، 2008م، ص:32.

(3) البقاعيُّ، مساعد النَّظر، (102/1).

والرياضيّة، وعلوم الكائنات الحيّة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم التّربية، وغيرها من أنواع العلوم الكونيّة كالطبّ والفيزياء، والعلوم الشرعيّة كعلم القراءات والنّاسخ والمنسوخ، وهلمّ حرّاً؛ فذلك تكتسب التّفاسيرُ الوصف بالموسوعيّة من طبيعة النّص القرآنيّ، لا من جهد المفسّر ابتداءً، فغاية فعل المفسّر استجلاء ما يكتنزه القرآن من المعاني، والصّفة تابعة للموصوف كما يقول النّحاة.

والسؤال الذي يتبادر إلى الدّهن في هذا المقام يدور حول قصّة تأليف البقاعيّ لهذه الموسوعة، وذلك ما يتناوله المطلب الآتي.

المطلب الثّاني: تأليف الكتاب ونشره وقيّمته ومصادره

لمّا كان «نظم الدرر» موسوعةً علميّةً، فما قصّة تأليفه وطبعه ونشره؟ وفيه تكمن قيمة هذه الموسوعة العلميّة؟ وما أهمّ المصادر التي اعتمدها البقاعيّ في تأليفه؟ والإجابة عن هذه التّساؤلات في الفروع الآتية.

الفرع الأوّل: تأليف الكتاب ونشره

لكلّ كتابٍ حكايةٌ، ولكلّ قصّةٍ بدايةٌ ونهايةٌ؛ فكيف كانت البداية مع «نظم الدرر»؟ ما أهمّ الدّوافع إلى تأليفه؟ وما أهمّ أهداف تأليفه؟ وكيف كانت رحلة البقاعيّ مع تأليفه؟ وكيف انتهت القصّة بطباعته ونشره؟

أ- دوافع التّأليف:

لم يذكر البقاعيّ الدّوافع الحقيقيّة التي حرّكت همّته للتّأليف في التّفسير، إلاّ أنّه يمكن الوصول إلى بعضها من خلال التّأمّل في مسيرته العلميّة.

إنّ حفظ البقاعيّ للقرآن الكريم وتجوّيده له في صغره، وإلمامه بعلوم النّحو والصّرف والبلاغة والقراءات وكلّ ما يتعلّق بالقرآن وعلومه، كان له أثرٌ كبير في نفسه وشكّل عنده دافعاً قوياً لخوض غمار التّفسير عمومًا، فكان له ذلك فعلاً، بأنّ افتتحه باختصارٍ تفسير ابن جرير الطّبريّ في «وشي الحرير» في سنة: 835هـ⁽¹⁾.

(1) ينظر: البقاعيّ، عنوان الزّمان، (62/2-64).

كما كانت الوظائف التي اشتغل بها من عوامل تحريك همته للتأليف في التفسير، ومن ذلك ختمه لتفسير القرآن الكريم في الميعاد⁽¹⁾ في جامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة سنة: 860هـ، عن نيّف وعشرين سنة، ثمّ ابتدأه في ختمه أخرى في السنة نفسها. وقد صرح البقاعيّ بأثر هذا الميعاد في توجّهه إلى التّأليف في المناسبات، ومن ذلك ما ذكره من أنّه فتح الله عليه فيه، في الختمة الثّانية للتفسير، بتفهم علم المناسبات بين الآيات؛ فشرع في تأليف «نظم الدرر»⁽²⁾، وأنّ من بركة هذا الميعاد أنّه فُتح عليه بسببه مناسبات الآيات⁽³⁾؛ فشكّل اجتماع فهم العلم مع الإلهام في الفِرّ دافعاً قوياً لأنّ يؤلّف «نظم الدرر».

وقد ذكر البقاعيّ بعض العوامل التي ساعدته على تأليف كتابه، وهي المعونة والتّوفيق من الله تعالى أوّلاً؛ حيث قال: "فأمّديني فيه، والحمد لله تأييداً سماويّاً"⁽⁴⁾، وقال: "ولولا معونة الله أضحى معدوماً، أو ناقصاً مخروماً"⁽⁵⁾، ثمّ توجيهه شيخه المشدائيّ له في المناسبات؛ حيث أرشده إلى القاعدة الكليّة المفيدة في معرفة المناسبات التي أقام عليها تفسيره⁽⁶⁾، وكذلك بركة مجالس العلم (الميعاد) كما سبق ذكره - من كلامه - قريباً.

ب- أهداف التّأليف:

صرّح البقاعيّ بمقصوده من «نظم الدرر» فقال: "جلّ مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض حتّى أنّ كلّ جملة تكون آخذةً بحُجزةٍ ما أمامها متّصلةً بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسرّه ولبابه، الذي هو للكلام بمنزلة الرّوح، وبيان معاني المفردات وكلّ جملة على حيالها بمنزلة الجسد، فالرّوح هو المقصود الأعظم، يدرك ذلك من يذوق ويفهم، ويسري ذهنه في ميادين

(1) سبق بيان معنى وظيفه "معيد" في أثناء الحديث عن وظائف البقاعيّ.

(2) البقاعيّ، إظهار العصر، (203/2-204).

(3) ينظر: نفسه، (216/3-217).

(4) البقاعيّ، نظم الدرر، (4/1).

(5) نفسه، (443/22). وذكر البقاعيّ أنّ ذلك التأييد السّماويّ كان ببركة رؤيا رآها في صباه، رأى فيها جبريل والنبيّ صلّى الله عليه

وسلمّ (ينظر: نفسه، 4/1-5).

(6) نفسه، (17/1-18)، الشّوكانيّ، البدر الطّالع، (248/2)، محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن

الكريم، ص: 20.

الترّاكيب ويعلم⁽¹⁾، وقال: "وهذا الكتاب لبيان الدّاعي إلى وضع كلّ جملةٍ في مكانها، وإقامة حجّتها في ذلك وبرهانها"⁽²⁾.

وصرّح بالغرض بقوله: "وهو لبيان أنّه لو اجتمع الإنس والجنُّ على أن يأتوا بكلمةٍ تقوم مقام كلمةٍ من كتاب الله في أسلوبها، أو يقدّموها عن موضعها أو يؤخّروها، تؤدّي جميع معناها في التّركيب الّذي نظمها الله تعالى فيه، ما قدرُوا"⁽³⁾.

والغاية من ذلك كلّه بيّنها بقوله في الأبيات الّتي امتدح بها كتابه:

عملته نصيحةً لمن *** يحبُّ العِلْمَ⁽⁴⁾

وذكر أنّ مراده: "الوقوف على الحقّ من معاني كتاب الله تعالى، والمساعدة على ما ينفع أهل الإسلام"⁽⁵⁾.

فمقصوده: بيان ارتباط جمل القرآن الكريم بعضها ببعض، وغرضه من ذلك: بيان إعجاز القرآن العظيم، وغايته: النّصيحة لطلبة العلم ونفع أهل الإسلام من خلال الوقوف على الحقّ من معاني كلام الله.

ج- مدّة التّأليف والصّعوبات المواجهّة:

ابتدأ البقاعيّ مسوّد كتابه في شعبان سنة: 861هـ، وفرغ منها يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة: 875هـ، بمسجده من رحبة باب العيد بالقاهرة المغربية، فاستغرق في تأليف المسوّد أربع عشرة سنةً كاملةً.

وفرغ من تبييضه عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة: 882هـ، بمنزله الملاصق للمدرسة البادرانيّة من دمشق، ولخصّ أنّ جميع مدّة تأليفه اثنتان وعشرون سنةً، والواقع أنّها إحدى وعشرون سنةً، وليست كما ذكر -رحمه الله-.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (447-446/22).

(2) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (142/1)، ويقصد «نظم الدرر».

(3) عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 22.

(4) البقاعيّ، نظم الدرر، (448/22).

(5) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (104/1).

ولقد اعترضَ البقاعيُّ عديدًا من المحن والصُّعوبات، حالت دون إكماله في مدّةٍ وجيزةٍ، وقد ذكر أنّ ابتداء تلك العقبات كان لمّا وصل إلى قريبٍ من نصفه؛ حيث طعن فيه من وصفهم بالحسد، بعد أن رأوا ثناء الفضلاء عليه، وكان طعنهم فيه أنّه ينقل من التّوراة والإنجيل، فانشغل عن التّفسير بالرّدِّ عليهم، فصنّف «الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة»، ثمّ انشغل كذلك بالرّدِّ على بدعة "دائم المعروف" فصنّف «القول المعروف»، وانشغل بما سمّاه فتنة ابن الفارض؛ جدًّا لمؤيِّديه، وتألّفًا في الرّدِّ عليهم وفي بيان حاله، وحال من ذهب مذهب الاتّحاد وأتبع طريق الإلحاد؛ فألّف: «صواب الجواب للسّائل المرتاب»، و«القارض لتكفير ابن الفارض»، و«تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض»، و«تنبيه الغيِّ على تكفير ابن عربيّ»، و«تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتّحاد». وقال في شغلها له عن تفسيره: "أنفقت فيها عمرًا مديدًا، وبدّدوا فيها أوقاتي بدّهم الله تبديدًا".⁽¹⁾

وناله بسبب هذه الوقائع أذىً كبيرًا من النّاس، وحصل له من الكرب ما أكثر منه الأنين والتّضرُّع إلى الرّحمان الرّحيم، وطال الأمر في ذلك سنين، حتّى أكمل هذا الكتاب الثّمين، بما رزقه الله من الصّبر والأناة.⁽²⁾

قال البقاعيُّ في ذلك:

كابدت فيه زمنًا	***	من حاسدي ما غمًا
عدّوا سنين عددًا	***	يسقون قلبي السُّمًا
وكم دهوني مرّة	***	وكم رموني سهمًا
وأوسقوا قلبي أذىً	***	وأوسعوني ذمًا
وكم بغوني عثرة	***	فما رأوا لي جرما
وفتروا من قاصدي	***	همهمةً وعزما
وأوعدوهم بالأذى	***	وأوهنوهم رجما
ألقي إذا اشتد لظى	***	أذى إذا هم رجما
ألقي إذا الليل دجا	***	وبالبلادلهمًا

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (443/22-445).

(2) ينظر: نفسه، (446/22).

أذاهم وظلمهم *** بدعوةٍ في الظلّما
 أستصرخ الله بهم *** أقول يا اللهمّا
 يا ربّ إنّني جاهدٌ *** فافرج إلهي الغمّا
 لا ذنب لي عندهم *** إلّا الكتاب لمّا
 جرت ينابيع الهدى *** منه فصارت يمّا⁽¹⁾

ومن الصُّعوبات العلميّة التي واجهها البقاعيّ أثناء تأليف الكتاب: صعوبة الكشف عن مناسبات الآيات واستغراقها مدّةً طويلةً، ودقّة هذا المجال، حيث قال: "فربّ آيةٍ أقيمت في تأملها شهورًا ... ومن أراد تصديق ذلك، فليتأمل شيئًا من الآيات قبل أن ينظر ما قلته، ثمّ لينظره، يظهر له مقدار ما تعبت ... وكذا إذا رأى ما ذكر غيري من مناسبات بعض الآيات"⁽²⁾.

د- طباعة الكتاب ونشره:

أوّل نسخ لـ «نظم الدرر» كان على مرحلتين: فرغ من نسخ جزءٍ منه عبد الكريم بن عليّ بن محمّد الحويّ الشّافعيّ بمكّة، يوم السّبت 26 صفر سنة: 944هـ، ثمّ فرغ من نسخ البّصف الآخر محمّد بن أحمد البدرشينيّ الشّافعيّ، ليلة 13 جمادى الأولى سنة: 1097هـ⁽³⁾. وللكتاب نسخٌ خطيّةٌ كثيرةٌ: في سورّيّة، ومصر، وتونس، والمغرب، وتركيا، والسّعوديّة⁽⁴⁾.
 وصدر مطبوعًا كاملاً أوّل مرّةٍ في اثنين وعشرين مجلّدًا، في حيدرآباد الدّكن بالهند، عن دائرة المعارف العثمانيّة، سنة: 1976م⁽⁵⁾، حقّق الجزء الأوّل والثّاني والثّالث ومنتصف الرّابع محمّد بن عبد الحميد، وحقّق بقيّة الأجزاء محمّد بن عمران الأعظميّ⁽⁶⁾.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (447/22-448).

(2) نفسه، (15/1).

(3) نفسه، (449/22-451).

(4) ينظر: خير الله الشّريف، الإمام البقاعيّ ومؤلفاته، آفاق الثّقافة والتّراث، مجلّة فصليّة ثقافيّة تراثيّة مكنيّة، تصدر عن إدارة البحث العلميّ والنّشاط الثّقافيّ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتّراث، دبي، السّنة الثّالثة، ع: 9، المحرّم 1416هـ/يونيو (حزيران) 1995م، ص: 81، البقاعيّ، القول المفيد في أصول التّجويد، مقدّمة المحقّق، ص: 8، الحاشية رقم: 1، محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 58-61.

(5) خير الله الشّريف، نفسه، ص: 80، البقاعيّ، نفسه.

(6) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 56.

وفي سنة: 1992م، صوّرت الطّبعة الهنديّة بدار الكتاب الإسلاميّ في القاهرة⁽¹⁾، وهي المعتمدة في هذه الدّراسة، ثمّ طبع مرّةً أخرى في ثمانية أجزاء بدار الكتب العلميّة في بيروت، بتحقيق عبد الرّزاق غالب المهديّ، سنة: 1415هـ/1995م⁽²⁾.

وكثرة نسّخ الكتاب قديماً، وتعدّد طبعاته حديثاً يدلُّ على قيمته العلميّة، ففيم تكمن قيمته؟

الفرع الثّاني: قيمة الكتاب ومكانته عند العلماء

«نظم الدرر» كتابٌ قيّم، نال مكانةً عظيمةً عند العلماء، وبيان ذلك في الآتي:

أ- قيمة الكتاب:

تكمن قيمة «نظم الدرر» في اعتنائه بفنِّ دقبيّ جدّاً، قلّ من اعتنى به من المفسّرين لدقّته، وهو: بيان تناسب الآيات والسُّور، وقد قال البقاعيُّ: "وبعد، فهذا كتابٌ عجابٌ، رفيع الجنباب، في فنٍّ ما رأيت من سبقني إليه، ولا عوّل ثاقبٌ فكره عليه، أذكر فيه إن شاء الله مناسبات ترتيب السُّور والآيات"⁽³⁾، وقال: "ثمّ ظفرت بكتاب الإمام بدر الدّين محمّد بن عبد الله الرّكشسيّ المصريّ الشّافعيّ سمّاه: «البرهان في علوم القرآن»، فأرأته ذكر فيه ما يُعرّف بمقدار كتابي هذا، فقال في النّوع الثّاني منه: "وهو في المناسبة، قد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا النّوع لدقّته"⁽⁴⁾.

ولمّا كان «نظم الدرر» قيّماً، قيمة الفنِّ الذي اعتنى به، فقد اكتسب بذلك مكانةً عظيمةً عند العلماء، وأثنوا عليه، فما هي جوانب ذلك الثّناء؟

ب- مكانة الكتاب عند العلماء:

جرت عادة العلماء بالثّناء على مؤلّفاتهم، ليس تفاخراً وتعالماً وتعالياً، وإتّما تشويهاً وحثّاً لطلبة العلم على الاطّلاع عليها، والاستفادة ممّا فيها من خلاصة البحث والفكر وتجارب العمر، نصحاً للأمة، وبراءةً للذمّة.

(1) خير الله الشّريف، الإمام البقاعيُّ ومؤلّفاتهِ، ص: 80، البقاعيُّ، القول المفيد في أصول التّجويد، مقدّمة المحقّق، ص: 8، الحاشية رقم: 1.

(2) يرى محمود توفيق أنّها كالمسروقة من الطّبعة الهنديّة؛ إذ لم تختلف عنها إلّا بحذف هوامش التّحقيق ووضع تخریجات الأحاديث موضعها (ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 58).

(3) البقاعيُّ، نظم الدرر، (2/1).

(4) نفسه، (6/1).

ولم يخرج البقاعيّ عن هذه السّيرة، فقد أثنى على كتابه مرّاتٍ، قائلاً عن ذلك: "حقيقةً غير غلوٍّ ... إخبارًا بالحقّ من غير فخرٍ ولا علوّ"⁽¹⁾.

وتتأكّد مصداقيّة كلام المؤلّف في مؤلّفاته بشهادات العلماء وثنائهم واعترافهم بقيمة الكتاب، وخاصّةً إذا كان المثني من الخصوم. وقد كان لـ «نظم الدرر» حظٌّ وافرٌ من ثناء العلماء؛ فأذكر فيما يأتي من الكلام بعض جوانب ثناء البقاعيّ على كتابه، وأذكر معها بعض ما قاله غيره من العلماء، ممّا يصدّق دعاوى البقاعيّ، بل يزيد عليها.

1- أنّه تناول فتناً لم يسبقه إليه أحد:

يرى البقاعيّ أنّه بـ «نظم الدرر» حاز قصب السّبِق في التّأليف في تناسب الآيات والسّور، فقال: "في فنّي ما رأيت من سبقني إليه، ولا عوّل ثاقبٌ فكره عليه"⁽²⁾، وأنّ الأعصار لم تسمح بمثل «نظم الدرر»⁽³⁾، وأنّه الّذي: "لا نسج ناسجٌ على منواله وشكله"⁽⁴⁾.

وقد أقرّ له بالسّبِق غير واحدٍ من العلماء؛ فقال الهيتمي (ت: 974هـ) عن «نظم الدرر»: "لا يعرفه إلّا الخواصُّ بالسّماع، وأمّا غيرهم فلا يعرفونه أصلاً، ولو كان هذا الكتاب لشيخنا زكريّا أو غيره ممّن يعتقد لكان يكتب بالذهب؛ لأنّه في الحقيقة لم يوضع مثله"، ذكر هذا الكلام تحت عنوان: "مطلب: على أنّ من أنكر على الصّوفيّة لا ينفع الله بعلمه"⁽⁵⁾، وقال حاجّي خليفة: "وهو كتابٌ لم يسبقه إليه أحد"⁽⁶⁾.

2- أنّه كثير الخير والنّفع:

أثنى البقاعيّ على كتابه بكثرة فوائده فقال: "التّفسير الّذي لم تسمح الأعصار بمثله، ولا فاض عليها من التّفاسير على كثرة أعدادها كصيّب وبله"⁽⁷⁾؛ وما ذلك إلّا لأنّه جمع المعاني الكثيرة، وقد قال في ذلك:

(1) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (101/1).

(2) البقاعيّ، نظم الدرر، (2/1).

(3) ينظر: نفسه، (443/22)، البقاعيّ، مصاعد النّظر، (101/1).

(4) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (101/1).

(5) ابن حجر الهيتميّ، الفتاوى الحديثيّة، ص: 52-53.

(6) حاجّي خليفة، كشف الظّنون، (1961/2).

(7) البقاعيّ، نظم الدرر، (443/22).

هذا كتاب لَمَّا *** لَمَّ المعاني لَمَّا
غدت بحور علمه *** تمُدُّ مدًّا جمًّا

وقال:

جرت ينابيع الهدى *** منه فصارت يَمًّا (1)

وقد أقرَّ بكثرة الفوائد في «نظم الدرر» غير واحدٍ من العلماء، منهم محيي الدّين الكافيجي، حيث قال: "مرصّع بأنواع فرائد الفوائد والعوائد، وأنّه بحرٌ لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائب"، وقال: "فوجدته ممتلئًا بأجناس دررٍ نفيسةٍ منظومةٍ..." (2).

3- أنّه أظهر الكثير من أسرار وغرائب القرآن التي لم يتفطن لها أحدٌ قبله:

يرى البقاعيُّ أنّ «نظم الدرر» جلّى عن كثيرٍ من الأسرار التي لم يتفطن إليها أحدٌ قبله، فقال: "فإنّه أخرج من كتاب الله تعالى خفايا أسرارٍ ما ظفر بها أحدٌ، وأبدى غرائب أنوارٍ ما عثر على بارقٍ منها ولا وجد... بيّنت فيه سرائر آيات، ما بيّن أحدٌ ظاهر تفسيرها، وأبدت أسرار سُورٍ ما كشف أحدٌ خفيٍّ ضميرها" (3)، وقال: "وقد قلت مادحًا للكتاب المذكور، بما أبان عنه من عجائب المقدور، وغرائب الأمور..." (4).

وقال في النّظم:

أودعته فرائدًا *** يرقص منه الفهما
تجلو العمى من لطفها *** وتسمع الأصمًّا
خصّ نفيس علمها *** ولأناسيِّ عمّا
تنطق من تغنى بها *** وإن يكونوا بكمّا (5)

وقد أقرَّ بوقوفه على كثيرٍ من أسرار القرآن العظيم التي لم يتفطن لها أحدٌ قبله، غير واحدٍ من العلماء، فبسبب «نظم الدرر» امتدح الشّوكانيُّ البقاعيَّ بفرط الذّكاء، والجمع بين علمي

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (22/ 447-448).

(2) البقاعيُّ، مصاعد النّظر، (1/ 126).

(3) نفسه، (1/ 101-102).

(4) البقاعيُّ، نظم الدرر، (22/ 446).

(5) نفسه، (22/ 448).

المنقول والمعقول، وذكر أنّه كثيرًا ما يُشكل عليه شيءٌ في القرآن فيرجع إلى مطوّلات التّفاسير ومختصراتها فلا يجد ما يُشفي، ويرجع إلى كتاب البقاعيّ فيجد ما يفيد في الغالب⁽¹⁾، وأمّا حاجي خليفة فقال عن «نظم الدرر»: "جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير منه العقول"⁽²⁾.

4- جودة الصّنعَة في التّأليف:

امتدح البقاعيّ كتابه بجودة الصّنعَة فقال:

صنعته وفي بحو *** ر علمه ما طمّا
وقد علا تركيبه *** وعاد يجلو نظمًا⁽³⁾

وأقرّ له بذلك غير واحدٍ من العلماء؛ فقال محيي الدّين الكافيجي: "كتابٌ عظيم الشّأن، ساطع البيان، مؤسّسٌ بحسن ترتيبٍ، وجودة نظامٍ، على أحسن جواهر القواعد"⁽⁴⁾، وقال جوده محمد أبو اليزيد المهديّ: "وناهيك بسحر الأسلوب الّذي تفرّد به البقاعيّ، وصاغ فرائد اللّآلئ في عقد مناسبات التّنزيل الحكيم"⁽⁵⁾.

وإذا كان «نظم الدرر» قد حاز تلك المكانة الرّفيعة، في تلك النّواحي البديعة، فلا شك أنّ بعض الفضل يرجع إلى المصادر الّتي اعتمدها البقاعيّ، فما أهمُّ مصادره؟

الفرع الثّالث: مصادر البقاعيّ في «نظم الدرر»

ذكر البقاعيّ في مقدّمة كتابه بعض المصادر الّتي طالعتها والّتي استفاد منها في تأليف كتابه،

وهي:

- «سراج المريدين» لأبي بكر بن العربيّ.
- «تفسير الرّازي».
- بعض كتب أبي الحسن عليّ بن أحمد بن الحسن التّجيجيّ الحرّليّ المغربيّ نزيل حماة من بلاد

(1) ينظر: الشّوكاني، البدر الطّالع، (20/1).

(2) حاجي خليفة، كشف الظّنون، (1961/2).

(3) البقاعيّ، نظم الدرر، (448/22).

(4) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (126-125/1).

(5) جوده محمّد، الاتّجاه الصّوّفيّ عند أنمّة تفسير القرآن الكرم، ص: 225.

الشّام (ت: 638هـ)، وهي: «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل»؛ انتفع به البقاعيّ كثيراً على وجهٍ كليّ، و«عروة المفتاح»، و«التّوشية والتّوفية»؛ قال البقاعيّ: "وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزّواً إليه في مواضع تليق به"، وجزءٌ من تفسير الحرّاليّ؛ قال البقاعيّ: "ثمّ بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من تفسيره فيه من أوّله إلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى﴾⁽¹⁾ في آل عمران، فرأيته عديم النّظير، وقد دُكرت فيه المناسبات، وقد ذكرت ما أعجبنى منها وعزوته إليه".⁽²⁾

- تفسير البيضاويّ (ت: 685هـ)، جعل البقاعيّ «نظم الدرر» كالرّديف له.⁽³⁾
- تفسير ابن النّقيب الحنفيّ (ت: 698هـ)⁽⁴⁾، ذكر البقاعيّ أنّه في نحو ستين مجلّداً، وأنّه اطّلع على جزءٍ منه.⁽⁵⁾
- «المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن» لأبي جعفر بن الزبير الثّقفيّ الغرناطيّ (ت: 708هـ)، يذكر البقاعيّ في أوّل كلّ سورة ما قال ابن الزبير في مناسبتها بلفظه.⁽⁶⁾
- «البرهان في علوم القرآن» لبدر الدّين الزّركشيّ المصريّ الشّافعيّ.⁽⁷⁾
- وذكر البقاعيّ في خاتمة كتابه أنّه نقل فيه من التّوراة والإنجيل، وأنّه تعرّض للكثير من الانتقادات بسبب ذلك.⁽⁸⁾

(1) آل عمران: من الآية 33.

(2) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (6/1-7، 10).

(3) نفسه، (4/1).

(4) عنوانه: «التّحرير والتّحبير لأقوال أئمّة التّفسير في معاني كلام السّميع البصير» (محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 62).

(5) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (10/1).

(6) نفسه، (6/1). وطبع بعنوان: «البرهان في ترتيب سور القرآن»، وبعنوان آخر هو: «البرهان في تناسب سور القرآن»، وقد سبق بيان ذلك.

(7) نفسه، (6/1، 16).

(8) نفسه، (444/22).

وفي السُّور الخمس - خصوصًا - أفاد من مجموعةٍ من المصادر عزا إليها، وهي:

أ- كتب التّفسير والمناسبات:

- تفسير الطَّبْرِيّ «جامع البيان في تأويل القرآن».
- تفسير الثَّعْلَبِيّ (ت: 427هـ) «الكشف والبيان عن تفسير القرآن».
- تفسير القشيريّ (ت: 465هـ) «لطائف الإشارات».
- «جوامع التّفسير» لحمزة الكرمانيّ⁽¹⁾.
- تفسير البغويّ (ت: 516هـ) «معالم التّنزيل».
- تفسير الرّمحشريّ (ت: 538هـ) «الكشّاف».
- تفسير الرّازيّ (ت: 606هـ) «مفاتيح الغيب».
- تفسير البيضاويّ (ت: 685هـ) «أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل».
- «المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن» لأبي جعفر الغرناطيّ (ت: 708هـ).
- «البحر المحيط في التّفسير» لأبي حيّان الأندلسيّ (ت: 745هـ).
- تفسير الأصبهانيّ⁽²⁾، وهو أبو الثّناء محمود بن عبد الرّحمان (ت: 749هـ)، وعنوان تفسيره: «أنوار الحقائق الرّبانيّة في تفسير اللّطائف القرآنيّة»⁽³⁾.

ب- كتب الحديث وعلومه والسيرة النبويّة:

- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ).
- سنن الترمذيّ (ت: 279هـ).

(1) لم أقف على الكتاب ولا على ترجمة مؤلّفه، فرمّا يكون المؤلّف أب محمود الكرمانيّ صاحب كتاب «غرائب التّفسير وعجائب التّأويل».

(2) ذكر البقاعيُّ أنّ الأصبهانيّ ينقل عن الرّازي (البقاعيُّ، نظم الدرر، 200/5)؛ فتتراوح وفاته ما بين القرن السّابع أو الثّامن، وليس هو الرّاعب الأصفهانيّ الذي توفّي سنة: 502هـ.

(3) تمّ في أوائل هذا القرن (ق: 15) تحقيق تفسير أبي الثّناء الأصبهانيّ كاملاً في مجموعة رسائل دكتوراه بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة بالرياض (ينظر: عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد العزيز اليوسف، أنوار الحقائق الرّبانيّة في تفسير اللّطائف القرآنيّة لأبي الثّناء محمود بن عبد الرحمن الأصفهانيّ المتوفّي سنة 749هـ، من أوّل سورة التّساء إلى آخر سورة المائدة، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، كليّة أصول الدّين، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1424-1425هـ، ص: 4).

- معاجم الطّبرانيّ (ت: 360هـ) الثلاثة: الصّغير والأوسط والكبير.
- «الرّوض الأنف في شرح السّيرة النّبويّة» للشّهيليّ (ت: 581هـ).
- «لسان الميزان» لابن حجر العسقلانيّ (ت: 852هـ).

ج- كتب العقيدة:

- «المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى» لأبي حامد الغزاليّ (ت: 505هـ).

د- كتب اللّغة:

- «القاموس المحيط» للفيروزآباديّ (ت: 817هـ).

هـ- كتب المواعظ:

- «إحياء علوم الدّين» لأبي حامد الغزاليّ.

المبحث الرّابع: منهج البقاعيِّ في «نظم الدرر»

خلت مقدّمة «نظم الدرر» من حديث البقاعيِّ عن منهجه في الكتاب، إلّا ما ذكره من الاعتناء ببيان المناسبات، ولا تحدّثت عنه كذلك خاتمة الكتاب.

وقد أقيمت عديدٌ من الدِّراسات الأكاديميّة حول منهج البقاعيِّ في «نظم الدرر» في التّفسير وفي المناسبات؛ فأذكر هاهنا من التي أطّلت عليها أهمّ ما توصّلت إليه، إضافةً إلى ما وقفت عليه من كلام البقاعيِّ عن منهجه في «نظم الدرر» ممّا ذكره في كتبه الأخرى.

المطلب الأوّل: منهج البقاعيِّ في التّفسير

لم يكن للبقاعيِّ منهجٌ مطّردٌ في التّفسير، فهو لم يهتمّ به كثيرًا؛ لأنّه لم يكن أصل كتابه، وإمّا كانت المناسبات هي الأصل؛ فكان منهجه فيها مطّردًا، وأمّا العمل التّفسيريُّ فقد جاء خادماً لذلك الأصل⁽¹⁾. وفيما يأتي بيانٌ لمنهجه عمومًا في التّفسير على وجه الاختصار.

الفرع الأوّل: القراءة المعتمدة في «نظم الدرر»

لم يُصرّح البقاعيُّ بالقراءة المعتمدة في تفسيره، ولم أقف على من تكلم عن هذه الجزئيّة إلّا رسالة «منهج البقاعيِّ في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور»، وقد توصّلت الباحثة إلى أنّه يذكر الآية أوّلًا برواية حفص عن عاصم، وفي أثناء التّفسير يستشهد بالقراءات، سواءً أكانت متواترة أم شاذّة⁽²⁾. وبعد الاطّلاع على تفسيره وكتبه الأخرى توصّلتُ إلى غير ما توصّلتُ إليه الباحثة، وبيان ذلك في الآتي.

إنّ القراءة التي حَضَيْتُ باهتمامٍ بالغٍ من البقاعيِّ - وهو ما يدلُّ على أنّها قراءته في الصّلاة والتّعبُد - هي قراءة أبي عمرو بن العلاء البصريِّ. ومن مظاهر اهتمامه بها أنّه أفرد لها بالتّأليف دون غيرها من القراءات في «كفاية القارئ وغنية المقرئ»، وأنّه ألّف «القول المفيد في أصول التّجويد لكتاب ربّنا المجيد»، وهو نبذةٌ مختصرةٌ في علم التّجويد، وفيما يبدو - بعد الاطّلاع عليه - أنّه بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصريِّ، حيث ذكر فيه ما خالف فيه أبو عمرو بن العلاء بعض القراء في ياء الإضافة، كما ذكر فيه ياءات الرّوائد التي حذفها أبو عمرو وفقًا اتّباعًا للرّسم

(1) ينظر: مشهور موسى مشاهرة، التّناسب القرآنيُّ عند الإمام البقاعيِّ، ص: 16.

(2) زهر صالح إسماعيل، منهج البقاعيِّ في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، ص: 262-264.

وأثبتها وصلًا⁽¹⁾.

ومن مظاهر اهتمام البقاعيِّ بهذه القراءة في تفسيره:

- اعتمادها أوّلاً في كثيرٍ من الآي - وإن خالفت قراءة الباقيين - ويفسّرُها، ثم يُتبعها بذكر القراءات الأخرى ويوجّهُها، ومن أمثلة ذلك:

- قوله: "﴿هَلْ هُنَّ مُّمْسِكَاتٌ﴾ أَي عَيِّي ﴿رَحْمَتُهُ﴾" أي لأجل عصياني لهنَّ نوع إمساكٍ، لأطيعكم في الخوف منهنَّ - هذه قراءة أبي عمرو بالتّنوين وإعمال اسم الفاعل بنصب ما بعده، وهو الأصل في اسم الفاعل، والباقون بالإضافة⁽²⁾.

- وقوله: "﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي المحيط بالجلال والإكرام ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾" أي الكفار - على قراءة أبي عمرو بالغيب -، وأنتم - على قراءة الباقيين بالخطاب - في ذلك الوقت وفيما بعده كما كان قبله ﴿بَصِيرًا﴾"⁽³⁾.

- وقوله: "﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾" أي تسرّوا سروراً يوصل إلى البطر بالتّمادي مع ما في أصل الجبلة ﴿بِمَا أَتَيْتُمْ﴾ أي جاءكم منها على قراءة أبي عمرو بالقصر، وأعطاكم الله على قراءة الباقيين بالمدِّ"⁽⁴⁾.

- حطّه كلمات القرآن أحياناً بما يوافق قراءة أبي عمرو ومن وافقه، مخالفاً بذلك رسم المصاحف فيما أجمعت عليه، وذلك في موضعٍ واحدٍ فقط في عيّنة هذه الدّراسة، في قوله: "﴿بِظُنَيْنِ﴾" أي بمتّهم، من الظّنّة وهي التّهمة ... هذا في قراءة ابن كثيرٍ وأبي عمرو والكسائيِّ ورويسٍ عن يعقوب بالظّاء، والمعنى في قراءة الباقيين بالضّاد: ببخيلٍ ..."⁽⁵⁾. وقد أجمعت المصاحف على رسمها بالضّاد⁽⁶⁾، فخالف الرّسم في تفسيره موافقةً لقراءته.

(1) ينظر: البقاعيُّ، القول المفيد في أصول التّجويد، ص: 40، 41.

(2) تفسير الآية 38 من سورة الرّؤم (البقاعيُّ، نظم الدرر، 513/16).

(3) تفسير الآية 24 من سورة الفتح (نفسه، 325/18).

(4) تفسير الآية 23 من سورة الحديد (نفسه، 296/19).

(5) من الآية 24 من سورة التّكوير (نفسه، 293/21).

(6) نقل ابن عاشور إتفاق مصاحف المسلمين على كتابتها بالضّاد، وإن اختلفوا في قراءتها بين الضّاد والظّاء، والقراءتان متواترتان (ابن

عاشور، التّحرير والتّنوير، 160/30-161).

إنّ كون قراءة أبي عمرو القراءة التي يقرأ بها البقاعيُّ، وإنّ اعتمادها أوّلاً في كثيرٍ من المواضع في تفسيره، لا يعني أنّها المعتمدة كأصلٍ لتفسيره؛ فهو في أحيانٍ أخرى كثيرةً يذكر الآي أوّلاً بقراءاتٍ أخرى غيرها، ومن أمثلة ذلك:

• قوله: "﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ أي لا إلى غيره ﴿تَرْجَعُونَ﴾ معني في أموركم كلّها في الدُّنيا وإن كنتم لقصور النّظر تنسبونها إلى الأسباب، وحسباً بعد قيام السّاعة، وقراءة الجماعة بالالتفات إلى الخطاب أبلغ لأنّها أنصُّ على المقصود، وقرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء التّحتانيّة على النّسق الماضي⁽¹⁾.

• وقوله: "﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا الجزء العظيم ﴿بِجَزْمٍ﴾ أي بما لنا من العظمة - على قراءة الجماعة بالنّون - ﴿كُلُّ كَفُورٍ﴾ أي به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو غيره من الأنبياء عليهم السّلام وإن لم نره؛ لأنّ ثبوت المعجزة يستوي فيها السّمع والبصر، وبنى أبو عمرو الفعل للمفعول إشارةً إلى سهولته وتيسّره ورفع ﴿كُلِّ﴾⁽²⁾.

فخلاصة القول: إنّه لم يعتمد قراءةً بعينها كأصلٍ؛ فأحياناً يذكر الآية بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصريّ أوّلاً، وأحياناً بقراءةٍ أخرى.

الفرع الثّاني: تفسير البقاعيِّ بين الرّأي والأثر

لَمَّا كان مرتكز تفسير البقاعيِّ البحث في المناسبات، وهو القائم على التأمّل والتدبّر، فهل يعني ذلك عدم اعتماده التّفسير بالمأثور؟

يأتي الجواب عن هذا السّؤال من الشّوكانيّ حيث قال: "ومن أمعن النّظر في كتاب المترجم له في التّفسير، الذي جعله في المناسبة بين الآي والسّور، علم أنّه من أوعية العلم المفرطين في الدّكاء، الجامعين بين علميّ المعقول والمنقول"⁽³⁾، وذكر مشهور مشاهرة أنّ التّفسير بالمأثور عند البقاعيِّ كان عرضاً، إلّا ما جاء خدمةً للتّفسير بالمعقول، المتمثّل في حديثه عن التّناسب⁽⁴⁾.

(1) تفسير الآية 11 من سورة الرّوم (البقاعيُّ، نظم الدرر، 54/15).

(2) تفسير الآية 36 من سورة فاطر (نفسه، 62/16).

(3) الشّوكانيّ، البدر الطّالع، (20/1).

(4) مشهور موسى مشاهرة، التّناسب القرآنيّ عند الإمام البقاعيِّ، ص: 16.

أ- التّفسير بالمأثور في «نظم الدرر»:

ذكر البقاعيّ أنّ من أسباب اختصاره لتفسيره طوله بسبب كثرة سوق الأحاديث فيه⁽¹⁾. وذكر مشهور مشاهرة أنّ منهج البقاعيّ في تفسير القرآن بالأحاديث النبويّة الشريفة واضح؛ فمرّةً يذكر تفسير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لآية (تفسيرٌ بالمأثور)، وأخرى ينقل مجموعةً من الأحاديث عن الشّيخين وأصحاب السنن (تفسيرٌ بالرّأي)، وذكر مثالين؛ مثالٌ في تبين السنّة لمجمل القرآن بتفسير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والآخر في استشهاده على تفسيره لآية بحديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وأحال على أمثلةٍ أخرى في «نظم الدرر»⁽²⁾.

وحين يذكر البقاعيّ الأحاديث فإنّه لا يكتفي بسوقها مجرّدةً عن أسانيدھا وبيان حكمھا؛ إذ ما فتى يذكر الأحاديث النبويّة بأسانيدھا، وكذلك تخرّجھا عند أئمّة الحديث وأهل صناعته، وهذه سمّةٌ تنسحب على جميع كتابه؛ فهو أحياناً يورد الحديث ويحكم عليه من جهة سنده، وأحياناً ينقل الحكم على الحديث عمّن رواه في كتابه وحكم عليه، وقد يتعقّب حديثاً سكتوا عنه فيحكم عليه، وإمّا ينقل الحكم عن نقاد الحديث، ونقله الحكم عن رواة الحديث ونقّاده، قد يكون بذكر العلة أو دونها.⁽³⁾

وأما أقوال الصّحابة والتّابعين، فقد اهتمّ البقاعيّ بتفاسيرهم وأفاد منها؛ لمكانة أصحاب الجيلين من العلم بكلام الله، والقرب من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعهده.⁽⁴⁾

ب- التّفسير بالرّأي في «نظم الدرر»:

أشار البقاعيّ إلى اعتماده التّفسير بالرّأي بذكر جهده في التّدبّر والتّفكّر وتقليب موادّ اللّغة، وما ينتج عن ذلك من فتوحات العلم، فقال: "أطلت فيه التّدبّر وأنعمت فيه التّفكّر لآيات الكتاب"⁽⁵⁾، ثمّ ذكر أدلّة الحثّ على التّدبّر في القرآن، وإمكان اختصاص المفسّر بفهم في كتاب

(1) دلالة البرهان القويم، ص: 1ب، نقلاً عن: عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 36، و محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72، نقل كلام البقاعيّ من نسخة وقف عليها من مخطوط «دلالة البرهان القويم».

(2) ينظر: مشهور موسى مشاهرة، التّناسب القرآنيّ عند الإمام البقاعيّ، ص: 18-19.

(3) ينظر: نفسه، ص: 15، 19، 21، 22.

(4) ينظر: نفسه، ص: 22-23.

(5) البقاعيّ، نظم الدرر، (2/1).

الله، بشرط أن يكون المتعامل مع القرآن من أهل العلم والتفسير⁽¹⁾، وتحدّث عن فتوحات الله عليه فقال: "ففاضت عليّ جواهر المعاني، وأقبلت إليّ باختصاصها وجوه التّهاني، فكدت إلى صدري أمواج الأسرار صافيةً عن زبد، وعطفت إلى فكري أمواج الأنوار، خاليةً عن نكد رأي أهل العصر"⁽²⁾.

وذكر أنّ من أسباب اختصاره «نظم الدرر» أنّه طال بتقليب موادّ اللّغة فيه، وكثرة الفوائد الّتي ضمّنها فيه⁽³⁾، ففي شرحه -مثلاً- لاسم واحدٍ فقط من أسماء سورة التّوبة، وهو "المقشقة"، وذكر اشتقاقاته، وبيان مطابقتها لمقصود السّورة، استغرق فيه قريباً من خمس صفحات⁽⁴⁾.

وقد انتقد كتّابه بأنّه تفسيرٌ بالرّأي لا يحلُّ، فردّ البقاعيُّ عليه بالدليل من القرآن على جوازه، وبسرد ثناء العلماء على كتابه.⁽⁵⁾

وقد بحث البقاعيُّ في كتابه من القضايا الفقهية والأصولية وآراء الشافعية الشّيء الكثير⁽⁶⁾، فهو يستعين في تفسير آيات الأحكام بآراء الشافعيّ وشيوخ المذهب، وقد ينقد ويناقش بعض هذه الآراء ويرجّح، وقد يرُدّها أيضاً، أو أنّه يجتهد فيحكم دون الحاجة للنقل⁽⁷⁾، وهذا كلّ من الرّأي.

ويذكر البقاعيُّ ما يلوح له من إشارات قرآنية، وهي من التفسير بالرّأي، ومن أمثلته: حديثه عن عدد حروف البسملة حيث قال: "وكونها تسعة عشر حرفاً خطيّةً، وثمانية عشر لفظيّةً، إشارةً إلى أنّها دوافع النّعمة من النّار الّتي أصحابها تسعة عشر، وجوالب للرّحمة بركعات الصّلوات

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (4-2/1).

(2) البقاعيُّ، مصاعد النّظر، (102/1).

(3) ينظر: دلالة البرهان القويم، ص: 1، نقلاً عن: عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيُّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 36، ومحمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72، نقل كلام البقاعيِّ عن نسخة وقف عليها من مخطوط «دلالة البرهان القويم».

(4) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (355-350/8).

(5) البقاعيُّ، مصاعد النّظر، (111/1 وما بعدها).

(6) مشهور موسى مشاهرة، التّناسب القرآنيُّ عند الإمام البقاعيِّ، ص: 15.

(7) ينظر: نفسه، ص: 24.

الخمس وركعة الوتر اللّاتي من أعظم العبادات الكبرى" (1).

واهتمّ البقاعيّ في تفسيره بمناقشة الفرق والطوائف، فيردُّ على أهل الباطل ويناقشهم في مذاهبهم، حيث قال: "أردُّ فيه على أهل كلّ باطلٍ وعنادٍ، بما في كتبهم ولهم فيه اعتقادٌ، مع بيان ما فيه من غثٍ أو سمينٍ، أو منزلٍ أو مكينٍ" (2)، ولا تخلو مثل تلك المناقشات من تفسيرٍ بالرّأي. ومن ذلك أنّه ينقل من التّوراة والإنجيل، ويبيّن أنّ ذلك من أجل ذكر الشّواهد منها على بطلان ما يخالف الإسلام من الأديان، وأنّه من أسباب الطّول في كتابه التي جعلته يختصره (3)، ويرى مشهور مشاهرة أنّ من تتبّع النّصوص التي نقلها البقاعيّ من الكتب القديمة خرج بمجلّد متكاملٍ ضخيمٍ، وحبّد لو قام أحدٌ بهذا العمل؛ لمكانة البقاعيّ في النّقل والتّدقيق والتّنبية على الموافقة والمخالفة. (4)

وإذا كان البقاعيّ يفسّر القرآن بالرّأي فهل جاءت آراؤه التّفسيريّة بالجديد، أم أنّها تكرارٌ لآراء سابقيه من علماء التّفسير؟ ذلك ما يجيب عنه الفرع الآتي.

الفرع الثّالث: تفسير البقاعيّ بين التّقليد والتّجديد

اعتبر محمود توفيق البقاعيّ مجدّد عصره في التّفسير، فقال: "في القرن الثّاسع الهجريّ مجدّدون لهذه الأُمَّة، منهم برهان الدّين البقاعيّ صاحب تفسير «نظم الدرر»، جدّد لهذه الأُمَّة فهم كتاب الله عزّ وجلّ" (5)، والحال كما قال؛ فقد جاء في تفسيره بدررٍ ثمينّة، وفُتحت عليه فيه أبواب أسرارٍ دفينّة، متعلّقة بمعاني كلام الله تعالى، لم يسبقه إليها أحدٌ، فجَدّد فهم كتاب الله تعالى، وليس ذلك من الابتداع المذموم في تأويل كلام الله تعالى، وقد قال الأقسرائيّ: "وإذا كانت العلوم منجاً إلهيّةً وعطايا ربّانيّةً، فلا يبعد أن يفتح الله على بعض المتأخّرين، ما عسر على كثيرٍ من المتقدّمين" (6).

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (27/1).

(2) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (102/1).

(3) ينظر: دلالة البرهان القويم، ص: 1، نقلاً عن: عبد الله الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم، ص: 36، ومحمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72، نقل كلام البقاعيّ عن نسخةٍ وقف عليها من مخطوط «دلالة البرهان القويم».

(4) ينظر: مشهور موسى مشاهرة، الثّناسب القرآنيّ عند الإمام البقاعيّ، ص: 15.

(5) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 5.

(6) ذكره البقاعيّ في معرض ذكر تقرّيب الأقسرائيّ لكتابه «مصاعد النّظر» (البقاعيّ، مصاعد النّظر، 118/1).

وقد أقرّ للبقاعيّ بتجديده الفهم لكتاب الله جمع من أهل العلم، وقد سبق ذكر كلام بعضهم في الثّناء على كتابه «نظم الدرر» بما وقف عليه من فرائد الفوائد وأسرار المعاني التي لم يقف عليها أحدٌ قبله.

ومن معالم التّجديد في تفسيره:

— أنّه فسّر القرآن كلّهُ، من أوّله إلى آخره، بناءً على المناسبات بين سُوره وآيه، بل وجمله وكلماته، وهذا فنٌّ لم يسبقه إليه أحدٌ كما أخبر به هو، وأقرّه على ذلك غيره من العلماء، فليس التّجديد بعلمٍ جديدٍ ابتكره، أو بمنهجٍ جديدٍ ابتدعه، وإمّا بفنِّ استوعبه واستوفاه في جميع أجزاء القرآن العظيم؛ ولذلك اعتبره عبد القادر عطا أوّل تفسيرٍ موسوعيّ من نوعه تخصّص في المناسبات⁽¹⁾.

— أنّه أسّس من خلاله لنظريّة وحدة القرآن العظيم⁽²⁾، ووحدة السّورة القرآنيّة⁽³⁾، وأنّه وضع فيه اللبنة الأولى لما يُسمّى بالوحدة الموضوعيّة للسّورة القرآنيّة والوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم، قالت أمينة رابح: "ومن فضل الله عليه أنّه تمكّن من خلال هذا العلم أن يضع لبنةً أولى لما يُسمّى بالوحدة الموضوعيّة للسّورة القرآنيّة والوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم، وذلك من خلال مؤلّفاته التّفسيريّة، وعلى رأسها «نظم الدرر»⁽⁴⁾. وبين وحدة القرآن العظيم ووحدة السّورة القرآنيّة، والوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم والوحدة الموضوعيّة للسّورة القرآنيّة علاقة العموم والخصوص.

الفرع الرّابع: طريقة البقاعيّ في عرض التّفسير

يفسّر البقاعيّ القرآن الكريم كلّهُ من سورة الفاتحة إلى سورة النّاس، مراعيًا ترتيب السّور والآيات في المصحف، مرّكزًا على بيان المناسبات. وبناء تفسيره على أساس المناسبات يحدّد عليه في عرضه اتّباع خطواتٍ معيّنة تتناسب مع فنّه، وتخضع لمنهج علمه. وقد بيّن البقاعيّ في أوّل

(1) السّبيوطي، تناسق الدرر، مقدّمة المحقّق، ص: 22.

(2) ينظر: أمينة رابح، معالم تحقيق وحدة القرآن عند البقاعيّ من خلال مخطوط دلالة البرهان القويم، الجزء الثّاني، المجلّة الجزائريّة للمخطوطات، مجلّة علميّة محكمة يصدرها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلاميّة في شمال إفريقيا، جامعة وهران-الجزائر، ع: 11، مارس 2014م، ص: 189. والمقال كلّهُ في إثبات وجود التّظريّة عند البقاعيّ.

(3) ينظر: أمينة رابح، معالم تحقيق وحدة السّورة عند البقاعيّ، ص: 42. والمقال كلّهُ في إثبات وجود التّظريّة عند البقاعيّ.

(4) نفسه، ص: 32.

تفسير سورة الفاتحة الخطوات المتّبعة في تعامله مع السّورة القرآنيّة فقال: "اسم كلّ سورةٍ مترجمٌ عن مقصودها... ومقصودُ كلّ سورةٍ هادٍ إلى تناسبها، فأذكر المقصود من كلّ سورةٍ، وأطبّق بينه وبين اسمها، وأفسّر كلّ بسملةٍ بما يوافق مقصود السّورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها"⁽¹⁾.

وبتتبع تفسيره، وجدت أنّه التزم في غالبه تلك الخطوات، فكان عمله في السّورة على النحو

الآتي:

- يذكر أوّلاً اسم السّورة، وأسماءها الأخرى إن تعدّدت أسماءها.⁽²⁾
 - ثمّ يبيّن مقصود السّورة.⁽³⁾
 - ثمّ يطابق بين اسم السّورة أو اسمائها إن تعدّدت وبين مقصودها.
 - ثمّ يفسّر البسملة.⁽⁴⁾
 - ثمّ يكشف عن مناسبة مطلع السّورة لمقطع السّورة التي قبلها - وهو الغالب - وأحياناً قليلةً يُسبقها بذكر مناسبة السّورة للسّورة التي قبلها، وسيأتي تفصيل الكلام في هذه الجزئية وكيف أنّه يفرّق بينهما، في أثناء بيان منهجه في المناسبات.
 - ثمّ يشرع في تفسير كلماتها وجملها وآيها.
- وهذه الخطوات مطابقةٌ تماماً للتي صرّح بأنّه اتّبعها في كتابه «دلالة البرهان القويم»، الذي هو مختصر «نظم الدرر»⁽⁵⁾.

والملاحظ في طريقة البقاعيّ أنّه لا يقدّم للسّورة القرآنيّة بطاقة تعريفية؛ فلا يذكر سوى

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (18/1-19).

(2) قد يؤخّر البقاعيّ أحياناً ذكر بقية أسماء السّورة إلى موضع المطابقة بينها وبين مقصودها، مثلما فعل مع سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة براءة، وسورة مريم... إلخ، وفي سورة الفاتحة قدّم تفسير البسملة على ذكر بقية اسمائها.

(3) قد يقدّم البقاعيّ أحياناً على ذكر المقصود تفسير البسملة، كما قد يقدّم عليه الحديث عن فضل السّورة مثلما فعل في سورة الأعلى.

(4) أحياناً يتدخّل البقاعيّ بتفسير السّورة بتفسير البسملة، وذلك بعد ذكر اسمها مباشرة، فيقدّمه على مقصود السّورة، مثل: تفسيره سورة آل عمران، وسورة الأنفال، وسورة إبراهيم،... إلخ، قالت سامية دبي: "لكن مع وضوح كون المقصد بيّن في ذهنه؛ إذ تفسيره للبسملة يدلّ على ذلك" (سامية دبي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور للبقاعيّ دراسة تحليلية نقدية، ص: 118).

(5) ذكر الخطوات محمود توفيق، نقلها عن نسخة وقف عليها من مخطوط دلالة البرهان القويم (ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72).

اسمها أو أسماءها ومقصودها، وأمّا الحديث عن مكّيّة السّورة أو مدنيّتها، وعدد آيها، وتاريخ نزولها وسبب نزولها، وترتيب النّزول، وفضائل السّورة، فإنّه لم يهتمّ بكلّ ذلك؛ بناءً على أنّ الكتاب في أصله كتابٌ مناسباتٍ - وإن كانت هذه العناصر مهمّةً في علم المناسبات - وما ذُكر منها في تفسيره فنادرٌ، ومنه ما جاء عرضاً في أثناء التّفسير لأغراضٍ مختلفةٍ، لا أنّه مقصودٌ لذاته تعريفاً بالسّورة في ابتداء تفسيرها.

● فمن أمثلة حديثه عن المكيّ والمدنيّ:

- في سورة الأنعام، قال في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: 145): "وهذه الآية مدنيّة، وأثبتها تعالى في سورة مكّيّة إشعاراً بأنّ التّحريم كان مستحقاً في أوّل الدّين ولكن أُجر إلى حين اجتماع جمّة الإسلام بالمدينة"⁽¹⁾.

- قال في سورة الغاشية: "ولمّا كانت هذه السّورة مكّيّة من أوائل ما أنزل، وكان مأموراً إذ ذاك بالصّفح قال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (الغاشية: من الآية 21)"⁽²⁾.

- قال في سورة البقرة، في تفسير الآية رقم: 239: "والبقرة مدنيّة"⁽³⁾.

فظاهرٌ من خلال هذه الأمثلة أنّ حديثه عن المكيّ والمدنيّ لم يكن مقصوداً لذاته.

● ومن أمثلة حديثه عن عدد آي السّور: حديثه عن عدد آي سورة الضّحى في آخر تفسيرها.⁽⁴⁾

● ومن أمثلة حديثه عن تاريخ النّزول: قال في سورة طه: "فالظّاهر - على ما يأتي في إسلام عمر رضي الله عنه - أنّ نزول هذه السّورة أو أوّلها كان قرب هجرة الحبشة"، وذكره بغرض بيان دلالة اسمها على مقصودها بطريق الرّمز والإشارة.⁽⁵⁾

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (301/7).

(2) نفسه، (18/22).

(3) نفسه، (374/3).

(4) ينظر: نفسه، (111/22).

(5) ينظر: نفسه، (257-256/12).

• ومن أمثلة حديثه عن ترتيب النُّزول: قال في تفسير الآية: 59 من سورة الأعراف: "لأنّ ترتيب السُّور الثّلاث⁽¹⁾ - وإن كان الصّحيح أنّه باجتهاد الصّحابة رضي الله عنهم - فلعلّه جاء على ترتيبها في النُّزول، لأنّها مكّيّات"⁽²⁾، وحديثه عن أوّل ما نزل وآخر ما نزل؛ حيث قال في الإسراء بعد أن ذكر مقصودها: "وهي من أوائل ما أنزل"⁽³⁾، وذكر عن سورة النِّساء في أثناء حديثه عن مقصودها أنّها من أواخر ما نزل، والغرض من ذكر ترتيب نزولها هو تأكيد مناسبتها للسُّور المتقدّمة عليها نزولاً وتدويناً في المصحف، وهي الفاتحة والبقرة وآل عمران، من خلال ارتباط مقصودها بمقاصد تلك السُّور⁽⁴⁾، وذكر عن سورة التّوبة - بعد أن تحدّث عن مقصودها والمطابقة بينه وبين أسمائها - أنّها آخر سورةٍ نزلت⁽⁵⁾.

فالملاحظ أنّ حديثه عن تاريخ النُّزول وأسباب النُّزول يأتي عرضاً في الحديث؛ استدلالاً لأمر ما، كبيان المناسبة مثلاً، ولا يكون حديثه عنه مقصوداً لذاته.

• ومن أمثلة حديثه عن فضائل السُّور: ذكره بعض فضائل سورة الفاتحة، وجاء ذلك عرضاً في أثناء شرح أسمائها، فليس ذكرها مقصوداً لذاته⁽⁶⁾، وأيضاً حديثه عن فضل سورة الأنفال بعد بيان مقصدها ومطابقته بين اسمها ومقصودها، ومناسبة الحديث عن فضلها تأكيد مقصودها⁽⁷⁾. فالبقاعي إذا ذكر فضائل سورةٍ معيّنة فلاجل مناسبة ما، لا أنّ ذكر الفضائل مقصودٌ لذاته تعريفاً بالسُّورة، ومن أمثلة النّادر الذي جاء في البطاقة التعريفية للسُّورة: ذكر فضيلةٍ من فضائل سورة الأعلى، وقدّم ذكرها على ذكر مقصود السُّورة⁽⁸⁾.

• ومن أمثلة حديثه عن سبب النُّزول: ذكره سبب نزول سورة عبس عند ذكر مناسبة مطلعها

(1) يعني بها: الأعراف، هود، المؤمنون.

(2) البقاعيّ، نظم الدرر، (427/7).

(3) نفسه، (286/11).

(4) ينظر: نفسه، (169/5-171).

(5) نفسه، (355/8).

(6) ينظر: نفسه، (20/1).

(7) ينظر: نفسه، (218/8).

(8) ينظر: نفسه، (387/21).

لمقطع النّازعات.⁽¹⁾

ولقد أفرد البقاعيُّ لتّعريف بسور القرآن مصنّفًا سمّاه: «مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السُّور».

الفرع الخامس: منهج البقاعيِّ في التّعامل مع المعاني

تحدّث البقاعيُّ عن منهجه في التّعامل مع معاني ألفاظ القرآن الكريم، بما فيها ألفاظ البسملة في كلّ سورة، وبيان ذلك في الآتي.

أ- معاني البسملة:

يفسّر البقاعيُّ كلّ بسملة بما يناسب مقصود السُّورة، من غير خروج عن معاني كلماتها ومدلولاتها من جهة اللُّغة.⁽²⁾

وقد بيّن محمود توفيق منهج البقاعيِّ في ذلك فقال: "وهو في تأويله بسملة كلّ سورةٍ إمّا يعمدُ إلى الأسماء الحسنى الثلاثة: الله، الرّحمان، الرّحيم فيذكر مع كلّ اسمٍ ما يتناسب مع مضمون سورة هذه البسملة شريطة التزامه مع اسم الجلالة الإشارة إلى معنى الجمع والإحاطة، ومع اسمه "الرّحمان" الإشارة إلى معنى العموم والاتّساع، ومع اسمه "الرّحيم" الإشارة إلى معنى التّخصيص"⁽³⁾. ولعلّه يقصد بقوله: "مع مضمون السُّورة" مقصود السُّورة، لأنّه قدّم ذكر قول البقاعيِّ بتفسير البسملة بما يوافق مقصودها، وذكر بعدها نماذج من عمل البقاعيِّ وفق ذلك، أو أنّه يريد الإشارة إلى أنّ اختيار البقاعيِّ لتفسير كلمات البسملة أحياناً يراعي فيه التّناسب مع مضمون السُّورة، والارتباط بين المقصود والمضمون واضح؛ إذ هو ارتباط الغاية بوسيلتها.

ويوضّح محمود توفيق أنّ تفسير البقاعيِّ للبسملة عملٌ توفيقيّ منه وليس استنباطيّاً؛ إذ يذكر

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (250/21).

(2) ينظر: نفسه، (19/1)، محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72، ونقل نصّ البقاعيِّ عن نسخة وقف عليها من مخطوط دلالة البرهان القويم. واختلاف تفسير البسملة من سورةٍ إلى أخرى ليس ممّا سبق به البقاعيُّ؛ فقد عمل به قبله القشيريُّ (ت: 465هـ) في تفسيره «لطائف الإشارات» (ينظر: محمود توفيق، نفسه، ص: 207-208)، والمهائمِيُّ (ت: 835هـ) (ينظر: محمّد هارون، العلامة المهائمِيُّ وتفسيره تبصير الرّحمن وتيسير المتّان، ص: 92)، ولكلٍّ واحدٍ منهم طريقته في ذلك.

(3) محمود توفيق، نفسه، ص: 205.

ما يتوافق مع ما تبين له من ذلك المقصود⁽¹⁾.

وكمثالٍ توضيحيٍّ عن تفسير البسملة بما يتناسب مع مقصود السّورة، مع التزامه بأصول معاني الكلمات، على النّحو السّالف الذّكر: بسملة سورة الانفطار، حيث ذكر أنّ مقصود السّورة التّحذير من الانهماك في الأعمال السيّئة اغترارًا بإحسان الرّبِّ وكرمه ونسيانًا ليوم الدّين؛ ففسّر اسم الجلال في البسملة بأنّه صاحب الجلال والجمال الذّين تندرج تحتها جميع صفات الله تعالى، وناسب وصفه بذي الجلال مقصد التّحذير، ووصفه بذي الجمال إحسانه وكرمه الذّين كان الاغترار بهما سببًا في نسيان يوم الدّين، فجاءهم التّحذير.

وفسّر اسم "الرّحمان" بعموم رحمته، فاغترّ بذلك أهل الضّلال، وهذا مناسبٌ لتحذيرهم من الاغترار، الذي هو مقصود السّورة.

وفسّر اسم "الرّحيم" بتخصيصه من أراد بالتّوفيق لما يجب من الخصال، وهو مناسبٌ لما ذكر في المقصود من المحاسبة يوم الدّين على جميع الأعمال، ووصف النّاجين بأنّهم كانوا أبرارًا.⁽²⁾ في حين أنّه يفسّر بسملة البروج على نحوٍ مختلفٍ، مع اشتراكٍ في أصل المعنى؛ حيث فسّر اسم الجلال بالإحاطة بكلِّ شيءٍ قدرةً وعلماً، وناسب وصفه بالقدرة المطلقة مقصود السّورة من الدّلالة على القدرة على تنعيم الوليّ وتعذيب الشّقيّ، وناسب وصفه بالعلم المطلق الاستدلال على مقصود السّورة بتعذيبه من عذب في الدّنيا من الطّغاة، وما في ذلك من الدّلالة على إحاطة علمه بأعمال خلقه.

وفسّر اسم "الرّحمان" بعموم عدله وحلمه، وهو ظاهرٌ المناسبة لما تضمّنه مقصود السّورة من خير تنعيم الوليّ وتعذيب الشّقيّ، وتسليّة وتثبيت قلوب المؤمنين حتّى لا تزلّ بأذى الكافرين. وفسّر اسم "الرّحيم" بتخصيصه أوليائه بإتمام النّعمة عليهم عينًا، وهو ما يتناسب مع مضمون السّورة من ذكر الفوز الكبير.⁽³⁾

على هذا النّحو تعامل البقاعيُّ مع البسملة وألفاظها التي هي أسماء الله تعالى، فكيف تعامل مع بقية ألفاظ السّورة؟

(1) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 207.

(2) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (298/21).

(3) ينظر: نفسه، (352/21).

ب- معاني الألفاظ:

يفسّر البقاعيّ اللَّفظة من القرآن، سواءً كانت من أسماء الله تعالى أو غيرها، بحسب السّياق الذي وردت فيه، حيث قال: "وأفسّر الكلمة، سواءً كانت من أسماء الله سبحانه وتعالى أو غيرها، بحسب سوابق الكلام ولواحقه، مع حفظ القانون اللّغويّ، وإن عسّر استخراج ذلك من كلام اللّغويّين على من لم يمارس اللّغة".⁽¹⁾

وإن كان البقاعيّ قد ذكر هذا الكلام عن عمله في كتابه «دلالة البرهان القويم»، إلّا أنّه قد علّم أنّه مختصر «نظم الدرر»؛ فيكون الفرق بينهما في الاختصار، والزّيادة، والحذف، أمّا الإطار العامّ فهو نفسه.

ومن نماذج تفسيره اسم الجلال في إطار السّياق: ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁹⁾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّجِيمِ⁽¹⁰⁾ (المائدة: 9-10)، حيث قال: "﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: أي الملك الذي له الكمال المطلق فله كلُّ شيء" ⁽²⁾.

وينفي البقاعيّ التّرادف التّامّ في ألفاظ القرآن الكريم، ومن أجل إثبات ذلك فإنّه يفسّر الكلمة بكلمتين فأكثر، وقال: "وبذلك تظهر أسرار التّخصيص لبعض الأسماء المترادفة كالسّنة والعام والحول والحجّة ببعض الأماكن، ولا يقوم آخر مرادف له بمكان آخر، فإنّ السّياق نظرًا إلى أصل المعنى المشتقّ منه ذلك اللفظ؛ فَيَنْضَمُّ إلى المعنى الموضوع له ذلك اللفظ معنًى آخر من أصل الاشتقاق، فلا يقوم المرادف مقامه؛ لفوات ما أدّاه الاشتقاق كما دعا إلى ذلك السّياق"⁽³⁾، ونتيجة لموقفه هذا تميّز تفسيره بأنّه "ضمّ معجمًا لغويًّا كبيرًا ذا سمّتٍ خاصّ، من حيث دراسته لتصرف وتقاليب كلّ كلمةٍ على حدة"⁽⁴⁾.

(1) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72، نقله عن نسخة وقف عليها من مخطوط دلالة البرهان القويم.

(2) البقاعيّ، نظم الدرر، (44/6).

(3) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72-73، نقله عن نسخة وقف عليها من مخطوط دلالة البرهان القويم. ويبدو أنّ العبارة تحتاج إلى مزيد تحقّق، ومع ذلك فالمقصود منها واضح.

(4) مشهور موسى مشاهرة، التّناسب القرآنيّ عند الإمام البقاعيّ، ص: 16.

وبعد هذا البيان الموجز لمنهجه في تفسيره، ولمّا كان «نظم الدرر» في المناسبات خاصّةً، كان لابدّ من بيان منهجه فيها؛ حتّى يسهل على قارئه فهم طريقته، واستيعاب كلامه، ويحسّن التعامل معه. وذلك ما سيتناوله المطلب الآتي.

المطلب الثّاني: منهج البقاعيّ في المناسبات

يرى البقاعيُّ تناسب الآيات والسُّور أصلاً في كتاب الله تعالى، حيث قال في افتتاح مقدّمة «نظم الدرر»: "الحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسباً سورة وآياته"⁽¹⁾، وصرّح فيها بأنّه يذكر في «نظم الدرر» "مناسبات ترتيب السُّور والآيات"⁽²⁾؛ ولذلك كانت الدّعاة الرّئيسة للتّناسب عنده هي النّظم التّرتيبيّ⁽³⁾، وقد عرّف علم مناسبات القرآن بأنّه: "علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه"⁽⁴⁾، وقال عن الإعجاز: "إنّ للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كلّ جملةٍ على حيالها بحسب التّركيب والثّاني: نظمها مع أخذها بالنظر إلى التّرتيب"⁽⁵⁾.

والجملة قد تكون بعض آية، وقد تكون آيةً واحدةً، كما قد تكون مؤلّفةً من أكثر من آيةٍ واحدةٍ، بل قد تكون السُّورة القرآنيّة جملةً واحدةً⁽⁶⁾؛ فكان ممّا ذكر البقاعيُّ في بيان تميّز عمله في المناسبات عن عمل ابن النّقيب الحنفيّ أنّه تناول مناسبات الجمل زيادةً على مجرد تناسب الآيات⁽⁷⁾.

وفيما يأتي مزيد بيانٍ لمنهجه في تناسب الآيات والسُّور في كتابه «نظم الدرر».

الفرع الأوّل: منهج البقاعيّ في مناسبات السُّورة الواحدة

يثبت البقاعيُّ في «نظم الدرر» أنواعاً من مناسبات أجزاء السُّورة الواحدة فيما بينها، ويكشف عنها، وبيان ذلك في الآتي.

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (2/1).

(2) نفسه، (2/1).

(3) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 144.

(4) البقاعيُّ، نظم الدرر، (6/1).

(5) نفسه، (11/1).

(6) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 142-143.

(7) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (10/1).

أ- وحدة السّورة والمناسبة بين اسمها ومقصودها:

يذهب البقاعيّ إلى القول بوحدة السّورة القرآنيّة في مقصودها، وأنّ كلّ آيات السّورة جاءت لخدمة ذلك المقصود، حيث قال: "فإنّ كلّ سورة لها مقصدٌ واحدٌ يدار عليه أوّلها وآخرها، ويستدلّ عليه فيها، فترتّب المقدّمات الدّالّة عليه، على اتّقن وجهه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليلٍ استدللّ عليه، وهكذا في دليل الدّليل، وهلّم حرّاً"⁽¹⁾.

ويرى أنّ الوقوف على تناسب آيها متوقّفٌ على معرفة مقصودها، حيث قال: "ومن حقّق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها"⁽²⁾، وقال: "ومقصود كلّ سورة هادٍ إلى تناسبها"⁽³⁾؛ وذلك بناءً على ما سبق ذكره من أنّ جميع آيات السّورة جاءت لخدمة مقصودها بوجهٍ من الوجوه، فإمّا أن تكون مقدّماتٍ له، أو دليلاً عليه، أو دليل الدّليل، وهكذا.

وعلق الإجابة في علم المناسبة بمعرفة مقصود السّورة، فقال: "وتتوقّف الإجابة فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها"⁽⁴⁾.

وقد حصّل البقاعيّ هذه الفوائد والقواعد من شيخه أبي الفضل المَشْدَلِيّ، فذكر أنّه قال: "الأمر الكلّيّ المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت له السّورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدّمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السّامع إلى الأحكام واللّوازم التّابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلّيّ المهيمن على حكم الرّبط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك - إن شاء الله - وجه النّظم مفصّلاً بين كلّ آية وآية، في كلّ سورة سورة، والله الهادي"⁽⁵⁾.

وجعل البقاعيّ كلام شيخه أبي الفضل المَشْدَلِيّ قاعدةً بنى عليها كتابه «نظم الدرر»، فقال: "والقاعدة التي افتتحت بها كتابي عن الشيخ أبي الفضل المغربيّ - رحمه الله - لم يسمعها منه

(1) البقاعيّ، مصادد النّظر، (149/1).

(2) نفسه، (149/1).

(3) البقاعيّ، نظم الدرر، (19/1).

(4) نفسه، (6/1).

(5) نفسه، (18-17/1).

غيري. لو كنت ممن يتشيع بما لم يُعط، لم أنسبها إليه، فإنّها أحسن من كلّ ما في كتابي، وهي الأصل الذي أبتني ذلك كلّه عليه"⁽¹⁾.

وبناءً عليه، يتبدى البقاعيّ تفسير السّورة القرآنيّة-في الغالب الأعمّ- بتحرير مقصودها، ومن الوسائل التي يعتمد عليها في الكشف عن مقصود السّورة ما يلي:

1- معرفة المراد من اسمها:

يرى البقاعيّ أنّ: "من عرف المراد من اسم السّور عرف مقصودها"⁽²⁾؛ فاسم السّورة عنده معرّبٌ بمدلوله عن مقصودها، ويستدلُّ به لإثبات مقصود السّورة، وفي ذلك يقول: "وأدُلُّ عليه بالتطبيق بينه وبين مدلول اسمها، سواء كان ذلك واحدًا أو أكثر، وسواء كان اسم معنى أو حرف هجاء؛ لأنّ اسم كلّ سورة مترجمٌ عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيءٍ تُلحظ المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدّالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه"⁽³⁾.

وتكلّم البقاعيّ عن توصله إلى صحّة ما علّل به المطابقة فقال: "وقد ظهر لي باستعمالي هذه القاعدة، بعد وصولي إلى سورة سبأ، في السنّة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب، أنّ اسم كلّ سورة مترجمٌ عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيءٍ تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدّالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه"⁽⁴⁾. وهي أوّل مناسبة يكشف عنها البقاعيّ من مناسبات السّورة الواحدة، فيذكرها في بداية تفسير السّورة، حيث قال: "فأذكر المقصود من كلّ سورة، وأطبّق بينه وبين اسمها"⁽⁵⁾.

وفي المطابقة بين اسم السّورة ومقصودها يستعمل لفظ المناسبة، حيث قال في تفسير سورة يوسف عليه السّلام: "وهذه القصّة - كما ترى - أنسب الأشياء لهذا المقصود؛ فلذلك سمّيت سورة يوسف، والله أعلم"⁽⁶⁾، وقال في تفسير سورة الرّعد: "وأنسب ما فيها لهذا المقصد

(1) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (137/1).

(2) نفسه، (149/1).

(3) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 72، نقله عن نسخة وقف عليها من مخطوط دلالة البرهان القويم.

(4) البقاعيّ، نظم الدرر، (18-19).

(5) نفسه، (19/1).

(6) نفسه، (1/10).

الرّعد⁽¹⁾. كما استعمل لفظي المشاكلة والمماثلة، حيث قال في تفسير سورة الحجر: "مقصودها وصف الكتاب بأنّه في الدّروّة من الجمع للمعاني الموضّحة للحقّ من غير اختلافٍ أصلاً، وأشكّل ما فيها وأمثله في هذا المعنى قصّة أصحاب الحجر"⁽²⁾. ويستعمل أيضاً لفظ الدّلالة حيث قال في سورة إبراهيم: "وأدُل ما فيها على هذا المرام قصّة إبراهيم عليه الصلاة والسّلام"⁽³⁾، وقال في الكهف: "وأدُل ما فيها على هذا المقصد قصّة أهل الكهف"⁽⁴⁾. فيتبيّن ممّا سبق أنّ البقاعيّ يرى أنّ السُّور سُمّيت على وفق أدلّ ما يدلُّ على مقصودها، ولذلك يعتبر مجرد التّسمية دليلاً على مقصودها، فقال عن مقصود آل عمران: "وممّا يدلُّ على أنّ القصد بها هو التّوحيد تسميتها بآل عمران"⁽⁵⁾.

ويرى محمود توفيق أنّ صنيع البقاعيّ بالمطابقة بين اسم السُّورة ومقصودها مرجعه إلى ميل البقاعيّ إلى القول بالوقف في تسمية السُّور وإن لم يصرّح بمذهبه، واستدلّ لذلك بعناية البقاعيّ بذكر الأحاديث والأخبار والآثار المتعلّقة بشأن السُّور القرآنيّة في كتابه «مصاعد النّظر»، وقال: "ذاكرًا في شأن كلّ سورةٍ حديثًا أو خبرًا أو أثرًا فيه تصرّيحٌ باسم السُّورة، وهذا دالٌّ على أنّ تلك الأسماء التي هو بصدده تأويلها، وتبيان دلالتها على مقصود السُّورة التي سُمّيت بها، إنّما هي إلى الرّفيع أقرب"⁽⁶⁾.

كما يوضّح محمود توفيق منهج البقاعيّ في الكشف عن المقصود بالاستعانة بأسماء السُّورة، من خلال عمل البقاعيّ في سورة الفاتحة المتعدّدة الأسماء، بأنّه يبرز معنى كلّ اسمٍ من أسماء السُّورة، ومن خلال التأمّل في معنى كلّ اسمٍ فإنّه يهتدي إلى إِبصار ملمحٍ من ملامح مقصود السُّورة، فإذا ما استجمعت تلك الملامح ونسّقت واستبصر فيها معنى كليًّا تدور عليه اقترب من تحقيق مقصود السُّورة، فبعد أن ذكر البقاعيُّ أسماء الفاتحة قال: "مدار هذه الأسماء

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (262/10).

(2) نفسه، (1/11).

(3) نفسه، (369/10).

(4) نفسه، (1/12).

(5) نفسه، (197/4).

(6) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 199.

كما ترى على أمرٍ خفيّ كافٍ لكلِّ مرادٍ وهو المراقبة التي سأقول إنّها مقصودها⁽¹⁾.

2- النّظر في مضمون السّورة:

قد تتضمّن أسماء السُّور معانٍ كثيرة، والوقوف على المعنى المراد منها ربّما لا يتيسّر إلّا بعد النّظر في مضمون السّورة؛ لأجل ذلك كان من مسالك ووسائل البقاعيّ في الكشف عن مقصود السّورة النّظر فيما تضمّنته من مواضيع، وبعدها يطبّق بين ما توصّل إليه وبين اسمها، ففي آل عمران - على سبيل المثال - قال أوّلاً بتعدّد المقاصد بناءً على تعدّد مواضيع السّورة، ثمّ أرجع تلك المقاصد إلى المقصد الأوّل وهو التّوحيد.⁽²⁾

3- أغراض السّورة:

يفرّق البقاعيّ في أثناء تفسير سورة الفاتحة بين الغرض والمقصود؛ إذ يرى أنّ الغرض وسيلةٌ للمقصود، حيث ذكر أنّ غرض السّورة تتمثّل في مجموعةٍ من العناصر، وأنّ مدار جميعها على المقصود، فيستدلّ للمقصود ببيان الغرض الذي سيقت له السّورة، ثمّ يبيّن أنّ الغرض وسيلةٌ للمقصود.⁽³⁾

4- ترتيب السُّور:

قد يستأنس البقاعيّ لما وصل إليه من تعيين المقصود بموافقة التّرتيب الذي جاءت عليه السُّور، ومثاله: تعيين مقصود سورة آل عمران من بين المقاصد التي ذكرها حيث قال: "وهذا الوجه أوفق للتّرتيب"، ويعني به ترتيب سور الفاتحة والبقرة وآل عمران.⁽⁴⁾

هذا، وقد وقفت على من قال: إنّ البقاعيّ في الكشف عن مقاصد السُّور "أشبه برجلٍ يبني على جرفٍ هارٍ، لا يدري ما ليلٌ من نهارٍ"؛ إذ يرى أنّ البقاعيّ لم يبيّن شيئاً ممّا يعتبر دليلاً إليها، بل هو لا يعتمد في ذلك أسساً علميّةً ثابتةً واضحةً؛ فكأنّها ألقيت في روعه إلقاءً.⁽⁵⁾

(1) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 200-201، البقاعيّ، نظم الدرر، (19/1-20).

(2) ينظر: البقاعيّ، نفسه، (4/195-196).

(3) نفسه، (1/20-21).

(4) نفسه، (4/196).

(5) قاله محمّد عناية الله أسد سبحاني (محمّد عناية الله أسد سبحاني، البرهان في نظام القرآن (نظام سُور: الفاتحة والبقرة وآل عمران)، قدّم له: محمّد أديب الصّالح وآخرون، دار الكتب، ط: 1، 1414هـ/1994م، ص: 39).

ولعلّ في ما قدّمته في هذا المقام من سرد بعض أقوال البقاعيِّ واستقراء بعض فعله في الكشف عن مقاصد السُّور برهانٌ مفنّدٌ لذلك الادّعاء، وإنصافٌ لجهد البقاعيِّ، وذبٌّ عن منهجه القائم على أسسٍ علميّةٍ لا على افتراضاتٍ وتوقُّعاتٍ وهميّةٍ.

ب- مناسبات آيات السُّورة:

يشرع البقاعيُّ، بعد الوقوف على مقصود السُّورة والاستدلال له وتفسير البسملّة، في بيان تناسب الأجزاء الأخرى للسُّورة. والثَّمرة المرجوّة - كما ذكر - هي: "الإطّلاع على الرُّتبة التي يستحقُّها الجزء، بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلُّق الذي هو كلحمة النّسب"⁽¹⁾.

هذا، وإنّ السُّورة في نظر البقاعيِّ مكوّنةٌ من مقاطعٍ متّصلةٍ، حيث قال: "فتكون السُّورة كالشّجرة النّضيرة العالية، والدّوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزّينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرّ، وأفنانها منعطفةٌ إلى تلك المقاطع كالدّوائر، وكلُّ دائرةٍ منها لها شعبةٌ متّصلةٌ بما قبلها، وشعبةٌ ملتحمةٌ بما بعدها، وآخر السُّورة قد واصل أوّلها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلُّ سورةٍ دائرةً كبرى، مشتملةٌ على دوائر الآيات العُرّ، البديعة النّظم، العجيبة الضّمّ، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"⁽²⁾؛ فكان من أنواع المناسبات التي يبحث فيها البقاعيُّ ويبينها في «نظم الدرر» التّناسب بين المقاطع.

ولا يقتصر الأمر عنده، كما هو صريح كلامه، على المقاطع المتجاورة في السُّورة الواحدة فحسب، بل حتّى بين المقاطع المتفرّقة، ومن ذلك: تناسب مقطع السُّورة مع مطلعها، وهو المعبر عنه في مباحث البلاغة بعود العجز على الصّدر، حيث قال: "وآخر السُّورة قد واصل أوّلها"، وقال قبله بقليل: "فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتداءً، ثمّ انعطف الكلام إليه وعاد النّظر عليه، على نهج آخر بديع"⁽³⁾.

ومن النّماذج عليه في «نظم الدرر» قوله في تفسير سورة التّوبة: "فقد عانق آخر السُّورة أوّلها

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (5/1).

(2) البقاعيُّ، مصاعد النّظر، (149/1).

(3) نفسه.

وصافح منتهاها مبتدأها⁽¹⁾، وقال عن سورة الأنعام: "إلى أن ختم السُّورة بما انعطف على ما افتتحت به، فاشتدَّ اعتناقه له حتّى صاراً كشيءٍ واحدٍ"⁽²⁾؛ فهو يُوَكِّد من خلال عود العَجْزِ على الصِّدر وحدة السُّورة، ويستدلُّ به عليها، وقالت أمينة رابح: "لم يترك البقاعيُّ في مخطوطه دلالة البرهان القويم ولا في أصله بيانَ هذا النوع من المناسبات، ومن خلاله أكَّده على وحدة السُّورة القرآنيّة"⁽³⁾.

واستقرأ محمود توفيق جميع عمل البقاعيِّ وقال: "لم يدع البقاعيُّ سورةً من السُّور، وإن قلَّ عدد كلماتها وآياتها، إلّا وقد بيَّن لنا علاقة مقطعتها ترتيباً بمطلعها تلاوةً، لا فرق عنده في هذا بين أقصر سورة (الكوثر) وأطول سورة (البقرة)"⁽⁴⁾.

ثمَّ إنَّ المقطع مؤلَّفٌ من مجموع آياتٍ، وإنَّ الآية - كما سبق ذكره - قد تتألَّف من جملةٍ واحدةٍ أو أكثر، كما قد تكون الآية بعض جملةٍ، والأساس في تناسب الآي عند البقاعيِّ هو تناسب جمل القرآن الكريم، سواءً كانت الجملة بعض آيةٍ، أو آيةً، أو مؤلَّفةً من أكثر من آيةٍ واحدةٍ، حيث قال في خاتمة تفسيره: "لأنَّ جُلَّ مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض، حتّى أن كلَّ جملةٍ تكون آخذةً بجزءٍ ما أمامها متّصلةً بها"⁽⁵⁾.

وفي ما يأتي من الكلام عن أنواع مناسبات الآيات، أعبر تجوّزاً عن مناسبات جمل القرآن الكريم بمناسبات الآيات، وذلك من منطلق أن الأصل في رؤوس الآي أنّها تكون عند تمام الجمل، وإلّا فإنّه حيثما كانت الآية مؤلَّفةً من أكثر من جملةٍ، فإنَّ البقاعيِّ يفصِّل القول ويكشف عن المناسبة بينها.

ومن أنواع مناسبات الآيات التي يكشف عنها البقاعيُّ في كتابه «نظم الدرر»:

1- المناسبة بين آيتين متجاورتين:

يكشف البقاعيُّ عن المناسبة بين الآيتين المتجاورتين، وفي ذلك يقول: "الإطّلاع على

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (61/9).

(2) ذكره البقاعيُّ في أثناء تفسير سورة الأعراف (نفسه، 347/7-348).

(3) أمينة رابح، معالم تحقيق وحدة السُّورة عند البقاعيِّ، ص: 42.

(4) محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهجه بلاغة القرآن الكريم، ص: 218.

(5) البقاعيُّ، نظم الدرر، (446/22). والجزء: موضع شدِّ الإزار من الوسط، يقال: هذا كلامٌ آخذٌ بعضه بجزءٍ بعض: متناسقٌ متماسكٌ (مجمّع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 158).

الرّتبة الّتي يستحقّها الجزء، بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتّعلّق⁽¹⁾، ويندرج تحت مسمّى الجزء الآية من السّورة، فيكشف البقاعيّ عن علاقة الآية بالآية الّتي قبلها وبالآية الّتي بعدها. وقال أيضاً: "لأنّ جُلّ مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض، حتّى أنّ كلّ جملة تكون آخذةً بجزء ما أمامها متّصلةً بها"⁽²⁾. والجملة قد تكون آيةً تامّةً، والآية جملةً واحدةً.

2- المناسبة بين آيتين غير متجاورتين:

بيّن محمود توفيق منهج البقاعيّ في ذلك فقال: "والبقاعيّ قد يذهب إلى عطف آيةٍ على أخرى تسبقها بأكثر من أربعين آيةً، كما تراه في عطف قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (النحل: 65) على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرَتُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ﴾ (النحل: 19)⁽³⁾.

3- ارتباط الآية بأكثر من آيةٍ قبلها:

أحياناً لا يكتفي البقاعيّ بربط الآية بالّتي هي قبلها مباشرةً؛ فيكشف عن مناسبتها لآيةٍ أخرى قبلها على بعدٍ منها⁽⁴⁾، قال محمود توفيق: "ونراه يذكر أكثر من وجهٍ في عطف الآية على غيرها؛ إشارةً إلى تعدّد وجوه الاعتلاق، وأنها صالحةٌ للتّلاقي والتّناسل من أكثر من آيةٍ سابقةٍ عليها، سواءً قاربتها موقعاً أو باعدتها"، ومثّل لذلك بمناسبة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (البقرة: 99)، حيث ذكر البقاعيّ جواز عطفها على موضعين قبلها، وعلى موضعٍ آخر ثالثٍ مقدّر⁽⁵⁾.

هذا، وقد تعدّد أوجه مناسبة الآية لما قبلها؛ فيبدي البقاعيّ ما تحصّل لديه منها ولا يكتفي بذكر وجهٍ واحدٍ، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ﴾

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (5/1).

(2) نفسه، (446/22).

(3) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 230.

(4) ينظر: نفسه، ص: 223.

(5) نفسه، ص: 229. وينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (69/2-70).

وَالصّٰبِیْنَ مَنْ - اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صٰلِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٦٢﴾ (البقرة: 62)⁽¹⁾.

وإذا أراد البقاعيّ أن يذكر مناسبة آيةٍ فإنّه يمهد لتلك الآية بما يدلُّ على مناسبتها، حيث قال: "فإني مهّدت لكلِّ جملةٍ مهادًا يدلُّ على الحال الذي اقتضى حلولها محلّها، وأوجب ترتبها على ما قبلها من شكلها، وما أوجب تأكيدها، أو أعراها وتقييدها، ونحو ذلك من أفانين الكلام وأساليب النّظام"⁽²⁾.

ج- مناسبة القصّة المكرّرة للسّورة التي أعيدت فيها:

يكشف البقاعيّ عن مناسبة تكرار القصّة لسياق السّورة التي وردت فيها، وقد ذكر من فوائد علم المناسبة أنّه: "به يتبيّن لك أسرار القصص المكرّرات، وأنّ كلّ سورةٍ أعيدت فيها قصّةٌ فلمعنى أدعى في تلك السّورة، استدلّ عليه بتلك القصّة، غير المعنى الذي سيقت له في السّورة السّابقة"⁽³⁾.

الفرع الثّاني: منهج البقاعيّ في تناسب السّور

سبق ذكر تقرير البقاعيّ تناسب سور القرآن الكريم، فهل يعني ذلك اختياره القول بالتّوقيف في ترتيبها؟

أ- رأي البقاعيّ في ترتيب السّور:

إنّ قول البقاعيّ بتنزيل الكتاب متناسب السّور راجعٌ إلى ما ذهب إليه من أنّ الله تعالى قد رضي ترتيبها الذي اجتهد فيه الصّحابة وأقرّه؛ فصار الحكم كأنّه أنزله على تلك الصّورة، أو أنّه أرادها هكذا في قدره؛ فوقع ترتيب الصّحابة موافقًا لتقديره سبحانه وتعالى. فقد أورد البقاعيّ عن شيخه الحرّاليّ في اختيار هذا الرّأي قوله: "هو ما رضيه الله سبحانه وتعالى فأقرّه"⁽⁴⁾، وصرّح

(1) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 226-227، والبقاعيّ، نظم الدرر، (459-453/1).

(2) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (103-102/1). وهو هنا يتحدّث عن عمله في «نظم الدرر».

(3) البقاعيّ، نظم الدرر، (14/1).

(4) نفسه، (199/4).

البقاعيُّ بأنَّه القول الصَّحيح فقال: "لأنَّ ترتيب السُّور الثلاث - وإن كان الصَّحيح أنَّه باجتهاد الصَّحابة رضي الله عنهم - فلعلَّه جاء على ترتيبها في النُّزول، لأَنَّها مَكِّيَّاتٌ" (1).
فإذا كان الله عزَّ وجلَّ قد رضي هذا التَّرتيب لسور القرآن وأقرَّه على حساب ترتيب نزوله، فلا بدَّ من حكمةٍ له تعالى في ذلك، وهو ما سعى البقاعيُّ إلى البحث فيه في إطار مناسبات السُّور.

ب- تناسب السُّور ووحدة القرآن الكريم عند البقاعيِّ:

بمثل قول البقاعيِّ بوحدة مقصود السُّورة القرآنيَّة، يقول بوحدة مقصود القرآن العظيم، وهو عنده: "تعريفُ الخلقِ المَلِكِ وبما يرضيه" (2). قال محمود توفيق: "وهو يقرِّر مثل هذا في مواطنٍ عديدةٍ من تفسيره يبيِّن فيها المقصود الأعظم من إنزال القرآن الكريم" (3).
وبناءً على القول برَبَّانيَّة ترتيب سور القرآن إقرارًا لاجتهاد الصَّحابة ورضاءً به، والقول بوحدة مقصود كلِّ سورةٍ من سور القرآن، وبوحدة مقصود القرآن؛ يقول البقاعيُّ بتصاعد مقاصد سور القرآن الكريم لخدمة مقصوده الأعظم، فكان ممَّا اهتمَّ البقاعيُّ ببيانه في «نظم الدرر» من مناسبات السُّور تناسب مقاصدها، بل وأفرد هذا النوع من المناسبة بكتاب مستقلٍّ هو: «مساعد النَّظر للإشراف على مقاصد السُّور».

ج- مناسبات مقاصد السُّور عند البقاعيِّ:

اهتمَّ البقاعيُّ كثيرًا في «نظم الدرر» بهذا النوع من أنواع تناسب السُّور، بل أفرد له كتابًا مستقلًّا - كما سبق ذكره وهو «مساعد النَّظر» - لأهمِّيَّته، وهو ممَّا يؤكِّد به البقاعيُّ وحدة القرآن العظيم.

ويوضِّح محمود توفيق تناسل المقاصد بعضها من بعض عند البقاعيِّ، وأنَّه يقوم على أمرين جليلين، قائلاً: "وهكذا تتناسل مقاصد السُّور بعضها من بعض، تناسلاً يقوم بأمرين جليلين:

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (427/7). ويعني بالسُّور الثلاث: الأعراف، هود، المؤمنون.

(2) نفسه، (21/1).

(3) محمود توفيق، الإمام البقاعيُّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 151.

الأوّل: تأسيس معنيّ لم يكن مؤسّساً في التي قبلها، والآخر: تأكيد ما سبق تأسيسه، وفي كلّ تأكيد تأسيس من وجهٍ آخر⁽¹⁾.

ومن أنواع تناسب مقاصد السُّور عند البقاعيّ:

• مناسبة مقصود السُّورة لمقصود السُّورة التي قبلها: فمثلاً: مقصود سورة البروج هو: "الدّلالة على القدرة على مقصود الانشقاق"⁽²⁾.

• مناسبة مقصود السُّورة لمقاصد سُورٍ قبلها: مثلاً: مقصود سورة الطّارق تأكيد صدق القرآن في إخباره بمقصود الانشقاق وبما قصدت البروج الدّلالة على القدرة عليه.⁽³⁾

ومن أنواع مناسبات السُّور، المتعلّقة بمقاصدها - عند البقاعيّ - ما يلي:

• مناسبة مقصود السُّورة لآخر السُّورة التي قبلها: مثلاً: مناسبة مقصود سورة الانشقاق هو الدّلالة على آخر سورة المطّفين.⁽⁴⁾

• مناسبة مقصود السُّورة لمقطع من مقاطع السُّورة التي قبلها: مثلاً: مقصود سورة التّكوير التّهديد لمن كذّب بما ذكر في أحد مقاطع سورة عبس.⁽⁵⁾

• مناسبة فاتحة السُّورة لمقصود التي قبلها: مثلاً: افتتاح سورة الانفطار "بما يكون مقدّمةً لمقصود التي قبلها"⁽⁶⁾.

د- تناسب السُّور في المطالع والمقاطع والمضامين:

اهتمّ البقاعيّ بالكشف عن ارتباط مطلع السُّورة بمقطع سابقها، ومقطع السُّورة بمطلع لاحقها، وهو ممّا يؤكّد به وحدة القرآن العظيم، وفي ذلك يقول محمود توفيق: "البقاعيّ ذو عناية

(1) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 161.

(2) البقاعيّ، نظم الدرر، (352/21).

(3) ينظر: نفسه، (370/21)، الطّيب صفيّة، نورة بن حسن، استدراقات السُّبوطيّ على البقاعيّ وابن الرّبير الغرناطيّ في تناسب السُّور - دراسة في حزب "عمّ"، مجلّة الإحياء، مجلّة علميّة دوريّة محكمة، تصدر عن كليّة العلوم الإسلاميّة-جامعة باتنة 1- الجزائر، مج: 20، ع: 24، ماي 2020، ص: 231.

(4) ينظر: البقاعيّ، نفسه، (335/21).

(5) ينظر: نفسه، (274/21).

(6) نفسه، (298/21).

بالنّظر في تأويل علاقة مطلع السّورة بمقطع ما قبلها، مثلما كان ذا عنايةٍ بتأويل علاقة مقاصد السّور ببعضها، ليكون التّناسب بين السّور ذا أسبابٍ عديدةٍ ومتجليًا في مظاهر كثيرة⁽¹⁾.
ومن أمثلة تناوله لهذا النوع من التّناسب: أنّه في تفسيره سورة النّازعات كشف عن مناسبة مطلعها لمقطع السّورة التي قبلها (سورة النّبأ)⁽²⁾، ثمّ كشف في آخر تفسيرها عن مناسبة مقطعها لمقطع السّورة التي بعدها (سورة عبس) فقال: "واتّصلت بأوّل ما بعدها من جهة الخشية والتّذكّر، فيا طيب متّصلها، فسبحان من جعله متعانق المقاطع والمطالع، وأنزله رياضًا محكمة المذاهب والمراجع"⁽³⁾.

وكشف عن مناسبة مطلع يونس لمقطع التي قبلها وهي سورة التّوبة⁽⁴⁾، ثمّ كشف عن مناسبة مقطعها لمقطع السّورة التي بعدها (سورة هود)، فقال: "وهذا بعينه هو أوّل التي بعدها، فكان ختم هذه السّورة وسطًا بين أوّلها وأوّل التي تليها، ففيه ردّ المقطع على المطلع وتتبّع لما استتبع"⁽⁵⁾.

والملاحظ في عمل البقاعيّ في «نظم الدرر» أنّه أحيانًا يميّز بين تناسب السّورتين وبين مناسبة مقطع الأولى لمقطعها، وكأنّ تناسب مقاطع ومطالع السّور ليس نوعًا من أنواع المناسبة بين السّور! وهذا المعنى مستبعدٌ أن يقول به، أو أنّ مراده تعقيب العامّ بالخاصّ؛ فتكون المناسبة بين السّورتين عنده متعلّقةً بمضمونيهما على وجه كليّ، وأمّا مناسبة المطلع للمقطع فمتعلّقةً بمضامين جزئيّةٍ فيهما، حيث قال في تفسير سورة الأنفال: "ومناسبتها للأعراف أنّه لمّا ذكر تعالى - كما تقدّم - قصص الأنبياء عليهم السّلام مع أمهم في تلك، ناسب أن يذكر قصّة هذا النّبّيّ الكريم صلّى عليه وسلّم مع قومه"⁽⁶⁾، ثمّ قال: "وأما مناسبة أوّلها لآخر تلك فقد تبين أنّ آخر الأعراف آخر قصّة موسى عليه السّلام، المختتمة بقصّة بلعام، وأنّ ما بعد ذلك إنّما هو تتمّاتٌ لما تقدّم لابدّ منها، وتتمّاتٌ للتّمّات، حتّى كان آخر ذلك مدحٌ من أهلهم لعنديته

(1) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 165.

(2) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (217/21-218).

(3) نفسه، (248/21).

(4) ينظر: نفسه، (62/9-63).

(5) نفسه، (223/9).

(6) نفسه، (216/8).

سبحانه بالإذعان وتمام الخضوع، فلمّا أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية، اقتضى ذلك سؤالاً عن حال اللّذين عند المخاطب -صلى الله عليه وسلّم- فأجيب بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ (الأنفال: من الآية 1)...⁽¹⁾. وقال في سورة يوسف: "هذا مناسبة ما بين السّورتين، وأمّا مناسبة الأوّل للآخر فإنّه تعالى لمّا أخبر..."⁽²⁾.

ويعتبر محمود توفيق ربطاً البقاعيّ مطلع السّورة بمقطع السّورة التي قبلها إنّما هو في الحقيقة ربطاً بين مقصودي السّورتين؛ إذ إنّ مطلع كلّ سورة في نظر البقاعيّ هو مفتاحها ومكتنز مقصودها، ومقطع كلّ سورة راجع إلى مطلعها؛ فيكون التّناسب بين كلّ سورتين في المطالع والمقاطع إنّما هو تناسبٌ بين مضمونيّ السّورتين الكلّيين⁽³⁾. وهي لفنةٌ دقيقةٌ منه لولا ما يفنّدها ممّا سبق ذكره قريباً، ممّا وقفت عليه من نماذج يميّز فيها البقاعيّ بين تناسب السّورتين في مضمونيّهما الكلّيين وبين تناسبهما من جهة المطالع والمقطع، وممّا سيأتي ذكره في القسم التّطبيقيّ المقارن، من حصول تناسب بعض السّور من جهة المقاصد ومن جهة المطالع والمقاطع معاً، مع اختلاف أوجه التّناسب⁽⁴⁾.

وبسبب ثبوت التّناسب بين كلّ سورة والسّورة التي قبلها والسّورة التي بعدها عند البقاعيّ، فإنّه يقول بوحدة القرآن الكريم من أوّله إلى آخره، وأنّه كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها؛ فقال في مقدّمة «نظم الدرر»: "لا وقف تامٌّ في كتاب الله، ولا على آخر سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (النّاس: 1)، بل هي متّصلةٌ مع كونها آخر القرآن بالفاصلة التي هي أوّله كاتّصالها بما قبلها بل أشدّ"⁽⁵⁾.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (217/8).

(2) نفسه، (3/10).

(3) ينظر: محمود توفيق، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص: 165.

(4) ينظر على سبيل المثال: التّناسب بين سورتيّ النّبأ والمرسلات، والتّناسب بين سورتيّ النّبأ والنّازعات.

(5) البقاعيّ، نظم الدرر، (15/1).

وفي الأخير، يمكن تلخيص نتائج هذا الفصل في النقاط الآتية:

- أبو الحسن، برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ، عالمٌ من علماء القرن التّاسع الهجريّ (809هـ-885هـ)، حافظٌ محقّقٌ مجاهدٌ شاميّ أشعريّ شافعيّ.
- أكثر البقاعيّ من التّنقل بين مصر والشّام، فطلب العلم في رحلاته وتفوّق في الطّلب، ومن أشهر شيوخه القاييُّ وابن حجر.
- عاش البقاعيّ في عصر المماليك الشّراكسة، الّذي كثرت فيه التّقلبات السّياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي المقابل سادت فيه الثّقافة الدّينيّة، وازدهرت فيه الحياة العلميّة، ومُكِّن فيه للمذاهب السّنيّة، فكان البقاعيّ من آثار تلك الطّروف، كما كان مسهمًا فيها.
- جلس البقاعيّ للتّدريس والإقراء، وتلمذ على يديه كثيرٌ من الخلق، أكثرهم اختصاصًا به ابن قُريّبة المحلّيّ. وألّف العديد من الكتب النّافعة أشهرها: تفسيره الموسوعيّ «نظم الدرر».
- ألّف البقاعيّ «نظم الدرر» في فنّ قلٍّ من اعتنى به من العلماء وهو مناسبات الآيات والسُّور، وغرضه منه بيان إعجاز القرآن، نصيحةً لطلّاب العلم، فكان سبّاقًا في استيعاب المناسبات في جميع آي القرآن وسوره، وأثنى العلماء كثيرًا على هذا الكتاب.
- اهتمّ البقاعيّ ببيان مناسبات أجزاء السُّورة الواحدة، كما اهتمّ بالكشف عن مناسبات السُّور فيما بينها.
- في مناسبات أجزاء السُّورة؛ يبحث البقاعيّ المناسبة بين اسم السُّورة ومقصودها، وله في الكشف عن مقصود السُّورة أسسٌ يعتمدها، لا كما زعم بعض الباحثين بأنّه في ذلك كحاطب ليل!
- يبحث البقاعيّ مناسبات آيات السُّورة في صورة مقاطع، ويبحث مناسبات المقاطع فيما بينها، كما يبحث في مناسباتها آيةً آيةً.
- من أنواع مناسبات الآي عند البقاعيّ: المناسبة بين آيتين متجاورتين، والمناسبة بين آيتين غير متجاورتين، ومناسبة الآية لأكثر من آيةٍ قبلها، فإن تعدّدت أوجه مناسبة الآية فإنّه يذكرها جميعًا.

- قبل أن يكشف البقاعيُّ عن مناسبة آيةٍ ما، فإنّه يمهد لها أوّلاً بما يدلُّ على مناسبتها.
- من مناسبات أجزاء السُّورة الواحدة التي يبحثها البقاعيُّ مناسبة القِصَّة المكرَّرة للسُّورة التي أعيدت فيها.
- يقرّر البقاعيُّ تناسب السُّور فيما بينها، بالرَّغم من قوله إنّ ترتيب السُّور كان باجتهاد الصَّحابة رضي الله عنهم، وتأوّل ذلك بأنَّ اجتهادهم وافق ما في اللُّوح المحفوظ.
- مناسبات السُّور عند البقاعيِّ على قسمين: مناسبات مقاصد السُّور، ومناسبات مطالع ومقاطع ومضامين السُّور، وفي كلّ قسم أنواعٌ.

* * *

الفصل الثالث: ابن عاشور وكتابه «التحرير والتنوير»

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بابن عاشور

المبحث الثاني: عصر ابن عاشور

المبحث الثالث: أثر عصر ابن عاشور في بناء شخصيته وتوجهاته

ومواقفه

المبحث الرابع: التعريف بتفسير «التحرير والتنوير» ومنهج ابن

عاشور فيه

المبحث الخامس: موقف ابن عاشور من المناسبات ومنهجه فيها

من خلال «التحرير والتنوير»

* * *

توطئة:

لمّا كان موضوع هذه الدّراسة متعلّقًا بعلم المناسبات عند ابن عاشور من خلال تفسيره «التّحرير والتّنوير»، فإنّي أتناول في مباحث هذا الفصل: التعريف بابن عاشور وبعبصره، مبيّنًا أثر العصر في بناء شخصيّته وتوجّهاته ومواقفه، والتّعريف بتفسيره وبيان منهجه فيه، بالإضافة إلى بيان موقفه من المناسبات ومنهجه فيها من خلال تفسيره، وذلك على التّحوّ الآتي.

المبحث الأوّل: التعريف بابن عاشور

ما فتى جامع الرّيتونة بتونس يشترق على الأمتة الإسلاميّة بأنوار الهدى، بما يخرّجه من علماء همّهم الإصلاح والدّعوة إلى الله، ومن أشهر الأسماء التي سطعت من منارته: ابن عاشور صاحب تفسير «التّحرير والتّنوير»، فمنّ ابن عاشور؟ وما سيرته العلميّة؟ ومن أجل إلقاء نظرة سريعة على حياته الشخصيّة ومسيرته العلميّة جاء هذا المبحث بمطلبه.

المطلب الأوّل: حياته الشخصيّة

يعرّف هذا المطلب بالاسم الكامل لابن عاشور ونسبه، وتاريخ ومكان ولادته، ونشأته، وتاريخ ومكان وفاته.

الفرع الأوّل: اسمه ونسبه

هو: محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد الطّاهر⁽¹⁾ بن محمّد بن محمّد الشّاذلي بن عبد القادر بن محمّد بن عاشور الشّريف⁽²⁾.

(1) محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيين، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت-لبنان، ط:1، (ج2: 1982م، ج3: 1404هـ/1984م)، (304/3).

(2) ينظر: أحمد بن أبي الضّيّاف، إتحاف أهل الرّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من وزارة الشّؤون الثقافيّة، وزارة الثّقافة، تونس، تنفيذ: الدّار العربيّة للكتاب، 1999م، مج:4، ج:8، ص: 165، محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الرّيتونة، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمّد الخضر حسين (20)، دار التّوادر، سورية-لبنان-الكويت، ط:1، 1431هـ/2010م، ص:135، حسن حسني عبد الوهّاب، كتاب العُمر في المصنّفات والمؤلّفين التّونسيين، مراجعة وإكمال: محمّد العروسي المطوى وبشير البكوش، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط:1، 1425هـ/2005م، مج:2، القسم الأوّل، ص:359، محمّد محفوظ، نفسه، (300/3)، محمّد الحبيب ابن الخوجة، محمّد الطّاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشّريعة=

وأُمّه: فاطمة بنت الوزير محمّد العزيز بن محمّد الحبيب بن محمّد الطيّب بن محمّد بن محمّد بوعثور⁽¹⁾.

ومن لطائف سلسلة نسبه التّسلسل الحاصل في الأسماء، ابتداءً من اسمه إلى اسم جدّه الخامس من جهة الأب، وإلى جدّه الخامس من جهة الأمّ، حيث يتكرّر اسم (محمّد) مفردًا كان أو مركّبًا، وهم إن شاء الله محمودون على ما فيهم من صفات الشّرف والعلم والجاه، والجمع بين الدّين والدّنيا، كيف لا؟! وأوّل أمرهم هجرةً وفرارًا بالدّين من القهر والتّنصير؛ فأصل المترجم من بلاد الأندلس؛ إذ يعود أصل أسرة آل عاشور في تونس إلى الشّيخ الصّالح الشّريف أبو عبد الله محمّد بن عاشور الحسني، المولود بمدينة سلا بالمغرب الأقصى سنة: 1030هـ/1620م، بعد خروج والده من الأندلس فارًّا بدينه من القهر والتّنصير؛ حيث كان محمّد بن عاشور أوّل من دخل تونس من أفراد هذه الأسرة، وذلك في سنة: 1060هـ/1650م⁽²⁾، ونشأ على طلب العلم هو وأولاده وأحفاده⁽³⁾، وتوفيّ سنة: 1110هـ⁽⁴⁾، ووصفه الّيفر بصاحب السّلوكة العارف بالله⁽⁵⁾.

وأما محمّد أبو المترجم، فقد كانت المسؤوليّات الوظيفيّة ميدان بروزه، حيث ترأّس مجلس دائرة جمعيّة الأوقاف فأحسن إدارتها⁽⁶⁾.

=الإسلاميّة، الجزء الأوّل: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، دولة قطر، 1425هـ/2004م، ص: 153، إيّاد خالد الطّباع، محمّد الطّاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتّفسير وعلومه، منشور ضمن سلسلة: علماء ومفكّرون معاصرون لمحات من حياتهم، وتعريفٌ بمؤلّفاتهم (26)، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1426هـ/2005م، ص: 22. وقد أسقط محمّد بن محمّد الشّاذلي من سلسلة النّسب في بعض كتب التّراجم (ينظر: الزّركلي، الأعلام، 173/6، كخّالة، معجم المؤلّفين، 101/10).

(1) ابن الخوجة، نفسه، ص: 153.

(2) ينظر: أبو حسان، جمال محمود أحمد، تفسير ابن عاشور التّحرير والتّنوير دراسةً منهجيّةً ونقديةً، رسالة ماجستير في الشّريعة/ أصول الدّين، كليّة الدّراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، 1411هـ/1991م، ص: 4، بلقاسم الغالي، من أعلام الرّيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمّد الطّاهر ابن عاشور، حياته وآثاره، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1417هـ/1996م، ص: 35، ابن الخوجة، نفسه، ص: 153.

(3) ينظر: حسن حسني، كتاب العُمر، مج: 2، القسم الأوّل، ص: 359.

(4) الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 35.

(5) ينظر: محمّد الّيفر، عنوان الأريب عمّا نشأ بالبلاد التّونسيّة من عالم أديب، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت-لبنان، ط: 1، 1996م، (583/1).

(6) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 36.

وأما جدّه محمّد الطّاهر (ت: 1284هـ/1868م⁽¹⁾)، فقد كان عالماً أديباً⁽²⁾، قال ابن أبي الصّيّاف عن فقهه: "جرى مع فحول الفقهاء في مضمارهم، ومعارك أنظارهم"⁽³⁾، وقد درّس بالزّيّتونة، وولي القضاء، وتقلّد حُطّة الإفتاء ونقابة الأشراف والاحتساب، وألّف العديد من الكتب، وتخرّج عنه جمعٌ من كبار العلماء، منهم: الوزير محمّد العزيز بوعثور، والشّيخ سالم بوحاجب.⁽⁴⁾

وكذلك جدّه للأُمّ محمّد العزيز بوعثور (ت: 1325هـ/1907م) جمع بين العلم⁽⁵⁾ والسّياسة، فكان من العلماء أُولي الآراء المستقلّة، ومن كبار الرّجال الذين تولّوا الوزارة في تونس.⁽⁶⁾ وبذلك يظهر اجتماع الشّرف في الدّين والجاه في الدّنيا في نسب محمّد الطّاهر بن عاشور من جهة أبيه ومن جهة أمّه.

الفرع الثّاني: مولده ونشأته

ولد محمّد الطّاهر بن عاشور بالمّرسي، من الضّواحي الشّماليّة [الشرقيّة]⁽⁷⁾ للعاصمة التّونسيّة، بقصر جدّه للأُمّ محمّد العزيز بوعثور، في جمادى الأولى 1296هـ/سبتمبر 1879م.⁽⁸⁾

(1) ينظر: حسن حسني، كتاب العُمر، مج: 2، القسم الأوّل، ص: 359.

(2) ينظر: كحّالة، معجم المؤلّفين، (10/101).

(3) ينظر: بن أبي الصّيّاف، إتحاف أهل الزّمان، مج: 4، (8/166).

(4) ينظر: نفسه، (8/165-166)، محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيّتونة، ص: 135-138، حسن حسني، كتاب العُمر،

مج: 2، القسم الأوّل، ص: 359-360، كحّالة، معجم المؤلّفين، (10/101-102)، محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين

التّونسيّين، (3/300-303)، الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 35، 36.

(5) كان يمتلك مكتبةً ضخمةً غنيّةً بنوادير الكتب والمخطوطات، وآلت بعده إلى حفيده محمّد الطّاهر بن عاشور، وتُعرف الآن باسم

المكتبة العاشوريّة أو الخزانة العاشوريّة (ينظر: أبو حسان، تفسير ابن عاشور التّحرير والتّنوير دراسةً منهجيّةً ونقديةً، ص: 8،

إياد خالد الطّباع، محمّد الطّاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتّفسير وعلومه، ص: 73-74).

(6) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيّتونة، ص: 111-114، محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، (3/355).

(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (30/637).

(8) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 37، ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 153.

وليس هناك تناقضٌ بين قول بلقاسم الغالي: إنّ المرسي من الضّواحي الشّماليّة لتونس، وقول ابن عاشور: إنّها من الضّواحي

الشرقيّة لتونس؛ فمن خلال الخريطة المرفقة في الصّفحة الآتية يتبيّن أنّها من الضّواحي الشّماليّة الشرقيّة للعاصمة تونس.

(خريطة توضح موقع مدينة المرسى بالنسبة إلى مدينة تونس)⁽¹⁾

- قال محمد الخضر حسين (ت: 1377هـ/1958م)⁽²⁾ مهينًا زميله وصديقه ابن عاشور⁽³⁾:
- مساعي الوري شتي وكل له مرمي *** ومسعى ابن عاشور له الأمد الأسمى
فتى أنس الآداب أول نشئه *** فكانت له روحًا وكان لها جسمًا
وما أدب الإنسان إلا عوائد *** تخط له في لوح إحساسه رسمًا
فتى شب في مهد التعميم ولم تنل *** زخارفه من عزمه المنتضى⁽⁴⁾ ثلما⁽⁵⁾
وفي بهجة الدنيا وخضرة عيشها *** غرور لباعي المجد إن لم يفق حزمًا
وشاد على التحقيق صرح علومه *** فما استطاع أعداء التبوغ له هضمًا⁽⁶⁾

(1) مصدر الخريطة: تطبيق الهاتف المحمول: خرائط قوقل (google maps)، تاريخ التصحّح: 2021/05/21.

(2) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، (126/2).

(3) قال محمد الخضر حسين متحدثًا عن ابن عاشور: "انعدت بيني وبينه سنة: 1317هـ صداقةً بلغت في صفائها وماتانتها غاية التي ليس بعدها غاية"، وقال: "ولمّا كان بيني وبينه من الصداقة النادرة المثال، كُنّا نحضر دروس بعض الأساتذة جنبًا إلى جنبٍ" (محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص: 156، 157).

(4) "نضى) الشّيء من الشّيء - نضيًا: أخرج منه، و- الشّيء عن الشّيء: نزعه وألقاه ... (انتضى) السيف: أخرج من غمده" (مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 929).

(5) "ثلم) الجدار وغيره - ثلمًا: أحدث فيه شقًا، و- الإناء: كسر حرقه، ويقال ثلم في ماله وفي عرضه. والسيف: صبره غير ماضي القُطع" (نفسه، ص: 99).

(6) بمناسبة ولايته التدريس في جامع الزيتونة سنة: 1323هـ (محمد الخضر حسين، ديوان خواطر الحياة، طبع ضمن: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (13)، دار النوادر، سورّيّة-لبنان-الكويت، ط: 1، 1431هـ/2010م، ص: 202).

فكما ذكر صديقه في أبياته، نشأ محمّد الطاهر على الأدب وطلب العلم في أسرة أدبٍ وعلمٍ وجاهٍ، جمعت بين نعمة الدّين ونعيم الدّنيا، فلم تصرفه زخارف الدّنيا عن الأدب والدّين.

لقد حُصَّ محمّد الطاهر منذ نشأته بعنايةٍ فائقةٍ من جدّه للأئمّ الشّيخ العالم الوزير العزيز بوعثور، ومن والده محمّد، قال بلقاسم الغالي: "في هذه البيئة العائليّة نشأ، وعلى تلك الرّبوع شبّ بين أحضان والدٍ يأمل فيه أن يكون على مثال جدّه في العلم والتّبوغ والعبقرية، وفي رعاية جدّه الوزير الذي يحرص على أن يكون خليفةً في العلم والسّلطان والجاه"⁽¹⁾.

ويوضّح تلميذه، محمّد الحبيب ابن الخوجة، مظاهر تلك الرّعاية والعناية بقوله: "وفي عناية والده الشّيخ محمّد بن عاشور رئيس جمعيّة الأوقاف، وفي كنف جدّه للأئمّ الشّيخ الوزير محمّد العزيز بوعثور، نشأ مترجمنا نشأته المميّزة على أكمل الصّفات الدّينيّة، وأفضل المناهج التّربويّة، وخير القيم والمبادئ الأخلاقيّة التي توافرت جميعها في هذه البيئة الأصيلّة الرّاقية العلميّة، حيثما كان مع أبيه وجدّه بتونس أو منوبة أو المرسى"⁽²⁾.

وبعد حياةٍ حافلةٍ بالعلم تعلّمًا وتعليمًا، توفيّ ابن عاشور -رحمة الله عليه- بمسقط رأسه المرسى، يوم: الأحد 13 رجب 1393هـ، الموافق ل: 12 أوت 1973م، بعد علةٍ يسيرةٍ ألمّت به، حيث أدّى صلاة العصر، والتحق بجوار ربه قبل صلاة المغرب، عن عمرٍ يناهز 94 سنةً بالتّقويم النّصراييّ، و97 سنةً بالتّقويم الهجريّ، ودفن بمقبرة الزّلاج بمدينة تونس.⁽³⁾

قال بلقاسم الغالي: "وموت أعلام الفكر موتٌ لأجسامهم، ومنهم من يدخل بوفاته حياة الذّكر والفكر، فيقبّل النّاس على آثارهم يتدارسونها، وذلك ما كان لابن عاشور"⁽⁴⁾. وما هذه الدّراسة إلّا جزءٌ يسيرٌ جدًّا منها.

(1) الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 37.

(2) ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر ابن عاشور، ص: 153-154.

(3) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيين، (307/3)، الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 68، ابن الخوجة، نفسه، ص: 169، محمّد الطاهر ابن عاشور، شرح المقدّمة الأدبيّة لشرح المرزوقيّ على ديوان الحماسة لأبي تمام، تح: ياسر بن حامد المطيّريّ، سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنّشر والتّوزيع بالريّاض (69)، دار المنهاج، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1431هـ، مقدّمة المحقّق، ص: 19.

(4) الغالي، نفسه.

المطلب الثاني: مسيرته العلميّة

طلب ابن عاشور العلم على مراحل متعدّدة، أشرف عليه فيها شيوخ فضلاء، وتخرّج فتولّى وظائف علميّة وتعليميّة، وتلمذ على يديه من حملوا الأمانة بعده، وصنّف كثيرًا، وبيان جميع ذلك في الفروع الآتية.

الفرع الأوّل: طلبه للعلم وشيوخه

بدأ محمّد الطاهر بن عاشور مسيرته العلميّة منذ سنّ مبكّرة، ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين على وجه الإجمال: مرحلة التّعليم الأساسي، ومرحلة التّعليم الزّيتوني، أو إلى ثلاث مراحل على وجه التّفصيل وهي: مرحلة التّأسيس، ومرحلة التّأصيل، ومرحلة التّكميل والتّوسّع. وأشرف عليه في كلّ مرحلة مجموعة من المشايخ والأعلام، مع ملاحظة أنّه ربّما أخذ عن بعض الشّيوخ في أكثر من مرحلة.

المرحلة الأولى: مرحلة التّأسيس أو مرحلة التّعليم الأساسي وشيوخه فيها

وهي المرحلة التي تلقّى فيها ابن عاشور المبادئ الأساسيّة في علوم العربيّة، وحفظ القرآن الكريم، وبعض متون العلم التي جرت سنّة المرّتين على تعليمها للصّغار، وجرت في المسجد وفي بيته، قال ابن الخوجة: "وتعزيزًا لعناصر تكوينه الأسريّ، وحسن إعداد له للمشاركة في الميدان الذي ينتظره، أقبل الفتى من السنّة السّادسة من عمره على مسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهج الباشا بتونس، فحفظ به القرآن الكريم ورثله على الشّيخ المقرئ محمّد الخياري"⁽¹⁾، وقال: "وبه حفظ القرآن الكريم حفظًا دقيقًا، وأتقنه طوال عمره قراءةً وتدبّرًا"⁽²⁾.

وتلقّى ابن عاشور في المسجد نفسه المبادئ الأولى في قواعد العربيّة، على الشّيخ أحمد بن بدر الكافي، اعتمادًا على شرح خالد الأزهرّي على الأجروميّة، ثمّ حفظ مجموعة من المتون العلميّة التي تُعدّ الطالب وهبته للدراسة بجامع الزّيتونة كمتن ابن عاشر، والأجروميّة، والرّسالة، والقطر ونحوها⁽³⁾.

(1) ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر بن عاشور، ص: 154.

(2) نفسه، ص: 27.

(3) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 37، ابن الخوجة، نفسه، ص: 154.

كما تعلّم بيته ما تيسّر من اللّغة الفرنسيّة، تحت إشراف حاذقٍ من حذّاقها من المواطنين.⁽¹⁾

المرحلة الثّانية: مرحلة التّأصيل والبناء وشيوخه فيها

وهي المرحلة الّتي يؤصّل فيها ابن عاشور العلوم، ويبيّن فيها المعارف على الأسس الّتي تلقّاها في المرحلة السّابقة لها، وتبتدئ بالتحاقه بجامع الزّيتونة وتنتهي بتحصيله شهادة التّطويح⁽²⁾.

لمّا بلغ محمّد الطّاهر بن عاشور سنّ الرّابعة عشر، وذلك سنة: 1310هـ/1893م، التحق بجامع الزّيتونة لطلب العلم، وشرع ينهل من معينه في تعطّشٍ وحبٍّ للمعرفة، بتوجيهٍ من والده وجدّه للأئمّ وأساتذته، ودامت دراسته به سبع سنواتٍ، تُوجت بإحرازه شهادة التّطويح في: 4 ربيع الأوّل 1317هـ، الموافق ل: 11 جويلية 1899م.⁽³⁾

وقد قسم ابن الخوجة ما درّسه ابن عاشور في هذه المرحلة على وجه الإجمال إلى قسمين، الأوّل: علوم وسائل، والثّاني: علوم مقاصد.

- أمّا علوم الوسائل: فعلوم النّحو والصّرف والبلاغة والمنطق.
- وأمّا علوم المقاصد فمثل: تفسير القرآن، والقراءات، والحديث ومصطلح الحديث، والكلام وأصول الفقه، والفقه والفرائض⁽⁴⁾. وذكر بلقاسم الغالي أنّه درّس كذلك السّيرة والتّاريخ⁽⁵⁾.

ونقل ابن الخوجة تفصيل ما درّسه ابن عاشور من تلك العلوم في هذه المرحلة من دفتر دروسه، وهي على النّحو الآتي⁽⁶⁾.

(1) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، (304/3)، ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 27.

(2) "هي شهادة تحوّل صاحبها في ذلك الوقت حقّ التّدرّس في الدّرجات الأولى من التّعليم بالمعهد" (ابن الخوجة، نفسه).

(3) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، (304/3)، الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 37، 38، ابن الخوجة، نفسه، ص: 154-158، (www.date-convert.com).

(4) ينظر: ابن الخوجة، نفسه، ص: 154.

(5) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 38.

(6) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 155-156.

- في علوم القرآن: تجويد القرآن وعلم القراءات وبخاصّة رواية قالون.
- في النّحو: قرأ كتاب خالد الأزهريّ، و«القطر» لابن هشام، و«مقدّمة الإعراب»، والمكودي على «الخلاصة»، وتعليق الدّمامينيّ على «المغني» لابن هشام.
- في الصّرف: «لاميّة الأفعال» وشروحها.
- في البلاغة: مختصر السّعد، و"الدّمهوريّ على السّمرقنديّ"⁽¹⁾.
- في المنطق: قرأ «السّلم»⁽²⁾، و«التّهذيب»⁽³⁾.
- في علم الكلام: مختصر السّعد على «العقائد النّسفيّة»، و«المواقف» لعضد الدّين الإيجيّ.
- في الفقه: قرأ الدّردير⁽⁴⁾، وميّارة على «المرشد»⁽⁵⁾، وكفاية الطّالب على «الرّسالة»⁽⁶⁾، والتّاوديّ على «التّحفة»⁽⁷⁾.
- في الفرائض: درس «الدّرة»⁽⁸⁾.
- في أصول الفقه: قرأ الحطّاب على «الورقات»، و«التّنقيح» للقرائبيّ، وشرح المحلّيّ على «جمع الجوامع» للشّيبكيّ.
- في مصطلح الحديث: «البيقوتية» أو «غرامي صحيح».

(1) إياد خالد الطّباع، محمّد الطّاهر ابن عاشور علّامة الفقه وأصوله والتّفسير وعلومه، ص: 41، أبو حسان، جمال محمود أحمد، الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)، المجلّة الأردنيّة في الدّراسات الإسلاميّة، مجلّة علميّة عالميّة محكّمة، جامعة آل البيت، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، مج: 5، ع: (2/أ)، 1430هـ/2009م، ص: 58، وهو متّ في الاستعارات (أبو حسان، نفسه، ص: 78).

(2) السّلم المنورق أو المرونق: أرجوزة في المنطق، لعبد الرّحمن بن محمّد الأخضرّي (ينظر: أبو حسان، نفسه، ص: 78).

(3) تهذيب المنطق والكلام للسّعد التّفتازانيّ (نفسه).

(4) عنوان كتابه: «أقرب المسالك إلى مذهب مالك» (نفسه).

(5) ميّارة الفاسيّ له شرحان: أحدهما يُسمّى: «الدّر الثّمين في شرح منظومة المرشد المعين» ويُعرف بمباريه الكبير، والثّاني: مختصره ويُسمّى: مباره الصّغير. و«المرشد المعين على الضّروريّ من علوم الدّين» هو لعبد الواحد بن عاشور الفاسيّ (ينظر: نفسه).

(6) كفاية الطّالب لأبي الحسن عليّ بن ناصر الدّين (نفسه).

(7) اسم الكتاب: «خلّي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم»، وهو شرحٌ للتّحفة، وهي أرجوزة لأبي بكرٍ محمّد بن عاصم المالكيّ (ينظر: نفسه).

(8) «الدّرة البيضاء»: نظّم في الفرائض، لعبد الرّحمن بن محمّد الصّغير الأخضرّي البسكريّ الجزائريّ، وقد شرحها عمّار الأخضرّيّ (عمّار المختار بن ناصر الأخضرّيّ، الصّبياء على الدّرة البيضاء في الفرائض، مطابع الرّشيد - المدينة المنوّرة، ط: 2، 1410هـ/1990م).

• في السيرة: قرأ «الشفاء» للقاضي عياض بشرح الشّهاب الحفّاجي. كما تعلّم في هذه المرحلة اللّغة الفرنسيّة بمساعدة أستاذه الخاصّ أحمد بن ونّاس المحمودي⁽¹⁾.

ولم يكن ابن عاشور في هذه المرحلة من الطّلب يقتصر على التّلقّي بل كان ينقد ما يتلقّاه بالتّقد الحصيف المتمرّس حتّى صقلت ملكته⁽²⁾.

ولقد أشرف على تدريس ابن عاشور في تلك الكتب ثلّة من العلماء الأجلّاء باختيارٍ من الشّيخ عمر بن الشّيخ، قال ابن الخوجة: "وبعناية كريمةٍ من الشّيخ سيدي عمر بن الشّيخ كان توجيه الطّالب أثناء دراسته بهذا المعهد وتعيين الشّيوخ له، ومن مثله يقدم النّصح ويحسن الاختيار، وهو من درّس بالجامع الأعظم نحو ستّين عامًا، فكان الرّحلة ومّن ألحق الأحفاد بالأجداد في حلقات دروسه، وكانت المادّة الواحدة أو الكتاب الواحد يوزّع تدريسه على عدد من الشّيوخ؛ إمّا لأهميته أو لطوله، حرصًا على ختمه، كما كان من خصال أولئك الشّيوخ مشاركتهم في العلوم، وإحاطتهم بما وضع فيها من كتبٍ ومصنّفاتٍ"⁽³⁾.

ومن هؤلاء المشايخ: صالح الشّريف، إبراهيم المارغني، سالم بوحاجب، عمر بن الشّيخ، محمّد النّجّار، محمّد بن يوسف، محمّد النّخلي⁽⁴⁾، عبد القادر التّميمي، عمر بن عاشور، محمّد طاهر جعفر، أحمد جمال الدّين، محمّد صالح الشّاهد، محمّد العربيّ الدّرعّي، أستاذ الفرنسيّة أحمد بن ونّاس المحمودي⁽⁵⁾.

وقد تفوّق ابن عاشور في دراسته، وشهد له بتفوّقه ونبوغه في دراسته، وبقدرته الفائقة على احتواء موضوعاتها وتعمّق أسرارها، شيوخه، وسجّلوا ذلك في دفتر شهادته، كلٌّ في المادّة التي درّسها له، وأفاد منه الطّالب فيها⁽⁶⁾.

(1) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 157.

(2) ينظر: العالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 38.

(3) ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 154-155.

(4) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، (304/3).

(5) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 155-157.

(6) ينظر: نفسه، ص: 156.

المرحلة الثالثة: مرحلة التّكميل وشيوخه فيها

وهي مرحلة ما بعد الحصول على شهادة التّطويح؛ إذ لم يكن تحرّجه وتأهّله للتّدريس كمتطوّع ليحول بينه وبين الاستمرار في طلب العلم والتّوسّع والتبحّر فيه، بناءً على ما تمّ تأصيله في المرحلة السّابقة؛ سعيًا منه لتكميل المعارف والعلوم، وقد جاء في نصّ شهادة التّطويح التي تحصّل عليها: "وأنتج النّظر أن يكون هذا المتقدّم مستحقًا لرتبة التّطويح، فأذن له في ذلك لتتوفّر رغبته العلميّة ويجتهد في تحصيل الكمالات"⁽¹⁾. وتسمّى هذه المرحلة من التّعليم الزّيتوني: "القسم العالي أو المرتبة العالية"⁽²⁾ أو "الدّراسة العليا"⁽³⁾.

وذكر محمّد الخضر حسين⁽⁴⁾ ما يُدرّس في المرتبة العالية من الكتب، وأنّ قانون الزّيتونة يعيّن:

- لقراءة التّفسير: الجلالين، وأسرار التّنزيل للقاضي البيضاويّ.
- ولقراءة الحديث: الموطأ بشرح الزّرقاني، وصحيح البخاريّ بشرح القسطلانيّ، وصحيح مسلم بشرح الأبيّ، وكتاب الشّفا للقاضي عياض بشرح الشّهاب.
- ولقراءة علم الكلام: العقائد العضديّة بشرح السّعد، والمواقف بشرح السيّد الشّريف.
- ولقراءة الأصول: التّوضيح بشرحه المسمّى بالتّلويح، ومختصر ابن الحاجب بشرح العضد، وجمع الجوامع بشرح الجلال المحلّي.
- ولقراءة علم النّحو: مغني اللّبيب، وشرح الأشمونيّ على الخلاصة.
- ولعلم البلاغة: التّليخيص بشرح المطوّل للسّعد، والقسم الثّالث من المفتاح بشرح السيّد.
- ولقراءة علم اللّغة والأدب: المزهّر للشّيوطيّ، والحماسة بشرح المرزوقي، والمثل السّائر لابن الأثير.
- ولقراءة المنطق: شرح القطب على الشّمسيّة.
- وممّا يدرّس للتّاريخ: مقدّمة ابن خلدون.

(1) ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 158.

(2) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيتونة، ص: 34.

(3) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 158.

(4) محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيتونة، ص: 34.

بعد حصول ابن عاشور على شهادة التّطويح عاد إلى الاجتهاد والتّوسّع في العلم، فقرأ المطوّل في البلاغة، والأشمويني⁽¹⁾ في النّحو، والمحلّي على جمع الجوامع في أصول الفقه، والوسطى⁽²⁾ في العقيدة، جميعها على شيخه محمّد النّخليّ، وكان ذلك في سنة: 1318هـ.

كما حضر صحبة صديقه محمّد الخضر حسين درس تفسير البيضاويّ لعمر بن الشّيخ، ودرس كتاب المواقف لمحمّد النّجّار، ودرس كتابي البخاريّ والموطّأ بشرحيهما لسالم بوحاجب، وقرأ عليه ابن عاشور البخاريّ بشرح شهاب الدّين الفسطلانيّ قراءة تحقيقيّ، وأجزاء من الموطّأ بشرح الزّرقانيّ قراءة تحقيقيّ.⁽³⁾

وقد أدرج ابن الخوجة مجموعةً من الكتب ضمن دراساته في مرحلة ما قبل التّطويح (مرحلة التّأصيل) وذلك في مقال له بعنوان: «شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم»⁽⁴⁾، وتابعه على ذلك غير واحدٍ ممّن نقل عنه⁽⁵⁾، إلا أنّها ممّا يُدرّس ضمن كتب المرتبة العالية (مرحلة التّكميل)، وذلك وفقاً لما بيّنه محمّد الخضر حسين ممّا ذكر قبل قليل.

ولعلّ ابن الخوجة قد أدرك ما كان منه من الخطأ والسّهو في ذلك؛ فرجع ولم يدرجها في ضمن ما درّسه في تلك المرحلة، في كتابه «شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور» المتأخّر في الطّبوع عن المقال بمدة⁽⁶⁾، فيكون ابن عاشور قد درسها فعلاً، ولكن في المرحلة العالية، وهي:

- في الحديث: صحيح مسلم بشرح الأبيّ.
- وفي علم الكلام: العقائد العضديّة بشرح السّعد.
- وفي علم البلاغة: القسم الثّالث من المفتاح بشرح السيّد.

(1) كتابه شرح على ألفيّة ابن مالك، عنوانه: «منهج السّالك إلى ألفيّة ابن مالك».

(2) العقيدة الوسطى للسّنوسيّ (أبو حسان، الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)، ص: 78).

(3) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 158-159.

(4) منشورٌ ضمن مجلّة جوهر الإسلام، ع: 3-4، 1398هـ/ 1978م (نقلًا عن: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 38، أبو حسان، الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)، ص: 79).

(5) من الذين نقلوا عنه: بلقاسم الغالي (الغالي، نفسه)، جمال أبو حسان (أبو حسان، نفسه، ص: 58-59).

(6) وهو الجزء الأوّل من مؤلّفه الكبير «محمّد الطّاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشّريعة الإسلاميّة»، طبع سنة: 2004م، والمقال سنة: 1978م.

- وفي علم اللّغة والأدب: المهرر للشّيوطيّ، والحماسة بشرح المرزوقي، والمثل السائر لابن الأثير.
- وفي التّاريخ: مقدّمة ابن خلدون.

الفرع الثّاني: وظائفه العلميّة وتلاميذه

اكتسب ابن عاشور بطلبه للعلم مكانةً علميّةً رفيعةً، وقد وصفه زميله وصديقه محمّد الخضر حسين بغزارة العلم وعبقريّة فيه، وبقوّة النّظر⁽¹⁾، ووصفه محمّد محفوظ بأنّه: "الإمام الصّليح في العلوم الشّرعية واللّغويّة والأدبيّة والتّاريخيّة"⁽²⁾.

وقد تُرجمت هذه المكانة بغزارة النّشاط والإنتاج العلميّ؛ حيث تعدّدت الوظائف العلميّة التي تقلّدها ابن عاشور بين مناصب التّدريس ومناصب القضاء والإفتاء.

أمّا التّدريس، فقد اشتغل ابن عاشور مدرّسًا بجامع الزّيّتونة منذ سنة: 1317هـ/1899م كمتطوِّعٍ أوّلاً، ثمّ ترقّى في الدّرجات إلى أن صار مدرّسًا من الطّبقة الأولى في الجامع الأعظم في سنة: 1324هـ/1906م، كما درّس بالمدرسة الصّادقيّة سنة: 1321هـ/1904م. وبعد انقطاع عن التّدريس، عاد إليه مرّةً أخرى بالجامع الأعظم والمدرسة الصّادقيّة سنة: 1341هـ/1923م.

وأما مناصب القضاء والإفتاء، ففي سنة: 1331هـ/1913م، أسندت إليه خطّة القضاء المالكيّ بعاصمة تونس، فسُمّي قاضيًا مالكيًا للجماعة، واستمرّ مباشرًا لهذه الوظيفة إلى رجب 1341هـ/مارس 1923م؛ حيث سُمّي مفتيًا مالكيًا بالديار التّونسيّة نائبًا عن الشّيخ باش مفتي، ثمّ عُيّن مفتيًا ثانيًا مكلفًا بمنصب باش مفتي سنة: 1342هـ/1924م. وفي رجب 1345هـ/جانفي 1927م، ارتقى إلى رتبة باش مفتي بالأصالة، أي رئيسًا للمجلس الشّرعّي المالكيّ، فأصبح كبير أهل الشّورى. ثمّ سُمّي شيخ الإسلام المالكيّ، سنة: 1351هـ/1932م، وهو أوّل من تولّى هاتاه الخطّة.⁽³⁾

(1) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيّتونة، ص: 157.

(2) محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيين، (304/3).

(3) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيّتونة، ص: 154-156، محمّد محفوظ، نفسه، (304/3-305)، الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 56، 58، 62، ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 164، =

ولقد تتلمذ على يد ابن عاشور عددٌ كبير من طلبة العلم، فألف منهم العالم الأديب، والفقير اللبيب، والمؤرخ، والكاظم، والوزير، ومن أشهر هؤلاء الأعلام: الكاتب الأديب المفكر محمد الصادق بن الحاج محمود المعروف بـ (بسيّس)، والفقير الفرضي محمد الصادق بن محمد الشطي، والأديب الشاعر أبو الحسن ابن شعبان، والسياسي المؤرخ الخطيب ابن المترجم محمد الفاضل بن عاشور، والجزائري الشاعر محمد العيد آل خليفة⁽¹⁾، والإمام العلامة عبد الحميد بن باديس⁽²⁾.

وأما غزارة الانتاج العمليّ فبيانها في الفرع الآتي.

الفرع الثالث: مؤلفاته

لقد كان ابن عاشور شغوفاً بالتأليف، كيف لا؟! وقد قال عن نفسه: "ولا حُبّ إليّ شيءٌ ما حُببت إليّ الخلوة إلى الكتاب والقرطاس، متنكباً كلّ ما يجري حولي من المشاغل"⁽³⁾. وقد تنوّعت مؤلفاته تنوع فنون العلم، وتنوع الأعمال؛ من شروحاتٍ وتحقيقاتٍ وتعليقاتٍ وتأليف، منها المطبوع ومنها المخطوط والمفقود، وطلباً للاختصار أقتصر على ذكر المطبوع، وذلك في حدود ما توصلت إليه، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

• في التفسير وعلوم القرآن:

— تفسير «التحرير والتنوير»، وهو أحد طريقي هذه الدراسة المقارنة.

=168، الزركلي، الأعلام، (174/6)، (date-convert.net). و"الباش مفتي" لقبٌ تفخيميٌّ أحدثته الدولة الحسينية، يُطلق على رئيس المفتين؛ فالباش يعني الرئيس (ينظر: محمد بن الخوجة، مسند الرئاسة المذهبية الحنفية في الدولتين المرادية والحسينية، المجلة الزيتونية، مجلة علمية أدبية أخلاقية، تصدرها هيئة من مدرّسي جامع الزيتونة المعمور، شهرية وستة عشر أشهر، المطبعة التونسية، تونس، مج:3، ج:10، ربيع الثاني 1359هـ/ماي 1940م، ص:418).

(1) ينظر: إياد خالد الطباع، محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، ص:44-49.

(2) ينظر: عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزء الثالث، رجال السلف ونسأوه- تراجم أعلام- القصص- الفتاوى، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص:271.

(3) نقلاً عن: محمد الحبيب ابن الخوجة، محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، الجزء الثالث: مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 1425هـ/2004م، ص:29.

- في الحديث وعلومه:
 - «النّظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصّحيح»⁽¹⁾.
- في الفقه وأصوله والفتاوى:
 - حاشية «التّوضيح والتّصحيح لمشكلات كتاب التّفتيح»، على شرح تنقيح الفصول في الأصول للقرايين المالكيين⁽²⁾.
 - «كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ»⁽³⁾.
 - «مقاصد الشّريعة الإسلاميّة»⁽⁴⁾.
 - «فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور»⁽⁵⁾.
- في الثّقافة والدّراسات الإسلاميّة والاجتماعيّة:
 - «أصول النّظام الاجتماعيّ في الإسلام»⁽⁶⁾.
 - «أليس الصّبح بقريب: التّعليم العربيّ الإسلاميّ: دراسة تاريخيّة وآراء إصلاحيّة»⁽⁷⁾.
 - «نقد علميّ لكتاب الإسلام وأصول الحكم».

-
- (1) محمّد الطّاهر ابن عاشور، النّظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصّحيح، دار سحنون للنّشر والتّوزيع-تونس، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط:1، 1428هـ/2007م.
- (2) محمّد الطّاهر ابن عاشور الشّريف، حاشية التّوضيح والتّصحيح لمشكلات كتاب التّفتيح، على شرح تنقيح الفصول في الأصول لشهاب الدّين أحمد بن إدريس القرافي المالكي، مطبعة النّهضة، تونس، ط:1، 1341هـ.
- (3) محمّد الطّاهر ابن عاشور، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ضبط نصّه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: طه بن علي بوسريح التّونسيّ، دار سحنون للنّشر والتّوزيع-تونس، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط:1، 1427هـ/2006م.
- (4) محمّد الطّاهر بن عاشور، مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، تح: محمّد الطّاهر الميساويّ، دار التّفانس للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط:2، 1421هـ/2001م.
- (5) محمّد الطّاهر ابن عاشور، فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، جمع وتحقيق: محمّد بن إبراهيم بوزغيب، مركز جمعة الماجد للثقافة والتّراث-دبي، مراجعة: قسم الدّراسات والنّشر بالمركز، ط:1، 1425هـ/2004م.
- (6) محمّد الطّاهر ابن عاشور، أصول النّظام الاجتماعيّ في الإسلام، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع-تونس، المؤسسة الوطنيّة للكتاب-الجزائر، ط:2، 1985م.
- (7) محمّد الطّاهر ابن عاشور، أليس الصّبح بقريب: التّعليم العربيّ الإسلاميّ: دراسة تاريخيّة وآراء إصلاحيّة، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والترجمة-القاهرة، دار سحنون للنّشر والتّوزيع-تونس، ط:1، 1427هـ/2006م.

– «تحقيقات وأنظار في القرآن والسُنّة»⁽¹⁾.

● في اللّغة والأدب:

- «أصول الإنشاء والخطابة»⁽²⁾.
- «ديوان بشار بن برد: جمع وتحقيق وشرح»⁽³⁾.
- «سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسّام النّحوي» (تحقيق)⁽⁴⁾.
- «موجز البلاغة»⁽⁵⁾.
- «شرح المقدّمة الأدبيّة لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام»⁽⁶⁾.
- «شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المخلّق»⁽⁷⁾.
- «ديوان النّابغة الذّبباني، جمع وشرح وتعليق»⁽⁸⁾.
- «مراجعات تتعلّق بكتابتني معجز أحمد واللامع العزبزي»⁽⁹⁾.

(1) محمّد الطّاهر ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسُنّة، دار سحنون للنّشر والتّوزيع-تونس، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والرّجمة-القاهرة- جمهورية مصر العربيّة، ط: 2، 1429هـ/2008م.

(2) محمّد الطّاهر ابن عاشور الشّريف، أصول الإنشاء والخطابة، مطبعة النّهضة، تونس، ط: 1، 1339هـ. وطبع ضمن كتاب «جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور» (محمّد الطّاهر ابن عاشور، جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، جمعها وقراها ووثّقها: محمّد الطّاهر الميساوي، دار النّفائس للنّشر والتّوزيع-الأردن، ط: 1، 1436هـ/2015م، 3/1258-1370).

(3) محمّد الطّاهر بن عاشور، ديوان بشار بن برد: جمع وتحقيق وشرح، صدر عن وزارة الثّقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثّقافة العربيّة 2007م.

(4) ابن بسّام النّحوي، سرقات المتنبي ومشكل معانيه، تح: محمّد الطّاهر ابن عاشور، الدار التّونسيّة للنّشر، 1970م.

(5) محمّد الطّاهر ابن عاشور، موجز البلاغة، المطبعة التّونسيّة، تونس، ط: 1، (د ت)، وطبع ضمن كتاب «جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور» (ابن عاشور، جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، 3/1180-1255).

(6) سبق ذكره، وطبع كذلك ضمن كتاب «جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور» (ابن عاشور، جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، 3/1373-1530).

(7) محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيين، (3/307).

(8) نفسه، (3/308).

(9) محمّد بن سعد بن عبد الله القرني، الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التّحرير والتّنوير، رسالة ماجستير، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسُنّة، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1427هـ، ص: 32.

- «الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني» (تحقيق).⁽¹⁾
- «المترادف في اللغة».⁽²⁾

• في التاريخ والتراجم:

- «قلائد العقيان في محاسن الأعيان للفتح ابن خاقان القيسي» (تحقيق)، وعند الخوجة: "ومحاسن الأعيان". وهو من الأعمال الأدبية حوى قصائد وأراجيز وأمثالاً وغيرها من أصناف الأدب، وغرضها الترجمة لذوي الرئاسة والمقام.⁽³⁾

وكان لابن عاشور إسهاماتٌ علميةٌ، من بحوثٍ ومقالاتٍ، في العديد من المجالات والدوريات والصُّحف التُّونسيّة والعربيّة، منها:

• المجالات:

- في تونس: المجلة الزيتونية، مجلة السعادة العظمى، مجلة الثريا، مجلة الراديو والسينما، مجلة لسان الشعب، مجلة الهداية الإسلامية، مجلة الرزنامة التونسية.
- في مصر: مجلة مجمع اللغة العربية، مجلة المنار، هدى الإسلام، مصباح الشرق، الرسالة، مجلة الهداية الإسلامية، نور الإسلام.
- في دمشق: مجلة المجمع العلمي العربي.
- في بغداد: مجلة الهداية الإسلامية.
- في الكويت: الموسوعة الفقهية.⁽⁴⁾

(1) ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ص: 532، إياد خالد الطباع، محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، ص: 150، ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، ص: 222.

(2) رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، رسالة ماجستير في البلاغة العربية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1430هـ/2009م، ص: 13.

(3) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ص: 632، إياد خالد الطباع، محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، ص: 152، ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، ص: 222.

(4) أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، ص: 36، 37، الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 70، ابن الخوجة، نفسه، ص: 168، 408، شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1424-1425هـ، ص: 28، 29، إياد خالد الطباع، نفسه، ص: 154-155.

• الصّحف والنّشرّيّات والإذاعة:

— في تونس: الرّهرة، النّهضة، الوزير، الصّبّاح، العمل، العصر الجديد، الفجر، حبيب الأئمّة،
ونشرة الجمعيّة الخلدونيّة، وله أحاديث في الإذاعة التّونسيّة.

— في الجزائر: جريدة النّجاح الجزائريّة.⁽¹⁾

وكانت مقالاته وبحوثه متنوّعة المواضيع والفنون؛ فمنها مقالات في الشّمائل والسيرة
النّبويّة⁽²⁾، ومنها مقالات في السنّة⁽³⁾، ومنها مقالات وبحوث ورسائل نقدية في الحديث⁽⁴⁾، ومنها
بحوث ومقالات في الفقه وأصوله، والفتاوى، والتّاريخ، والفكر، والثّقافة، والفلسفة، والتّراجم⁽⁵⁾،
ومنها مقالات ودراسات وبحوث فقهية وفتاوى⁽⁶⁾، ومنها مقالات في اللّغة⁽⁷⁾ والبلاغة⁽⁸⁾.

(1) أبو حسان، تفسير ابن عاشور التّحرير والتّنوير دراسة منهجية ونقدية، ص: 37، الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 71، ابن
الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 408، شعيب الغزالي، مباحث التّشبيه والتّمثيل في
تفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور، ص: 28، 29، إياد خالد الطّباع، محمّد الطّاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله
والتّفسير وعلومه، ص: 154.

(2) ابن الخوجة، نفسه، ص: 323-325.

(3) نفسه، ص: 328، 329.

(4) نفسه، ص: 330-365.

(5) نفسه، ص: 409-410.

(6) نفسه، ص: 421-429.

(7) نفسه، ص: 496-510.

(8) نفسه، ص: 520-527.

المبحث الثاني: عصر ابن عاشور

امتدّت حياة محمّد الطاهر بن عاشور من أواخر القرن الثالث عشر الهجريّ (1296هـ) إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجريّ (1393هـ)، وهو ما يوافق الفترة الممتدّة ما بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر النّصرانيّ (1879م) إلى الربع الأخير من القرن العشرين (1973م)، وقد تميّزت هذه الفترة على صعيد العالم الإسلاميّ وعلى الصّعيد المحلّيّ (تونس) بما يلي:

المطلب الأوّل: العالم الإسلاميّ في عصر ابن عاشور

يتناول هذا المطلب بيان حال العالم الإسلاميّ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً وتربوياً وثقافياً وفكرياً في عصر ابن عاشور.

الفرع الأوّل: سياسياً

عاش ابن عاشور في حقبتين مختلفتين من أحوال العالم الإسلاميّ سياسياً:

- الحقبة الأولى: من (1296هـ/1879م) إلى (1342هـ/1924م)، وهي خمس وأربعون

سنةً ضمن عصر الخلافة الإسلاميّة العثمانيّة في عهد الانحطاط والتراجع.

كانت الدّولة العثمانيّة في هذه الفترة خاضعةً سياسياً واقتصادياً لأوروبّا بعد أن مالت الكفّة لصالحها نتيجةً للحروب الطويلة في القرن السابع عشر، وفي القرن الثامن عشر سادت القناعة بالتفوق الأوروبيّ، واستمرّت الحياة السياسيّة العثمانيّة تحت التأثير الأوروبيّ إلى سنة: 1920م.⁽¹⁾

وفي 27 رجب 1342هـ، الموافق لـ: 3 مارس 1924م، تمّ الإعلان الرّسمي عن إلغاء

الخلافة العثمانيّة على يد أتاتورك.⁽²⁾

- الحقبة الثانية: من (1342هـ/1924م) إلى (1393هـ/1973م): وهي تسع وأربعون

سنةً ضمن عصر الدّويلات المتفرقة.

⁽¹⁾ ينظر: خليل اينالجيك، تاريخ الدّولة العثمانيّة من النّشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمّد. م. الأرنؤوط، دار المدار الإسلاميّ،

بيروت-لبنان، ط: 1، 2002م، ص: 9-10.

⁽²⁾ ينظر: محمود شاكر، التّاريخ الإسلاميّ -8- العهد العثمانيّ، ص: 234.

صار العالم الإسلامي كله بعد انهيار الدولة العثمانية ودولة الخلافة الإسلامية مستعمراتٍ غريبةٍ أو شبه مستعمراتٍ، ليس فيه دولةٌ إسلاميةٌ واحدةٌ مستقلةٌ. وبعد أن كان العرب شركاء الدولة العثمانية في الحكم، صاروا إمّا تحت الحكم الفرنسي أو الانجليزي بأسماءٍ مخترعةٍ، منها الانتداب والحماية والتّحالف والاستعمار، ونتيجةً لذلك صار العرب أكثر فرقةً وشتاتاً ممّا كانوا عليه من قبل، فتقطعت أوصالهم، وانعدمت القيادة الموحدة فيهم، وغاب عنهم التنظيم السياسي فيما بينهم⁽¹⁾. بل تطوّر الحال إلى "الصراع السياسي بين الدويلات والتكتلات الإسلامية، نتيجةً لضياح رمز الوحدة والحكم الديني، وانتقاله من معنى الحكومة الدينية الإسلامية إلى الحكم الإقليمي العرقي الضيق"⁽²⁾.

وإن اختلفت الحقتان في نظام الحكم، بين نظام الخلافة والولايات، وبين الدويلات المتفرقة، إلا أنّ الأمر المشترك بينهما سياسياً هو أنّ الأمة لم يكن أمرها بيدها، وإمّا هو الاستعمار الغربي من يفرض عليها سياسته. وقال بلقاسم الغالي: "وبالجملة كان يسود العالم الإسلامي يومئذٍ فساد النظام واستبداد الحكّام"⁽³⁾.

هذا، وإنّ التّدخلَ الغربيّ في سياسة الدولة الإسلامية (الخلافة)، وفي سياسة الدويلات الإسلامية فيما بعد الخلافة، تحت غطاء الوصاية أو الحماية أو أيّ شكلٍ من أشكال الاستعمار المباشر وغير المباشر، لم يكن بريئاً، بل كانت آثاره رهيبَةً على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والفكري والعلمي والثقافي، كما كان لسياسة الخلفاء وحكّام الدويلات أثرٌ في ذلك، وبيانه في الآتي.

(1) ينظر: محمّد فريد بك الحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النَّفائس، بيروت، ط: 1، 1401هـ/1981م، ص: 753، 763، 764.

(2) أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ط: 5، ص: 12 (نقلًا عن: شعيب الغزالي، مباحث التّشبيه والتّمثيل في تفسير التحرير والتنوير، ص: 5، بتصرفٍ بحذفٍ يسيرٍ جدًا).

(3) الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 17.

الفرع الثاني: اقتصادياً واجتماعياً

تدهور اقتصاد العالم الإسلامي في هذه الفترة، حيث صار مثقلاً بالديون بسبب الفوضى وسوء التسيير⁽¹⁾ والتبذير وحياة الترف، حيث بلغت نفقات القصور الملكية في بعض الأحيان ثلث واردات الدولة (دولة الخلافة)، وعانت الخزينة من العجز والإفلاس⁽²⁾؛ فنتج عن الظروف السياسية والاقتصادية للبلاد الإسلامية معاناة المواطن المسلم من الفقر والمرض والجهل وتعاسة حياته الاجتماعية⁽³⁾، كما نتج عنها بعد سقوط الخلافة أن صار المسلم غريباً في وطنه، شقيماً في بلاده، تقيماً في مجتمعه، ليس له وطن يدّعيه لأنّ الغريب يستعمره، ولا له دولة يستند إليها لأنّ الغريب يحكمه⁽⁴⁾. كما تميّزت هذه الفترة بالظهور الواضح لآفة اجتماعية خطيرة؛ هي التّعصّب القومي⁽⁵⁾.

الفرع الثالث: علمياً وتربوياً وثقافياً

من نتائج الاستبداد الغربيّ أنّ شلّ الخوف والإرهاب ذكاء المواطن المسلم؛ فانتشر الجهل بالدين، وصار فهمه للإسلام منحرفاً بعيداً عن روح الإسلام الخالص، عقيدةً وشريعةً، وأمّا العلوم الدنيوية، فقد خلت منها المعاهد العلمية، وانغلقت على نفسها البلاد الإسلامية؛ فتحجّرت العقول، وبعدت عن الابتكار، وتبلّدت الأفهام، وانتشرت الخرافات والأوهام⁽⁶⁾. وأمّا على المستوى الثقافيّ، فضعف شخصية المواطن المسلم نتيجة لتوالي الاستبداد، وفقده لروح المبادرة؛ فلم يكن من ثقافته الاشتراك في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁷⁾. وأيضاً الهزيمة النفسية عند المواطن المسلم⁽⁸⁾، ومما قد يفسرّها ما ذكره محمّد فريد عن حال البلاد الإسلامية في تلك الفترة، من أنّه لا يوجد على سطح الأرض كلّها - على كثرة عدد

(1) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 17.

(2) ينظر: محمّد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص: 732، 747.

(3) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 17.

(4) ينظر: محمّد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص: 753.

(5) ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي - 8 - العهد العثماني، ص: 181.

(6) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 17.

(7) ينظر: نفسه.

(8) ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي - 8 - العهد العثماني، ص: 183.

المسلمين فيها- دولة إسلامية واحدة مستقلة حرة يستطيع المسلم أن يدّعيها أو ينتسب إليها ليعتزّ بها⁽¹⁾.

كما سجّل أيضاً الانبهار بالحياة الأوروبية عند الكثيرين؛ فافتنوا بأوروبًا وأفكارها، وصاروا يريدون أن تكون دُوّهم على نمط الدُول الأوروبية النصرانية؛ دساتيرها من وضع البشر لا من الشرع، كما لا ينتفي أن يكون العداء للإسلام وتحقيق الشّهوات والأهواء الذاتية سببًا في هذا التوجّه عندهم⁽²⁾، حيث صار سفهاء النَّاس يشتمون الدِّين⁽³⁾.

الفرع الرابع: فكريًا

برز في السّاحة الفكرية أثر الإرساليات التبشيرية النصرانية، حيث تأسست في البلاد الإسلامية العديد من الجمعيات الهادفة إلى نشر العلوم الغربية، والدّعاية لدول أوروبًا فيها، والتي ضمّت أحيانًا بعض العناصر والشخصيات المنتمية للبلاد الإسلامية، من الذين فتنوا بأوروبًا، فهم يريدون تغيير الوضع وبدعون إلى تقليد الغرب، وإلى العصبية، أو من أصحاب المصالح الذين يريدون الحصول على مكاسب لهم، أو من النّاقمين على الإسلام يريدون ضربه⁽⁴⁾.

قال شعيب الغزالي: "ومهما يكن من انتشار الفساد وتغلغله في المجتمعات، فإنّ من الممكن مدافعته، بتعجيل حركة الإصلاح وتحريك دوافع التّصحيح بما يزيل أسبابه أو يخفّف من غلوائه، وهي سنّة إلهية، قال تعالى بعد أن ذكر قصّة نبيّ الله طالوت وعدوّه جالوت: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

إِلَى النَّاسِ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: من الآية 251)"⁽⁵⁾.

فظهرت حركات إصلاحية في عديد من الأقطار الإسلامية ذات بعدٍ عالميٍّ، وحركات إصلاحية ذات بعدٍ محليٍّ، تنوّعت في أشكالها (جمعيات ومدارس وأحزاب) ومناهجها ووسائلها بما يتناسب مع أقطارها وأهدافها، واتّحدت في غاياتها، وازدادت نشاطًا من أجل نهضة فكرية تستردّ بها البلاد سيادتها وتعود بها للأمة مكانتها بين الأمم.

(1) ينظر: محمّد فريد، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ص: 753.

(2) ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي -8- العهد العثماني، ص: 183.

(3) محمّد فريد، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ص: 753.

(4) ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي -8- العهد العثماني، ص: 181، 182، 183.

(5) شعيب الغزالي في (شعيب الغزالي، مباحث التّشبيه والتّمثيل في تفسير التحرير والتنوير، ص: 5-6).

ففي النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجريّ ظهرت المدرسة الإصلاحية الأفغانية بقيادة جمال الدين الأفغانيّ (ت: 1314هـ/1897م)، التي تركّز في عملها الإصلاحيّ على الجانب السياسيّ والعقديّ والاجتماعيّ، وسرّت آراؤها الإصلاحية في العالم الإسلاميّ من خلال جريدة «العروة الوثقى»، ومن خلال محاضرات مؤسسها الأفغانيّ وتنقلاته في أصقاع العالم الإسلاميّ والغربيّ؛ كمصر وتركيا وإيران والهند وباريس ولندن وروسيا⁽¹⁾، كما ساعدت على نشر أسس دعوته الإصلاحية بين المثقّفين زيارت تلميذه محمّد عبده (ت: 1323هـ/1905م) لعدد من أقطار العالم الإسلاميّ، وهو الذي يخالف شيخه في مجالاتها؛ إذ يميل أكثر إلى الإصلاح التربويّ والاجتماعيّ، في حين ينجح الأفغانيّ أكثر إلى الإصلاح السياسيّ، فكان لهذه المدرسة أثر بعيد الغور في الفكر الإسلاميّ⁽²⁾.

وقد عمل محمّد رشيد رضا (ت: 1354هـ/1935م) - تلميذ محمّد عبده - على نشر آراء شيخه ومبادئه الإصلاحية من خلال إنشائه لمجلة «المنار»؛ لسان الحركة الإصلاحية خلفاً لمجلة «العروة الوثقى»، وقد كان للمنار صدًى واسع في معظم الأقطار الإسلامية وخاصةً في تونس⁽³⁾. كما كان لرسالة شكيب أرسلان (ت: 1366هـ/1946م) الموسومة بـ: "لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم؟" انتشاراً واسع في العالم الإسلاميّ، وكان لصاحبها وفكره الأثر الكبير في تحفيز رجال الإصلاح من تونس والجزائر والمغرب⁽⁴⁾.

وأما الحركات الفكرية الإصلاحية ذات الطابع المحليّ في البلاد الإسلامية، ففيما يأتي ذكر بعضها وأهمّ روّادها:

● **ففي الجزائر:** كانت جمعية العلماء المسلمين ممثلة التّحرّك الفكريّ النهضويّ في الجزائر، وكانت لها جهودٌ إصلاحية عظيمة فيها. ترأّسها عبد الحميد بن باديس (ت: 1940م)،

(1) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 18-19.

(2) ينظر: نفسه، ص: 19، 23، 24، 51.

(3) ينظر: نفسه، ص: 19، 26.

(4) ينظر: نفسه، ص: 27-28.

ومن رجال الإصلاح البارزين في الجزائر في عصر ابن عاشور: البشير الإبراهيمي، ومالك بن نبي، والعربي التبسي⁽¹⁾.

● وفي المغرب الأقصى: رمز الإصلاح محمد الحجوي؛ طرح قضية هامة، وهي قضية تجديد علوم الدين، وهي من أخطر القضايا الفكرية التي تفجّر الحديث عنها في ذلك الوقت. ومن رجال الإصلاح في المغرب: محمد بن المدني كنون، وأبو عبد الله محمد المهدي الوزاني⁽²⁾.

● وفي موريتانيا: محمد الأمين الشنقيطي، وفي ليبيا: أحمد زارم الطرابلسي⁽³⁾، وفي الشام والعراق: ثلّة من رجال الفكر والبيان⁽⁴⁾.

● وأمّا في تركيا، وإن كان العلمانيون هم رجال الحكومة في آخر هذه المرحلة، إلا أنّ الحركة الإسلامية كانت على أشدها، والشعب بأكثرية مسلم متمسك بإسلامه، ويتبنّى قضايا العالم العربي والإسلامي بحماس بالغ⁽⁵⁾.

هذا، وبعد بيان حال العالم الإسلامي في عصر ابن عاشور عمومًا، فالسؤال المطروح بعده: هل كانت أحوال تونس على نفس الوتيرة؟ والجواب عن هذا السؤال في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: تونس في عصر ابن عاشور

وصف الغالي حال تونس في عصر ابن عاشور، فقال: "ولم تكن البلاد التونسية بمنأى عمّا يجري في العالم الإسلامي يومئذ، بل كانت صِنو أخواتها من الأقطار الإسلامية التي تشابحت في أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية"⁽⁶⁾. والحال أنّ تونس شهدت في عصر ابن عاشور فترتين مختلفتين، كما يلي:

(1) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 21، 28، ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ص: 26.

(2) ينظر: الغالي، نفسه، ص: 21، 31.

(3) نفسه، ص: 21.

(4) ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ص: 26.

(5) ينظر: محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص: 734.

(6) الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 17.

- الأولى: فترة الاستعمار الفرنسيّ المباشر (1881-1956م). قضى ابن عاشور خمسةً وسبعين عامًا من حياته في هذه الفترة.
 - الثانية: فترة الاستقلال تحت حكمٍ علمانيٍّ يمثّل استعمارًا ثقافيًا غربيًا، امتدادًا للاستعمار المباشر (1956-1987م). قضى ابن عاشور ستّة عشر عامًا من حياته في هذه الفترة.
- وفيما يأتي وصفٌ لأحوال تونس السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعلميّة والتربويّة والثقافيّة والفكريّة في كلتا الفترتين.

الفرع الأوّل: سياسيًا

في يوم: 12 ماي 1881م، تمّ انتصاب "الحماية الفرنسيّة"⁽¹⁾ على البلاد التّونسيّة⁽²⁾، ولم يتجاوز عمر ابن عاشور حينئذٍ السّنتين. وكان الحكم طيلة هذه الفترة ملكيًا تمثّله الأسرة الحسينيّة، التي وقّعت على اتّفاقيّة باردو، التي بمقتضاها صارت تونس محميّةً فرنسيّةً⁽³⁾، وتمّ بموجب هذه الاتّفاقيّة (عهد الحماية) وبموجب معاهدةٍ لاحقةٍ متّمةٍ (معاهدة المرسى 1883م) تحكّم السلطات الفرنسيّة في السياسة الخارجيّة لتونس وفي شؤونها الداخليّة الإداريّة والقضائيّة والعسكريّة. كما تمّ لها حقّ الإشراف على شؤونها الماليّة، ووسّعت صلاحيّات المقيم العامّ الفرنسيّ، وخوّلتها السّلطين التشريعيّة والتنفيذيّة ليضع التّشريعات والمراسيم التي تخدم مصالح الاستعمار الفرنسيّ، وألغت معظم الوزارات التّونسيّة.⁽⁴⁾

(1) الحماية: شكلٌ من أشكال الاستعمار، يتمثّل في "حكم البلاد حكمًا غير مباشرٍ، بواسطة السّلطة التّقليديّة، بإبقائها في وظائفها، ولكن بمراقبتها عن كثبٍ"، إلّا أنّ الأمر في تونس لم يدم طويلًا؛ "فسرعان ما حاد المراقبون الفرنسيّون عمّا انتدبوا إليه... فعمدوا إلى الإدارة المباشرة، ولم يتركوا للممثلي السّلطة المحليّة إلّا نفوذًا صوريًا" (ينظر: محمّد الهادي الشّريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التّاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمّد الشّاوش ومحمّد عجيبة، صدر ضمن سلسلة: "ما يجب أن تعرف عن"، دار سراس للنّشر، ط: 3، 1993م، ص: 100).

(2) ينظر: نفسه، ص: 99.

(3) ينظر: راغب السّرجاني، قصّة تونس من البداية إلى ثورة 2011م، دار أقلام للنّشر والتّوزيع والرّجمة، القاهرة، ط: 1، 1432هـ/2011م، ص: 18.

(4) ينظر: شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربيّ الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط: 1، 1977م، ص: 309-310.

وبعد بطولاتٍ شعبيةٍ تونسيةٍ عدّةٍ ومفاوضاتٍ متكرّرةٍ اضطرت فرنسا للاعتراف بالحكم الدّائمي لتونس عام: 1955م، وباستمرار النّضال الشّعبيّ التّونسيّ تمّ الاتّفاق مع الحكومة الفرنسيّة على الاستقلال في: 20 مارس 1956م⁽¹⁾، وكان عمر ابن عاشور حينئذٍ 77 عامًا. وفي: 28 ذي الحجة 1376هـ الموافق ل: 25 جويلية 1957م، تمّ إعلان الجمهوريّة التّونسيّة وإلغاء "النّظام الملكي"⁽²⁾، وكان "الحزب الحرّ الدّستوريّ الجديد"⁽³⁾، بقيادة الحبيب بورقيبة، المهيمن على الحياة السّياسيّة وأركان الدّولة، فاختير بورقيبة كأوّل رئيس لجمهوريّة تونس، وبقي كذلك إلى غاية: 7 نوفمبر 1987م، حيث تمّت تنحيته بداعي تردّي صحّته، وخلفه زين العابدين بن علي⁽⁴⁾، فعاش محمّد الطّاهر بن عاشور ستّة عشر عامًا من أصل ثلاثين من الحكم البورقيبيّ.

شهدت هذه الفترة الإعلان عن الدّستور التّونسيّ الجديد يوم: 1 جوان 1959م، وتوّسّعت مؤسّسات الدّولة والإدارة بتعويض الإداريين الفرنسيين بإداريين تونسيين.⁽⁵⁾ وفي مارس 1963م، قرّر الحزب الدّستوريّ اعتماد نظام الحزب الواحد، وذلك يعني السّيطرة الأحاديّة للحزب على الحياة السّياسيّة لدولة الاستقلال⁽⁶⁾، فألغى جميع الأحزاب، وعطل كلّ الصّحف المعارضة والمستقلّة وعصف بكلّ المعارضين⁽⁷⁾، ومنع كلّ نشاطٍ سياسيّ خارج هياكل الحزب الدّستوريّ مهما كان حجمه وشكله⁽⁸⁾.

كما تمّ في هذه الفترة الجلاء العسكريّ عن كافّة الأراضي التّونسيّة في أكتوبر 1963م.⁽⁹⁾

(1) ينظر: شوقي عطا الله، المغرب العربيّ الكبير في العصر الحديث، ص: 312، محمّد الهادي الشّريف، تاريخ تونس، ص: 137، 138.

(2) تمثّله الأسرة الحسينيّة من سنة: 1117هـ/1705م إلى الاستقلال سنة: 1957م (ينظر: شوقي عطا الله، نفسه، ص: 110).

(3) أسّسه الحبيب بورقيبة في مارس 1934م (ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 35).

(4) ينظر: نفسه، ص: 33، 34، 36.

(5) ينظر: نجبة من الأساتذة الجامعيّين بإشراف: خليفة الشّاطر، تونس عبر التّاريخ، الجزء الثالث: الحركة الوطنيّة ودولة الاستقلال، وزارة البحث العلميّ والتّكنولوجيا وتنمية الكفاءات، مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس، 2005، ص: 181.

(6) ينظر: نجبة من الأساتذة الجامعيّين، نفسه، ص: 186.

(7) ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 38، 39.

(8) ينظر: نجبة من الأساتذة الجامعيّين، تونس عبر التّاريخ، ص: 186.

(9) ينظر: نفسه، ص: 182.

الفرع الثاني: اقتصادياً واجتماعياً

كان الاقتصاد التونسيّ زمن الاستعمار قليل الازدهار، فقد جعلت السُلطة الاستعماريّة الصنّاعة في تونس مقتصرّةً على إنتاج الحاجات الضّروريّة فقط، منعاً لحصول ازدهارٍ صناعيّ ينافس ازدهار صناعاتها، فلم تكن الصناعات الثّقيلة مزدهرةً، ولا الصنّاعة الحرفيّة التي تأثّرت باستفحال الفقر بين عامّة الشعب، نتيجةً للنظام الرأسماليّ الذي انتهجته السُلطة الاستعماريّة، والذي يخدم الأقلّيّة الغنيّة، فكان من نتائجها أن كانت الأغليّة من النّاس تنغمس في مهانةٍ اقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ مدقعةٍ، خاصّةً مع الانفجار الديمغرافيّ المسجّل في هذه المرحلة والذي كان له مضاعفاتٌ مهمّةٌ من النّاحية الاجتماعية، منها انخفاض معدّل عمر السكّان.⁽¹⁾

كما جعلت فرنسا موارد الاقتصاد التونسيّ من تجارة الصّادر والوارد واستغلال الفوسفات ووسائل المواصلات والصناعات الرئيّسة حكرًا على الفرنسيّين.⁽²⁾

وأما ما شهدته تونس من تجهيزٍ للموانئ بتجهيزاتٍ حديثة، وتعبيدٍ للطرق وتشييدٍ لمدينٍ جديدةٍ وازدهارٍ للبوادي بمستوطناتٍ فلاحيّةٍ وازديادٍ في استغلال الموارد المنجميّة، فهو كلّهُ لصالح المعمرين الكبار والشركات الرأسماليّة على حساب اليد العاملة التونسيّة وبثمنٍ بخسٍ⁽³⁾، وفي آخر العهد الاستعماريّ تغيّرت الحكومة الفرنسيّة، وصار الحكم اشتراكيًّا.⁽⁴⁾

وفي حين كانت الوظائف الإداريّة المهمّة بيد الفرنسيّين، حيث كانت فرنسا تمنحهم علاواتٍ على ذلك: سكنيّة، وتعليميّة، وصحيّة... إلخ، من أجل تشجيع استيطانهم بتونس بصفةٍ دائمةٍ⁽⁵⁾، كان المواطن التونسيّ يعامل معاملة الخدم، فإن تساوى الفرنسيّ والوطنيّ في درجة الوظيفة فإنّ مرّتب الفرنسيّ يزيد على مرّتب الوطنيّ زيادةً فاحشةً.⁽⁶⁾

قال الفاضل بن عاشور: "واستولى المستعمرون على أجهزة الحكم والإدارة كافّةً، فلم يبق لأبناء البلاد أميرهم وحقيرهم من الأمر شيءٌ، واشتدّ ساعد الجالية الفرنسيّة وتضخّم عددها، ونفذ

(1) ينظر: محمّد الهادي الشّريف، تاريخ تونس، ص: 103-107.

(2) ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 25.

(3) ينظر: محمّد الهادي الشّريف، تاريخ تونس، ص: 101-103.

(4) ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 23.

(5) ينظر: نفسه، ص: 24.

(6) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص: 172، 176.

أمرها، وعلت كلمتها؛ فاعتبرت البلاد التّونسيّة وطنًا لها، ووضعت أبناءها الأصليين ومصالحهم بدرجة الإهمال، ... وأصبح جميع المتصرّفين الإداريين من الفرنسيين، لا يشاركونهم إلا من لم يسهل صرفه من المواطنين القدماء، فبقي على كرسيه جسدًا وصار ابن البلاد مهينًا ساقط الاعتبار⁽¹⁾؛ فنتج عن ذلك تضعف الحياة الاجتماعيّة للتّونسيين، باستفحال الفقر بين عامّة الشعب بالبوادي، وضعف المداخل لدى المواطنين، وتكريس الفوارق الطبقيّة، كما شهدت هذه الفترة انتشارًا لدور الملاهي⁽²⁾.

وأما أهمّ المستجدات الاقتصاديّة في عهد الاستقلال فتتمثّل في:

- إحداث البنك المركزيّ التّونسيّ وإصدار الدّينار التّونسيّ في سنة: 1958م.
- إعلان الحزب الحرّ الدّستوريّ تبني الاشتراكيّة في مارس 1962م، وانتهى أمر هذا التّوجّه باندلاع أزمةٍ حادّةٍ تطلّبت التّخلي عن النّموذج الاشتراكيّ سنة: 1970م.
- تأميم كافّة أراضي المعمرين الفرنسيين بتونس سنة: 1964م.

ولقد واجه الاقتصاد التّونسيّ في هذه الفترة كثيرًا من المشاكل حيث عجزت الاشتراكيّة عن تحقيق تنمية ذاتيّة مستقلّة، فحصل شبه انعدامٍ لرؤوس الأموال، وضيقٌ للسّوق الداخليّة الناتج عن ضعف المدخول السنويّ لثلاثة أرباع التّونسيين، وتضخّم في القطاع التجاريّ، واختلال التّوازن في مجال العلاقات الاقتصاديّة الدوليّة المتميّزة بتبعيّة اقتصاديّة وارتباط وثيقٍ بمراكز التّدبير والتّقرير الأجنبيّة، وعجزٌ مزمنٌ للميزان التجاريّ.

وأما الفلاحة، فقد كانت بمستوىٍ فنّيّ ضعيفٍ، ولم تكن هناك مساواةٌ في توزيع الأراضي، ممّا تسبّب في ركودٍ في الإنتاج الفلاحيّ.

وأما الصّناعة، فقد كانت مقتصرةً على الصّناعات الاستخراجيّة، والصّناعات التّقليديّة المتقهقرة، والحرف الصّغرى، وكانت العشريّة: (1962م-1971م) عشريّة تعلّم التّصنيع⁽³⁾.

(1) الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس، ص: 57-58 (نقلًا عن: أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 1).

(2) ينظر: محمّد الهادي الشّريف، تاريخ تونس، ص: 107-110.

(3) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيين، تونس عبر التّاريخ، ص: 182، 183، 186، 187، 189، 190.

ومن الناحية الاجتماعية: شهدت تونس نموًا ديمغرافيًا متزايدًا وسريعًا، وتفتتت الأمية، ولم تُحلّ مشكلة البطالة التي دفعت بالحكومة إلى فتح أبواب الهجرة إلى أوروبا الغربية (ألمانيا وفرنسا أساسًا) وليبيا، كما سُجّل تفاوتٌ مجحفٌ بين المداخيل، وعدم التوازن بين عدد السُّكَّان وعدد مواطن الشُّغل.⁽¹⁾

كما شهدت فترة الاستقلال صياغةً جديدةً لقانون الأسرة من طرف بورقيية، مخالفةً لتعاليم الإسلام، وفرضه بمواجهة معارضيه بدمويةٍ شرسة.⁽²⁾ وأما ما سُجّل من إيجابياتٍ فهو التحسُّن في نسبة تقديم بعض الخدمات؛ كالعلاج الجَّائي، والإعانات الاجتماعية.⁽³⁾

الفرع الثالث: علميًا وتربويًا

إنّ الحديث عن الوضع العلميّ والتربويّ في تونس زمن الاحتلال يقتضي الحديث عن النظام التعليميّ فيها، إذ هو ناتجٌ عنه. ويمكن تقسيم التعليم في تونس آنذاك إلى قسمين: تعليمٍ وطنيّ وتعليمٍ استعماريّ.

- **التعليم الوطنيّ:** وهو نوعان؛ تقليديّ، وحديث.
- **التعليم التقليديّ الكتابيّ:** أساسه تعليمٌ دينيّ قائمٌ على تحفيظ القرآن والقراءة والكتابة، وهو السائد والمسيطر من طرق التعليم الوطنيّة.
- **التعليم الأهليّ الحديث:** كان تحت إشراف المنظمات والأحزاب الوطنيّة، ومهمّة هذا النوع من التعليم الحفاظ على اللُّغة العربيّة كتعبيرٍ عن الحفاظ على الشَّخصيّة الوطنيّة.⁽⁴⁾ وقد كان لهذين النوعين من التعليم أثرٌ في الحفاظ على اللُّغة العربيّة وتراثها الثَّقافيّ.
- **التعليم الاستعماريّ:** والقصد منه تحقيق أهداف المستعمر في غزو البلاد ثقافيًا. وهو الآخر كان على نوعين مقابلين لنوعيّ التعليم الوطنيّ: تعليمٌ تبشيريّ، وتعليمٌ نظاميّ مدرسيّ.
- **التعليم التبشيريّ:** وهو السائد في فترة الاستعمار، وهو وسيلةٌ مهمّةٌ تنشط من خلالها

(1) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيّين، تونس عبر التاريخ، ص: 184، 187، 189.

(2) ينظر: السرجاني، قصّة تونس، ص: 40، 41.

(3) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيّين، تونس عبر التاريخ، ص: 189.

(4) ينظر: السرجاني، قصّة تونس، ص: 27.

الإرساليّات المسيحيّة التبشيريّة في تونس.

– **التعليم النظامي المدرسي:** افتتحت السلطات الاستعماريّة مدارس خاصّة بأبناء المستوطنين الغربيين وأبناء الجاليات الأجنبية، تماشيًا مع السياسة الاستعماريّة في تطبيق مبدأ الإدماج، وتطبيق قانون التعليم الإلزامي لمواطني الدولة الاستعماريّة، وكان دخولها ممنوعًا على التونسيين، إلا بشكلٍ محدودٍ جدًا.⁽¹⁾

إنّ الناظر في أنواع التعليم يمكنه أن يلحظ غياب أنواع من الموادّ التعليميّة، وذلك بسبب تدخّل المستعمر في النظام التعليمي الوطني ومحاربتة المستمرة له، ومحاولة تضيقه من خلال مجموعة من الإجراءات، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

– إصدار العديد من القوانين المطالبة باقتصار التعليم على تحفيظ القرآن فقط، دون التّعريض لتفسير آيات التّحرّر، واستبعاد دراسة التاريخ العربيّ الإسلاميّ والوطنيّ المحليّ، وجغرافيّة البلاد التونسيّة والعربيّة، بالإضافة إلى عدم دراسة الأدب العربيّ.

– إعطاء الصّلاحيّة المطلقة لوزير المعارف، والذي يكون فرنسيًا، في التّصرّف في التعليم العامّ والفنون المستطرفة، والنّظر في المعاهد العلميّة، بل وصل الأمر إلى جعل المدارس القرآنيّة الأهليّة تابعه له، وحتىّ جامع الزيتونة لم يسلم من التّدخّل في شؤونه بدعوى إصلاحه لتكون خدمته للعلم أنفع! حيث بقي لفترة بعد الاحتلال تابعًا في إدارته إلى وزير المعارف الفرنسيّ، ثمّ ألحق بوزارة الدّاخليّة، مع ضرورة عرض شؤونه على الكاتب العامّ!

– جعل مديري المدارس الحكوميّة كلّهم فرنسيين؛ كالمدرسة الصّادقيّة، والمدرسة العلويّة، والمدرسة العليا للآداب العربيّة.⁽²⁾

فكان من نتائج هذا التّدخّل في التعليم وتضييقه وعرقلته ما ذكره محمّد الخضر حسين في وصف الحالة العلميّة في تونس آنذاك، حيث قال: "فلا يوجد في المملكة كليّة للطبّ، ولا كليّة

(1) ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 28.

(2) ينظر: نفسه، ص: 26، 29، محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص: 174، 175.

للهندسة، ولا مدرسة للصناعات أو الكيمياء أو الطبيعيات، ولا يبرع من التونسيين في علم من هذه العلوم إلا الذين يرحلون إلى أوروبا، ويجوزون على الشهادة العليا من إحدى جامعاتها⁽¹⁾.
ومن نتائجه أيضاً ارتفاع نسبة الأمية وانتشار الجهل والشعوذة والخرافات في أوساط المواطنين، وعادت تونس عقوداً إلى الوراء⁽²⁾، إلا أنّ من علامات التحوّل الكبرى أنّ نسبة مقروئية الكتب والمجلات في سنة: 1955م صارت سبعة أضعاف ما كانت عليه في سنة: 1930م.⁽³⁾

وأما في عهد الاستقلال، فمن أجل توفير قاعدة صلبة لإنجاز المشروع الثقافي الجديد؛ تمّ إنشاء مدرسة جديدة عصريّة موحّدة مجانيّة في متناول كلّ التونسيين، انتشرت في كلّ المناطق بما فيها الجهات النائية والمعزولة، ومن خلالها عادت للغة العربيّة مكانتها في التعليم، كما احتفظت الفرنسيّة بمكانة متميّزة باعتبارها - في نظر الدولة - أداة تدريس العلوم الصحيحة وأغلب العلوم الإنسانيّة؛ فسجّل ارتفاع في عدد المستفيدين من التعليم، إلا أنّه لم يمكن تحقيق التمدّس الكامل بسبب التزايد الديمغرافيّ السريع ومشكل الرّسوب.⁽⁴⁾

الفرع الرابع: ثقافياً

لا يترك الاستعمار الغربيّ مجالاً من المجالات المكوّنة لهويّة أمةٍ إلاّ وعبث فيه؛ بغية تحقيق التبعيّة له فيه، ولعلّ أهمّ هذه المجالات المجال الثقافيّ الذي من خلال التّحكّم فيه تفقد الأمتة المستعمرة هويّتها وتندمج وتذوب في شخصيّة مستعمرها فلا تحسّ لنفسها كياناً إلاّ به.
وليست فرنسا بخارجة عن هذا القانون، فقد اتّبعّت سياسة خبيثة من أجل القضاء على الهويّة التونسيّة العربيّة الإسلاميّة؛ حيث اعتبرت اللّغة العربيّة لغةً أجنبيّةً في تونس، وتمّ الاستغناء عنها في الإدارة والتّعليم الرّسميّ واستبدلت باللّغة الفرنسيّة، باستثناء التّعليم الخاصّ فقد ترك حرّاً.⁽⁵⁾
كما عمدت إلى تشجيع الهجرة الفرنسيّة إلى تونس، ولو بتجنيس غير الفرنسيين من إيطاليين ويهود وغيرهم، فانتشرت التّقافة الأوروبيّة في البلاد التونسيّة بسبب كثرة الرّعايا الأجانب

(1) محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيتونة، ص: 175.

(2) ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 29.

(3) ينظر: محمّد الهادي الشّريف، تاريخ تونس، ص: 109.

(4) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيّين، تونس عبر التّاريخ، ص: 184، 189.

(5) ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 24، 25، 28.

من الفرنسيين والأوروبيين؛ فكان في آخر عهد الحماية من ضمن مائتين وخمسين ألف أوروبي بتونس؛ مائة وثمانون ألفاً يحملون الجنسية الفرنسية⁽¹⁾، قال الفاضل بن عاشور: "واشتدّ ساعد الجالية الفرنسية وتضخّم عددها ... وصارت النظم كلها مبنية على التقاليد الغربية، مستخقة بالديانة الإسلامية، والعوائد التونسية"⁽²⁾. كما سنت فرنسا قانوناً يتيح تجنّس التونسيين بالجنسية الفرنسية مقابل استحقاقه دعم فرنسا وحمايتها، ويصبح من رعاياها⁽³⁾، ترغيباً للتونسيين في الخروج عن قوميتهم العربية، فلم يقبل عليه إلاّ نفرٌ قليلٌ استهوتهم منفعه العاجلة⁽⁴⁾.

إنّ الناظر في حرص المستعمر الفرنسي على محاربة اللغة العربية يفهم سرّ اهتمام أسرة ابن عاشور بتعليم ابنها اللغة العربية في الصغر، وسرّ اهتمام جامع الزيتونة بتدريس اللغة العربية لطلابه، وسرّ اهتمام ابن عاشور بتأصيلها والتوسّع فيها في مراحل تعلمه بالزيتونة؛ وهو المحافظة على الهوية العربية، وعلى لغة القرآن الكريم الذي لا يمكن فهمه إلاّ من خلالها.

وأما في عهد الاستقلال، في حياة ابن عاشور، فإنّ تونس لم تستقرّ على نمط ثقافيّ معيّن، بل شهدت تراحماً وصراعاً ثقافياً كبيراً بين النّظام العلمانيّ المنبهر بالحضارة والثّقافة الأوروبيّة، السّاعي لنقلها وتجسيدها في تونس، وبين المواطن التونسيّ المحافظ على أصالته ودينه وتعاليمه، وعادات بلده وتقاليد.

لقد تبنّت السّلطة السّياسيّة آنذاك الاتجاه التّحديثيّ باعتباره مرجعيّة نخبتها الفكرية، وشرعت في إنجاز مشروعها الثّقافيّ التّحديثيّ الهادف إلى جعلها منفتحةً باستمرارٍ على مختلف التّأثيرات مهما كان مصدرها، وفي المقابل همّشت الثّقافة العربيّة الإسلاميّة⁽⁵⁾؛ حيث سعى بورقيبة بسلطته إلى محو الهوية العربية والإسلامية عن تونس، والاستقلال بها عن الإسلام وتاريخه وحضارته وثقافته؛ فأعلنها حرباً على الإسلام وأخلاقه وقيمه ومبادئه ومظاهره؛ فاعتبر الصّلاة جريمةً تستوجب

(1) ينظر: محمّد الهادي الشّريف، تاريخ تونس، ص: 101.

(2) الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبيّة والفكرية في تونس، ص: 57-58 (نقلاً عن: أبو حسان، تفسير ابن عاشور التّحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 1).

(3) ينظر: السّرجاني، قصّة تونس، ص: 23.

(4) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص: 177.

(5) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيّين، تونس عبر التّاريخ، ص: 184، 185.

العقاب، ودعا إلى منع صوم رمضان، ومَنَعَ الحجاب، وثار على الأعراف التُّونسيّة وحارب التّقاليد، وسَهَّلَ كلَّ الطُّرق المؤدّية إلى الانحلال الخلقيّ وسط الشُّباب.⁽¹⁾

وقد أدّى اندفاع بورقيبة في نهجه التّحديثيّ على الطّريقة الغربيّة إلى تشكُّل صراعٍ بين القديم والجديد، وكانت دعوته التُّونسيّين إلى الإفطار في رمضان سببًا مباشرًا لاندلاع أوّل مظاهرة احتجاجيّة ضدّ دولة الاستقلال بالقيروان، يوم: 17 فيفري 1961م.⁽²⁾

الفرع الخامس: فكريًا

أشرفت تونس في مطلع القرن الرّابع عشر الهجريّ (أواخر القرن التّاسع عشر النّصرانيّ) بنهضةٍ أدبيّةٍ، ما لبثت حتّى صارت قرينةً لنظيرتها في المشرق العربيّ⁽³⁾؛ حيث صدرت العديد من الجرائد، على غرار جريدة «الحاضرة» الأسبوعيّة سنة: 1888م، جريدة «الرّهرة» سنة: 1890م، جريدة «سبيل الرّشاد» سنة: 1895م⁽⁴⁾، وطبعت المجلّات على غرار مجلّة «السّعادة العظمى»، ومجلّة «الشُّبّان المسلمين»، ومجلّة «الهداية الإسلاميّة»، ومجلّة «نور الإسلام»، ومجلّة «الأزهر»، ومجلّة «لواء الإسلام»، ومجلّة «الفتح»، ومجلّة «البدر»، و«المجلّة الرّيتونيّة»... إلخ⁽⁵⁾

فكان لهذه التّهضة دورٌ بارزٌ في بناء ثورةٍ فكريّةٍ وإصلاحيّةٍ؛ حيث تضاعفت نسبة المقرؤيّة في تونس سنّة واحدة قبل انتهاء الاحتلال إلى سبعة أضعافٍ كما سبق ذكره.

كما كان للحركات الإصلاحيّة العالميّة والمحليّة، ولاّتصال العديد من قادتها برواد الإصلاح في تونس من خلال الزّيارات أو من خلال المجلّات أو المراسلات، أثرٌ كبيرٌ في تنشيط الحراك الفكريّ والإصلاحيّ في تونس في هذه الفترة؛ على غرار حركة العروة الوثقى التي انظّم إليها كثيرٌ من المصلحين التُّونسيّين، الذين تأثّروا إلى حدٍّ بعيدٍ بأراء محمّد عبده الإصلاحيّة، ومنهم بعضُ شيوخ ابن عاشور، كما كان لمحمّد رشيد رضا ومجلّة المنار اتّصالٌ وثيقٌ بالمصلحين والمفكرين

(1) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيّين، تونس عبر التّاريخ، ص: 184، والسّرجاني، قصّة تونس، ص: 38، 39، 40، 41.

(2) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيّين، نفسه، ص: 185، 186.

(3) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الرّيتونة، ص: 19.

(4) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 31.

(5) أبو حسان، تفسير ابن عاشور التّحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 3.

التونسيين، ومنهم ابن عاشور الذي كانت علاقته معه عن طريق التراسل وتقريض الكتب والرّسائل، وقد أعجب محمّد رشيد رضا أيّما إعجابٍ بجهودهم في إصلاح التّعليم، خاصّةً التّعليم الرّيتونيّ.⁽¹⁾

ومن الحركات المحليّة التي ظهرت آثارها في عصر ابن عاشور في هذه الفترة: حركة الوزير خير الدّين (ت: 1307هـ) في تونس؛ حيث كان لكتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»، الصّادر في سنة: 1284هـ/1867م، صدّى بعيداً في الأوساط الفكرية التونسيّة، نَبّه فيه إلى ضرورة دراسة عوامل تأخّر المسلمين وتقدّم غيرهم، وإلى ضرورة الاقتباس من علوم الغرب التي كانت سبب نهضته.

كما ظهر تأثير جمعيّة العلماء المسلمين في الحركة الفكرية التونسيّة من خلال اللّقاءات العلميّة والفكرية والأدبيّة التي يلتقي فيها رئيس الجمعيّة عبد الحميد ابن باديس بزعماء الإصلاح في تونس يتحاورون ويتناظرون ويتناقشون، فكان لهذا الحوار صداه البعيد في فكر محمّد الطاهر بن عاشور.

وهكذا مع محمّد الحجويّ المغربيّ وزيارته لتونس عام: 1357هـ، حيث ألقى خلالها محاضرةً قيّمةً في جامع الرّيتونة، تناول فيها قضيةً طغت على السّاحة الفكرية في ذلك العصر وهي قضية تجديد الدّين.⁽²⁾

كان لجميع هذه الحركات الإصلاحية والفكرية الدّور الكبير في التّأسيس لنهضة فكريةٍ إصلاحيةٍ قويّة، يكون لها الأثر في تغيير الواقع التّونسيّ وفي شخصيّة محمّد الطاهر بن عاشور.

وأما في عهد الاستقلال، فمن أجل أن يحقّق بورقيبة طموحه في تجسيد المشروع العلميّ في تونس، والتّمكين للفكر الغربيّ؛ شنّ حرباً شرسةً على كلّ فكرٍ معارضٍ، وعلى الفكر الإسلاميّ خاصّةً، وذلك من خلال تتبّع رواده والتّضييق عليهم ومنع الدّعم عنهم؛ فطارد العلماء والدّعاة، وقصف جميع الأقلام، وبطش بأبناء الحركة الإسلاميّة، وشرّدهم وأذاقهم الويلات، وسامهم سوء العذاب. وراقب المصلّين، وطارد المصاحف، وغير الخطاب الدّينيّ في المساجد بفرض خطبٍ جمعٍ موحّدةٍ بعيدةٍ عن روح الشّريعة، بل قام بتحويل بعض المساجد الصّغيرة إلى مستودعاتٍ ومخازنٍ، فجقّف منابع التّدئين، وبدّل المناهج، وأغلق جامع الرّيتونة، وحظر التّعليم الشرعيّ، فيه بموجب أمر

(1) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 23-26، 51.

(2) ينظر: نفسه، ص: 23، 28، 29.

عام: 1380هـ/1961م⁽¹⁾، وفي المقابل وظّف جميع الإمكانيات لنشر القيم الحديثة العقلانية المتفتحة.⁽²⁾

ونتيجةً لذلك شهدت تونس تمكينًا واضحًا للفكر الغربيّ، وبدأت تتشكّل هويّة البلاد وفق المشروع الثقافيّ الجديد القائم على القطيعة أوّلاً، ثمّ العلمانيّة، فالتغريب. قال جمال أبو حسان: "وقد كان في هذه الأثناء وقبلها لبعض الجمعيات مثل: الخلدونيّة، والصّادقيّة، وجمعيةّ قدماء الصّادقيّة أثرٌ بارزٌ في محاولة إصلاح التّعليم والنّهوض بالمجتمع، وقد كانت هذه الجمعيات هي موضع الأثر عند ابن عاشور"⁽³⁾.

(1) ينظر: السرجاني، قصّة تونس، ص: 38، 39، 40، 42، 45.

(2) ينظر: نخبة من الأساتذة الجامعيّين، تونس عبر التّاريخ، ص: 185.

(3) أبو حسان، تفسير ابن عاشور التّحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 4.

المبحث الثالث: أثر عصر ابن عاشور في بناء شخصيته وتوجهاته ومواقفه

من خلال الإطالة السابقة على عصر ابن عاشور يمكن اعتبار ابن عاشور محضراً باعتبار عدّة:

- محضراً تاريخياً؛ حيث عاش في القرن التاسع عشر والقرن العشرين بالتقويم النصراني.
 - محضراً سياسياً على المستوى العالمي؛ حيث عاش فترة من حياته في ظلّ الخلافة العثمانية (45 سنة) والفترة الأخرى في ظلّ الدويلات الإسلامية المتفرقة (49 سنة).
 - محضراً سياسياً على المستوى المحلي؛ حيث عاش عهد الاستعمار الفرنسي (75 سنة) كما عاش عهد الاستقلال في ظلّ الحكم البورقيبي (17 سنة).
- فكان لهذا التمايز في الظروف وتقلّب الأحوال الأثر البالغ في تكوين شخصيّة ابن عاشور ومواقفه وتوجهاته، فالإنسان ابن بيئته يتفاعل معها تأثراً وتأثيراً.

المطلب الأوّل: أثر عصر ابن عاشور في بناء شخصيته العلميّة ونتاجه العلميّ

إنّ التفاعل الحاصل بين عصر ابن عاشور بخصائصه السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعلميّة والثّقافيّة والفكرية، بإيجابيّها وسلبيّها، وبين البيئة الأسريّة الجامعة بين الدّين والعلم والجاه وشرف النّسب، كان كفيلاً بتكوين شخصيّة فذة سائرة على خطى سلفها؛ شعارها الجدّ، وهدفها الهويّة، وطريقها الإصلاح؛ فأسف ابن عاشور على حال الأُمّة الإسلاميّة سياسياً واقتصاديّاً واجتماعياً وعلمياً وفكريّاً وثقافياً حرّك همته لخدمتها وتقديم ما أمكنه للنّهوض بها.

الفرع الأوّل: أثر الظروف السّياسيّة

إنّ الحالة السّياسيّة التي كانت عليها البلاد التّونسيّة في حياة ابن عاشور بخضوعها للاستعمار الغربيّ عسكريّاً ثمّ ثقافياً، وحال غيرها من البلاد الإسلاميّة، أظهرت فيمن نشأ على الهويّة والتّربية الإسلاميّة، وفي حضن عالم وزير خبير بشؤون السّياسة، الرّغبة في تحريرها من ذلك الاستعمار، فهياتته تلك الظروف ليكون رائداً من رواد الإصلاح الذي اتّخذ منطلقاً لطريق الحرّيّة؛

لأنّ إصلاح العباد أوّل خطوات تحرير البلاد، فلقد اختار ابن عاشور الجهاد في إطار الإصلاح التّربوي والاجتماعي⁽¹⁾، فكان ذا همّة عالية، جمّ النشاط، غزير الإنتاج⁽²⁾. وكانت الظروف السياسيّة من أهمّ العوامل المساعدة على إثارة فكر ابن عاشور في أهمّ القضايا التي كانت تشغل المسلمين وقتئذٍ، وإنّ مصنّفه الموسوم بـ: «نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم⁽³⁾» يُظهر اهتمامه بالسياسة، وتكمن أهميّة هذا المصنّف في مناقشته موضوع الخلافة الإسلاميّة، وخاصّةً أنّه جاء في مرحلة حسّاسة جدًّا وحاسمة، بعد أن سقطت هذه المؤسّسة الإسلاميّة على يد مصطفى كمال أتاتورك سنة: 1924م.⁽⁴⁾

الفرع الثاني: أثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية

إنّ حالة التخلّف الاجتماعي والاقتصادي التي عاشتها البلاد التونسيّة، وغيرها من البلاد الإسلاميّة، لم تمرّ عليه دون أن تحرك همته لمحاولة التّغيير والإصلاح ورفع مظاهر التخلّف عنها؛ يتجلّى ذلك في محاضرة ألقاها، عنوانها: «أصول التّقدم والمدنيّة في الإسلام»⁽⁵⁾. وأمّا تأثره بالواقع الاقتصادي للأمة، فيظهر من خلال مقال له بعنوان: «الوقف وآثاره في الإسلام»، كتبه ردًّا لشبهات أثيرت حول الوقف، وفيه بيان لما للوقف من آثار إيجابيّة في الاقتصاد.⁽⁶⁾

وألف ابن عاشور أيضًا: «أصول النّظام الاجتماعي في الإسلام»، هدَف من خلاله إلى بيان أسباب نهضة المسلمين في أوّل أمرهم، وأسباب رقيّ مجتمعاتهم، وانتشار العمران فيها، ثمّ أسباب التخلّف بعد ذلك؛ من أجل الوقوف على وسائل إصلاح أحوالهم، حتّى يعودوا كما بدأوا

(1) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 51.

(2) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التونسيّين، (306/3).

(3) كتيّب فيه بعض التّقود والملاحظات على كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرزّاق المصريّ: من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشّرعيّة، وهو مطبوع ضمن كتاب «جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور» (ابن عاشور، جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، 1765/4-1799).

(4) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 55-56.

(5) طبعت المحاضرة ضمن كتاب «جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور» (ابن عاشور، جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، 306/1-320).

(6) مطبوع ضمن كتاب «جمهرة مقالات ورسائل الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور» (نفسه، 905/2-938).

من كمال الارتقاء⁽¹⁾، كما بيّن من خلاله أنّ الغرض الأسمى للإسلام هو الإصلاح الاجتماعي⁽²⁾؛ وذلك ردّاً على من يرى أنّ الإسلام سبب انحطاط المسلمين وتأخّر مجتمعاتهم⁽³⁾.

وكذلك كتابه «مقاصد الشريعة»، باعتبار أنّ المعرفة بمقاصد الشريعة من أهمّ أدوات الإصلاح الاجتماعيّ، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "واستقراء أدلّة كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة يوجب لنا اليقين بأنّ أحكام الشريعة الإسلاميّة منوطَةٌ بحكمٍ وعللٍ راجعةٌ للصّلاح العامّ للمجتمع والأفراد"⁽⁴⁾، ويرى ابن عاشور أنّ المقصد العامّ من التّشريع هو: "حفظ نظام الأُمَّة"⁽⁵⁾.

الفرع الثالث: أثر الطُّروف العلميّة

لقد كان ابن عاشور من نتاج التّعليم التّقليديّ الكتاتبيّ والتّعليم الرّيتونيّ، وأخذ عن خيرة أعلام تونس والرّيتونة، كما أنّ انتشار الأُميّة، والجهل بالدّين وسوء فهمه، وانتشار الخرافات، والجهل بالعلوم الدّنيويّة، حرّك ابن عاشور ليكون: "حامل لواء إصلاح التّعليم الرّيتونيّ، وعاملاً في سبيله من مواقعٍ مختلفة"⁽⁶⁾:

- فلما سُمّي نائباً عن الدّولة لدى نظارة جامع الرّيتونة (1325هـ/1907م)⁽⁷⁾، أدخل نظماً مهمّةً على التّعليم، وحرّر لائحةً في إصلاح التّعليم لم تُنقذ منها الحكومة إلاّ الشّيء القليل، كما سعى في إحياء بعض العلوم العربيّة في مراحل التّعليم الثّلاث.⁽⁸⁾
- ولما سُمّي عضواً في لجنة تنقيح برامج التّعليم في سنة: 1326هـ/1908م، كتب تقريراً عن حالة التّعليم، وقدم لائحةً في إيجاد تعليم ابتدائيّ إسلاميّ منظم.⁽⁹⁾
- ولما تولّى مشيخة جامع الرّيتونة مرّتين (1932م، 1944-1951م)، أدخل

(1) ينظر: ابن عاشور، أصول التّظام الاجتماعيّ في الإسلام، ص: 5.

(2) ينظر: نفسه، ص: 103.

(3) الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 12.

(4) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلاميّة، تح: الميساوي، ص: 180.

(5) نفسه، ص: 273.

(6) ينظر: نفسه، مقدّمة التّحقيق، ص: 19.

(7) الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 58.

(8) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، (304/3-305).

(9) ينظر: نفسه، (305/3)، ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 166.

إصلاحاتٍ مهمّةٍ على نظام التعليم، كما أدخل في الدّراسة موادّاً جديدةً كالفيزياء والكيمياء والجبر، وانتدب لتدريسها أساتذةً مختصّين.⁽¹⁾

واختار الإصلاح في هذا الميدان التّربويّ لأنّه يراه أساس كلّ إصلاحٍ؛ إذ من خلاله يكون الإصلاح العقائديّ واللّغويّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، وأنّه سبيل إنتاج قادةٍ للأمة في دينها ودنياها.⁽²⁾

ولم يصرّفه عمله في الإصلاح التّربويّ ميداناً عن التّأليف فيه، فقد ألّف كتابه الموسوم بـ: «أليس الصّبح بقريبٍ»، الذي ضمّنه نقدَه للتّعليم الرّيتونيّ وأسباب تأخّره وتأخّر العلوم الإسلاميّة، ونقدَه لطرق التّدريس في عهده.⁽³⁾

الفرع الرّابع: أثر الطّروف الثّقافيّة والفكريّة

لقد كان ابن عاشور طرفاً فاعلاً في الصّراع الثّقافيّ الذي شهدته، وخاصّةً في العهد البورقيبيّ، حتّى وصفه محمّد الغزاليّ بأنّه "إمام الثّقافة الإسلاميّة المعاصرة"⁽⁴⁾.

ولعلّ سعي المستعمر إلى القضاء على اللّغة العربيّة هو ما أثر في تكوين ابن عاشور في صغره، وجعله مُركّزاً على اللّغة العربيّة، وهو ما جعل ابن عاشور يهتمُّ بتعلّم اللّغة بعلومها المختلفة في الرّيتونة، ويؤلّف في علوم اللّغة بعد ذلك.

ولعلّ سعي المستعمر في إبعاد التّونسيّين عن فهم معاني القرآن الكريم وبلوغه شأواً بعيداً في تحقيق ذلك، هو ما جعل ابن عاشور يهتمُّ بتفسير القرآن العظيم، ويتجلّى ذلك في تفسيره «التّحرير والتنوير».

وأما الطّروف الفكريّة، فقد كانت من أهمّ العوامل المؤثّرة في شخصيّة ابن عاشور؛ إذ إنّ الحملات الفكريّة الغربيّة والتّغربيّة على بلاده، وما يوازيها من تواصله مع رواد الفكر والإصلاح

(1) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، (305/3).

(2) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 183.

(3) ينظر: نفسه، ص: 12.

(4) ينظر: إسماعيل الحسني، نظريّة المقاصد عند الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور، سلسلة الرّسائل الجامعيّة (15)، (المنهجية الإسلاميّة)، المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، فيرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ط: 1، 1416هـ/1995م، ص: 21.

في عصره، من داخل الوطن وخارجه، جعله كل ذلك ممن ينزع إلى الإصلاح والتجديد الفكري، فصار علماً بارزاً من أعلام الفكر الإسلامي.

وقد شارك في مؤتمر المستشرقين في إسطنبول في سنة: 1951م⁽¹⁾، واجتمع بمفكري العالم الغربي وفلاسفته ومستشرقيه، منهم المستشرق الألماني (أوبنهايم)، وذلك في تونس في عام: 1323هـ/1905م⁽²⁾.

ومن مظاهر تفاعله مع الطُروف الفكرية لعصره كتابه «مقاصد الشريعة»؛ إذ إنّ علم المقاصد يُظهر ويكشف عن مرونة الشريعة الإسلامية؛ بنحو ما يمكنها من مسايرة النهضة الحديثة، ويزوّدها بما يبطل حجج دعاة التغريب الواهية ويقطع الطريق عنهم، في دعوتهم إلى نبد الشريعة، بحجة عرقلتها للتقدم ومنافاتها لروح العصر⁽³⁾.

وهكذا أسهمت تلك البيئة بجميع مكوّناتها في تكوين شخصية ابن عاشور العلمية.

المطلب الثاني: أثر عصر ابن عاشور في توجّهاته المذهبية ومواقفه السياسية

يمكن استجلاء أثر عصر ابن عاشور في توجّهاته المذهبية ومواقفه السياسية من خلال النظر في عقيدته ومذهبه الفقهي، ومقارنتها بظروف عصره وبالبيئة التي نشأ فيها، ومن خلال النظر في تفاعله مع الطُروف السياسية ومدى مخالفته أو موافقته لها.

الفرع الأوّل: عقيدته

يمكن الوقوف على عقيدة محمد الطاهر بن عاشور من خلال مؤلفاته، مثل: كتابه في التفسير «التحرير والتنوير»، وكتابه «تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة»، ومن خلال فتاويه التي

(1) ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، (3/306).

(2) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 56، حميد عنبوري، مدخل لدراسة منهج الطاهر بن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير»، مجلة دار الحديث الحسنية، سنوية علمية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي، المملكة المغربية، ع: 13، 1417هـ/1996م، ص: 311.

(3) ينظر: محمد حسين، التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، تخصّص: علم أصول الفقه، كلية العلوم الإسلامية، قسم: علم أصول الفقه، جامعة الجزائر، 2005م، ص: 37.

نشرها في العديد من المجلّات، والتي جمعها وحققها محمّد بن إبراهيم بوزغيبية، في كتاب وسمه بـ: «فتاوى الشيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور».

وليس لابن عاشور في العقيدة الإسلاميّة إلّا مؤلّفًا واحدًا، وهو في باب القدر خاصّةً، وسمه بـ: «رسالة القدرة والتّقدر»، حيث قال في تفسيره عند كلامه عن تقدير أفعال العباد: "ولنا فيه تحقيقٌ أعلى من هذا، بسطناه في رسالة «القدرة والتّقدر» التي لمّا تظهر"⁽¹⁾، وهذه الرّسالة-في حدود اطلاعي- لم تظهر إلى وقت كتابة هذه السّطور.

ومن خلال النّظر في مؤلّفاته السّابقة الذّكر يتّضح أنّ ابن عاشور ممّن يتبنّى في العقائد مقولة: "طريقة السّلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم"⁽²⁾، من باب اكتفاء السّلف بظاهر النّصّ وعدم حاجتهم إلى التّأويل، لعدم انتشار الآراء الإلحاديّة والمنحرفة في زمانهم، وتوسّع الخلف وحاجتهم إلى البحث والتّدقيق في المعاني وإلى التّأويل من أجل الرّدّ على شبهات الآراء الإلحاديّة والمنحرفة المنتشرة في زمانهم.⁽³⁾

ويرى ابن عاشور أنّ كلتا الطّريقتين (طريقة السّلف وطريقة الخلف) طريقة هديّ يسع المسلم سلوكها، ولكن طريقة الخلف القائمة على التّأويل هي الطّريقة المثلى المناسبة لما عدا القرون الثلاثة الأولى.⁽⁴⁾

فكان ابن عاشور ممّن نحى منهج التّأويل، وعلى طريقة الأشاعرة، حيث قال في تفسيره: "فلا بدّ من تأويل هذا عندنا على أصل الأشعريّ في تأويل المتشابه"⁽⁵⁾، ويرى أنّ ما حصل فيه التّأويل وجب اتّباع تأويله، ووجب معه فيه ترك قول السّلف القائم على الإجمال، حيث قال: "وكان السّلف في القرن الأوّل ومنتصف القرن الثّاني يمسكون عن تأويل هذه المتشابهات؛ لما رأوا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (257/1).

(2) ذكر ابن عاشور أنّه لم يقف على تعيين أوّل من صدر عنه هذان الوصفان، وأنّ ابن تيميّة قد تعرّض إلى ردهما في العقيدة الحمويّة ولم ينسبهما إلى قائل (ينظر: نفسه، 167/3).

(3) ينظر: نفسه، (166-167/3)، (48/25)، (354/29)، ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسّنّة، ص: 11-12، ابن عاشور، فتاوى الشيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 44-46.

(4) ينظر: ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسّنّة، ص: 12-13، ابن عاشور، فتاوى الشيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 46.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (284/2)، في تفسيره الإتيان في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِّنَ الْعَمَاءِ﴾ (البقرة: من الآية 210).

في ذلك الإمساك من مصلحة الاشتغال بإقامة الأعمال التي هي مراد الشرع من الناس، فلما نشأ النظر في العلم وطلّب معرفة حقائق الأشياء، وحدث قول الناس في معاني الدين بما لا يلائم الحقّ، لم يجد أهل العلم بدءاً من توسيع أساليب التأويل الصّحيح لإفهام المسلم وكبت الملحد، فقام الدّين بصنيعهم على قواعده، وتميّز المخلص له عن ماكره وجاحده. وكلّ فيما صنعوا على هدى، وبعد البيان لا يُرجع إلى الإجمال أبداً، وما تأولوه إلّا بما هو معروف في لسان العرب مفهوم لأهله⁽¹⁾.

وقال قبله بقليل في أثناء حديثه عن صفة الغضب: "فقد وجب على المؤمن صرف إسناده الغضب إلى الله عن معناه الحقيقي، وطريقه أهل العلم والنظر في هذا الصّرف أن يصرف اللفظ إلى المجاز بعلاقة اللزوم، أو إلى الكناية باللفظ عن لازم معناه، فالذي يكون صفةً لله من معنى الغضب هو لازمه، أعني العقاب والإهانة يوم الجزاء..."⁽²⁾.

وقد أسهمت عدّة عوامل في تبني ابن عاشور مذهب الأشاعرة، منها:

- نشأته في بيئةٍ أشعرية⁽³⁾.
- دراسته بعض كتب الأشاعرة منها: العقيدة الوسطى لمحمد بن يوسف السنوسي، والمواقف في علم الكلام للإيجي⁽⁴⁾، ودرس في التفسير: البيضاوي، وهو من المؤولة على طريقة الأشاعرة⁽⁵⁾، ودرسه كذلك⁽⁶⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (197/1).

(2) نفسه.

(3) ينظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: الميساوي، مقدّمة التحقيق، ص: 70-71، عبير بنت عبد الله التّعيم، قواعد التّرجيح المتعلّقة بالنّص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، دراسة تأصيلية تطبيقية، تقديم: فهد بن عبد الرحمن الرّومي، إصدارات الجمعية العلميّة السّعوديّة للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرّسائل العلميّة (35)، دار التّدمريّة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1436هـ/2015م، ص: 41.

(4) ينظر: عبير التّعيم، نفسه، ص: 40.

(5) ينظر: محمّد الفاضل بن عاشور، التّفسير ورجاله، صدر عن: مجّع البحوث الإسلاميّة، الأزهر، السّنة الثّانية-الكتاب الثّالث عشر، ربيع الأوّل سنة: 1390هـ/ مايو سنة: 1970م، ص: 96، يوسف أحمد علي، البيضاوي ومنهجه في التّفسير، رسالة دكتوراه، كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، قسم الدّراسات العليا، فرع الكتاب والسّنة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1990م، ص: 12.

(6) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 165.

ومما يؤكد أشعريته: تصريحه بالانتساب لمذهب الأشاعرة تارة، وترجيح رأيهم تارة أخرى، والاستدلال لرأيهم بما يقويه، مما ليس عندهم فيه حجة، أو ضعفت فيه حجّتهم، أو كانت لهم فيه حجة فيأتي بما يدعمه.

● فمن تصريجه بأشعريته:

— قوله في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْنَكُم مِّنْهُ هُدًى﴾ (البقرة: من الآية 38): "فلذلك كانت الآية أسعدُ بمذهبنا أيُّها الأشاعرة من عدم وجوب الهدى كلّهُ على الله تعالى لو شئنا أن نستدل بها على ذلك كما فعل البيضاوي، ولكنّا لا نراها واردةً لأجله"⁽¹⁾، وذلك في معرض ردّه على استدلال الرّخشيّ بالآية لقول المعتزلة بعدم وجوب بعثة الرّسل، للاستغناء عنها بهدى العقل في الإيمان بالله.

— في أثناء تفسيره للآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي فِيهَا نُفُسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: 48)، ذكر أنّ طائفتي المعتزلة والأشاعرة متّفقتان في ثبوت الشّفاعَة يوم القيامة للطّائعين والتّائبين، ثمّ بيّن أنّ الاختلاف بينهما في الشّفاعَة لأهل الكبائر فقال: "فعدنا تقع الشّفاعَة لهم..."، ثمّ ذكر قول الباقلانيّ في درجة أحاديث الشّفاعَة، ثمّ قال: "وعند المعتزلة لا شفاعَة لأهل الكبائر..."⁽²⁾، فالمقصود بقوله "عدنا" الأشاعرة، وهو ظاهرٌ من خلال السّياق.

— قوله في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِنَا أَوْ آيَاتِكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: من الآية 24): "وهو معنى قول أصحابنا الأشاعرة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص في ذاته وإمّا زيادته بكثرة الطّاعات"⁽³⁾.

● ومن ترجيحه لآراء الأشاعرة:

— ترجيحه لمذهبهم في باب القدر، حيث قال عند كلامه عن تقدير أفعال العباد في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (443/1).

(2) ينظر: نفسه، (487/1).

(3) نفسه، (193/22).

عَظِيمٌ ﴿٧﴾ (البقرة:7): "فكان مذهب الأشاعرة أسعدَ بالتحقيق، وأجرى على طريق الجمع بين ما طفق به الكتاب والسنة من الأدلة. ولنا فيه تحقيقٌ أعلى من هذا بسطناه في رسالة «القدرة والتقدير» التي لمّا تظهر" (1).

— ترجيحه لمذهب الأشعريّ في صفة الكلام لله تعالى حيث قال: "وقد اصطلح الأشعريّ على تسمية ذلك المدلول كلامًا نفسيًا... وتأويلها بما يوافق كلام الأشعريّ هو التحقيق" (2).

• ومن الاستدلال لرأيهم بما يقويه، ممّا ليس عندهم فيه حجة، أو ضعفت فيه حجّتهم أو تدعيمًا لحجّتهم:

— قوله في قولهم إنّ المعرفة لا تجب إلّا بالشرع، خلافًا للمعتزلة الذين يقولون بأنّ العقل يوجب المعرفة: "ولم أرَ للأشاعرة جوابًا مقنعًا... وأنا أرى أن يكون الجواب بأحد طريقين" وذكرهما. (3)

— وقوله: "وبهذا تكمل نظريّة النقص الذي نقض به الشيخ الأشعريّ على شيخه الجبائيّ أصلهم في وجوب الصّلاح والأصلح (4)، فيكون بحث الأشعريّ نقضًا وكلامنا هذا سندًا وانقلابًا إلى استدلال" (5).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (257/1).

(2) نفسه، (148/25).

(3) ينظر: نفسه، (43-41/6).

(4) الصّلاح والأصلح من مباحث علم الكلام، ذكره الأشعريّ في أقوال المعتزلة في لطف الله تعالى، وذكر اختلافهم فيه: بين أن يفعل الله بعباده ما هو صلاحٌ لهم، أو ما هو الأصلح لهم، ومدى القدرة على الأصلح، وحكم الصّلاح وحكم الأصلح (ينظر: أبو الحسن، عليّ بن إسماعيل الأشعريّ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تح: هلموت ريتز، دار فرانز شتاينر، فيسبادن، ط:3، 1400هـ/1980م، ص:246-250، 573-578). وذكره أبو حامد الغزاليّ في جملة أفعال الله الجائزة، التي لا يوصف شيءٌ منها بالوجوب، وأبطل فيه قول المعتزلة (ينظر: أبو حامد، محمّد الغزاليّ، الاقتصاد في الاعتقاد، تح: إنصاف رمضان، دار قتيبة، دمشق-سوريا، ط:1، 1423هـ/2003م، ص:119، 126-127).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (323/2).

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ ابن عاشور على منهج السّلف في العقيدة على وجه العموم، وأنّ أشعريّته في باب الصّفات فقط⁽¹⁾، وذهب بعضهم إلى أنّه أشعريّ العقيدة على وجه العموم، وقد يخالف مذهبه أحياناً إلى مذهب السّلف أو غيره من المذاهب⁽²⁾، والقول الأخير هو الذي أُرِجِحُه، إلّا في كونه يخالف مذهب الأشاعرة إلى مذهب السّلف.

أمّا كونه على عقيدة الأشاعرة على وجه العموم، فلما سبق بيانه من إعلانه صراحةً انتسابه للأشعريّة، دون تقييد ذلك بباب الصّفات، وللظّاهر ممّا سبق بيانه من تصريحه بأشعريّته ودفاعه عن مذهب الأشاعرة واستدلّاه للمذهب، أنّ ذلك كان في باب الصّفات وغيره من الأبواب: كمسألة بعثة الرّسل، والشّفاة، وزيادة الإيمان ونقصانه، والقدر، والصّلاح والأصلح، والمعرفة... إلخ، خاصّة وأنّ المواضع التي صرّح فيها بانتسابه للأشعريّة لم يكن حديثه فيها عن الصّفات كما هو ظاهر.

ومعنى أنّه على العقيدة الأشعريّة عمومًا وعلى وجه الإجمال: أنّه يخالفها أحياناً في بعض المسائل، فيضعف رأي الأشاعرة تارة ويردّ عليهم تارة أخرى، فيرجّح مذهباً آخر غير الذي ينتسب إليه، وأحياناً أخرى يسعى للتّوفيق بين المذاهب وإنكار الخلاف بينها بدعوى أنّ الخلاف لفظي.

فمن تضعيفه لتأويل الأشاعرة وردّه عليهم:

تضعيفه لمذهب جمهور الأشاعرة وفي مقدّماتهم الجويني إمام الحرمين في تأويل الاستواء على العرش بالعلبة والقهر والاستيلاء، ولمذهب الرّازي بتأويله بالاعتدار، فقال عن مذهب الجمهور:

(1) ينظر: محمّد بن إبراهيم الحمد، التّقرير لتفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور، دار ابن خزيمة، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1433هـ/2012م، (40/1)، عبير التّعيم، قواعد التّرجيح المتعلّقة بالنّصّ عند ابن عاشور في تفسيره، ص: 40.

(2) ينظر: محمّد القرني، الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات، ص: 26-27، علي بن عبد الله بن حمد السّكاكر، مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور جمعاً ودراسةً، رسالة دكتوراه، كليّة القرآن الكريم والدّراسات الإسلاميّة، قسم التّفسير، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، 1431-1432هـ، ص: 32-33، رابع عطّاسي، آليات الاستنباط عند الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور من خلال تفسيره "التّحرير والتّنوير"، رسالة ماجستير، كليّة العلوم الإسلاميّة، قسم: اللّغة والحضارة العربيّة الإسلاميّة، تخصّص: اللّغة والدّراسات القرآنيّة، جامعة الجزائر، 1432هـ/2011م، ص: 42.

"وعندي أنّ معناه ضعيفٌ، إذ لا مناسبة لأن تستعمل غلبة العرش في معنى عظمة الله تعالى..."، وقال عن تأويل الرّازي: "والحقُّ عندي أنّه تأويلٌ ضعيفٌ، إذ لا كبير معنًى للاقتدار هنا"⁽¹⁾.

ومن ترجيحه لمذهبٍ غير مذهب الأشاعرة:

- ترجيحه لبعض تأويلات المعتزلة؛ حيث رجّح مذهب الرّمخشيّ في تأويل الاستواء على العرش بالملك، وإن كان قد خالفه في طريقة الاستدلال عليه بأنّه من باب الاستعارة التمثيليّة، لا من باب الكناية كما هو عند الرّمخشيّ، ويبيّن وجه ذلك⁽²⁾.
- نحوه في صفّي السّمع والبصر منحى المعتزلة، يجعل السّمع والبصر مدرجين تحت صفة العلم، مخالفاً لجمهور الأشاعرة⁽³⁾.

ومن التّوفيق بين المذاهب وإلغاء الخلاف باعتباره خلافاً لفظياً:

في تعريف الشّيء - في تفسير قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾ (الملك: 1)، ذكر ابن عاشور أنّ أصله في اللّغة ما يصحّ أن يُعلم ويُخبر عنه، وقد يطلق على خصوص الموجود بحسب دلالة القرائن والمقامات. ويرى أنّ الخلاف بين الأشاعرة الذين يقولون إنّ الشّيء لا يطلق إلّا على الموجود، والمعتزلة الذين يقولون إنّ المعدوم شيءٌ، خلافٌ لفظيٌّ لا طائل منه، وأنّ الحقّ في المسألة أنّها مبنيّة على الاصطلاح في مسائل علم الكلام لا على تحقيق المعنى في اللّغة⁽⁴⁾.

وأما ترجيحه لمذهب السّلف، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ ابن عاشور يرجّح مذهب السّلف أحياناً⁽⁵⁾، وفي ذلك نظرٌ، ويحتاج إلى بيان؛ فبعد تبّعي للمواضع التي ذكرها وجدت أنّ

(1) ينظر: ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسّنة، ص: 13، ابن عاشور، فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 46-47.

(2) ينظر: ابن عاشور، فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 47-50.

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (344/17)، (48/25)، أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 204، 207.

(4) ينظر: ابن عاشور، نفسه، (11/29).

(5) ينظر: محمّد القرني، الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات، ص: 27، علي السّكاكر، مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور، ص: 33، رابح عطّاسي، آليات الاستنباط عند الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور من خلال تفسيره، ص: 42.

ترجيحه أحياناً لمذهب السّلف كان فيما وافقهم فيه الأشاعرة، لا فيما خالفهم فيه؛ فيرجّح مذهبهم على بقيّة المذاهب، ولم أقف له على موضع يرجّح فيه مذهب السّلف على تأويل الأشاعرة.

ومن أمثلة ذلك:

- ترجيحه مذهب جمهور السّلف بأنّ الجنّة التي أسكنها آدم وزوجه هي جنّة الخلد التي وعد الله المؤمنين والمصدّقين رُسُلَه، خلافاً لمذهب المعتزلة - عدا الجبائيّ - القائلين بأنّها جنّة في الأرض. وهذه المسألة ممّا وافق فيها الأشاعرة جمهور السّلف، حيث قال ابن عاشور بعد أن ذكر مذهب جمهور السّلف: "وهذا الذي تقلّده أهل السّنة من علماء الكلام"، ويعني بذلك الأشاعرة.(1)
- ترجيحه مذهب السّلف في إثبات رؤية أهل الجنّة لربّهم على مذهب المعتزلة القاطع بالنّفي، حيث قال: "وهذا معنى قول سلفنا: أنّها رؤية بلا كيف، وهي كلمة حقّ جامعة، وإن اشتهر منها المعتزلة"(2). وهذه المسألة ممّا وافق فيها الأشاعرة السّلف حيث قال: "فالسّلف أثبتوها... والمعتزلة نفوها... والأشاعرة أثبتوها وراموا الاستدلال لها بأدلة تفيد القطع وتبطل قول المعتزلة، ولكنّهم لم يبلغوا من ذلك المبلغ المطلوب"(3).
- ترجيحه مذهب السّلف على مذهب الخوارج والمعتزلة بعدم تكفير مرتكب الكبيرة(4)، وهي كذلك من المسائل التي وافق فيها الأشاعرة السّلف، وخالفوا فيها الخوارج والمعتزلة(5).
- ترجيحه طريقة السّلف في عدم ذكر التّسليم على عليّ وفاطمة وآلهما استقلالاً، خلافاً لمذهب الشّيعة الذين يقصدون بذلك الغضّ من الخلفاء والصّحابة، وأنّ أهل السّنة استقرّ أمرهم على هذا الأمر(6). ويعني بأهل السّنة هنا الأشاعرة بعد الأشعريّ؛ لأنّه فرّق هنا بين السّلف وأهل السّنة.

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (430/1).

(2) نفسه، (355/29).

(3) نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (375/1)، (211/6).

(5) عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة، دار الرّشيد، القاهرة، ط:1، 1413هـ/1993م، ص:54.

(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (103/22).

فابن عاشور تارةً يعبر عن المذهب الذي يريّجه والذي يتفق فيه الأشاعرة والسلف بمذهب أهل السنة؛ فمصطلح أهل السنة -عنده- يعمّ السلف قبل الأشعريّ والأشاعرة بعده، حيث قال: "وأما جمهور المسلمين، وهم أهل السنة من الصحابة فمن بعدهم"⁽¹⁾؛ فالسلف عنده من أهل السنة، وهم من كان قبل الأشعريّ، حيث قال في موضع آخر: "ومنهم أهل السنة الذين كانوا قبل الأشعريّ مثل المالكيّة وأهل الحديث"⁽²⁾، وقال: "والباقليّ والحليّ من أهل السنة"⁽³⁾، وهم أشاعرة، وقال: "ونحن أهل السنة لا نعتقد الخلود في النار لغير الكافر"⁽⁴⁾، وهو من الأشاعرة. فأهل السنة عنده -بناءً على ما سبق ذكره- يشمل السلف والأشاعرة، وسياق الكلام هو ما يميّز به المقصود.

ومما رجّحه من مذهب السلف تحت عنوان أهل السنة باعتبار موافقة الأشاعرة لهم: إمكان رؤية الله⁽⁵⁾ وإثباتها في الآخرة⁽⁶⁾، وعدم خلود المعدّبين من أهل المعاصي والكبائر في النار⁽⁷⁾ وغيرها من المسائل.

ومن خلال ما سبق يتضح ويتأكد أنّ ابن عاشور على مذهب الأشاعرة إجمالاً، وقد يخالفهم أحياناً في بعض المسائل، وتوجّهه هذا ناتج عن تأثره بظروف عصره (بيئته) كما سبق ذكره.

الفرع الثاني: مذهبه الفقهيّ

ابن عاشور فقيه مالكيّ المذهب، علّم من أعلامه، محقّق مجتهد مجدّد، وقد صرح بمذهبه في مواضع كثيرة، ففي مقدّمة كتابه «آراء اجتهاديّة» -على سبيل المثال- قال: "ولمّا نشأت النشأة الدينيّة أتبع مذهب إمام دار الهجرة مالك ابن أنس"⁽⁸⁾، وقد سبق ذكر المناصب التي تقلّدها في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (211/6).

(2) نفسه، (355/29).

(3) نفسه، (60/6).

(4) نفسه، (182/30).

(5) ينظر: نفسه، (91/9).

(6) ينظر: نفسه، (415/7).

(7) ينظر: نفسه، (182/30).

(8) نقلاً عن: عبير التّعيم، قواعد التّرجيح المتعلّقة بالنّصّ عند ابن عاشور في تفسيره، ص: 38.

سُلم وظائف الإفتاء المالكيّ (مفتي مالكيّ، باش مفتي مالكيّ، شيخ الإسلام المالكيّ)، وكان يصرّح بانتسابه للمذهب في فتاويه التي يصدرها انطلاقاً من وظيفته، فأحياناً يَحْتَمُّها بقوله: "أفتيت بذلك، وأنا محمّد الطّاهر ابن عاشور شيخ الإسلام المالكيّ لطف الله به"، وأحياناً بقوله: "حرّره محمّد الطّاهر ابن عاشور شيخ الإسلام المالكيّ"، وغيرها من العبارات المقاربة⁽¹⁾، وكان إذا أراد حكاية قول عالمٍ من علماء المالكيّة كثيراً ما يقول: "علمائنا"، "أصحابنا"، وإذا أراد الاستدلال لرأي المالكيّة يقول: "لنا"، أي: معشر المالكيّة.⁽²⁾

وقد أسهمت عدّة عوامل ليكون كذلك، منها:

1- البيئة التّونسيّة:

وهي التي ينتشر فيها العمل بالمذهب المالكيّ منذ القرن الثّالث الهجريّ⁽³⁾، فابن عاشور نشأ في هذه البيئة، وهنا يظهر أثر عصره في تمذهبه.

2- الانتماء الأسريّ:

حيث إنّه ينتمي إلى أسرة آل عاشور، المشتهرة بإقبال أبنائها على العلم، وتولّيهم للمناصب الشّرعيّة بين فقهاء المالكيّة⁽⁴⁾.

3- التّكوين العلميّ:

حيث تلقّى ابن عاشور تكويناً علمياً ليكون واحداً من أعلام المالكيّة؛ فقد حُقِّظ في الصّغر قبل أن يلتحق بالزّيّتونة متن ابن عاشور، وهو في الفقه المالكيّ، واستمرّ تكوينه على المذهب المالكيّ في جامع الزّيّتونة؛ حيث درس أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للدردير، وميّارة على المرشد⁽⁵⁾، وكفاية الطّالب على الرّسالة، والتّأوديّ على التّحفة⁽⁶⁾، وكتاب الدّرة في الفرائض للأخضريّ، وكلّها كتبٌ في الفقه المالكيّ. ودرس في أصول الفقه التّنقيح

(1) ينظر: ابن عاشور، فتاوى الشيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 203، 204، 205 ...

(2) ينظر: عبد الفتّاح بن اليمانيّ الزّويني، مدخلٌ إلى العقل الأصوليّ للإمام الطّاهر بن عاشور، المطبعة والوراقة الوطنيّة، مراكش، ط: الجزء الثّاني 2013م، ص: 38.

(3) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 140.

(4) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزّيّتونة، ص: 11.

(5) هو شرح مياره الفاسيّ على كتاب «المرشد المعين على الضّروريّ من علوم الدّين» لابن عاشور الأندلسيّ.

(6) شرح التّأوديّ على «تحفة الحكّام» لابن عاصم المالكيّ الذي عنوانه: «حليّ المعاصم لبنت فكر ابن عاصم».

للقرائني، ليستمرّ في الطّلب على المذهب المالكيّ في المرحلة العالية، حيث حضر صحبة صديقه محمّد الخضر حسين درس الشّيخ سالم لكتاب الموطأ، وقرأ عليه أجزاء بشرح الزُّرقانيّ قراءة تحقيقيّ.

وأشرف على تكوينه جمع من أعلام ومشايخ الزيتونة المالكيّة على غرار: سالم بوحاجب، كبير أهل الشُّورى للمذهب المالكيّ، وعمر بن أحمد المعروف بابن الشّيخ المفتي المالكيّ بتونس (1).

4- الكتب التي درّسها في الفقه وأصوله:

أُسند إلى ابن عاشور، في مشواره التّدرسيّ في الجامع الأعظم والمدرسة الصّادقيّة، تدريس مجموعة من كتب الفقه المالكيّ وأصوله، وهو ما أسهم في تكوينه أكثر على المذهب. وقد أبرز بعض دروسه في الجامع كُتُبًا مؤلّفة؛ لَمَّا رآها مناسبة لأن تظهر كذلك، ومن تلك الكتب التي درّسها: موطأ الإمام مالك؛ درّسه من الجانب الحديثيّ ومن الجانب الفقهيّ (2)، وكتاب «شرح تنقيح الفصول»، في أصول الفقه، للقرائنيّ المالكيّ؛ فألّف حاشيةً على شرح تنقيح الفصول في الأصول سمّاها «التّوضيح والتّصحيح لمشكلات كتاب التّنقيح» (3)، وألّف: «كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ»، ضمّنه تعليقاتٍ على أغلب أبواب الموطأ، وتوضيحاتٍ وشروحٍ وبيانٍ مواطنٍ فيها إشكالٌ أو إبهامٌ، وفصلٍ نزاعٍ بين الشُّراح وترجيحاتٍ وتحقيقاتٍ فقهيةٍ نفيسةٍ، خدم بها فقه الإمام مالك (4)؛ فأصله تدريسه للموطأ في جامع الزيتونة، مع ما كان يعرض له من نكتٍ وتحقيقاتٍ عند روايته ومطالعتة له (5).

لقد كان ابن عاشور ملتزمًا بالمذهب المالكيّ مقيّدًا به باعتبار منصبه مفتيًا ثمّ شيخًا للمالكيّة، مكثّرًا من الرُّجوع إلى الكتب المعتمدة فيه في فتاوى العبادات، فكان في فتاويه يعتمد

(1) ذكر ابن عاشور بعض شيوخه في إجازة له لأحد تلامذته المغاربة (ينظر: إسماعيل الحسني، نظريّة المقاصد عند الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور، ص: 81).

(2) ينظر: محمّد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص: 156، ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر ابن عاشور، ص: 366.

(3) ينظر: ابن عاشور، حاشية التّوضيح والتّصحيح لمشكلات كتاب التّنقيح، (3/1).

(4) ينظر: ابن عاشور، كشف المغطّى، مقدّمة المحقّق، ص: 13.

(5) ينظر: نفسه، ص: 17.

النّصّ الشّرعيّ أوّلاً، ثمّ يعقبه برأي إمام مذهبه وتلامذته وكبار فقهاء المذهب، المتقدّمين منهم والمتأخّرين؛ كابن القاسم، وأبي بكر ابن العربيّ، وابن عبد البرّ وغيرهم⁽¹⁾، وقد جمع محمّد بن إبراهيم بوزغيبية لابن عاشور (113) فتوى، منها (93) افتى بها لمّا تقلّد مناصب شرعيّة مالكيّة (مفتي مالكيّ، باش مفتي مالكيّ، شيخ الإسلام المالكيّ)، منها (91) فتوى في أبواب الفقه المختلفة⁽²⁾، وأمّا تفسيره «التّحرير والتّنوير»، فهو طافحٌ بذكر أمّهات كتب الفقه المالكيّ، وأقوال أئمة المذهب في مختلف المباحث الفقهية⁽³⁾.

إلا أنّ كون ابن عاشور من أعلام المالكيّة، لا يعني أنّه يتعصّب للمذهب إنّ وجد الحقّ في غيره، فهو يعتمد المنهج المقارن في الفقه⁽⁴⁾، وقد قال في مقدّمة كتابه «آراء اجتهادية»: "ولمّا نشأت النّشأة الدّينيّة، أتبع مذهب إمام دار الهجرة مالك ابن أنس، وتلقّيت علوم الشريعة في سنة: 1309هـ، وتدرّجت بها وحذقتها، ثمّ درّست أصول الفقه، وزاولت كتب السنّة، وتوسّعت في علم الخلاف بين العلماء، وأقرأت كتباً جمّة من الفقه والأصول والحديث، وجالست العلماء وجادلتهم، وذاكرت وجادلت"، ثمّ استطرّد في بيان المذاهب والترجيح بينها، وأخبر بأنّ باب الاجتهاد مفتوح، ولا يجوز للعالم التّعبد بالتقليد، بل لابدّ من النّظر في الرّاجح والمرجوح، والأخذ بالصّواب والصّحيح⁽⁵⁾.

ففي مراحل تكوينه العلميّ قرأ «الحطّاب على الورقات»⁽⁶⁾، و«شرح المحلّي على جمع الجوامع» للسّبكي، وكلاهما في أصول الفقه عند الشّافعيّة، وحضر لسالم بوحاجب درس البخاريّ بشرح شهاب الدّين القسطلانيّ، وتتلّمذ على بعض الشيوخ من غير المذهب، منهم كبير أهل

(1) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 149، ابن عاشور، فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور، القسم الأوّل من

الكتاب وهو للجامع المحقّق، ص: 20، عبد الفتّاح الزّويبيّ، مدخلٌ إلى العقل الأصوليّ للإمام الطّاهر بن عاشور، ص: 37.

(2) ينظر: ابن عاشور، نفسه، القسم الأوّل من الكتاب وهو للجامع المحقّق، ص: 17-19.

(3) ينظر: رابح عطّاسي، آليات الاستنباط عند الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور من خلال تفسيره، ص: 42.

(4) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 149.

(5) نقلاً عن: عبير النّعيم، قواعد التّرجيح المتعلقة بالنّصّ عند ابن عاشور في تفسيره، ص: 38-39.

(6) عنوان الكتاب: قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين.

الشورى للمذهب الحنفي بتونس شيخ الإسلام محمود ابن الخوجة⁽¹⁾، ولما كان مدرّساً درّس «شرح المحلّي لجمع الجوامع»⁽²⁾.

وفي التّأليف له:

- «التّظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح»، وهو تقييدٌ لمجموعةٍ من تعليقاته على الكثير من المواضع التي استوقفته في «الجامع الصّحيح» (صحيح البخاري) التي تجاوزها شراح الصّحيح، أو أنّهم لم يشفوا فيها غليلاً⁽³⁾، سواءً أكانت فقهيةً أم حديثيةً أم غير ذلك.
- «مقاصد الشريعة الإسلامية» تناول فيه المقاصد تأصيلاً وتفصيلاً، لتكون دليل المتفقيين في الدين، وحكماً بين الفقهاء عند الاختلاف، ووسيلةً للتقليل منه ونبد التّعصّب⁽⁴⁾.

ومّا يشهد له بعدم التّعصّب للمذهب، أنّه يردُّ أحياناً بعض أقوال مالك ويرجح غير مذهبه⁽⁵⁾، ومن أمثلة ذلك:

- ردّ قول مالك بعدم جواز أكل صيد الكتابي⁽⁶⁾، وبنجاسة عين الخمر⁽⁷⁾.
- ترجيحه مذهب أبي حنيفة في طهارة جلد الميتة إذا دبغ ما عدا جلد الخنزير⁽⁸⁾.
- ترجيحه رأي الشافعي في عدم وجوب النوافل بعد الشروع فيها⁽⁹⁾.

وكان يجوز لنفسه الخروج عن المذهب على ما تقتضيه المقاصد والمصالح المرسلّة⁽¹⁰⁾، وإنّ الحوادث المستجدّة الكثيرة اقتضت ظهور عالمٍ مجتهدٍ في تنزيل الأحكام الشرعيّة عليها، وقد اجتهد ابن عاشور محدثاً قولاً جديداً بإفتائه للمسافر بالطائرة بأن يحرم من جدّة، لكي يثبت مواكبة

(1) ذكره ابن عاشور في إجازته لأحد تلامذته المغاربة (ينظر: إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ص: 81).

(2) ينظر: محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص: 156.

(3) ينظر: ابن عاشور، التّظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصّحيح، ص: 3.

(4) ينظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: الميساوي، مقدّمة التّحقيق، ص: 81.

(5) ينظر: أبو حسان، تفسير ابن عاشور التّحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، ص: 236-241.

(6) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتنوير، (118/6).

(7) ينظر: نفسه، (26-25/7).

(8) نفسه، (116/2).

(9) ينظر: نفسه، (129-128/26).

(10) ينظر: ابن عاشور، فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، القسم الأوّل من الكتاب وهو للجامع المحقق، ص: 21.

الشريعة المطهّرة لسنة التطوّر⁽¹⁾، وأفتى في مسائل أخرى مستجدّة؛ كمسألة ثبوت رمضان بواسطة خبر المذيع، ومسألة زكاة الأوراق الماليّة، وبعض المعاملات المصرفيّة، ومسألة تعويض الزكاة في الحيوان والفلاحة بالضرائب.⁽²⁾

وله كتابان مخطوطان: «الفتاوى»، و«آراء اجتهاديّة»، أمّا الأوّل فقد حوى تقييداتٍ على جملةٍ من النوازل الشرعيّة التي عُني بتحريرها أيّام تولّيه القضاء ومدّة رئاسته للمجلس الشرعيّ، وأمّا الثاني فضمّنه مجموعةً من الفتاوى في موضوعاتٍ مختلفة⁽³⁾.

ومن خلال ما سبق يمكن القول عن ابن عاشور: العالم الفقيه المالكيّ المحقّق المجتهد المجدّد، وقد قال عنه الغالي: "مالكيّ المذهب"، وقال: "يعتبر ابن عاشور من كبار المجتهدين في الفتوى، فهو مستقلُّ الرأْي أحياناً، نافذٌ لآراء الفقهاء، محقّقٌ من كبار المحقّقين لمختلف المسائل العلميّة، معرضٌ عن التقليد"⁽⁴⁾.

وقال عنه البشير الإبراهيمي: "علمٌ من الأعلام... مستقلٌّ في الاستدلال... وتخرّجت عليه طبقاتٌ ممتازةٌ في التحقيق العلميّ، وتفرد بالتوسّع والتّجديد لفروع من العلم ضيقها المنهاج الزيتونيّ، وأبلاها الرّكودُ الذهنيّ، وأنزلتها الاعتبارات التّقليديّة دون منزلتها بمراحل: فأفاض عليها هذا الإمام من روحه وأسلوبه حياةً وجدةً..."⁽⁵⁾، وقال أيضاً: "وإنّ ذلك الإمام المدرّب الفقيه المجتهد الجامع لشروط الإمامة في هذا الباب هو الأستاذ الأكبر الشّيخ محمّد الطاهر بن عاشور"⁽⁶⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور، القسم الأوّل من الكتاب وهو للجامع المحقّق، ص: 21.

(2) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 150.

(3) ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، (308/3، 309)، إياد خالد الطّباع، محمّد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتّفسير وعلومه، ص: 112، 114.

(4) الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 149.

(5) محمّد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأئمة، برج الكيفان، الجزائر، (د ط ت)، ص: 628.

(6) نفسه، ص: 632.

الفرع الثالث: مواقفه السياسيّة

لقد كان لابن عاشور مواقف سياسيّة تُحسب له؛ ضدّ المستعمر الفرنسيّ، وضدّ الحزب الدّستوريّ الحاكم - بزعمامة بورقيبة- بعد الاستقلال، ومن تلك المواقف:

- وقوفه في وجه المستعمر في قضيةّ التّجنّس، وذلك عندما سعى المستعمر إلى استصدار فتوى من المجلس الشّرعيّ المالكيّ تُهَوِّن من شأن التّجنّس، وأنّ المسلم يبقى مسلماً بكامل الحقوق بعد التّجنّس. إلّا أنّ جواب المجلس الشّرعيّ الذي كان تحت رئاسة ابن عاشور في ذلك الوقت (1933م) لم يكن عند تطلّعات المستعمر، ما جعل المقيم الفرنسيّ يصرّح باستحالة نشر نصّ الفتوى⁽¹⁾.

- محاربته سياسة المستعمر الخبيثة في محاولة طمس الهوية العربيّة والإسلاميّة للبلاد التّونسيّة واستبدالها بنظيرتها الأوروبيّة، من خلال منهج الجهاد الذي اختاره، القائم على الإصلاح التّربويّ والاجتماعيّ الذي أخذه عن محمّد عبده.⁽²⁾

- كما وقف مرّاتٍ عديدةٍ ضدّ سياسة بورقيبة في عهد الاستقلال؛ فلمّا دعا الرّئيس، في سنة: 1961م، الشّعب التّونسيّ إلى الإفطار في شهر رمضان، بدعوى أنّه سبّب في قلّة الإنتاج، طلب من ابن عاشور أن يُفتي في الإذاعة وفق ذلك، فما كان من ابن عاشور إلّا أن يُفتي بما جاء في شرع الله لا برأي بورقيبة.⁽³⁾

فيتبيّن ممّا سبق، أنّ مسaire ابن عاشور لواقع عصره عقيدةً وشريعةً لا يلزم منه مسaire السّياسة السّائدة، وخاصّةً إن كانت مخالفةً للشرع، من العدو الخارجيّ أو الدّاخليّ.

(1) ينظر: الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 139-141.

(2) ينظر: نفسه، ص: 51.

(3) ينظر: نفسه، ص: 146.

المبحث الرابع: التعريف بتفسير «التحرير والتنوير» ومنهج ابن عاشور فيه

بعد التعريف في المباحث السابقة بابن عاشور وبعضه، يأتي هذا المبحث بمطلبه للتعريف بتفسير «التحرير والتنوير» ولبیان منهج ابن عاشور فيه.

المطلب الأوّل: التعريف بتفسير «التحرير والتنوير»

مهّد ابن عاشور لتفسيره بتمهيدٍ عرّف فيه بكتابه، وذكر قصّة تأليفه، والصّعوبات التي واجهها، وبيّن فيه دوافع تأليفه في التفسير والغرض منه، كما قدّم لتفسيره بمقدّماتٍ تضمّنت عرضاً وتلخيصاً لمباحث متعلّقة بعلم التفسير وما يتّصل به من علوم القرآن، مع ذكر آرائه فيها، تفيد الباحث في التفسير وتختصر له الطّريق، ومن خلال ما ذكره عن كتابه يأتي التعريف به في الفروع التالية.

الفرع الأوّل: عنوان الكتاب

سمّى ابن عاشور تفسيره: «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد»، واختصر هذا الاسم باسم «التحرير والتنوير من التفسير»⁽¹⁾، ثمّ اشتهر به: «تفسير التحرير والتنوير» لأنّه طبع بهذا العنوان.

ومعناه: تحرير المعاني وتخليصها من شوائب الغموض والإبهام، وتنوير العقول الجديدة، أي المعاصرة، فهي مهما تطوّرت ومهما تفتّنت وتخصّرت، لن تسلم من الضلال إذا عرضت عن القرآن، لذلك كان آخر عنوانه: "من تفسير الكتاب المجيد"؛ أي أنّ سعيه في إظهار القول الأصوب من بين الأقوال المحتملة والمطروحة، وسعيه في تنوير العقول المعاصرة، كلّ ذلك مستمدّ من القرآن المجيد، ذي النّهاية في الكرم والفضل، من خلال الوقوف على تفسيره⁽²⁾. في حين يرى جمال أبو حسان أنّه يريد بالتحرير تحرير المسائل المطروقة فيه⁽³⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8/1-9).

(2) ينظر: حميد عنبري، مدخل لدراسة منهج الطاهر بن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير»، ص: 317-319.

(3) أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، ص: 254.

الفرع الثّاني: تأليف الكتاب ونشره

يكشف هذا الفرع عن قصّة تأليف ابن عاشور لتفسيره؛ بدءًا من دوافع التّأليف، ومرورًا بالأهداف والصّعوبات، وانتهاءً بالطّباعة والنّشر.

أ- دوافع تأليفه:

أشار ابن عاشور إلى أنّ الذي حرّك همّته لولوج ميدان التّفسير هو مضمون القرآن الكريم؛ إذ فيه الإرشاد لمصالح الإنسان الدّينيّة والدّنيويّة، وبيان الحقّ، وأنّه الحاوي لكليّات العلوم ومعاهد استنباطها، وأنّه أصل البلاغة.⁽¹⁾

ب- أهداف تأليفه:

إنّ اشتغال ابن عاشور بالقرآن تدبّرًا ومطالعةً لكلام المفسّرين جعله يقف على نُكتٍ علميّة وكليّاتٍ تشريعيّة وتفصيل أخلاقيّة؛ فكان بيانها لطلبة العلم من أهداف تأليف تفسيره، ويقف على الاختلاف بين طوائف المفسّرين في بيان معاني ألفاظ وآيات القرآن الكريم، فأراد أن يقف موقف الحكم بينهم، ويبيّن الصّواب من القول.⁽²⁾

ج- تأليف الكتاب والصّعوبات التي واجهها:

لقد كان التّأليف في التّفسير أمنيّةً قديمةً لابن عاشور، صرفه عن المضىّ في تجسيدها مجموعة من الصّوارف التي تعترض كلّ مقبلٍ على مثل ما أقبل عليه؛ من الخوف من الزّلل أو الكلال، ومن التّسويف والتّأجيل والترّدّد، ومن الاشتغال بالوظيفة، إلى أن تقلّد خطّة الفتيا في: 26 رجب 1341 هـ، فصار اليأس في الأمنية رجاءً والترّدّد همّةً وعزمًا، فاستعان بالله واستخاره، وأقدم على مشروعه الكبير: التّأليف في التّفسير⁽³⁾، وممّا أعانته على تأليفه أنّه أسند إليه تفسير القرآن الكريم بالجامع الأعظم - جامع الزيتونة - في شوال عام: 1341 هـ⁽⁴⁾.

أنهى ابن عاشور تأليف تفسيره «التّحرير والتّنوير» عصر يوم الجمعة: 12 رجب 1380 هـ، بمنزله ببلد المرسى، قال ابن عاشور: "فكانت مدّة تأليفه تسعًا وثلاثين سنةً وستّة

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (5/1).

(2) ينظر: نفسه، (5/1، 7).

(3) ينظر: نفسه، (5/1-6).

(4) ينظر: محمّد الطّاهر ابن عاشور، دروس التّفسير، المجلّة الزّيتونيّة، مج: 1، ج: 1، رجب 1355 هـ/سبتمبر 1936 م، توظيفة المجلّة لدروس التّفسير لابن عاشور، ص: 14.

أشهر⁽¹⁾. وبالنظر إلى التاريخ الذي ذكر أنه أقدم فيه على تأليف تفسيره وتاريخ انتهائه منه، تكون مدة التأليف: تسعة وثلاثين عامًا بالتاريخ الهجري، وهي بالتقويم النصراني أقلّ منها؛ فرمّا كان قد شرع في تفسيره قبل التاريخ المذكور؛ حيث كان بين إقدام وإحجام، يكتب تارةً ويتوقّف أخرى، وكان التاريخ المذكور علامة الإقدام وذهاب التردّد، فلا يتوقّف عن الكتابة تردّدًا في التأليف، وإنما بسبب الشواغل المختلفة، مع العزم على الإتمام ما تفرّغ منها.

د- طبع الكتاب ونشره:

بدأ ابن عاشور بنشر كتابه على شكل مقالات في المجلة الزيتونية⁽²⁾، استجابةً لطلب من هيئة المجلة، اقترحت فيه نشر دروسه في التفسير في فاتحة باب القرآن الكريم من المجلة، فكان أوّل نشر في العدد الأوّل، في: رجب 1355هـ/سبتمبر 1936م، حيث نُشرت ديباجة تفسيره مع المقدّمة الأولى، ثمّ تتابعت المقدّمات في الأجزاء الموالية، وهي مجلّة شهرية⁽³⁾. ثمّ طُبعت مقدّمته في تونس في سنة: 1370هـ/1951م⁽⁴⁾، ثمّ أعيد طبع مقدّمته مع تفسير سورة الفاتحة وجزء عمّ بدار الكتب الشّرقية بتونس في عام: 1376هـ/1956م⁽⁵⁾، ثمّ تتابع طبع أجزاءه في تونس وبعضها في مصر، إلى أن تمّ طبعه كاملاً في ثلاثين جزءاً⁽⁶⁾.

(1) ابن عاشور، التحريم والتنوير، (637-636/30).

(2) ينظر: ابن عاشور، دروس التفسير، المجلة الزيتونية، مج:1، ج:1، توطئة المجلة لدروس التفسير لابن عاشور، ص:14، الغالي،

شيخ الجامع الأعظم، ص:75، عبير النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره، ص:53.

(3) ينظر: ابن عاشور، نفسه.

(4) ينظر: إياد خالد الطّباع، محمّد الطّاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، ص:104.

(5) ينظر: إبراهيم علي الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير «التحريم والتنوير»، رسالة دكتوراه في

البلاغة، كليّة اللّغة العربيّة، قسم البلاغة والنّقد، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1419هـ/1999م، ص:11، رابح

عطّاسي، آليات الاستنباط عند الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور من خلال تفسيره، ص:48، عبير النعيم، قواعد الترجيح

المتعلّقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره، ص:53.

(6) ينظر: نبيل أحمد صقر، منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التفسير "التحريم والتنوير"، الدّار المصريّة للنشر والتّوزيع، ط:1،

1422هـ/2001م، ص:12، إياد خالد الطّباع، محمّد الطّاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه،

ص:104، ممدوح بن تركي القحطاني، المناسبات وأثرها في تفسير "التحريم والتنوير" للطّاهر ابن عاشور، من أوّل سورة ق

إلى آخر سورة النّاس، ص:85، رابح عطّاسي، نفسه، عبير النعيم، نفسه.

ومن طبعاته الكاملة:

- طبعة الدّار التّونسيّة للنّشر - تونس: في خمسة عشر مجلّدًا، في إصداراتٍ عديدةٍ وهي:
 - طبعة سنة: 1390هـ/1970م. (1)
 - طبعة سنة: 1984م. وهي المعتمدة في هذه الأطروحة.
 - طبعة سنة: 1984م. بالاشتراك مع المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر.
 - طبعةً بالاشتراك مع الدّار الجماهيرية للنّشر والتّوزيع والإعلان: طرابلس - ليبيا. (2)
- طبعة الشركة التّونسيّة للتوزيع بتونس 1974م. (3)
- طبعة دار سحنون للنّشر والتّوزيع - تونس: سنة: 1417هـ/1997م، في ثلاثين مجلّدًا، لكلّ جزءٍ من القرآن مجلّدٌ خاصٌّ به (4)، وطبعةٌ أخرى في خمسة عشر مجلّدًا (5)، وفي طبعة أخرى في اثني عشر مجلّدًا (6).
- طبعة مؤسّسة التّاريخ العربيّ بيروت - لبنان: 1420هـ/2000م، في ثلاثين مجلّدًا. (7)
- طبعة دار إحياء التّراث العربيّ بيروت: مصوّرةٌ عن الطّبعة التّونسيّة.
- طبعة دار الكتب الوطنيّة: المجمع الثّقافي، أبو ظبي. (8)

-
- (1) الصّيف نظور، تفردات الطّاهر بن عاشور في تحريه عن الرّمحسريّ في كشّافه وابن عطية في محرّره والبيضاويّ في أنواره (دراسة مقارنةً تفويميّةً)، رسالة دكتوراه في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّراسات الإسلاميّة (أصول الدّين)، قسم التّفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، إسلام آباد - باكستان، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص: 35.
- (2) ينظر: نبيل صقر، منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير، ص: 12.
- (3) رابع عطّاسي، آليات الاستنباط عند الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور من خلال تفسيره، ص: 48.
- (4) الصّيف نظور، تفردات الطّاهر بن عاشور في تحريه، ص: 35.
- (5) ينظر: محمّد الحمد، التّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير، (36/1).
- (6) ينظر: ممدوح بن تركي القحطانيّ، المناسبات وأثرها في تفسير "التّحرير والتّنوير" للطّاهر ابن عاشور، من أوّل سورة ق إلى آخر سورة النّاس، ص: 85، أيمن بن غازي بن حسين صابر، الاستنباطات عند العلامة محمّد الطّاهر ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير جمعًا ودراسةً، رسالة ماجستير، تخصّص التّفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسّنّة، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1435هـ/2014م، ص: 68.
- (7) الصّيف نظور، تفردات الطّاهر بن عاشور في تحريه، ص: 35، أيمن بن غازي، نفسه، ص: 68.
- (8) عبد القادر موقّق، التّأويل التّحويّ بين الخرق والمعباريّة في تفسير التّحرير والتّنوير للشيخ محمّد الطّاهر بن عاشور، رسالة دكتوراه في اللّغة، كليّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة والأدب العربيّ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص: 12.

الفرع الثالث: تصنيف تفسير «التحرير والتنوير»

انطلاقاً من اهتمام ابن عاشور بألفاظ القرآن الكريم، حيث قال: "واهتمت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربيّة بضبطٍ وتحقيقٍ ممّا خلت عن ضبط كثيرٍ منه قواميس اللُّغة"⁽¹⁾، وكان من تعامله معها: بيان اشتقاقها، ومعانيها، والتدريج في استعمالها عبر الأزمنة، وإعرابها، وتوضيح بعض المسائل النحويّة المتعلّقة بها⁽²⁾، وانطلاقاً من اهتمامه بفنّ دقائق البلاغة ونكتها، حيث قال: "ولكنّ فنّاً من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آيةً من آيات القرآن، وهو فنّ دقائق البلاغة، هو الذي لم يخصّه أحدٌ من المفسّرين بكتابٍ كما خصّوا الأفاين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبية على ما يلوح لي من هذا الفرع العظيم في آيةٍ من آي القرآن كلّما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبّر"، وقال: "وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربيّة وأساليب الاستعمال"⁽³⁾؛ فإنّه يمكن اعتبار تفسير ابن عاشور تفسيراً لغويّاً بلاغيّاً⁽⁴⁾، وقد اعتبر ابن عاشور فهم دلالة القرآن اللُّغويّة والبلاغيّة سبيل تبيان معانيه وما اشتمل عليه من إرشادٍ وهديٍّ وآدابٍ، وإصلاح حال الأمة في جماعتها وفي معاملتها مع الأمم التي تخالطها⁽⁵⁾.

ومن تحدّث عن تصنيف تفسير ابن عاشور حميد عنبوري حيث قال: "وقد حاولت أن أصنّفه في مدرسةٍ بعينها فعجزت، فلك أن تصنّفه في المدرسة اللُّغويّة ولا عليك كأبي حيّان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8/1).

(2) ينظر: أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 143-144.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8/1).

(4) من عدّه كذلك: جمال أبو حسان (أبو حسان)، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 257، 260، ومحمّد بن رزق (محمّد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، طبع ضمن: رسائل جامعيّة (43)، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1426هـ، (738/2)، وعبد القادر موفق (عبد القادر موفق، التّأويل النّحويّ بين الحرق والمعباريّة في تفسير التحرير والتنوير، ص: 14). ومن عدّه من التّفاسير البلاغيّة: بلقاسم الغالي (الغالي، شيخ الجامع الأعظم، ص: 81)، ومحمّد نعمان (محمّد نعمان حسن، الاتّجاه اللُّغويّ في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، مجلّة القسم العربيّ، مجلّة علميّة محكّمة تصدر من قسم اللُّغة العربيّة، جامعة بنجاب، لاهور-باكستان، ع: 21، 2014م، ص: 54)، وبخولة (بن الدّين بخولة، الإسهامات النّصّيّة في الثّراث العربيّ، رسالة دكتوراه علوم في اللّسانيّات النّصّيّة تخصّص: معجميّات، كليّة: الآداب واللّغات، قسم: اللُّغة العربيّة وآدابها، جامعة وهران 1- أحمد بن بلّة، الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة، 2015-2016م، ص: 183).

(5) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (70/1).

(ت: 745هـ) صاحب «البحر المحيط»، ولك أن تحشره في المدرسة الفقهيّة كالإمام القرطبيّ (ت: 671هـ) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» وتكون قد أحسنت صنيعاً، ولك أن تجعله ضمن المدرسة البلاغيّة أو الإعجازيّة كالإمام الرّمحشيريّ (ت: 583هـ) في تفسيره «الكشاف» ولن تجد من يخالفك، وهذه المدرسة فرغ عن المدرسة اللغويّة، كما لك أن تجعله صاحب مدرسة قائمة بذاتها، وتطلق عليها بكلّ ارتياح المدرسة المقاصديّة في التفسير وتجد من يساندك. والمقاصد وإن كانت في الواقع يجب أن تطبع كلّ التفسير باعتبارها الهدف وراء كلّ نصّ، وقد مارسها نخبة طيبة من المفسّرين وخاصّة المعاصرين منهم، إلا أنّها كانت بالتحرير والتنوير الصق، وكان توظيفها من صاحب التحرير أحذق، وذلك لكون الطاهر بن عاشور يُعدّ أوّل إمام أفرد لعلم المقاصد كتاباً...⁽¹⁾، وكلام الأستاذ هنا وجية إلى حدّ بعيد.

الفرع الرابع: مكانة تفسير «التحرير والتنوير» وأهمّ مميّزاته

يُعتبر تفسير «التحرير والتنوير» أوّل تفسير كامل مدوّن على نمط التفسير التحليليّ في إفريقيّة على مرّ التاريخ⁽²⁾، وقد نال من ثناء العلماء والأساتذة الباحثين ما يبرز رفعة مكانته بين كتب التفسير؛ فيراه عبد الغفّار عبد الرّحيم جامعاً لخلاصة آراء السّابقين، وزبدة أفكار المعاصرين في أسلوب أدبيّ رفيع، وتقسيم علميّ بديع⁽³⁾. وقال ابن عاشور: "ساوى هذا التفسير على اختصاره مطوّلات القماطير⁽⁴⁾، ففيه أحسن ما في التّفاسير، وفيه أحسن ممّا في التّفاسير"⁽⁵⁾.

(1) حميد عنبري، مدخل لدراسة منهج الطاهر بن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير»، ص: 316-317.

(2) إفريقيّة تشمل تونس وما حولها (ينظر: إياد خالد الطّباع، محمّد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، ص: 78).

(3) ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر ابن عاشور، ص: 321-322.

(4) القمطر: ما تصان فيه الكتب، ج قماطر (مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 759). وهو: السّفط يكون فيه الكتب، والجمع قماطير (ينظر: صلاح الدّين خليل بن أبيك الصّفديّ، تصحيح التّصحيف وتحرير التّحريف، نج: السيّد الشّرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1407هـ/1987م، ص: 429). وقال ابن عاشور: "وهو كالحفظة" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 387/29).

(5) ابن عاشور، نفسه، (8/1).

وأثنى الغزالي على أسلوبه فقال: "أقرأ كلماته في التحرير والتنوير فأستغرب؛ لأنه وطأ كلمات مستغربة وجعلها مألوفة، وحرّر الجملة العربية من بعض الحث الذي أصابها في أيام انحدار الأدب في عصوره الأخيرة"⁽¹⁾.

واعتبر محمّد الطاهر الميساوي «التحرير والتنوير» موسوعة⁽²⁾، وقال عبّاس براهمي: "إنّ كتاب التحرير والتنوير يعتبر موسوعةً علميّةً، وكنزاً من كنوز العصر الحديث، وقد صار دُرّةً متألّفةً بما أودعه صاحبه من علومه وآرائه وأفكاره"⁽³⁾.

هذا، وإنّ ثناء العلماء على تفسير «التحرير والتنوير» لم يأت من فراغ، وإنّ تبوّؤه لتلك المكانة عندهم لم يكن صدفةً، بل بسبب ما تميّز به من جودة الصنعة، وقوة الحجّة، وشموليّته لمختلف المواضيع.

أمّا جودة الصنعة، فتتجلّى في جزالة الأسلوب الذي حرّر به تفسيره، وعنايته بالمسائل النحويّة والصرفيّة والقواعد الأصوليّة، وعنايته كذلك بالتّعريفات والحدود والضوابط، وبتحديد المواضع والأماكن المذكورة في القرآن الكريم أو في تفسيره جغرافياً، والتّعريف بها أحياناً في المتن وأحياناً في الحاشية⁽⁴⁾، وعنايته بتراجم الأعلام وضبطها وذلك في الحاشية⁽⁵⁾، وإيراده للتّوارد والمُلح... إلخ.

وأما قوة الحجّة، فتتجلّى في كثرة الاستشهاد وقوّة الاستدلال، حيث يكثر ابن عاشور من النُّقول عن الأئمّة والعلماء في شتىّ الفنون والعلوم، كما يكثر من الاستشهاد؛ سواءً بالأشعار أو الأمثال أو الحوادث العامّة، ويفيد من التّاريخ في الأحوال التي نزلت فيها التّوازل ويتتبع الأحداث،

(1) كلمة الغزاليّ ألقاها في الملتقى الفكريّ الذي عُقد لمحمّد الطاهر بن عاشور سنة: 1986م بتونس (نقلًا عن: حميد عنبري، مدخل لدراسة منهج الطاهر بن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير»، ص: 315-316).

(2) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلاميّة، تح: الميساوي، مقدّمة التّحقيق، ص: 16.

(3) براهمي عبّاس، "التحرير والتنوير" للشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور، دراسة الأحاديث المرفوعة مع دراسة تطبيقية لأحاديث "سورة آل عمران"، الحديث: مجلّة علميّة محكّمة نصف سنويّة، تعنى بالبحوث والدراستات الحديثيّة، يصدرها معهد دراسات الحديث النبويّ (إنهاد)، الكليّة الجامعيّة الإسلاميّة العالمية بسلاجور (ماليزيا)، السّنة الرّابعة، ع: 7، شعبان 1435هـ (يونيو 2014م)، ص: 176.

(4) ينظر على سبيل المثال: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (6/1)، (165/6)، (342/7)، (147/9)، (141/26)، ...

(5) ينظر على سبيل المثال: نفسه، (208/1)، (220)، (231).

ويرجع الأشياء إلى أصولها وأسبابها الأولى؛ من عاداتٍ أو خرافاتٍ أو طقوسٍ معيّنة، ويوظف الثقافة والمعارف، ويكرّر المسائل والشواهد في مواضع مختلفة حسب الحاجة.

وأما الشمولية، فتتجلى في كثرة المواضيع التي تظهر العناية بها، ومن ذلك: العناية بالقصص القرآني، وبمبتكرات القرآن⁽¹⁾ ولطائفه وعاداته، وبمسائل الإعجاز العلمي، والاهتمام بالإصلاح، من خلال التنويه بأهمّيات العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج، ببيان فوائدها وحكمها وآثارها، والتنويه بمكارم الأخلاق وأصول الفضائل، والتّحذير من مساوئ الأخلاق وسفاسف الأمور، والرّبط بين هداية القرآن لمصالح المعاش الدنيوي والمعاد الآخروي، والاهتمام بأصول التّربية والتّعليم، والعناية بمعالم الإصلاح العامّة، وبيان أصول الدّعوة إلى الله. وأيضاً الاهتمام بالعلوم الكونيّة، ومن ذلك: التّعرّض لبعض مسائل الطّبّ والتّشريح والأحياء، والعناية بعالم الحيوان والطّير؛ بتعريفها، وذكر طبائعها، وفضائلها، ومواطنها، وغرائبها، والتّعرّض للمعادن وما يستخرج من الأرض ببيان أصنافها وخصائصها، والتّعرّض لنظريّات علم الفلك والطبيعة وعلم النّفس.⁽²⁾

الفرع الخامس: مصادر ابن عاشور في تفسيره

تنوّعت المصادر التي اعتمدها ابن عاشور في تفسيره تنوع العلوم والفنون المتضمّنة في القرآن الكريم؛ بين علومٍ شرعيّةٍ وعلوم آلتها، وعلوم الكون، وتنوع مشارب أصحابها الفكرية والعقدية والمذهبية، وقد ذكر جمال أبو حسان في رسالته أنّه أحصاها فوجدها في مجملها تزيد على أربع مئة وخمسين مصدرًا⁽³⁾.

وقد ذكر ابن عاشور في مقدّمة تفسيره أهمّ المصادر التي اعتمدها، فسأقتصر على ذكرها وذكر مصادره في تفسير السُّور الخمس عيّنة الدّراسة خاصّة طلباً للاختصار.

أ- المصادر التي ذكر في مقدّمة تفسيره أنّه اعتمدها:

«الكشاف» للزّخشي، «المحرر الوجيز» لابن عطية، «مفاتيح الغيب» لفخر الدّين الرّازي، «أنوار التنزيل» للبيضاوي، «روح المعاني» لشهاب الدّين الألويسي، حواشي الطّيبي

(1) يعني ابن عاشور بمبتكرات القرآن ما تميّز به نظم القرآن عن بقية كلام العرب (لمزيد تفصيل فيها، ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتنوير، 1/120 وما بعدها).

(2) لمزيد بيان لجميع هذه المميّزات وغيرها وتفصيل القول فيها ينظر: محمّد الحمد، التّقريب لتفسير التّحرير والتنوير، (1/42-60).

(3) ينظر: أبو حسان، تفسير ابن عاشور التّحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، ص: 38.

والقزويني والقطب والتفتازاني على «الكشاف»، حاشية الحفاجي على تفسير البيضاوي، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، الموجود من تفسير محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي، «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير الطبري، «درّة التنزيل» وقال عنه: "المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للرّاعب الأصفهاني"⁽¹⁾، وهو في الواقع لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الرازي المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: 420هـ) وهو مطبوع⁽²⁾.

كما صرّح أنّه اعتمد على تفاسير الأحكام، ولكنّه لم يذكر منها في هذا الموضوع من المقدّمة غير تفسير القرطبي. ومن تفاسير الأحكام التي اعتمدها: «أحكام القرآن» لابن العربي⁽³⁾، «أحكام القرآن» لابن الفرس⁽⁴⁾، «أحكام القرآن» للجصاص⁽⁵⁾، «أحكام القرآن» لعليّ بن عليّ الطبري المعروف بالكيّا الهراسي⁽⁶⁾.

ب- مصادر اعتمدها في تفسير السور الخمس عينة الدراسة:

ذكر ابن عاشور في مقدّمة تفسيره أنّه قد يُعرض عن الغزو قصداً للاختصار⁽⁷⁾؛ فأذكر هنا مصادره في تفسير السور الخمس عينة الدراسة التي صرّح بها في أثناء تفسيرها.

- **فمن كتب التفسير:** تفسير الطبري، «معاني القرآن واعرابه» للزجاج، تفسير ابن أبي حاتم، تفسير «الكشاف»، وحاشية الطيبي عليه، تفسير ابن عطية، «أحكام القرآن» لابن العربي، تفسير الفخر الرازي، تفسير القرطبي، تفسير البيضاوي، وحواشي الحفاجي وسعد الله الشّهير بسعدي عليه، تفسير ابن كثير.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (7/1).

(2) ينظر: الخطيب الإسكافي، درّة التنزيل وعرّة التأويل، قسم الدراسة، (94/1 وما بعدها)، وقد نَبّه محقق الكتاب على وهم ابن عاشور في هذا الموضوع (نفسه: 132/1-133).

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (139/1)، (215/9)، (198/18) ...

(4) ينظر: نفسه، (430/2)، (225/4)، (24/25) ...

(5) ينظر: نفسه، (10/10)، (222/28)، (455/30) ...

(6) ينظر: نفسه، (68/3)، (246/4).

(7) ينظر: نفسه، (7/1).

- ومن كتب علوم القرآن: «معاني القرآن» لأبي زكرياء الفراء، وهو في بيان مشكل القرآن، «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة أو «تفسير غريب القرآن» له⁽¹⁾، «أسباب النزول» للواحدي، «المفردات في غريب القرآن» للزّاعب الأصفهاني، منظومة الشّاطبيّ في علم رسم المصحف⁽²⁾، «الإتقان» للسُّيوطي.
- ومن كتب الفقه والحديث وشروحه: موطأ مالك، صحيح البخاري، «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني، صحيح مسلم، «المعلم بفوائد مسلم» للمازري، شرح النووي على صحيح مسلم، جامع الترمذي، و«عارضه الأحمدي بشرح صحيح الترمذي» لابن العربي.
- ومن كتب السيرة والتراجم: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني، «الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري.
- ومن كتب اللغة: «أدب الكاتب» لابن قتيبة الدينوري، «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» لابن السّيد البطليوسي، «الصّحاح» للجوهري، «لسان العرب» لابن منظور، «مغني اللبيب» لابن هشام الأنصاري، «القاموس المحيط» للفيروز آبادي.
- ومن كتب البلاغة: «أساس البلاغة» للزمخشري، «مفتاح العلوم» للسكّاكي.
- ومن كتب الأدب والشعر: «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، مقامات الحريري. كما استشهد كثيراً بالشّعر ولعلّ مصدره هو دواوين أصحابه، ومن هؤلاء الشعراء: امرؤ القيس، النّابغة الذبياني، الأعشى، كعب بن زهير، لبيد بن ربيعة العامري، حسّان بن ثابت، جرير، الفرزدق. ومن مصادره في الشّعر أيضاً ديوان الحماسة لأبي تمام (نقل منه من شعر الشنفرى، وابن زبابة التيمي، ومرة بن عداء الفقعسي، وأنيف بن زبّان الطائي،

(1) في تفسير السُّبُبات من سورة عمّ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/30)، ذكر عن ابن قتيبة ما ذكره في الغريب (أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1398هـ/1978م، ص:508، وفي المشكل (ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص:54).

(2) لأبي محمّد القاسم بن فيرة الشّاطبيّ (ت:590هـ) صاحب متن الشّاطبيّة في القراءات السّبع، وهي المسماة: «منظومة عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم رسم المصاحف».

وعروة بن أذينة، والفضل اللّهبي، وعمرو بن معديكرب، ورويشد بن كثير الطائي، والبحري، والمني وآخرون).

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في التفسير في «التحرير والتنوير»

صرّح ابن عاشور بأنه يبني أوّل التفسير على قراءة نافع برواية قالون، لأنها قراءة معظم أهل تونس، ثمّ يذكر خلاف بقية القراءات العشرة⁽¹⁾، وبناءً على اختلاف القراءة يُبين الاختلاف في التأويل.

ولقد تضمّن تمهيد «التحرير والتنوير» ومقدماته إشاراتٍ إلى منهج ابن عاشور العامّ في تفسيره، كما تبين من استقراء الباحثين في منهج ابن عاشور في تفسيره أنه على النحو الآتي:

الفرع الأوّل: تفسير ابن عاشور بين الرأى والأثر

يثبت ابن عاشور التفسير بالرأى ويبيحه، حيث قال عنه: "أثبت ذلك وأبيحه"⁽²⁾، ويدافع عنه ويفند الشبهات المثارة حوله⁽³⁾. وقد انتهجه في تفسيره، ومما يدلُّ عليه من أقواله قوله: "فجعلت حقاً عليّ أن أبادي في تفسير القرآن نكتاً لم أر من سبقني إليها... فإنّ الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيلُ لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ"⁽⁴⁾، وقوله: "التزمت أن لا أغفل التنبية على ما يلوح لي من هذا الفرع العظيم (يقصد فنّ دقائق البلاغة) في آية من آي القرآن كلّما أهتمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبّر"⁽⁵⁾.

كما ينحو ابن عاشور نهج التفسير المقارن، وقد ذكر عن نفسه أنّه يقف موقف الحكم بين طوائف المسلمين؛ تارةً يحكم لطائفةٍ منها، وتارةً أخرى لا يحكم لأيٍّ منها، وإمّا بما لاح له من الرأى أنّه الحقُّ.⁽⁶⁾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (63/1).

(2) نفسه، (28/1).

(3) ينظر: نفسه، (33-28/1).

(4) نفسه، (7/1).

(5) نفسه، (8/1).

(6) ينظر: نفسه، (7/1).

وينقل ابن عاشور من الكتب السماوية المحرّفة، ويبين الباطل منها والصواب⁽¹⁾، ويعتمد ما يراه صواباً منها في التفسير⁽²⁾، وذلك كلّه من الرّأي.

وأما التفسير بالمأثور عن النّبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن الصحابة والتابعين، فقد انتقد الاقتصار عليه، بحجّة أنّه لم يثبت عن النّبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التفسير إلا تفسير آيات قليلة، وأما تفاسير الصحابة والتابعين فقد احتجّ بها للتفسير بالرّأي، بأنّ كثرة اختلاف أقوالهم تدلّ على أنّها من آرائهم⁽³⁾، ولذلك فإنّ التفسير بالمأثور قليل جدّاً ولا يكاد يعتمد عليه إلا تبعاً لرأيه، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير الآية 114 من سورة البقرة: "وعلى هاتين الروايتين الأخيرتين لا تظهر مناسبة لذكرها عقب ما تقدّم؛ فلا ينبغي بناء التفسير عليهما. والوجه هو التّعويل على الرواية الأولى وهي المأثورة عن ابن عباس فالمناسبة..."، فاعتماده تفسير رواية ابن عباس لموافقتها لرأيه

في المناسبة، ومن أمثلة تفسيره بالمأثور القليلة، تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۗ﴾⁽⁴⁾ (الشّرح: 1)، فأورد الروايات فيها، وجوّز بناءً عليها جميع ما تدلّ عليه من معاني شرح الصدر⁽⁴⁾.

الفرع الثّاني: تفسير ابن عاشور بين التّقليد والتّجديد

ينحو ابن عاشور منحى التّجديد في التفسير، ويرى أنّ الاقتصار في التفسير على إعادة ما قال به السّابقون تعطيلٌ لفيض القرآن الذي ما له من نفاذٍ؛ فكان من منهجه أن يذكر فيه نكتاً خلت عنها التّفاسير، لم ير من سبقه إليها، لاحت له في خلال تدبّره أو مطالعة كلام مفسّره⁽⁵⁾. وليس التّجديد عنده وانتهاج التفسير بالرّأي يعني ترك الإفادة من كلام السّابقين ونقض ما قالوا به، وإمّا هو التّهذيب والزيادة، حيث قال: "علماً بأنّ غمّص⁽⁶⁾ فضلهم كفرانٌ للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأُمَّة"⁽⁷⁾.

(1) ينظر: محمّد الحمد، التّقريب لتفسير التحرير والتنوير، (45/1).

(2) ينظر: أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 254.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (28-29/1).

(4) نفسه، (408-409/30).

(5) ينظر: نفسه، (5/1، 7، 8).

(6) وردت في الأصل: "غمض"، ويبدو أنّه من أخطاء الطّباعة، وغمّصُ النّعمة: إنكارها وعدم شكرها (ينظر: مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 662).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (7/1).

وقد ذكر في مقدّمة تفسيره أنّه يميّز اجتهاده من النّقل⁽¹⁾، وليس في النّسخة المعتمدة في هذه الدّراسة ما يشير إلى المُميّز، وقد وقف عليه إبراهيم علي الجعيد في نسخة في مكتبة مكّة المكرّمة، وهي الجزء الذي يحوي المقدّمات وسورة الفاتحة وجزء عمّ، ووجد فيها عبارة ابن عاشور كاملة غير منقوصة ونصّها كالآتي: "وقد ميّزت ما يفتح الله لي من فهم معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلميّة وأقوال العلماء ممّا لم يذكره المفسّرون بعلامة نجم في ابتدائه ونقطة غليظة في انتهائه"⁽²⁾.

الفرع الثالث: طريقة ابن عاشور في عرض التّفسير

يفسّر ابن عاشور القرآن الكريم كلّهُ من سورة الفاتحة إلى سورة النّاس، تفسيراً تحليليّاً، يراعي فيه ترتيب السّور والآيات، واتباع في عرض التّفسير الطّريقة الموضّحة فيما يلي.

أ- البطاقة التعريفية للسّورة:

يفتح ابن عاشور، قبل أن يشرع في تفسير السّورة القرآنيّة، بطاقة تعريفية لها، فيذكر أوّلاً اسمها أو أسماءها إن تعدّدت، ومرجعه في ذلك: المصاحف، وكتب التّفسير، وكتب السنّة، وكتب علوم القرآن، ويبيّن وجه التّسمية. ثمّ يبيّن إن كانت السّورة مكّيّة أو مدنيّة، ويذكر الخلاف في ذلك إن وُجد، ويبين القول الصّواب. ثمّ يذكر رقم السّورة في عدد ترتيب النّزول، ويذكر السّورة التي نزلت قبلها والسّورة التي نزلت بعدها. ثمّ يذكر سبب نزولها إن كانت من ذوات الأسباب، ويذكر ما ورد فيه من مرويات، وقد يبيّن أحياناً إلى أنه يُرجى ذكر سبب نزول السّورة إلى حين تفسير الآية الأولى منها (في سورة عبس على سبيل المثال). ثمّ يذكر عدد آياتها، واختلاف أهل العدّ فيه أو اتفاقهم، كما يذكر معه ما تتميز به السّورة من أوّليّة أو آخريّة في أقسام القرآن (على سبيل المثال: كون سورة عبس أولى السّور من أواسط المفصّل). ثمّ يلخص أغراض السّورة، ثمّ يشرع في تفسيرها. وقد اطّردت طريقتة هذه في السّور الخمس عينة الدّراسة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (7/1).

(2) إبراهيم الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنيّة ودلالاتها البلاغيّة في تفسير «التحرير والتنوير»، ص: 11-12. ولعلّ باحثاً يقف على النّسخة الخطيّة الكاملة لتفسيره، التي تظهر فيها تلك الرّموز، ويعمل على استخلاص اجتهادات ابن عاشور التّفسيريّة، واقترح لهذا العمل عنوان: "تحرير التحرير".

ب- تقسيم السورة:

ذكر بعض من درس منهج ابن عاشور في تفسيره أنّه يقسم السورة إلى مقاطع ثمّ يفسّر المقاطع⁽¹⁾، وواقع الأمر خلاف ذلك؛ حيث إنّه في السورة الواحدة يفسّر بعض الآيات آيةً آيةً؛ يذكر الآية ويفسّرها، ثمّ يذكر الآية التي تليها ويفسّرها⁽²⁾، ويفسّر بعض الآيات مجتمعةً آيتين فأكثر؛ إمّا باعتبارها جملةً بيانيّةً واحدةً، فيذكرها ثمّ يفسّرها، ثمّ يتبعها بذكر الجملة التي تليها ويفسّرها، سواءً أكانت آيةً واحدةً أم أكثر⁽³⁾، وإمّا باعتبارها جملاً بيانيّةً ذات وحدةٍ معنويّةٍ جزئيّةٍ من موضوعٍ مقطعٍ من مقاطع السورة، يذكرها مجتمعةً ويفسّرها، ثمّ يفسّر بعدها بقيّة أجزاء المقطع⁽⁴⁾، وإمّا باعتبارها مقطعاً من مقاطع السورة؛ يفسّره ثمّ ينتقل إلى تفسير المقطع الذي يليه بأجزائه⁽⁵⁾.

وليس تفسيره للآيات آيةً آيةً مقتصرًا - كما قد يُنوّهم - على قسم المفصل بسبب قصر سُوره، وبالتالي يصعب تقسيمها إلى مقاطع، وإمّا هو جارٍ حتّى على طول السور؛ ففي سورة البقرة على سبيل المثال: أقصى ما وصل إليه من جمع الآيات من أجل تفسيرها هو ثلاث آيات، فمعظم الآيات فسرها آيةً آيةً، وأقلّها منها بكثيرٍ آيتين آيتين، وأقلّها منها ثلاث آياتٍ ثلاث آياتٍ.

وليس معنى ذلك أنّه في ثنايا تفسيرها لم يبيّن تلك المقاطع، وأنّ القارئ لتفسيره لا يقف على مقاطعٍ متناسبةٍ بموضوعاتها المختلفة! فمقاطع السورة عند ابن عاشور، تستنبط من كلامه في تفسير آياتها والمناسبات التي يذكرها، ويستعان في ذلك بأغراض السورة التي يذكرها في

(1) منهم: جمال أبو حسان (أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجيّة ونقدية، ص: 81)، والشوبكي (رانية الشوبكي، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة في ضوء تفسيره، ص: 17).

(2) ينظر على سبيل المثال تفسير الآيات: (النبا: 4-13) (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/30-24).

(3) ينظر على سبيل المثال: نفسه، تفسير الآيتين: (النبا: 27-28) (39/30)، والآيتين: (التازعات: 10-11) (68/30)، والآيتين: (التازعات: 13-14) (72/30)، والآيتين: (عبس: 5-6)، والآيات: (عبس: 8-10) (107/30-108).

(4) ينظر على سبيل المثال: نفسه، تفسير الآيات: (النبا: 14-16) (25/30)، والآيات: (النبا: 21-23)، (النبا: 24-26) (30/34-38)، والآيات: (التازعات: 15-19)، (التازعات: 20-24)، (التازعات: 25-26) (30/73-81).

(5) ينظر على سبيل المثال: نفسه، تفسير الآيات: (التازعات: 1-9) (60/30)، والآيات: (التازعات: 34-41) (89/30)، والآيات (عبس: 11-16)، (عبس: 24-32)، (عبس: 33-42) (30/114، 129، 134 على التوالي)، والآيات: (التكوير: 1-14) (30/140).

التعريف بالشّورة قبل أن يشرع في تفسيرها، وبكلامه عن محتويات الشّورة وبيان تناسبها كما فعل في سورة البقرة⁽¹⁾.

ج- الشّروع في العمل التّفسيريّ ومرتكزه فيه:

يبتدئ ابن عاشور عمله التّفسيريّ ببيان مناسبة افتتاح الشّورة بمطلعها، وكذلك يبتدئ تفسير آي الشّورة بذكر مناسباتها، ثمّ معناها إجمالاً، ثمّ يشرح ألفاظ الآية، ويشرح معاني التّراكيب في الآية ومعاني جملها إن كانت عديدة الجمل. وأحياناً يقدّم شرح الألفاظ على المناسبة ومعاني الآية، وأحياناً يؤخّر ذكر المناسبة، فهو لا يلتزم في ذلك ترتيباً مطّرداً. ومرتكزه الأساسي في التّفسير هو معنى اللفظة القرآنيّة، الذي من خلاله تتبيّن معاني الجمل، فهو يرى أنّ التّفسير: "اسمٌ للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها، باختصارٍ أو توسّع"⁽²⁾.

الفرع الرّابع: منهج ابن عاشور في التّعامل مع المعاني

- يمكن تلخيص منهج ابن عاشور في تعامله مع معاني النّصّ القرآنيّ بمكوّناته في النّقاط الآتية:
- 1- يفسّر الجملة من القرآن بجميع المعاني التي تتحمّلها على أنّها مرادةٌ بها، وقد خصّ المقدّمة التّاسعة من مقدّمات تفسيره لبيان هذه القاعدة⁽³⁾، وكذلك يتعامل مع الألفاظ حيث قال: "ونحن لا نتابعهم على ذلك، بل نرى المعاني المتعدّدة التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع الكلام العربيّ البليغ، معاني في تفسير الآية، فنحن في تفسيرنا هذا إذا ذكرنا معنيين فصاعداً فذلك على هذا القانون..."⁽⁴⁾.
 - 2- إن رجّح أحد الاحتمالات في معاني النّصّ القرآنيّ، فإنّه يرجّح بواسطة علم البلاغة، وقد صرّح بذلك⁽⁵⁾.
 - 3- عند خفاء المعنى المراد في الآية، فإنّه يستشهد عليه بالشّعْر أو بشيءٍ من كلام العرب من

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (203/1 وما بعدها).

(2) نفسه، (11/1).

(3) ينظر: نفسه، (93/1 وما بعدها).

(4) نفسه، (100/1).

(5) ينظر: نفسه، (21/1).

أجل الإقناع.⁽¹⁾

- 4- يستعين بأخبار العرب على فهم ما أوجزه القرآن في سؤوقها.⁽²⁾
- 5- يستعين بأقوال الفقهاء في تفسير آيات الأحكام.⁽³⁾
- 6- يذكر أقوال الفلاسفة والحكماء من المتقدّمين ومن المسلمين، ويبيّن الحقّ من الباطل في أقوالهم.⁽⁴⁾

الفرع الخامس: اهتمامات ابن عاشور في التّفسير

- 1- اهتمّ ببيان معاني مفردات القرآن في اللّغة العربيّة بضبطٍ وتحقيقٍ خلت منه كثيرٌ من قواميس اللّغة.
- 2- اهتمّ بفرّيق دقائق البلاغة، حيث التزم ببيان ما يلوح له من هذا الفرّيق في آي القرآن بحسب مبلغ فهمه وطاقته تدبّره.
- 3- اهتمّ ببيان وجوه الإعجاز وأساليب الاستعمال الفصيح، كما بذل الجهد في الكشف عن نكتٍ من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التّفاسير.
- 4- اهتمّ ببيان تناسب اتّصال الآي بعضها ببعض، في حين لا يرى البحث في تناسب السّور حقّاً على المفسّر.
- 5- بيّن أغراض كلّ سورةٍ من سورِهِ حتّى يُظهر روعة انسجامه وروائع جماله⁽⁵⁾.
- 6- اهتمّ به بتحرير المشكل من معاني الآيات، وقد عبّر عنه بالوقوف موقف الحكم بين طوائف المفسّرِين.⁽⁶⁾
- 7- كثيراً ما يُشير إلى مقاصد الشّريعة، ويحرص على تلّمس الحكم من الأحكام والتّشريعات وأزمنتها وأماكنها وأعدادها؛ وعلى سبيل المثال: الحكمة من صيام الحاجّ المتمتّع عشرًا إذا لم

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (21/1).

(2) ينظر: نفسه، (25/1).

(3) ينظر على سبيل المثال: نفسه، (368/2)، ومواقع كثيرة في تفسيره.

(4) ينظر على سبيل المثال: نفسه، (376/1)، (226/3)، (102-101/4)، (55/6)، (274/7)، (388/23) ... إلخ

(5) ينظر: نفسه، (8/1).

(6) ينظر: نفسه، (7/1)، علي السّكاكر، مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور، ص: 46.

يجد الهدي، والفائدة من صوم بعضها في الحج. (1)

8- عُني باستنباط الفوائد وربطها بحياة المسلمين، وحرص على استلهاهم العبر من القرآن لتكون سبباً في النهوض بالأمة (2)، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغَ إِحْسَنِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (التّحّل 125): "والتّخلُّق بهذه الآية هو أنّ كلّ من يقوم مقاماً من مقامات الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- في إرشاد المسلمين أو سياستهم يجب عليه أن يكون سالكاً للطرائق الثّلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وإلّا كان منصرفاً عن الآداب الإسلاميّة، وغير خليق بما هو فيه من سياسة الأُمّة، وأن يخشى أن يعرض مصالح الأُمّة للتّلف، فإصلاح الأُمّة يتطلّب إبلاغ الحقّ إليها بهذه الوسائل الثّلاث. والمجتمع الإسلامي لا يخلو عن متعنّتٍ أو مُلبّسٍ وكلاهما يُلقني في طريق المصلحين شوّك الشُّبه بقصدٍ أو بغير قصدٍ. فسيبيل تقويمه هو المجادلة، فتلك أدنى لإقناعه وكشف قناعه" (3).

(1) ينظر: محمّد الحمد، التّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير، (44-42/1)، ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (228/2-229).

(2) محمّد الحمد، نفسه، (39/1).

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (334/14).

المبحث الخامس: موقف ابن عاشور من المناسبات ومنهجه فيها من خلال «التّحرير والتّنوير»

يمكن معرفة موقف ابن عاشور من المناسبات والوقوف على منهجه فيها على وجه العموم من خلال مقدّمة تفسيره، حيث لخصّ فيها جميع ذلك، وبيانه في الآتي:

المطلب الأوّل: تناسب الآي عند ابن عاشور

يظنّ بعض المتخصّصين ممّن استشرتهم في إنجاز هذه الدّراسة أنّ ابن عاشور لم يتكلّم عن مناسبات الآيات كثيراً، فهل ظنّهم في محله؟ ذلك ما سنتّم الإجابة عنه فيما يلي.

الفرع الأوّل: تناسب الآيات بين التّفني والإثبات عند ابن عاشور

يفرّق ابن عاشور بين تناسب الآيات وفق ترتيبها المصحفيّ وتناسبها وفق ترتيبها التّزويّ، وبيان ذلك في الآتي:

أ- تناسب الآيات وفق ترتيبها المصحفيّ:

يثبت ابن عاشور التّناسب بين الآيات وفق ترتيبها المصحفيّ، ويحتجّ له انطلاقاً من إثبات انتظام الكلام واتّصاله؛ فهو يرى أنّ الأصل تناسب الآية ولاحتقتها؛ لأنّه الأصل في الكلام المنتظم المتّصل، حيث قال: "الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحتقتها تناسبٌ في الغرض أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتّصل"⁽¹⁾. ودكّر ما يدلّ على وجود الاتّصال والانتظام فقال: "ومّا يدلّ عليه وجود حروف العطف المفيدة للاتّصال مثل الفاء ولكن وبل"⁽²⁾، ومثل أدوات الاستثناء"⁽³⁾.

كما يحتجّ لتناسب الآيات بأنّ السّورة مكوّنة من مجموع آياتٍ جاءت لتحقيق غرضٍ ترتكز عليه معاني تلك الآيات؛ فجميع تلك الآيات تخدم غرضاً واحداً ولكن من جوانب مختلفة، وهذا ما يؤكّد تناسب الآيات من هذه النّاحية؛ فيبقى البحث عن تمييز تلك الجوانب لتتبين وجوه التّناسب.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (79/1).

(2) يستثني ابن عاشور من حروف العطف ما لا يفيد الاتّصال، مثل: "الواو" التي تعطف الجمل والقصص، و"ثمّ" التي قد تعطف الجمل (ينظر: نفسه، 80/1 في الحاشية).

(3) نفسه، (80-79/1).

وأما طريق تحديد الغرض فهو: النظر في سبب النزول لأنّه ناشئ عنه، أو النظر فيما اشتملت عليه المعاني المناسبة للآيات ومقتضى ذلك⁽¹⁾، فالملاحظ أنّ ابن عاشور يرى التّناسب من وسائل تحديد غرض السّورة، ومعرفة غرض السّورة وسيلة لاستجلاء المناسبات.

ب- تناسب الآيات وفق ترتيبها النزولي:

في مقابل إثبات تناسب الآي وفق ترتيبها المصحفيّ، ينفي ابن عاشور تناسب الآي وفق ترتيب نزولها، ويعلّل ذلك بقوله: "ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدّة الدّعوة، فكانت آيات القرآن مستقلاً بعضها عن بعض، لأنّ كلّ آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه، وتكميله وتحليصه من تسرّب الضّلالات إليه فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة"⁽²⁾.

وهذا ربّما يصحّ على وجه التّفصيل، وأمّا على وجه العموم: فالظاهر أنّ التّناسب بين الآي موجود؛ وذلك من خلال إنزال آيات الدّعوة إلى التّوحيد وتصحيح العقيدة أوّلاً، ثمّ بعد أن ثاب النّاس إلى الإيمان وتوحيد الله نزلت آيات الشّريعة وتفصيلها⁽³⁾، وغير ذلك من تفاصيل تمايز القرآن المكيّ والمدنيّ، وأنّ كلّاً منهما مناسبٌ لظروف الدّعوة، وأنّه وفق حكمة الله تعالى، وإلا لما كان نزول آية متأخّرة في ترتيب المصحف قبل آية متقدّمة عليها فيه.

الفرع الثّاني: قيمة وأهميّة البحث في تناسب الآي عند ابن عاشور واهتمامه به

يؤكّد ابن عاشور قيمة البحث في تناسب الآي بقوله: "وهو منزعٌ جليل"⁽⁴⁾. ويكمن جلال هذا المنزع في العلم الكثير الذي يحصل من ممارسته، وقد نقل عن الزّركشيّ قوله: "ثمّ المستقلّة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علمٌ جم"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (84/1).

(2) نفسه، (81/1).

(3) عن عائشة رضي الله عنها أمّا قالت لمن سأها عن تأليف القرآن: "وما يضرُّك أيّ قرأت قَبِل؟ إمّا نَزَلَ أوّل ما نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا تَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْخُلَافُ وَالْحُرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أوّل شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزَّيْنُ أَبَدًا". (ينظر الحديث بتمامه في: البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم: 4993، ص: 1277، وطره: "إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ...").

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8/1).

(5) نفسه، (80/1). وكلام الزّركشيّ ورد في: (الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 38).

بل ويذهب ابن عاشور إلى أكثر من مجرد الإقرار بقيمة البحث في تناسب الآي، فيقول بضرورة بحث المفسّر في مناسبات جميع الآيات، ويظهر ذلك من خلال سؤقه لكلام الزّركشيّ - مختصراً له- الذي يقول فيه: «قال بعض مشائخنا المحقّقين: قد وهم من قال لا تُطلب للآي الكريمة مناسبة. والذي ينبغي في كلّ آية أن يُبحث أوّل شيءٍ عن كونها مكتملةً لما قبلها أو مستقلةً، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علمٌ جَمٌّ»، ويؤكّده ابن عاشور بقوله: "ولمّا كان تعيين الآيات التي أمر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوضعها في موضعٍ معيّنٍ غير مروّيٍّ إلاّ في عددٍ قليلٍ، كان حقّاً على المفسّر أن يتطلّب مناسباتٍ لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً مُوصِلاً"⁽¹⁾.

ويجسّد ذلك عملياً من خلال اهتمامه في تفسيره ببيان مناسبات الآيات، وقد صرّح بذلك فقال: "واهتمت أيضاً ببيان تناسب اتّصال الآي بعضها ببعض"⁽²⁾، ولا يكاد يتخلّف عن بيان مناسبة آيةٍ إلاّ قليلاً، وهو ما سيّضح من خلال الباب التّطبيقيّ لهذه الدّراسة. هذا، وإنّ حتّى ابن عاشور للمفسّر على طلب المناسبات لم يمنعه من تحذيره من التّكلف فيه؛ فهو يوجّه المفسّر إلى الإعراض عن طلبها إذا لم يظهر له فيها وجهٌ، وذلك في تتمّة كلامه الذي سبق ذكره قريباً، حيث قال: "كان حقّاً على المفسّر أن يتطلّب مناسباتٍ لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً مُوصِلاً، وإلاّ فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين"⁽³⁾.

الفرع الثالث: خفاء المناسبة وعدمها وموقف ابن عاشور من ذلك

قد تظهر المناسبة أحياناً كما قد تخفى على المفسّر، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "على أنّه قد لا يكون في موقع الآية من التي قبلها ظهور مناسبة"⁽⁴⁾، كما يرى ابن عاشور أنّه من الممكن أن لا تكون بين الآيتين مناسبة، حيث قال: "وقد لا تكون له مناسبةٌ ولكنّه اقتضاه سببٌ في ذلك المكان"⁽⁵⁾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (80/1-81). وكلام الزّركشيّ ورد في: (الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ص: 37-38).

(2) ابن عاشور، نفسه، (8/1).

(3) نفسه، (81/1).

(4) نفسه.

(5) نفسه، (80/1).

والمناسبة المنفيّة ظهوراً أو وجوداً في كلام ابن عاشور هي المناسبة المعنويّة، وهي المعبر عنها في هذه الدّراسة بوجه الارتباط، وقد قال في موضعٍ آخر: "الانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ، في آي القرآن، لا تلزم له قوّة ارتباطٍ، لأنّ القرآن ليس كتاب تدرّس يربّب بالتّبويب وتفريع المسائل بعضها على بعضٍ ولكنّه كتاب تذكيرٍ وموعظةٍ، فهو مجموع ما نزل من الوحي في هدي الأُمّة، وتشريعها وموعظتها، وتعليمها، فقد يُجمع فيه الشّيءُ للشّيء، من غير لزوم ارتباطٍ، وتفريعٍ مناسبةٍ"⁽¹⁾.

فإن لم تظهر لابن عاشور مناسبةٌ معنويّةٌ بين الآية وسابقتها، فإنّه ينتقل إلى البحث عن سبب وضع الآية في ذلك الموضع، ويُرجع المناسبة إليه، وهو ما يمكن أن يعبر عنه في هذه الدّراسة بعلّة الوضع. وقد وجّه المشتغل بالمناسبات إلى هذه الطّريقة فقال: "على أنّه قد لا يكون في موقع الآية من التي قبلها ظهور مناسبةٍ، فلا يوجب ذلك حيرةً للمفسّر؛ لأنّه قد يكون سبب وضعها في موضعها..."⁽²⁾، وذكر بعض أسباب الوضع، وهي:

أ- تزامن حدوث سبب نزول الآية مع نزول سورةٍ ما، فتنزل الآية للبيان، فتوضع عقب آخر آيةٍ انتهى إليها النّزول، فتكون كالمعتزضة، قال ابن عاشور: "لأنّه قد يكون سبب وضعها في موضعها أنّها قد نزلت على سببٍ، وكان حدوث سبب نزولها في مدّة نزول السّورة التي وضعت فيها، فقرئت تلك الآية عقب آخر آيةٍ انتهى إليها النّزول، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَقْلُبُونَ﴾ (البقرة: 238-239) بين تشريعات أحكام كثيرةٍ في شؤون الأزواج والأُمّهات"⁽³⁾، وذكر في أثناء تفسير الآية 238: "فعلّ آية ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ نزلت عقب آيات تشريع العِدّة والطلاق، لسببٍ اقتضى ذلك: من غفلةٍ عن الصّلاة الوسطى، أو استشعار مشقّةٍ في المحافظة عليها، فموقع هذه الآية موقع الجملة المعتزضة بين أحكام الطلاق والعِدّة"⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (465/2).

(2) نفسه، (81/1).

(3) نفسه.

(4) نفسه، (465/2).

ويرى ابن عاشور أنّ هذا الأمر نادرٌ في القرآن الكريم، حيث قال: "على أنّه يندر أن يكون موقع الآية عقب التي قبلها لأجل نزولها عقب التي قبلها من سورة هي بصدد النزول فيؤمر النبيّ بأن يقرأها عقب التي قبلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ (مريم: من الآية 64) عقب قوله: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (63) (مريم) في سورة مريم، فقد روي أنّ جبريل لبث أليماً لم ينزل على النبيّ صلى الله عليه وسلّم بوحى، فلمّا نزل بالآيات السّابقة عاتبه النبيّ، فأمر الله جبريل أن يقول: ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾، فكانت وحياً نزل به جبريل، فقرأ مع الآية التي نزل بأثرها ... على أنّه لا يُعدّم مناسبة ما" (1).

فمما يتعلّق بمبحث المناسبة عند ابن عاشور: الجملة المعترضة؛ إذ يرى أنّها تكثر في القرآن لأسبابٍ اقتضت نزولها أو بدون ذلك، فإن كانت لها أسبابٌ جعلها هي المعرّة عن المناسبة، وإن لم تكن هناك أسبابٌ أرجعها إلى حكمة الله تعالى، حيث قال: "ولكن حال القرآن كحال الخطيب يتطرق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها، وينتقل من حالٍ إلى حالٍ بالمناسبة، ولذلك تكثر في القرآن الجمل المعترضة لأسبابٍ اقتضت نزولها أو بدون ذلك؛ فإن كلّ جملةٍ تشتمل على حكمةٍ وإرشادٍ أو تقويمٍ مُعَوِّجٍ، كقوله: ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتِيَهُ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾ (آل عمران: 72-73)، فقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ جملة معترضة" (2).

ب- أن تكون السّابقة سبباً في نزول اللاحقة بوجهٍ من الوجوه: قال ابن عاشور: "وقد لا تكون له مناسبةٌ ولكنّه اقتضاه سببٌ في ذلك المكان، كقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْمِعْ قُرْءَانَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) ﴾ (القيامة: 16-19). فهذه الآيات نزلت في سورة القيامة في خلال توبيخ المشركين على إنكارهم البعث

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (80/1).

(2) نفسه، (81-82/1).

ووصف يوم الحشر وأهواله، وليست لها مناسبةٌ بذلك ولكن سبب نزولها حصل في خلال ذلك. روى البخاري عن ابن عباس قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيْلُ بِالْوَحْيِ كَانَ مِمَّا يُحْرِكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ الَّتِي فِي: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١﴾ (القيامة: 1)"⁽¹⁾، فذلك يفيد أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِالْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ"⁽²⁾.

ج- نزولها بعدها مباشرةً: يعلّل ابن عاشور أحياناً الوضع بترتيب النزول، فيكون الانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ آخر سببُهُ مجرّد نزول اللاحق عقب نزول السابق؛ فيوضع عقبه في الترتيب، حيث قال: "وربّما كفى في ذلك نزول الغرض الثاني، عقب الغرض الأوّل"⁽³⁾.

د- التّشابه في أسلوب النّظم: قال ابن عاشور: "وقد تكون الآية ألحقت بالسورة بعد تمام نزولها بأن أمر الرسول بوضعها عقب آيةٍ معيّنة كما تقدّم أنّها عن ابن عباس في آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: 281)، وكذلك ما روي في صحيح مسلمٍ عن ابن مسعود أنّ أوّل سورة الحديد نزل بمكة⁽⁴⁾، ولم يختلف المفسّرون في أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الحديد: من الآية 10) إلى آخر السورة نزل بالمدينة، فلا يكون ذلك إلّا لمناسبةٍ بينها وبين آي تلك السورة، والتّشابه في أسلوب النّظم"⁽⁵⁾، وقال: "أو تكون الآية مأموراً بإلحاقها بموضعٍ معيّنٍ من إحدى سور القرآن، كما تقدّم في المقدّمة الثامنة، ولا يخلو ذلك من

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْبَلُ بِهِ﴾، رقم: 4927، ص: 1250-

1251، وباب ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، رقم: 4928، ص: 1251، وفي: كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة وقوله

تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى حَكْمٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ وما يُكره أن يهدّ كهذا الشّعر،

رقم: 5044، ص: 1287، بألفاظٍ مختلفةٍ، ولم يوافق اللفظ الذي أورده ابن عاشور أيّاً منها، فيبدو أنّه أراد أن يوفّق بين

الروايات في اللفظ ويختصر.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (80/1).

(3) نفسه، (465/2).

(4) ينظر: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن نَّسَخَ قُلُوبِهِمْ لِذِكْرِ

اللَّهِ﴾، رقم: 24- (3027)، (1377/2)، وطرف الحديث: "ما كان بيّن إسلامنا...".

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (81/1).

مناسبة في المعاني، أو في انسجام نظم الكلام⁽¹⁾.

على أنّ ابن عاشور إذا فسّر المناسبة - لحنائها - بعلة الوضع، فإنّ ذلك لا يمنعه من الاجتهاد برأيه في الكشف عن المناسبة وبيانها، أو ذكر أقوال غيره من المفسّرين، وقد سبق ذكر قوله: "على أنّه لا يُعدّ مناسبة ما"⁽²⁾، ومن أمثلة ذلك آية: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: 238)؛ حيث بعد أن أرجع المناسبة إلى علة الوضع قال: "وإذا أبيت ألاّ تطلب الارتباط فالظاهر أنّه..."، وذكر وجهًا حسنًا ممّا جادت به قريحته في بيان الارتباط المعنويّ، ثمّ أتبعه بقولين آخريّن من أقوال بعض المفسّرين.⁽³⁾

ثمّ إنّّه ينهى عن التكلف في طلب المناسبة إذا لم يجد إليها المفسّر سبيلًا موصلاً، ويدعوه إلى الإعراض عن طلبها في تلك الحالة، وقد سبق ذكر ذلك.

الفرع الرابع: من أنواع مناسبات الآيات عند ابن عاشور

ذكر ابن عاشور في مقدّمة تفسيره بعض أنواع المناسبات، وهي على التّحو الآتي:

أ- التّناسب بين آيتين متجاورتين:

قال ابن عاشور: "الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسبٌ في الغرض أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتّصل"⁽⁴⁾، فذكر من أوجه التّناسب بين آيتين متجاورتين: التّناسب في الغرض، وفي الانتقال من الغرض، ونحو ذلك.

ب- التّناسب بين مقاطع السّورة:

قال ابن عاشور: "كذلك ما روي في صحيح مسلم عن ابن مسعود أنّ أوّل سورة الحديد نزل بمكّة"⁽⁵⁾، ولم يختلف المفسّرون في أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (465/2).

(2) نفسه، (80/1).

(3) ينظر: نفسه، (466-465/2).

(4) نفسه، (79/1).

(5) سبق تخرجه قريبًا.

السُّورَةُ نزل بالمدينة، فلا يكون ذلك إِلَّا لمناسبةٍ بينها وبين آي تلك السُّورَةِ والتَّشابهِ في أسلوب النِّظْمِ⁽¹⁾. فكلامه ظاهرٌ أنّه في التَّناسبِ بين المقطعين المكيِّ والمدنيِّ.

ومَّا قد يعتمدُه ابن عاشور في بيان تناسب المقاطع بيانًا مناسبًا لغرض السُّورَةِ أو أغراضها إن تعدّدت، حيث قال: "ولم أعادر سُورَةً إِلَّا بيّنت ما أحيطُ به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقرٌ منفردةٌ تصرفه عن روعة انسجامه وتحجّب عنه روائع جماله"⁽²⁾.

فالغاية من بيان المناسبة بين المقطع وغرض السُّورَةِ هي بيان روعة انسجام فقر القرآن الكريم فيما بينها من خلال بيان وجه ارتباطها جميعًا بغرض السُّورَةِ، وبذلك يتجلّى وجه ارتباطها ببعضها البعض، ومن خلاله بيان روعة جمال النصّ القرآني⁽³⁾.

ج- المناسبة بين القصّة وغرض السُّورَةِ:

من أنواع المناسبات عند ابن عاشور مناسبة تكرار القصّة في السُّورَةِ المكرّرة فيها؛ إذ يرى أنّ تكرارها متناسبٌ مع غرض السُّورَةِ الذي سيقت لأجله حيث قال: "وفوائد القصص تجتلبها المناسبات؛ فتذكر القصّة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يُعدّ ذكرها مع غرضها تكريرًا لها؛ لأنّ سبقَ ذكرها إمّا كان في مناسباتٍ أخرى"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: تناسب السُّورِ عند ابن عاشور

مسألة تناسب السُّورِ عند ابن عاشور من المسائل التي اختلف فيها من بحث التناسب عنده، وللارتباط بالنسبيّ - كما سبق بيانه - بين مسألة تناسب السُّورِ ومسألة ترتيبها، يحسُنُ أوّلاً بيان موقف ابن عاشور من ترتيب السُّورِ، وهل كان له أثرٌ في موقفه من تناسبها؟

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (81/1).

(2) نفسه، (8/1).

(3) وفي ذلك يقول البقاعي: "الحمد لله الذي أعلم سور الكتاب بما دلّ على مقاصدها أوّلي الألباب، ودلّ بمقاصدها على تناسب جميع أجزائها من الطّلاب" (البقاعي، مساعد النظر، 97/1).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (68/1).

الفرع الأوّل: مذهب ابن عاشور في ترتيب السُور

تحدّث ابن عاشور عن ترتيب سُور القرآن الكريم في المقدّمة الثامنة من مقدّمات تفسيره، فذكر بعض أقوال من يقول إنّه كان بالتّوقيف وبعض أقوال من يقول إنّه كان باجتهاد الصّحابة، فجزم بتوقيف ترتيب طائفة من السُور، وترك الأمر قائماً على الاحتمال فيما عدا ذلك.

فتارةً يبدو من كلامه أنّه يميل إلى القول بالتّوقيف، حيث قال: "لا شكّ أنّ طوائف من سُور القرآن كانت مرتّبةً في زمن النّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على ترتيبها في المصحف الّذي بأيدينا اليوم ... فلا شكّ في أنّ سُور المفصّل كانت هي آخر القرآن ... وأنّ طائفة السُور الطُولى الأوائل في المصحف كانت مرتّبةً في زمن النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوّل القرآن. والاحتمال فيما عدا ذلك"⁽¹⁾. فهو هنا لم يرحّح شيئاً في القسم المحتمل، ليُكمل الحديث عنه قائلاً: "لا شكّ في أنّ زيد بن ثابتٍ وعثمان بن عفّانٍ وهما من أكبر حفّاظ القرآن من الصّحابة، تَوَحَّيَا ما استطاعا ترتيب قراءة النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للسُور، وترتيب قراءة الحفّاظ الّتي لا تخفى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان زيد بن ثابتٍ من أكبر حفّاظ القرآن وقد لازم النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُدّة حياته بالمدينة، ولم يتردّد في ترتيب سُور القرآن على نحو ما كان يقرأها النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نسخ المصاحف في زمن عثمان"⁽²⁾.

فاجتهاد الصّحابة عند ابن عاشور إنّما كان في توجّي ترتيب قراءة النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا في اختيار ترتيبٍ ما بناءً على اجتهادٍ شخصيٍّ مؤسّسٍ على نظرهم المستقلّ في العلائق بين السُور، وذلك ما يرحّح كفةً أنّ يكون كلامه آيلاً إلى القول بالتّوقيف⁽³⁾، وقد قال في المقدّمة السّادسة الواردة في القراءات: "ثمّ لم يزل النّاس يتوَحَّون بقراءتهم موافقة قراءة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتّى كان ترتيب المصحف في زمن أبي بكرٍ على نحو العرضة الأخيرة الّتي عرضها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير، (87-86/1).

(2) نفسه، (87/1).

(3) وأمّا الكلام الّذي ساقه ابن عاشور في المقدّمة نفسها، عقب ذكر قول ابن الأنباري، وهو: "واتّساق الحروف واتّساق الآيات واتّساق السُور كلّهُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (ابن عاشور، نفسه، 79/1)، فمن كلام ابن الأنباري نفسه، لا من كلام ابن عاشور، فلا يظنّ القارئ أنّ القول قول ابن عاشور، إلّا أنّ تصرّفه اليسير في كلام ابن الأنباري، وعدم تحديد موضع انتهائه، وعدم تعقيبه بالرّدّ عليه، وبناءً كلامه الّذي يليه عليه، قد يوحي بتبنيّه له. (ينظر نصّ كلام ابن الأنباري في: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 98/1).

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجمع الصّحابة في عهد أبي بكرٍ على ذلك لعلمهم بزوال موجب الرّخصة⁽¹⁾.

وتارةً أخرى يبدو من كلامه أنّه يميل إلى القول بالاجتهاد المستقل⁽²⁾، حيث قال عن سورة القصص: "وهي السّورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سُور القرآن، نزلت بعد سورة النمل وقبل سورة الإسراء، فكانت هذه الطّواسين الثّلاث متتابعةً في النّزول كما هو ترتيبها في المصحف، وهي متماثلةً في افتتاح ثلاثتها بذكر موسى عليه السّلام. ولعلّ ذلك الَّذي حمل كُتّاب المصحف على جعلها متلاحقةً"⁽³⁾.

وقال في سورة القدر: "ومنّ تسديد ترتيب المصحف أنّ وضعت سُورة القدر عقب سُورة العلق، مع أنّها أقلُّ عدد آياتٍ من سُورة البيّنة وسُور بعدها، كأنّه إماءٌ إلى أنّ الضّمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ (القدر: من الآية 1) يعود إلى القرآن الَّذي ابتدئ نزوله بسورة العلق"⁽⁴⁾. فقله هنا: "ومن تسديد ترتيب المصحف" يرجح كفة ميله إلى القول باجتهاد الصّحابة، وأنّ الله وفّقهم وسدّد رأيهم في ترتيب سُور القرآن بما يوافق الحكمة. ولمّا كانت سورتا العلق والقدر من المفصّل، الَّذي سبق أنّ قال عنه: "فلا شكّ في أنّ سُور المفصّل كانت هي آخر القرآن"، فإنّ ذلك يؤدّي إلى حمل قوله بالتّوقيف في ترتيب المفصّل على ظاهره؛ وهو أنّه كان على وجه الإجمال لا على وجه التّفصيل.

فيبقى قوله في ترتيب القسم المحتمل مضطرباً، محتملاً للوجهين.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (59/1).

(2) فهم بعض الباحثين من مقدّمة التحرير والتنوير الثّامنة أنّ ابن عاشور اختار القول باجتهاد الصّحابة مطلقاً في ترتيب السّور، منهم: أحمد مذكور (مذكور، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطّاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص: 73)، وندين السّليمي (ندين بنت مصطفى بن علي السّليمي، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطّاهر بن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتّوبة جمعاً ودراسةً وتحليلاً، رسالة ماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسّنة، شعبة التّفسير وعلوم القرآن، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1430هـ/2009م، ص: 58)، وغيرهما. والأمر بخلاف ما ذهبوا إليه، على نحو ما هو مبينٌ في هذا الموضع.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (61/20).

(4) نفسه، (456/30).

الفرع الثّاني: رأي ابن عاشور في تناسب السُّور

يتبيّن رأي ابن عاشور في تناسب السُّور من قوله: "أمّا البحث عن تناسب مواقع السُّور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقّاً على المفسّر"⁽¹⁾.

ويبدو أنّ هذه العبارة قد أُشكل فهمها على بعض الباحثين، حتّى قال بعضهم إنّه ينبغي تناسب السُّور⁽²⁾، وتأوّلتها بعضهم بأنّه يرى أن لا فائدة ولا جدوى من الكلام عن هذا النوع من المناسبة⁽³⁾.

والظاهر من عبارة ابن عاشور أنّه يرى عدم اضطرار المفسّر لبحث تناسب السُّور، وذلك في مقابل قوله بضرورة البحث في تناسب الآيات. ولا يعني ذلك أنّه ينكر وجود التّناسب بين السُّور، وإمّا غاية الأمر أنّه لا يوجب على المفسّر البحث فيه ولا يضطرّه إليه؛ إذ لا تصل الفائدة من معرفته -عنده- إلى مقام الفائدة من معرفة وجوه مناسبة الآيات بعضها لبعض.

وعبارة "حقّاً على" من صيغ الالتزام، والذي بنفسه يفيد اللزوم وهو الوجوب، كما ذكر ذلك ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الرُّوم: من الآية

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (8/1).

(2) من القائلين إنّ ابن عاشور يرى انتفاء المناسبة بين السُّور: خالد عزّام، ويرى أنّه قلّد في ذلك إمام مذهبه (الإمام مالك)، القائل: إنّ ترتيب السُّور اجتهاداً من الصّحابة؛ إعظماً لمخالفتها، بدليل أنّه أعطى بعض أمثلة على ارتباط بعض السُّور بعضها ببعض، واعتبر ذلك مخالفةً منه لمنهجه الذي ينتهجه ومبدئه الذي يسير وفقه (ينظر: خالد محمود محمّد عزّام، التّناسب القرآنيّ عند ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير، دراسة تطبيقيّة: الجزء الأوّل والجزء الثّلاثون من القرآن الكريم)، رسالة دكتوراه فلسفة في اللغويّات العربيّة التّطبيقيّة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2007م، ص: 12، 159-162)، إلّا أنّ ما ذكره الباحث مناقض لما ذكره عن شخص ابن عاشور؛ لمّا قال: "ولم يكن الطّاهر مقلّداً أحداً، أو مجرّد ناقلٍ عن آخر، كما كانت له شخصيّة المستقلّة في هذا العلم الواسع العظيم، تميّز بها في مجمل تفسيره" (خالد عزّام، نفسه، ص: 92)، وقد سبق بيان مخالفة ابن عاشور لمالك في قضايا عدّة. ومن الذين نسبوا إليه القول بانتفاء المناسبة بين السُّور كذلك: أحمد مذكور (مذكور، المناسبات وأثرها في تفسير التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص: 72-73)، وندين السليمي (ندين السليمي، المناسبات وأثرها في تفسير التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتّوبة، ص: 58).

(3) وهو تأويل يوسف السّلمي (يوسف بن زيدان بن مزيد السّلمي، المناسبات وأثرها في تفسير التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور من أوّل سورة الرّعد إلى آخر سورة مريم، جمعاً ودراسةً ونقداً، رسالة ماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسّنّة، شعبة التّفسير وعلوم القرآن، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1430هـ/2009م، ص: 164).

(47)⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ (الأعراف: من الآية 105)⁽²⁾، فالمعنى أنّه ليس لازماً على المفسّر أن يتناوله في تفسيره، وإن تطرّق إليه فليس عليه أن يلتزمه في جميع السُّور. ومّا يؤكّد هذا المعنى أنّه تحدّث فعلاً عن تناسب بعض السُّور في تفسيره، وذلك في المواضع الآتية:

• تناسب سورة البقرة وسورة آل عمران:

ذكر ابن عاشور المناسبة بينهما فقال: "ولذلك فالظاهر أنّ تقديم سورة آل عمران على سورة النساء في المصحف الإمام ما كان إلّا اتّباعاً لقراءة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ومّا قرأها النبيّ كذلك إمّا لأنّ سورة آل عمران سبقت في النزول سورة النساء التي هي من آخر ما أنزل، أو لرعي المناسبة بين سورة البقرة وسورة آل عمران في الافتتاح بكلمة "أم"، أو لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وصفهما وصفًا واحدًا؛ ففي حديث أبي أمامة أنّ النبيّ قال: {أَقْرَأُوا الزُّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ}، وذكر فضلها يوم القيامة، أو لِمَا في صحيح مسلم أيضاً من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ أنّ النبيّ قال: {يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقْرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ}، وَضَرَبَ لَهُمَا ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ. الحديث"⁽³⁾.

• تناسب سورة النساء وسورة المائدة:

ذكر ابن عاشور المناسبة بينهما فقال: "وجعلت هذه السُّورة (يعني سورة المائدة) في المصحف قبل سورة الأنعام مع أنّ سورة الأنعام أكثر منها عدد آياتٍ: لعلّ ذلك مراعاة اشتمال هذه السُّورة على أغراضٍ تشبه ما اشتملت عليه سورة النساء عوناً على تبيين إحداها للأخرى في تلك الأغراض"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (119/21).

(2) ينظر: نفسه، (38/9).

(3) نفسه، (89/1). وحديثاً أبي أمامة والنّوّاس كلاهما في صحيح مسلم (مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم: 252-804)، و: 253-805)، على التّوالي، (362-361/1).

(4) ابن عاشور، نفسه، (72/6).

• تناسب سورة الضحى وسورة الشرح:

في أثناء تفسير ابن عاشور لسورة الشرح قال: "فمضمونها شبيهة بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتها له بتذكيره سالف عنايته به وإنارة سبيل الحق وترفع الدرجة ليعلم أنّ الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماضٍ يعمله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم" (1).

• تناسب سورة العلق وسورة القدر:

تتجلى المناسبة بين السورتين عند ابن عاشور في قوله: "ومن تسديد ترتيب المصحف أنّ وضعت سورة القدر عقب سورة العلق، مع أنّها أقلُّ عدد آياتٍ من سورة البينة وسورة بعدها، كأنه إمامٌ إلى أنّ الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ (القدر: 1) يعود إلى القرآن الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق" (2).

• تناسب سورة الفيل وسورة قريش:

ذكر ابن عاشور تجويز بعض العلماء تعلّق بداية سورة قريش بآخر سورة الفيل، وذكر أنّ الرّمحشريّ عدّه بمنزلة التّضمين في الشعر فقال: "وهذا بمنزلة التّضمين في الشعر وهو أن يتعلّق معنى البيت بالذي قبله تعلّقاً لا يصحُّ إلّا به" (3)، وقال ابن عاشور: "يعنون أنّ هذه السّورة وإن كانت سورةً مستقلةً فهي ملحقةٌ بسورة الفيل، فكما تلحق الآية بآية نزلت قبلها، تلحق آياتٌ هي سورةٌ فتعلّق بسورةٍ نزلت قبلها" (4).

فلعلّ رأي ابن عاشور في تناسب السّور ناتجٌ عن رأيه في أنّ ترتيب بعض السّور لم يثبت له التّوقيف.

هذا، ويجدر التّذكير (بعد التّنبه إليه في مقدّمة هذه الأطروحة) بأنّ ما قام به ابن عاشور من بيان المناسبات كان بعد اطلاعٍ على أعمال سابقه، حيث قال في تمهيد كتابه: "قد عنى به فخر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (407/30).

(2) نفسه، (456/30).

(3) ذكره الرّمحشريّ (الرّمحشريّ، تفسير الكشاف، في تفسير سورة قريش، ص: 1222).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (555/30).

الدّين الرّازي، وألّف فيه برهان الدّين البقاعي كتابه المسمّى: «نظم الدرر في تناسب الآي والسّور»، إلا أنّهما لم يأتيا في كثيرٍ من الآي بما فيه مَقْنَعٌ، فلم تزل أنظار المتأمّلين لفصل القول تتطلّع⁽¹⁾. فلمّا ذكر ابن عاشور أنّه غير مقتنعٍ بكثيرٍ ممّا جاء به كلٌّ من الرّازي والبقاعي في المناسبات، فحينئذٍ يمكن اعتبار أنّ عمله فيها جاء بمثابة استدرآكاتٍ عليهما.

وفي الأخير، يمكن تلخيص نتائج هذا الفصل في النقاط الآتية:

- محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن عاشور، عالمٌ من علماء القرن الرابع عشر الهجريّ (1296هـ-1393هـ)، مصلحٌ مجتهدٌ مجدّدٌ تونسيٌّ أشعريٌّ مالكيٌّ.
- التحق ابن عاشور بجامع الزيتونة لطلب العلم الشرعيّ وتأصيله، على أيدي شيوخ أجلاء، من أشهرهم: سالم بوحاجب و عمر بن الشّيخ.
- برع وتفوّق ابن عاشور في طلب العلم، ليتوّج بعد سبع سنواتٍ من الطّلب بشهادة التّطويع، التي تخوّل له التّدريس بالجامع. والتحق بعدها بالقسم العالي لتحصيل الكمالات والتّوسّع في العلوم.
- تولّى ابن عاشور مناصب علميّة كثيرةً متنوّعةً بين التّدريس ومناصب القضاء والإفتاء، وترقى فيها ابتداءً من التّطوّع بالتّدريس في الزيتونة ووصولاً إلى منصب شيخ الإسلام المالكيّ.
- تتلمذ على يدي ابن عاشور كثيرٌ ممّن صار فيما بعد عالماً أو فقيهاً أو أديباً ومن أشهرهم: ابنه محمّد الفاضل بن عاشور، ومحمّد الصّادق بن الحاج محمود المعروف بـ (بسيّس).
- عاش ابن عاشور في عصرٍ لم يكن فيه أمر الأُمَّة الإسلاميّة بيدها، إذ كان الاستعمار الغربيّ هو المسيطر عليها في شتّى مجالات الحياة.
- ظهرت حركاتٌ إصلاحيةٌ علميّةٌ ومحليّةٌ، سعت إلى تحقيق نهضةٍ فكريّةٍ تستردُّ بها بلدان العالم الإسلاميّ سيادتها وتعود بها للأُمَّة مكانتها بين الأمم، فكان ابن عاشور من رواد الإصلاح والنّهضة في بلاده تونس، وكان على صلاتٍ وثيقةٍ بالحركات الإصلاحية خارجها.
- ألّف ابن عاشور كثيراً من الكتب، تظهر فيها رغبته في تغيير واقع الأُمَّة والنّهضة بها.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8/1).

- من أشهر مؤلّفات ابن عاشور تفسيره «التّحرير والتّنوير»، وهو الذي يقصد به تحرير معاني القرآن ممّا يشوبها من الغموض وتنوير عقول النّاس من خلاله.
- اهتمّ ابن عاشور في تفسيره ببيان بلاغة القرآن الكريم ووجوه إعجازه، ويندرج تحت ذلك مناسبات آياته.
- مهّد ابن عاشور لتفسيره بلمحة عن منهجه واهتماماته والتزاماته فيه، ثمّ أعقب التمهيد بعشر مقدّماتٍ تضمّنت عرضاً وتلخيصاً لمباحث متعلّقة بعلم التّفسير وما يتّصل به من علوم القرآن، مع ذكر آرائه فيها، تكون عوناً للمباحث في التّفسير وتختصر له الطّريق.
- يثبت ابن عاشور التّفسير بالرّأي ويبيحه، وانتهجه في تفسيره، وأمّا التّفسير بالمأثور فقليلٌ عنده.
- يرى ابن عاشور أنّ الاقتصار في التّفسير على إعادة ما قال به السّابقون تعطيلٌ لفيض القرآن الذي ما له من نفاذٍ؛ فمن منهجه التّجديد في فهم معاني القرآن الكريم.
- يقدّم ابن عاشور بطاقةً تعريفيةً وافيةً بكلّ سورة قبل أن يشرع في تفسيرها، فيذكر اسمها أو أسماءها، ونزولها، وعدد آياتها، وغيرها من خصائص السّور القرآنية.
- يفسّر ابن عاشور السّورة القرآنية آيةً آيةً على نمط التّفسير التحليلي.
- اهتمّ ابن عاشور في تفسيره ببيان مناسبات الآيات آيةً آيةً.
- من وسائل ابن عاشور في الكشف عن وجوه تناسب الآيات ربطها بغرض السّورة.
- يحتجّ ابن عاشور لعلم المناسبات.
- يرى ابن عاشور أنّ الأصل تناسب الآية ولاحققتها في ترتيب المصحف.
- لا يرى ابن عاشور التّناسب بين الآيات بترتيب نزولها.
- يرى ابن عاشور البحث في المناسبات ذا قيمةٍ بالغةٍ وأنّ فيه علمًا جمًّا.
- يؤكّد ابن عاشور ضرورة طلب المفسّر لتناسب الآي.
- يتدبّر ابن عاشور عمله التّفسيريّ ببيان مناسبة افتتاح السّورة بمطلعها، وتفسير آي السّورة بذكر مناسباتها، ثمّ معناها إجمالاً، ثمّ يشرح ألفاظ الآية، ويشرح معاني التّراكيب في الآية، ومعاني جملها إن كانت عديدة الجمل. ولكنّه لا يلتزم هذا التّرتيب دائماً.
- يرى ابن عاشور أنّ سُور القرآن مؤلّفةٌ من مقاطع متناسبةٍ ويكشف عن مناسباتها.

- من وسائل ابن عاشور في الكشف عن مناسبات المقاطع فيما بينها ربطها بغرض أو أغراض السّورة، فكلّ مقطع يخدم غرضاً من الأغراض، أو جانباً من جوانب الغرض الواحد.
- لا ينكر ابن عاشور تناسب السّور، ولا يرى البحث فيه لازماً، ولم يكشف في تفسيره عن هذا النّوع من المناسبات إلّا في خمسة مواضع، وأمّا رأيه في ترتيب السّور هل هو بالتّوقيف أم بالاجتهاد؟ فغير واضح.
- يرى ابن عاشور أنّ المناسبة قد تخفى أحياناً كما يمكن أن لا تكون هناك مناسبة.
- يوجّه ابن عاشور المفسّر إلى الإعراض عن طلب المناسبات إذا لم يتيسّر له الوصول إليها، ويمنعه من التّكلّف في طلبها.
- في حال عدم ظهور وجه الارتباط فإنّ ابن عاشور يبحث عن سبب الوضع ويُرجع المناسبة إليه. ويبيّن أنّ أسباب الوضع متنوّعة وذكر منها:
 - حدوث سبب نزول الآية في مدّة نزول سورة ما، فتتزل الآية في تلك المدّة، فتوضع عقب آخر آية انتهى إليها نزول السّورة، وتكون كالمعتزلة.
 - أن تكون السّابقة سبباً في نزول اللاحقة بوجه من الوجوه.
 - نزولها بعدها مباشرة.
 - التّشابه في أسلوب النّظم.
- يبحث ابن عاشور عن مناسبة تكرار القصّة في السّورة المكرّرة فيها.
- إنّ ما جاء به ابن عاشور من المناسبات هو بمثابة استدراقاتٍ على اجتهاداتٍ سابقه كالبقاعيّ والرّازي.

- ويمكن تلخيص أهمّ نتائج باب الدّراسة النّظريّة في النّقاط الآتية:
- علم المناسبات هو العلم الذي يوقّف به على وجوه ارتباط وعلل ترتيب أجزاء القرآن الكريم وفق المصحف العثمانيّ.
 - علم المناسبات مهمّ وتكمن أهمّيّته في أنّ التّناسب روح الكلام ووجه من أوجه إعجاز القرآن، وأنّ المناسبات معانٍ جليّة، وأنّ الجهل بها أمرٌ خطيرٌ، وأنّ علم المناسبات كالرّوح لعلم التّفسير، وأنّ فوائده غزيرةٌ: في التّفسير، والكشف عن الخفيّ من دلالات النّصوص، وفي الانتصار للقرآن الكريم من شبهات الطّاعنين
 - نشأة علم المناسبات كانت بنزول القرآن الكريم، فالتّناسب أصلٌ في القرآن الكريم، وتطوّر علم المناسبات عبر القرون؛ فتناوله العلماء في كتب علوم القرآن من باب الدّفاع عن نظم القرآن، وإبراز إعجازه فيه، ثمّ في كتب التّفسير في جميع القرآن أو معظمه لا في مواضع محدودةٍ منه، ليستقلّ بالتّأليف بعد أن عدّ البحث في المناسبات علمًا ونظّر له في كتب علوم القرآن.
 - المناسبات قسمان: مناسبات السّورة الواحدة، والمناسبات بين السّور.
 - مناسبات السّورة الواحدة أنواعٌ؛ فمنها مناسبات الآيات آيةً آيةً، ومناسبات مقاطع السّورة، واصطُلِحَتْ على النّوع الأخير بمصطلح: "مناسبات نظام السّورة".
 - المناسبات بين السّور قسمان: مناسبات المطالع والمقاطع، مناسبات الموضوعات والمضامين والمقاصد، وكلُّ قسمٍ فيه أنواعٌ.
 - أصّل العلماء لأقسام المناسبات وأنواعها بشواهد من القرآن، وقروها بما جادوا به من فصيح الكلام.
 - يكاد يحصل إجماع العلماء على تناسب الآي لولا ما ذهب إليه الشّوكانيّ من إنكاره، واختلفوا في تناسب السّور.
 - يرجع الاختلاف في اعتبار التّناسب من عدمه بنسبةٍ كبيرةٍ إلى الاختلاف في ترتيب القرآن الكريم.
 - أبو الحسن، برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ (809هـ-885هـ)، عالمٌ حافظٌ محقّقٌ مجاهدٌ شاميّ أشعريّ شافعيّ، من علماء عصر المماليك في القرن التّاسع الهجريّ، ومؤلف السّيفر العظيم «نظم الدرر».

- ألف البقاعي «نظم الدرر» في فنّ قلّ من اعتنى به من العلماء وهو مناسبات الآيات والسُّور، وغرضه منه بيان إعجاز القرآن، نصيحةً لطلّاب العلم، فحاز به قصب السُّبق في استيعاب المناسبات في جميع آي القرآن وسوره، وأثنى العلماء كثيرًا على هذا الكتاب.
- للبقاعي منهجٌ ومنهجيةٌ واضحا أتبعهما في بيان المناسبات.
- يقرّر البقاعي تناسب السُّور فيما بينها، بالرغم من قوله إنّ ترتيب السُّور كان باجتهاد الصّحابة رضي الله عنهم، وتأوّل ذلك بأنّ اجتهادهم وافق ما في اللّوح المحفوظ.
- **محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور** (1296هـ-1393هـ)، عالمٌ تونسيٌّ زيتونيٌّ، مصلحٌ مجتهدٌ مجدّدٌ أشعريٌّ مالكيٌّ، مفتي المالكية وشيخ الإسلام المالكيّ، من علماء القرن الرّابع عشر الهجريّ، في عصرٍ لم يكن فيه أمر الأُمَّة الإسلاميّة بيدها، إذ كان الاستعمار الغربيُّ هو المسيطر عليها في شتى مجالات الحياة، سواءً على المستوى السّياسي، أو الاقتصاديّ، أو الاجتماعيّ، أو الفكريّ، أو العلميّ، أو الثّقافيّ.
- ظهرت حركاتٌ إصلاحيةٌ عالميّةٌ ومحليّةٌ في عصر ابن عاشور، سعت إلى تحقيق نهضةٍ فكريّةٍ تستردُّ بها بلدان العالم الإسلاميّ سيادتها وتعود بها للأُمَّة مكانتها بين الأمم، فكان ابن عاشور من رواد الإصلاح والنّهضة في بلاده تونس، وكان على صلواتٍ وثيقةٍ بالحركات الإصلاحية خارجها.
- من أشهر مؤلّفات ابن عاشور تفسيره «التّحرير والتّنوير»، وهو الذي يقصد به تحرير معاني القرآن ممّا يشوبها من الغموض وتنوير عقول النّاس من خلاله، اهتمّ فيه ببيان بلاغة القرآن الكريم ووجوه إعجازه، ويندرج تحت ذلك مناسبات آياته.
- لابن عاشور منهجٌ ومنهجيةٌ واضحا أتبعهما في تفسيره.
- يرى ابن عاشور أنّ الأصل تناسب الآية ولاحقتها في ترتيب المصحف، في حين لا يرى التّناسب بين الآيات بترتيب نزولها، ويحتجُّ لعلم المناسبات، ويرى أنّ فيه علمًا جمًّا، ويعتبر البحث في المناسبات ذا قيمةٍ بالغةٍ، ويؤكّد ضرورة طلب المفسّر لتناسب الآي آيةً آيةً، واهتمّ في تفسيره ببيان ذلك، ونهى عن التّكلف في طلب المناسبة إن لم يتيسّر الوصول إليها.
- يرى ابن عاشور أنّ سُور القرآن مؤلّفةٌ من مقاطع متناسبة، فيكشف عن مناسباتها.

- لا ينكر ابن عاشور تناسب السُّور، ولا يرى البحث فيه لازماً، ولم يكشف في تفسيره عن هذا النوع من المناسبات إلاّ في خمسة مواضع، وأمّا رأيه في ترتيب السُّور هل هو بالتّوقيف أم بالاجتهاد؟ فغير واضح.
- إنّ ما جاء به ابن عاشور من المناسبات هو بمثابة استدراقاتٍ على اجتهاداتٍ سابقية كالبقاعيّ والرّازيّ.

الباب الثاني: الدّراسة التّطبيقية

(المقارنة بين المناسبات عند البقاعيّ وابن عاشور من أوّل النّبأ إلى آخر الانفطار)

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأوّل: مناسبات سورة النّبأ بين البقاعيّ وابن عاشور

الفصل الثاني: مناسبات سورة النّازعات بين البقاعيّ وابن عاشور

الفصل الثالث: مناسبات سورة عبس بين البقاعيّ وابن عاشور

الفصل الرّابع: مناسبات سورتيّ التّكوير والانفطار بين البقاعيّ

وابن عاشور

توطئة الباب

يأتي هذا الباب، وهو باب الدِّراسة التَّطبيقيَّة، من أجل الإجابة عملياً على الإشكاليَّة الرِّئيسة الخاصَّة بهذه الدِّراسة، وهي المصوغة في السُّؤال الآتي: "إلى أيِّ مدى وافق ابنُ عاشور البقاعيِّ في مناسبات السُّور الخمس الأولى من حزب (عمِّ) أو خالفه فتمكَّن بذلك من الإضافة عليه والإتيان بما فيه مقنع؟"، وذلك من خلال إجراء مقارنة بين مناسبات تلك السُّور من سُورِ المُفصَّل⁽¹⁾.

فأجري مقارنةً بين ما توصل إليه المفسِّران من مناسبات السُّور فيما بينها، ومناسبات آيات كلِّ سُورةٍ فيما بينها آيةً ومقطعاً مقطعاً. وبناءً على ذلك؛ يأتي هذا الباب وهذه المقارنة في أربعة فصول؛ أتناول في كلِّ فصلٍ سورةً واحدةً، إلَّا الفصل الرَّابع -وهو الأخير- أتناول فيه سورتين؛ وذلك بسبب قصرهما مقارنةً بالسُّور قبلهما. وأمَّا ترتيب السُّور فهو بحسب ترتيبها في المصحف الشَّريف.

⁽¹⁾ القول الَّذي ارتضاه المتأجِّرون من فقهاء المالكيَّة في أوَّل المُفصَّل أنَّه سورة الحجرات، وأصحُّ القولين في مبدأ وسط المُفصَّل أنَّه سورة عبس (فالنَّبأ والنَّازعات آخر سُورتين من طِوال المُفصَّل)، وأصحُّ القولين في مبدأ قصار المُفصَّل أنَّه سورة والضُّحى، ولبقيَّة المذاهب أقوال أخرى (ينظر: ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير، 214/26).

* * *

الفصل الأول: مناسبات سورة النبأ

بين البقاعيّ وابن عاشور

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مناسبات سورة النبأ عند البقاعيّ

المبحث الثاني: مناسبات سورة النبأ عند ابن عاشور

المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة النبأ عند البقاعيّ

وابن عاشور

* * *

توطئة:

سورة التبا مكيّة إجماعاً⁽¹⁾، وقد حصل خلافٌ بين البقاعيّ وابن عاشور في عدّها أيها؛ حيث ذكر البقاعيُّ أنّها إحدى وأربعون في البصريّ، وأربعون فيما سواه⁽²⁾، في حين ذكر ابن عاشور أنّها إحدى وأربعون في المكيّ والكوفيّ، وأربعون في المدنيّ والشاميّ والبصريّ⁽³⁾. وبالرجوع إلى مصادر أخرى تبين أنّ الخطأ في النقل كان من ابن عاشور، وأنّ الصواب ما ذكره البقاعيُّ⁽⁴⁾.

وبتأمل السور الخمس عينة الدراسة، وكلام المفسرين في عدّها أيها، تبين لي أنّ ابن عاشور اعتمد العدّ الكوفيّ، في حين أنّ البقاعيّ لم يرقم الآي، وإنما وضع دوائر صغيرة مزخرفة، لعله يقصد بها رؤوس الآي، فإن كان الأمر كذلك؛ فإنّها لا تدلّ على اعتماده عدّها واحداً في جميع السور؛ حيث توافق في سورة التازعات العدّ الكوفيّ، وفي سورة عبس العدّ الشاميّ، وأمّا في سورة التبا فبلغ عددها تسعاً وثلاثين دائرة، وهو ما لا يوافق أيّ طريقةٍ من طرق العدّ المعروفة!

ويأتي هذا الفصل لبيان مدى عناية البقاعيّ وابن عاشور بالكشف عن مناسبات هذه السورة، ثمّ إجراء المقارنة بين ما توصّلا إليه من المناسبات؛ قصد الوصول إلى جزءٍ من الإجابة عن إشكاليّة هذه الدراسة، باعتبار هذه السورة جزءاً فقط من عيّنتها.

ومراعاةً للفارق الزمنيّ بين عصريّ المفسرين، أقدم بيان مناسبات السورة عند المتقدّم منهما وهو البقاعيّ، ثمّ أتبعه بمناسباتها عند المتأخّر وهو ابن عاشور، ثمّ أجري المقارنة بين ما توصّلا إليه في مناسباتها؛ فجاء الفصل في ثلاثة مباحث، كما يلي.

(1) البقاعيّ، مصاعد النظر، (150/3)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5/30).

(2) البقاعيّ، نفسه، (150/3).

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5/30).

(4) ينظر: أبو العباس، الفضل بن شاذان الرّازي، سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله، تح: أبو عبد الرحمن بشير بن حسن الحميري، دار ابن حزم، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ط: 1، 1430هـ/2009م، ص: 360-361، أبو عمرو، الدّاني الأندلسي، البيان في عدّ آي القرآن، تح: غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق(42)، قسم القرآن الكريم وعلومه، الكويت، ط: 1، 1414هـ/1994م، ص: 262.

المبحث الأول: مناسبات سورة النبأ عند البقاعي

يأتي هذا المبحث لبيان مناسبة سورة النبأ للسورة التي قبلها، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها، وذلك من خلال اجتهادات البقاعي.

المطلب الأول: مناسبة سورة النبأ لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعي

سورة النبأ هي السورة رقم: 78 في ترتيب المصحف من أصل 114 سورة من سور القرآن الكريم، والسورة التي قبلها في ترتيب المصحف هي سورة المرسلات، فكيف يرى البقاعي التناسب بين السورتين؟ وما هي مقاطع سورة النبأ في نظره؟ وما أوجه المناسبات بينها؟ ذلك ما سيتمُّ بحثه في الفرعين الآتيين.

الفرع الأول: المناسبة بين سورة النبأ وسورة المرسلات عند البقاعي

يرى البقاعي أنّ التناسب بين سورة النبأ وسورة المرسلات حاصلٌ من ثلاث جهات، وذلك على النحو الآتي:

الجهة الأولى: التناسب بين موضوعي السورتين

يرى البقاعي أنّ السورتين مشتركتان في الحديث عن موقف الناس من يوم القيامة، وأنّ سورة النبأ كاللّتمّة لسورة المرسلات؛ ووجه ذلك هو الانتقال من الحديث عن المُجمِعين على التّكذيب بيوم القيامة قبل البعثة، إلى الحديث عن المختلفين فيه بعدها؛ من شاكّين ومنكرين ومصدّقين⁽¹⁾.

وهذا الوجه من التناسب معلّلٌ لترتيب السورتين لأنّه حصل وفق التّرتيب في الوجود.

الجهة الثانية: التناسب بين مقصودي السورتين

لم يصرح البقاعي بالتناسب بين مقصودي السورتين، إلّا أنّه واضحٌ رأيُه فيه من خلال ما ذكرَ فيهما؛ إذ ذكر أنّ مقصود سورة المرسلات: "الدّلالة على آخر الإنسان من إثابة الشّاكرين بالنّعيم وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم في يوم الفصل"⁽²⁾، فإن كانت المرسلات

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (189/21، 191).

(2) نفسه، (164/21).

للدلالة على إثابة الشاكرين ومعاقبة الكافرين يوم القيامة، فإنَّ النبأ - كما ذكر - للدلالة على ثبوت ذلك اليوم ثبوتاً لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجه⁽¹⁾.

فالمناسبة بين المقصودين أنَّ مقصود الأولى إثبات الجزاء، ومقصود الثانية إثبات يومه. وقد نقل البقاعي عن أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي ما يؤكد هذا المعنى، وهو قوله: "ثمَّ قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: 17)، أي موعداً لجزائكم لو اعتبرتم بما ذكر لكم لعلمتم منه وقوعه وكونه ليقع جزاؤكم على ما سلف منكم ف ﴿وَيْلٌ لِّمُؤْمِنِي الْمُكَذِّبِينَ﴾⁽²⁾ (3).

فإنَّ كان الغرض من إثبات حصول الجزاء يومَ الفصل هو الإنذار بذلك اليوم، كما قال البقاعي: "﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ أي الذي هو النبأ العظيم، وتقدّم الإنذار به في المرسلات"⁽⁴⁾، فالمناسبة بين مقصودي السورتين تتمثل في الانتقال من الإنذار بيوم الفصل في المرسلات إلى إثبات ذلك اليوم في النبأ، وهو مناسبٌ لتعليل ترتيب السورتين.

الجهة الثالثة: التناسب بين مطلع النبأ ومقطع المرسلات ومضمونها

يتضح وجه ارتباط مطلع النبأ بمقطع المرسلات ومضمونها عند البقاعي، ومعه وجه ترتيب السورتين في قوله: "لَمَّا أَخْبَرَ فِي الْمُرْسَلَاتِ بِتَكْذِيبِهِمْ يَوْمَ الْفَصْلِ، وَحَكَمَ عَلَيَّ أَنْ لَهُمْ بِذَلِكَ الْوَيْلُ الْمَضَاعِفُ الْمَكْرَرُ، وَخْتَمَهَا بِأَنَّهُمْ إِنْ كَفَرُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ لَمْ يُؤْمِنُوا بَعْدَهُ بِشَيْءٍ، افْتَتَحَ هَذِهِ بِأَنَّ مَا خَالَفُوا فِيهِ وَكَذَّبُوا الرَّسُولَ فِي أَمْرِهِ لَا يَقْبَلُ النَّزَاعَ"⁽⁵⁾.

وما خالفوا فيه وكذبوا الرسول في أمره هو النبأ العظيم الذي فسره البقاعي تارةً بأنه: "رسالة الرسول وإتيانه بالكتاب المبين، وإخباره عن يوم الفصل"، وتارةً بأنه: "أمرُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي أَهْمُهُ الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ"⁽⁶⁾، وتارةً أخرى بأنه: "يوم الفصل"⁽⁷⁾. فكلُّها - في آخر النَّظَر - ترجع إلى يوم القيامة.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (189/21).

(2) آية تكررت في سورة المرسلات عشر مرّات، وأول موضع من السورة وردت فيه هو الآية 15.

(3) البقاعي، نظم الدرر، (193/21).

(4) نفسه، (200/21).

(5) نفسه، (190/21).

(6) نفسه، (191/21).

(7) نفسه، (203/21).

الفرع الثاني: مناسبات مقاطع سورة التبا عند البقاعي

الذي يبدو من عمل البقاعي أنه يرى سورة التبا مؤلفة من خمسة مقاطع، وتنقسم بعض تلك المقاطع إلى مقاطع أخرى فرعية، وقد بين مناسباتها وذلك على النحو الآتي:

1- مناسبة المقطع الأول:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلَفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ تَوَكَّلَا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾﴾
(التبا: 1-5)

يرى البقاعي أن افتتاح السورة بهذا المقطع مناسب لما أُخبر به في سورة المرسلات من تكذيب المكذبين بيوم الفصل، ولما ذُكر في مقطعها من أن المكذبين إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء؛ فذكر في مطلع التبا أن ما كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره - وهو يوم الفصل - لا يقبل النزاع أصلاً لظهوره.⁽¹⁾

فالبقاعي يرجع مناسبة افتتاح السورة بهذا المقطع إلى المناسبة بينها وبين سورة المرسلات، وقد سبق تفصيل القول فيها في الفرع السابق.

2- مناسبة المقطع الثاني:

﴿الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا الْفَأْفَأَ ﴿١٦﴾﴾
(التبا: 6-16)

يرى البقاعي أن المقطع الثاني واقع موقع الاستدلال لما سبق تحقيقه وتأكيد في المقطع الذي قبله (أي الاستدلال لصحة التبا)، بكمال قدرته تعالى مع تمام حكمته، الموجب للقطع بكل ما نبهت عليه الرسل من الشرائع والبعث والجزاء، وقال مؤكداً وجه الاستدلال: "فكيف يصح بوجه أن يتوقف في إخبار من هذه قدرته، لاسيما إذا كان ذلك المخبر به مما ركز سبحانه أمره في الفطر الأولى، وقرّر صحته في العقول التقرير الأوضح الأجل".⁽²⁾

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (190/21).

(2) ينظر: نفسه، (196-195/21).

وقد قسم البقاعي هذا المقطع (الثاني) إلى مقطعين فرعيين:

• المقطع الفرعي الأول: (الآيات: 6-11)

ابتداءً الاستدلال بما هم (المكذّبون) له أشدُّ ملابسةً، وهو الظرف، وهو المهاد وما

فيه.

• المقطع الفرعي الثاني: (الآيات: 12-16)

تعقيباً للاستدلال السابق بالاستدلال بالسقف وما يحويه⁽¹⁾، وذلك من باب المقابلة

بين السماء والأرض.

3- مناسبة المقطع الثالث:

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾
وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (النبأ: 17-20).

كشف البقاعي عن مناسبة المقطع الثالث للمقطع الذي قبله فقال: "ولمّا ذكر ما دلّ على غاية القدرة ونهاية الحكمة، فدلّ قطعاً على الوحدانية، ... أتبعه ما أعلم أنّه ما ذكره إلا للدلالة على النبأ العظيم في لقاء العزيز الرحيم؛ فقال منتجعاً عمّا مضى من الوعيد، وما دلّ على تمام القدرة، مؤكّداً لأجل إنكارهم: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ ﴾ أي الذي هو النبأ العظيم ... ولمّا ذكره، ذكر ما فيه تعظيماً له وحثّاً على الطاعة"⁽²⁾، وقال فيما يليه من الكلام: "ولمّا بين أنّ يوم الفصل هو النبأ العظيم، بعد أنّ دلّ عليه ودكر ما فيه من المسير..."⁽³⁾.
فمجموع كلامه يدلّ على أنّ هذا المقطع في بيان أنّ النبأ العظيم الذي تساءلوا عنه واختلفوا فيه وجاء المقطع الذي قبله في الاستدلال له هو يوم الفصل، وفي ذكر ما فيه تعظيماً له وحثّاً على الطاعة.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (197/21).

(2) نفسه، (200-199/21).

(3) نفسه، (203/21).

4- مناسبة المقطع الرابع:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّغْيِينَ مَتَابًا (22) لِّبَنِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا
 حَمِيمًا وَعَسَاقًا (25) جَرَاءً وَفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (28) وَكُلَّ
 شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32)
 وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (35) جَرَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا (36) رَبُّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37) ﴾ (النبأ: 21-37)

تتجلى مناسبة المقطع الرابع للمقطع الذي قبله عند البقاعي في قوله: "ولمَّا بَيَّنَّ أَنَّ يَوْمَ
 الْفَصْلِ هُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ، بَعْدَ أَنْ دَلَّ عَلَيْهِ وَذَكَرَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَسِيرِ، ذَكَرَ مَا إِلَيْهِ مِنَ الدَّارَيْنِ
 الْمَصِيرِ"⁽¹⁾. فالمناسبة ذُكِرَ مصير النَّاسِ فِي يَوْمِ الْفَصْلِ، بَعْدَ ذِكْرِ مَسِيرِهِمْ فِيهِ.

وقد قَسَّمَهُ الْبِقَاعِيُّ إِلَى مَقْطَعَيْنِ فِرْعَوِيِّينِ اثْنَيْنِ:

● المقطع الفرعي الأول: (الآيات: 21-30)

ذَكَرَ الْبِقَاعِيُّ أَنَّ مَنَاسِبَةَ الْإِبْتِدَاءِ بِذِكْرِ جَهَنَّمَ هِيَ تَقْدِيمُ ذِكْرِ الْمَخَوْفِ عَلَى ذِكْرِ
 الْمَطْلُوبِ، مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ دَرِّ الْمَفَاسِدِ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ.⁽²⁾

● المقطع الفرعي الثاني: (الآيات: 31-37)

مَنَاسِبَتُهُ لِلْمَقْطَعِ الْفِرْعَوِيِّ الَّذِي قَبْلَهُ تَعْقِيبُ ذِكْرِ جَزَاءِ الْكَافِرِينَ بِذِكْرِ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
 الْمَخَالَفِينَ لَهُمْ⁽³⁾، وَذَلِكَ مِنَ الْمَقَابِلَةِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر، (203/21).

(2) ينظر: نفسه، (204/21). "درء المفسد أول من جلب المصالح": قاعدة فقهية معروفة (ينظر: أحمد بن محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، تح: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، ط: 2، 1409هـ/1989م، ص: 205-206، محمد الرحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، دمشق، ط: 3، 1430هـ/2009م، (243-238/1).

(3) ينظر: البقاعي، نفسه، (209/21).

5- مناسبة المقطع الخامس (الأخير):

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (38) ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ ابْتَغَى إِلَىٰ رَبِّهِ مَأْتَابًا ﴿39﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿40﴾ (النَّبَأُ: 38-40)

كشف البقاعي عن مناسبة المقطع الخامس لما قبله فقال: "فقد علم أن ذلك اليوم في غاية العظمة، وأنه لا بُدَّ من كونه، فَعُلم أن التساؤل عنه للتعجب من كونه من أعظم الجهل، فرجع آخرها على أولها، وانعطف مفضلها أي انعطاف على موصولها"⁽¹⁾.

فتضمن كلام البقاعي الإشارة إلى تحديد مقطع السورة، وهو الآيات: (38، 39) المؤكدة لعظمة يوم الفصل، والآية (40) المؤكدة لوقوعه⁽²⁾. وبين وجه اتصاله بما قبله، بأنه الإعلام

بأن ذلك اليوم، وهو يوم الفصل المبتدئ ذكره من قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (17) (النَّبَأُ: 17)، في غاية العظمة، وأنه لا بُدَّ من كونه. كما بين وجه اتصاله بمطلع السورة، وهو أن العلم بما دلَّ عليه من عظمة ذلك اليوم ومن تحقُّقه مبطلٌ لما ورد في أول السورة من التساؤل عنه تعجبًا من كونه، وذلك ردُّ للعجز على الصدر.

وبين البقاعي أيضًا مناسبة مقطع السورة لمطلع السورة التي بعدها وهي النزاعات⁽³⁾، وسيأتي ذكرها عند الحديث عن مناسبات سورة التبا.

المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة التبا عند البقاعي

يرى البقاعي أن آيات سورة التبا متناسبة على النحو الآتي:

1- مناسبة الآية: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (1)

الافتتاح بالآية الأولى عند البقاعي مناسبٌ لمقصود السورة، ووجه المناسبة عنده أنه كما كان مقصود السورة إثبات يوم القيامة، بسبب تكذيب طائفة من الناس بوقوعه، جاء افتتاح هذه السورة بسؤال، الغرض منه تفخيم ما يتساءلون عنه والتعجب من تساؤلهم عنه، لكونه مما

(1) البقاعي، نظم الدرر، (216/21).

(2) وينظر: نفسه، (214/21، 215).

(3) ينظر: نفسه، (216/21).

لا يقبل الزّاع، "عظمه وعظم ظهوره، والعظيم لا ينبغي الاختلاف فيه بوجه"؛ قال البقاعي: "فقال معجّبًا منهم غاية العجب ... ومفجّحًا للأمر بصيغة الاستفهام"، وقال: "ولشدّة العجب سُمّي جداهم وإنكارهم وعنادهم - إذا تليت عليهم آياته وجُلبت بيّناته - مطلق سؤال"، وقال أيضًا: "ولمّا فحّم ما يتساءلون عنه معجّبًا منهم فيه ...".⁽¹⁾

2- مناسبة الآية: ﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾

الآية بيانٌ للأمر المبهم في الآية التي قبلها، وبيان أنّ الغرض من إبهامه تعظيمه. قال البقاعي: "ولمّا فحّم ما يتساءلون عنه معجّبًا منهم فيه، بيّنه بقوله إعلامًا بأنّ ذلك الإبهام ما كان إلّا للإعظام: ﴿عَنِ النَّبِإِ﴾ ... ولمّا كان في مقام التّفخيم له، وصفه تأكيدًا بقوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾"⁽²⁾.

3- مناسبة الآية: ﴿الذِّمِّ هُرْفِيهِ مُخْلَفُونَ﴾⁽³⁾

لم يذكر البقاعي مناسبة الآية بصريح العبارة، وإمّا تُستنتج من كلامه، بأنّها لمّا كانت الآية الأولى والثانية في تعظيم ما يتساءلون عنه والتّعجب من تساؤلهم، جاءت الآية الثالثة في تعظيم التّويخ لهم، وفق قاعدة الجزاء من جنس العمل؛ فحصل التّويخ بالتّعريض بمروءتهم وعقولهم، قال البقاعي: "وعظّم تويخهم بقوله: ﴿الذِّمِّ هُرْفِيهِ﴾ أي بضمائرهم مع ادّعائهم أنّهم أقوم الضّمائر ﴿فِيهِ مُخْلَفُونَ﴾ أي شديد اختلافهم ... مع عظمه وعظم ظهوره، والعظيم لا ينبغي الاختلاف فيه بوجه، فإنّ ذا المروءة لا ينبغي له أن يدخل في أمرٍ إلّا وهو على بصيرة فكيف به إذا كان عظيمًا، فكيف به إذا تناهى عظمه، فكيف به إذا كان أهمّ ما يهّمه ... فكيف إذا كان بحيث تُتلى عليه الأدلّة وتُجلى لديه قواطع الحجج وتُجلب إليه البيّنات، وهو يكابر فيها ويماري ويعاند ويداري"⁽³⁾.

4- مناسبة الآية: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾

الآية - عند البقاعي - مرتبطة بالآيات الثلاث التي قبلها، ووجه ارتباطها بها التأكيد بأداة

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (190/21-192).

(2) نفسه، (191/21).

(3) نفسه، (191/21-192).

الرّدع⁽¹⁾ (كلاً) بأنّ ما اختلفوا فيه وسألوا عنه ليس موضعاً للاختلاف والتّساؤل، والتّهديد والتّهويل بأنّهم سيعلّمون عن قريبٍ في الدّنيا، علماً لا يُستطاع دفاعه، وهو عين اليقين، بعد علم اليقين الذي دفعوه.⁽²⁾

5- مناسبة الآية: ﴿تُرَكَّلَا سَيَعْلَمُونَ﴾ (5)

يرى البقاعي أنّ الآية تعظيمٌ لرتبة الرّدع والتّهديد والرّجر والوعيد الوارد في الآية التي قبلها، بالعلم بعد الموت، وهو حقّ اليقين، بعد علمهم قبله بعين اليقين؛ فذلك رادعٌ عن الاختلاف في أمره⁽³⁾، فبعد أن عظم ما يتساءلون عنه وعظم توبيخهم، حدّر من عاقبة تكذيبهم وتوعدهم في الدّنيا، ثمّ عظم من رتبة ذلك الوعيد بالتّوعد في الآخرة.

6- مناسبة الآية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ (6)

الآية - كما سبق ذكره - بداية مقطعٍ في الاستدلال لصدق النّبأ بكمال قدرته تعالى مع تمام حكمته، الموجب للقطع بكلّ ما نبّهت عليه الرّسل من الشّرّائع والبعث والجزاء. ومناسبة مضمون هذه الآية لبداية الاستدلال بها أنّه سبحانه وتعالى ابتداء بما هم له أشدُّ ملابسةً وهو الظّرف، وهو الأرض التي جعلها الله فراشاً لهم، موطئاً مدللاً يمكن الاستقرار عليه، ليتصرّفوا فيها كما شاءوا.⁽⁴⁾

7- مناسبة الآية: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾ (7)

الآية عند البقاعيّ من تمام الجملة التي قبلها، الواردة في التّذكير بما في الظّرف - الذي هو الأرض - من الدّلالة على تمام القُدرة، فعقبت بذكر ما فيه من الجبال المثبّته له⁽⁵⁾، فذكر الأرض استدعى ذكر ما فيها ممّا يثبّتها وهو الجبال.

(1) ذكر البقاعيّ كلاماً في معنى الرّدع والفرق بينه وبين الرّجر والنّهي، فقال: "الرّدع على وجهين: خطابٌ لمُعْرضٍ، ويُسمّى زجرًا كما يُسمّى في حقّ البهائم، وخطابٌ لمُقْبِلٍ على التّفهّم، ويُسمّى نهياً؛ فكأنّ الرّجر يُزيغ الطّبع، والنّهي يُزيغ العقل" (البقاعيّ، نظم الدرر، 71/1).

(2) ينظر: نفسه، (193/21-194).

(3) ينظر: نفسه، (194/21).

(4) ينظر: نفسه، (195/21).

(5) ينظر: نفسه، (196/21).

8- مناسبة الآية: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾

تتجلى مناسبة الآية لما قبلها (وهو الآيتان: 6، 7) عند البقاعي في قوله: "ولمَّا ذُكِرَ بما في الظرف الذي هو فرشهم من الدلالة على تمام القدرة، أتبعه التذكير بما في المظروف، وهو أنفسهم، لتجتمع آيات الأنفس والآفاق فيتبين لهم أنه الحق" (1).

9- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾

مناسبة الآية للتي قبلها عند البقاعي أنه سبحانه وتعالى لمَّا ذكر في الآية التي قبلها ما به بقاء النوع الإنساني وهو الزواج، أعقبه بذكر ما به يُحفظ النوع من إسراع الفساد، وهو النوم الذي به إراحة قواه وحواسه. كما كشف عن المناسبة بين ما ذكر في الآية، وهو النوم، وبين مقصود السورة فقال: "فهو مُدَكَّرٌ بالموتة الكبرى، والاستيقاظ مُدَكَّرٌ بالبعث" (2).

10- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾

كشف البقاعي عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "ولمَّا ذُكِرَ النَّوْمُ، أتبعه وقته الأليق به"، وذكر أن هناك مناسبة بين الآيتين: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ و﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ والآيات: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝٦﴾ ... و﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾، هي التذكير بنعمة الظرف الزماني بعد التذكير بالظرف المكاني (3).

11- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾

يرى البقاعي أن الآية مقابلة للتي قبلها مباشرة، وأنَّ المقابلة جاءت بطريق الاحتباك (4)، ومعنى الاحتباك: "أنَّ يجتمع في الكلام متقابلان، ويُحذف من كل واحد منهما مقابلهُ، لدلالة الآخر عليه" (5).

فتقدير الآية: وجعلنا الليل لباسًا لتسكنوا فيه عن المعاش، وجعلنا النهار معاشًا مُظهِرًا لما ستره الليل. فذكر اللباس أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا وهو "مُظهِرًا لما ستره الليل"، وذكر

(1) البقاعي، نظم الدرر، (196/21)

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (197/21).

(4) ينظر: نفسه.

(5) الجرجاني، معجم التعريفات، ص: 13.

المعاش ثانيًا دليلاً على حذف ضده أولاً وهو (لتسكنوا فيه عن المعاش)⁽¹⁾.

12- مناسبة الآية: ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾⁽¹²⁾

يرى البقاعيُّ أنّه بعدما ذكر الظرف الزمانيّ، وذلك في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيِلَ لِبَاسًا﴾⁽¹⁰⁾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا⁽¹¹⁾، أعقبه بذكر ما هو سبب له وهو السقف بدورانه، قال البقاعيُّ: "ولمّا ذكر المهاد وما فيه، أتبعه السقف الذي بدورانه يكون الوقت الزمانيّ"⁽²⁾.

13- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾⁽¹³⁾

كشف البقاعيُّ عن المناسبة بين الآية والآية التي قبلها فقال: "ولمّا ذكر السقف، ذكر بعض ما فيه من أمّهات المنافع"⁽³⁾.

14- مناسبة الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا﴾⁽¹⁴⁾

تتجلى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعيِّ في قوله: "ولمّا ذكر ما يحق الرطوبة بجزرته، أتبعه ما يُطفئ الحرارة برطوبته وبرودته فينشأ عنه المأكّل والمشرب، التي بها تمام الحياة ويكون تولدها من الظرف بالمهاد والسقف"، فالمقصود هو المطر، وذكر في هذه الآية بدايته، وهي السحاب المثقلة بالماء.⁽⁴⁾

15- مناسبة الآيتين: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾⁽¹⁵⁾ وَجَعَلْنَا آفَاقًا﴾⁽¹⁶⁾

مناسبة الآيتين للآية التي قبلهما عند البقاعيِّ أنّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر في الآية السابقة بداية المطر، أتبعها في هاتين الآيتين نهايته، وبدأ بالحَبِّ لأنّه قوت النَّاسِ الذي به بقاؤهم كالحنطة والشعير وغيرهما.⁽⁵⁾

16- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾⁽¹⁷⁾

الآية بداية مقطع - كما سبق ذكره - في الحديث عن يوم الفصل بيان أنّه النَّبأ العظيم، وفي ذكر ما فيه تعظيمًا له وحثًا على الطاعة. ومناسبة الابتداء بهذه الآية هي تأكيد ذلك اليوم

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (197/21).

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (198/21).

(5) ينظر: نفسه، (199-198/21).

لأجل إنكارهم له.⁽¹⁾

17- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (18)

كشفت البقاعي عن المناسبة بين الآية والآية التي قبلها فقال: "ولمَّا ذكره، ذكر ما فيه تعظيمًا له وحثًا على الطاعة فقال مبدلًا منه أو مبيِّنًا له: ﴿يَوْمَ﴾"⁽²⁾. فالمناسبة بيان هذه الآية وما عُطف عليها لما يكون في اليوم المذكور في الآية التي قبلها. فذكر في هذه الآية ما هو متعلِّق بأنفسهم، وهو حال كونهم يأتون أفواجًا.⁽³⁾

18- مناسبة الآية: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (19)

الآية عند البقاعي معطوفة على التي قبلها، في ذكر ما يكون يوم القيامة من الأهوال، فبعدما ذكرت الآية السابقة من الأهوال ما هو من آيات الأنفس، عقيبت هذه بذكر ما هو من آيات الآفاق⁽⁴⁾؛ فالمناسبة عادة القرآن في تعقيب آيات الأنفس بآيات الآفاق.

19- مناسبة الآية: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (20)

الآية عند البقاعي معطوفة على التي قبلها، في ذكر ما يكون يوم القيامة من أهوال ما هو من آيات الآفاق، وعلة الترتيب بين المذكورين في الآيتين هي البدء بالأشرف وهو العلوي وهو السماء، ثم أقرب الأرض إليه وأشدُّها، وهو الجبال.⁽⁵⁾

20- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (21)

سبق ذكر أن الآية عند البقاعي بداية مقطع في ذكر ما إليه من الدارين مصير الإنسان، وأنها بداية المقطع الفرعي الأول منه، وقد كشف البقاعي عن مناسبة تقديمه عن المقطع الفرعي الآخر، في حين لم يكشف عن مناسبة ابتدائه بهذه الآية، ولعل ذلك لوضوح أنها مقتضي الانتقال كما يسميه ابن عاشور.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (200/21).

(2) نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (202/21).

(4) ينظر: نفسه.

(5) ينظر: نفسه.

21- مناسبة الآية: ﴿لَطَّغَيْنَا مَابَا﴾ (22)

وجه ارتباط الآية بالتبا قبلها عند البقاعي أنها ذكر لمن مصيرهم جهنم بأثم الطاغون. (1)

22- مناسبة الآية: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (23)

يتجلى ارتباط الآية بما قبلها عند البقاعي في قوله: "ولما ذكر مصيرهم إليها، ذكر إقامتهم فيها، فقال حالاً من ضمير الطاغين: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا﴾" (2).

23- مناسبة الآيتين: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (24) ﴿الْأَحْمِيمَا وَعَسَاقًا﴾ (25)

مناسبة الآيتين عند البقاعي أنه سبحانه وتعالى لما ذكر في الآية التي قبلهما لبثهم في جهنم التي هي مسكنهم وما بهم، أعقبه ببيان حال لبثهم فيها، بأثم لا شراب لهم فيها إلا الحميم في دولة السعير، ولا برد لهم إلا العساق، وهو عصارة أهل النار من القيقح والصدديد البارد المنتن، في دولة الزمهير، فذلك عذابهم فيها. (3)

24- مناسبة الآية: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ (26)

كشف البقاعي عن مناسبة الآية للآيتين اللتين قبلها فقال: "لما حكم عليهم بهذا العذاب الذي لا يطاق، ذكر حكمته فقال أنه جزاهم بذلك جزاءً وفاقاً" ثم ذكر البقاعي وجه الموافقة فقال: "أثم كانوا يأخذون أموال الناس، فيحرقون صدورهم عليها ويبردون بها الشراب ويصقونونه ويخرونه" (4). وهذا الذي ذكره البقاعي لم تصرح به السورة. ثم بين وجه الموافقة المذكور في السورة، وهو ما سيأتي بيانه في المناسبة التالية.

25- مناسبة الآيتين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (27) ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا﴾ (28)

يرى البقاعي أنه سبحانه وتعالى لما ذكر العذاب وأتبعه بحكمته وهي الموافقة، بينت هاتان الآيتان وجه الموافقة، ووضحه بأن: ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ موافق لخلودهم في النار، وتجريعهم الحميم والعساق موافق لـ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا﴾ التي تعني: "تكدياً هو في غاية المبالغة،

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (204/21).

(2) نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (208، 206-205/21).

(4) نفسه، (206/21).

بحيث لو سمعوا أكذب الكذب، ما كذبوا به كما كذبوا بها، فكان تجريعهم لما لا يصح أن يشربه أحد... لهم جزاء على تكذيبهم⁽¹⁾. ثم كشف البقاعي عن مناسبة كل آية من الآيتين على حدة.

26- مناسبة الآية: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (27)

ذكر البقاعي أن الآية تعليلٌ لعذابهم المذكور في الآي التي قبلها.⁽²⁾

27- مناسبة الآية: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ (28)

كشف البقاعي عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "ولمَّا دَلَّ انتفاء رجائهم على تكذيبهم المفسد للقوة العلمية، صرَّح به على وجهٍ أعمَّ فقال: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾"⁽³⁾؛ فالآية من عطفِ العامِّ على الخاصِّ، ووجه ارتباطها بالآية التي قبلها التصرُّح بالمدلول بعد ذكر الدالِّ.

28- مناسبة الآية: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (29)

بيَّن البقاعي مناسبة الآية لما قبلها فقال: "ولمَّا كان التَّقدير: فكلُّ شيءٍ جعلنا له وزاناً"⁽⁴⁾، عطف عليه قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (29) فلا جائز أن نترك شيئاً من الأشياء بغير جزاء"⁽⁵⁾. فللمناسبة أنه سبحانه بعدما أخبر بأنه جعل لكلِّ شيءٍ ما يعادله ويقابله من المكافأة، أعقبه بذكر ما يفيد أنه من غير الجائز أن يترك شيئاً بغير جزاء، وهو إحصاء جميع الأعمال، فذلك من باب التوكيد المعنوي.

29- مناسبة الآية: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (30)

يرى البقاعي أن الآية تكملةٌ للآيات السابقة لها، متناسبة معها، وهي عنده خاتمة المقطع الذي تنتمي إليه، ومناسبتها لما قبلها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر السبب أتبعه بذكر المسبب؛ فبعد أن ذكر عذابهم في الآيات (24-26)، ذكر سببه في الآيتين (27، 28) وهو

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (206/21-208).

(2) ينظر: نفسه، (206/21).

(3) نفسه، (207/21).

(4) وزاناً: أي ما يعادله ويقابله، أو مكافأة (ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص: 1029).

(5) البقاعي، نظم الدرر، (207/21-208)، بتصرفٍ يسيرٍ بحذف الكلام الزائد عن بيان المناسبة.

تكذيبهم، ثم أتبع السبب بذكر ما يتسبب عنه، وذلك في الآية 30، وهو الإهانة بالقول والزيادة في العذاب. كما دلّت عبارة الإهانة القويّة على شدّة الحزّي والغضب عليهم، وكمال قدرة الله سبحانه وتعالى، من خلال أسلوب الالتفات⁽¹⁾ الذي وردت به.⁽²⁾

وذكر احتمالاً آخر لمتعلق ﴿فَذُوقُوا﴾، وهو أن يكون "سبباً عن مقدّرٍ بعد ﴿كُتِبَ﴾ نحو: ليجازيهم على كلّ شيءٍ منه، قائلاً لهم على لسان الملائكة أو لسان الحال: ﴿فَذُوقُوا﴾، أي من هذا العذاب في هذا الحال بسبب تكذيبكم بالحساب"⁽³⁾.

فخلاصة القول في تناسب آيات المقطع عند البقاعيّ أنّه سبحانه وتعالى ابتدأ بذكر مصير الطّاعين وهو جهنّم، ثمّ مدّة لبثهم فيها، ثمّ بيان حالهم فيها بأنهم في عذابٍ شديدٍ، ثمّ بيان حكمة ذلك النوع من العذاب، ثمّ بيان علته وهي تكذيبهم، ليختتم ببيان شدّة الحزّي والغضب عليهم وكمال القدرة له سبحانه وتعالى، من خلال بيان ما يقال لهم بلسان الحال أو المقال إهانةً وزيادةً في الجزاء.

30- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾⁽³¹⁾

الآية عند البقاعيّ مستأنفة، بداية مقطعٍ فرعيّ في ذكر جزاء المؤمنين، ووجه ارتباطها بما قبلها أنّها ذكرت أنّ جزاء المؤمنين هو الفوز بالرّاحة الدائمة من جميع ما مضى ذكره للطّاعين الذين هم أضدادهم. فالمناسبة هي المضادة.⁽⁴⁾

31- مناسبة الآية: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾⁽³²⁾

يرى البقاعيّ أنّ الآية تفسيرٌ للمفاز المجل في الآية التي قبلها، بأنّه جامعٌ لأنواع اللذات: لذّة البصر، ولذّة الشمّ، ولذّة المطعم؛ بما فيه من بساتين كثيرة الأشجار ذوات الثمار والرّياحين المتنوّعة.⁽⁵⁾

(1) الالتفات هو: "العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلّم، أو على العكس" (الجرجانيّ، معجم التعريفات، ص: 32).

(2) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (208/21).

(3) نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (209/21).

(5) ينظر: نفسه.

32- مناسبة الآية: ﴿وَكَايَبَ أَزْبَابًا﴾ (33)

بيّن البقاعي مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "ولمّا ذكر المساكن النزهة المؤنفة المعجبة، ذكر ما يُتمتع به، وهو جامعٌ لألذّ الحواسّ: البصر، واللمس، والدّوق"⁽¹⁾.

33- مناسبة الآية: ﴿وَأَسَادَهَا قَا﴾ (34)

كشف البقاعي عن المناسبة بين الآية والآية التي قبلها فقال: "ولمّا ذكر النّساء ذكر الملائم لعشرتهن فقال: ﴿وَأَسَا﴾ أي من الخمر التي لا مثل لها في لذة الدّوق ظاهرًا وباطنًا وكمال الشّورور وإنعاش القوى ... ﴿دِهَاقَا﴾ أي ممتلئة"⁽²⁾.
فيمكن تلخيص المناسبة بين الآيات الثلاث الأخيرة بأنّها: لمّا ذكر سبحانه المساكن (الآية 32)، ذكر ما يُتمتع به فيها (الآية 33)، ثمّ ما هو مُتمّم للمتعة (الآية 34).

34- مناسبة الآية: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ (35)

يرى البقاعي أنّ اشتمال الآيات (32-34) على ذكر ما به لذة البصر والشّم والدّوق واللمس، ناسبه أن تذكر الآية بعدها ما به تمام تنعم الحواسّ، وهو نفي ما يكدر لذة السّمع في الجنّة. واستدعى الانتقال إليها ذكر الخمر في الآية السّابقة لها، فإنّ ذلك ممّا يُحطّر في ذهن السّامع ما يكون في مجالس خمر الدّنيا من منغصاتٍ، من اللّغو والكذب، فذكر أنّ الجنّة خاليةٌ من كلّ ذلك في جميع الأوقات.⁽³⁾

35- مناسبة الآية: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (36)

الآية في بيان سعة فضله سبحانه وتعالى، وإكرامه نبيّه بإكرام أمّته، ولم يبيّن البقاعي مناسبة ذلك لما ورد في الآيات قبلها، وإنّما كشف عن مناسبات أجزاء الآية الرّاجعة إلى اختيار الألفاظ.⁽⁴⁾

(1) البقاعي، نظم الدرر، (209/21).

(2) نفسه، (210/21).

(3) يرى البقاعي أنّ الضّمير المحرور في ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى الجنّة المعبر عنها بالمفاز (ينظر: نفسه).

(4) ينظر: نفسه، (211/21).

36- مناسبة الآية: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (37)

يرى البقاعي أن التناسب بين الآية والآية التي قبلها حاصلٌ بوجهين:

● **الأول:** "لما ذكر سبحانه وتعالى سعة فضله (في الآية السابقة)، وصف نفسه الأقدس (في هذه الآية) بما يدلُّ على عظمته". والتلازم بين الوصفين لا يخفى، فإنَّ سعة الفضل دليلٌ على العظمة.

● **الثاني:** لما ذكر في الآية السابقة إكرام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإكرام أمته بالعتاء الحساب - وهو العطاء على قدر الكفاية - ذكر في هذه مزيدَ تشريفٍ له - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بذكر ما يدلُّ على عظمة ربه، لأنَّ عظمة العبد على حسب عظمة السيِّد. وهذا سواءً أكانت الجملة مستأنفةً أم مبدلةً.

كما بينَ البقاعيُّ المناسبة بين جمليَّ الآية، وهما: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، وذلك بأنَّ الثانية تعليلٌ للأولى؛ أي: تعليل عموم ربوبيته بكونه ﴿الرَّحْمَنُ﴾؛ أي: الذي له الإنعام العامُّ الذي أدناه الإيجاد، و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ للدلالة على انفراده بذلك.⁽¹⁾

37- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَصَوَابًا﴾ (38)

الآية عند البقاعيِّ بداية مقطعٍ في الإعلام بأنَّ يوم الفصل في غاية العظمة، وأنه لا بدَّ من كونه كما سبق ذكره. ويرى البقاعيُّ أنَّ التناسب بينها وبين التي قبلها حاصلٌ بوجهين:

● **الأول:** تأكيد معنى الآية التي قبلها، وقيامها مقام الدليل عليه، حيث قال: "وهذا كالدليل على آية الخطاب (الآية 37)؛ بأنَّه إذا كان الرُّوح والقريب منه بهذه المثابة، في حال كلِّ من حضره كان أحوج ما يكون إلى الكلام، فما الظنُّ بغيرهم؟"⁽²⁾.

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (211/21-212).

(2) نفسه، (214/21).

• الثاني: الاحتراس⁽¹⁾، وذلك بإزالتها ما قد يوهمه معنى الآية التي قبلها في باب الشفاعة، حيث قال: "ولمّا كان هذا رُبّما أفهم سدّ باب الشفاعة عنده سبحانه ... أكّد هذا المعنى مزيداً ما قد يوهمه في الشفاعة ... ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أي في الكلام إذناً خاصاً"⁽²⁾.

38- مناسبة الآية: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ ابْتَغَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ مَأْتَابًا﴾⁽³⁹⁾

الآية مؤلفة من جملتين: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، والجملّة التي بعدها. فأما مناسبة الجملة الأولى للآية التي قبلها -عند البقاعي- فهي من باب زيادة التّعظيم التي يستحقّها ما عظم في الآية السّابقة لها، وهو يوم الفصل، حيث قال: "ولمّا عظم ذلك اليوم بالسكوت خوفاً من ذي الجبروت ... أشار إليه بما يستحقّه زيادةً في عظّمته فقال: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾"⁽³⁾. وأما الجملة الثانية، فمناسبة للأولى وللآية التي قبلها من باب الحثّ على ما يترتّب على العلم بعظمة ذلك اليوم، وهو الرّجوع إلى الله. قال البقاعي: "ولمّا قرّر من عظّمته ما يعجز غيره عن أن يقرّر مثله، وكان قد خلق القوى والقدر والفعل بالاختيار، فكان من حقّ كلّ عاقل تدبّر ما ينجي منه، سبّب عن ذلك تنبيهاً على الخلاص منه وحثّاً عليه قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ ..."⁽⁴⁾.

39- مناسبة الآية: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

تُرَابًا﴾⁽⁴⁰⁾

بيّن البقاعي مناسبة الآية لما قبلها من الآي، فذكر أنّها تلخيص لما تقدّم في هذه السورة من شرح النبأ العظيم فقال: "ولمّا قدّم في هذه السورة من شرح هذا النبأ العظيم ما قدّم من

(1) الاحتراس هو: "أن يؤتى في وسط الكلام أو آخره الذي [قد] يُوهم خلاف المقصود بما يرفع ذلك الوهم" (محمّد علي التّهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، طبع ضمن: سلسلة موسوعات المصطلحات العربيّة والإسلاميّة، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تح: علي دحروج، نقل النّصّ الفارسيّ إلى العربيّة: عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبيّة: جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط:1، 1996م، 108/1). وما بين معقوفين زيادةً منّي، ومستندي في ذلك كلام البقاعي المستشهد به في هذا الموضوع.

(2) البقاعي، نظم الدرر، (213/21)، فالآية في إثبات الشفاعة.

(3) نفسه، (214/21).

(4) نفسه.

الحِكم والمواعظ واللِّطائف والوعد والوعيد، لخصه في قوله، مؤكِّدًا لما لهم من التَّكذيب: ﴿إِنَّا
أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ بما مضى من هذه السُّورة وغيرها ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾.

ثمَّ كشف عن مناسبات جمل الآية الثلاث، وهي: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ و﴿يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ و﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾⁽⁴⁰⁾، بأنَّه سبحانه وتعالى لمَّا
حدَّر من العذاب، عيَّن وقته مشدِّدًا لتهويله، ثمَّ أعقبه بما يقوله الكافر عندما يرى تلك
الأهوال.⁽¹⁾

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (215/21).

المبحث الثاني: مناسبات سورة النبأ عند ابن عاشور

على نحو استقرار المناسبات عند البقاعي، أستقرتها عند ابن عاشور؛ فأبتدئ بذكر مناسبة السورة لما قبلها ومناسبات مقاطعها، ثم مناسبات آياتها آيةً آيةً.

المطلب الأول: مناسبة سورة النبأ لما قبلها (المرسلات) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور

سبق بيان منهج ابن عاشور في تناسب السور، بأنه لا يرى البحث فيه حقاً على المفسر، وهو ما ترجمه في أثناء تفسيره سورة النبأ وفي تفسيره سور القرآن الكريم، بأن لم يتناوله بالبحث.

وأما مقاطع سورة النبأ، فيرى ابن عاشور أن السورة مؤلفة من ستة مقاطع متناسبة، وأن بعض تلك المقاطع ينقسم إلى مقاطع أخرى فرعية، وأحد المقاطع الفرعية ينقسم إلى مقطعين فرعيين آخرين، وقد بين مناسباتها بأنها على النحو الآتي:

1- مناسبة المقطع الأول:

﴿عَمَّ يَسَاءَ لُونٌ⁽¹⁾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ⁽²⁾ الَّذِي هُرِّفَ فِيهِ مَخْلَفُونَ⁽³⁾﴾ (النبأ: 1-3)

بين ابن عاشور مناسبة افتتاح السورة بالمقطع الأول كما بين مناسباته لما بعده، وذلك كما

يلي:

- مناسبة افتتاح السورة بالمقطع الأول: هي براعة الاستهلال؛ بافتتاح الكلام بما يشعر بأنه في أهم ما فيه خوضهم يومئذ، وبما يؤذن بالتصدي لقول فصل في موضوعه.
- مناسبة المقطع الأول لما بعده: هي التشويق ثم التهويل لما سيذكر في السورة، بأسلوب عزيز غير مألوف، بافتتاح الكلام بالاستفهام عن تساؤل جماعة عن نبأ عظيم، وبطريقة الإجمال ثم التفصيل المحصلة لتمكّن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكّن، وذلك من الفواتح البديعة.⁽¹⁾

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (6/30).

2- مناسبة المقطع الثاني:

﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿4﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿5﴾﴾ (النبأ: 4-5)

مناسبة المقطع الثاني لما قبله - عند ابن عاشور - أنه وقع موقع الجواب عن سؤالهم الذي أرادوا به الإحالة والتَّهْكُومُ، فجاء جوابه من الله تعالى بقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾، وهو من باب قول النَّاسِ: الجواب ما ترى لا ما تسمع.⁽¹⁾

3- مناسبة المقطع الثالث:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿6﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿7﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿8﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿9﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ﴿10﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿11﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿12﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿13﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿14﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿15﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا ﴿16﴾﴾ (النبأ: 6-16)

يرى ابن عاشور أنَّ المقطع مستأنف⁽²⁾ بيانًا لإجمال قوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿2﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿3﴾﴾، حيث إنَّه وقع موقع الاستدلال على صحَّة النبأ المذكور، وأنَّه بكونه كذلك فإنَّه يدلُّ على المراد من النبأ؛ إذ يتبيَّن منه أنَّ النبأ العظيم، الذي جاءهم به القرآن واختلفوا فيه، هو إبطال إلهية أصنامهم و إثبات إعادة خلق أجسامهم وهو البعث، وذلك من خلال جمع هذه الآيات "للاستدلال على الوحدانية بالانفراد بالخلق وعلى إمكان إعادة الأجساد للبعث بعد البلى بأتمها لا تبلغ مبلغ إيجاد المخلوقات العظيمة"⁽³⁾، فلمَّا عُلِمَ المستدلُّ له من الآيات، عُلِمَ النبأ الذي اختلفوا فيه؛ فهو بيانٌ بالإشارة لا بصريح العبارة.⁽⁴⁾

(1) ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (12-11/30).

(2) يعرف ابن عاشور الاستئناف بأنَّه: ابتداء كلامٍ جديدٍ، بعد تمام الكلام الأول (ينظر: نفسه، 733/1)، فإن كان بسبب مجرَّد الانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ آخر فهو استئنافٌ ابتدائيٌّ (ينظر: نفسه، 229/1، 7/2، 266/30، 442، 603)، وأمَّا إن كان الكلام المستأنف في مقام الجواب عن سؤالٍ مقدَّرٍ قبله، ناشئٍ عن الكلام الأول، فهو استئنافٌ بيانيٌّ (ينظر: نفسه، 7/2، 97/30، 114، 127، 181).

(3) ينظر: نفسه، (10/30، 12، 13).

(4) ويمكن القول هنا: إنَّ عرض الدليل على صدق النبأ هو في الحقيقة جوابٌ عن تساؤلهم عن صدقه، وذلك مضمون قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ التَّفَاتِ الْخَطَابِ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ وبذلك يناسب المقطع الآيات الثلاث الأولى =

وقد قسم ابن عاشور هذا المقطع إلى ثلاثة مقاطع فرعية:

● المقطع الفرعي الأول: (النبأ: 6-9)

استدلالاً بخلق العالم السفلي (الأرض والجبال والإنسان).

● المقطع الفرعي الثاني: (النبأ: 10-13)

استدلالاً بالعالم العلوي. ثم ذكر وجه المناسبة بين ما ذكر في الخلق العلوي؛ بأنه تحدت أولاً عن بعض ظواهر الأفق المسمى "سما"، وهي الليل والنهار، ثم أتبعه بالحديث عن خلق العوالم العلوية (وهي السموات السبع، والشمس).⁽¹⁾

● المقطع الفرعي الثالث: (النبأ: 14-16)

استدلالاً على إمكان البعث بإنزال ماء المطر من الأسحبة على الأرض فتنبت الأرض به سنابل حبٍ وشجرًا وكلاً... فيكون ذلك دليلاً للناس على تصوّر حالة البعث بعد الموت.⁽²⁾

وختّم الأدلة بهذا الاستدلال جاء من باب ردّ العجز على الصدر؛ فقد جاء ترتيب الأدلة على نحوٍ متناسبٍ، وفي ذلك قال ابن عاشور: "وقد ابتدئت هذه الدلائل بدلائل خلق الأرض وحالتها، وجالت بهم الذكرى على أهمّ ما على الأرض من الجماد والحيوان (الآيات: 6-9)، ثم ما في الأفق من أعراض الليل والنهار (الآيتان: 10-11)، ثم تصاعد بهم التجوال بالنظر في خلق السموات وبخاصّة الشمس (الآيتان: 12-13)، ثم نزل بهم إلى دلائل السحاب والمطر (الآية: 14)، فنزلوا معه إلى ما يخرج من الأرض من بدائع الصنائع ومنتهى المنافع (الآيات: 15-16)، فإذا هم ينظرون من حيث صدوروا، وذلك من ردّ العجز على الصدر"⁽³⁾.

= (وهي مطلع السورة) وليس فقط الآيتين المشار إليهما. وتكون الآيتان: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (4) ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (5) في موقع الجملة

الاعتراضية؛ فتكون المناسبة هنا مثلثة: بيان إجمال، وجواب سؤال، وإثبات صدق النبأ بالاستدلال.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (22/30).

(2) ينظر: نفسه، (25/30). ويمكن القول: إنّه بعد أن استدلل بالخلق السفلي على الوحدة، بالانفراد بالخلق، وعلى إمكان البعث،

ثم بالخلق العلوي، استدلل في هذا المقطع الفرعي الأخير على البعث بظاهرة أشبه به، تدل على القدرة عليه، ناتجة عن التفاعل

بين العالم السفلي والعالم العلوي، وهي: إخراج النبات من الأرض بنزول المطر من السماء.

(3) نفسه، (28/30).

4- مناسبة المقطع الرابع:

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَقْوَابًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (النبأ: 17-20)

يرى ابن عاشور أنَّ المقطع الرابع تكملة للمقطع السابق في بيان إجمال قوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ وأنه المقصود من سياق الفاتحة التي افتتحت بها السورة⁽¹⁾. ووقع البيان هنا بصريح العبارة، بذكر أنه يوم الفصل، وبتفصيل بعض أهواله.

5- مناسبة المقطع الخامس:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ اللَّيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفِاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّنْ رَزَاكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (النبأ: 21-38)

يرى ابن عاشور أنَّ الآيات (21-38) تشكّل مقطعاً مستقلاً، باعتبار أنَّ جملة ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ مستأنفة استئنافية بيانية عن جملة ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴿١٧﴾﴾ وما لحق بها؛ فإنَّ ذلك ممَّا يثير في نفوس السامعين تطلُّب ماذا سيكون بعد تلك الأهوال، فأجيب بمضمون ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ الآية.

فلمناسبة عندئذٍ أنه سبحانه وتعالى بعدما أخبر عن يوم الفصل وأهواله في المقطع السابق ذكر في هذا المقطع ما سيكون بعد تلك الأهوال، جواباً على ما يثور في نفوس السامعين من تطلُّب معرفته.

وقد قسم ابن عاشور هذا المقطع إلى مقطعين فرعيين:

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/13، 29).

• المقطع الفرعي الأول: (النبأ: 21-30)

المقطع في ذكر دخول المشركين إلى جهنم وخلودهم فيها، ووصف حالهم وما يعانونه فيها، وتخلل هذا المقطع بعض الجمل الاعترافية وهي الآيات (27-29) كما سيأتي بيانه، قال ابن عاشور: "وابتدئ بذكر جهنم لأنَّ المقام مقام تهديد؛ إذ ابتدئت السورة بتكذيب المشركين بالبعث"⁽¹⁾.

• المقطع الفرعي الثاني: (النبأ: 31-38)

ومناسبتة للمقطع الذي قبله تتمثل في المقابلة، قال ابن عاشور: "جرى هذا الانتقال على عادة القرآن في تعقيب الإنذار للمنذرين بتبشير من هم أهل للتبشير، فانتقل من ترهيب الكافرين بما سيلاقونه إلى ترغيب المتقين فيما أعد لهم في الآخرة؛ من كرامة، ومن سلامة مما وقع فيه أهل الشرك"⁽²⁾، وذلك من باب المقابلة⁽³⁾.

6- مناسبة المقطع السادس:

﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ ابْتَغِ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾⁽³⁹⁾ ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾⁽⁴⁰⁾ ﴿(النبأ: 39-40)

بيّن ابن عاشور مناسبة المقطع السادس لما قبله من المقاطع ابتداءً من المقطع الرابع، فذكر أنّه مستأنفٌ استئنافاً ابتدائياً، واقعٌ موقع الفذلكة⁽⁴⁾ لِمَا تَقَدَّمَ من وعيد ووعد، إنذار وتبشير، وقال: "سيق مساق التنويه بـ ﴿يَوْمَ الْفَضْلِ﴾ الذي ابتدئ الكلام عليه من قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾⁽¹⁷⁾، والمقصود التنويه بعظيم ما يقع فيه من الجزاء بالثواب والعقاب، وهو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (34/30).

(2) نفسه، (43/30).

(3) ينظر: نفسه، (43/30، 46).

(4) الفذلكة: مُجْمَلٌ ما فُصِّلَ وخلصه، منحوتة من قوله: فَذَلِكَ كَذَا وَكَذَا، إذا أُجْمِلَ حِسَابُهُ (مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، المعجم الوسيط، ص: 678)، وَذَلِكَ كَلَامُهُ: أُجْمِلَ ما فَصَّلَهُ (أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ، 1683/3). قال ابن عاشور: "لفظ فذلكة كلمة مؤلدة، لم تُسمع من كلام العرب، غلب إطلاق اسم الفذلكة على خلاصة جمع الأعداد، وإن كان اللفظ المحكي جرى بغير كلمة (ذلك)، كما نقول في قوله: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: من الآية 196): إِنَّمَا فَذَلِكَةُ، مع كون الواقع في المحكي لفظ (تلك)، لا لفظ (ذلك)" (ابن عاشور، نفسه، 228/2).

نتيجة أعمال الناس من يوم وجود الإنسان في الأرض"⁽¹⁾.

فمناسبة المقطع تتمثل في إجمال وتلخيص وفذلكة ما فُصِّل القول فيه ابتداءً من قوله:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا﴾⁽¹⁷⁾ تنويهاً به.

المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة النبأ عند ابن عاشور

بيّن ابن عاشور مناسبات آيات سورة النبأ، وهي عنده على النحو الآتي.

1- مناسبة الآية: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾⁽¹⁾

يرى ابن عاشور أنّ مجيء الآية بصورة الاستفهام، وهو استفهام غير حقيقي، مستعمل في

التشويق إلى تلقي الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾

(الشُّعراء: 221)⁽²⁾. فمناسبة الافتتاح بها التشويق إلى تلقي ما يأتي بعدها.

2- مناسبة الآية: ﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾

الآية عند ابن عاشور جوابٌ عن سؤال الآية التي قبلها، وذكر أنّ تعقيب الاستفهام

المستعمل في غير طلب الفهم بالجواب عنه حسنٌ، وأنّ المراد منه في هذا الموضع بيانٌ ما أُجمل

بالاستفهام في الآية التي قبلها، وبيان جانب التّفخيم المقصود بالإجمال في الاستفهام⁽³⁾. وذكر

أنّ الإجمال ثمّ التّفصيل أسلوبٌ من أساليب التشويق.⁽⁴⁾

3- مناسبة الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾⁽³⁾

لم يذكر ابن عاشور للآية مناسبةً.

4- مناسبة الآية: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾

يرى ابن عاشور أنّ الآية واقعةٌ موقع الجواب عن سؤالهم الذي أرادوا به الإحالة والتّهكّم،

فجاء جوابه من الله تعالى بقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، وهو من باب قول الناس: الجواب ما ترى لا

ما تسمع.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (53/30).

(2) ينظر: نفسه، (9/30).

(3) ينظر: نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (6/30).

وذكر أنّ الجواب بـ (كلاً) تضمّن ردعاً للمتسائلين، وإبطاً للاختلاف في ذلك النبأ، وإبطاً وإنكاراً لتساؤلهم الذي أرادوا به الاستهزاء وإنكار الوقوع؛ فترتبط الآية بجميع آيات المقطع السابق لها، كما تضمّن الجواب وعيداً، حيث قال: "فتضمّن هذا الإبطال وما بعده إعلاماً بأنّ يوم البعث واقع، وتضمّن وعيداً، وقد وقع تأكيده بحرف الاستقبال الذي شأنه إفادة تقريب المستقبل".⁽¹⁾

5- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)﴾

يرى ابن عاشور أنّ الآية اشتملت على أمرين:

- توكيد لفظي للآية السابقة، لإفادة تحقيق المتوعدّ به فيها.
 - ترتيب زمني، بـ (ثمّ) الذي يفيد الارتقاء في الوعيد والتّهديد.⁽²⁾
- فوجه مناسبة الآية للآية التي قبلها هو التوكيد والارتقاء في الوعيد والتّهديد.

6- مناسبة الآية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (6)﴾

الآية عند ابن عاشور كما سبق بيانه بداية مقطع مستأنفٍ للاستدلال على صحّة النبأ العظيم الذي هو أمر البعث. ومناسبة ابتداء الاستدلال بخلق الأرض عنده تظهر في قوله: "إنّ البعث هو إخراج أهل الحشر من الأرض، فكانت الأرض أسبق شيءٍ إلى ذهن السّامع عند الخوض في أمر البعث، أي بعث أهل القبور"⁽³⁾.

7- مناسبة الآية: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا (7)﴾

يرى ابن عاشور أنّ جملة الآية معترضة، أدمجت⁽⁴⁾ بين جملة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (6)﴾

وجملة ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8)﴾، لأوجهٍ من المناسبة هي:

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (12-11/30).

(2) ينظر: نفسه، (12/30).

(3) نفسه، (14/30).

(4) عرّف القزويني الإدماج بقوله: "هو أن يضمّن كلاماً سبق لمعنى معنى آخر" (الخطيب القزويني جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر بن أحمد بن محمّد، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 2003م/1424هـ، ص:283). وذكر ابن عاشور أنّ الإدماج من أفانين البلاغة، وعرفه ويبيّن قيمته بقوله: "أن يكون مراد البليغ غرضين، فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثّاني، وفيه تظهر مقدرة البليغ؛ إذ يأتي بذلك الاقتتان بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام ولا تكلف" (ابن عاشور، نفسه، 339/1).

- **الأول:** أن ذكر الأرض وتشبيهاها بالبيت على طريقة المكنية بذكر المهاد الذي يكون فيه، استدعى ذكر جبال الأرض وتشبيهاها بأوتاد البيت، تخيلاً للأرض مع جبالها بالبيت ومهاده وأوتاده.
- **الثاني:** أن جعل الأرض مهاداً يُخطر في الأذهان أن كثرة الجبال الناتمة عليها لا تتناسب مع جعلها كذلك، فكان تشبيه الجبال بالأوتاد مستملحاً، بمنزلة حسن الاعتذار، وذلك ببيان الحكمة من خلق الجبال للأرض، وهي تعديل سبجها في الكرة الهوائية بكسر تيارها.
- **الثالث:** كثرة ذكر الجبال مع ذكر الأرض، لأن غالب سُكَّان الأرض وخاصَّة العرب لهم منافع جمَّة في الجبال.⁽¹⁾

8- مناسبة الآية: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾

كشف ابن عاشور عن المناسبة بين الآية والآيتين اللتين قبلها فقال: "أعقب الاستدلال بخلق الأرض وجبالها بالاستدلال بخلق النَّاس؛ للجمع بين إثبات التَّفَرُّد بالخلق وبين الدَّلالة على إمكان إعادتهم ... ولأهمَّ الذين سيعاد خلقهم يوم البعث، وهم الَّذِينَ يخرجون من الأرض"⁽²⁾.

9- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾

كشف ابن عاشور عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "انتقل من الاستدلال بخلق النَّاس إلى الاستدلال بأحوالهم، وخصَّ منها الحالة التي هي أقوى أحوالهم المعروفة شبهةً بالموت الذي يعقبه البعث، وهي حالة متكررة لا يخلون من الشُّعور بما فيها من العبرة؛ لأنَّ تدبير نظام النَّوم وما يطرأ عليه من اليقظة أشبه حالٍ بحال الموت وما يعقبه من البعث"⁽³⁾.

10- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾

تتجلى مناسبة الآية لما قبلها عند ابن عاشور في قوله: "من إتمام الاستدلال الذي قبله وما فيه من المنَّة؛ لأنَّ كون الليل لباساً حالةً مهيمَّةً لتكثيف النَّوم ومُعينة على هنائه والانتفاع به ...

(1) ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِير وَالتَّنْوِير، (15/30).

(2) نفسه، (17-16/30).

(3) نفسه، (18/30).

فكان تذكّر حالة اللّيل سريع الخطور بالأذهان عند ذكر حالة النّوم، فكان ذكر النّوم مناسبةً للانتقال إلى الاستدلال بحالة اللّيل على حسب أفهام السّامعين⁽¹⁾.

11- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (11)

يرى ابن عاشور أنّ بين الآية والآيتين اللّتين قبلها مناسبةً المقابلة، حيث قال: "لمّا ذكر حُلُقُ نظام اللّيل قُوبل بذكر حُلُقِ نظام النَّهار"⁽²⁾.

12- مناسبة الآية: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (12)

كشف ابن عاشور عن المناسبة بين الآية والآيتين اللّتين قبلها، وهما آيتا اللّيل والنّهار، فقال: "ناسب بعد ذكر اللّيل والنّهار، وهما من مظاهر الأفق المسّمى سماء، أن يُتبع ذلك... بذكر خلق العوالم العلويّة"⁽³⁾، وذلك من باب تصاعد النّظر أثناء التّأمّل في ملكوت الله تعالى؛ من التّظر إلى ما في الأفق من أعراض اللّيل والنّهار إلى التّظر في خلق السّماوات⁽⁴⁾.

13- مناسبة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ (13)

تتّضح مناسبة الآية للآية التي قبلها عند ابن عاشور في قوله: "ذكر السّماوات يناسبه ذكر أعظم ما يشاهده النّاس في فضائها وذلك الشّمس"⁽⁵⁾.

14- مناسبة الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً مُّجَاجًا﴾ (14)

كشف ابن عاشور عن المناسبة بين الآية والآيتين اللّتين قبلها فقال: "ومناسبة الانتقال من ذكر السّماوات إلى ذكر السّحاب والمطر قويّة"⁽⁶⁾.

(1) ابن عاشور، التّحوير والتّنوير، (19/30-20).

(2) نفسه، (21/30). وشرّح المقابلة بأنّها بمطابقتين: الأولى: لفظًا، بين اللّيل والنّهار، والثّانية: ضمّنًا، بين لفظة (نومكم) وتقدير (يقظتكم) في آية نظام النَّهار، ثمّ ذكر وجهًا آخر للمقابلة بين البّظامين، وهي الأخرى بمطابقتين: الأولى: فسّر (سباتًا) بالانقطاع عن العمل، وفسّر (معاشًا) بأنّها مجازٌ بعلاقة السّببيّة عن العمل الّذي تحصل به المعيشة؛ فهي مطابقة بالمعنى، والثّانية: لم يشرحها، ويمكن استنتاجها من قوله: "وذلك يقابل جعل اللّيل سباتًا"، فطابق بين اللّيل والنّهار، إلّا أنّ الآية تخبر عن جعل النّوم سباتًا وليس اللّيل؛ فتكون المطابقة بالمعنى، باعتبار أنّ النّوم مجازٌ عن اللّيل بعلاقة السّببيّة كما هو الحال بين المعاش والعمل. (ينظر: نفسه، 21/30-22).

(3) نفسه، (22/30).

(4) ينظر: نفسه، (28/30).

(5) نفسه، (23/30).

(6) نفسه، (25/30).

ولعلّه يقصد أنّ السّحاب بما يحمله من مطرٍ ينشأ في السّماء الدّنيا وهي محلّه. إلّا أنّ ما قد يستبعد هذا التّوجيه هو ما ذكره في موضعٍ لاحقٍ من أنّ الحديث عن دلائل السّحاب والمطر بعد الحديث عن خلق السّماوات نزولاً في النّظر، حيث قال: "ثمّ نزل بهم إلى دلائل السّحاب والمطر، فنزلوا معه إلى ما يخرج من الأرض من بدائع الصّنائع ومنتهى المنافع"⁽¹⁾؛ إذ ليس في إمكان الإنسان أن يصعد بنظره إلى فوق ما ذكر من خلق العالم العلويّ، فليس له بعد الصّعود إلّا أن يرجع ببصره إلى العالم السّفليّ بآية أخرى من دلائل وحدانيّته وقدرته على البعث، وهي المطر الذي ينزل من السّحاب الذي في السّماء فيُحيي به الأرض الميتة. فالمناسبة عنده هي النزول في النّظر بعد الصّعود.

15- مناسبة الآية: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾⁽¹⁵⁾

بيّن ابن عاشور مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "وقد بيّنت حكمة إنزال المطر من السّحاب، بأنّ الله جعله لإنبات النّبات من الأرض، جمعاً بين الامتنان والإيماء إلى دليل تقريب البعث، ليحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصّانع"⁽²⁾. فالمناسبة ظاهرة وهي التّعليل أو بيان الحكمة ممّا ذكر في الآية التي قبلها.

16- مناسبة الآية: ﴿وَجَنَّتِ الْفَأْفَأُ﴾⁽¹⁶⁾

لم يبيّن ابن عاشور مناسبة الآية؛ إذ اعتبرها تابعةً للآية التي قبلها، فهما جملةً بيانيّةً واحدةً. ويمكن تلخيص وجوه تناسب الآيات (6-16) فيما بينها (وهي آيات مقطع الاستدلال على البعث) عند ابن عاشور من خلال كلامه على النّحو الآتي:

ابتدأ سبحانه وتعالى بذكر مبدأ البعث وهو الأرض، فاستدعى ذكر الأرض وهيأتها ذكر الجبال التي عليها، وذكرهما استدعى ذكر ما يسير عليهما ويُبعث منهما وهو الإنسان، وذكر الإنسان استدعى ذكر أشبه أحواله بالموت الذي يكون بعده البعث وهو النّوم، وذكر النّوم استدعى ذكر اللّيل الذي هو ظرفه، وذكر اللّيل استدعى ذكر النّهار المقابل له، وذكر اللّيل والنّهار استدعى ذكر محلّهما وهو السّماء، وذكر السّماء استدعى ذكر ما يشاهد فيها وأبرزه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (28/30).

(2) نفسه، (26/30).

الشَّمْس، ثمَّ بعد السَّماء وما فيها لا بدَّ من الرُّجوع والنُّزول إلى الأرض؛ فذكر المطر النَّازل، وبعد ذكر المطر ذكر حكمة إنزاله وهي إخراج النَّبات؛ جمعًا بين الامتنان والإيماء إلى دليل تقريب البعث؛ ليحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصَّانع، فسبحان العليم الحكيم.

17- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (17)

الآية عند ابن عاشور بداية مقطع كما سبق ذكره، والمناسبة التي هيأت للانتقال إليها وللآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (18)، هي الاشتراك في الحديث عن الإخراج ووجود الشَّبه بينهما فيه، قال ابن عاشور: "وهيأت للانتقال مناسبة ذكر الإخراج من قوله ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ (15) إلخ، لأنَّ ذلك شَبَّه بإخراج أجساد النَّاس للبعث" (1).

18- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (18)

كشف ابن عاشور عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "يوم ينفخ في الصُّور بدل من يوم الفصل... وفائدة هذا البدل حصول التَّفصيل لبعض أحوال الفصل وبعض أهوال يوم الفصل"، فذكرت الآية النَّفخ في الصُّور ثمَّ مجيء النَّاس للحساب أفواجًا. (2)

19- مناسبة الآية: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (19)

ذكر ابن عاشور وجهين لمناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "جملة هي حال من ضمير ﴿فَنَأْتُونَ﴾. والتَّقدير: وقد فتحت السَّماء، أي قد حصل النَّفخ قبل ذلك أو معه. ويجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فيعتبر ﴿يَوْمَ﴾ مضافًا إلى هذه الجملة" (3). ومعنى كونها معطوفة أنَّها من تمام تفصيل أحوال وأهوال يوم الفصل.

20- مناسبة الآية: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (20)

الآية معطوفة على التي قبلها، ولم يبيِّن ابن عاشور المناسبة بينهما، ربَّما اكتفاءً بدلالة العطف على التَّشريك، فلها حكم الجملة المعطوفة عليها.

(1) ابن عاشور، التَّحْريْر والتَّشْوِير، (29/30).

(2) ينظر: نفسه، (30/30-31).

(3) نفسه، (32/30).

21- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (21)

يرى ابن عاشور أنَّ الآية إمَّا أن تكون من تمام ما خوطب به المشركون بقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْوِنُوا أَفْوَاجًا﴾ (18)؛ فتكون تتمَّةً لتفصيل بعض أهوال يوم الفصل. وإمَّا أنَّها مستأنفةٌ استئنافاً بيانياً، عن جملة ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (17) وما لحق بها، بدايةً مقطوعٍ جديدٍ في ذكر ما سيكون بعد الأهوال المذكورة في المقطع السابق. وابتدئ بذكر جهنم في المقطع الفرعيِّ الأول من هذا المقطع لأنَّ مقام السُّورة مقامٌ تهديدٍ للمشركين المكذِّبين بالبعث، وحينئذٍ مناسبة ابتداء هذا المقطع الفرعيِّ بهذه الآية هي تهديدهم بأنَّ جهنم تترصد لهم في ذلك اليوم، أو أنَّها "موضع يرصد منه الموكِّلون بها، ويترقبون من يُزجى إليها من أهل الطغيان" (1).

22- مناسبة الآية: ﴿لِلطَّغْيِينِ مَأْبَأٌ﴾ (22)

وجه ارتباط الآية بالآية التي قبلها عند ابن عاشور هو "الإيماء إلى سبب جعل جهنم لهم" (2) بأنه طغيانهم.

23- مناسبة الآية: ﴿لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (23)

بيِّن ابن عاشور مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "وانتصب ﴿لَيْسِينَ﴾ على الحال من الطَّغْيِينِ" (3). فالآية في بيان حال الطَّغْيِينِ في جهنم، وذلك مناسبٌ أن يُذكر بعد ذكر دخولهم إليها. ولم يصرِّح بهذه المناسبة اكتفاءً بدلالة بيان المضمون عليها.

24- مناسبة الآيتين: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (24) ﴿الْأَحْمِيمَاءُ وَعَسَاقَا﴾ (25)

يرى ابن عاشور أنَّ جملة الآيتين في وصف حال الطَّغْيِينِ، وأنَّ ارتباطها بما قبلها يحتمل وجهين بحسب عود ضمير "فيها".

فإمَّا أن يعود إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾ (التبأ: 21)؛ فهي من تمام وصف حال الطَّغْيِينِ في ذلك المكان، وإمَّا أن يعود إلى ﴿أَحْقَابًا﴾ (التبأ: 23)؛ فهي وصفٌ لحال الطَّغْيِينِ في ذلك الزَّمان.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/34-35).

(2) نفسه، (30/36).

(3) نفسه.

كما فصل القول في المناسبة بين جزئي جملة الاستثناء، فذكر أن قوله ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ (25) جاء لتأكيد ما ذكر قبله، وهو قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (24)، بما يشبه ضده في الصورة، من خلال استثناء (الحميم والغساق) من (البرد أو الشراب).⁽¹⁾

25- مناسبة الآية: ﴿جَزَاءً وَفَاةً﴾ (26)

مناسبة الآية عند ابن عاشور أنه سبحانه وتعالى بعدما ذكر الجزاء في الآيتين السابقتين، وصفه في هذه الآية بأنه موافق للعمل الذي جُوزوا عليه.⁽²⁾

وبين ابن عاشور وجه المناسبة بين جزائهم وجرمهم في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاةً﴾، فقال: "فإن ذلك أصل إصرارهم على الكفر، وهما أصلان: أحدهما عدمي وهو إنكار البعث، والآخر وجودي وهو نسبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن للكذب، فعوقبوا على الأصل العدمي بعقابٍ عدمي وهو حرمانهم من البرد والشراب، وعلى الأصل الوجودي بجزاءٍ وجودي وهو الحميم يراق على أجسادهم والغساق يمرُّ على جراحهم"⁽³⁾.

26- مناسبة الآيتين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (27) و﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ (28)

يعتبر ابن عاشور الآيتين جملةً بيانيةً واحدةً، وأنها معترضة بين الجملة التي قبلها، وهي من قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (21) إلى قوله ﴿جَزَاءً وَفَاةً﴾ (26)، وبين جملة ﴿فَذُوقُوا﴾ (النبأ: 30)، وأنها وقعت موقع التعليل للجملة التي قبلها المخيرة عن الجزاء، فذكرت أن العلة هي التّكذيب بالبعث وتكذيب القرآن.⁽⁴⁾

(1) البرد: التّسليم البارد، وهو ألدُّ ما يطلبه المحرور، والشراب بالماء الذي يزيل العطش، والحميم: "الماء شديد الحرارة"، والغساق: "الصّديد الذي يسيل من جروح الحرق، وهو المثل"، والاستثناء منقطع؛ لأنّ المستثنى ليس من جنس المستثنى منه (ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 38/30-37/38). ويمكن تلخيص القول في تناسب الآيات الخمس (21-25) بأنه سبحانه وتعالى بعد أن ذكر أن جهنم تترصد للطّاعين في ذلك اليوم، ذكر لازمه بأنّها ستكون مسكنًا لهم بسبب طغيانهم، فاستدعى ذلك بيان مدّة إقامتهم فيها، فذكر أنّها أحقاب متواليات لا تنتهي، وذلك ممّا يُحطّر في الدّهن التّساؤل عن حالهم فيها كلّ تلك المدّة؛ فجاء الجواب عنه.

(2) ينظر: نفسه، (38/30).

(3) نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (39-38/30).

27- مناسبة الآية: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (29)

بعد أن اعتبر ابن عاشور جملة الآيتين (27-28) معترضةً بين ما قبلها وما بعدها على النحو المبين آنفاً؛ اعتبر الآية 29 -هي الأخرى- معترضةً بين الآيتين (27-28)⁽¹⁾ وبين التي تليها مباشرةً، وهي قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا﴾ (النبأ:30)، ثم بين أن الفائدة من هذا الاعتراض تتمثل في: "المبادرة بإعلامهم أن الله لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، فلا يدع شيئاً من سيئاتهم إلا يحاسبهم عليه ما ذكر هنا (يعني الآيتين: 27-28) وما لم يُذكر، كأنه قيل: إنهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا، وفعلوا مما عدا ذلك، وكل ذلك محصّي عندنا"⁽²⁾.
فالمناسبة أهما جملة معترضة لإفادة علم زائد متعلق بما سبق ذكره في الآيتين (27-28).

28- مناسبة الآية: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (30)

يرى ابن عاشور أن الآية جملة مفرعة⁽³⁾ ومسببة على جملة ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (21) وما اتصل بها، وتقدير الكلام: "فيقال لهم ذوقوا... على سبيل التوييح والتفريع، ثم فرغ على ﴿فَذُوقُوا﴾ ما يزيد تنكيدهم وتحسيرهم بإعلامهم بأن الله سيزيدهم عذاباً فوق ما هم فيه"⁽⁴⁾.
فالآية متصلة بالمقطع ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ ... جَزَاءً وَفَاةً﴾ (النبأ:21-26)، تابعة له في وصف حال الطاغين في جهنم. والآيات: (27، 28، 29) جميعها معترضة لمناسبات سبق بيانها.

29- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (31)

الآية عند ابن عاشور بداية مقطع فرعي في تبشير المتقين كما سبق ذكره، وقد كشف عن مناسبتها فقال: "فالجملة متصلة بجملة ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (21) لِلطَّغِينِ مَفَاةً﴾، وهي

(1) عبّر ابن عاشور هنا عن الآيتين بالجملة، وقبل هذا الموضع بالجملة؛ فالمقصود أهما جملة نحويّة في جملة بيانيّة واحدة، ولذلك ذكر في هذا الموضع أن الجمل سبقت مساق التعليل، للدلالة على أنها جملة بيانيّة واحدة.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (41/30).

(3) التفريع: "جعل شيء عقيب شيء لاحتياج اللاحق إلى السابق" (الجرجاني، معجم التعريفات، ص:57)، وعرفه ابن رشيق القيرواني بقوله: "وهو من الاستطراد كالتدرج من التفسير، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما، ثم يفرغ منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً" (ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 636/2).

(4) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (41/30-42).

مستأنفة استئنافاً ابتدائياً بمناسبة مقتضي الانتقال⁽¹⁾؛ أي أنّ الافتتاح بها اقتضاه الانتقال إلى تبشير المتقين.

30- مناسبة الآية: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾⁽³²⁾

يرى ابن عاشور أنّ الآية مبدلة من الآية التي قبلها، حيث قال: "وأبدل ﴿حَدَائِقَ﴾ من ﴿مَفَاظًا﴾ بدل بعضٍ من كلِّ باعتبار أنّه بعضٌ من مكان الفوز، أو بدل اشتمالٍ باعتبار معنى الفوز"⁽²⁾.

فقد فسّر المفاظ بأنّه مكان الفوز، أو أنّه بمعنى الفوز؛ وهو الظفر بالخير ونيل المطلوب⁽³⁾؛ فحيثما كانت الحدائق أجزاءً حقيقيّةً من (مفاظًا)، كان البديل بدل بعضٍ من كلِّ، وحيثما كانت أجزاءً معنويّةً كان البديل بدل اشتمالٍ، على حسب المعنى المختار للمفاظ. وفائدة هذين النوعين من البديل البيان بعد الإجمال والتفسير بعد الإجمال⁽⁴⁾، ومناسبة إبدال الحدائق من المفاظ هي البيان بعد الاجمال.

31- مناسبة الآية: ﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾⁽³³⁾

الآية معطوفة على التي قبلها، ولم يبيّن ابن عاشور مناسبة التّعقيب بما ذكر فيها لما ذكر في الآية التي قبلها، وربما اكتفى بدلالة العطف على التّشريك، باشتراكها مع التي قبلها في بيان إجمال الآية التي قبلها.

32- مناسبة الآية: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾⁽³⁴⁾

كشف ابن عاشور عن علّة تأخير ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾⁽³⁴⁾ عمّا عطف عليه وهو جملة ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾⁽³²⁾ و﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾⁽³³⁾، فأرجعها إلى وجهٍ من وجوه الإعجاز في الأسلوب هو:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (43/30).

(2) نفسه، (44/30).

(3) ينظر: نفسه، (43/30).

(4) رضيّ الدّين محمّد الأستراباديّ، شرح الرّضويّ لكافية ابن الحاجب، القسم الأوّل-المجلد الأوّل، تح: حسن بن محمّد بن إبراهيم الحفظي، سلسلة نشر الرّسائل الجامعيّة -13-، عمادة البحث العلميّ، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، طباعة: إدارة الثّقافة والنّشر بالجامعة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 1، 1414هـ/1993م، ص: 1078.

بديع الإيجاز مع وفرة المعاني⁽¹⁾؛ وذلك أنه إذا جاء ضمير (فيها) بعد ذلك في قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ (35) جاز إرجاعه إلى الكأس وإلى المفاز (الجنة)، فينتج عنه وفرة المعاني مع إيجاز في العبارة⁽²⁾.

ولم يبيّن المناسبة بين ما ذكر فيها وما ذكر في الآيتين قبلها. وربما اكتفى بدلالة العطف على التشريك، باشتراكها مع الآيتين قبلها في بيان الإجمال.

33- مناسبة الآية: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ (35)

جوّز ابن عاشور أن يعود ضمير (فيها) المجرور إلى قوله في الآية التي قبلها ﴿كَأَسَا﴾ (النبا: 34)، أو إلى الجنة بتأويل ﴿مَفَازًا﴾ (النبا: 31) بها، فتكون الآية وصفًا لخمير الجنة بأتمها سليمةً مما تسببه خمير الدنيا من آثار العريضة؛ من هذيانٍ وكذبٍ وسبابٍ، أو وصفًا للجنة بأتمها لا يُسمع فيها الكلام السافل ولا الكذب، أو وصفًا لهما معًا⁽³⁾. ومناسبة ذلك لما ذكر فيما قبلها من الآي: أنه لما أخبر أنه أحاط بأهل جهنم أشدّ الأذى بجميع حواسّهم، نفى عن أهل الجنة أقلّ الأذى وهو أذى سماع ما يكرهه الناس، وذلك من باب المضادة.

34- مناسبة الآية: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ (36)

يرى ابن عاشور أنّ الآية حالٌ من المفاز، مقابلٌ لقوله ﴿جَزَاءً وَفِاقًا﴾ (26)⁽⁴⁾.

(1) قرّر ابن عاشور في المقدمة التاسعة من مقدمات تفسيره أنّ الإيجاز من وجوه إعجاز القرآن العظيم (ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّشوير، 1/93-100)، وشرحه بأنّه: "توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلّم بأوضح عبارة وأخصرها؛ ليسهل اعتناقها بالأذهان" (93/1)، وقال: "وقد تكثرت المعاني بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر تكثيرًا للمعاني مع إيجاز اللفظ، وهذا من وجوه الإعجاز" (94/1)، وكذلك قرّره في المقدمة العاشرة (121/1-123)، وقال: "لولا إيجاز القرآن لكان أداء ما يتضمّنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن" (122/1). وذكره الرّمانيّ على أنّه القسم الأوّل من أقسام بلاغة القرآن، التي هي أحد أوجه إعجازه، وعرفه بأنّه: "البيان عن المعنى بأقلّ ما يمكن من الألفاظ"، وأنّه: "إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير" (الرّمانيّ، التّكث في إعجاز القرآن، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 76، 80).

ومّا أفرد في إعجاز الإيجاز: تفسير «إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز» لبديع الرّمان سعيد التّورسيّ، و«الإعجاز والإيجاز» للتّعاليبيّ؛ خصّ الباب الأوّل منه في بعض ما نطق به القرآن من الكلام المعجز الموجز.

(2) ينظر: ابن عاشور، نفسه، (46/30).

(3) ينظر: نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (48-47/30).

35- مناسبة الآية: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (37)

ذكر ابن عاشور وجهين لمناسبة الآية للتي قبلها، وهما من جهتين مختلفتين:

• الجهة الأولى: ارتباط جملة ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ بالآية التي قبلها، ووجهه: تعميم ربوبيته سبحانه وتعالى، المذكورة بالاختصاص في الآية التي قبلها، على جميع المصنوعات، ببيان أن ربه "هو ربهم لأنه" ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ولكن المشركين عبدوا غيره جهلاً وكفراً لنعمة.

• الجهة الثانية: ارتباط اسم ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ في هذه الآية بذكر العطاء في الآية التي قبلها، ووجهه: "الإيماء إلى أن ما يُفِيضُه من خيرٍ على المتقين في الجنة هو عطاء رحمانٍ بهم".

كما كشف عن المناسبة بين جملتي هذه الآية، وهما جملة ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وجملة ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾، فذكر أنه سبحانه وتعالى أتبع ذكر ربوبيته للمخلوقات بنفي أن يتكلموا بغير إذنه "لإبطال مزاعم المشركين أو للاحتراس لدفع توهم أن ما تُشعر به صلة ﴿ رَبُّ ﴾ من الرفق بالمربوبين في تدبير شؤونهم يُسيغ إقدامهم على خطاب الرب".⁽¹⁾

36- مناسبة الآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (38)

يرى ابن عاشور أن الآية مؤكدة لمعنى الآية التي قبلها، والقصد من التأكيد هو "التوصل به إلى الدلالة على إبطال زعم المشركين شفاعاة أصنامهم لهم عند الله، وهي دلالة بطريق الفحوى فإنه إذا نُفي تكلمهم بدون إذن، نُفيت شفاعتهم؛ إذ الشفاعاة كلامٌ من له وجهةٌ وقبولٌ عند سامعه".⁽²⁾

37- مناسبة الآية: ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ ابْتَحِدْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَابًا ﴾ (39)

الآية عند ابن عاشور بداية مقطع في التثويه بيوم الفصل كما سبق ذكره، مؤلفة من

جملتين:

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتثويه، (49-48/30).

(2) نفسه، (51/30).

- الجملة الأولى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾، وهي تنويه به بأنه حقيق بأن يوصف بأنه ﴿الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾، قال ابن عاشور: "فلأجل جميع ما وصف به ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ كان حقيقاً بأن يوصف بأنه ﴿الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾"، فمناسبتها لما قبلها: بيان ما يستحقه ذلك اليوم من مكانة بين الأيام بعد تقديم ذكر مجموعة من أوصافه.
- الجملة الثانية: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾، ومناسبتها للجملة التي قبلها: أنها تفرغ عليها بموعظة سنحت لها فرصة تهيؤ النفوس لقبول الموعظة.⁽¹⁾

38- مناسبة الآية: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ

تُرَابًا ﴿٤٠﴾

- بيّن ابن عاشور مناسبة الآية لما قبلها، ومناسبتها لمفتتح السورة على أساس أنها محتتمها.
- فأما مناسبتها لما قبلها، ففي قوله: "وهذه الآية جامعة لما جاء في السورة من أحوال الفريقين⁽²⁾"، وبيّن محلّ ذكر أحوال المؤمنين في الآية بقوله: "وذكر وصف الكافر يفهم منه أنّ المؤمن ليس كذلك؛ لأنّ المؤمن وإن عمل بعض السيئات، وتوقع العقاب على سيئاته، فهو يرجو أن تكون عاقبته إلى النعيم".
- وأما مناسبتها لمفتتح السورة، فردّ العجز على الصّدْر، وذلك براءة ختم، حيث قال: "وفي آخرها ردّ العجز على الصّدْر من ذكر أحوال الكافرين الذين عُرفوا بالطّاعين، وبذلك كان ختام السورة بما براءة مقطع".⁽³⁾

كما بيّن أوجه المناسبة بين جمل الآية الثلاث، وهي كما يلي:

- الجملة الأولى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، اعتبرها معترضة بين ﴿مَآبًا﴾ وبين الجملة الثانية: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ﴾. ومناسبة الاعتراض: "الإعذار للمخاطبين بقوارع هذه السورة، بحيث لم يبقَ بينهم وبين العلم بأسباب النجاة وضدّها شبهة ولا خفاء"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (54/30).

(2) ابتداء ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾⁽²¹⁾.

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (58/30).

(4) نفسه، (55/30).

• الجملة الثانية: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾، إمّا أن تكون مرتبطة ظرفاً بـ ﴿إِنَّا نَأْخُذُ بِرَبِّهِ مَثَابًا﴾ (من الآية 39) أو بـ ﴿أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ ، وإمّا أن تكون مرتبطة بـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ (من الآية 38) بدلاً منها⁽¹⁾، فتكون المناسبة بينهما عندئذٍ ذكرٌ وصفٍ آخر لذلك اليوم بما يكون فيه.

• الجملة الأخيرة: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾⁽⁴⁰⁾، مناسبتها للجملة التي قبلها التخصيصُ بعد العموم، للمناسبة بين المخصَّص بالذِّكر وهو الكافر، وما أُقيمت السُّورة من أجله وهو إنذار منكري البعث.⁽²⁾

هذا، وبعد الوقوف على مناسبات السُّورة عند المفسِّرين فيما سبق، يأتي المبحث التالي للمقارنة بين ما توصَّلاً إليه من المناسبات.

(1) ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (56/30).

(2) ينظر: نفسه، (58/30).

المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة النبأ عند البقاعي وابن عاشور

تهدف هذه المقارنة إلى بيان مدى موافقة ابن عاشور للبقاعي في مناسبات سورة النبأ، ومدى مخالفته له فيها فجاء بما هو أكثر إقناعاً، وذلك من خلال الكشف عن مواضع الاتفاق في المناسبة ومواضع الاختلاف فيها، وإحصائها جميعاً، ثم محاولة الكشف عن أسباب الاختلاف، ثم النظر في مدى جواز قوليهما في المناسبة، ومدى إمكانية اجتماعهما، أو الترجيح بينهما. وتشمل هذه المقارنة أقوال المفسرين في مناسبة السورة للسورة التي قبلها، ومناسبات مقاطع السورة فيما بينها، ومناسبات آيات السورة آية آية.

المطلب الأول: مقارنة مناسبة سورة النبأ لما قبلها (المرسلات) ومناسبات مقاطعها

كشف البقاعي عن مناسبة سورة النبأ للسورة التي قبلها وهي المرسلات وبين أنه حاصل من ثلاث جهات، وأما ابن عاشور فلم يفعل تبعاً لمذهبه القائل بعدم وجوب ذلك على المفسر. وأما مناسبات مقاطع سورة النبأ، فيرى البقاعي أن السورة مؤلفة من خمسة مقاطع، وأن كلاً من المقطع الثاني والرابع مؤلف من مقطعين فرعيين، وأما ابن عاشور فيرى أن السورة مؤلفة من ستة مقاطع، وأن المقطع الثالث منها مؤلف من ثلاثة مقاطع فرعية، وأن المقطع الفرعي الثاني نفسه مؤلف من مقطعين فرعيين، وأن المقطع الخامس من السورة مؤلف من مقطعين فرعيين. وفيما يلي بيان مواضع اتفاقهما ومواضع اختلافهما في تحديدها، والمقارنة بين أقوالهما في مناسباتها.

أ- مواضع الاتفاق والاختلاف في تحديد المقاطع:

اتفق المفسران في جمل الآيات المشكّلة للمقاطع الرئيسية، ولم يحصل خلاف إلا في تحديد الآيات المشكّلة للمقطع الأول من السورة، والآيات المشكّلة للمقطع الأخير من السورة، وفي تحديد بعض المقاطع الفرعية.

1- مواضع الاتفاق:

اتفق المفسران في كون مجموعة من الآيات تشكّل مقطعاً رئيساً في المواضع الآتية:

• الآيات: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (6) ... وَجَنَّتِ الْأَفْئَاتُ ﴿16﴾ (النبأ: 6-16). وهي المقطع

الثاني عند البقاعي والثالث عند ابن عاشور.

- الآيات: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾ ... وَسُورَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (النبأ: 17-20). وهي المقطع الثالث عند البقاعي والرابع عند ابن عاشور.
- الآيات: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ ... رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (النبأ: 21-37). وألحق بها ابن عاشور الآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾. وهي المقطع الرابع عند البقاعي والخامس عند ابن عاشور.

كما اتَّفقا في تحديد الآيات المشكِّلة للمقطعين الفرعيَّين المشكِّلين للمقطع المؤلف من الآيات (21-37 أو 38) (الرَّابع عند البقاعي والخامس عند ابن عاشور) على النَّحو الآتي:

- المقطع الفرعيُّ الأوَّل: الآيات: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ ... فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (النبأ: 21-30).
- المقطع الفرعيُّ الثاني: الآيات: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ... رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (النبأ: 31-37)، وألحق به ابن عاشور الآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ فجعلها منه.

2- مواضع الاختلاف:

اختلف المفسِّران في كون مجموعة من الآيات تشكِّل مقطعًا رئيسًا في المواضع الآتية:

- المقطع الأوَّل: يرى البقاعي أنَّ الآيات الخمس الأولى من السُّورة ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ ... قُلْ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (النبأ: 1-5) هي المشكِّلة للمقطع الأوَّل منها، في حين يعتبر ابن عاشور الآيتين ﴿ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٤﴾ قُلْ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (النبأ: 4-5) مقطعًا مستقلًّا يلي المقطع الأوَّل المؤلف من الآيات الثلاث الأولى.
- المقطع الأخير: اعتبر البقاعي الآيات الثلاث الأخيرة ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ ابْتَحِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ ﴾

(النبأ: 38-40) المقطع الأخير من السورة، في حين يقصره ابن عاشور على الآيتين (39-40).

واختلفا أيضاً في تحديد الآيات المشكّلة للمقاطع الفرعية الخاصة بالمقطع المؤلف من الآيات (6-16) (الثاني عند البقاعي والثالث عند ابن عاشور) على النحو الآتي:

• قسّمه البقاعي إلى مقطعين فرعيين متناسبين:

– الأول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ ... وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ (النبأ: 6-11).

– الثاني: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ... وَجَعَلْنَا الْفَأْفَأَ ﴿١٦﴾﴾ (النبأ: 12-16).

• قسّمه ابن عاشور إلى ثلاثة مقاطع فرعية متناسبة:

– الأول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ ... وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ (النبأ: 6-9).

– الثاني: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ ... وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾﴾ (النبأ: 10-13).

وقسّمه إلى مقطعين فرعيين آخرين متناسبين؛ الأول: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا

النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ (النبأ: 10-11)، والثاني: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا

سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾﴾ (النبأ: 12-13).

– الثالث: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَجًا ﴿١٤﴾ ... وَجَعَلْنَا الْفَأْفَأَ ﴿١٦﴾﴾ (النبأ: 14-16).

ب- المقارنة بين مناسبات المقاطع المتفق في تحديدها عند المفسرين:

وهي ثلاثة مقاطع رئيسة ومقطعين فرعيين.

1- المقطع: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ ... وَجَعَلْنَا الْفَأْفَأَ ﴿١٦﴾﴾ (النبأ: 6-16).

وهو الثاني عند البقاعي والثالث عند ابن عاشور.

اتفق المفسران في وجه ارتباط المقطع بما قبله، بأنه وقع موقع الاستدلال على صحة

النبأ المذكور في مطلع السورة. وزاد ابن عاشور مناسبة أخرى وهي بيان الإجمال في ﴿النَّبَأِ

الْعَظِيمِ﴾، بأن المقصود منه إثبات البعث، وهذا البيان وقع بالإشارة لا بصريح العبارة.

2- المقطع: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ۗ (17) ... وَسُرَّتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۗ (20) ﴾ (النبأ: 17-20).

وهو الثالث عند البقاعي والرابع عند ابن عاشور.

اتَّفَقَ المفسِّران في وجه ارتباط المقطع بما قبله، بأنَّه وقع موقع بيان الإجمال الوارد في قوله تعالى: ﴿ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴾ بأنَّ المقصود منه هو يوم الفصل⁽¹⁾. وهذا البيان عند ابن عاشور واقعٌ بصريح العبارة، وهو غير التفصيل الذي سبق ذكره كما هو ظاهر. وزاد ابن عاشور على تفصيل الإجمال تفصيل بعض أهوال ذلك اليوم.

3- المقطع: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۗ (21) ... رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۗ (37) ﴾ (النبأ: 21-37).

وهو الرابع عند البقاعي والخامس عند ابن عاشور. وألحق به ابن عاشور الآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ

الرُّوحُ وَالْمَلَكَةُ صَفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۗ (38) ﴾.

اتَّفَقَ المفسِّران في تحديد مناسبة المقطع للمقطع السابق له، المتَّفَقُ في تحديده بالآيات

(17-20)، حيث اعتبروا أنَّ المناسبة ذكر المال بعد ذكر الأحوال، وعبر عنه البقاعي

بقوله: "ذكر ما إليه من الدارين المصير"⁽²⁾، وابن عاشور بقوله: "ما سيكون بعد تلك الأهوال"⁽³⁾.

4- المقطعان الفرعيَّان المشكَّلان للمقطع الرابع عند البقاعي والخامس عند ابن عاشور (21-37):

• المقطع الفرعيُّ الأول: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۗ (21) ... فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۗ (30) ﴾ (النبأ: 21-30).

• المقطع الفرعيُّ الثاني: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۗ (31) ... رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا

يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۗ (37) ﴾ (النبأ: 31-37)، ومعها عند ابن عاشور ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ

(1) "ويوم الفصل: يوم البعث للجزاء" (ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، 29/30).

(2) البقاعي، نظم الدرر، (203/21).

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (34/30).

وَالْمَلِكَةُ صَفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾

لَمَّا كَانَ الْمَقْطَعُ الرَّئِيسُ فِي ذِكْرِ مَا يَكُونُ بَعْدَ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَصِيرُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ، ذَكَرَ الْمَقْطَعُ الْفِرْعَوِيَّ الْأَوَّلَ مَصِيرَ الطَّاعِينَ، وَذَكَرَ الثَّانِيَّ مَصِيرَ الْمُتَّقِينَ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمَفْسِّرَانِ فِي مَنَاسِبَةِ الْإِبْتِدَاءِ بِمَا جَاءَ فِي الْمَقْطَعِ الْفِرْعَوِيِّ الْأَوَّلِ؛ إِذْ يَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِهِ كَانَ بِمَنَاسِبَةِ تَقْدِيمِ الْمَخَوْفِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ دَرءِ الْمَفَاسِدِ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ، وَأَمَّا ابْنُ عَاشُورَ فَيَرَى أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِهِ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّ الْمَقَامَ مَقَامٌ تَهْدِيدِيٌّ؛ إِذْ ابْتَدِئَتْ السُّورَةُ بِتَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ بِالْبَعْثِ.

فَالْمَلَّاخِظُ أَنَّ ابْنَ عَاشُورَ اعْتَمَدَ فِي الْكَشْفِ عَنْ وَجْهِ تَقْدِيمِ أَحَدِ الْمَقْطَعَيْنِ عَلَى الْآخَرِ عَلَى غَرَضِ السُّورَةِ؛ فَلَمَّا كَانَ الْمَقَامُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَقَامٌ تَهْدِيدِيٌّ لَمَنْ ابْتَدِئَتْ السُّورَةُ بِالْحَدِيثِ عَنْ اخْتِلَافِهِمْ فِي مَا لَا يَسُوعُ فِيهِ الْاِخْتِلَافُ، كَانَ الْأَنْسَبُ أَنْ يَبْتَدِئَ بِالْحَدِيثِ عَنْ مَصِيرِهِمْ هُمْ تَرْهِيبًا لَهُمْ.

وَأَمَّا الْبِقَاعِيُّ فَاعْتَمَدَ فِي الْكَشْفِ عَنْ وَجْهِ تَقْدِيمِ أَحَدِ الْمَقْطَعَيْنِ عَلَى الْآخَرِ عَلَى الْاجْتِهَادِ الْمَجْرَّدِ عَنِ النَّظَرِ فِي عُنَاوَرِ السُّورَةِ وَخُصُوصِيَّاتِهَا، فَعَلَّلَ الْمَنَاسِبَةَ بِسَبَبٍ خَارِجٍ عَنِ السُّورَةِ، وَهُوَ الْقَاعِدَةُ الْفَقْهِيَّةُ: (دَرءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ). وَأَتَّفَقَ الْمَفْسِّرَانِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَنَاسِبَةِ التَّعْقِيبِ بِمُضْمُونِ الْمَقْطَعِ الْفِرْعَوِيِّ الثَّانِي، بِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ التَّقْسِيمِ وَالْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمُخَالِفِهِمْ، وَبَيْنَ الْبَشَارَةِ وَالنَّذَارَةِ.

ج- المقارنة بين مناسبات المقاطع المختلف في تحديدها عند المفسرين:

وهما المقطع الأول والأخير من السورة، والمقاطع الفرعية المشكّلة للمقطع الثاني عند البقاعي والثالث عند ابن عاشور (6-16).

1- المقطع الأول: (البقاعي: الآيات: 1-5) / (ابن عاشور: الآيات: 1-3)

اختلف المفسران في مناسبة افتتاح السورة بالمقطع الأول، فأرجعها البقاعي إلى المناسبة بينه وبين مضمون السورة التي قبله ومقطعها، بناءً على مذهبه المثبت لتناسب السور فيما بينها، وأمّا ابن عاشور فأرجع مناسبة الافتتاح به إلى براعة الاستهلال، وزاد بيان مناسبه لما بعده، وقد سبق تفصيل كل ذلك في مواضعه.

واختلاف القولين راجع إلى اختلاف وجهات نظر المفسرين، فالبقاعي ينظر إلى

مناسبته في ظلّ السياق الترتيبيّ المصحفيّ لسور القرآن الكريم وآيه، فيربط بين مطلع السورة وبين جزء من أجزاء السورة السابقة لها في ترتيب المصحف، ظاهرة كانت هذه الأجزاء أو مقدّرة، وأمّا ابن عاشور فلا ينظر في ذلك السياق ولا في سياق الترتيب النزوليّ، وإنّما نظره في السياق الخطابيّ الخاصّ بالسورة مجرّدة عن أيّ تعلقٍ بسورةٍ أخرى. ومن هنا يلمس الناظر في جهود المفسّرين التّكامل بين نتاجي العقلين وعصاريّ الفهمين في إظهار كمال وجلال وجمال تناسق النّصّ القرآني من جميع الزّوايا.

2- المقطع الأخير: (البقاعي: الآيات: 38-40)، (ابن عاشور: الآيات: 39-40)

اتفق المفسّران في وجه المناسبة بين المقطع الأخير من السورة وما قبله من الآي، بأنّه تعظيم يوم الفصل الذي ابتدئ الكلام عليه من قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا﴾⁽¹⁷⁾، وزاد البقاعيّ وجهًا آخر وهو تحقيق وقوعه.

وزاد البقاعيّ أيضًا بيان مناسبة لمطلع السورة نفسها، بأنّه ردٌّ للعجز على الصّدْر، وأمّا عند ابن عاشور فردُّ العجز على الصّدْر إنّما هو بين الآية الأخيرة من السورة ومطلع السورة.

وزاد أيضًا بيان مناسبة لمطلع السورة التي بعد النبأ وهي التّازعات، وذلك ممّا لم يتكلّم عنه ابن عاشور، وسيأتي ذكرها في أثناء الحديث عن مناسبات سورة التّازعات.

3- المقاطع الفرعيّة المشكّلة للمقطع الثاني عند البقاعيّ، وهو الثالث عند ابن عاشور (6-16):

لمّا كان المقطع الرّئيس واريًا في الاستدلال على صحّة النبأ، اختلف المفسّران في وجه المناسبة بين الأمور المستدلّ بها، ومرجع الاختلاف: إجمال القول في مجموع آيات عند أحدهما وتفصيله عند الآخر؛ فقد قسّم البقاعيّ الاستدلال إلى قسمين متناسبين، في مقطعين فرعيّين، ويرى أنّه ابتداءً أوّلًا بالاستدلال بما هم له أشدُّ ملابسةً، وهو المهاد وما فيه، وهو الظرف، ثمّ أتبعه بالاستدلال بالسّقف -المقابل له- وما يحويه.

وأمّا ابن عاشور فقسّم الاستدلال إلى ثلاثة أقسام متناسبة، في ثلاثة مقاطع فرعيّة، الأوّل: استدلالٌ بخلق العالم السّفليّ، ثمّ الثّاني: استدلالٌ بالعالم العلويّ المقابل له، ثمّ الأخير: الاستدلال بما ينزل من العالم العلويّ على العالم السّفليّ فيحدث ظاهرةً هي أشبه

بالبعث بعد الموت، وهي إخراج التّبات.

أمّا مناسبة ابتداء الاستدلال بالعالم السُّفليّ، وبالأرض خاصّةً -عند ابن عاشور- فلا تُحتملُ أسبق شيءٍ إلى ذهن السّامع عند الحديث عن البعث؛ لأنّ البعث يكون بإخراج النّاس منها. وسيأتي بيان أنّ السّبب في اختلافهما هنا هو ما أضافه ابن عاشور في غرض المقطع.

وأما المقطع الفرعيّ الثّاني، فيرى ابن عاشور أنّه ينقسم إلى الاستدلال أوّلاً ببعض ظواهر الأفق المسّمى سماءً، وهي اللّيل والنّهار، ثمّ الاستدلال ثانياً بخلق العوالم العلويّة؛ وهي السّماوات السّبع، والشّمس. وهذا من تدقيق نظره في الآي و تفصيل القول في معانيها.

المطلب الثّاني: مقارنة مناسبات آيات سورة النبأ

أجري المقارنة بتحديد مواضع الاتّفاق ومواضع الاختلاف، وفي أثناء ذكر مواضع الاختلاف أحاول أن أقف على أسباب الاختلاف، ثمّ أحاول أن أقف على القول الصّواب من بين الأقوال المذكورة ما أمكن إلى ذلك سبيل.

وقد اتّفق المفسّران في مناسبات بعض الآي و اختلفا في بعضها، وقد يتّفقان في جزئيّة من المناسبة ويختلفان في جزئيّة أخرى، وإدراج الآية في القسم المتّفق عليه أو المختلف فيه يعتمد على الغالب؛ فحيثما كان الاتّفاق على وجه العموم، أُدرجت الآية في القسم المتّفق عليه، وإلّا ففي القسم الآخر.

وقد يحصل أحياناً أن يتّفق المفسّران في عدم الحديث عن مناسبة آية ما، فيُدْرَج ذلك في قسم المتّفق عليه تجوّزاً، وإن كان في حقيقة الأمر لم يحصل اتّفاق في المناسبة وإمّا هو اتّفاق في ترك الحديث عنها، وأحياناً أخرى قد يكشف أحدهما عن مناسبة الآية ولا يفعل الآخر، فيُدْرَج ذلك في قسم المختلف فيه تجوّزاً، وإن كان في حقيقة الأمر لم يحصل اختلاف في المناسبة وإمّا هو اختلاف بين الكشف عنها وعدمه، وتفصيل ذلك على النّحو الآتي.

الفرع الأوَّل: مواضع الاتِّفاق

اتَّفَق المفسِّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ (2)

اتَّفَق المفسِّران في مجيء الآية في الأساس بياناً لما أُجْمِع بالإجمال في الآية الأولى، واختلفا في أوجهٍ أخرى لارتباط الآيتين؛ إذ يرى البقاعيُّ أنَّها جاءت لتأكيد التَّفخيم وبيان أنَّ ذلك الإجماع ما كان إلَّا للإعظام، في حين يرى ابن عاشور أنَّها جاءت لبيان جانب ذلك التَّفخيم.

2- الآية: ﴿الَّذِي هُرِّفَ فِيهِ مَخْلِفُونَ﴾ (3)

كلا المفسِّرين لم يذكر للآية مناسبة؛ أمَّا ابن عاشور فمطلقاً، وأمَّا البقاعيُّ فأشار إلى ما يدلُّ على المناسبة، حيث ذكَّر أنَّ الله عَظَّمَ توبيخهم بهذه الآية، فتكون المناسبة من باب بيان أنَّ الجزء من جنس العمل، فتعظيم التَّوبيخ لهم مناسب لتعظيم ما يتساءلون عنه.⁽¹⁾

3- الآية: ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ (4)

اتَّفَق المفسِّران في وجه ارتباط الآية بالآيات الثلاث التي قبلها، وهو أنَّ الآية تأكيدٌ لصحة النَّبَأ السَّابِق ذكره، وإبطالٌ للاختلاف فيه، وردعٌ للمتسائلين عنه، ووعدٌ بهم، وإن كان ابن عاشور يرى أنَّ الآية وقعت موقع الجواب عن سؤالهم الَّذِي أرادوا به الإحالة والتَّهكُّم، فإنَّ ذلك الجواب قد تضمَّن ما أُشير إليه في وجه المناسبة.

4- الآية: ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ (5)

اتَّفَق المفسِّران في وجه مناسبة الآية للآية التي قبلها بأنَّه ارتقاءٌ في الوعيد والتَّهديد وتعظيمُ لرتبته، وزاد ابن عاشور وجهًا آخر وهو التَّوكيد اللفظي الَّذِي يفيد تحقيق وقوع المتوعَّد به.

5- الآية: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْدَادًا﴾ (7)

اتَّفَق المفسِّران في وجه مناسبة الآية للآية التي قبلها، وهو أنَّ ذكر الأرض استدعى ذكر الجبال، واختلفا بعد ذلك في بيان كيف ذلك، فذكر له البقاعيُّ وجهًا، وذكر له ابن عاشور ثلاثة أوجهٍ أخرى جائزة، وقد سبق ذكرها جميعًا في مواضعها، ولا تعارض بينها، والجمع بينها

(1) بتأمل كلام المفسِّرين في معاني الآيات الثلاث الأولى من سورة النَّبَأ، يمكن استنتاج مناسبةٍ محتملةٍ وهي: أنَّه سبحانه وتعالى بعدما ذكر تساؤلهم منكراً له متعجباً منه، وبين أنَّه كان في أمر نبيٍّ عظيمٍ لا ينبغي أن يخفى على أحدٍ، أتبعه بذكر ما هو أعجب من ذلك، وهو: اختلاف أقوالهم فيه، مع أنَّه ممَّا لا يسوغ فيه الاختلاف لظهوره.

ممكّن، وهو أولى من ترجيح أحدها وإهمال البقيّة.

6- الآية: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (10)

اتَّفَق المفسِّران في أنّ مناسبة ذكر اللَّيْل بعد ذكر النَّوْم هي كون اللَّيْل الوقت الأليق بالنَّوْم. فالارتباط بينهما ظاهرٌ، وهو التَّلَازِم الدِّهْنِي كما صرَّح به ابن عاشور.

7- الآية: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ (13)

اتَّفَق المفسِّران في أنّ ذكر السَّماء في الآية التي قبل هذه الآية ناسبه ذكر بعض أهمِّ ما فيها، من طريق التَّلَازِم الدِّهْنِي، فعمدتهما في الكشف عن مناسبة الآية هي العلاقة المباشرة بين المذكورين في الآيتين.

8- الآية: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْوُنَ أَفْوَاجًا﴾ (18)

اتَّفَق المفسِّران في أنّ الآية وما يليها بيانٌ وتفصيلٌ لما يكون في يوم الفَصْل المذكور في الآية السَّابِقة لها، والغرض من ذلك -عند البقاعي- تعظيم ذلك اليوم والحثُّ على الطَّاعة.

9- الآية: ﴿لِلطَّغْيِينِ مَأْآبًا﴾ (22)

يرى البقاعي أنّ الآية إخبارٌ بمن يكون مصيرهم جهنّم المتوعَّد بها في الآية التي قبلها، وأمّا مناسبتها عند ابن عاشور فإيماءها إلى سبب جعل جهنّم -المتوعَّد بها في الآية التي قبلها- لهم. والذي يبدو أنّ حقيقة القولين واحدة، وهي بيان أنّ الطُّغْيَان سببٌ لدخول جهنّم؛ وذلك أنّ الإخبار بمن مصيرهم جهنّم بالوصف لا بالتَّعيين، يدلُّ على أنّ المراد بيان سبب الدُّخول لا تعيين الدَّاخل.

10- الآية: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (23)

الآية عند المفسِّرين في ذكر حال الطُّغْيَان في جهنّم، وجاء ذلك بعد بيان الآيتين قبلها أنّ مصيرهم جهنّم؛ فالسُّؤال المتبادر إلى الدِّهن بعد ذكر المصير، هو حول مدّة البقاء فيها كم تكون؟ وقد صرَّح البقاعي بمعنى هذه المناسبة، وأمّا ابن عاشور فقد اكتفى بدلالة بيان المضمون عليها.

11- الآية: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ (32)

اتَّفَق المفسِّران في أنّ الآية مبيّنةٌ لمجمل الآية التي قبلها، صرَّح بذلك البقاعي، وأمّأ إليه ابن

عاشور بذكر أن ﴿ حَدَائِقٍ ﴾ بدل من ﴿ مَفَاذًا ﴾ .

12- الآية: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (38)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ مناسبة الآية تأكيد معنى الآية التي قبلها، وزاد البقاعيُّ وجهاً آخر وهو الاحتراس بإثبات الشفاعة، في حين يرى ابن عاشور أنَّ المقصود من التأكيد نفي شفاعة الأصنام.

الفرع الثاني: مواضع الاختلاف

اختلف المفسِّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (1)

اختلف المفسِّران في مناسبة الافتتاح بالآية، واختلافهما راجعٌ إلى أنَّ البقاعيَّ تناول مناسبة الافتتاح بالآية لمقصود السورة، وأمَّا ابن عاشور فذكر مناسبة الافتتاح بالآية لما سيأتي بعدها. وبسبب اختلاف جهتي المناسبة، يمكن الجمع بين القولين، فتكون المناسبة التَّفخيم والتَّشويق معاً.

2- الآية: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴾ (6)

اختلف المفسِّران في مناسبة ابتداء الاستدلال على صدق النبأ بالأرض؛ فأما البقاعيُّ فيرجعها إلى الابتداء بما هم له أشدُّ ملابسةً وهو الظرف وهو الأرض، وأمَّا ابن عاشور فيرجعها إلى الابتداء بما هو أسبق شيءٍ إلى ذهن السامع عند الخوض في أمر البعث وهو الأرض؛ لأنَّ البعث هو إخراج أهل الحشر من الأرض.

واختلافهما راجعٌ إلى أنَّ ابن عاشور يعتبر أنَّ من أغراض المقطع، الذي هذه الآية بدايته - زيادةً على الاستدلال على صحَّة النبأ- بيان أنَّ المراد بالنبأ هو البعث، وبناءً عليه يكون هذا المقطع في الاستدلال على ثبوت البعث؛ ولذلك ربط بين الأرض والبعث في الحديث عن مناسبة هذه الآية.

وأما البقاعيُّ فيعتبر أنَّ غرض المقطع ليس سوى الاستدلال بمظاهر القدرة والحكمة على وجوب القطع بكلِّ ما أخبرت به الرُّسل على وجه العموم، والنبأ العظيم داخلٌ فيه، وأمَّا بيان أنَّ النبأ العظيم هو يوم الفصل، الذي هو يوم البعث، فإنَّه لم يحصل قبل المقطع الذي يعقبه،

فلا يكون بذلك الاستدلال بالأرض على إمكان البعث، وإنما على القدرة والحكمة الموجبة لتصديق إخبار من ذلك صفته. فليست المناسبة عند البقاعي مبنية على علاقة الأرض بالبعث، وإنما على أقرب شيء للإنسان وأكثره ملابسة له، يُستدل به على كمال قدرته وحكمته سبحانه وتعالى.

فالاختلاف في تحديد غرض المقطع من أسباب الاختلاف في مناسبات آيه، وكلا القولين هنا جائز وجيه، وهو من اختلاف التنوع.

3- الآية: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾

لمّا كان غرض المقطع الذي تنتمي إليه الآية - عند البقاعي - إثبات كمال القدرة والحكمة؛ رأى أنه سبحانه وتعالى أتبع ذكر آيات الآفاق بآيات الأنفس للجمع بينهما. ولمّا كان غرض المقطع الذي تنتمي إليه الآية - عند ابن عاشور - إثبات التفرد بالخلق وإمكان البعث؛ رأى أنه تعالى جمع بين ما يُستدل به عليهما؛ فالأرض لإثبات التفرد بالخلق، والإنسان لإثبات إمكان البعث، ووجهه أنّ الخلق الأوّل أعظم من الإعادة وهي أهون عليه. ووجه آخر للتناسب عند ابن عاشور وهو أنّ بعد ذكر الأرض التي منها البعث، ذكر ما سيُبعث ويخرج منها وهو الإنسان.

فالملاحظ - مرّة أخرى - أنّ من أسباب اختلاف المفسّرين في تحديد المناسبة بين الآيتين، الاختلاف في تحديد غرض المقطع الذي تنتميان إليه، فكلاهما ربط المناسبة بغرض المقطع، وكلا القولين جائز وجيه، وهو من اختلاف التنوع.

4- الآية: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾

اختلف المفسّران في مناسبة الانتقال من ذكر النفس الإنسانية إلى ذكر النوم. فأما البقاعي فيرى أنّها الانتقال ممّا به حفظ النفس من جانب الوجود وهو خلقهم أزواجًا، إلى ممّا به حفظ النفس من جانب العدم وهو النوم، وأمّا ابن عاشور فيرى أنّها الانتقال من الاستدلال بخلق الناس إلى الاستدلال بأحوالهم.

ويظهر ممّا سبق حرص ابن عاشور في المناسبات بأن تكون في إطار غرض السورة أو غرض المقطع، وأمّا البقاعي فلا يلتزم به دائمًا. ولا شكّ في أنّ القول في المناسبة بما يتوافق مع غرض السورة أو المقطع الذي تنتمي إليه الآية أنسب وأرجح من القول الذي يُرجعها إلى

سَبَبٍ خَارِجٍ عَنِ سِيَاقِ السُّورَةِ.

وكما اختلفا في مناسبة الانتقال، اختلفا في مناسبة اختيار التَّوْمِ من بين عناصر تلك المناسبة؛ فهي عند البقاعيِّ تذكيره بالموتة الكبرى، والاستيقاظ منه مذكِّر بالبعث، وأمَّا عند ابن عاشور فهي الاستدلال على البعث بأقوى أحوالهم المعروفة شَبَهًا بالموت الَّذِي يَعْتَبُهُ البعث، وهنا يظهر عند البقاعيِّ ربطه المناسبة بمقصود السُّورَةِ.

5- الآية: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝۱۱﴾

يرى البقاعيُّ أَنَّ الآيَةَ مَقَابِلَةٌ لِتِي قَبْلَهَا مَبَاشِرَةً، بِطَرِيقِ الْاِحْتِبَاكِ، فِي حِينِ يَرَى ابْنَ عَاشُورِ أَنَّهَا مَقَابِلَةٌ لِلآيَتَيْنِ قَبْلَهَا، مِنْ بَابِ مَقَابِلَةِ نِظَامِ النَّهَارِ بِنِظَامِ اللَّيْلِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ. وَاِخْتِلَافُ جِهَتِي الْمُنَاسِبَةِ مِطْنَةٌ لِإِمْكَانِ اجْتِمَاعِ الْقَوْلَيْنِ.

كما كشف البقاعيُّ عن مناسبة الآية مع الآية التي قبلها للآيات ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۝۶ ... وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝۹﴾ (التبا: 6-9)، بِأَنَّهَا: التَّذْكِيرُ بِنِعْمَةِ الظَّرْفِ الزَّمَانِيِّ بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِالظَّرْفِ الْمَكَانِيِّ.

6- الآية: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝۱۲﴾

اختلف المفسران في المناسبة بين الآية والآيتين قبلها، فهي عند البقاعيِّ من قبيل تعقيب الشَّيْءِ بِسَبَبِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ ابْنِ عَاشُورِ فَهِيَ مِنْ قَبِيلِ تَصَاعُدِ النَّظَرِ أَتْنَاءَ التَّأَمُّلِ فِي الْكُونِ. وَاجْتِمَاعُ الْقَوْلَيْنِ مُمْكِنٌ وَهُوَ أَوْلَى مِنَ التَّرْجِيحِ. وَالْمَلَاظِحُ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْاِخْتِلَافِ فِي مُنَاسِبَةِ الْآيَةِ، الْاِخْتِلَافُ فِي مُنَاسِبَةِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.

7- الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَجًا ۝۱۴﴾

اختلف المفسران في مناسبة الآية، حيث أرجع البقاعيُّ المناسبة بينها وبين الآية التي قبلها إلى العلاقة المباشرة بين المذكورين فيهما، وهما الشَّمْسُ وَالْمَطَرُ، وَالْوَجْهَ الَّذِي ذَكَرَهُ بَعِيدٌ نَوْعًا مَاءً، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَلَعَلَّهُ مِنَ التَّكْلِيفِ الْمَعَابِ فِي طَلْبِ الْمُنَاسِبَةِ. وَأَمَّا ابْنُ عَاشُورِ فَأَرْجَعَ الْمُنَاسِبَةَ إِلَى التَّنْزُولِ فِي النَّظَرِ بَابِيَّةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ التَّصَاعُدِ فِيهِ، وَهُوَ وَجْهٌ حَسَنٌ جَدًّا؛ إِذْ لَا بَدَّ مِنْ بَعْدِ التَّصَاعُدِ مِنَ التَّنْزُولِ، وَلَا يَعْنِي التَّنْزُولُ أَنَّهُ قَدْ انْتَهَتْ

آيات الله في الآفاق، فحيثما قلب العبد النظر وقف على دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته، كما قال أبو العتاهية:

ولله في كل تحريكه *** وفي كل تسكينه شاهد
وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه الواحد⁽¹⁾

8- الآيتان: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ (15) و﴿وَجَدتِ الْآفَاقَ﴾ (16)

مناسبة الآيتين للآية التي قبلهما عند البقاعي تتمثل في ذكر نهاية المطر بعد ذكر بدايته، وأمّا عند ابن عاشور فهي التعليل ببيان الحكمة من إنزال المطر، وذلك مناسب لغرض المقطع؛ إذ فيه إيماء إلى دليل تقريب البعث. وهذا الذي ذكره ابن عاشور أظهر في المناسبة، ويظهر مجددًا ربط ابن عاشور بين المناسبة وغرض المقطع، مخالفًا البقاعي.

9- الآية: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا﴾ (17)

الآية بداية مقطع كما سبق ذكره، واختلف المفسران في بيان مناسبتها، ومنشأ الاختلاف أنّ البقاعي تحدّث عن مناسبة الآية للمقطع الذي هي منه، وهي مناسبة الابتداء بها، في حين أنّ ابن عاشور تحدّث عن مناسبة الآية لما قبلها. ولما اختلفت جهات التعلّق، أمكن اجتماع المناسبتين.

10- الآية: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (19)

ذكر ابن عاشور وجهين لمناسبة الآية للآية التي قبلها، وذلك بحسب معنى حرف الواو في بداية الآية؛ فهي عنده إمّا واو العطف وإمّا واو الحال، وأمّا عند البقاعي فهي واو العطف. وفي الحالة التي اتفقا فيها وهي أنّها للعطف، اكتفى ابن عاشور بدلالة العطف على التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، وأمّا البقاعي ففصّل في المناسبة بينهما على النحو المذكور في موضعه. والحال أنّه يمكن الجمع بين القولين وهو أولى من الترجيح؛ فالآية معطوفة على التي قبلها، في ذكر بعض أهوال يوم القيامة، وأمّا المناسبة بين الأهوال المذكورة في الآيتين، فهي من باب عادة القرآن الكريم في تعقيب آيات الأنفس بآيات الآفاق.

(1) أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1406هـ/1986م، ص:122.

11- الآية: ﴿ وَسُرَّتْ لِجِبَالٍ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ ﴾

اكتفى ابن عاشور بدلالة العطف على التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، وأمّا البقاعي فكشف عن علة الترتيب بين المذكورين في الآيتين (19، 20) - من أهوال ما هو من آيات الآفاق - فأرجعها إلى تقديم الأشرف.

ومثل حال مناسبة سابقتها؛ الجمع بين القولين أولى من ترجيح أحدهما ما دام ذلك ممكناً.

12- الآية: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ ﴾

ذكر البقاعي أنّ الآية مستأنفةً بدايةً مقطوع، ووافقه ابن عاشور على أنّه أحد الاحتمالين الجائزين، وفي هذه الحالة ذكر المفسران مناسبة الابتداء بالمقطع الفرعيّ الأوّل وتقديمه على المقطع الفرعيّ الثاني، وأشار ابن عاشور إلى مناسبة افتتاح المقطع الفرعيّ الأوّل بها، في حين لم يكشف البقاعي عن تلك المناسبة.

وأمّا الاحتمال الآخر الذي جوّزه ابن عاشور؛ فهو أنّ تكون مرتبطةً بالآيات التي قبلها، ووجهه أنّها تتمّة لها في تفصيل بعض أهوال يوم الفصل.

13- الآيتان: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ ﴿ الْأَحْمِيمَا وَعَسَاقًا ۝٢٥﴾

الآيتان جملةً واحدةً (جملة الاستثناء) في موقع الحال، ومرجع الاختلاف بين المفسرين في مناسبة هذه الجملة للآية التي قبلها هو الاختلاف في تعيين متعلّق الحال؛ حيث اتّفق المفسران في أنّ الجملة بيانٌ لحال الطّاعين، والحال عند ابن عاشور إمّا متعلّقةٌ بـ ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ (النبأ: 21) فتكون مناسبتها للآية التي قبلها أنّها من تمام وصف حال الطّاعين في ذلك المكان، وإمّا متعلّقةٌ بـ ﴿ أَحْقَابًا ﴾ (النبأ: 23) فتكون مناسبتها للآية التي قبلها أنّها وصفٌ لحال الطّاعين في ذلك الزّمان. وأمّا عند البقاعي فهي متعلّقةٌ بـ ﴿ لَيْثِينَ ﴾ (النبأ: 23)، فالمناسبة هي بيان حال لبيثهم في تلك الدار وهي جهنّم.

واجتماع الأقوال ممكنٌ؛ بأن يتنازع تعلّقها جميعاً ما ذكر، فيكون ذلك من بدیع إيجاز القرآن العظيم. وانفرد ابن عاشور ببيان المناسبة بين جزئيّ جملة الاستثناء.

14- الآية: ﴿ جَزَاءً وَفَاءً ۝٢٦﴾

يرى البقاعي أنّ الآية بيانٌ لحكمة العذاب المذكور في الآيتين السابقتين لها، في حين يرى

ابن عاشور أنّها وصفٌ لذلك العذاب بأنّه موافقٌ للعمل الذي جُوزوا عليه. وما ذكره البقاعيُّ أقرب وأظهر في المناسبة من مجرد الوصف الذي ذكره ابن عاشور، فالأظهر أنّ ﴿جَزَاءً﴾ مفعولٌ لأجله مبيّنٌ لسبب ذلك العذاب، وليس (مفعولاً مطلقاً⁽¹⁾) مبيّنًا لنوع العذاب.

15- الآيتان: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾⁽²⁷⁾ و﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾⁽²⁸⁾

كلا الإمامين اعتبر الآيتين (27-28) جملةً بيانيّةً واحدةً، ثمّ اختلفا في مناسبة هذه الجملة؛ فهي عند ابن عاشور واقعةٌ موقع التعليل لعذاب الطّاعين (جزائهم) المذكور في الآيات التي قبلها (21-26). وأمّا البقاعيُّ فيرى أنّها بيانٌ لوجه الموافقة المذكورة في الآية التي قبلها (26). وكأنّ ابن عاشور ربط الآية بالجزاء في حين ربطها البقاعيُّ بالوفاق من قوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾. والجمع بين القولين ممكنٌ؛ فتعلّل الآيتان عذاب الطّاعين وتبيّنان في خلال التعليل وجه موافقته لجرمهم.

وزاد البقاعيُّ بيان مناسبة كلّ آيةٍ من الآيتين (27، 28) على حدة. فاعتبر الأولى (27) لوحدها تعليلًا لعذابهم المذكور في الآي التي قبلها، ثمّ اعتبر مناسبة الأخرى (28) التصريح بمدلول سابقتها.

فمن أسباب اختلاف المفسّرين في مناسبة آيةٍ ما الاختلاف في تعيين محلّ ارتباطها من الآية أو الآي التي قبلها، وأيضًا أنّ يفصل أحدهما القول في مناسبات كلّ آيةٍ من مجموع آياتٍ معطوفٍ بعضها على بعض، ويُجمل فيها الآخر القول باعتبار تلك الآيات جملةً بيانيّةً واحدةً.

16- الآية: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾⁽²⁹⁾

مناسبة الآية عند البقاعيِّ التوكيد المعنويّ لما دلّت عليه الآيتان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾⁽²⁷⁾ و﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾⁽²⁸⁾. وأمّا ابن عاشور فيعتبر الآية جملةً اعتراضيةً لإفادة علمٍ زائدٍ متعلّقٍ بما سبق ذكره في الآيتين (27، 28). واجتماع القولين ممكنٌ؛ بأن أكّدت الآية ما ذُكر في الآيتين قبلها، وزادت عليه بما لم يُذكر بصيغة العموم.

(1) ينظر: محيي الدّين الدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص-سوريّة، دار ابن كثير للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق-بيروت، اليمامة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق-بيروت، ط:3، 1412هـ/1992م، مج:10(ج:28، 29، 30)، ص:357.

17- الآية: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (30)

المناسبة عند المفسرين السببية، بإتباع السبب بالمسبب، إلا أن الاختلاف وقع في تعيين السبب؛ فهو عند البقاعي ما ذكر في الآيتين (27، 28)، وأمّا عند ابن عاشور فهو المذكور في قوله ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (21) وما يلحق به، وكلا القولين جائز.

18- الآية: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (31)

الآية بداية مقطع فرعي عند المفسرين، أمّا البقاعي فبين أن مناسبتها لما قبلها هي المضادة بين جزاء المؤمنين وجزاء الطّاعين، وأمّا ابن عاشور فاكتفى بأن مناسبتها مقتضي الانتقال من النّدارة إلى البشارة. وإمكان اجتماع القولين ظاهر.

19- الآية: ﴿وَكُواعِبَ أَزْرَابًا﴾ (33)

لم يكشف ابن عاشور عن من مناسبة الآية لما قبلها، خلافاً للبقاعي.

20- الآيات: ﴿وَكَأْسِدَاهَا فَا﴾ (34)

كشف البقاعي عن وجه ارتباط الآية بالآيتين اللتين قبلها؛ بأنه سبحانه لمّا ذكر المساكن (الآية: 32)، ذكر ما يتمتع به فيها (الآية: 33)، وما هو مُتمّم للمتنعة (الآية: 34)، وأمّا ابن عاشور فكشف عن علّة تأخيرها عمّا عطف عليه، فأرجعها إلى بديع الإيجاز مع وفرة المعاني؛ بأن إذا جاء ضمير (فيها) في الآية التي بعدها ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ (35)، جاز إرجاعه إلى الكأس وإلى المفاز.

فالبقاعي بين وجه الارتباط مع ما يدل عليه من الترتيب، وابن عاشور اقتصر على علّة الترتيب من الناحية البلاغية لا من الناحية المعنوية، وإمكان اجتماع القولين ظاهر.

21- الآية: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ (35)

اختلف المفسران في مناسبة الآية، واختلافهما راجع إلى أن ابن عاشور يراها مرتبطة بما ذكر في المقطع السابق لمقطعها، في الآيات: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (24) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (25) و﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (30) بمناسبة المضادة. في حين يراها البقاعي مرتبطة بالآيات التي قبلها مباشرة، المشتركة معها في المقطع، بمناسبة ذكر تمام التّنعّم بجميع الحواس. ولا تعارض بين المناسبتين لاختلاف جهات التعلّق، فالجمع بينهما ممكن.

22- الآية: ﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ (36)

لم يكشف البقاعي عن مناسبة الآية خلافاً لابن عاشور.

23- الآية: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (37)

ذكر كل واحد من المفسرين - مما جادت به قريحته - وجهين لمناسبة الآية للآية التي قبلها، وإن هذا التنوع في أوجه التناسب، الناتج من نظر العقليين أو نظر العقل الواحد، يدل على أن القرآن الكريم كلما فتح عليه المتدبر قلبه وأشغل به فكره، ظهر له مزيد من دُرره وأسراره، وتأكدت روعة تناسب آيه وأجزائه.

ومرجع اختلاف التنوع هنا هو حصول التناسب بين كلِّ مكُونات الآيتين من الكلمات والضمائر والجمل، ولذلك أمكن اجتماع جميع الوجوه في المناسبة، ومن ذلك التناسب بين: (ربك/رب السماوات والأرض وما بينهما)، (الضمير في ربك/ المضاف إلى رب)، (عطاء/الرحمن)، (جزاء، عطاء/ رب السماوات...)⁽¹⁾.

كما اتفق المفسران في أن هذه الآية مكوّنة من جملتين، واختلفا بعد ذلك في تحديد المفصل بينهما، أمّا البقاعي فحدّد الجملة الأولى بقوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، وأمّا ابن عاشور فحدّدها بكلمة ﴿الرَّحْمَنُ﴾، وبسبب الاختلاف في تحديد مفصل الجملتين، اختلفا في بيان وجه المناسبة؛ فاعتبره البقاعي: تعليل الثانية للأولى، واعتبره ابن عاشور الاحتراس في الثانية مما قد يُتوهم من الأولى، أو إبطاله عند من يعتقد بذلك الوهم، وكلا الوجهين محتمل.

24- الآية: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ ابْتَحَدَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَابًا﴾ (39)

اتفق المفسران في أن الآية مؤلفة من جملتين، الأولى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، والأخرى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ابْتَحَدَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَابًا﴾، واختلفا بعد ذلك في وجه مناسبة الأولى لما قبلها ومناسبة الثانية للأولى.

(1) قال ابن عاشور: "وإنك لتنمّر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها، فنهال عليك معانٍ كثيرةً يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي. وقد تتكاثر عليك، فلا تك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحاً بذلك. فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالته، من اشتراكٍ وحقيقةٍ ومجازٍ، وصريحٍ وكنايةٍ، وبديعٍ، ووصلٍ، ووقفٍ، إذا لم تُفض إلى خلاف المقصود من البَيّان، يجب حمل الكلام على جميعها" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 97/1).

فأما مناسبة الجملة الأولى لما قبلها؛ فهي عند البقاعيّ مزيد التعظيم بعد التعظيم السابق، وأما عند ابن عاشور فهي بيان ما يستحقه ذلك اليوم من مكانة بين الأيام بعد تقديم ذكر مجموعة من أوصافه. ولا تعارض بين القولين؛ فالجمع بينهما أولى، بأن كان مزيد التعظيم مبيّنًا لما يستحقه اليوم من مكانة بين الأيام.

وأما مناسبة الجملة الثانية للأولى، فعند البقاعيّ الحث على ما يترتب عن العلم بعظمة ذلك اليوم، فذلك مثل المقدّمة والنتيجة، وأما عند ابن عاشور فالتفريع عليها بموعظة سنحت لها فرصة تهيؤ النفوس لقبول الموعظة.

وإنّ ما يترتب على العلم بعظمة ذلك اليوم، الذي حثت عليه الآية على قول البقاعيّ، هو تلك الموعظة التي ذكر ابن عاشور أنّه سنحت لها فرصة تهيؤ النفوس لقبولها. فالجمع بينهما على هذا النحو ممكن.

25- الآية: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

تُرَابًا ٤٠ ﴿

كشفت المفسران عن مناسبة ختم السورة بهذه الآية، كما كشفت عن مناسبات جملتها؛ أما مناسبة ختم السورة بها، فهي عند البقاعيّ تلخيص ما تقدّم في هذه السورة من شرح النبأ العظيم، وأما عند ابن عاشور فهي تلخيص ما ورد في السورة من أحوال الفريقين.

فوجه الاختلاف بينهما أنّ أحدهما اعتبرها ملخصاً لجميع السورة في حين اعتبرها الآخر ملخصاً لبعض السورة، والأقرب الأول وهو قول البقاعيّ؛ لأنّ الإنذار بيوم القيامة المذكور في الآية حصل من أول السورة في قوله: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٤ ﴾، وذكر الصنفين بعده يقابله ﴿ يَوْمَ

يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾.

وزاد ابن عاشور بيان مناسبة أخرى وهي مناسبتها لمفتتح السورة، فذكر أنّها ردّ العجز على الصّدْر، وذلك من براعة الختم.

وأما مناسبات جملتها؛ فقد اتفق المفسران في أنّ الآية مؤلفة من ثلاث جمل هي: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾، ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾، ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾، ثمّ اختلفا في مناسباتها، على النحو الآتي:

● مناسبة قوله: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾

اختلف المفسران في تحديد متعلق الجملة؛ فهي عند البقاعي مرتبطة بالجملة التي قبلها من الآية نفسها ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ (من الآية 40) تعييناً لوقت العذاب المحذر منه، وأمّا عند ابن عاشور فهي إمّا مرتبطة بقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ (من الآية 38) بدلاً منه؛ لمزيد الوصف، وإمّا بـ ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ (من الآية 39) ظرفاً له، وأمّا الجملة التي قبلها من الآية نفسها فيرى أنّها معترضةٌ بينها وبين ما قبلها.

● مناسبة قوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

اختلف المفسران في مناسبة الجملة الأخيرة للجملة التي قبلها؛ فهي عند ابن عاشور من عطف الخاص على العام؛ لمناسبة أنه (أي الخاص وهو الكافر) من أقيمت السورة لأجله، وأمّا عند البقاعي فهي بيان ما يصدر من الكافر لما يتحقق ما ذكر في الجملة التي قبلها. وسبب اختلاف القولين اختلاف زاوية نظر المفسرين؛ إذ نظر البقاعي إلى تسلسل حدثي الجملتين (علّة الترتيب)، وأمّا ابن عاشور فنظر إلى وجه تخصيص الكافر بالذكر بالرغم من أنّ كلّ إنسان ينظر عمله (وجه الارتباط). والقولان متكاملان، والجمع بينهما حسن؛ فيقال: لما ذكر معاينة المرء لعمله، أعقبه ببيان ما يقوله من أقيمت السورة لأجله - وهو الكافر - عند حصول ذلك.

وفي الأخير، وبعد الانتهاء من المقارنة، يمكن تلخيص نتائج هذا الفصل فيما يلي:

- لم يكشف ابن عاشور عن مناسبة سورة التبا للسورة التي قبلها، فلم يظهر موافقة ولا مخالفةً للبقاعي في هذا النوع من أنواع مناسبات السورة.
- من أصل خمسة مقاطع يرى البقاعي أنّ السورة تتألف منها، وافقه ابن عاشور في الآيات المشكّلة للمقاطع في ثلاثة منها، وخالفه في مقطعين اثنين، وأمّا مناسباتها، فلم يخالف ابن عاشور البقاعي إلا في مناسبة مقطع واحد فقط، وهو المقطع الأول في السورة، في حين وافقه في مناسبات أربعة مقاطع. وسبب الاختلاف في مناسبة المقطع الأول اختلاف وجهات نظر المفسرين؛ إذ ربطه أحدهما ببعض أجزاء السورة السابقة، في حين ربطه الآخر بأجزاء السورة التي هو أولها. وحينئذٍ أمكن الجمع بين قوليهما لاختلاف جهة التعلّق.

ويمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات مقاطع سورة النبأ بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة النبأ	مجموع المقاطع
عدد مقاطع السورة في نظر البقاعي	5
عدد مقاطع السورة في نظر ابن عاشور	6
مواضع الاتفاق في تحديد المقاطع	3
مواضع الاختلاف في تحديد المقاطع	2
مواضع الاتفاق في المناسبة	4
مواضع الاختلاف في المناسبة	1
ترجيحي لقول البقاعي في المناسبة	0
ترجيحي لقول ابن عاشور في المناسبة	0
إمكان الجمع بين القولين في المناسبة	1

● في مناسبات آيات السورة: وافق ابن عاشور البقاعي في مناسبات إحدى عشرة آية، وخالفه في مناسبات خمس وعشرين آية، وآية واحدة كلاهما لم يذكر لها مناسبة، وآيتان انفرد البقاعي بعدم الكشف عن مناسبيتهما، وآية واحدة انفرد ابن عاشور بعدم الكشف عن مناسبتها، فتلك أربعون آية في سورة النبأ.

فالملاحظ أنّ ابن عاشور خالف البقاعي في مناسبات أكثر آيات السورة، وأمّا ما رجّحته من القولين في كلّ آية من الآيات المختلف في مناسباتها، فما قال به ابن عاشور في أربع آيات، وما قال به البقاعي في آيتين، وأمّا بقيّة الآيات المختلف فيها وعددها تسع عشرة آية، فيجوز في كلّ آية ما قال به المفسّران، والجمع بين قوليهما ممكن في ستّ عشرة آية منها.

ويمكن تلخيص أسباب اختلاف المفسّرين في مناسبات آيات من سورة النبأ في النقاط

الآتية:

- أن يكشف أحدهما عن وجه الارتباط، ويكشف الآخر عن علّة الترتيب.
- الاختلاف في تقدير موقع الآية؛ فيراها أحدهما معترضةً، ولا يراها الآخر كذلك.
- الاختلاف في مناسبة الآية التي قبلها.

- أن يفصل أحدهما القول في مناسبات كل آية من مجموع آيات معطوف بعضها على بعض، ويحمل القول فيها الآخر باعتبار تلك الآيات جملةً بيانيةً واحدةً.
- الاختلاف في معاني حروف المعاني ودلالاتها.
- أن يكشف أحدهما عن مناسبة الآية في ظلّ غرض المقطع الذي تنتمي إليه، ويكشف عنها الآخر في ظلّ مقصود السورة.
- أن يكشف أحدهما عن مناسبة الآية في ظلّ غرض المقطع الذي تنتمي إليه أو غرض السورة، ويرجعها الآخر إلى عاملٍ آخر خارج عن إطار السورة.
- الاختلاف في تحديد غرض المقطع الذي تنتمي إليه الآية.
- الاختلاف في تعيين محلّ ارتباط الآية (متعلقها) من الآية التي قبلها.
- الاختلاف في جهة مناسبة الآية: ومن صور ذلك:
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبة الافتتاح بها لمقصود السورة، ويكشف الآخر عن مناسبة الافتتاح بها لما سيأتي بعدها.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبتها للآية التي قبلها مباشرةً، ويكشف الآخر عن مناسبتها لآيةٍ قبلها على بعدٍ منها، أو لمجموع آياتٍ قبلها مباشرةً.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبتها لمجموع آياتٍ قبلها على بعدٍ منها، ويكشف الآخر عن مناسبتها لمجموع آياتٍ أخرى قبلها على بعدٍ منها.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبة الآية لما قبلها، ويكشف الآخر عن مناسبة ابتداء المقطع بها.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبتها للآيات التي قبلها مباشرةً، المشتركة معها في المقطع، ويكشف الآخر عن مناسبتها لآياتٍ قبلها من المقطع السابق لمقطعها.
- وأذكر في هذا المقام بأنّ اتّفاقهما في مناسبة آيةٍ ما لا يمنع من زيادة أحدهما أو كليهما بأوجهٍ أخرى للمناسبة.

ويمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات آيات سورة النبأ بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة النبأ	مجموع الآيات
آيات السورة	40
اتفقا في المناسبة	11
البقاعي لم يبين المناسبة	2
ابن عاشور لم يبين المناسبة	1
كلاهما لم يبين المناسبة	1
اختلفا في المناسبة	25
جواز رأييهما	19
إمكان الجمع بين رأييهما	16
ترجيحي لرأي البقاعي	2
ترجيحي لرأي ابن عاشور	4

* * *

الفصل الثاني: مناسبات سورة النَّازعات

بين البقاعيِّ وابن عاشور

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: مناسبات سورة النَّازعات عند البقاعيِّ

المبحث الثاني: مناسبات سورة النَّازعات عند ابن عاشور

المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة النَّازعات عند

البقاعيِّ وابن عاشور

* * *

توطئة:

سورة التّازعات مكيّة بالإجماع، وعدد آياتها ست وأربعون في العدّ الكوفيّ، وخمسة وأربعون فيما سواه⁽¹⁾. ويتناول هذا الفصل بيان مدى عناية البقاعيّ وابن عاشور بالكشف عن مناسبات هذه السّورة، ثمّ المقارنة بين ما توصّلا إليه من المناسبات؛ قصد الوصول إلى جزء من الإجابة عن إشكاليّة هذه الدّراسة، باعتبار هذه السّورة جزءاً من عيّنتها، فجاء الفصل في ثلاثة مباحث، وهي كالآتي:

المبحث الأوّل: مناسبات سورة التّازعات عند البقاعيّ

يستعرض هذا المبحث مناسبة سورة التّازعات للسّورة التي قبلها، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها، وذلك وفقاً لاجتهادات البقاعيّ.

المطلب الأوّل: مناسبة سورة التّازعات لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعيّ

سورة التّازعات هي السّورة رقم: 79 في ترتيب المصحف، والسّورة التي قبلها هي النّبأ، فكيف يرى البقاعيّ التّناسب بين السّورتين؟ وما هي مقاطع سورة التّازعات في نظره؟ وما أوجه المناسبات بينها؟ ذلك ما سيتمّ بحثه في الفرعين الآتين.

الفرع الأوّل: المناسبة بين سورة التّازعات وسورة النّبأ عند البقاعيّ

يرى البقاعيّ أنّ التّناسب بين سورة التّازعات وسورة النّبأ حاصلٌ من جهتين وبثلاثة أوجه، وذلك على النحو الآتي:

الجهة الأولى: تناسب مقصوديّ السّورتين

كشف البقاعيّ عن مقصود سورة التّازعات فقال: "مقصودها بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام، ووقوع القيام يوم الرّحام وزلل الأقدام، بعد البيان التّامّ فيما مضى من هذه السّور العظام، تنبيهاً على أنّه وصل الأمر في الظهور إلى مقام ليس بعده مقام"⁽²⁾. وقد سبق ذكر أنّ مقصود سورة النّبأ عند البقاعيّ هو "الدّلالة على أنّ يوم القيامة ثابتٌ

(1) البقاعيّ، مصاعد النّظر، (153/3)، ابن عاشور، التّحريّر والتّشوير، (59/30).

(2) البقاعيّ، نظم الدرر، (217/21).

ثباتاً لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجه⁽¹⁾؛ فالتّناسب بين المقصودين ظاهرٌ جليٌّ؛ إذ إنّ مقصود التّازعات التّأكيد بالإقسام لما تمّ تأكيده في النّبأ بالبرهان، وهذا أقرب إلى تعليل الوضع منه إلى تعليل التّرتيب؛ إذ يمكن تقديم التّأكيد بالإقسام على التّأكيد بالبرهان لولا ما معه من علل التّرتيب الأخرى.

وليست هذه المناسبة -عند البقاعيّ- بين التّازعات والنّبأ فقط، وإنما تتعدّى النّبأ إلى سُورٍ قبلها كما صرّح بذلك.

الجهة الثانية: تناسب مقطع النّبأ ومطلع التّازعات

يرى البقاعيّ أنّ بين مطلع التّازعات ومقطع النّبأ تناسباً، وأنّه واقعٌ من وجهين:

- **الوجه الأوّل:** تماثل مواقف الصّنفين المذكورين فيهما، وهما: من أشرف على النّزع - المذكور في مطلع التّازعات-، والكافر يوم القيامة -المذكور في مقطع النّبأ-؛ فالموقف واحدٌ، وهو تمّيها أن لو لم يكونا؛ فعند معاينة الكافر ليوم القيامة وأهواله يتمي لو أنّه يصير تراجاً، مثله مثل من أشرف بالنّزع على الموت ورأى من أهواله فإنّه يتمي لأجلها لو أنّه لم يكن على وصالٍ بالدنيا يوماً من الأيام ولا ليلةً من الليال⁽²⁾. وهذا الوجه أقرب إلى تعليل الوضع منه إلى تعليل التّرتيب، إذ النّزع يكون قبل القيامة.
- **الوجه الثاني:** قال البقاعيّ: "لمّا ذكر سبحانه يوم يقوم الرّوح ويتمي الكافر العدم، أقسم أوّل هذه بنزع الأرواح، على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة -عليهم السّلام-، على ما يتأثر عنه من البعث، وساقه على وجه التّأكيد بالقسم لأنّهم به مكذبون"⁽³⁾. فمطلع التّازعات إقسامٌ بنزع الأرواح على ما يتأثر عنه من البعث في اليوم المذكور في مقطع النّبأ بأنّه يوم قيام الرّوح، فأكدّه بالإقسام عليه لأنّهم كذبوا به؛ فالمطلع فيه التّأكيد بالقسم لما ورد في المقطع من خبر، فثبت بذلك الاتّصال والتّلاحم، وهذا الوجه ممّا يعلّل به التّرتيب.

(1) وينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (189/21).

(2) ينظر: نفسه، (216/21).

(3) نفسه، (218-217/21).

الفرع الثاني: مناسبات مقاطع سورة النازعات عند البقاعي

الذي يبدو من عمل البقاعي أنه يرى السورة مؤلفة من ستة مقاطع، وقد بين مناسباتها بأتمها على النحو الآتي:

1- مناسبة المقطع الأول:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا⁽¹⁾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا⁽²⁾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبًا⁽³⁾ فَالسَّيِّقَاتِ سَبًا⁽⁴⁾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا⁽⁵⁾﴾ (النازعات: 1-5)

كشف البقاعي عن مناسبة مطلع النازعات لمقطع النبأ وقد سبق بيانها. وهو يرى أن جملة جواب قسم مطلع السورة محذوفة مقدرة بـ: "لنذهب بالدنيا التي أنتم بها مغترون"⁽¹⁾.

2- مناسبة المقطع الثاني:

﴿يَوْمَ تَرُجُّ الرَّاجِفَةُ⁽⁶⁾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ⁽⁷⁾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ⁽⁸⁾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ⁽⁹⁾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ⁽¹⁰⁾ إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخِرَةً⁽¹¹⁾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ⁽¹²⁾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ⁽¹³⁾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ⁽¹⁴⁾﴾ (النازعات: 6-14)

تتجلى مناسبة المقطع الثاني للمقطع الذي قبله عند البقاعي في قوله: "ولمّا أقسم على القيام⁽²⁾ بتلك الأفعال العظام التي ما أقدّر أهلها عليها إلا الملك العلام، ذكر ما يكون فيه من الأعلام تحويلاً لأمر الساعة"⁽³⁾.

3- مناسبة المقطع الثالث:

﴿هَلْ أَيْنُكَ حَدِيثٌ مُبِينٌ⁽¹⁵⁾ إِذْ نَادَيْتُهُ رَبِّي بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى⁽¹⁶⁾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى⁽¹⁷⁾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا رَبِّي⁽¹⁸⁾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشِينِ⁽¹⁹⁾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى⁽²⁰⁾ فَكَذَّبَ وَعَصَى⁽²¹⁾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَبْعِي⁽²²⁾ فَحَشَرَ فَنَادَى⁽²³⁾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى⁽²⁴⁾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى⁽²⁵⁾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى⁽²⁶⁾﴾ (النازعات: 15-26)

(1) البقاعي، نظم الدرر، (220/21).

(2) يعني قيام الساعة.

(3) البقاعي، نظم الدرر، (222/21).

يرى البقاعي أنّ المقطع الثالث مستأنفٌ استئنافاً بيانيّاً؛ فبعد الإقسام على يوم القيامة وذكّر ما يكون فيه من الأعلام، كان التقدير أن يتساءل المكذّبون: هل لذلك من دليل؟ فأخبر بقصة موسى عليه الصّلاة والسّلام مع القبط، الشّبيهة في أحداثها وتقلّباتها وتغيّراتها بالقيامة، فكانت القصة بموقع الدّليل على القيامة، مع ما فيها من الحثّ على الاعتبار، تسليّةً للنبيّ صلى الله عليه وسلّم وتهديداً للمكذّبين.⁽¹⁾

4- مناسبة المقطع الرّابع:

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَدُنْهَا ۖ (27) رَفَعَ سَعْتَكُمْ فَسَوَّيْنَاهَا ۖ (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۖ (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۖ (32) مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِتَأْتِيَكُمُ الْغَيْمُ (33)﴾
(التّازعات: 27-33)

تتجلّى مناسبة المقطع الرّابع للمقطع الذي قبله عند البقاعي في قوله: "ولمّا ختم قصة فرعون -لعنه الله- بالعبرة، وكان أعظم عبرتها القُدرة التّامة لاسيما على البعث ... والعقوبة على التّكذيب به ... وكانوا يستبعدونه لاستبعاد القُدرة عليه، وصل به ما هو كالنتيجة منه، فقال مقرّراً مخاطباً لأصحاب الشُّبهة الشّاكين، مُوقفاً لهم على القُدرة منكرًا عليهم استبعادهم ذلك ... لوضوح هذا البرهان لكلّ إنسانٍ استعطافاً بهم في توبيخ: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾..."⁽²⁾. فالمقطع عنده في موقع الدّليل على القُدرة على البعث التي كانت عبرةً من قصة المقطع الذي قبله.

5- مناسبة المقطع الخامس:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطّائِفَةُ الْكُفْرَى ۖ (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۖ (35) وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ۖ (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ (41)﴾
(التّازعات: 34-41)

كشف البقاعي عن المناسبة بين المقطع الخامس والمقطع الذي قبله فقال: "ولمّا ذكر ما

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (227/21-228).

(2) نفسه، (238/21).

دلّ على البعث، أتبعه ما يكون عن البعث مسبباً عنه، دلالة على أنّ الوجود ما خلق إلا لأجل البعث لأنه محطّ الحكمة"، ثمّ بين أنّ ما يتسبّب عنه هو الحساب، وانقسام الناس إلى شقيّ وسعيدٍ، فقسّم للجحيم وقسّم للنّعيم.⁽¹⁾

6- مناسبة المقطع السّادس:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۚ ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۚ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَاهَا ۗ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ۗ ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرُوتِهَا لَوَالِبَتْ أَلْعَاشِيَةَ أَوْصَحَّهَا ۗ ﴿٤٦﴾﴾ (التّازعات: 42-46)

تتجلى مناسبة المقطع السّادس لما قبله عند البقاعيّ في قوله: "ولمّا قسّمهم هذا التّقسيم المُفهم أنّ هذا شيءٌ لا بُدَّ منه، استأنف ذكر استهزائهم تعجبياً منهم فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾...⁽²⁾. والاستهزاء المذكور سابقاً هو المتضمّن في سؤالهم: ﴿أَمَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۗ ﴿١٠﴾﴾ إذا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً ۗ ﴿١١﴾﴾ قَالُوا إِنَّكَ إِذَا كَرَّ خَاسِرَةٌ ۗ ﴿١٢﴾﴾⁽³⁾.

المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة التّازعات عند البقاعيّ

يرى البقاعيّ أنّ آيات سورة التّازعات متناسبة على النحو الآتي.

1- مناسبة الآية: ﴿وَالنَّزِعَتِ غَرْقًا ۗ ﴿١﴾﴾

الآية بداية السّورة وبداية المقطع الأوّل منها، الذي هو في الإقسام على وقوع البعث، وقد كشف البقاعيّ عن مناسبة افتتاح المقطع الأوّل بها، فأرجعها إلى أنّ الابتداء بذكر نزع أرواح الكفّار والعصاة لأنّه أشدُّ وأهول، وهو ما يناسب هول البعث المقسّم عليه.⁽⁴⁾

2- مناسبة الآية: ﴿وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ۗ ﴿٢﴾﴾

ذكر البقاعيّ مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "ولمّا ذكر الشّدّ مبتدئاً به لأنّه أهول،

(1) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (241/21-242).

(2) نفسه، (244/21).

(3) ينظر: نفسه، (224/21).

(4) ينظر: نفسه، (217/21-218).

أتبعه الرِّفق" (1)، فللمناسبة أنّه سبحانه وتعالى أتبع ذكر النوع الأوّل بذكر النوع الآخر، وبين النوعين تضادّاً ظاهرّاً، وذكر البقاعي أنّ النوع الثاني من النّزع خاصٌّ بأرواح أهل الطّاعة (2).

3- مناسبة الآيتين: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا﴾ (3) ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبَّحًا﴾ (4)

يرى البقاعي أنّه سبحانه وتعالى بعدما ذكّر في الآيتين الأوليين نوعي السِّلِّ بالثِّبَّة والرِّفق، ذكر في هاتين الآيتين إقبال الملائكة إلى النّزع ورجوعها منه، فأما الإقبال ففي قوله: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا﴾ (3) فهو طيراتها السّريع إلى ما أمرت به، وأما الرّجوع ففي قوله: ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبَّحًا﴾ (4) "أي بعد السّبح، في الطّيران إلى ما أمروا به من غَمَس الأرواح في النّعيم أو الجحيم أو غير ذلك ممّا أمروا به في أسرع من اللّمح" لا يسبقها فيه شيء (3).

4- مناسبة الآية: ﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا﴾ (5)

بين البقاعي مناسبة الآية للآيتين اللّتين قبلها بأنّه سبحانه وتعالى أعقب ما دلّ على حسن امتثال الملائكة للأوامر بذكر عظيم نظرهما في عواقب الأمور لإتقان ما أمرت به (4). وكأنّ البقاعي يشير دون صريح العبارة إلى أنّ المناسبة بيان أنّ إسرار الملائكة في تنفيذ الأمر لا يعني عدم إتقانها له، فتتفادها جامع بين السّرعة والإتقان.

5- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (6)

القسم وفقاً للبقاعي - كما سبق ذكره - إمّا هو على قيام السّاعة والبعث، وجوابه محذوفٌ تقديره: "لنذهب بالدنيا التي أنتم بها مغترّون" (5)؛ وبناءً عليه يرى البقاعي أنّ جملة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ظرفٌ جواب القسم المحذوف، وفسّر الرّاجفة بالصّيحة، وهي: "النّفخة الأولى التي بها نزع النفوس من جميع أهل الأرض" (6).

(1) البقاعي، نظم الدرر، (218/21).

(2) ينظر: نفسه، (219/21).

(3) ينظر: نفسه، (219/21-220).

(4) ينظر: نفسه، (220/21).

(5) نفسه.

(6) ينظر: نفسه، (222/21).

6- مناسبة الآية: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (7)

كشفت البقاعي عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "ولمّا ذكر الصّيحة الأولى أتبعها الثانية ... فقال: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ أي الصّيحة التّابعة لها، التي يقوم بها جميع الأموات وتجتمع الرّفات"⁽¹⁾. فالمناسبة بينها وبين الآية التي قبلها أنّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر الصّيحة الأولى التي بها نزع الأرواح، أتبعها بذكر الصّيحة الأخرى التي تردفها وبها يكون البعث والنّشور.

7- مناسبة الآية: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (8)

تتجلّى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمّا ذكر البعث (التّازعات: 7) ذكر حال المكذّب به (التّازعات: 8) لأنّ السّياق له"⁽²⁾.

8- مناسبة الآية: ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (9)

يرى البقاعي أنّه سبحانه وتعالى لمّا وصف القلوب بالاضطراب في الآية السّابقة، وكان قد يخفى سببه لكونه قد يكون عند الشّور العظيم كما قد يكون عند الوجع الشّدديد، أفصح في هذه الآية عن سببه بأنّه من سوء حال ما تراه أبصارهم حتّى صارت ذليلة⁽³⁾، وهو ما يُرّجح ما ذهب إليه من أنّ القلوب الواجفة هي قلوب المكذّبين.

9- مناسبة الآية: ﴿يَقُولُونَ أَمْ نَأْمُرُكُمْ بِالْحَافِرَةِ﴾ (10)

يرى البقاعي أنّ الآية تعليلٌ لدلّ الأَبصار واضطراب القلوب المذكورين في الآيتين قبلها، بأنّ أصحابها كانوا يكذّبون بالبعث. وفيه إيماءٌ إلى حصول ضده لمخالفهم وهم المؤمنون به.⁽⁴⁾

10- مناسبة الآية: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ (11)

الآية عند البقاعي مبدوءةٌ بهمزة الاستفهام (إذا) على قراءة ابن كثير، وأبي عمرو،

(1) البقاعي، نظم الدرر، (223-222/21).

(2) نفسه، (223/21).

(3) ينظر: نفسه، (224/21).

(4) ينظر: نفسه.

وعاصم، وحمزة، وأبي جعفر، وخلف⁽¹⁾. كشف البقاعي عن مناسبتها للآية التي قبلها فقال: "ولمّا وصف قلوبهم بهذا الإنكار، أتبعه التّصريح بتكريرهم له على وجهٍ مشيرٍ إلى العِلّة الحاملة لهم على قوله"⁽²⁾. ويعني البقاعي بالتّصريح: خلاف التّلميح في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾؛ إذ تفيد صيغة المضارع تجدد القول في الدُّنيا في كلّ وقتٍ⁽³⁾؛ فالمناسبة بينها وبين الآية التي قبلها عند البقاعي من وجهين:

الأوّل: التّصريح بتكريرهم إنكار البعث، بعد الإشارة إليه في الآية التي قبلها.

الثاني: الإشارة إلى العِلّة الحاملة لهم على الإنكار، وهي استبعاد إحيائهم بعد أن صاروا عظامًا باليةً مفتتةً ممزّقةً، وهي أصلب البدن فكيف بما عداها من الجسم؟!⁽⁴⁾.

11- مناسبة الآية: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾⁽¹²⁾

يرى البقاعي أنّ العامل في (إِذَا) من قوله تعالى: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا تَحِيْرًا﴾⁽¹¹⁾ محذوفٌ مقدّرٌ بنحو أن يقال: "نردُّ إذ ذاك إلى حالتنا الأولى ونقومُ كما كُنَّا؟"، وأنّ معنى قوله ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾⁽¹²⁾ أنهم قالوا مرّةً من المرّات، خلافًا لعادتهم، إنّ تلك الرّدة العجيبة جدًّا، البعيدة من العقل للشّبهة المذكورة، إلى حياتهم الأولى لا شيء لهم كما وُلدوا، ويفقدون كلّ ما سَعَوْا في تحصيله وجمعه، لهي رجعةٌ خاسرةٌ؛ لشدّة خسارتهم فيها بما فقدوا ممّا حصلوا من الحال والمآل وصالح الخلال.⁽⁵⁾

فالآية عنده مُرتبطةٌ بمحذوفٍ ناشئٍ عن الآية التي قبلها؛ وهو متعلّقٌ (إِذَا) الظرفيّة، وذلك بَعُوْدِ اسم الإشارة (تِلْكَ) إلى ذلك المقدّر وهو: الرّجعة إلى الحياة بعد الموت، ووجه الارتباط هو الإشارة إلى وصفها بأنّها خسرةٌ إن تحقّقت.

(1) ينظر: جمال الدّين محمّد شرف، القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النّشر مدعّمة بالأدلة، تقديم: عبد الكريم صالح، دار الصّحابة للتراث بطنطا، مصر، ط: 4، 1433هـ/2012م، ص 583.

(2) البقاعي، نظم الدرر، (225/21). بتصرّفٍ بحذف ما لا يخدم المقصود من الاستشهاد.

(3) ينظر: نفسه، (224/21).

(4) ينظر: نفسه، (225/21).

(5) ينظر: نفسه، (226-225/21).

12- مناسبة الآية: ﴿فَأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (13)

يرى البقاعيُّ الآية مناسبةً لجملةٍ محذوفةٍ قبلها، مقدّرةً بقوله: "نعم والله لثُرْدُنُّ يا هؤلاء"، جوابًا عن سؤالهم وما تبعه من استهزاءٍ، الوارد في الآيات الثلاث التي قبلها، ووجه المناسبة أنّها مسبّبةٌ عنها تهديدًا لهم، أيّ تسبّب عن الجوابِ المقدّر بنعمٍ تهديدُهم بالصّيحة. (1)

13- مناسبة الآية: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (14)

مناسبة الآية عند البقاعيِّ أنّه سبحانه وتعالى لَمَّا هَدَدَ بالصّيحة في الآية التي قبلها، ذكّر في هذه ما يتسبّب عنها، وهو سرعة بعثهم وقيامهم من قبورهم (2). فهي من باب تعقيب الشّيء بما يتسبّب عنه.

14- مناسبة الآية: ﴿هَلْ أَيْنُكَ حَدِيثٌ مُّوَسَّى﴾ (15)

الآية بداية مقطعٍ في الحديث عن قصّة موسى عليه السّلام مع القبط، وقد بيّن البقاعيُّ مناسبة ابتداء المقطع بها، وهي التي جاءت بطريق الاستفهام، بأنّها: "التّنبية والحثُّ على جمع النّفس على التّأمّل والتّدبّر والاعتبار"، وأمّا تخصيص النّبيِّ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم بالمخاطبة به؛ فإشارةٌ إلى أنّه لا يعتبر هذا حقّ اعتباره إلّا هو عليه الصّلاة والسّلام، ولأنّ ما سيأتي تسليّةً له ولقومه. (3)

15- مناسبة الآية: ﴿إِذْ نَادَيْتُهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى﴾ (16)

لم يكشف البقاعيُّ عن مناسبة الآية. (4)

16- مناسبة الآية: ﴿أَذْهَبِ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (17)

الآية مؤلّفة من جملتين، وقد كشف البقاعيُّ عن مناسبتها؛ فأما مناسبة الجملة الأولى للآية التي قبلها ففي قوله: "ولمّا ذكر المناداة فسّر ثمرتها بقوله: ﴿أَذْهَبِ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾"، وأمّا مناسبة الجملة الثانية للأولى ففي قوله: "ولمّا أمره بالذهاب إليه، علّله بما يستلزم إهلاكه على

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (226/21).

(2) ينظر: نفسه، (227/21).

(3) ينظر: نفسه، (228-229/21).

(4) يمكن القول إنّ المناسبة هنا: تعيين ظرف المخبر به في الآية التي قبلها لتمييزه عن غيره.

يده - عليه الصّلاة والسّلام- إشارة له بالبشارة بأنّه لا سبيل له عليه".⁽¹⁾
فمناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعيّ تتمثّل في بيان مضمون الخطّاب المثمر عن التّداء، وتعليل ما خوطب به.

17- مناسبة الآية: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْبُّكَ﴾ (18)

تتجلّى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعيّ في قوله: "ثُمَّ سَبَّبَ عَنِ الدَّهَابِ إِلَيْهِ قَوْلَهُ: ﴿فَقُلْ﴾..."⁽²⁾، أي بعد أن أمره بالدّهّاب إليه بيّن له ما يقول له.

18- مناسبة الآية: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشِينِ﴾ (19)

كشف البقاعيّ عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "ولمّا أشار له إلى الطّهارة عن الشّرك، أتبعها الأعمال فقال: ﴿وَأَهْدِيكَ﴾ أي أبين لك بعد التّزكية بالإيمان الذي هو الأساس، كيف المسير ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ بتعريفك ما يرضيه من الأعمال وما يغضبه من الخصال ﴿فَخَشِينِ﴾"⁽³⁾. فالمناسبة: تعقيب الإيمان بالعمل؛ لما بينهما من التّلازم والتّكامل، والتّرتيب بينهما راجع إلى أنّ العمل ثمرة الإيمان ناتج عنه.

19- مناسبة الآية: ﴿فَأَرِنُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ (20)

الآية عند البقاعيّ مسبّبة عن محذوفٍ قبلها مُقدّرٍ بطلبِ فرعون الدّليل على دعوى موسى عليه السّلام، حيث قال: "ولمّا كان التّقدير: فذهب إليه كما أمره الله تعالى، فقال له ذلك، فطلب الدّليل على صحّة الرّسالة... ﴿فَأَرِنُ﴾ أي فتسبّب عن طلبه له أنّه دلّ على صدقه بأنّه أراه ﴿الآية﴾..."⁽⁴⁾.

20- مناسبة الآية: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (21)

الآية عند البقاعيّ مبيّنة لنتيجة عرض الدّليل -المذكور في الآية التي قبلها- على فرعون، وهي موقّفه منه عند رؤيته، حيث قال: "﴿فَكَذَّبَ﴾ أي فتسبّب عن رؤية ذلك أنّه أوقع

(1) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (230/21).

(2) نفسه.

(3) نفسه، (231/21)، بتصرّفٍ بحذف ما لا يخدم المقصود من الاستشهاد به.

(4) نفسه، (231/21-232).

التّكذيب بشيءٍ إنّما يقتضي عند رؤيته التّصديق ﴿وَعَجِبُوا﴾ ... بعد إقامة الدّليل على الصّدق وتحقّق الأمر⁽¹⁾.

21- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ نَبِيَّ﴾ (22)

مناسبة الآية عند البقاعيّ أنّه سبحانه بعدما ذكّر في الآية التي قبلها موقف فرعون من الآية الكبرى - وهو التّكذيب والعصيان - أعقبه في هذه الآية بذكر تماديه على ذلك، بسعيه الحثيث في إبطال الأمر الرّبّانيّ.⁽²⁾

22- مناسبة الآية: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (23)

مناسبة الآية في نظر البقاعيّ بيان ما تسبّب عن إداره ساعياً في إبطال الأمر الرّبّانيّ المذكور في الآية التي قبلها، وهو جمع السّحرة والجنود والتّداء فيهم.⁽³⁾

23- مناسبة الآية: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (24)

الآية وفقاً للبقاعيّ في بيان ما نادى به فرعون⁽⁴⁾؛ فالمناسبة بيان إجمال الآية التي قبلها.

24- مناسبة الآية: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرُسِ وَالْأُولَى﴾ (25)

مناسبة الآية عند البقاعيّ أنّها بيان لما تسبّب عن قوله الشّنيع - المُخبر به في الآية التي قبلها - من العقاب.⁽⁵⁾

25- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ (26)

كشف البقاعيّ عن مناسبة الآية لما قبلها من الآي فقال: "و[لَمَّا⁽⁶⁾] خَتَمَهُ⁽⁷⁾ بأخذه هذا الأخذ الغريب، أرشد إلى ما في القصّة من العبرة، مشيراً إلى استحضر ما مضى كلّهُ"⁽⁸⁾. فمناسبة الآية أنّها ختم للقصّة الواردة في الآيات التي قبلها بالإرشاد إلى أخذ العبرة منها.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر، (232/21).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه.

(4) نفسه، (233/21).

(5) ينظر: نفسه، (235/21).

(6) ما بين القوسين المعقوفين زيادةً منّي اقتضاها السّيباق، لعلّها سقطت من الأصل في أثناء الطّباعة.

(7) يعني تلخيصه تعالى لقصّة موسى عليه السّلام.

(8) البقاعيّ، نظم الدرر، (237/21).

26- مناسبة الآية: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ بَنَاهَا﴾ (27)

الآية بداية مقطع في إقامة الدليل على القُدرة على البعث كما سبق بيانه. ولم يبيّن البقاعي مناسبة ابتداء المقطع بها ولا مناسبتها لما قبلها ولا لما بعدها، وإنما تكلم عن مناسبة الجملة الثانية من الآية نفسها وهي: ﴿بَنَاهَا﴾ للجملة الأولى منها، فذكر أنه لَمَّا كان جواب سؤال الجملة الأولى مقدّرًا بـ: "نَعَمْ"، بيّنت هذه الجملة كيف خلق السّماء؛ للدلالة على قدرته تعالى على البعث بقدرته على ما هو أعظم منه. (1)

27- مناسبة الآية: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّنَهَا﴾ (28)

وجه مناسبة الآية عند البقاعي أنه بعد الاستدلال في الآية التي قبلها على القُدرة على البعث ببناء السّماء، بيّنت هذه كيف كان ذلك البناء. (2)

28- مناسبة الآية: ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (29)

المناسبة بين الآية والآية التي قبلها عند البقاعي أنه سبحانه وتعالى بعد أن ذكر الدليل على القُدرة على البعث أتبعه بذكر ما يتصوّر به البعث. (3)

والآية مؤلّفة من جملتين، وتقديم جملة الليل على جملة النهار لمناسبة أن الليل أسبق؛ لكونه عدماً، والعدم قبل الوجود. وبين الجملتين أيضًا مناسبة المقابلة الواردة بطريق الاحتباك، قال البقاعي: "فالآية من الاحتباك: دلّ بـ (أَعْطَشَ) على (أضياء) وبإخراج الضُّحى على إخفاء الضّياء". (4)

29- مناسبة الآية: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (30)

كشف البقاعي عن مناسبة الآية فقال: "ولمّا بدأ بدلالة العالم العلويّ لأنّه أدلّ، لما فيه

(1) يمكن القول عن المناسبة هنا: إنّه لَمَّا كان المقطع في الدلالة على القُدرة على البعث الإنسان، ناسبه أن يبتدئ بمقارنة خلقه بما هو أعظم منه، فقارنه بخلق السّماء. ووجه دلالة المقارنة على البعث: أنّ القادر - كما ذكر البقاعي - على ابتداء الأكبر قادرٌ على إعادة الأصغر (ينظر: البقاعي، نظم الدرر، 238/21-239).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (239/21)، ولم يفصل البقاعي القول في كيفية هذا التّصوّر، فلعلّه يقصد به مثل الذي ذكر في سورة التّبا: بأنّ الليل يكون فيه السُّبات، والنّهار يكون فيه المعاش، والمعاش بعد السُّبات مثل البعث من الموت، أو أنّ الليل عدمٌ والنّهار وجودٌ - كما ذكر - فإخراج الوجود من عدم يتصوّر به البعث.

(4) ينظر: نفسه، (239/21-240).

من العجائب والمنافع مع كونه أشرف، فذكر أنّه أتقن السّماء التي هي كالذّكر، ثبّت بأنّه سوّى ما هي لها كالأنثى فقال: ﴿وَالْأَرْضَ﴾...⁽¹⁾.

فبيّن البقاعي وجه ارتباط الآية بما قبلها من الآي، كما بيّن علّة التّرتيب؛ فأما وجه الارتباط فأثّما كالذّكر وأثناه، وأما علّة التّرتيب فتقديم الأدل والأشرف.

30- مناسبة الآية: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾⁽³¹⁾

تتجلّى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "لَمَّا ذَكَرَ الدّحُو، أتبعه ما استلزمه من المنافع لتوقّف السُّكنى المقصودة بالدّحو عليه، فقال كالمبيّن له..."⁽²⁾. فالمناسبة: تعقيب الشّيء ببيان ما يستلزمه لتحقيق المقصود منه.

31- مناسبة الآية: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾⁽³²⁾

مناسبة الآية عند البقاعي أنّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر منافع الأرض، أعقبه بذكر ما به تمام الانتفاع من الأرض، وهو الجبال التي تثبتّها.⁽³⁾

32- مناسبة الآية: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ﴾⁽³³⁾

الآية عند البقاعي مرتبطةً بجملةٍ محذوفةٍ، حالاً منها، قدرها بـ: "كلّما تناول حيوانٌ من مأكّلٍ أو مشربٍ أو غيرهما من متاع الأرض فنقص أعدناه"، للتنبية على أنّه كلّ يومٍ في إعادةٍ، حال كون تلك الإعادة متاعاً للناس ولأنعامهم.⁽⁴⁾

فالملاحظ أنّ من أنواع المناسبات المتكرّرة عند البقاعي بشكل لافتٍ للنظر المناسبةُ لمحذوفٍ، ولا عجب في ذلك إذا علم أنّ الحذف من أساليب القرآن وفنونه البليغة⁽⁵⁾.

(1) وفَسَّرَ ﴿دَحَاهَا﴾ بقوله: "أي بسطها ومدّها للسُّكنى وبقية المنافع" (البقاعي، نظم الدرر، 240/21).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (241-240 /21).

(4) ينظر: نفسه، (241/21).

(5) ينظر: الرّكشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 547. وقد عدّه الرّكشي الأسلوب الثّاني من أساليب القرآن وفنونه البديعة، وعرفه بأنّه: "إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل" (ص: 685)، وذكر له نماذج، يُنظر منها على سبيل المثال لا الحصر المواضع الآتية: (ص: 692، 694، 695). وعدّه ابن عاشور في المقدّمة العاشرة من مقدّمات تفسيره من أوجه إعجاز القرآن الكريم؛ إذ هو أحد أنواع الإيجاز (ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 1/122).

33- مناسبة الآية: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (34)﴾

الآية بدايةً مقطوع في بيان ما يكون بعد البعث مسبباً عنه. ولم يفصح البقاعي عن مناسبتها للآية التي قبلها ولا مناسبة ابتداء المقطع بها، فرُّماً لأنَّها - في نظره - استدعتها مناسبة الانتقال.

34- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ (35)﴾

مناسبة الآية عند البقاعي بيان ما يكون في يوم البعث؛ تعريفاً بقدره، المقتضي تسميته ووصفه بالطَّامة الكبرى في الآية التي قبلها. (1)

35- مناسبة الآية: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ (36)﴾

تتجلى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمَّا أشار إلى الحساب ذكر ما بعده فقال: ﴿وَبُرِّزَتِ﴾... (2)". فللمناسبة: التَّعْقِيبُ بذكر ما يحصل بعد حصول المذكور في الآية التي قبلها، وهذا الوجه معللٌ للترتيب بترُّب الوقوع.

36- مناسبة الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (37)﴾

الآية عند البقاعي مناسبةً لمحدوفٍ جواب الشرط من قوله: ﴿فَإِذَا﴾ (التّازعات: 34)، المقدّر بانقسام النَّاسِ إلى طائفتين، ناجيةً وهالكةً، والمناسبة: ذكر ما يتسبّب عن ذلك الانقسام وتفصيل إجماله. (3)

37- مناسبة الآية: ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (38)﴾

لمَّا فسّر البقاعي الطُّغْيَانَ المذكور في الآية السَّابِقَةَ بمجاوزة الحدِّ، قال: "ولمَّا كان الذي بعد حدود الله هو الدُّنْيَا، صرَّح به" (4). فظاهر كلامه أنّ المناسبة: تصرُّحُ الآية بمعنى الطُّغْيَانَ المذكور في الآية التي قبلها.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (241/21).

(2) نفسه، (242/21).

(3) ينظر: نفسه.

(4) نفسه.

38- مناسبة الآية: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ﴾ (39)

الآية عند البقاعي بيان لما يتسبب عن أعمال الطّاعي -المذكورة في الآيتين قبلها- من الجزاء، فمناسبتها: ربط الجزاء بالعمل ترهيباً⁽¹⁾، أو يقال: تعقيب العمل ببيان الجزاء عليه ترهيباً.

39- مناسبة الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ (40)

ذكر البقاعي مناسبة الآية لما قبلها فقال: "ولمّا ذكر الطّاعي، أتبعه المتّقّي"⁽²⁾، أي لمّا ذكر القسم الأوّل أتبعه بذكر الثّاني، وهو ما يدلُّ عليه سياق كلامه. كما تضمّن بيانه للمناسبة الإشارة إلى مناسبة المضادة من خلال تسمية القسمين دون الاكتفاء بمجرد ذكرهما كقسمٍ أوّلٍ وقسمٍ ثانٍ.

والجملة الثّانية من الآية ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ مناسبة للأولى متأثرة عنها، وفرّق البقاعي بين كونها متأثرة عنها وكونها مسببة عنها؛ فالمسبب مرتبط بالسبب وجوداً وعدمًا، وأمّا الأثر فمفصل؛ إذ قد ينتج عن المؤثر وقد لا ينتج.

ثمّ ذكر أنّ الآية مقابلة بالاحتباك للآيتين: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۗ﴾ (37) و﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ﴾ (38) فقال: "أتى بطغى دليلاً على ضده ثانياً، وبالتهى عن الهوى ثانياً دلالةً على إثارة الدنيا أولاً"⁽³⁾؛ فتقدير الكلام على حسب قوله: فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فلم ينه النفس عن الهوى ... وأمّا من خاف مقام ربّه فلم يطغ، ونهى النفس عن الهوى ...

40- مناسبة الآية: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ﴾ (41)

مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي ربط الجزاء بالعمل ترغيباً⁽⁴⁾، أو يقال: تعقيب العمل ببيان الجزاء عليه ترغيباً.

41- مناسبة الآية: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَهَا ۗ﴾ (42)

الآية بداية مقطع مستأنف في ذكر استهزاء المكذّبين بالبعث تعجباً منهم، مؤلفة من

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (244-243/21).

(2) نفسه، (243/21).

(3) ينظر: نفسه، (244-243/21).

(4) ينظر: نفسه، (244/21).

جملتين. وقد كشف البقاعي عن مناسبة الجملة الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسِلَهَا﴾، للأولى بأنّها بيان الإبهام الوارد فيها، أي بيان محتوى السؤال⁽¹⁾، في حين أنّه لم يكشف عن مناسبة ابتداء المقطع بهذه الآية، ولا مناسبتها للآية التي قبلها.

42- مناسبة الآية: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾⁽⁴³⁾

تتجلى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمّا كان إيراد هذا هكذا مفهوماً للإنكار عليهم في هذا السؤال، وكان من المعلوم أنّه يقول: إنهم ليسألوني، وربما تحركت نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم إلى إجابتهم لحرصه على إسلامهم شفقةً عليهم، فطمّنه عن ذلك وصرّح بالإنكار بقوله: ﴿فِيمَ﴾..."⁽²⁾. فالمناسبة أنّه بعدما أنكر على السائلين سؤالهم، أنكر على المسؤول أن يتطلّع إلى جوابهم.

43- مناسبة الآية: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾⁽⁴⁴⁾

كشف البقاعي عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "ثمّ عرّفها (السّاعة) بما لا يمكن المزيد عليه ممّا أفادته الجملة التي قبل، من أنّه لا يمكن علمها لغيره سبحانه وتعالى"⁽³⁾، أي بعد أن أنكر في الآية السابقة السؤال عنها، والتطلّع إلى الجواب من أجل إجابتهم حتّى يُسلموا، عرّفها في هذه بأنّها ممّا يختصّ سبحانه وتعالى بعلمه.

44- مناسبة الآية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَىٰ﴾⁽⁴⁵⁾

يرى البقاعي أنّ الآية مرتبطة بالآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِلُهَا﴾⁽⁴²⁾، ووجه ارتباطها بها: أنّها قلبٌ للأمر على السائلين عن السّاعة المذكورين فيها، ببيان انحصار الرّسالة في الإنذار بقيام السّاعة لا في الإعلام بوقتها.⁽⁴⁾

45- مناسبة الآية: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوَيْلٌ لِلْآعِشِيَّةِ أَوْ حُجَّابٌ﴾⁽⁴⁶⁾

كشف البقاعي عن مناسبة الآية للآية التي قبلها، فبيّن أنّها اشتراك الإنذار وقيام السّاعة في السّريعة فقال: "ولمّا أثبت أنّه منذر، وكان أخوف الإنذار الإسراع، قال مستأنفاً محطّراً لهم

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (21/244-245).

(2) نفسه، (21/245).

(3) نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (21/245-246).

الدُّنْيَا مَرْهَدًا لَهُمْ فِيهَا: ﴿كَانْتُمْ﴾ ...⁽¹⁾.

كما كشف عن مناسبتها باعتبارها مُخْتَمِ السُّورَةِ وَمُفْصَلَهَا وَمَقْطَعَهَا، لِأَوَّلِهَا وَمَوْصِلِهَا وَمَطْلَعِهَا فَقَالَ: "لَمَّا نَزَعْتَهُمْ نَفْخَةَ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِيَدِ الْقُدْرَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ غَرْقًا نَزْعًا شَدِيدًا، فَقَامُوا وَرَأَوْا تِلْكَ الْأَهْوَالَ وَعَلِمُوا مَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنَ الْأَوْجَالِ، اسْتَقْصَرُوا مُدَّةَ لِبْثِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ ... فَقَدْ رَجَعَ آخِرُهَا بِالْقِيَامَةِ عَلَى أَوَّلِهَا، وَالتَّفَّ مِفْصَلُهَا بِنَزْعِ الْأَنْفُسِ اللَّوَامَةِ عَلَى مَوْصِلِهَا"⁽²⁾؛ فَهِيَ مَنَاسِبَةٌ رُدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِتَأْوِيلِ نَفْخَةِ إِسْرَافِيلَ، الَّتِي تَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ مِنْ قُبُورِهَا فَتَبْعَثُهَا، بِنَازِعَةٍ مِنَ النَّازِعَاتِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر، (246/21).

(2) نفسه، (247/21-248).

المبحث الثاني: مناسبات سورة النازعات عند ابن عاشور

يتناول هذا المبحث بيان مناسبة سورة النازعات للشورة التي قبلها، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها، وذلك وفقاً لاجتهادات ابن عاشور.

المطلب الأول: مناسبة سورة النازعات لما قبلها (النبا) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور

لم يكشف ابن عاشور عن المناسبة بين سورة النازعات وسورة النبا، ويبدو من عمله أنه يرى سورة النازعات مؤلفة من ستة مقاطع متناسية، وذلك على النحو الآتي:

1- مناسبة المقطع الأول:

﴿وَالْتَرَعَدَتِ غَرَقًا ① وَالْتَشِطَّتِ نَشْطًا ② وَالسَّيْحَتِ سَبْحًا ③ فَالسَّيْقَتِ سَبْقًا ④ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ⑤
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفُ ⑥ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ⑦ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ ⑧ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨﴾
(النازعات: 1-9)

يرى ابن عاشور أن الآيات (1-9) تشكّل مقطعاً واحداً في القسم على وقوع البعث. أمّا جملة القسم فهي الآيات (1-5)، وأمّا جملة جواب القسم فهي الآيات (6-9). ولم تصرّح جملة جواب القسم بالمقسم عليه، وإمّا دلّ عليه بعض أحواله التي هي من أهواله، وذلك أسلوباً أوقع في نفوس السامعين المنكرين من أسلوب التصريح⁽¹⁾. وأمّا مناسبة المقطع الأول فإنه لم يصرّح بها، وإمّا اكتفى ببيان غرضه، إشارةً منه إلى مناسبته للغرض الأهم للشورة، بأنّه لَمَّا كان غرض الشورة الأهم إثبات البعث⁽²⁾، ابتدأها بالإقسام عليه.

2- مناسبة المقطع الثاني:

﴿يَقُولُونَ أَمَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩ إِذَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً ⑪ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّ خَاسِرَةٌ ⑫ فَأَيُّهَا
زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ ⑬ فَأَيُّهَا السَّاهِرَةُ ⑭﴾ (النازعات: 10-14)

يرى ابن عاشور أن المقطع الثاني إمّا أن يكون مستأنفاً استئنافاً ابتدائياً "بعد جملة القسم

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/65-66).

(2) ينظر: نفسه، (30/59، 62).

وجوابه؛ لإفادة أنّ هؤلاء هم الذين سيكونون أصحاب القلوب الواجفة والأبصار الخاشعة يوم ترجف الرّاجفة"، وإمّا أن يكون مستأنفاً استثنافاً بيانياً جواباً عن سؤالٍ مقدّرٍ، عن الدّاعي لذلك القسم، بأنّه إنكارهم البعث بقولهم ﴿أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾⁽¹⁾.

3- مناسبة المقطع الثالث:

﴿ هَلْ أَيْنِكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (15) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا تَرْتَجِي (18) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشِيَ (19) فَأَرَبُ الْآيَةِ الْكُبْرَىٰ (20) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (21) ثُمَّ أَذْبَرَ سَبْعِي (22) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (26)﴾
(التّازعات: 15-26)

يرى ابن عاشور أنّ المقطع الثالث معترضٌ، دعت إلى استطراده مناسبة التّهديد لمنكري البعث من قوم النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المُشار إليهم في المقطع الذي قبله، بأنّ يناهم مثلما نال فرعون وقومه من العذاب؛ لتماثل حالهم مع النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحال موسى -عليه السّلام- مع فرعون وقومه.⁽²⁾

أو يقال: المناسبة أنّه عزّ وجلّ لَمَّا أقسم على البعث في المقطع الأوّل، وبيّن في المقطع الثاني أنّ الدّاعي إلى ذلك القسم هو إنكارهم له، استطرد بعدهما إلى تهديد منكري البعث.

4- مناسبة المقطع الرّابع:

﴿ وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَعْتَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33)﴾
(التّازعات: 27-33)

تتضح مناسبة المقطع الرّابع للمقطع الذي قبله عند ابن عاشور في قوله: "انتقالٌ من الاعتبار بأمثالهم من الأمم، الذي هو تخويفٌ وتهديدٌ على تكذيبهم الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحريم والتّنوير، (68/30-69).

(2) ينظر: نفسه، (73/30).

وسلّم، إلى إبطال شبهتهم على نفي البعث وهي قوله: ﴿أَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ﴾⁽¹⁰⁾، وما أعقبوه به من التّهكّم المبنيّ على توهم إحالة البعث⁽¹⁾. وإبطال الشبهة حصل بالاستدلال على إثبات البعث وإمكانه بشيءٍ من دلائل قدرته سبحانه وتعالى⁽²⁾.
فلمناسبة الانتقال من تهديد المكذّبين بالبعث إلى إبطال شبهتهم بأدلة القدرة عليه، وكانّ ابن عاشور يشير هنا إلى مناسبة الانتقال من مخاطبة الوجدان إلى مخاطبة العقل.

5- مناسبة المقطع الخامس:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾⁽³⁴⁾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى⁽³⁵⁾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى⁽³⁶⁾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى⁽³⁷⁾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا⁽³⁸⁾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى⁽³⁹⁾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى⁽⁴⁰⁾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى⁽⁴¹⁾ ﴿ (التّازعات: 34-41)

ذكر ابن عاشور وجهين ممكنين لارتباط المقطع الخامس بما قبله؛ فإمّا أن يكون متعلّقاً بالمقطع الذي قبله مباشرة، بأنّه تفرّيع على الاستدلال على البعث، الذي تضمّنه المقطع الذي قبله مباشرة، بالتذكير في هذا المقطع بالجزاءين والإرشاد إلى التّجدين، فإنّ إثبات البعث يقتضي الجزاء إذ هو حكمته. وإمّا أن يكون متعلّقاً بقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾⁽¹³⁾ فإذا هم بالسّاهرة⁽¹⁴⁾ من المقطع الثّاني، بأنّه تفرّيع عليه، وذكر أنّ مناط التّفريع هو ما عقبه من التّفصيل بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ إلخ.⁽³⁾

6- مناسبة المقطع السّادس:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾⁽⁴²⁾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا⁽⁴³⁾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَاهَا⁽⁴⁴⁾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّحْشَاهَا⁽⁴⁵⁾ كَانَتْ يَوْمَ يَرْوِنَهَا لَوْ لَبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحْحًا⁽⁴⁶⁾ ﴿ (التّازعات: 42-46)

يرى ابن عاشور أنّ المقطع السّادس مستأنف استئنافاً بيانياً؛ جواباً عن سؤالٍ مقدّرٍ قبله، منشؤه أنّ المشركين، بعد وقوفهم على أدلة البعث، كانوا يسألون عن وقت حلول السّاعة،

(1) ابن عاشور، التّحريم والتّنوير، (83/30).

(2) ينظر: نفسه، (60/30، 83، 89).

(3) ينظر: نفسه، (89/30).

سؤال استهزاءٍ واستخفافٍ حيث قال: "فلا جرمَ لِمَا قُضِيَ حَقُّ الاستدلال على إمكان البعث بإقامة الدليل وضرب الأمثال، وعرض بعقاب الذين استخفوا⁽¹⁾ بها في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾⁽³⁴⁾، كان ذلك مَثَارًا لسؤالهم أن يقولوا: هل لمجيء هذه الطَّامَّة الكبرى وقت معلوم؟ فكان الحال مقتضياً هذا الاستئناف البياني؛ قضاءً لحقِّ المقام، وجواباً عن سابق الكلام"⁽²⁾.

المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة النَّازِعَات عند ابن عاشور

كشف ابن عاشور عن مناسبات آيات سورة النَّازِعَات، وهي عنده على النحو الآتي:

1- مناسبات الآيات: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾⁽¹⁾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا⁽²⁾ وَالسَّيِّدَاتِ سَبْعًا⁽³⁾ فَالسَّيِّدَاتِ

سَبْعًا⁽⁴⁾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا⁽⁵⁾

يرى ابن عاشور أن أحسن الوجوه في تفسير الآيات الخمس الأولى هو الذي يعتبر أن عطف الصِّفَات المذكورة بالواو يقتضي تغيير الموصوفات في النوع أو في الصِّنْف، وأن ما عطف منها بالفاء فإنه حالةٌ أخرى للموصوف المعطوف عليه.

وذكر في تفسير الموصوفات بالصِّفَات الثلاث الأولى، وهي: النَّازِعَات والنَّاشِطَات والسَّابِحَات أقوالاً محتملة؛ فإمّا أن تكون أنواعاً مختلفةً من صنفٍ واحدٍ، وإمّا أن تكون أصنافاً مختلفةً، وأمّا السَّابِقَات والمدبِّرَات، فهي صفاتٌ متفرِّعةٌ عن السَّابِحَات، فالموصوف بها واحدٌ.⁽³⁾

وبتعدد التَّأويلات التي ذكرها، لم يذكر وجه انتظامها إلا في صورةٍ واحدةٍ، وهي تأويل النَّازِعَات بجماعات الرُّماة بالسِّهَام في الغزو، والنَّاشِطَات بإبل الغزو، والسَّابِحَات بنخيل الغزاة حين هجومها على العدو، فالسَّابِقَات والمدبِّرَات أوصافٌ متفرِّعةٌ عن وصف الخيل بالسَّابِحَات، حيث قال: "وينتظم من مجموع صفات "النَّازِعَات، والنَّاشِطَات، والسَّابِحَات" إذا فهم منها جماعات الرُّماة والجَمَّالَة والفرسان، أن يكون إشارةً إلى أصناف المقاتلين من مشاة

(1) وردت في الأصل "استحفوا بها"، ولعل ذلك من أخطاء الطِّبَاعَة، والمثبت في متن الرسالة أنسب للسياق.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير، (94/30).

(3) ينظر: نفسه، (65-61/30).

وهم الرُّماة بالقسيِّ⁽¹⁾، وفرسانٍ على الخيل، وكانت الرُّماة تمشي قدّام الفرسان تنضح عنهم بالنِّبال حتّى يبلغوا إلى مكان الملحمة...⁽²⁾، فلمناسبة بين هذه الآيات -وفقًا لهذا الوجه من التّأويل- الإشارة إلى أصناف المقاتلين، ومناسبة تقديم التّازعات، وهم جماعات الرُّماة، لتقدّمهم الفرسان في ساحة المعركة.

وأما مناسبة افتتاح السُّورة بالآية الأولى: فعلى تأويل أنّها قَسَمَ بالملائكة التي تقبض الأرواح، يرى ابن عاشور أنّ الافتتاح بها براعة استهلال؛ إذ ثمة تناسبٌ بينها وبين الغرض الأهمّ من السُّورة، الذي هو إثباتُ البعث؛ وذلك أنّ الموت أوّل منازل الآخرة⁽³⁾، وأما على بقية التّأويلات فإنّه لم يذكر وجوه هذا النوع من المناسبة.

2- مناسبة الآيات: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿6﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿7﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿8﴾ أَبْصَرُهَا

خَشِيعَةٌ ﴿9﴾

يعتبر ابن عاشور الآيات (6-9) جملةً جوابِ القَسَمِ، فهذا وجه ارتباطها بما قبلها، وأنّ المُقسَمَ عليه المراد تحقيقه هو وقوع البعث، دلّ عليه ذكر بعض أحواله؛ فصريح الكلام موعظةٌ، والمقصود منه لازمه وهو وقوع البعث، فجمّع جوابُ القَسَمِ بين الإنذار والتّهويل⁽⁴⁾.
وأما ترتيب جُمْل جملة جوابِ القَسَمِ الأربع، عند ابن عاشور، فهو على النحو الآتي:

(1) جمع قوسٍ (الجوهري، الصحاح، 967/3).

(2) ابن عاشور، التحرير والتّوير، (65/30).

(3) ينظر: نفسه، (62/30). وجاء في السُّنة: {القَبْرُ أوّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ}، وهو طرف حديثٍ أخرجه: أحمد (ت: 241هـ) في مسنده، وصحّح إسناده أحمد شاکر (أحمد بن محمّد بن حنبل، المسند، شرح: أحمد محمّد شاکر، دار الحديث، القاهرة، ط: 1، 1416هـ/1995م، حديث رقم: 454، 360/1)، وكذلك صحّح إسناده شعيب الأرنؤوط (أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 1، 1418هـ/1997م، حديث رقم: 454، 503/1)، والرّمذنيّ (ت: 279هـ) في سُننه وحسنه (أبو عيسى محمّد بن عيسى الرّمذنيّ، الجامع الكبير، تح: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط: 1، 1996م، حديث رقم: 2308، 142/4)، والحاكم (ت: 405هـ) في المستدرک، وصحّحه ووافقه الذّهبيّ (أبو عبد الله، محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، المستدرک على الصّحیحين، تح: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 2، 1422هـ/2002م، حديث رقم: 7942، 366/4-367)، وغيرهم، كلّهم من طُرُقٍ عن هشام بن يوسف عن عبد الله بن بجير القاصّ عن هانئ مولى عثمان عن عثمان رضي الله عنه، الحديث. وحسنه الألبانيّ في صحيح التّرجيب والتّرهيب (محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، صحيح التّرجيب والتّرهيب، مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الرّياض، ط: 1، 1421هـ/2000م، حديث رقم: 3550، 391/3).

(4) ينظر: ابن عاشور، نفسه، (65-66/30).

- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (6): ظَرْفٌ متعلِّقٌ بـ ﴿وَاجِفَةٌ﴾ (من الآية 8)، وعِلَّةُ تقديم الظَّرْفِ على متعلِّقه هي تقديم الأهمِّ للاهتمام به والعناية به، فالظَّرْفُ هو الأهمُّ في جواب القَسَمِ لأنَّه المقصودُ إثباتُ وقوعه.
- ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (7): مناسبتها للآية التي قبلها ظاهرة؛ كونها ذكر ما يتبع ويلى الرَّجفة السَّابِقة. وهي إمَّا رجفةٌ أخرى للأرض، أو واقعةٌ أخرى بعدها، أو النَّفخة الثَّانية، بحسب الأوجه الجائزة في تأويل الرَّاجفة عنده.
- ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (8): متعلِّقُ الظَّرْفِ كما سبق بيانه، فهي أصلُ جملة جواب القَسَمِ مقصودًا، وجملة الموعظة والتَّهويل ليوم القيامة عبارة، والآيتان قبلها ظرُفُها.
- ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (9): مناسبتها للآية التي قبلها مزيدٌ بيانٍ للمراد من الوجيف المذكور فيها. (1)

3- مناسبة الآية: ﴿يَقُولُونَ أَمَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (10)

الآية بداية مقطع مستأنفٍ كما سبق تفصيل القول فيه، ومناسبتها هي نفسها مناسبتها، وهي بيان الدَّاعي لذلك القَسَمِ، أو التَّعريف بالَّذين سيكونون أصحاب القلوب الواجفة والأبصار الخاشعة يوم ترجف الرَّاجفة. (2)

4- مناسبة الآية: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً﴾ (11)

مناسبة الآية عند ابن عاشور أمَّا: بعد أن بيَّنت الآية التي قبلها أنَّ الدَّاعي إلى القسم هو قولهم في إنكار البعث ﴿أَمَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾، بيَّنت هذه ما حملهم على قولهم، حيث قال: "وظرف (إِذَا) في قوله: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً﴾ هو مناط التَّعَجُّب وإِدِّعاء الاستحالة، أي إذا صرنا عظامًا باليةً فكيف نرجع أحياء" (3)، فهذه مناسبة الخبر للخبر؛ أي ما أخبرت به الآية لما أخبرت به الآية التي قبلها، والمناسبة بينهما التَّعليل.

(1) ومعنى واجِفَةٌ: مضطربةٌ من الخوف، و(خاشِيعَةٌ): "أبصار أصحاب القلوب من شدَّة الهلع والخوف من فطيم ما تشاهده من سوء

المعاملة" (ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، 68/30-69).

(2) ينظر: نفسه، (68/30-69).

(3) نفسه، (70/30).

وأما مناسبة القول للقول، فيقول فيها ابن عاشور: "وهذا الاستفهام إنكاري، مؤكّد للاستفهام الأوّل، للدلالة على أنّ هذه الحالة جديرةً بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت، فهما إنكاران لإظهار شدّة إحالته"⁽¹⁾.

5- مناسبة الآية: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾⁽¹²⁾

كشف ابن عاشور عن مناسبة الآية فقال: ﴿قَالُوا﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿يَقُولُونَ أَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾⁽¹⁰⁾، والغرض منه: "الدلالة على أنّ قولهم هذا في غرضٍ آخر غير القول الأوّل، فالقول الأوّل قصدهم منه الإنكار والإبطال، والقول الثاني قصدوا منه الاستهزاء والتورّك"⁽³⁾؛ لأنّهم لا يؤمنون بتلك الكرّة، فوصّفهم إيّاها بـ ﴿خَاسِرَةٌ﴾ من باب الفرض والتقدير، أي لو حصلت كرّة لكانت خاسرة"⁽⁴⁾.
فلمناسبة: أنّه عزّ وجلّ لمّا ذكر أنّ من دواعي القسّم ما ذكّر عنهم ممّا قصدوا منه الإنكار والإبطال أعقبه بذكر ما قصدوا منه الاستهزاء.

6- مناسبة الآية: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾⁽¹³⁾

جملة الآية عند ابن عاشور مفرّعة بالفاء الفصيحة⁽⁵⁾ "على ما يفيد قولهم: ﴿أَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾⁽¹⁰⁾ إِذَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً" من معنى إحالته الحياة بعد البلى والفناء. فتقدير الكلام: لا عجب في ذلك فما هي إلا زجرة واحدة فإذا أنتم حاضرّون في الحشر"⁽⁶⁾.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (71-70/30).

(2) نفسه، (71/30).

(3) التّورّك: التّبطُّؤ عن الحاجة (ابن منظور، لسان العرب، 512/10).

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (71/30).

(5) هي الفاء العاطفة على مقدّر (خالد الأزهرّي، شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح بمضمون التّوضيح في التّحوي، تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1421هـ/2000م، 186/2)، وتبيّنت فصيحاً لأنّها تفصح عن المحذوف، وتفيد بيان سببته وهو قول سعد الدّين التفتازانيّ، ذكره الكفويّ (الكفويّ، الكليّات، ص: 676). وقال ابن عاشور: "ومعنى فاء الفصيحة أنّها الفاء العاطفة إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفاً على المذكور قبلها؛ فيتعيّن تقدير معطوفٍ آخر بينهما، يكون ما بعد الفاء معطوفاً عليه، وهذه طريقة السّكاكيّ فيها، وهي المثليّ"، وقال: "وعندي أنّ الفاء لا تُعدّ فاءً فصيحاً إلا إذا لم يستقم عطف ما بعدها على ما قبلها، فإذا استقام فهي الفاء العاطفة، والمحذوف إيجاز، وتقدير المحذوف لبيان المعنى" (ابن عاشور، نفسه، 518/1-519).

(6) ينظر: ابن عاشور، نفسه، (72/30).

فمناسبة الآية التّفريع على الآي التي قبلها بنفي ما تفيده من معنى إحالة البعث عند المشركين. وكلام ابن عاشور مُجَمَلٌ، والذي يُفهم منه أنّ الإبطال كان بمجموع الآية والمُفصَح عنه بالفاء، فنفى المُفصَح عنه العجب، وأكّدت الآية النّفي ببيان سهولة الأمر عليه سبحانه وتعالى. فالآية تأكيدٌ للمحذوف الذي أفصحت عنه الفاء.

7- مناسبة الآية: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (14)

يرى ابن عاشور أنّ الآية مفرّعة على جملة ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (13)، مفيدة سرعة الحصول دون أيّ تأخير. (1)

8- مناسبة الآية: ﴿هَلْ أَيْنُكَ حَدِيثٌ مُّوْبِيءٌ﴾ (15)

الآية بداية مقطع معترضٍ في تهديد منكري البعث من قوم النّبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما سبق بيانه، ومناسبة ابتداء المقطع بهذه الآية الواردة في صورة سؤالٍ ب: (هل) هي: "تشويق السّامع إلى الخبر" (2) من غير قصدٍ إلى استعمال المخاطب عن سابق علمه بذلك الخبر" (3).

9- مناسبة الآية: ﴿إِذْ نَادَيْتُمْ رَبُّكُمْ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (16)

الآية عند ابن عاشور تفصيلٌ لجمل الآية التي قبلها؛ فلمّا كان الاستفهام في الآية السّابقة صورياً، غيرٌ مطلوبٍ منه الجواب، أعقبه بتفصيل ما أوهم الاستفهام عنه بهذا الاستفهام، بطريق إبدال ﴿إِذْ﴾ من ﴿حَدِيثٌ مُّوْبِيءٌ﴾ بدل اشتمالٍ (4)، إذ تفصيل الإجمال من أغراضه.

10- مناسبة الآية: ﴿أَذْهَبِ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (17)

الآية مؤلّفة من جملتين، وقد بيّن ابن عاشور المناسبة بين جملتيها، كما بيّن مناسبة الجملة الأولى للآية التي قبلها؛ فأما الجملة الثانية: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ فمعلّلة للأولى: ﴿أَذْهَبِ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾، وأما الأولى: فبيانٌ لجملة: ﴿نَادَيْتُمْ رَبُّكُمْ﴾ من الآية التي قبلها. (5)

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّشوير، (72/30).

(2) وردت في الأصل (الخبر)، وهو من أخطاء الطّباعة، والمثبت في المتن هو الصّواب.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّشوير، (73/30).

(4) ينظر: نفسه، (74/30).

(5) ينظر: نفسه، (75/30).

11- مناسبة الآية: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْجَى﴾ (18)

لم يذكر ابن عاشور مناسبة الآية.

12- مناسبة الآية: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَانْحَبِي﴾ (19)

علّل ابن عاشور ترتيب الآية بعد التي قبلها بترتّب الحصول بين الإعداد للترجي والحاجة إلى الهادي، فقال: "إنّ فعل المطاوعة⁽¹⁾ يؤذن بفعل فاعل يعالج نفسه ويروضها إذ كان لم يهتد أن يركي نفسه بنفسه؛ ولذلك أعقبه بعطف ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَانْحَبِي﴾، أي إن كان فيك إعداد نفسك للتركية يكن إرشادي إياك فتخشي، فكان ترتيب الجمل في الذكر مراعى فيه ترتبها في الحصول"⁽²⁾.

13- مناسبة الآية: ﴿فَأَرْبُهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى﴾ (20)

الآية عند ابن عاشور مفرّعة على محذوف قبلها مسببة عنه، حيث قال: "الفاء في قوله ﴿فَأَرْبُهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى﴾ فصيحة وتفرّيع على محذوف يقتضيه قوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ (من الآية 17). والتقدير: فذهب فدعاه فكذبه فأراه الآية الكبرى، وذلك لأنّ قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ (من الآية 17) يؤذن بأنّه سيلاقي دعوة موسى بالاحتقار والإنكار؛ لأنّ الطغيان مظنة ذينك، فعرض موسى عليه إظهار آية تدلّ على صدق دعوته لعلّه يوقن"⁽³⁾.

14- مناسبة الآية: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (21)

الآية ظاهرة أنّها في بيان موقف فرعون من آية موسى عليه السلام؛ لذلك توجه ابن عاشور إلى الحديث عن مناسبة أخرى وهي التعقيب المباشر بالفاء فقال: "وأعقب فعل ﴿فَأَرْبُهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى﴾ بفعل ﴿فَكَذَّبَ﴾ للدلالة على شدة عناده ومكابرتة حتى أنّه رأى الآية فلم يتردد ولم يتمهل حتى ينظر في الدلالة، بل بادر إلى التّكذيب والعصيان"⁽⁴⁾.

(1) يعني به فعل ﴿تَرْجَى﴾ في الآية (التّازعات: 18)، وهو مطاوع زكاه أي جعله زكياً (ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 76/30).

(2) نفسه، (77/30).

(3) نفسه، (78/30).

(4) نفسه.

15- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ سَبْعِي﴾ (22)

مناسبة الآية وفقاً لرأي ابن عاشور أنّه لَمَّا ذَكَرَ تَكْذِيبَهُ وَعَصِيَانَهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، أَتْبَعَهُ فِي هَذِهِ بِذِكْرِ مَا كَانَ مِنْ فِرْعَوْنَ بَعْدَ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْعَصِيَانِ، وَهُوَ الْإِدْبَارُ وَالسَّعْيُ وَإِدْعَاءُ الْإِلَهِيَّةِ لِنَفْسِهِ. (1)

16- مناسبة الآيتين: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (23) ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (24)

الآيتان عند ابن عاشور بيانٌ لما ترتّب عن سعيه المذكور في الآية التي قبلهما، والترتّب هو الوارد في الأفعال الثلاثة: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ﴾. (2)

17- مناسبة الآية: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (24)

يرى ابن عاشور أنّ ارتباط الآية بما قبلها له وجهان جائزان: فإمّا أن تكون بدلاً مطابقاً من جملة ﴿فَنَادَى﴾ بقصد التأكيد، والذي أفاده البديل هنا هو بيان مضمون النداء في ذلك المحشر. وإمّا أن تكون معطوفةً على جملة ﴿يَسْبَعِي﴾ (من الآية 22)، فيكون المعنى أنّه "أمرٌ بهذا القول في أنحاء مملكته، وليس قاصراً على إعلانه في الحشر الذين حشّرهم حول قصره". (3)

18- مناسبة الآية: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (25)

يرى ابن عاشور أنّه سبحانه وتعالى لَمَّا ذَكَرَ بَعْضَ الْأَسْبَابِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (21) إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (24)، وَهِيَ الْمُلْحَصَةُ فِي مَوْقِفِ فِرْعَوْنَ مِنَ الدَّعْوَةِ، أَتْبَعَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِذِكْرِ مَا يَتَسَبَّبُ عَنْهَا مِنَ الْجَزَاءِ مَوْعِظَةً لِلْمُشْرِكِينَ وَتَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (4)

19- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (26)

الآية عند ابن عاشور خاتمة المقطع المعترض في تهديد منكري البعث من قوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المبتدئ من قوله: ﴿هَلْ أَيْنَاكَ حَدِيثٌ مُبِينٌ﴾ (15)، وقد ذَكَرَ ابْنُ عَاشُورَ مَنْاسِبَةَ

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (79/30).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (80/30).

(4) ينظر: نفسه، (81/30).

ختم المقطع بها بأتمّها: الحوصله والفضلكّه لما تقدّم (1).

20- مناسبة الآية: ﴿ءَأْتَمُّمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (27)

الآية بداية مقطع في إبطال شُبّهتهم على نفي البعث - كما سبق بيانه-، ولم يذكر ابن عاشور مناسبة ابتداء المقطع بها ولا مناسبتها لما قبلها، وأما اكتفى ببيان المناسبة بين المقطع الذي قبلها والمقطع الذي هي بدايته (2).

في حين أنه بين مناسبة جملة ﴿بَنَاهَا﴾ للجملة التي قبلها من نفس الآية وهي: ﴿ءَأْتَمُّمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ فقال: "وجملة ﴿بَنَاهَا﴾ يجوز أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً لبيان شدّة خلق السّماء، ويجوز أن تكون بدل اشتمالٍ من قوله: ﴿أَمْ السَّمَاءُ﴾، لأنّه في تقدير: أم السّماء أشدُّ خلقاً" (3). فتكون الجملة بياناً للمقصود بتوجيه النّظر إليه ممّا اشتمل عليه خلق السّماء وهو بناؤها.

21- مناسبة الآية: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّنَهَا﴾ (28)

الآية عند ابن عاشور بيانٌ لكيفيّة البناء المذكور في الآية التي قبلها، بطريق التّفصيل بعد الإجمال، حيث قال: "وجملة ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّنَهَا﴾ مُبَيَّنَةٌ لجملة ﴿بَنَاهَا﴾ أو بدل اشتمالٍ منها، وسلك طريق الإجمال ثمّ التّفصيل لزيادة التّصوير" (4).

22- مناسبة الآية: ﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (29)

نفي ابن عاشور اشتراك الآية مع الآية التي قبلها مباشرةً في مناسبة البيان، وذلك من خلال نفي عطفها عليها، وبين أنّها معطوفة على الجملة الثّانية من الآية الأخرى التي قبلهما، وهي قوله: ﴿بَنَاهَا﴾ (من الآية 27)، فتكون بذلك تابعة لها في الاستدلال بخلق السّماء، وعلّل ذلك بقوله: "لأنّ إغطّاش [الليل (5)] وإخراج الضّحى ليس ممّا يُبيّن به البناء" (6)، ولم

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (82/30).

(2) ينظر: نفسه، (83/30).

(3) نفسه، (84/30).

(4) نفسه.

(5) زيادة مبي اقتضاها السّيباق، لعلّها سقطت في أثناء الطّباعة.

(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (85/30).

يوضّح مناسبة العطف، إلاّ أنّه يمكن استنتاجها من خلال هذا التّفكي والإثبات.
فوفقاً لقوله إنّ ﴿بَنَاهَا﴾ مستأنفةً لبيان شدّة خلق السّماء⁽¹⁾، فإنّه في هذه الحالة لم يبيّن مناسبة عطف ﴿أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَيْهَا﴾ عليها.⁽²⁾
ووفقاً للقول الآخر -الجائز عنده- أنّ ﴿بَنَاهَا﴾ بدلٌ اشتمال⁽³⁾، تكون الجملة المعطوفة عليها ﴿أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَيْهَا﴾ بياناً للمقصود بتوجيه النّظر إليه، ممّا اشتمل عليه خلق السّماء من ظاهرتي اللّيل والنّهار، بعد بيان الجملة الأخرى بأنّه ما اشتمل عليه خلقها من البناء.

23- مناسبة الآية: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾⁽³⁰⁾

كشف ابن عاشور عن علة التّرتيب بين آية السّماء وآية الأرض بأنّه بدأ بالأبعد عن حسّهم ثمّ أعقبه بالأقرب إليه، فقال: "انتقل الكلام من الاستدلال بخلق السّماء إلى الاستدلال بخلق الأرض لأنّ الأرض أقرب إلى مشاهدتهم، وما يوجد على الأرض أقرب إلى علمهم بالتّفصيل أو الإجمال القريب من التّفصيل"⁽⁴⁾.
كما أشار غير مصرّحٍ إلى علةٍ أخرى للتّرتيب، وذلك في أثناء تفسيره للبعديّة في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، وهي خضوعها لترتيبها الوجودي حيث خلقت السّماوات أولاً ثمّ الأرض، وقال: "وهو الذي تؤيّد أدلّة علم الهيئة"، أو أنّ البعديّة مجازٌ في نزول رتبة خلق الأرض عن رتبة خلق السّماء.⁽⁵⁾

24- مناسبة الآية: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾⁽³¹⁾

يرى ابن عاشور أنّه لَمّا كان المقصد من دحو الأرض (وهو جعلها مبسوطةً مسوّاةً) تيسير الانتفاع بها، أبدل من جملة ﴿دَحَاهَا﴾ بعض ما يكمل تيسير الانتفاع بها⁽⁶⁾. فالمناسبة:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (84/30).

(2) وفقاً لهذا الوجه من التّأويل يمكن القول في المناسبة إنّها: بعد بيان شدّة خلق السّماء، أعقب تعالى ببيان شدّة إتقان نظامها.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (84/30).

(4) نفسه، (86/30).

(5) ينظر: نفسه، (87/30).

(6) ينظر: نفسه، (86-87/30).

تعقيب الشيء بيان بعض ما يكمل المقصود منه.

25- مناسبة الآية: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ (32)

الآية عند ابن عاشور إمّا معطوفة على ﴿وَالْأَرْضُ﴾ (من الآية 30)، وإمّا معطوفة على ﴿مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾ (من الآية 31).⁽¹⁾

فوفقاً للوجه الأول تكون المناسبة: انتقال الكلام من الاستدلال بخلق السماء إلى الاستدلال بخلق الأرض إلى الاستدلال بخلق الجبال، ووفقاً للوجه الثاني تكون الآية من تمام ذكر بعض ما يكمل تيسير الانتفاع من الأرض.

وقد اكتفى ابن عاشور ببيان المعطوف عليه عن التصريح بالمناسبة؛ لأنّ الوقوف على المعطوف عليه يسهل الوقوف على المناسبة، خاصّةً إذا كان العطف متعلّقاً بأنواع الشيء الواحد.

26- مناسبة الآية: ﴿مَنْعًا لِّكُفْرٍ وَلَإِنْفِكْرٍ﴾ (33)

تتجلّى مناسبة الآية لما قبلها من آيات الاستدلال على القدرة على البعث عند ابن عاشور في قوله: "وهذا إدماج الامتنان في الاستدلال لإثارة شكرهم حقّ النعمة بأنّ يعبدوا المنعم وحده ولا يشركوا بعبادته غيره"⁽²⁾.

27- مناسبة الآية: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (34)

الآية بداية مقطع في التذكير بالجزاءين - كما سبق بيانه-، ومناسبتها لما قبلها عند ابن عاشور تتجلّى في قوله: "ومن تمام المناسبة للتذكير بيوم الجزاء، وقوعه عقب التذكير بخلق الأرض والامتنان بما هيأ منها للإنسان متاعاً به"⁽³⁾، للإشارة إلى أنّ ذلك ينتهي عندما يحين يومُ البعث والجزاء"⁽⁴⁾.

28- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ (35)

مناسبة الآية عند ابن عاشور بيان بعض ما يشتمل عليه اليوم المذكور في الآية التي قبلها،

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (87/30).

(2) نفسه، (88/30).

(3) وهو الوارد في الآيات: (التّازعات: 30-33).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (89/30).

حيث قال: "و﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ بدل من جملة ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ بدل اشتمالٍ لأنّ ما أضيف إليه (يوم) هو من الأحوال التي يشتمل عليها زمن مجيء الطّامة، وهو يوم القيامة ويوم الحساب" (1).

29- مناسبة الآية: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ (36)

أكتفى ابن عاشور بتفسير الآية وبيان الغرض منها بأنّه الموعظة، ولم يتكلّم عن مناسبتها. (2)

30- مناسبة الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (37)

يرى ابن عاشور أنّ الآية واقعة مع ما بعدها ممّا يلحق بها جواباً ل: (إذا) من قوله: ﴿فَإِذَا

جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ (34). (3)

31- مناسبة الآية: ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (38)

الآية عند ابن عاشور مرتبطة بالآية التي قبلها بعلاقة السببية، وعلة التّرتيب بينهما راجعة إلى تقديم السبب على المسبب مراعاةً للتّرتيب الطّبيعيّ. وقد فسّر الطّغيان بأنّه إفراط التّكبر، وهو من أكبر أسباب إثارة الدّنيا على عبادة الله تعالى. (4)

32- مناسبة الآية: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (39)

مناسبة الآية عند ابن عاشور أنّها بيان لما يستحقّه من اتّصف بما ذُكر في الآيتين قبلها من المأوى، حيث قال: "وفي تعريف أصحاب الجحيم وأصحاب الجنّة بطريق الموصول إيماءً إلى أنّ الصّلتين علّتان في استحقاق ذلك المأوى" (5).

33- مناسبة الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (40)

ذكر ابن عاشور أنّ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ (35) إلى قوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (90/30).

(2) ينظر: نفسه، (90-91/30).

(3) ينظر: نفسه، (91/30).

(4) ينظر: نفسه، (91، 75/30).

(5) نفسه، (94/30).

هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ محسنُ الجمع مع التّقسيم⁽¹⁾؛ فبعد أن ذكّر القسم الأوّل أعقبه بذكر القسم الآخر.

وقال: "وقوله: ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ مقابل قوله: ﴿مَنْ طَغَى﴾ (من الآية 37)؛ لأنّ الخوف ضدّ الطّغيان وقوله: ﴿نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ مقابل قوله: ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٣٨﴾"⁽²⁾، فالآية بجملتيها مقابلة للآيتين (37 و38).

ولم يبيّن ابن عاشور مناسبة تقديم ذكر الطّاعي على ذكر المتّقي إلا في أثناء تفسيره سورة عبس) حيث قال: "وأما سورة التّازعات فقد بُيت على تهديد المنكرين للبعث ابتداءً من قوله: ﴿يَوْمَ تَرَجُّفُ الرَّاجِفَةُ تَبَعَهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمِئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (التّازعات: 6-8)؛ فكان السّياق للتهديد والوعيد وتحويل ما يلقونه يوم الحشر، وأما ذكر حظّ المؤمنين يومئذٍ فقد دعا إلى ذكره الاستطراد؛ على عادة القرآن من تعقيب التّرهيب بالتّرجيب"⁽³⁾.

34- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٤١﴾

سبق ذكر كلام ابن عاشور المفيد أنّ مناسبة الآية بيان ما يستحقّه من المأوى من اتّصف بما ذكّر في الآية التي قبلها.⁽⁴⁾

35- مناسبة الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾

اكتفى ابن عاشور بالإشارة إلى أنّ الآية بدايةً مقطعٍ مستأنفٍ استئنافاً بيانياً، ولم يبيّن مناسبة ابتداء المقطع بها ولا مناسبتها لما قبلها.

ولمّا كانت الآية مؤلّفةً من جملتين، بيّن أنّ الجملة الثّانية منها، وهي ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، مبيّنة لسؤال المشركين المذكور في الجملة التي قبلها بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾.⁽⁵⁾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (93/30). وعرف القزويني محسنَ الجمع مع التّقسيم بقوله: "وهو: جمع متعدّد تحت حكمٍ ثمّ تقسيمه، أو تقسيمه ثمّ جمعه" (الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 271). والوارد في هذه الآيات هو: الجمع في: (الإنسان، من يرى) ثمّ التّقسيم في: (من طغى، ومن خاف).

(2) ابن عاشور، نفسه، (92/30).

(3) نفسه، (137/30).

(4) ينظر: نفسه، (94/30).

(5) ينظر: نفسه، (95/30).

36- مناسبة الآية: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ (43)

ذكر ابن عاشور أنّ الآية واقعةٌ موقع الجواب عن سؤالهم عن السّاعة، وذلك "باعتبار ما يظهر من حال سؤالهم عن السّاعة من إرادة تعيين وقتها، وصرف النظر عن إرادتهم به الاستهزاء"، وذكر أنّ هذا الأسلوب من الجواب يسمّى: الأسلوب الحكيم، وعرفه بقوله: "وهو من تلقّي السّائل بغير ما يتطلّب تنبيهاً له على أنّ الأولى به أن يهتمّ بغير ذلك" (1).

وأما توجه الخطاب في الآية إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال: "فالمقصود بلوغه إلى مسامع المشركين فلذلك اعتُبر اعتبار جوابٍ عن كلامهم، وذلك مقتضى فصل الجملة عن التي قبلها شأن الجواب والسؤال"، وأما الصيغة الاستفهامية للجملة فمفيدةٌ للتّعجب من سؤالهم، والتّوبيخ لهم، والإنكار عليهم. (2)

فملخص المناسبة: أنّه بعد أن ذكر سبحانه وتعالى سؤالهم للنبيّ صلى الله عليه وسلّم عن السّاعة أعقبه بسؤالٍ منه تعالى لنبيّه، الغرض منه التّعجب من سؤالهم والتّوبيخ لهم والإنكار عليهم، وتضمّن ذلك السؤال جواباً لهم بالأسلوب الحكيم.

37- مناسبة الآية: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْهَبًا﴾ (44)

الآية عند ابن عاشور في مقام التعليل للإنكار الذي دلّ عليه قوله تعالى في الآية التي قبلها ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾، وقدّر فيها مضافاً بمعنى إلى ربك علم منتهاهها. (3)

38- مناسبة الآية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخَشَعُهَا﴾ (45)

الآية عند ابن عاشور جوابٌ عن سؤالٍ مقدّرٍ قبلها ناشئ عن جملة ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ (43) إلى ربك منتهباً (44)، تقديره: تسأول السّامع عن وجه إكثار النبيّ صلى الله عليه وسلّم من ذكرها وذكر قريها، فجاء الجواب بأنّه ليس من حظّه الإعلام بتعيين وقتها وإنما حظّه التّحذير من بغتها. (4)

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (95/30).

(2) ينظر: نفسه، (96-95/30).

(3) ينظر: نفسه، (96/30).

(4) ينظر: نفسه، (97/30).

39- مناسبة الآية: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَرِبَابًا لِأَعْيُنِنَا أَوْ مَخِبَةً ۖ﴾ (46)

كشف ابن عاشور عن مناسبة الآية لما قبلها فقال: "جوابٌ عمّا تضمّنه قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (42)، باعتبار ظاهر حال السؤال من طلب المعرفة بوقت حلول الساعة واستبطاء وقوعها، الذي يرمون به إلى تكذيب وقوعها، فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم، أي إن طال تأخر حصولها فإنّها واقعةٌ وأهمّ يوم وقوعها كأنّه ما لبثوا في انتظارٍ إلاّ بعض يومٍ"⁽¹⁾. فالآية مرتبطة بالآية (42) جواباً ثانياً عن سؤالهم عن وقت الساعة، بعد الجواب الأوّل في الآية (43)، وكلاّ الجوابين ورّد بالأسلوب الحكيم.

هذا، وبعد الوقوف على مناسبات السورة عند المفسّرين فيما سبق، يأتي المبحث التّالي للمقارنة بين ما توصّلا إليه من المناسبات.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (98/30).

المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة النَّازِعَات عند البقاعي وابن عاشور
تهدف هذه المقارنة إلى بيان مدى موافقة ابن عاشور للبقاعي في مناسبات سورة النَّازِعَات، ومدى مخالفته له فيها فجاء بما هو أكثر إقناعاً، من خلال الكشف عن مواضع الاتفاق في المناسبة ومواضع الاختلاف فيها، وإحصائها جميعاً، ثم محاولة الكشف عن أسباب الاختلاف، ثم النظر في مدى جواز قوليهما في المناسبة، ومدى إمكانية اجتماعهما، أو الترجيح بينهما.
وتشمل هذه المقارنة أقوال المفسرين في مناسبة السورة للسورة التي قبلها، ومناسبات مقاطع السورة فيما بينها، ومناسبات آيات السورة آية آية.

المطلب الأول: مقارنة مناسبة سورة النَّازِعَات لما قبلها (النَّبأ) ومناسبات مقاطعها

كشف البقاعي عن المناسبة بين سورة النَّازِعَات وسورة النَّبأ، في حين لم يفعل ابن عاشور؛ بناءً على ما يعتقد من عدم وجوب البحث في تناسب السور.
وأما مناسبات مقاطع سورة النَّازِعَات، فالسورة في نظر كلا المفسرين مؤلفة من ستة مقاطع، وفيما يلي بيان مواضع اتفاقهما ومواضع اختلافهما في تحديدها، والمقارنة بين أقوالهما في مناسباتها.

أ- مواضع الاتفاق ومواضع الاختلاف في تحديد المقاطع:

زيادةً على اتفاق المفسرين في أنَّ السورة مؤلفة من ستة مقاطع، اتفقا في تحديد الآيات المشكَّلة لجلل المقاطع، فلم يختلفا إلا في المقطعين الأولين من السورة، المؤلفين من الآيات ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا¹... فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ¹⁴﴾ (النَّازِعَات: 1-14)، وذلك على النحو الآتي:

• حدّد البقاعي المقطع الأول من السورة بالآيات: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا¹... فَأَلْمَدِرَاتِ أَمْرًا⁵﴾ (النَّازِعَات: 1-5)، وبقية الآيات ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ⁶... فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ¹⁴﴾ (النَّازِعَات: 6-14) تؤلّف المقطع الثاني.

• حدّد ابن عاشور المقطع الأول بالآيات: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا¹... أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً⁹﴾ (النَّازِعَات: 1-9)، وبقية الآيات ﴿يَقُولُونَ أَمَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ¹⁰... فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ¹⁴﴾ (النَّازِعَات: 10-14) تؤلّف المقطع الثاني.

ب- المقارنة بين مناسبات المقاطع المختلف في تحديدها عند المفسرين:
وهما المقطعان الأوّل والثاني.

1- المقطع الأوّل: (البقاعي: الآيات: 1-5) / (ابن عاشور: الآيات: 1-9)

يبيّن البقاعي مناسبة المقطع الأوّل على أنّه نفسه مطلع السّورة لمقطع السّورة التي قبلها، وهذا بناءً على رأيه في وجود التّناسب بين السّور ومقاطعها ومطالعها، وأمّا ابن عاشور فميّز بين مناسبة المقطع الأوّل ومناسبة مطلع السّورة الذي حدّده بالآية الأولى فقط⁽¹⁾، فاكتفى بالإشارة دون صريح العبارة إلى مناسبة ابتداء السّورة بالمقطع الأوّل. ولا تعارض بين قوليهما في مناسبة المقطع الأوّل، إذ هما من جهتين مختلفتين، يمكن اجتماعهما، وهو ما يؤكّد تمام تناسب أجزاء القرآن الكريم.

2- المقطع الثاني: (البقاعي: الآيات: 6-14) / (ابن عاشور: الآيات: 10-14)

إنّ الاختلاف في تحديد الآيات المشكّلة للمقطع الأوّل والثاني، الناشئ عن الاختلاف في تحديد جملة جواب القسم، تسبّب عنه الاختلاف في استنتاج المناسبة؛ فلمّا كانت الآيات: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ﴾ (6) ... ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (9) (التّازعات: 6-9) عند ابن عاشور من المقطع الأوّل باعتبارها جملة جواب القسم، رأى أنّ المقطع الثاني مناسبٌ للأوّل بيان من هم الذين سيكونون أصحاب تلك الأوصاف المذكورة في الآيات (6-9)، أو أنّ مناسبتة: بيان الدّاعي إلى ذلك القسم. ولمّا كانت الآيات (6-9) عند البقاعي من المقطع الثاني، وكان جواب القسم محذوفاً، رأى أنّ المقطع الثاني ذاكرٌ لأعلام اليوم المُقسّم عليه في المقطع الذي قبله.

ج- المقارنة بين مناسبات المقاطع المتفق في تحديدها عند المفسرين:
وهي المقاطع الأربعة المتبقية.

1- المقطع الثالث: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (15) ... ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ (26)

اختلف المفسران في مناسبة المقطع الثالث، فهي عند ابن عاشور الاستطراد بتهديد

(1) مطلع السّورة قد يكون المقطع الأوّل من السّورة كما قد يقتصر على بعضه، وكذلك الحال مع مقطع السّورة، قد يكون المقطع الأخير منها أو بعضاً منه، ويشهد لذلك عمل المفسرين (البقاعي وابن عاشور) في هذا الموضوع وغيره.

منكري البعث بعد ذكر إنكارهم في المقطع الذي قبله، وأمّا عند البقاعيّ فالمقطع جوابٌ عن سؤالٍ مقدّرٍ قبله بطلب الدليل على البعث. وبالرغم من اتّفاق المفسّرَيْن في أنّ التّهديد غرضٌ للمقطع الثّالث إلا أنّهما اختلفا في مناسبته وصورة وقوعه، وهذا من اختلاف التّنوّع، الذي يمكن فيه الجمع بين الأقوال.

2- المقطع الرَّابع: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا رِيسًا بَنِيهَا﴾ (27) ... ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَكُمْ﴾ (33)

اختلف المفسّران في مناسبة المقطع الرَّابع، فهي عند ابن عاشور الانتقال من التّهديد إلى إبطال الشّبهة، وأمّا عند البقاعيّ فهي إيقاف الشّاكّين على بعض مظاهر القُدرة التي هي عبرة المقطع السّابق؛ فالمقطع عنده من تمام الاستدلال على قُدرة الله تعالى المبتدئ بالمقطع الذي قبله.

وليس يدلُّ هذا الاختلاف على سوى سعة دلالة النّصّ القرآني، فذلك من اختلاف التّنوّع الذي يمكن فيه الجمع بين الأقوال؛ فالتّهديد الذي ذكره ابن عاشور كان بالحثِّ على الاعتبار الذي ذكره البقاعيّ، وإبطال الشّبهة الذي ذكره ابن عاشور كان بالإيقاف على بعض مظاهر القُدرة الذي ذكره البقاعيّ، فابن عاشور ناسب بين غرضي المقطعين والبقاعيّ ناسب بين وسيلتي الغرضين.

3- المقطع الخامس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (34) ... ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (41)

اتّفق المفسّران في أنّ المناسبة بين المقطع الخامس والمقطع الذي قبله تكمن في وجه الارتباط بين البعث والجزاء، فناسب بعد ذكر البعث أن يُعبّره بذكر ما يتسبّب عنه وما هو حكمة منه وهو الجزاء.

وزاد ابن عاشور مناسبةً أخرى وهي تعلق المقطع بالآيتين: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (13)

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (14) حال كونه مفرّعًا عليهما بتفصيل القول.

4- المقطع السّادس (الأخير في السّورة): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيّانَ مُرْسَلُهَا﴾ (42) ... ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ

يُرْوَنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ (46) (التّازعات: 42-46)

اختلف المفسّران في مناسبة المقطع السّادس لما قبله؛ فهي عند ابن عاشور اقتضاء الحال والمقام أن يُستأنف استئنافًا بيانيًا، وأمّا عند البقاعيّ فهي استئنافٌ ذكر استهزائهم

تعجبياً منه؛ فاستهزأوهم الأوّل متضمّن في سؤالهم عن إمكان القيام، وهو المذكور في الآيات: ﴿يَقُولُونَ أَهَنَّا لِمَرَدُّدُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (10) إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً ﴿11﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرِهَ خَاسِرَةٌ ﴿12﴾، واستهزأوهم الثاني متضمّن في سؤالهم عن وقته في هذا المقطع. والفرق بين القولين أنّ ابن عاشور راعى الترتيب المنطقي لجميع المقاطع، فناسب بين المقطع والمقطع الذي قبله مباشرة، وأمّا البقاعي فراعى مجرد اشتراك المقطع مع مقطع سابق له على بُعدٍ منه في الموضوع وهو السؤال استهزاءً. والجمع بين القولين ممكنٌ لاختلاف جهات المناسبة، وخاصةً لما ذكر ابن عاشور أنّ السؤال الذي نشأ عنه هذا الاستئناف إمّا كان بغرض الاستهزاء والاستخفاف، فيكون المقطع مستأنفاً استئنافاً بيانياً، واستئنافاً لحديث سابق في الوقت نفسه.

المطلب الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة التّازعات

اتّفق المفسّران في مناسبات بعض آي السّورة واختلفا في البعض الآخر، وذلك على النحو الآتي.

الفرع الأوّل: مواضع الاتّفاق

اتّفق المفسّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿تَبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (7)

مناسبة الآية واضحة عند المفسّرين، وهي ذكر الواقعة التي تلي المذكورة في الآية التي قبلها، وإنّ زاد ابن عاشور أوجهاً أخرى في تفسير الرّادفة والرّادفة إلّا أنّ المناسبة واحدة. فمن أسباب الاتّفاق بين المفسّرين في المناسبة وضوحها.

2- الآية: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ (11)

كلّ المفسّرين ذكر وجهين لمناسبة الآية للآية التي قبلها، اتّفقا في أحدهما وهو مناسبة التعليل، بأنّ الآية دالّة على العلة الحاملة لهم على ما أخبرت به الآية التي قبلها، وهي إنكارهم البعث، وهذه مناسبة بين الخبر والخبر ممّا أخبر بهما القرآن.

واختلفا في الوجه الآخر: فعند البقاعي هو أيضاً من مناسبة الخبر للخبر، أي مناسبة الآية باعتبارها من كلام الله للآية التي قبلها بالاعتبار نفسه، وبيانه: أنّ الآية تصريحٌ بتكريمهم إنكار

البعث، بعد أن دلّت عليه الآية التي قبلها بالإشارة، فالمناسبة هي التّصريح بعد التّلميح. وأما عند ابن عاشور فهو من مناسبة المقول للمقول، أي بين جملي مقولَي القول، بمعنى المناسبة بين كلامي المكذّبين بالبعث المُخبر عنهم في الآيتين، وهي عنده تأكيدهم في هذه الآية استحالة البعث، بعد إنكاره في الآية التي قبلها. فالمناسبة على الوجه الثاني عند البقاعي: التّصريح بعد التّلميح، وعند ابن عاشور: تأكيد ما سبق، ومرجع الاختلاف بين القولين هو نسبة الكلام؛ بين النّظر في التّناسب بين خبري القرآن، أو التّناسب بين قوليّ المكذّبين المُخبر عنهم في القرآن. واختلاف زوايا النّظر مظنةً لإمكان الجمع بين القولين.

3- الآية: ﴿أَذْهَبِ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (17)

اتّفق المفسّران في مناسبة الجملة الأولى من الآية 17 لما قبلها (الآية: 16) بكونها مبيّنة لها، وكذلك في وجه تناسب جمليّ الآية نفسها، بكون الثانية معلّلة للأولى.

4- الآية: ﴿فَأَرْبَهُ الْكِبْرَى﴾ (20)

اتّفق المفسّران في أنّ الآية مسبّبة عن محذوفٍ قبلها يقتضيه قوله تعالى: ﴿أَذْهَبِ إِلَى فِرْعَوْنَ... فَقُلْ...﴾ (التّازعات: 17-19)، ثمّ اختلفا في تقدير ذلك المحذوف، فهو عند البقاعي: طلب فرعون الدليل على صحّة الرّسالة، بعد أن جاءه موسى عليه السّلام ودعاه، وأما عند ابن عاشور فهو: تكذيب فرعون لموسى عليه السّلام بعد أن جاءه ودعاه. والترّجيح بين القولين في تقدير السّبب المحذوف متوقّفٌ على تحقيق موقف فرعون من دعوة موسى عليه السّلام، هل طالب بالدليل أوّلاً ثمّ كذّب به؟ كما هو الظاهر من كلام البقاعي، أم أنّه كذّب بالدعوة أوّلاً، ثمّ طالب بالدليل ثانيًا، ليكذّب بهما جميعًا في آخر الأمر؟ كما هو الظاهر من كلام ابن عاشور.

والذي يظهر من نصوص القرآن الكريم، المُفصّلة لقصة موسى -عليه السّلام- مع فرعون أنّ موسى عليه السّلام هو من عرض على فرعون أمر أنّ يُريه آية صدقه قبل أن يأذن له فرعون بذلك، وذلك بعدما كذّبه فرعون فيما ادّعاه، ثمّ كذّب بالآية بعد أن عرضها عليه، وهو الموافق لقول ابن عاشور، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (23) قَالَ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَيْكُمْ أَرْسِلْ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونًا ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ يَأْخُذَ إِلَهِهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشْتَعِي مُبِينًا ﴿٣٠﴾
قَالَ فَاتِ بِهِمْ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظِيرِ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿الشُّعْرَاءُ: (23-35)﴾.

وقال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشْتَعِي مُبِينًا﴾ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِ بِهِمْ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴿الشُّعْرَاءُ: (30-32)﴾: "فتلك هي الآية
الكبرى المرادة هنا"⁽¹⁾.

5- الآية: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ ﴿٢١﴾

الآية عند المفسرين تعقيبٌ للتي قبلها ببيان موقف فرعون من آية موسى عليه السّلام،
صرّح بذلك البقاعي وآثر ابن عاشور - بسبب وضوح المناسبة - الحديث عن الجانب البلاغيّ،
وهو مناسبة التعقيب بالفاء، فذكر أنّها تأكيدٌ شدةً عناد فرعون ومكابرتة، حتّى أنّه بادر إلى
التكذيب والعصيان مباشرةً بعد عرض الآية دون أن ينظر في دلالتها.

6- الآية: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾ ﴿٢٢﴾

اتّفق المفسران في أنّ الآية واردةٌ في ذكر تمادي فرعون على ما ذكر في الآية التي قبلها
وزيادته في الطغيان.

7- الآية: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ﴿٢٣﴾

اتّفق المفسران في أنّ الآية واردةٌ في بيان ما ترتّب عن السّعي المذكور في الآية التي قبلها.

8- الآية: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾

اتّفق المفسران في وجه ارتباط الآية بالتي قبلها مباشرةً، وزاد ابن عاشور وجهاً آخر
لارتباطها بما قبلها وهو عطفها على جملة ﴿يَسْعَى﴾ (من الآية 22) المفيد لمعنى آخر مستقلّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (78/30).

عن المقام المذكور في الآية التي قبلها مباشرة.

9- الآية: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (27)

الآية عند المفسرين بداية مقطع في الرّد على منكري البعث، ولم يبين المفسران مناسبة ابتدائه بما تضمنته الآية خاصة ولا مناسبتها للآية التي قبلها.

وكشف كلاهما عن مناسبة الجملة الثانية منها، وهي ﴿بَنَاهَا﴾، للجملة التي قبلها من الآية نفسها، واتّفقا في أنّها بيان كيفية خلق السّماء، وزاد ابن عاشور احتمالاً آخر وهو أن تكون بدل اشتمال من مقدّر بنحو: "أم السّماء أشدّ خلقاً"، فهي في لفت النّظر إلى بعض ما اشتمل عليه خلق السّماء وهو بناؤها.

10- الآية: ﴿رَفَعَ سَعَتَكُمَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾ (28)

اتّفق المفسران في أنّ مناسبة الآية بيان كيفية البناء المذكور في الآية التي قبلها.

11- الآية: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾ (31)

اتّفق المفسران في أنّ المناسبة بين الآية والآية التي قبلها تعقيب الشّيء ببيان ما هو مرتبط بتحقّق المقصود منه، واختلفا بعد ذلك في وجه ذلك الارتباط؛ فهو عند البقاعي ما يستلزم تحقّقه، وأمّا عند ابن عاشور فهو بعض ما يكمله.

12- الآية: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ (32)

اتّفق المفسران في وجه من مناسبة الآية للآية التي قبلها، وهو أنّها من تمام ذكر ما به تيسير وتمام الانتفاع من الأرض. وجوّز ابن عاشور وجهاً آخر بأن تكون الآية في الاستدلال بالجبال مستقلاً عن الاستدلال بالأرض.

13- الآية: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ (35)

اتّفق المفسران في أنّ مناسبة الآية بيان ما يكون في يوم البعث المذكور في الآية التي قبلها.

14- الآية: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (39)

اتّفق المفسران في أنّ الآية مرتبطة بالآيتين قبلها، ووجه الارتباط: بيّنها ما يُستحق من الجزاء على الأعمال المذكورة فيهما.

15- الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ (40)

الآية مؤلّفة من جملتين، وقد كشف المفسّران عن وجه ارتباطها بما قبلها، وانفرد البقاعي بالحديث عن التّناسب بين جملتيها، في حين انفرد ابن عاشور بالحديث عن عِلّة التّرتيب بينها وبين ما قبلها، ولكن ذكره في أثناء تفسيره سورة (عبس).

فأمّا ارتباط الآية بما قبلها، فقد ذكر كل واحدٍ منهما له وجهين، واتفقا فيهما؛ فاتفقا في كونها تعقيباً للقسم الأوّل من النّاس (المذكور في الآيتين: 37-38، وهم الطّاعون) بالقسم الثّاني، وزيادة عند البقاعيّ تُلتَمَس من خلال ذكره للقسمين باسمهما وهي الإشارة إلى مناسبة المضادّة، واتفقا بأنّها بجملتيها مقابلةٌ للآيتين (37-38)، والمقابلة عند البقاعيّ واردةٌ بأسلوب الاحتباك.

16- الآية: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ﴾ (41)

اتفق المفسّران في أنّ الآية واردةٌ في بيان ما يُستحقُّ من الجزاء على الأعمال المذكورة في الآية التي قبلها.

17- الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهُمَا ۗ﴾ (42)

الآية بداية مقطع مستأنفٍ عند المفسّرَيْن، وكلاهما لم يكشف عن مناسبتها للآية التي قبلها أو مناسبة ابتداء المقطع بها، واتفقا في أنّ الجملة الثّانية منها وهي قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَهُمَا ۗ﴾ مبيّنة لمضمون السّؤال المذكور في الجملة التي قبلها من الآية نفسها.

الفرع الثّاني: مواضع الاختلاف

اختلف المفسّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآيات: ﴿وَالنّزِيعَتِ غَرَقًا ۗ﴾ (1) ﴿وَالنّشِيطِ دَشَطًا ۗ﴾ (2) ﴿وَالسّٰبِحَتِ سَبْحًا ۗ﴾ (3) ﴿فَالسّٰبِقَتِ سَبْقًا ۗ﴾ (4)

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۗ﴾ (5)

ذكر المفسّران أقوالاً في تفسير المراد بالصّفات المذكورة في الآيات الخمس الأولى، فاختر البقاعيّ القول بأنّها راجعةٌ إلى الملائكة، ثمّ بيّن المناسبة بين تلك الصّفات الرّاجعة إلى الملائكة، وأمّا ابن عاشور فبعد أن فصلّ الحديث في جميع الأقوال التي ذكرها، لم يذكر المناسبة بينها إلّا باعتبار الوجه الذي تأوّل فيه تلك الصّفات بأصناف المقاتلين في الحرب، وأنّه قدّم

الرّومة لتقدّمهم في المعركة.

وأما مناسبة الابتداء بالآية الأولى؛ فبيّن ابن عاشور مناسبة افتتاح السّورة بها، بتأويل التّازعات بالملائكة التي تقبض الأرواح، فذكر أنّها براعة استهلال، في حين بيّن البقاعي مناسبة افتتاح المقطع الأوّل من السّورة بها، فاختلف القولان باختلاف متعلّق الابتداء، والجمع بين القولين في هذه الحالة ممكن.

وبذلك يتبيّن أنّ من أسباب الاختلاف في المناسبة الاختلاف في تفسير الآيات، كما أنّ من أسباب الاختلاف في مناسبة الابتداء بالآية الأولى من السّورة الاختلاف في متعلّق الابتداء، بين بداية السّورة أم بداية المقطع الأوّل منها.

2- الآية: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (6)

اختلف المفسّران في مناسبة الآية بناءً على الاختلاف في تعيين جملة جواب القسم؛ إذ يرى البقاعي أنّ جواب القسم محذوفٌ وجملة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ظرفه؛ فأعقب القسم على البعث بذكر ظرفه بما يكون فيه من الأهوال، وأمّا ابن عاشور فيعتبر جملة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ...﴾ جملةً جواب القسم بالمقصود، وإن كان صريحاً عبارتها موعظةً، والظرف فيها متعلّقٌ بـ: ﴿وَاجِفَةٌ﴾ (من الآية 8)، وتقديم الظرف على متعلّقه لأهمّيّته والاعتناء به، إذ هو الأهمُّ في جواب القسم لأنّه المقصود إثبات وقوعه.

فالاختلاف في تعيين جملة جواب القسم من أسباب الاختلاف في المناسبة، وكلا القولين محتمل.

3- الآية: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (8)

عدّ البقاعي الآية من تمام ذكر أهوال يوم القيامة؛ فبعدما ذكر البعث ذكر حال المكذّاب به، وأمّا ابن عاشور فيرى أنّها واقعةٌ موقع جواب القسم وبيّن علّة تقديم ظرفها عليها، وقد سبق الحديث عن أثر الاختلاف في تحديد جملة جواب القسم في المناسبة.

4- الآية: ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (9)

يرى البقاعي أنّ الآية مفصّحةٌ عن سبب الوجيف المذكور في الآية التي قبلها، وأمّا ابن عاشور فيرى أنّ فيها مزيد بيانٍ للمراد من الوجيف.

والأقرب في نظري هو ما ذهب إليه البقاعي؛ لاختلاف متعلّق الوصفين، فالوجف للقلوب والخشوع للأبصار، فلا يكون أحدهما مبيّنًا لآخر، إلا مبيّنًا لسببه كما ذكر البقاعي.

5- الآية: ﴿يَقُولُونَ أَمْ نَأْمُرُكُمْ بِالْحَافِرَةِ﴾ (10)

يرى البقاعي أنّ الآية تعليلٌ للحالين المذكورين في الآيتين قبلها، وأمّا ابن عاشور فيرى أنّها مستأنفة؛ إمّا استئنافًا ابتدائيًا، والمناسبة حينئذٍ إفادة معرفة الذين سيكونون على تلك الحال، وإمّا استئنافًا بيانيًا لبيان الدّاعي للقسم وما بعده من الوعيد، وهو قولهم في إنكار البعث. والوجه الأوّل للاستئناف قريبٌ ممّا قال به البقاعي.

واجتماع الأقوال الثلاثة ممكنٌ؛ فلمّا أقسم وتوعّد بين الدّاعي إلى ذلك القسم والوعيد بأنّه إنكارهم البعث، ولمّا ذكر أحوال صنفٍ من النّاس في ذلك اليوم المتوعّد به، بين أنّهم أصحاب ذلك القول، وأنّ حالهم تلك إنّما هي بسبب قولهم ذلك.

6- الآية: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذْ كَرِهَ خَاسِرَةٌ﴾ (12)

يرى البقاعي أنّ الآية مرتبطةٌ بمحذوفٍ ناشئٍ عن الآية التي قبلها، في حين يرى ابن عاشور أنّها مرتبطةٌ بقوله: ﴿يَقُولُونَ أَمْ نَأْمُرُكُمْ بِالْحَافِرَةِ﴾ (10) ارتباطاً بالبدل بالمبدل منه. فنظر ابن عاشور إلى تكرار الفعل الدّال على القول فقال بالبدل، فناسب بين جمل القول أو خبري الآيتين، وأمّا البقاعي فنظر فيما يعود إليه اسم الإشارة (تلك) وهو الجملة المقدّرة متعلّقةً للظرف (إذا)، فناسب بين جملتي مقول القول، ولمّا اختلفت زوايا النّظر أمكن اجتماع المناسبتين.

7- الآية: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (13)

اتفق المفسّران في أنّ هناك حذفًا قبل الآية، واختلفا في المحذوف؛ فقدّره البقاعي جوابًا مباشرًا لهم عن سؤالهم؛ فناسب أن يُعقّب ذلك الجواب بالتهديد.

وأما ابن عاشور فلا يرى الأمر متعلّقًا بالجواب عن السؤال، وإنما متعلّقٌ باستئصال أصل الدّاء؛ فلمّا كان تساؤلهم من الأعراض الدّالة على مرضٍ في قلوبهم وهو إحالة البعث والتّعجب منه، لكون الاستفهام إنكارياً تعجبياً، فإنّ المحذوف الذي تدلُّ عليه الفاء الفصيحة يكون في علاج الدّاء لا في إزالة الأعراض، فالتهديد هو إبطال أصل التّساؤل بنفي التّعجب المثير له، فناسب أن يُعقّب ذلك النّفي بالإثبات والتّأكيد، ببيان سهولة الأمر المتعجّب منه بما دلّت

عليه الآية.

والجمع بين قوليّ المفسّرَيْن ممكنٌ، وهو حسنٌ جدًّا؛ إذ لا مانع من معالجة الأعراض أوّلاً كعلاج الحمى بما يذهبها، ثمّ معالجة سببها وهو العضو المشتكي ثانياً. فمن أسباب الاختلاف في المناسبة الاختلاف في تقدير المحذوف، ومن أسباب الاختلاف في تقدير المحذوف الاختلاف في تقدير الأنسب أن يُعقّب به في مقامٍ معيّن، كالاختلاف في تعقيب السُّؤال بالجواب المباشر عنه أو بإبطال أصل السُّؤال.

8- الآية: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (14)

يرى ابن عاشور أنّ الآية مفرّعة على الآية التي قبلها لإفادة سرعة الحصول، وأمّا البقاعي فيرى أنّها من باب تعقيب الشّيء بما يتسبّب عنه. ومنشأ اختلافهما الاختلاف في مناسبة الآية التي قبلها، فيتحرّك السّياق في مناسبة الآية اللاحقة، ولمّا أمكن الجمع بين مناسبتيّ الآية التي قبلها، أمكن الجمع بين مناسبتيّ هذه الآية بالتّبع.

9- الآية: ﴿هَلْ أَيْنُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (15)

الآية بداية مقطع عند المفسّرَيْن، وكلاهما بيّن مناسبة ابتداء المقطع بهذه الآية التي جاءت على صورة سؤال، فأما البقاعي فيرى أنّ المناسبة التّنبية والحث على التّدبّر والاعتبار، وأمّا ابن عاشور فيرى أنّها تشويق السّامع لتلقّي الخبر؛ فكلاهما أرجع المناسبة إلى الغرض من الاستفهام وفائدته، واختلفا فيها تبعاً لتنوّع أغراض الاستفهام وفوائده. وإمكان اجتماع القولين ظاهرٌ.

10- الآية: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى﴾ (16)

لم يكشف البقاعي عن مناسبة الآية، وقد سبق بيان قول ابن عاشور فيها.

11- الآية: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْبُّنِي﴾ (18)

لم يكشف ابن عاشور عن مناسبة الآية، خلافاً للبقاعي.

12- الآية: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشِينِ﴾ (19)

فسّر البقاعي التّركية بالإيمان والهداية بالعمل؛ فأرجع المناسبة إلى علاقة الإيمان بالعمل. وأمّا ابن عاشور ففسّر ﴿تَرْبُّنِي﴾ و﴿أَهْدِيكَ﴾ بالاستعداد للتّركية والإرشاد إليها، وأنّ الإرشاد يأتي بعد إظهار الرّغبة والاستعداد، استناداً إلى العامل اللّغوي بالنّظر إلى صيغة الفعلين

وإسنادهما.

والذي أَرَجَّحَهُ قولٌ آخر، غيرُ قوليهما، وهو ما ذكره إسماعيل حقي من تعقيب التَّخْلِيَةِ بالتَّحْلِيَةِ، حيث قال: "﴿فَقُلْ﴾ بعدما أتيتهُ ﴿هَلْ لَكَ﴾ رغبةً وتوجُّهٌ ﴿إِلَىٰ أَنْ تَرْجَىٰ﴾ ... أي تتطهَّر من دنس الكفر والطُّغيان ووسخ الكُذُورَات⁽¹⁾ البشريَّة والقاذورات الطَّبِيعِيَّة ... ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشدك إلى معرفته فتعرفه ... وتقديمُ التَّزْكِيَةِ لتتقدَّم التَّخْلِيَةِ على التَّحْلِيَةِ ﴿فَنُخَبِّئُ﴾ إذ الخشية لا تكون إلَّا بعد معرفته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: من الآية 28)"⁽²⁾.

13- الآية: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾⁽²⁵⁾

يرى البقاعي أنَّ الآية في بيان ما تسبَّب من الجزاء على قول فرعون الشَّيْعِ المذكور في الآية الَّتِي قبلها، في حين يرى ابن عاشور أنَّها في بيان ما تسبَّب من الجزاء على مجموع ما ذُكِر من تكذيبه وعصيانه وكيدِه في الآيات الَّتِي قبلها، من قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾⁽²¹⁾ إلى قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾⁽²⁴⁾. وكلا القولين محتمل.

14- الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْتَبِرُ﴾⁽²⁶⁾

مناسبة الآية عند البقاعي ختمُ قصَّة موسى عليه السَّلَام مع فرعون بالإرشاد إلى الاعتبار منها، في حين اكتفى ابن عاشور بذكر أنَّ الآية فذلِكَ وحوصلَةُ لآياتِ القِصَّة، دون أن يبيِّن مدلولها، ويبدو أنَّه استغنى عن ذلك بتفسير مفردات الآية، فالذلِكَ الَّتِي ذكرها ابن عاشور وردت بما قال به البقاعي.

15- الآية: ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا﴾⁽²⁹⁾

بيَّن البقاعي مناسبة الآية لما قبلها معنويًّا، فيما اكتفى ابن عاشور ببيان ارتباطها بما قبلها نحويًّا، وهو ما يمكن من خلاله استنتاج المناسبة عنده. واجتماع الرأيين جائز؛ فدَلَّ على القُدرة على البعث بالإتقان بعد شدَّة البناء، وبما يُتصوَّر به البعث بعد دليل القُدرة عليه. ولمَّا كانت الآية مؤلَّفَةً من جملتين معطوفتين، كشف البقاعي عن وجه ارتباطهما وعِلَّة

(1) الكدُر: نقيض الصَّفَاء (ابن منظور، لسان العرب، 134/5).

(2) إسماعيل حقي البروسوي، روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د ط ت)، (320/10).

ترتيبهما، في حين أنّ ابن عاشور لم يكشف عن ذلك.
فالملاحظ في عمل المفسّرين أنّه أحياناً يفصّل أحدهما القول في موضعٍ ويُوجز الآخر،
فِيكَمَلان بعضهما.

16- الآية: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (30)

كشف كلا المفسّرين عن عِلَّة التّرتيب بين آية السّماء وآية الأرض، وانفرد البقاعيّ
بالحديث عن وجه الارتباط بينهما.

فأمّا عِلَّة التّرتيب فاختلفا فيها؛ فهي عند البقاعيّ تقديم الأدلِّ والأشرف، وعند ابن
عاشور تقديم الأبعد عن الحسِّ ثمّ تعقيبه بالأقرب، أو تقديم الأسبق وجوداً، أو تقديم الأعظم
رتبةً في الاستدلال، وجميعها أوجهٌ جائزة.

17- الآية: ﴿مِنَّا لَكُمْ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (33)

يرجع الاختلاف بين المفسّرين في مناسبة الآية إلى أنّ البقاعيّ اعتبرها مناسبةً لكلامٍ مقدّرٍ
قبلها، في حين أنّ ابن عاشور اعتبرها من تمام الخطاب الذي قبلها، بتعقيب مخاطبة العقل
بمخاطبة الوجدان؛ لتتحرك الجوارح لشكر المنعم وتُفردّه بالعبادة⁽¹⁾.
والقول المحتَمَل الذي يُظهر الاتّصال المباشر بين الآيتين أولى من القول الذي يُثبت
الاتّصال بكلامٍ مقدّرٍ، أو ما يمكن التّعبير عنه بالمناسبة لمحذوف⁽²⁾.

18- الآية: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (34)

الآية بداية مقطعٍ عند المفسّرين. لم يبيّن البقاعيّ مناسبتها للآية التي قبلها ولا مناسبة
ابتداء المقطع بها، في حين بيّن ابن عاشور مناسبتها للآيات التي قبلها.

19- الآية: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ (36)

كشف البقاعيّ عن مناسبة الآية للآية التي قبلها، في حين لم يفعل ذلك ابن عاشور،
حيث اكتفى بتفسيرها وبيان الغرض منها.

(1) ومن بابٍ أولى تصديقُ إخباره عن البعث.

(2) ذكر الزّركشي: "أنّ الحذف خلاف الأصل، فإذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأنّ الأصل عدم
التّغيير" (الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 686، بتصرفٍ يسيرٍ جدًّا).

20- الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (37)

اختلف المفسّران في مناسبة الآية لما قبلها؛ فاعتبر البقاعيّ الآية مناسبةً لجملة جواب الشرط المحذوفة من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (34)، في حين اعتبرها ابن عاشور نفسها مع ما بعدها ممّا يلحق بها جملة جواب الشرط. وكلا القولين جائز، وإن جاز ترجيح رأي ابن عاشور؛ لإظهاره الاتّصال دون الحاجة إلى تقدير محذوف.

21- الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ الدُّنْيَا﴾ (38)

بيّن ابن عاشور وجه ارتباط الآية بالآية التي قبلها بأنّه ارتباط السبب والمسبّب، كما بيّن علّة ترتيبهما، بأنّها تقديم السبب على المسبّب مراعاةً للترتّب الطّبيعيّ، في حين اعتبر البقاعيّ الآية -على ما يبدو من ظاهر كلامه- تصریحًا بمعنى الطّغيان المذكور في الآية التي قبلها. هذا، وإنّ تفسير البقاعيّ للطّغيان بمجاوزة الحدّ، وهو حدود الله تعالى، يُورد احتمالاً آخر معاكسٍ لقول ابن عاشور، وهو أن يكون إيثار الدّنيا سبباً للطّغيان أو أنّه من مظاهره، لا أنّه مسبّبٌ عن الطّغيان كما هو قول ابن عاشور، فتكون المناسبة عندئذٍ أنّه لمّا ذكر الطّغيان أعقبه بذكر سببه أو بعض مظاهره؛ فالقول في المناسبة هنا متوقّفٌ على تفسير كلمة ﴿طَغَى﴾ (من الآية 37)، والذي يظهر لي أنّ جميع الأوجه المذكورة محتملةٌ جائزة.

22- الآية: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ (43)

مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعيّ الإنكار على المسؤؤل بعد الإنكار على السّائل، وأمّا ابن عاشور فيرى أنّ الآية وقعت موقع الجواب عن سؤالهم بما يعرف بالأسلوب الحكيم، كما ذكر مناسبةً أخرى مستفادّةً من صيغة الاستفهام التي وردت بها الآية وهي: التّعجب من سؤالهم والتّوبيخ لهم والإنكار عليهم.

واجتماع جميع هذه الوجوه ممكنٌ؛ فتكون الآية جواباً لهم بالأسلوب الحكيم، وتضمّن الجواب تعجباً من سؤالهم وإنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم، وفي الوقت نفسه جواباً له عليه الصّلاة والسّلام عن تطلّعه لجوابهم، ولعلّ ذلك من أوجه إعجاز القرآن الكريم وهو: بلاغة الإيجاز.

23- الآية: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ (44)

مناسبة الآية عند البقاعيّ أنّه - سبحانه وتعالى - بعدما أنكر السّؤال عن السّاعة في الآية

التي قبلها، عرّفها في هذه الآية بأنّها ممّا يختصُّ بعلمه، وأمّا عند ابن عاشور فهي تعليل الإنكار الذي اقتضته الآية التي قبلها.

والجمع بين المناسبتين ممكن؛ إذ تعريف السّاعة بأنّها ممّا يختصُّ سبحانه وتعالى بعلمه تعليلٌ لإنكاره عليهم السّؤال عنها.

24- الآية: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ٤٥ ﴾

الآية في نظر ابن عاشور استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عن جملة الآيتين قبلها ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ٤٣ ﴾ إِلَى رَبِّكَ مِنْهُنَّهَا ٤٤ ﴾، فهي مرتبطةٌ بسؤالٍ مقدّرٍ قبلها جواباً عنه، في حين يرى البقاعي أنّها مرتبطةٌ بالآية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٤٢ ﴾ قلباً للأمر على هؤلاء المتسائلين المذكورين فيها.

ولا تعارض بين القولين؛ إذ يمكن الجمع بينهما بأنّ الآية جمعت بين الجواب عن سؤالهم المذكور في الآية 42 بالقلب الذي ذكره البقاعي، والجواب عن سؤالهم المقدّر قبل الآية الذي ذكره ابن عاشور، ولعلّ ذلك من بلاغة الإيجاز التي هي أحد وجوه الإعجاز.

25- الآية: ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرُونَهَا لِبُرُونِهَا إِلَى الْعِشِيِّةِ أَوْصَحَهَا ٤٦ ﴾

الآية عند ابن عاشور مرتبطةٌ بالآية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٤٢ ﴾ جواباً ثانياً عن السّؤال المذكور فيها، في حين أنّها عند البقاعي مرتبطةٌ بالآية التي قبلها مباشرةً، باشتراك قيام السّاعة المذكور في هذه الآية والإنذار المذكور في الآية التي قبلها في السّريعة.

والذي يبدو لي أنّه الأقرب للصّواب هو رأي ابن عاشور؛ باعتبار أنّ جميع الآيات التي جاءت عقب الآية ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٤٢ ﴾ واقعةٌ موقعَ الجواب عن السّؤال المذكور فيها، والذي ذكره البقاعي من الاشتراك في السّريعة بعيد.

وانفرد البقاعي ببيان مناسبة الآية باعتبارها محتتم السّورة لمفتتحها، وقد سبق بيانها في موضعها.

وختامًا، يمكن تلخيص نتائج هذا الفصل فيما يلي:

- لم يكشف ابن عاشور عن مناسبة سورة النَّازعات للسُّورة التي قبلها؛ فلم يُظهر موافقةً ولا مخالفةً للبقاعِي في هذا النوع من أنواع مناسبات السُّورة.
 - من أصل ستّة مقاطع يرى المفسّران أنّ السُّورة تتألّف منها، وافق ابن عاشور البقاعِي في تحديد الآيات المشكّلة للمقاطع في أربعةٍ منها، وخالفه في مقطعين اثنين.
- وأما مناسبات تلك المقاطع، فوافق ابن عاشور البقاعِي في مناسبة مقطع واحدٍ فقط، وهو المقطع الخامس في السُّورة، وخالفه في مناسبات المقاطع الخمسة المتبقيّة. ولم أرّجح قول أيّ واحدٍ منهما على الآخر فيما اختلفا فيه؛ إذ يجوز في مناسبة كلّ مقطعٍ ما قال به المفسّران، والجمع بين قوليهما ممكّنٌ في أربعةٍ منها، وأما الخامس المتبقي فلا وجه للمقارنة بين قوليهما لاختلافهما في الآيات المشكّلة له.

وأما أسباب اختلافهما في مناسبات تلك المقاطع، فيمكن تلخيصها في النِّقاط الآتية:

- اختلاف جهة التعلُّق (جهة المناسبة)، ومن صور ذلك:
 - أن يربط أحدهما المقطع الأوّل في السُّورة ببعض أجزاء السُّورة السّابقة لها، في حين يربطه الآخر بأجزاء السُّورة التي هو أوّلها. وحينئذٍ يمكن الجمع بين قوليهما.
 - أن يربط أحدهما المقطع بالمقطع الذي قبله، في حين يربطه الآخر بمحذوفٍ مقدّرٍ قبله، أو بمقطعٍ آخر قبله على بعدٍ منه.
- اختلاف زاوية نظر المفسّرَيْن بعد اتّفاقهما في تحديد جهة التعلُّق، ومن صور ذلك:
 - أن يناسب أحدهما بين غرضي المقطعين، ويناسب الآخر بين وسيلتي ذينك الغرضين.
 - في علّة الترتيب، الاختلاف بين النّظر إلى شرف الأشياء كعلّة، أو النّظر إلى مدى قربها من حسّ الإنسان، أو النّظر إلى قوة الدّلالة على المقصود، أو النّظر إلى الأسبقية في الوجود... إلخ
- الاختلاف في تحديد الآيات التي يتألّف منها المقطع زيادةً ونقصانًا، وله أسبابه، ومنها:
 - الاختلاف في تحديد جملة جواب القسّم، وعندئذٍ لا وجه للمقارنة بين المناسبتين لاختلاف آيات المقطعين.

ويمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات مقاطع سورة النَّازعات بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة التّازعات	مجموع المقاطع
عدد مقاطع السّورة في نظر البقاعي	6
عدد مقاطع السّورة في نظر ابن عاشور	6
مواضع الاتّفاق في تحديد المقاطع	4
مواضع الاختلاف في تحديد المقاطع	2
مواضع الاتّفاق في المناسبة	1
مواضع الاختلاف في المناسبة	5
ترجيحي لقول البقاعي في المناسبة	0
ترجيحي لقول ابن عاشور في المناسبة	0
جواز القولين في المناسبة	4
إمكان الجمع بين القولين في المناسبة	4
لا وجه للمقارنة لاختلاف آيات المقطعين	1

• في مناسبات آيات السّورة: وافق ابن عاشور البقاعي في مناسبات خمس عشرة آيةً، وخالفه في مناسبات إحدى وعشرين آيةً، وآيتان كلاهما لم يذكر لهما مناسبتيهما، وآيتان انفرد البقاعي بعدم الكشف عن مناسبتيهما، وستُّ آياتٍ انفرد ابن عاشور بعدم الكشف عن مناسباتها، فتلك ستُّ وأربعون آيةً في سورة التّازعات.

فالملاحظ أنّ مخالفة ابن عاشور للبقاعي في مناسبات آيات سورة التّازعات أكثر من موافقته له. وأمّا ما رجّحته من القولين في كلّ آيةٍ من الآيات المختلف في مناسباتها، فما قال به ابن عاشور في ثلاث آياتٍ، وما قال به البقاعي في آيةٍ واحدةٍ، وفي آيةٍ واحدةٍ رجّحت قولاً لغيرهما، وأمّا بقيّة الآيات المختلف فيها، وعددها ستُّ عشرة آيةً، فيجوز في كلّ آيةٍ منها ما قال به المفسّران، والجمع بين قوليهما ممكنٌ في إحدى عشرة آيةً منها.

ويمكن تلخيص أسباب اختلاف المفسّرين في مناسبات آياتٍ من سورة التّازعات في

التّقاط الآتية:

- وفرة معاني آي القرآن الكريم، فيذكر كلّ واحدٍ من المفسّرين ما وقف عليه باجتهاده.
- اختلافهما في تفسير الآية أو الآيتين موضوع طلب المناسبة بينهما.
- اختلافهما في مناسبة الآية السّابقة، فيتحرّك السّياق في مناسبة الآية اللاحقة.

- اختلافهما في تعيين جملة جواب القسّم الوارد قبل الآية.
- تنوّع أغراض الأسلوب الوارد في الآية وكثرة فوائده.
- اختلافهما في تقدير المحذوف الذي ترتبط به الآية.
- الاختلاف في جهة مناسبة الآية: ومن صور ذلك:
 - الاختلاف في متعلّق الابتداء بالآية الأولى، بين بداية السُّورة أم بداية المقطع الأوّل منها.
 - الاختلاف في كون الآية متعلّقة بالآية التي قبلها أو كونها مستأنفةً.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبتها للآية التي قبلها مباشرة، ويكشف الآخر عن مناسبتها لآية قبلها على بُعدٍ منها، أو لمجموع آياتٍ قبلها، أو عن مناسبتها لمحذوفٍ قبلها.
- اختلاف زاوية النّظر بعد اتّحاد جهة النّظر؛ كأن ينظر أحدهما إلى التّناسب بين قوليّ من أخبر عنهم القرآن، وينظر الآخر إلى التّناسب بين جمليّ المُخبر وهو القرآن.
- كما يمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات آيات سورة التّازعات بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة التّازعات	مجموع الآيات
آيات السُّورة	46
اتّفقا في المناسبة	15
البقاعيّ لم يبيّن المناسبة	2
ابن عاشور لم يبيّن المناسبة	6
كلاهما لم يبيّن المناسبة	2
اختلفا في المناسبة	21
جواز رأييهما	16
إمكان الجمع بين رأييهما	11
ترجيحي لرأي البقاعيّ	1
ترجيحي لرأي ابن عاشور	3
ترجيحي لرأيٍ آخر لغيرهما	1

* * *

الفصل الثالث: مناسبات سورة عبس

بين البقاعيّ وابن عاشور

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: مناسبات سورة عبس عند البقاعيّ

المبحث الثّاني: مناسبات سورة عبس عند ابن عاشور

المبحث الثّالث: المقارنة بين مناسبات سورة عبس عند البقاعيّ

وابن عاشور

* * *

توطئة:

سورة عبس أولى سُور أواسط المُفصَّل، مَكِّيَّةٌ إجماعًا، وعدد آيها أربعون في الشَّاميِّ، وإحدى وأربعون عند أبي جعفر وأهل البصرة، واثنان وأربعون عند الباقيين.⁽¹⁾

ويتناول هذا الفصل بيان مدى عناية البقاعيِّ وابن عاشور بالكشف عن مناسبات هذه السُّورة، ثمَّ المقارنة بين ما توصَّلا إليه في مناسباتها؛ قصد الوصول إلى جزءٍ من الإجابة عن إشكاليَّة هذه الدِّراسة، باعتبار هذه السُّورة جزءًا من عيِّنتها؛ فجاء الفصل في ثلاثة مباحث، وهي كالآتي:

المبحث الأوَّل: مناسبات سورة عبس عند البقاعيِّ

يأتي هذا المبحث لبيان مناسبة سورة عبس للسُّورة التي قبلها، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها، وذلك من خلال اجتهادات البقاعيِّ.

المطلب الأوَّل: مناسبة سورة عبس لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعيِّ

سورة عبس هي السُّورة رقم: 80 في ترتيب المصحف، والسُّورة التي قبلها هي سورة النَّازعات، فكيف يرى البقاعيُّ التَّناسب بين السُّورتين؟ وما هي مقاطع سورة عبس في نظره؟ وما أوجه المناسبات بينها؟ ذلك ما سيتمُّ بحثه في الفرعين الآتيين.

الفرع الأوَّل: المناسبة بين سورة عبس وسورة النَّازعات عند البقاعيِّ

يرى البقاعيُّ أنَّ التَّناسب بين سورة عبس وسورة النَّازعات حاصلٌ من جهتين، وذلك على النحو الآتي:

الجهة الأولى: تناسب مقصود عبس ومقطع النَّازعات

كشف البقاعيُّ عن مقصود سورة عبس فقال: "مقصودها شرح ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ (النَّازعات: 45)، بأنَّ المراد الأعظم تركية القابل للخشية بالتَّخويف بالقيامة التي قام الدَّلِيل على القُدرة عليها"⁽²⁾. فوجه الارتباط بين السُّورتين هو أنَّ مقصود عبس شرح آخر

(1) ينظر: البقاعيُّ، مصاعد النَّظر، (156/3)، ابن عاشور، التَّحرير والتَّوير، (101/30).

(2) البقاعيُّ، نظم الدرر، (249/21).

النَّازِعَاتِ، وذلك يناسب ترتيبهما كما هو ظاهرٌ.

الجهة الثانية: تناسب مطلع عبس ومقطع النَّازِعَاتِ

ذكر البقاعيُّ المناسبة بين مقطع النَّازِعَاتِ ومطلع عبس في آخر تفسير سورة النَّازِعَاتِ، حيث قال: "فقد رجع آخرها (النَّازِعَاتِ) بالقيامة على أولها ... واتَّصَلت بأول ما بعدها من جهة الخشية والتَّنْذِيرِ فيا طيب متَّصلها، فسبحان من جعله متعانق المقاطع والمطالع، وأنزله رياضاً محكمة المذاهب والمراجع"⁽¹⁾، ولم يبيِّن وجه الاتِّصال، لبيَّنه في أثناء تفسير سورة (عبس)، بأنَّه -سبحانه وتعالى- لَمَّا قصر نبيِّه على إنذار من يخشى في مقطع النَّازِعَاتِ، لاطفه في مطلع عبس بالعتاب على التَّشاغل عن أهل ذلك بالتَّصدِّي لمن شأنه أن لا يخشى⁽²⁾. فالمناسبة أن مطلع عبس عتابٌ على خطأ في أداء ما أمر به في مقطع النَّازِعَاتِ؛ فتلاحم المقطع والمطلع، وترتَّب هذا بعد ذلك.

الفرع الثاني: مناسبات مقاطع سورة عبس عند البقاعيِّ

الذي يبدو من كلام البقاعيِّ أنَّه يرى السُّورة مؤلَّفةً من سِتَّة مقاطع، ولا يتَّضح عنده تحديد المقطعين الأوَّلين أتمَّ الوضوح، عكس المقاطع الأخرى، فما سأذكره هو ما ترجَّح عندي أنَّه رأيه، وبناءً عليه تكون مناسبات مقاطع السُّورة عنده كالآتي:

1- مناسبة المقطع الأوَّل:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْرِي ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ④ أَمَا مِنْ إِسْتَعْجَى ⑤
فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْبَى ⑦ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑧ وَهُوَ يَخْشَى ⑨ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ⑩ ﴾
(عبس: 1-10)

يرى البقاعيُّ أنَّ الآيات (1-10) تشكِّل مطلع السُّورة، ووجه ارتباطه بمقطع السُّورة التي قبلها (النَّازِعَاتِ) أنَّه عتابٌ على خطأ في أداء ما أمر به في مقطع النَّازِعَاتِ، وقد سبق ذكره وبيانه.

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (248/21).

(2) ينظر: نفسه، (250/21).

2- مناسبة المقطع الثاني:

﴿ كَلَّا إِنَّمَا نَذِكِرُكَ ۝ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ (12) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ (13) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ (16) قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝ (17) ﴾ (عبس: 11-17)

ذكر البقاعي أنه لما كان افتتاح السورة بالعتاب، أتبعه في المقطع الثاني بما يلوّح به ويتسبّب عنه، وهو النهي عن الإعراض عمّن وقع العتاب عليه وكلّ من كان حاله كحالِه، معلاً ذلك النهي بالغاية من إنزال القرآن، ليستطرد بها إلى وصف آي القرآن العظيم، والدُّعاء على من لم يُقبل عليه، والتعجيب من ستر محاسنه ودلائله على القيامة.⁽¹⁾

3- مناسبة المقطع الثالث:

﴿ مِنْ آيَاتِي شَيْءٌ خَلَقَهُ ۝ (18) مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۝ (19) ثُمَّ السَّيْلَ يَسَّرَهُ ۝ (20) ثُمَّ أَمَانَهُ وَأَقْبَرَهُ ۝ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشُرَهُ ۝ (22) كَلَّا لَمَّا يُفِضُ مَا أَمَرَهُ ۝ (23) ﴾ (عبس: 18-23)

المقطع عند البقاعي في إقامة الدليل بآية الأنفس على السّاعة المتعجّب من إنكارها في المقطع الذي قبله، حيث قال: "ولمّا كان أكثر انصباب التعجيب منه نظراً إلى تكذيبه بالسّاعة، لأجل ظهور أدلتها في القرآن جدّاً، ولأنّه توالى في هذه السّور إقامة الأدلّة عليها بما لا مزيد عليه، شرع في إقامة الدليل عليها بآية الأنفس"⁽²⁾.

4- مناسبة المقطع الرابع:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝ (24) إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ (26) فَأَبْيْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ (27) وَعَبْنَا وَقَضًا ۝ (28) وَزَيَّنَّا وَغَنَّا ۝ (29) وَحَدَائِقَ غُلًّا ۝ (30) وَفِكَهًا وَأَبًّا ۝ (31) مَنَّاعًا لَّهُمْ وَلَا تَنْعَمُ كُورًا ۝ (32) ﴾ (عبس: 24-32)

ذكر البقاعي وجهين لمناسبة المقطع الرابع للمقطع الذي قبله، وهما:

● الوجه الأوّل: لمّا كان المقطع السّابق في إثبات البعث بآية الأنفس، أعقبه هذا المقطع

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (256/21-259).

(2) نفسه، (260/21).

بإثبات البعث بآيات الآفاق، ممثلةً بعجائب الصُّنع في الطَّعام بأسلوبٍ دالٍّ على الإنشار بعد الإقبار. فيشير البقاعيُّ إلى عادة القرآن الكريم في الجمع بين آيات الأنفس وآيات الآفاق مصداقًا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصّلت: من الآية 53).

● **الوجه الثاني:** لَمَّا أشار المقطع السَّابق إلى ما للإنسان من نقائص، أقام هذا المقطع الدليل على تقصيره بأنَّه عاجزٌ على شكر نعمة الطَّعام الَّذي به قوائمه فكيف بغيرها من التَّعم. وكأنَّ المقطع عنده تأكيدٌ بالبرهان لنقص الإنسان المذكور في المقطع قبله.⁽¹⁾

5- مناسبة المقطع الخامس:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۝ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ (35) وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ۝ (36) لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ (37)﴾ (عبس: 33-37)

سبق ذكر أنَّ مقصود السُّورة عند البقاعيِّ بيانُ أنَّ "المراد الأعظم تزكية القابل للخشية بالتَّخويف بالقيامة"⁽²⁾، ولا يتطابق قوله: "بالتَّخويف بالقيامة" إلَّا مع هذا المقطع من السُّورة. وأيضًا في حديثه عن مناسبة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ (34)﴾ قال: "ولمَّا كان وصفها بما يقع فيها أهيب قال: "...⁽³⁾؛ فيتبيَّن من مجموع ما سبق أنَّ هذا المقطع - في نظر البقاعيِّ - واردٌ في التَّخويف بيوم القيامة، بعدما حَقَّق وقوعه المقطع الَّذي قبله.

وجوابُ الشَّرط من قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۝ (33)﴾ ما تدلُّ عليه الجملة المبدلة منه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ ۝ (34)﴾ من اشتغالِ كلِّ بنفسه.⁽⁴⁾

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (264/21).

(2) نفسه، (249/21).

(3) نفسه، (270/21).

(4) ينظر: نفسه.

6- مناسبة المقطع السادس:

﴿ وَجوهٌ يُؤمِّدُ مُسْفِرَةٌ ﴿38﴾ ضاحِكَةٌ مُتَبَشِّرَةٌ ﴿39﴾ وَوَجوهٌ يُؤمِّدُ عَلَيهَا غَبْرَةٌ ﴿40﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿41﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿42﴾ ﴾ (عبس: 38-42). وهو المقطع الأخير في السورة.

كشف البقاعي عن مناسبة المقطع السادس، وهو الأخير في السورة، للمقطع الذي قبله فقال: "ولمَّا ذكر اليوم، فسَمَّ أهله إلى القسمين المقصودين بالتذكرة أول السورة"⁽¹⁾. ويستنتج من قوله: "القسمين المقصودين بالتذكرة أول السورة" مناسبته للمقطع الأول من السورة، فهي من باب ردِّ العجزِ على الصِّدر، وكذلك من قوله عن الكفرة الفجرة المذكورين في الآية الأخيرة من السورة: "وهم في الأغلب المترفون الذين يحملهم غناهم على التَّكْبُرِ والأَشْرِ والبَطَرِ ... فقد عاد آخرها على أولها فيمن يستحقُّ الإعراضَ عنه ومن يستحقُّ الإقبالَ عليه"⁽²⁾.

المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة عبس عند البقاعي

يرى البقاعي أنَّ آيات سورة عبس متناسبة على النحو الآتي.

1- مناسبة الآية: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿1﴾ ﴾

الآية بداية السورة وبداية المقطع الأول منها. وقد اقتصر كلام البقاعي على بيان مضمون المقطع الأول، وبيان مناسبته لمقطع السورة التي قبلها، ولم يذكر مناسبةً للآية⁽³⁾. ولعلَّ السبب في ذلك هو الشروع المباشر بالآية في سرد حادثة دون مقدمات.

2- مناسبة الآية: ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿2﴾ ﴾

الآية عند البقاعي بيانٌ لسبب عبوس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتولَّيه المذكورين في الآية التي قبلها.⁽⁴⁾

(1) البقاعي، نظم الدرر، (271/21).

(2) نفسه، (273/21).

(3) ذكر البقاعي أنَّ المقطع الأول عتابٌ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التَّشَاغُلِ عن أهل الخشية (ابن أم مكتوم) بالتَّصَدِّي لمن شأنه أن لا يخشى لافتتانه بزينة الحياة الدنيا (بعضُ صناديد قريش) (ينظر: نفسه، (250/21).

(4) ينظر: نفسه، (251/21).

3- مناسبة الآية: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ تَزِرَّكِي﴾ (3)

لم يبيِّن البقاعي مناسبة الآية المعنوية لما قبلها، وإنما بيَّن غرضها البلاغي في الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، بأنه حتى لا يكون طول الإعراض عنه -صلى الله عليه وسلم- موجباً للانقباض.⁽¹⁾

4- مناسبة الآية: ﴿أَوْ يَذُكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ (4)

يرى البقاعي أن الآية عطف على الرِّكَاء بما قد يكون سبباً له، وهو التَّذْكَرُ. ثم أعقب التزكي والتذكر بما يتسبب عنهما، وهو جملة ﴿فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾⁽²⁾؛ فمناسبة الجملة الأولى لما قبلها عطف السبب على المُسَبَّب، ومناسبة الجملة الثانية للأولى تعقيب السبب - وهو التزكي والتذكر جميعاً - بما يتسبب عنه، وهو الانتفاع بالذكرى.

5- مناسبة الآيتين: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْيَنَ﴾ (5) ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ (6)

الآيتان جملة بيانية واحدة، وتتجلى مناسبتها لما قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمَّا ذكر العُوس والتَّوَلَّى عنه فأفهما ضدَّهما لمن كان مقبلاً عليهم، بيَّن ذلك فقال: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْيَنَ﴾"⁽³⁾. فللمناسبة: بيان المفهوم مفهوم مخالفة من الآيتين الأوليين في السُّورة، أي بعد بيان إعراضه على من أقبل عليه، انتقل إلى بيان حال إقباله على من أقبل عليهم.

6- مناسبة الآية: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي﴾ (7)

كشف البقاعي عن مناسبة الآية فقال: "ولمَّا كان فعلُهُ ذلكَ فعلَ من يخشى أن يكون عليه في بقائهم على كفرهم ملامةً، بيَّن له أنه سالم من ذلك فقال: ﴿وَمَا﴾ ... ويجوز أن يكون استفهاماً أي وأيُّ شيء يكون عليك في عدم تزكِيهِ"⁽⁴⁾.

فسواءً أكانت (مَا) نافية أم استفهاميةً، فمناسبة الآية: بيان رفع الملامة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال حصل ما كان يخشاه ممَّا كان سبباً في المذكور في الآيات التي قبلها من

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (251/21).

(2) ينظر: نفسه، (252-251/21).

(3) نفسه، (252/21).

(4) نفسه، (255/21).

العبوس والتَّوَلَّى والتَّلَهَّى والتَّصَدَّى، وهو عدم إيمان هؤلاء الأشراف.

7- مناسبة الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ (8)

مناسبة الآية عند البقاعي التَّضَادُّ، بمقابلة المذكور فيها بالمستغني المذكور في الآية 5. (1)

8- مناسبة الآية: ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ (9)

مناسبة الآية عند البقاعي بيانُ حال السَّاعي المذكور في الآية التي قبلها، وهي مناسبة ظاهرة. وبيَّن البقاعي أنَّ خشية السَّاعي كانت من الله تعالى، ومن أذى الكفَّار، ومن معاصر الطَّريق لعماه. (2)

9- مناسبة الآية: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (10)

لم يكشف البقاعي عن مناسبة الآية، واكتفى بشرحها، ببيان أنَّ ذلك الالتهاة، وهو التَّشاغل عن الأعمى، كان في ذلك المجلس خاصَّةً. (3)

وذكر البقاعي أنَّ بين الآيتين ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ (8) و﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ (9) والآية ﴿أَمَّا مَنْ إِسْتَعْجَلَ﴾ (5) مقابلة، وأتت جاءت بأسلوب الاحتباك، وذلك أنَّ: "ذكر الغنى أولاً يدلُّ على الفقر ثانياً، وذكر المحيء والخشية ثانياً يدلُّ على ضدهما أولاً"، وبيَّن الغرض من هذه المقابلة فقال: "وسرُّ ذلك التَّحذير ممَّا يدعو إليه الطَّبع البشريُّ من الميل إلى الأغنياء، ومن الاستهانة بحقِّ الآتي إعظاماً لمطلق إتيانه". (4)

10- مناسبة الآية: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (11)

مناسبة الآية عند البقاعي التَّصريحُ بما لَوَّح به العتاب في الآيات التي قبلها، وهو التَّهْيي عن الإعراض عمَّن وقع العتاب عليه، وكلِّ من كان حاله كحالها، أفاده قوله ﴿كَلَّا﴾.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (255/21).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (256/21). والذي بدا لي في مناسبة الآية (10)، أنَّها مقابلةٌ للآية (6)؛ فبعد أن ذكر صنيعه مع المستغني من الإقبال عليه، قابله بذكر صنيعه مع الأعمى من الانتهاء عنه. وبيَّن الآيتين (5-6) والآيات (8-10) مقابلةً ظاهرةً، فهاتان المقابلتان مع المقابلة التي ذكرها البقاعي في هذا الموضع، وهي مقابلة الآيتين (8-9) للآية (5)، ومقابلة الآية (8) للآية (5) التي ذكرها قبلها، أربع مقابلاتٍ كاملةٍ في مقطعٍ واحدٍ، وهو المقطع الأول في السُّورة. وذلك من بلاغة النَّصِّ القرآنيِّ مع إيجاز عبارته.

وأما جملة ﴿إِنَّمَا نَذِكِرُكَ﴾ فتعليلٌ لذلك النهي بأنَّ القرآن ليس سوى تذكرة؛ فما على المدكِّر به غير البلاغ، فمن أقبل عليه فيها ونعمت، ومن أعرض فسحقًا له وبُعدًا. (1)

11- مناسبة الآية: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (12)

الآية عند البقاعيِّ مسبَّبة عن معنى مقدَّرٍ قبلها، ناشئٍ عن وصف القرآن بأنه تذكرة في الآية التي قبلها، تقديره: (لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ عَاقِلًا مَخْتَارًا وَكَانَ الْقُرْآنَ مِيسِّرًا لِلْحِفْظِ وَالْفَهْمِ لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ)، فتسبَّب عنه أنَّ من شاء -بعد مشيئة الله تعالى- حَفِظَهُ وَتَذَكَّرَ ما فيه من الوعظ، من غير تكريرٍ ولا معالجةٍ تُخَوِّجُ إلى الإعراضِ عن بعض المقبلين الرَّاعِبِينَ. (2)

12- مناسبات الآيات: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ (13) ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (14) ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (15) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (16)

بيَّن البقاعيُّ وجه ارتباط الآيات (13-16) بما قبلها، ووجه ارتباطها فيما بينها، فقال: "ولَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ: حال كون القرآن مثبَّتًا أو حال كون الدَّاكِر له مثبَّتًا، قال واصفًا لتذكرة مبينًا لشرفها بتشريف ظرفها وظرف ظرفها... (3)" فهذه الآيات في وصف ﴿نَذِكِرُكَ﴾ (من الآية 11) بيانًا لشرفها.

فأما الآيتان: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ (13) ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (14)، فبيانٌ لشرفها بتشريف ظرفها، وهو الصُّحُفِ المَكْرَمَةِ المَرْفُوعَةِ المَطَهَّرَةِ.

وأما الآيتان: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (15) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (16)، فبيانٌ لشرفها، بتشريف ظرف ظرفها، وهو أيدي السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ.

13- مناسبة الآية: ﴿قِيلَ لِإِنْسَانٍ مَا لَكُفْرَهُ﴾ (17)

تتجلَّى مناسبة الآية لما قبلها من الآي عند البقاعيِّ في قوله: "ولَمَّا كَانَ الوَصْفُ بهذه الأوصاف العالية، للكُتَبَةِ الَّذِينَ أَيْدِيهِمْ ظَرْفٌ لِلصُّحُفِ الَّتِي هِيَ ظَرْفٌ لِلتَّذِكْرَةِ، لِتَنْبِيهِ عَلَى عُلُوِّ المَكْتُوبِ وَجَلَالَةِ مَقْدَارِهِ وَعِظْمَةِ آثَارِهِ، وَظَهُورِ ذَلِكَ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَتَأَمَّلَهُ حَقًّا تَأَمُّلَهُ وَأَنْعَمَ نَظْرَهُ، عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ نَاعِيًا عَلَى مَنْ لَمْ يُقْبَلْ بِكَلْبَتِهِ عَلَيْهِ، دَاعِيًا عَلَيْهِ بِأَعْظَمِ شِدَائِدِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (256/21-257).

(2) ينظر: نفسه، (257/21).

(3) نفسه.

القتل، في صيغة الخبر لأنه أبلغ: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ﴾. ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ جَمَلَةَ ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ "تعجب من إفراطه في ستر محاسن القرآن التي لا تخفى على أحد، ودلائله على القيامة وكل شيء، لا يسع أحداً التَّغْيِيرُ في وجه شيء منها".⁽¹⁾

14- مناسبة الآية: ﴿مِنْ آيَاتِهِ خَلْقَهُ﴾ (18)

الآية عند البقاعي - كما سبق ذكره - بداية مقطع في الاستدلال على السَّاعة بآية الأنفس. ومناسبة افتتاح المقطع بها الشُّرُوعُ من خلالها في إقامة الدليل، بدءاً من ابتداء الخلق. ومجيئها بصيغة السُّؤال للتنبية. قال البقاعي: " في أسلوبٍ مبيِّنٍ لِحِسَّتِهِ وحقارته، وأنَّ مَنْ ألبسه أثواب الشَّرْف بعد تلك الحِسَّة والحقارة جديرٌ منه بالشُّكر لا بالكفر".⁽²⁾

15- مناسبة الآية: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (19)

ذكر البقاعي أنَّ الآية جوابٌ عن سؤال الآية التي قبلها. ومناسبة تعقيب السُّؤال بالجواب: أنَّه لَمَّا كان الاستفهام للتقرير مع التَّحْقِير، أتبعه بالجواب عنه، إشارةً إلى أنه ممَّا لا يُحتاج فيه إلى وقفة أصلاً لوضوحه. أمَّا التَّحْقِير ففي قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾، أي خلقه من ماءٍ يسيرٍ جداً لا من غيره.

وأما قوله ﴿فَقَدَرَهُ﴾ (19) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (20)، فبمناسبة ذكر تلك الحِسَّة والحقارة أعقب بما منَّ عليه بعد ذلك من إلباسه أثواب الشَّرْف.⁽³⁾

16- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (20)

الآية صريحة في أنَّ تيسير السَّبِيل كان بعد تقدير خلقه، لذلك صرَّح البقاعي بأنَّ علَّة التَّرتيب هي التَّرتُّب في الحصول.

وفسَّر تقدير خلق الإنسان بأطوار خلقه في رحم أمِّه، وتيسير السَّبِيل بتسهيل خروجه من بطن أمِّه، بأنَّ فَتْحَ فَمِّ الرَّحِمِ وأهمه أن ينتكس. أو أنَّ السَّبِيل طريق الجنَّة أو النَّار، وتيسيره تذليل سبيل الخير والشرِّ، وأنَّ جعل للإنسان عقلاً يقوده إلى ما يُيسِّر له منهما.⁽⁴⁾

(1) البقاعي، نظم الدرر، (259/21).

(2) ينظر: نفسه، (260/21).

(3) ينظر: نفسه.

(4) ينظر: نفسه، (261-260/21).

17- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ﴾ (21)

كشفت البقاعي عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الدُّنيا دار الممّرِّ، والمقصد غيرُها، وهو الأخرى التي تدلُّ عليها الدُّنيا، ولذلك عبَّه بقوله عادًّا الموت من النِّعم؛ لأنَّه لو دام الإنسان حيًّا، مع ما يصل إليه من الضُّعف والخوف، لكان في غاية البشاعة والشِّماتة لأعدائه والمساءة لأوليائه، على أنَّ الموت سبب الحياة الأبدية: ﴿ثُمَّ...﴾" (1).

والضَّمير في كلامه راجعٌ إلى قوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (20)، وذلك لَمَّا فسَّر السَّبيل بطريق الجنَّة أو النَّار.

فملحَّص المناسبة: لَمَّا أُوْمِتْ الآية السابقة إلى الحياة الأبدية أعقبها في هذه الآية بما هو سببٌ لتلك الحياة وهو الموت.

18- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (22)

كشفت البقاعي عن مناسبة الآية فقال: "ولمَّا كانت مدَّة البرزخ طويلةً، وكان البعث أمرًا محققًا غير معلوم الوقت بالعين بغيره تعالى، عبَّر عن المعاني الثلاثة بأدائي التَّراخي والتَّحقيق فقال: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾" (2). فالمناسبة أنَّه - سبحانه وتعالى - بعدما ذكَّر القبر في الآية التي قبلها، عبَّر في هذه عن طول مدَّة حياة البرزخ، وما يكون بعدها من تحقُّق أمر البعث، وعن اختصاص العلم بوقته به - عزَّ وجلَّ - دون ما سواه.

19- مناسبة الآية: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾ (23)

مناسبة الآية وفقًا للبقاعي الاحتراسُ ممَّا قد يُفهم خطأً من قوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (20)، من أنَّ الإنسان إذا عرف السَّبيل وميَّزه، لا يعمل إلا بما يرضي الله تعالى وما لا يعاتب عليه. فنفي ذلك على سبيل الرَّدع، ثمَّ استأنف ذلك النَّفي بالجملة التي بعد حرف الرَّدع، بأنَّ الإنسان لا يعمل إلا بما يرضي الله، لَمَّا يفعل جميع ما أمره به؛ فعلاً نافذًا ماضيًا كلَّه من غير تقصيرٍ ما، من حين تكليفه إلى حين إقباره، بل من حين وجود آدم إلى آخر الدهر، فنفي

(1) البقاعي، نظم الدرر، (261/21).

(2) نفسه، (262/21).

ذلك لأنَّ الإنسان مبنيٌّ على التَّقْصَانِ. (1)

20- مناسبة الآية: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (24)

سبق بيان أنَّ الآية عند البقاعيِّ بدايةً مقطوعٍ في الاستدلال على البعث ببعض آيات الآفاق، وفي إقامة الدليل على تقصير الإنسان في حقِّ ربِّه. ومناسبتها: أنَّها مسبِّبةٌ عن الشُّروع في ذلك الاستدلال. وقد دعت إلى توجيه النَّظَرِ إلى الطَّعامِ لتفهم آيته. (2)

21- مناسبة الآية: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (25)

ذكر البقاعيُّ أنَّ الآية وما يليها إلى قوله: ﴿مَنْعًا لَكُمْ لِاتَّعَمِكُمْ﴾ (32) تفصيلٌ مجمل الآية التي قبلها وهي قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (24)، ثمَّ بيَّن مناسبات تلك الآيات. فأما مناسبة الابتداء بالآية: فالبدءُ بالأشرف وهو السَّماوي، وهو الماء الذي به حياة كلِّ شيءٍ؛ تنبيهًا للإنسان على ابتداء خلقه. (3)

22- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ سَفَقْنَا الْأَرْضَ سَفًّا﴾ (26)

كشف البقاعيُّ عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "وثنيُّ بالأرض التي هي كالأنثى بالنسبة إلى السَّماء فقال: ﴿ثُمَّ﴾ ... (4)".

23- مناسبة الآية: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (27)

مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعيِّ أنَّه -عزَّ وجلَّ- لَمَّا ذَكَرَ شَقَّ الْأَرْضَ، أعقبه بذكر ما يتسبَّب عنه وهو إنبات النَّباتِ، وهو كالتفسير للشَّقِّ. ثمَّ كشف البقاعيُّ عن عِلَّةِ ترتيب ما ذُكِرَ من النَّباتِ في هذه الآيات، فذكر أنَّه قَدَّمَ الْحَبَّ لِأَنَّهُ قُوَّةٌ، فهو الأصل في القوام. (5)

24- مناسبة الآية: ﴿وَعَبْنَا وَقَضَبًا﴾ (28)

هذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله ﴿وَفَكَهْمًا وَأَبًّا﴾ (31) جميعها معطوفٌ على الحَبِّ

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (262/21-263).

(2) ينظر: نفسه، (264/21).

(3) ينظر: نفسه.

(4) نفسه، (265/21).

(5) ينظر: نفسه.

من الآية التي قبلها؛ فهي في بيان أنواع ما ينبت من الأرض، والغرض من ذلك هو الدلالة على القدرة على البعث من خلال بيان عجائب صنعه -عز وجل- الدالة على القدرة على كل شيء⁽¹⁾. ولم يمنع ذلك من أن يسعى البقاعي إلى البحث عن المناسبة بين هذه الأنواع؛ حيث تناولها نوعًا نوعًا.

فأما مناسبة الابتداء بالحب وتعقيبه بالعنب فتتجلى في قوله: "ولمَّا كان الحبُّ قوتًا فبدأ به لأنَّه الأصل في القوام، عطف عليه ما هو فاكهة وقوت فقال: ﴿وَعِنَبًا﴾، هو فاكهة في حال عنيته، وقوتٌ باتِّخاذه زبيباً ودبساً وخلاً"⁽²⁾. فعلة الترتيب الأهميَّة والنفع للبدن. ثمَّ يعود ليكشف عن المناسبة في ظلِّ الغرض الأساسي من ذكر هذه الأنواع، فذكر المناسبة بين كلِّ مذكورين متتابعين بما يدلُّ على عجب صنعه تعالى.

وبناءً عليه فمناسبة هذه الآية: أنه - سبحانه وتعالى - لمَّا ذكر في الآية التي قبلها ما إن تُرك اشتدَّ وصلح للادِّخار، وهو الحبُّ، أتبعه بذكر ما يقابله وهو ما لا يصلح للادِّخار إلا إن أخذ وعولج، وهو العنب، ثمَّ أعقبهما بما يقابلهما جميعاً وهو ما لا يصلح للادِّخار بوجه، وهو القضب، وهو الرطب من البقل وغيره.⁽³⁾

25- مناسبة الآية: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾⁽²⁹⁾

مناسبة تعقيب القضب بالزيتون، والزيتون بالنخل عند البقاعي أنه - سبحانه وتعالى - لمَّا ذكر ما لا يصلح أن يؤكل إلا رطباً من غير تأخير وهو القضب، أتبعه بذكر ما يقابله وهو ما لا يفسد بحال، لا على أمه، ولا بعد القطاف وهو الزيتون.

ولمَّا ذكر ما لا يفسد وشجره يصبر على البرد، وهو الزيتون، أتبعه بذكر ما يؤكل على أمه، ويقطع فيدخر، ولا يصبر شجره على البرد فقال: ﴿وَنَخْلًا﴾.⁽⁴⁾

26- مناسبة الآية: ﴿وَحَدَائِقَ غُلَبًا﴾⁽³⁰⁾

مناسبة الآية عند البقاعي أنه - عز وجل - لمَّا ذكر تلك الأشياء من الأقوات والفواكه

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (265/21).

(2) نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (265-266).

(4) ينظر: نفسه، (266/21).

لكثرة منافعها، أعقبها بذكر البساتين التي تجمعها وغيرها.⁽¹⁾

27- مناسبة الآية: ﴿ وَفَلْكَهٖ وَأَبَا ۙ ﴾ (31)

مناسبة الآية عند البقاعي أنه -عز وجل- لَمَّا ذَكَرَ فِيهَا مِنْ الْآيِ مَا يُتَّفَكُّهُ وَيُدَّخِرُ، جَمَعَ فِي هَذِهِ فَقَالَ: ﴿ وَفَلْكَهٖ ﴾، أَيِّ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَصْلِحَ لِلدِّخَارِ وَمِمَّا لَا يُمْكِنُ. وَلَمَّا ذَكَرَ فَالْكَهَةَ النَّاسَ، أَعْقَبَهَا بِذِكْرِ فَالْكَهَةِ بَقِيَّةِ الْحَيَوَانَ وَهِيَ الْأَبُ.⁽²⁾

28- مناسبة الآية: ﴿ مَنَّاعًا لِّكُرِّهِمْ لِإِنَّمَا أَتَى النَّبَاتَ فِي الْآيِ الَّتِي قَبْلَهَا، أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ النِّعْمَةِ فِيهِ؛ لِلتَّصْرِيحِ بِأَنَّ الْكُلَّ عَاجِزُونَ عَنِ الْوَفَاءِ بِالشُّكْرِ. ﴾ (32)

مناسبة الآية لما قبلها من الآي عند البقاعي أنه -عز وجل- لَمَّا دَلَّ عَلَى تَمَامِ الْقُدْرَةِ بِمَا ذَكَرَ مِنْ تَنْوُوعِ النَّبَاتِ فِي الْآيِ الَّتِي قَبْلَهَا، أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ النِّعْمَةِ فِيهِ؛ لِلتَّصْرِيحِ بِأَنَّ الْكُلَّ عَاجِزُونَ عَنِ الْوَفَاءِ بِالشُّكْرِ.⁽³⁾

29- مناسبة الآية: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ۙ ﴾ (33)

الآية بداية مقطع في التخويف بيوم القيامة، ومناسبتها أنه لَمَّا تَحَقَّقَ مِنَ الْمَقْطَعِ الَّذِي قَبْلَهَا أَمْرَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَعْقَبَهُ بِمَا تَسَبَّبَ عَنْهُ، مُحَقِّقًا لَهُ، وَهُوَ: مَجِيءُ السَّاعَةِ وَالْقِيَامِ لِلْحِسَابِ، فَقَالَ: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ۙ ﴾.⁽⁴⁾

30- مناسبات الآيات: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۙ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۙ (35) وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ۙ ﴾ (36)

ذكر البقاعي أن الآيات واردة في وصف القيامة بما يقع فيها للتَّهْوِيلِ، مَبْدَلَةٌ مِنْ (إِذَا) مِنْ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، دَالَّةٌ عَلَى جَوَابِهَا مِنْ نَحْوِ: "اشْتَغَلَ كُلُّ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِرَاقٌ مَا لغيره". ثُمَّ كَشَفَ عَنْ عِلَّةِ تَرْتِيبِ الْمَذْكُورِينَ فِيهَا فَقَالَ: "وَلَمَّا كَانَ السِّيَاقُ لِلْفِرَارِ، قَدَّمَ أَدْنَاهُمْ رَتَبَةً فِي الْحُبِّ وَالذَّبِّ فَأَدْنَاهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّرَقِّيِّ، وَأَخَّرَ الْأَوْجِبَ فِي ذَلِكَ فَالْأَوْجِبُ؛ فَقَدَّمَ ذِكْرَ الْفِرَارِ مِنَ الْأَخِ لِأَنَّهُ أَدْنَى الْمَذْكُورِينَ فِي رَتَبَةِ الْحُبِّ وَالذَّبِّ، ثُمَّ تَرَقَّى ذَلِكَ مَعَ الْأَصْنَافِ الْمُوَالِيَةِ وَهِيَ الْأُمُّ ثُمَّ الْأَبُ (الآية: 35) ثُمَّ الزَّوْجَةُ ثُمَّ الْأَبْنَاءُ (الآية: 36).

فقال عن الأم والأب: "ولمَّا كانت الأمُّ مشاركةً له في الإلف، ويلزم من حمايتها أكثر ممَّا

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (267/21).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (267/21-268).

(4) ينظر: نفسه، (268/21-269).

يلزم الأخ، وهو لها آف وإليها أحنُّ وعليها أرقُّ وأعطف قال: ﴿وَأُمِّيهِ﴾، ولَمَّا كان الأب أعظم منها في الإلف لأنَّه أقرب في النَّوع، وللولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النَّفع أكثر ممَّن قبله، قال: ﴿وَأَبِيهِ﴾.

وقال عن الرَّوْجَةِ والأبناء: "ولَمَّا كانت الرَّوْجَةُ الَّتِي هي أهلٌ لأنَّ تُصحب ألصق بالفؤاد وأعرق في الوداد، وكان الإنسان أذَبَّ عنها عند الاشتداد، قال: ﴿وَصَحْبِيهِ﴾. ولعلَّه أفردھا إشارةً إلى أنَّها عنده في الدَّرْجَةِ العليا من المودَّة بحيث لا يألف غيرها. ولَمَّا كان للوالد إلى الولد من المحبَّة والعاطفة والإباحة بالسِّرِّ والمشاورة في الأمر ما ليس لغيره، ولذلك يُضَيِّع عليه رزقه وعُمره قال: ﴿وَبَنِيهِ﴾". (1)

31- مناسبة الآية: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (37)

يرى البقاعي أنَّ الآية معلَّلة للفرار المذكور في الآيات السَّابِقة (34-36). (2)

32- مناسبة الآية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (38)

الآية عند البقاعيِّ بداية مقطعٍ في ذكر أحوال قِسْمِي النَّاسِ يوم القيامة. ولم يبيِّن البقاعيُّ علَّةَ الابتداء بذكر أصحاب الوجوه البيض المضيئة بالإشراق والاستنارة (3) قبل أصحاب الوجوه المريدة.

33- مناسبة الآية: ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (39)

فسَّر البقاعيُّ الآية ولم يذكر لها مناسبة. (4)

34- مناسبة الآية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (40)

كشَف البقاعيُّ عن المناسبة بين الآية (40) والآية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (38)، فذكر أنَّها مقابلةٌ ذَكَرَ أهل السَّعادة بذكر أصدادهم (5)، فالمناسبة المضادَّة.

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (270/21-271).

(2) ينظر: نفسه، (271/21).

(3) وذلك معنى ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ (ينظر: نفسه).

(4) ينظر: نفسه، (271 / 272).

(5) ينظر: نفسه، (272/21).

35- مناسبة الآية: ﴿ تَرْهَقَهَا قَرَّةٌ ۝٤١﴾

لم يذكر البقاعي مناسبة الآية للآية التي قبلها، وبعد تفسيرها ذكر أن بين الآيتين ﴿ وَجْهٌ ۝٤٠﴾ مقابلته بأسلوب الاحتباك، وأن بين الموضوعين مناسبة تعقيب الترغيب بالترهيب فقال: "فالآية من الاحتباك: ذكر الإسفار والبشر أولاً يدل على الخوف والدعر ثانياً، وذكر الغيرة ثانياً يدل على البياض والنور أولاً، وسر ذلك أنه ذكر دليل الراحة ودليل التعب لظهورهما ترغيباً وترهيباً"⁽¹⁾.

36- مناسبة الآية: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ۝٤٢﴾

مناسبة الآية لما قبلها عند البقاعي زيادة التهويل، حيث قال: "ولمّا كان هذا الأمر هائلاً... استأنف الإخبار زيادة في التهويل فقال: ﴿ أُولَئِكَ ۝٤٢﴾..."⁽²⁾. والظاهر من كلامه أنه يقصد الاستئناف الابتدائي، والأولى أن يكون استئنافاً بيانياً، بتقدير أنه لهول ذلك الأمر يتساءل السامع عن ذلك القسم، من هم؟

(1) البقاعي، نظم الدرر، (273/21). وفسر القتره بأنها كُدُورَةٌ وظلمةٌ وسوادٌ (ينظر: 272/21).

(2) نفسه، (273/21).

المبحث الثاني: مناسبات سورة عبس عند ابن عاشور

يتناول هذا المبحث بيان مناسبة سورة عبس للسورة التي قبلها، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها، وذلك وفقاً لاجتهادات ابن عاشور.

المطلب الأول: مناسبة سورة عبس لما قبلها (النزعات) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور
لم يكشف ابن عاشور عن المناسبة بين سورة عبس وسورة النزعات، وأمّا مقاطع سورة عبس، فیری أنّها خمسة متناسبة على النحو الآتي:

1- مناسبة المقطع الأول:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنْ إِنْ سَخِيَ (5)
فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبِي (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْدَهُ تَلَهَّى (10) ﴾
(عبس: 1-10)

المقطع الأول عند ابن عاشور تعليمٌ ومعاتبَةٌ للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومناطق المعاتبَةِ العبوسُ للمؤمن بحضرة المشرك الذي يَسْتَصْغِرُ أمثال ابن أمّ مكتوم، لا على ما حَفَّ بذلك من المبادرة بدعوة الكافر إلى الإسلام، وتأخير إرشاد المؤمن إلى شعب الإسلام⁽¹⁾. وأمّا التّعليم فهو في التّنبية إلى أنّ سبيل الإصلاح ليس على قواعد مُطَرَدَةٍ، وأنّ من وراء الظواهر خبايا، وأنّ القرائن قد تستر الحقائق⁽²⁾. ومناسبة افتتاح السّورة بهذا المقطع: الافتتاحُ بذكر الحادثة التي كانت سبباً في نزولها.⁽³⁾

2- مناسبة المقطع الثاني:

﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (12) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (13) رَفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16) ﴾
(عبس: 11-16)

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (114-113/30).

(2) لابن عاشور كلامٌ نفيسٌ في تحقيق معنى هذه الآيات والمقصود منها، لا يمكن عرضه هنا لطوله، فينظر: نفسه، (109/30-114).

(3) ينظر: نفسه، (103/30).

يرى ابن عاشور أنَّ المقطع "تنويه" بشأن القرآن، لأنَّ التنويه بالآيات الواردة في أوَّل هذه السُّورة من حيث إنَّها بعض القرآن، فأثني على القرآن بفضيلة أثره في التذكير والإرشاد، ورفعة مكانته، وقدس مصدره، وكرم قراره، وطهارته، وفضائل حملته ومبليغيه، فإنَّ تلك المدائح عائدة إلى القرآن بطريق الكناية⁽¹⁾، فالتنويه بالقرآن مناسبٌ لأن يُذكر عقب التذكير والإرشاد الذين حصلوا به.

3- مناسبة المقطع الثالث:

﴿ قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ۚ (20) ثُمَّ أَمَانَهُ ۚ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۚ (22) كَلَّا لَمَآ يَقُضِ مَا أَمَرَهُ ۚ (23) ﴾ (عبس: 17-23)

المقطع عند ابن عاشور مستأنفٌ في الاستدلال على وقوع البعث، استئنافاً ابتدائياً ناشئاً عن ذكر من استغنى، ومناسبة ذلك الاستئناف وصف القرآن الكريم بأنه تذكرة لمن شاء أن يتذكر، فكان أهمُّ ما يُعنى به في هذا التذكير أمرُ البعث؛ لأنَّه كان من أكبر دواعيهم على التَّكذيب بالقرآن.⁽²⁾

4- مناسبة المقطع الرابع:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ (24) إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ (26) فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ (27) وَعَبْنَا وَقَضْنَا ۚ (28) وَزَيَّنَّا وَخَلَلْنَا ۚ (29) وَحَدَّائِقُ عُلبًا ۚ (30) وَفَنَكَمَةٌ ۚ (31) مِّنْعَا لَكُمْ ۚ (32) وَلَا تَعْمِكُمْ ۚ (32) ﴾ (عبس: 24-32)

مناسبة المقطع للمقطع الذي قبله عند ابن عاشور ذكرُ استدلالٍ على تقريب كيفية البعث؛ ترسيحاً للاستدلال الوارد في المقطع الذي قبله وتفنُّناً فيه، حيث قال: "وهذا استدلالٌ آخر على تقريب كيفية البعث، انتقل إليه في معرض الإرشاد إلى تدارك الإنسان ما أهمله⁽³⁾، وكان الانتقال من الاستدلال بما في خلق الإنسان من بديع الصُّنع من دلائل قائمة بنفسه في

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيهِ، (119/30).

(2) ينظر: نفسه، (120-119/30).

(3) يريد بقوله: "ما أهمله" ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ لَمَآ يَقُضِ مَا أَمَرَهُ ۚ ﴾ (من الآية 23)، أو قوله تعالى: ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ۚ ﴾ (من الآية 17)

(ينظر: نفسه، (129/30)، وسيأتي ذكره في بيان مناسبة الآية الأولى من هذا المقطع.

آية: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ ﴾ (18) إلى الاستدلال بأحوال موجودة في بعض الكائنات شديدة الملازمة لحياة الإنسان ترسيحاً للاستدلال، وتفنُّناً فيه، وتعريضاً بالمنة على الإنسان في هذه الدلائل، من نعمة النبات الذي به بقاء حياة الإنسان وحياة ما ينفعه من الأنعام⁽¹⁾.

5- مناسبة المقطع الخامس:

﴿ إِذَا جَاءَتِ الصَّخَابَةُ ۙ ﴾ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۙ ﴿34﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۙ ﴿35﴾ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ۙ ﴿36﴾ لِكُلِّ بَلَرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۙ ﴿37﴾ وَجَوُّهُ يُومِذُ مَسْفَرَةً ۙ ﴿38﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۙ ﴿39﴾ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۙ ﴿40﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۙ ﴿41﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْعَجْبُونَ ۙ ﴿42﴾ (عبس: 33-42)

المقطع عند ابن عاشور تفرُّع بالإنذار بيوم الجزاء، على اللوم والتوبيخ على الكفر به في قوله: ﴿ قِيلَ لِلَّذِينَ مَا أَكْفَرَهُمْ ۙ ﴾ (17) وما تبعه من الاستدلال عليه، إلى قوله: ﴿ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا ۙ ﴾ (25)، مع مناسبة وقوع هذا الإنذار عقب التعريض والتصريح بالامتنان في قوله: ﴿ إِلَىٰ طَعَامِهِمْ ۙ ﴾ (من الآية 24)، وقوله: ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ ۙ ﴾ (32)⁽²⁾.

المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة عبس عند ابن عاشور

يرى ابن عاشور أن آيات سورة عبس متناسبة على النحو الآتي.

1- مناسبة الآية: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۙ ﴾ (1)

الآية بداية السورة وبداية المقطع الأول منها، ومناسبة افتتاح السورة بها عند ابن عاشور التشويق لما سيأتي بعدها والإشعار بأنه حادثٌ عظيمٌ، حيث قال: "افتتاح هذه السورة بفعالين متحملين لضمير لا معاد له في الكلام تشويق لما سيورد بعدهما، والفعالان يُشعران بأنَّ المحكيَّ حادثٌ عظيمٌ". ثمَّ كشف عمَّا يُبيِّن إبهام الضمير وما يُبيِّن الحادث العظيم فقال: "فأمَّا الضمائر فبيِّن إبهامها قوله: ﴿ فَأَنْتَ لَهُمُ تصَدَّىٰ ۙ ﴾ (6)، وأمَّا الحادث فيتبيَّن من ذكر الأعمى ومن استغنى"⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتبوير، (129/30).

(2) ينظر: نفسه، (134/30).

(3) نفسه، (103/30).

2- مناسبة الآية: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ (2)

يشير كلام ابن عاشور إلى أنَّ الآية تعليلٌ للآية التي قبلها، وذلك في قوله: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ مجرورٌ بلام الجرِّ محذوفٍ مع (أَنْ) وهو حذفٌ مطردٌ، وهو متعلِّقٌ بفعليّ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ على طريقة التنازع⁽¹⁾. والذي تفيدُه لام الجرِّ المحذوفة في مثل هذا الموضع التعليلُ، مثل قول قائلٍ: حزنت لفراقك، أو عبس لأنك قاطعته.

3- مناسبة الآية: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكِي﴾ (3)

مناسبة الآية عند ابن عاشور أنّه -عزَّ وجلَّ- لَمَّا أخبر في الآيتين اللَّتَيْنِ قبلها بعبوس النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتولَّيه عن الأعمى أَنْ جاءه، نَبَّهه في هذه على أمرٍ غفل عنه، وهو ما بيَّنته جملة ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكِي﴾⁽²⁾، وأوماً إلى عذره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تأخيره إرشادَ ابن أمِّ مكتوم، في قوله: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾⁽³⁾.

4- مناسبة الآية: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ (4)

الآية مؤلَّفةٌ من جملتين، وقد كشف ابن عاشور عن مناسبتيهما فقال: "وجملة ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ عطفٌ على يزكي، أي ما يدريك أن يحصل أحد الأمرين وكلاهما مهمٌ، أي تحصل الذِّكْرَى في نفسه بالإرشاد لما لم يكن يعلمه، أو تَذَكَّرُ لما كان في غفلةٍ عنه"⁽⁴⁾. فمناسبة الجملة الأولى لما قبلها هي العطف عليه بذكر نوعٍ آخر من أنواع الآثار الممكنة من الإقبال على ابن أمِّ مكتوم -رضي الله عنه-.

وأما جملة ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، فذكر في موقعها وجهين حيث قال: "وقرأ الجمهور: فتنفعه، بالرَّفع عطفًا على ﴿يَذَّكَّرُ﴾، وقرأه عاصمٌ بالنَّصب في جواب: ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكِي﴾"⁽⁵⁾. فالمناسبة بقراءة الرَّفع: علاقةٌ السَّبَبِيَّةُ؛ حيث عطف المسبَّب، وهو (الانتفاع بالذِّكْرَى)، على سببه، وهو

(1) ابن عاشور، التَّحْزِينُ وَالتَّنْوِيرُ، (104/30).

(2) وشرح التَّزَكِّيَ بِأَنَّهُ التَّمَلُّيُّ بِفَضَائِلِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ. (ينظر: نفسه، 105/30-106).

(3) ينظر: نفسه، (112/30).

(4) نفسه، (107/30).

(5) نفسه.

(التَّذَكُّر). وأما بقراءة النَّصْب، فالجملة جوابٌ ﴿لَعَلَّهُ يَرْزُقَ﴾ التي تفيد السَّبَبِيَّةَ كذلك؛ فجواب الشرط مُسَبَّبٌ عن تحقُّقِ المشروط وهو السَّبَب.

5- مناسبة الآية: ﴿أَمَّا مَنْ إِسْتَعْنَى﴾ (5)

لم يذكر ابن عاشور مناسبة الآية.

6- مناسبة الآية: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ (6)

الآية جواب شرط الآية التي قبلها، ومناسبتها لما قبلها عند ابن عاشور بيانُ مناط العتاب، وهو: إِمَّا أَنْ التَّصَدَّى وقع من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جليل قدره، أو أَنَّ التَّصَدَّى كان تصدِّيًّا قويًّا، أفادها إظهار ضمير المخاطب قبل المسند الفعليِّ دون استتاره في الفعل. (1)

7- مناسبة الآية: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْزُقَ﴾ (7)

يعتبر ابن عاشور الآية معترضةً بين قوله: ﴿أَمَّا مَنْ إِسْتَعْنَى﴾ (5) ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ (6) وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ (8)، وأنَّ فيها إيماءً إلى عذره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك التَّصَدَّى. ومناسبتها للآيتين قبلها: لَمَّا كان الخوف من المؤاخذة بعدم اهتداء من تصدَّى له سببًا في ذلك التَّصَدَّى المذكور في الآيتين، أعقبهما في هذه الآية بيان عدم مؤاخذته بذلك. (2)

8- مناسبة الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ (8)

تتجلى مناسبة الآية لما قبلها عند ابن عاشور في قوله: "﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ (8) وَهُوَ يَحْتَسِبُ (9) فَأَنْتَ عَنْهُ لَهْفَى (10) عطفٌ على جملة ﴿أَمَّا مَنْ إِسْتَعْنَى﴾ (5)، اقتضى ذكره قصدُ المقابلة مع المعطوف عليها، مقابلة الضدِّين إتمامًا للتقسيم". (3)

9- مناسبة الآية: ﴿وَهُوَ يَحْتَسِبُ﴾ (9)

ذكر ابن عاشور أنَّ الآية حالٌ من الجملة التي قبلها، وأما مفعول ﴿يَحْتَسِبُ﴾ فمحذوفٌ لظهوره، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ. (4)

(1) ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (107/30-108).

(2) ينظر: نفسه، (108/30، 112).

(3) نفسه، (108/30).

(4) ينظر: نفسه، (109/30).

10- مناسبة الآية: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (10)

أحال ابن عاشور القول في مناسبة الآية إلى موضع آخر نظير هذه الآية فقال: "والقول في: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ كالقول في: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ (6)"⁽¹⁾. أي أنّها جوابٌ شرط الجملة التي قبلها (الآيتان: 8، 9)، وفيها إيماءٌ إلى مناط العتاب.

وبيّن مناسبة الآيات ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ (8) ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ (9) ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (10)، فقال: "فحصل بمضمون هذه الجملة (الآيات: 8-10) تأكيدٌ لمضمون ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (1) أَنْ جَاءَهُ الْاَعْبَى﴾ (2)"⁽²⁾.

11- مناسبة الآية: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (11)

ذكر ابن عاشور أنّ ﴿كَلَّا﴾ إبطالٌ لما جرى في الكلام الذي قبلها⁽³⁾. وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، فاستئنافٌ بيانيٌّ بعد حرف الإبطال، أي أنّه مناسبٌ لمخدوفٍ مقدّرٍ قبله جواباً عنه، وشرّحه بقوله: "لأنّ ما تقدّم من العتاب ثمّ ما عقبه من الإبطال، يثير في خاطر الرّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الحيرة في كيف يكون العمل في دعوة صناديد قريش إذا لم يُتفرّغ لهم، لئلاً ينفروا عن التدبّر في القرآن، أو يثير في نفسه مخافة أن يكون قصر في شيء من واجب التبليغ. وضمير ﴿إِنَّهَا﴾ عائدٌ إلى الدّعوة التي تضمّنها قوله: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ (6)"⁽⁴⁾. وجوّز ابن عاشور عود الضمير إلى مضمون الآيات التي قبلها، وذكر أنّ المعنى: "إنّ هذه الموعظة تذكرةٌ لك وتنبيةٌ لما غفلت عنه وليست ملاماً، وإنّما يُعبّات الحبيب حبيبه"⁽⁵⁾ فالمناسبة على هذا التّأويل: بعد أن عاتبه في الآي السابقة، بيّن في هذه الحكمة من ذلك العتاب.

كما جوّز - وذكر أنّه من نظره - أن يكون ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ استئنافاً ابتدائياً، وأنّ الإبطال بـ (كَلَّا) راجعٌ إلى قول الكفّار، الذين كان يدعوهم قبيل نزول هذه السّورة، في القرآن الكريم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّوير، (109/30)

(2) نفسه.

(3) جوّز ابن عاشور أنّ تكون (كَلَّا) تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ الْأَلْبَابُ﴾ (7)، ولكنّه اختار معنى الإبطال وبيّن مناسبة ما بعده له، خلافاً للوجه الآخر؛ إذ لم يبيّن مناسبته (ينظر: نفسه، 114/30).

(4) نفسه، (115-114/30).

(5) نفسه، (115/30).

إنَّه أساطير الأوَّلين أو نحو ذلك، والجمله بعد الإبطال تقريرٌ للقول الحقِّ في تلك الآيات التي قرأها عليهم بأنَّها تذكرة⁽¹⁾؛ أي أنه استأنف الحديث عمَّا جرى بين النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين هؤلاء الكفَّار مجرَّدًا عمَّا جرى مع ابن أمِّ مكتوم رضي الله عنه.

وخلاصة القول في مناسبة الآية في نظر ابن عاشور أنَّ الآية إبطالٌ لما جرى في الكلام قبلها ثمَّ استئنافٌ ببيانٍ ناشئٍ عن ذلك الإبطال ببيان الصَّواب، أو أنَّها استئنافٌ ابتدائيٌّ تضمَّن إبطالًا لقول المشركين في القرآن ثمَّ تقريرًا للقول الحقِّ فيه، أو أنَّها بيانٌ للحكمة من العتاب الوارد في الآي التي قبلها. ومردُّ هذه الاحتمالات عنده ما يُتمثل عَوْدُ الضَّمير إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا﴾.

12- مناسبة الآية: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (12)

الآية عند ابن عاشور معترضةٌ بين قوله: ﴿نَذِرَةٌ﴾ من الآية التي قبلها وقوله: ﴿فِي صُحُفٍ﴾ من الآية التي بعدها، مُفَرِّعٌ مضمونها على جملة: ﴿إِنَّمَا نَذِرَةٌ﴾؛ لإفادة أنَّ التَّذكرة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأصالة، وينتفع بها غيره ممَّن شاء أن يتذكَّر على حسب استعداده.⁽²⁾ وأمَّا الضَّمير في قوله: ﴿ذَكَرْهُ﴾، فذكر لمعاده وجهين جائزين، فقال: "يجوز أن يعود إلى ﴿نَذِرَةٌ﴾ (من الآية 11)؛ لأنَّ مَا صَدَقَهَا⁽³⁾ القرآن الَّذي كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرضه على صنابير قريش قبيل نزول هذه السُّورة، أي فمن شاء ذكر القرآن وعمل به. ويجوز أن يكون الضَّمير عائداً إلى الله تعالى، فإنَّ إعادة ضمير الغيبة على الله تعالى دون ذكر معاده في الكلام كثيرٌ في القرآن؛ لأنَّ شؤونه تعالى وأحكامه نزل القرآن لأجلها، فهو ملحوظٌ لكلِّ سامعٍ للقرآن، أي فمن شاء ذكر الله وتوحَّى مرضاته"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التَّحْريْر والتَّنْويْر، (115/30).

(2) ينظر: نفسه، (116/30).

(3) "المأصَدَق: (عند المناطقة): الأفراد التي يتحقَّق فيها معنى الكلِّيِّ" (جمَع اللُّغة العربيَّة، المعجم الوسيط، ص: 511)، وهو: "جميع الأفراد التي يصدق عليها مفهوم الحدِّ، فمثلاً لفظ: كتاب، حدُّ كلِّيِّ، مفهومه أنه مجموعٌ من الصَّحائف المكتوبة، يضمُّها غلافٌ واحدٌ، أمَّا ما صدق هذا الحدِّ فهو جميع الكتب الموجودة في العالم" (عزمي طه السَّيِّد أحمد، مدخلٌ إلى علم المنطق، عالم الكتب الحديث للنَّشر والتَّوزيع، إربد-الأردن، ط: 1، 2015م، ص: 72).

(4) ابن عاشور، التَّحْريْر والتَّنْويْر، (115/30).

ثم بيّن مناسبة الآيتين (11-12) بأتهما في "التنويه بالآيات الواردة في أول هذه السورة من حيث إنها بعض القرآن، فأثني على القرآن بفضيلة أثره في التذكير والإرشاد"⁽¹⁾.

13- مناسبة الآيتين: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾

مناسبة الآيتين عند ابن عاشور تعقيبُ الثناء على القرآن بفضيلة أثره في التذكير والإرشاد، بالثناء عليه بطهارته، وقدس مصدره، ورفعة مكانته، وكرم قراره.⁽²⁾

14- مناسبة الآيتين: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

الآيتان عند ابن عاشور من تمام الثناء على القرآن بذكر فضائل حملته ومبليغيه.⁽³⁾

15- مناسبة الآية: ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ ﴾

الآية عند ابن عاشور بداية مقطع في الاستدلال على وقوع البعث كما سبق بيانه. ومناسبة الابتداء بها الاستفتاح بالدعاء على الكافرين المنكرين له، دعاء تحقير وتهديد. وأمّا الجملة الثانية من الآية، وهي قوله: ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾، فتعليلٌ لذلك الدعاء وتعجبٌ من شدة كفر هذا الإنسان.⁽⁴⁾

16- مناسبة الآية: ﴿ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ ﴾

يرى ابن عاشور أنّ الآية بيانٌ للآية التي قبلها، وعلل ذلك بقوله: "لأنّ مفاد هذه الجملة الاستدلال على إبطال إحالتهم البعث، وذلك الإنكار من أكبر أصول كفرهم. وجيء في هذا الاستدلال بصورة سؤال وجوابٍ للتشويق إلى مضمونه، ولذلك قرّن الاستفهام بالجواب عنه على الطريقة المتقدمة في قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ (النبا: 1-2)".⁽⁵⁾

17- مناسبة الآية: ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ﴾

الآية جوابٌ عن سؤال الآية التي قبلها، وإتباعُ السؤال بالجواب يدلُّ على أنّ الاستفهام

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (119/30).

(2) ينظر: نفسه. وذكر أقوالاً في معنى الصُّحُف (ينظر: نفسه، 116/30-117).

(3) ينظر: نفسه، (119/30).

(4) ينظر: نفسه، (120/30-121).

(5) ينظر: نفسه، (122/30).

صوري غير حقيقي، كما سبق ذكره قريباً من كلام ابن عاشور وذكر الغرض منه. وأمّا قوله ﴿فَقَدَرَهُ﴾، فذكر ابن عاشور أنه مفرغٌ بفاء التّفريع على قوله: ﴿خَلَقَهُ﴾، لإفادة الدقّة في الخلق، وذكر أنّ التّفريع وما عُطف عليه بعده إدماجٌ للامتنان في خلال الاستدلال. (1)

18- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (20)

يرى ابن عاشور أنّ تعقيب الآية السابقة بهذه الآية ارتقاءً رُتبياً في الاستدلال بما هو أعجب في الدلالة على بديع صنع الله، وهو تيسيرُ سبيل العمل الإنسانيّ لأنّه أثر العقل، وهو أعظم ما في خلق الإنسان، وأقوى في المنّة.

كما يرى جواز أن يكون معنى ﴿السَّبِيلَ﴾ مسقطُ المولود من بطن أمّه؛ فتكون الآية مع التي قبلها مقابلتان للتي بعدهما، وهي قوله: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾، قال ابن عاشور: "ف: ﴿أَمَانَهُ﴾ مقابلُ ﴿خَلَقَهُ﴾ و ﴿أَقْبَرَهُ﴾ مقابلُ ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، لأنّ الإقبار إدخالٌ في الأرض، وهو ضدُّ خروج المولود إلى الأرض". (2)

19- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾ (21)

ذكر ابن عاشور أنّ الآية مؤلّفة من جملتين، وفصلّ القول في مناسبتيهما؛ فأما الجملة الأولى، وهي قوله: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ﴾، فعطفٌ رُتبياً على الآية التي قبلها؛ حيث ذكر أنّ العطف بحرف التّراخي لتراخي الرّتبة، ويبيّن دلالته بقوله: "فإنّ انقراض تلك القوى العقليّة والحسيّة بالموت، بعد أن كانت راسخةً زمنًا ما، انقراضٌ عجيبٌ دون تدرّجٍ ولا انتظارٍ زمانٍ يساوي مدّة بقائها، وهذا إدماجٌ للدلالة على عظيم القدرة". ثمّ كشف عن مناسبتها للجملة التي بعدها وهي قوله: ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾، فذكر أنّها توطئةٌ وتمهيدٌ لها.

ثمّ كشف عن مناسبة الجملة الثانية، وهي قوله: ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾، للجملة التي قبلها، وهي قوله: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ﴾، بأنّها التّفريع بإدماج الامتنان في خلال الاستدلال، ويبيّن أنّ محلّ المنّة ليس في الإمامة وحدها، وإنّما أيضًا فيما فرّع عليه بفاء بقوله: ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾. (3)

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّشوير، (123/30).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (125-124/30).

20- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (22)

تتجلى مناسبة الآية لما قبلها من الآي عند ابن عاشور في قوله: "وجملة: ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ رجوعٌ إلى إثبات البعث، وهي كالنتيجة عقب الاستدلال"⁽¹⁾. وقد فسّر الإنشار بأنه بعث الإنسان من الأرض⁽²⁾.

وأما الجملة المعترضة ﴿إِذَا شَاءَ﴾، فيرى أنّها "لردّ توهم المشركين أنّ عدم التعجيل بالبعث دليلٌ على انتفاء وقوعه في المستقبل"⁽³⁾.

21- مناسبة الآية: ﴿كَأَلَّا يَمَاقِضَ مَا أَمَرَهُ﴾ (23)

استشكل ابن عاشور تأويل الآية عند المفسرين فقال: "تفسير هذه الآية معضلٌ، وكلمات المفسرين والمتأولين فيها بعضها جاف المنال، وبعضها جافٍ عن الاستعمال؛ ذلك أنّ المعروف في (كلاً) أنّه حرف ردعٍ وزجرٍ عن كلامٍ سابقٍ أو لاحقٍ، وليس فيما تضمنته ما سبقها ولا فيما بعدها ما ظاهره أنّ يُزجر عنه ولا أنّ يُبطل، فتعيّن المصير إلى تأويل مورد (كلاً)"⁽⁴⁾.

أما مناسبة الآية فمتوقّفة على جميع ذلك (تأويل الآية ومورد كلاً)، وملخص قوله في مناسبة الآية أنّها مرتبطة بما قبلها بأحد وجهين:

فإمّا أنّها زجرٌ عمّا يفهم من الآية التي قبلها وهي قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (22)، وهو إنكار الكافر أنّ ينشره الله معتلاً بأنّه لم ينشر أحداً منذ القدم إلى الآن، وجوابٌ عن شبهتهم بإبطال أنّ يقع البعث عندما يسألون وقوعه، ثمّ تعليلٌ لذلك الردع والإبطال بأنّ البعث لا يقع حتّى يستتمّ الإنسان ما قدّر له في الأزل من مدّة البقاء في الأرض، وذلك في قوله: ﴿لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرَهُ﴾، وهو أمره الكوني.

وإمّا أنّها مستأنفةٌ استئنافاً بيانياً ناشئة عن مضمون جملة: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْشَرَهُ﴾ (الآيات: 18-22)، والمعنى أنّ عدم اهتداء الكافر إلى دلالة الخلق الأوّل على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (125/30).

(2) نفسه، (126/30).

(3) نفسه، (125/30).

(4) نفسه، (126/30).

إمكان الخلق الثاني، إنما كان بسبب عدم قضائه حقَّ النَّظَرِ الَّذِي أمره الله به، ولذلك تَضَمَّنَ هذا الاستئناف زجرًا وردعًا للإنسان عمَّا كان منه مِنْ عدم قضاء أمر رَبِّه، وقَدَّمَ (كلاً) للاهتمام بمبادرة الرَّجْر. (1)

فملحَّص مناسبة الآية عند ابن عاشور أنَّ الآية إمَّا أن تكون إبطالاً لاحتجاج المُنْكَرِ للبعث بأنَّه لم يُنْشَرِ أحدٌ منذ القدم، وزجرًا له، ثُمَّ أعقبه بتعليل ذلك الإبطال، وإمَّا أن تكون جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ قبلها، ناشئًا عن ظهور أدلَّةِ البعث.

22- مناسبة الآية: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (24)

سبق ذكر أنَّ الآية عند ابن عاشور بداية مقطعٍ في الاستدلال على تقريب كَيْفِيَّةِ البعث بأحوالٍ موجودةٍ في بعض الكائنات.

أما مناسبة ما ذُكر في الآية لما قبله فذكر ابن عاشور أنَّه: "إمَّا مفرَّغٌ على قوله: ﴿لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوهُ﴾ (من الآية 23) فيكون ممَّا أمره الله به من النَّظَرِ، وإمَّا على قوله: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ (من الآية 17) فيكون هذا النَّظَرُ ممَّا يُبْطَلُ ويُزِيلُ شِدَّةَ كُفْرِ الإنسان. والفاء مع كونها للتفريع تفيد معنى الفصيحة، إذ التَّقْدِيرُ: إنَّ أراد أن يقضي ما أمره فلينظر إلى طعامه، أو إنَّ أراد نقض كُفْرِهِ فلينظر إلى طعامه" (2).

23- مناسبة الآية: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا﴾ (25)

يرى ابن عاشور أنَّ الآية وما بعدها ممَّا يلحق بها بيانٌ للآية التي قبلها، بتفصيل ما أُجْمِلَ فيها على وجه الإيجاز. (3)

24- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾ (26)

اقتصر ابن عاشور على بيان المراد بالشَّقِّ، ولم يكشف عن مناسبة الآية. (4)

(1) وقال ابن عاشور: "و﴿لَمَّا﴾ حرف نفي يدلُّ على نفي الفعل في الماضي مثل (لم)، ويزيد بالدلالة على استمرار النفي إلى وقت التَّكَلُّمِ، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: من الآية 14)" (ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، 127/30-128)..

(2) نفسه، (129/30).

(3) ينظر: نفسه، (130/30-131).

(4) ينظر: نفسه، (131/30).

25- مناسبة الآيات: ﴿ فَأَبْتْنَا فِيهَا جَبًا ۝٢٧ وَعِنَابًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً

وَأَبًا ۝٣١﴾

اكتفى ابن عاشور بذكر أن الفاء في الآية (27) للتفريع والتعقيب⁽¹⁾. ولعله يقصد التفريع بذكر بعض ما أنبته من الأرض بعد أن صبَّ عليها الماء وشقَّها؛ فذكر العنب، والقضب، والزيتون، والنخل، والحدايق، والفاكهة، والأب. ولم يبيِّن المناسبات بين هذه المذكورات.

26- مناسبة الآية: ﴿ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا تُعْمِكُمْ ۝٣٢﴾

كشَّف ابن عاشور عن مناسبة الآية لما قبلها من الآي فقال: "وقوله: ﴿ مَنَّاعًا لَكُمْ ﴾ حال من المذكورات، يعود إلى جميعها، وقوله: ﴿ وَلَا تُعْمِكُمْ ﴾ عطف قوله: ﴿ لَكُمْ ﴾، والسامع يرجع كلَّ شيءٍ من المذكورات إلى ما يصلح له لظهوره، وهذه الحال واقعة موقع الإدماج؛ أُدمجت الموعظة والمنَّة في خلال الاستدلال"⁽²⁾.

27- مناسبة الآية: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ۝٣٣﴾

الآية بداية مقطع في الإنذار بيوم الجزاء كما سبق بيانه، وقد اكتفى ابن عاشور ببيان مناسبة المقطع لما قبله، إشارة منه إلى أنها واردة بمقتضي الانتقال إلى غرض المقطع، مهية له.⁽³⁾

28- مناسبات الآيات: ﴿ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾

كشَّف ابن عاشور عن مناسبة مجموع الآيات الثلاث لما قبلها، فذكر أن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤﴾ بدل من ﴿ إِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ﴾ بدلاً مطابقاً، الغرض منه ذكر بعض أهوال يوم القيامة تهويلاً له، فذكر فرار المرء من أقرب الناس إليه. كما كشف عن علة ترتيب الآيات بأنها درجة القرابة صعوداً من الصنف إلى من هو أقوى منه؛ تدرجاً في تهويل ذلك اليوم، وأما علة الترتيب بين أفراد الآية الواحدة فذكرها في آية واحدة فقط، سيأتي بيانها.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (131/30).

(2) نفسه، (134/30)، بتصرفٍ بال حذف.

(3) ينظر: نفسه.

ثُمَّ بَيَّنَّ وَجْهَ التَّرْتِيبِ فَقَالَ: "فابتدئ بالأخ لشِدَّةِ اتِّصَالِهِ بِأَخِيهِ مِنْ زَمَنِ الصَّبَا، فِينشَأُ بِذَلِكَ إِلْفَ بَيْنَهُمَا يَسْتَمُرُّ طَوْلَ الْحَيَاةِ".

وَأَمَّا الْأُمُّ وَالْأَبُ فَقَالَ: "ثُمَّ ارْتُقِيَ مِنَ الْأَخِ إِلَى الْأَبَوَيْنِ وَهِيَ أَشَدُّ قَرَبًا لِابْنَيْهِمَا، وَقُدِّمَتْ الْأُمُّ فِي الذِّكْرِ لِأَنَّ إِلْفَ ابْنِهَا بِهَا أَقْوَى مِنْهُ بِأَبِيهِ وَلِلرَّغْبِ عَلَى الْفَاصِلَةِ"، فَبَيَّنَّ هُنَا عِلَّةَ التَّرْتِيبِ بَيْنَ الْمَذْكُورَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَاصَّةً.

وَقَالَ فِي الزَّوْجَةِ وَالْأَبْنَاءِ: "وَانْتَقَلَ إِلَى الزَّوْجَةِ وَالْبَنِينَ، وَهِيَ مُجْتَمِعٌ عَائِلَةٌ الْإِنْسَانِ وَأَشَدُّ النَّاسِ قَرَبًا بِهِ وَمِلَازِمَةً".⁽¹⁾

وَأَمَّا سَبَبُ الْفِرَارِ فَبَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: "وَالْأَقْرَبُ أَنَّ هَذَا فِرَارُ الْمُؤْمِنِ مِنْ قَرَابَتِهِ الْمَشْرُوكِينَ خَشِيَةَ أَنْ يُوَاحِذَ بِتَبِعَتِهِمْ إِذْ بُقُوا عَلَى الْكُفْرِ. وَتَعْلِيقُ جَارِ الْأَقْرَبَاءِ بِفِعْلِ: ﴿يَقْرِ الْمَرْءُ﴾ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ قَدْ وَقَعُوا فِي عَذَابٍ يَخْشَوْنَ تَعَدِّيَهُ إِلَى مَنْ يَتَّصِلُ بِهِمْ"⁽²⁾.

29- مناسبة الآية: ﴿لِكُلِّ لِمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٍ شَانٌ يُغْنِيهِ﴾⁽³⁷⁾

الآية عند ابن عاشور مستأنفة استئنافاً ابتدائياً لزيادة تحويل ذلك اليوم.⁽³⁾

30- مناسبة الآية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾⁽³⁸⁾

يرى ابن عاشور أَنَّ الْآيَةَ جَوَابٌ (إِذَا) مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾⁽³³⁾، أَي: كَانَ النَّاسُ صَنَفَيْنِ؛ صَنَفٌ وَجُوهُهُمْ مُّسْفِرَةٌ، وَصَنَفٌ وَجُوهُهُمْ مَغْبِرَةٌ.

ويرى ابن عاشور أَنَّ تَقْدِيمَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّعِيمِ عَلَى أَهْلِ الْجَحِيمِ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّ السُّورَةَ "أَقِيمَتْ عَلَى عِمَادِ التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ رَجُلٍ مِنْ أَفْضَلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّحْقِيرِ لِشَأْنِ عَظِيمٍ مِنْ صُنَادِيدِ الْمَشْرُوكِينَ... وَكَانَ حِطُّ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الْمَلْتَمَتُ إِلَيْهِ ابْتِدَاءً، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ

يَرْبِكُنِي﴾⁽³⁾ إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ قَوْلِهِ: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَفْتِنِي﴾⁽⁵⁾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقْ﴾⁽⁶⁾ ".⁽⁴⁾

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (135/30).

(2) نفسه، (136/30).

(3) ينظر: نفسه.

(4) وفسر ابن عاشور ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ بِأَنَّهَا: "ذَاتُ الْإِسْفَارِ، وَالْإِسْفَارُ الثُّورُ وَالصَّبَاءُ... أَي: وَجْهُ مَتَهَلَّلَةٌ فَرِحًا وَعَلَيْهَا أَثَرُ النَّعِيمِ"، وَقَارَنَ بَيْنَ مَا حَصَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ تَقْدِيمِ ذِكْرِ أَهْلِ النَّعِيمِ عَلَى أَهْلِ الْجَحِيمِ، وَمَا حَصَلَ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ مِنْ تَقْدِيمِ ذِكْرِ أَهْلِ الْجَحِيمِ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ، وَأَرْجَعَهُ إِلَى اخْتِلَافِ مَا بُيِّنَتْ عَلَيْهِ السُّورَتَانِ. (ينظر: نفسه، 137/30).

31- مناسبة الآية: ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿39﴾﴾

لم يذكر ابن عاشور مناسبة الآية.

32- مناسبة الآية: ﴿وَوَجْهُ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ ﴿40﴾﴾

لم يبيّن ابن عاشور مناسبة الآية في موضع تفسيرها، وقد سبق ذكر كلامه في جملة جواب الشرط بأنها ذكر لانقسام الناس إلى صنفين؛ فهذا الصنف الثاني، وأمّا الترتيب فسبق تعليقه. وقال في أثناء تفسيره للآية التي بعدها: "وهذه وجوه أهل الكفر، يُعلم ذلك من سياق هذا التنويع" (1).

33- مناسبة الآية: ﴿زَهْفًا قَدْرَةٌ ﴿41﴾﴾

لم يذكر ابن عاشور للآية مناسبة (2).

34- مناسبة الآية: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿42﴾﴾

مناسبة الآية عند ابن عاشور أنه لَمَّا عُلِمَ من سياق التنويع أنّ تلك الوجوه هي وجوه أهل الكفر، صرّح في هذه الآية بذلك؛ زيادةً في تشهير حالهم الفظيع للسامعين (3).

هذا، وبعد الوقوف على مناسبات السورة عند المفسرين فيما سبق، يأتي المبحث التالي للمقارنة بين ما توصّلا إليه من المناسبات.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (138/30).

(2) فسّر ابن عاشور الفترة بأثماً: "شبه دخانٍ يغشى الوجه من الكرب والغيم" (نفسه).

(3) ينظر: نفسه.

المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة عبس عند البقاعي وابن عاشور

تهدف هذه المقارنة إلى بيان مدى موافقة ابن عاشور للبقاعي في مناسبات سورة عبس، ومدى مخالفته له فيها فجاء بما هو أكثر إقناعاً، من خلال الكشف عن مواضع الاتفاق في المناسبة ومواضع الاختلاف فيها، وإحصائها جميعاً، ثم محاولة الكشف عن أسباب الاختلاف، ثم النظر في مدى جواز قوليهما في المناسبة، ومدى إمكانية اجتماعهما، أو الترجيح بينهما. وتشمل هذه المقارنة أقوال المفسرين في مناسبة السورة للسورة التي قبلها، ومناسبات مقاطع السورة فيما بينها، ومناسبات آيات السورة آية آية.

المطلب الأول: مقارنة مناسبة سورة عبس لما قبلها (النزعات) ومناسبات مقاطعها

كشف البقاعي عن المناسبة بين سورة عبس وسورة النزعات، في حين لم يفعل ابن عاشور؛ بناءً على رأيه عدم وجوب البحث في تناسب السور. وأما مناسبات مقاطع سورة عبس، فيرى البقاعي أن السورة مؤلفة من ستة مقاطع، وأما ابن عاشور فيرى أنها خمسة. وفيما يلي بيان مواضع اتفاقهما ومواضع اختلافهما في تحديدها، والمقارنة بين أقوالهما في مناسباتها.

أ- مواضع الاتفاق والاختلاف في تحديد المقاطع:

اتفق المفسران في تحديد الآيات المشكّلة للمقطعين الأول والرابع، وأما المقطع الثاني والثالث فاختلفاً في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (17)؛ إذ يلحقها البقاعي بالمقطع الثاني، في حين يعتبرها ابن عاشور بداية المقطع الثالث.

وأما الآيات من قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (33) إلى آخر السورة، فيقسّمها البقاعي إلى مقطعين؛ فيعتبر الآيات من ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (33) إلى ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعِينُهُ﴾ (37) المقطع الخامس من السورة، وبقية الآيات من ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (38) إلى آخر السورة تؤلف المقطع السادس وهو الأخير.

في حين اعتبر ابن عاشور الآيات (33-42) مقطّعاً واحداً، هو الأخير في السورة، واعتبر الآيات من ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (38) إلى آخر السورة جملةً جواب الشرط الوارد في الآية:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصِّاعَةُ﴾ (33). وأمَّا جوابُ الشرط عند البقاعي فهو ما دلَّت عليه الجملة التي بعد جملة الشرط مباشرة.

ب- المقارنة بين مناسبات المقاطع المتفق في تحديدها عند المفسرين:

بالرغم من اتفاق المفسرين في تحديد آي المقطعين الأول والرابع، إلا أنهما قد يختلفان في مناسبيتهما، وذلك ما سيتبين فيما يأتي.

1- المقطع الأول: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (1) ... فَأَنْتَ عَنْهُ لَبِيحَى﴾ (10)

اختلف المفسران في تحديد مناسبة المقطع الأول مثلما حصل مع السور السابقة، للعلّة نفسها، وهي اختلافهما في مسألة تناسب السور. فالبقاعي ينظر في مناسبه لأجزاء السورة السابقة بناءً على مذهبه القائل بتناسب السور، في حين أن ابن عاشور يبحث المناسبة في إطار السورة مستقلة عن سابقتها، وبسبب أن لكل واحد من القولين جهةً يتعلّق بها، لا يحصل تعارضٌ بينها، واجتماعهما ممكن.

2- المقطع الرابع: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (24) ... مَتَنَعَا لَكُمُ وَلَا تَنعِمُوا﴾ (32)

اتفق المفسران في أن المناسبة الانتقال من الاستدلال بآية الأنفس في المقطع الذي قبله إلى الاستدلال بآيات الآفاق في هذا المقطع بأسلوبٍ مقربٍ لكيفية البعث، وذلك عند ابن عاشور ترسيخاً للاستدلال وتفنتاً فيه. وانفرد البقاعي بوجه آخر، وهو تأكيد نقص الإنسان، بعد أن أشار المقطع الذي قبله إلى بعض ما له من نقائص.

ج- المقارنة بين مناسبات المقاطع المختلف في تحديدها عند المفسرين:

سبق بيان المقاطع المختلف في تحديدها، بأنّها الثاني والثالث والخامس والسادس، وأمّا المقارنة بين مناسباتها ففيما يلي:

1- المقطع الثاني: (البقاعي: الآيات: 11-17) / (ابن عاشور: الآيات: 11-16)

اختلف المفسران في مناسبة المقطع الثاني للمقطع الذي قبله، والسبب يعود إلى الاختلاف في تحديد الغرض من كلِّ مقطعٍ من المقطعين؛ فلما كان الغرض من المقطع الأول عند البقاعي العتاب، ناسبه أن يذكر بعده ما يتسبب عنه العتاب وتعليقه، وما جاء بعد ذلك في وصف القرآن والدُّعاء على من لم يقبل عليه فإنه من الاستطارد. ولمّا كان

الغرض من المقطع الأول عند ابن عاشور التذكير والإرشاد ناسبه أن يُعقَّب بالتَّنويه بشأن القرآن الذي جاء بذلك.

ولا تعارض بين القولين، والجمع بينهما ممكنٌ، فعاتبه تذكيراً وإرشاداً له، وناسب أن يُعقَّب ذلك ببيان ما يترتب عن العتاب، وبالشَّاء على الكتاب المتضمَّن لذلك الإرشاد.

2- المقطع الثالث: (البقاعي: الآيات: 18-23) / (ابن عاشور: الآيات: 17-23)

المقطع عند المفسِّرين في الاستدلال على البعث، واختلفا في مناسبة ذلك؛ فأرجعها البقاعيُّ إلى التَّعجُّب من إنكاره الوارد في الآية الأخيرة من المقطع الذي قبله، في قوله ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ (من الآية 17)، وأمَّا ابن عاشور فأرجعها إلى وصف القرآن بأنه تذكرةٌ في الآية الأولى من المقطع الذي قبله (الآية: 11)، وكان أهمُّ ما يذكِّر به القرآن القيامة لتكذيبهم بها. فالاختلاف في المناسبة ناشئٌ عن الاختلاف في تحديد الآية من المقطع الذي قبله التي يرتبط معناها بغرض هذا المقطع بوجهٍ ما. وكلاً القولين جائزٌ، ولا تعارض بينهما، واجتماعهما ممكنٌ.

3- المقطع الخامس: (البقاعي: الآيات: 33-37) / (ابن عاشور: الآيات: 33-42)

اتَّفق المفسِّران في أنَّ الذي جاء بعد المقطع الرَّابع مباشرةً هو التَّخويف بيوم القيامة (وهو المقطع الخامس والأخير عند ابن عاشور، وقبل الأخير عند البقاعيِّ)، ثُمَّ اختلفا في مناسبة ذلك؛ فعند البقاعيِّ أنَّها بعد تحقيق وقوع البعث في المقطع الرَّابع، أعقب بالتَّخويف بيومِهِ. وأمَّا عند ابن عاشور فهي التَّفريع بالتَّخويف على اللُّوم والتَّوبيخ على الكفر به في قوله: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (17) وما تبعه من الاستدلال عليه، مع مناسبة وقوع هذا التَّخويف والإنذار عقب التَّعريض بالامتنان في قوله: ﴿إِنِّي طَائِمَةٌ﴾ (من الآية 24) والتَّصريح به في قوله: ﴿مَنْعَا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ﴾ (32) (1).

فالملاحظ أنَّ من أسباب الاختلاف في مناسبة المقطع، الاختلاف في تعيين الآيات التي يرتبط بها، وفي هذه الحالة يمكن الجمع بين الأقوال لتعدُّد الجهات.

(1) ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير، (134/30).

4- المقطع السادس: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿38﴾ ... أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿42﴾﴾

وهو المقطع الأخير عند البقاعي، فهو في بيان أقسام النَّاس في ذلك اليوم المذكور في المقطع الذي سبقه، وأمّا عند ابن عاشور فليس سوى جملة جواب الشرط من المقطع الخامس.

والذي أميل إليه في التّقسيم هو رأي البقاعي؛ إذ يُظهر اقتران الشرط بجوابه أو بما يدلُّ عليه، وذلك حين ذكر أنّ جملة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ...﴾ تدلُّ على جواب الشرط، وكذلك اختلاف المقطعين في الفواصل قد يكون قرينةً لترجيح رأيه.

المطلب الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة عبس

اتّفق المفسّران في مناسبات بعض آي السّورة واختلفا في البعض الآخر، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأوّل: مواضع الاتّفاق

اتّفق المفسّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿2﴾﴾

اتّفق المفسّران في أنّ الآية بيانٌ لسبب العبوس والتّوّلي المذكورين في الآية التي قبلها.

2- الآية: ﴿وَمَا عَلَيْكَ الْأَلْبَابُ ﴿7﴾﴾

اتّفق المفسّران في مناسبة الآية لما قبلها، وأضاف ابن عاشور وجهًا آخر وهو إيماء الآية إلى عُذْره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحرص المذكور في الآيات التي قبلها.

3- الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿8﴾﴾

اتّفق المفسّران في أنّ الآية مقابلةً للآية: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَنَ ﴿5﴾﴾، مقابلةً الضدّين إتماماً للتّقسيم.

4- الآية: ﴿وَهُوَ يَخْشَى ﴿9﴾﴾

اتّفق المفسّران في أنّ الآية بيانٌ لحال السّاعي المذكور في الآية التي قبلها.

5- الآيتان: ﴿يَأْتِي سَفَرُهُ﴾ (15) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (16)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآيتين في الثَّناء على القرآن وبيان شرفه، من خلال الثَّناء على حملته ومبليغيه (وهم ظَرْفُ الظَّرْفِ عند البقاعيِّ)، بعد الثَّناء عليه بطهارته وكرم قراره ورفعة مكانته (وذلك: الظَّرْفُ عند البقاعيِّ).

6- الآية: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (19)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآية جوابٌ عن سؤال الآية التي قبلها، واختلافًا في الغرض من تعقيب السؤال بالجواب؛ فهو عند ابن عاشور الدلالة على أنَّ الاستفهام صوريٌّ، وأمَّا عند البقاعيِّ فهو الإشارة إلى أنه ممَّا لا يُحتاج فيه إلى وقفةٍ أصلاً؛ لوضوحه، ولأنَّ الاستفهام تقريرِيٌّ. فمن أسباب الاتِّفاق أنَّ يكون الارتباط بين الآيتين واضحًا جدًّا، كارتباط السؤال بالجواب، أو الشرط بجوابه، وغيرهما من أوجه الارتباط الظاهرة.

وأما قوله: ﴿فَقَدَرَهُ﴾ وما يليه ممَّا يتعلَّق به؛ وإنَّ اتَّفقا في أنَّ الغرض منه إظهار منَّة الله على الإنسان، إلاَّ أنَّهما اختلفا في المناسبة بينه وبين ما قبله؛ فهي عند ابن عاشور تفرُّعٌ ذكر دقَّة الخلق على ذكر الخلق في قوله: ﴿خَلَقَهُ﴾ من الآية نفسها، وأمَّا عند البقاعيِّ فهي المقابلة بين أصل خلقه المذكور في جملة السؤال وجوابها، وهي قوله: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (18) ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ المفيدة للتَّحقير، وحاله بعد خلقه المذكور في قوله: ﴿فَقَدَرَهُ﴾ (19) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (20) المفيد للتَّشريف.

فالملاحظ أنَّ من أسباب اختلافهما في المناسبة الاختلاف في تعيين السَّابق الذي ترتبط به الآية أو الجملة، واختلافُ جهات التَّناسب مظنَّةٌ لإمكان الجمع بين الأقوال، كأن يقال: عبَّ فعل الخلق ببيان الدقَّة فيه، وبيانُ الدقَّة في الخلق بيانٌ لإلباس الإنسان أثواب الشرف بعد بيانِ حقارة أصله فيما سبقه من الكلام.

7- الآية: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (25)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآية وما يليها إلى قوله: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِيَنْعَمَكُمُ﴾ (32) مبيِّنةٌ لجملة الآية التي قبلها وهي قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (24)، فيبتدئُ التَّفصيل من هذه الآية. وقد بيَّن البقاعيُّ مناسبة ابتداء التَّفصيل بما تضمَّنته هذه الآية، في حين لم يبيِّنها ابن عاشور.

8- الآية: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (34)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآية تحوُّيلٌ ليوم القيامة بعد ذكر مجيئه في الآية التي قبلها. وهي دالَّةٌ على جواب الشرط في نظر البقاعيِّ، في حين أنَّ جواب الشرط عند ابن عاشور هو قوله

تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (38).

وأما مناسبتها لما بعدها، وهي علَّة ترتيب المذكورين في هذه الآية والآيتين اللتين بعدها، فاختلف المفسِّران فيها، وسيأتي بيانه في قسم مواضع الاختلاف.

9- الآية: ﴿صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (39)

لم يذكر المفسِّران لها مناسبة، ولعلَّ السَّبب في ذلك كونها تنمَّةً لجملة الآية التي قبلها في وصف وجوه أهل النعيم.

10- الآية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (40)

اتَّفَقَ المفسِّران في مناسبة الآية لما قبلها، بأنَّها إتمام التَّقسيم؛ بتعقيب ذكر القسم الأوَّل من النَّاس بذكر القسم الثاني منهم، من باب التَّنويع عند ابن عاشور، ومن باب المضادَّة عند البقاعيِّ. ولا تعارض بين القولين؛ فهما نوعان بينهما تضادُّ.

11- الآية: ﴿تَرْهَقُهَا قِنَّرَةٌ﴾ (41)

مثل جملة: ﴿صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (39)؛ لم يذكر لها المفسِّران مناسبة، ولعلَّ السَّبب كما ذكر في نظيرتها؛ بأنَّها تنمَّةٌ لجملة الآية التي قبلها في وصف وجوه أهل الجحيم.

الفرع الثاني: مواضع الاختلاف

اختلف المفسِّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (1)

بيَّن ابن عاشور مناسبة الافتتاح بالآية، في حين لم يفعل البقاعيُّ؛ اكتفاءً ببيان مناسبة المقطع الذي هي بدايته.

2- الآية: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ (3)

ذكر ابن عاشور وجهين للمناسبة، في حين اقتصر البقاعيُّ على بيان الغرض من أسلوب الالتفات الذي وردت به الآية.

3- الآية: ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ ﴾ (4)

اتفق المفسران في أن جملة ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ ﴾ معطوفة على جملة ﴿ يَرْجِعْ ﴾، واختلفا في مناسبة العطف؛ فهي عند البقاعي من باب عطف السبب على المسبب، وأمّا عند ابن عاشور فهي من باب تنمّة ذكر الأنواع.

والسبب في اختلاف القولين الاختلاف في تقدير العلاقة بين التزكي والتذكّر، والذي ذكره ابن عاشور من اختلاف التزكي والتذكّر لا يلغي ما ذكره البقاعي من علاقة السببية بينهما.

وأما الجملة الثانية، وهي قوله: ﴿ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ ﴾، فاتفق المفسران في مناسبتها للتي قبلها وذلك على قراءة: ﴿ فَتَنْفَعُهُ ﴾ بالنصب، وهي علاقة السببية؛ بتعقيب السبب (التزكي والتذكّر) بما يتسبب عنه، وأضاف ابن عاشور مناسبة أخرى ناشئة عن قراءة: ﴿ فَتَنْفَعُهُ ﴾ بالرفع، وهي علاقة السببية كذلك، بتعقيب السبب بما يتسبب عنه؛ ولكن السبب هنا مقتصر على التذكّر دون التزكي لأنّه متعلّق العطف.

فمن أسباب اختلاف المناسبة اختلاف القراءة، والاختلاف في تقدير العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه.

4- الآية: ﴿ أَمَّا مَنْ اسْتَعْفَى ﴾ (5)

بيّن البقاعي مناسبة الآية، في حين لم يفعل ابن عاشور.

5- الآية: ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ (6)

اختلف المفسران في مناسبة الآية لما قبلها؛ إذ توجه نظر البقاعي إلى موضوع الآية، وهو بيان حال إقباله صلى الله عليه وسلم على من استغنى المذكور في الآية التي قبلها، وأمّا ابن عاشور فتوجه نظره إلى غرض الآية، وهو بيان مناط العتاب المذكور في الآيات التي قبلها.

فمن أسباب الاختلاف بين المفسرين في المناسبة: أن يبيّن أحدهما مناسبة الآية للآية التي قبلها مباشرةً ويبيّن الآخر مناسبتها لمجموع آيات قبلها، وفي هذه الحال يمكن الجمع بين القولين. ومن الأسباب أيضاً: أن ينظر أحدهما في مناسبة الآية لما قبلها من زاوية موضوعها وينظر الآخر في التناسب من زاوية غرضها.

6- الآية: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (10)

بيّن ابن عاشور مناسبتها، في حين لم يفعل ذلك البقاعي.

7- الآية: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (11)

اختلف المفسران في مناسبة ﴿كَلَّا﴾ لما قبلها، بناءً على الاختلاف في المعنى الذي وردت به في هذا الموضع؛ فلما كانت للردع على رأي البقاعي، رأى أنّ المناسبة تعقيب التلميح بالتصريح، أي: التصريح بالنهي الذي لوحت به الآيات التي قبلها. ولما كانت للإبطال على رأي ابن عاشور، رأى أنّ المناسبة تعقيب ذكر الموقف بإبطاله، وكلا القولين جائز واجتماع الردع والإبطال ممكن.

ثمّ اختلفا بعد ذلك في المناسبة بين جملة: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ وبين: ﴿كَلَّا﴾؛ فهي عند البقاعي تعقيب النهي بتعليقه (بيان أنّ القرآن ليس سوى تذكرة تُبلّغ)، وأمّا عند ابن عاشور فهي إمّا تعقيب إبطال الموقف المذكور بتصحيحه (بيان حقيقة الدعوة)، وإمّا تعقيب ذلك الإبطال الذي جاء في صورة عتاب بيان الغرض منه (بأنّه التنبيه والتذكير وليس الملامة). ولما أمكن الجمع بين مناسبي (كلاً) لما قبلها، أمكن كذلك الجمع هنا تبعاً له.

وزاد ابن عاشور مناسبة أخرى وهي أنّ قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ استئناف ابتدائي للحديث عمّا جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين هؤلاء الكفار مجرداً عمّا جرى مع ابن أمّ مكنوم رضي الله عنه.

8- الآية: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْهُ﴾ (12)

منشأ الاختلاف بين المفسرين في مناسبة الآية هو الاختلاف في جهة المناسبة؛ حيث ربطها البقاعي بمعنى مقدّر قبلها على أنّها مسببة عنه، في حين ربطها ابن عاشور بالآية التي قبلها على أنّها مفرّعة عنها اعتراضاً. والذي يبدو لي أنّه لا حاجة لتقدير ذلك المحذوف الذي رآه البقاعي؛ فما ذكره ابن عاشور من التفرّيع المباشر عن الآية السابقة كافٍ للدلالة عليه.

9- الآيتان: ﴿فِي ضُفُوفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ (13) ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (14)

الآيتان عند ابن عاشور تعقيب للثناء على القرآن في الآيتين قبلهما وهما: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (11) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْهُ﴾ (12) بالثناء عليه من جهة أخرى. وأمّا عند البقاعي، فالآيتان بداية

جُمِلَ مستطردةً في بيان شرف القرآن الكريم.

فمن أسباب الاختلاف في مناسبة الآية الاختلاف في مقصود الآية التي قبلها. وكلا القولين جائز؛ فإمّا أن يتبدى الثناء من الآية 11، أو من الآية 13.

10- الآية: ﴿قِيلَ لِإِنسَانٍ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (17)

اختلاف المفسرين في مناسبة الآية راجع إلى الاختلاف في تحديد المقطع الذي تنتمي إليه؛ فهي عند البقاعي آخر المقطع الثاني، وعند ابن عاشور أول المقطع الثالث، وكلا رأييهما وجية؛ فيمكن الجمع بينهما بأن تكون الآية متنازعة بين المقطعين؛ فيكون الدعاء بالقتل على من كفر بالقرآن المذكور قبلها، وعلى من كفر بالبعث الذي أومأ إليه ما بعدها، وتكون جملة ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجبياً مما كان سبباً في الدعاء بحسب التأويلين.

11- الآية: ﴿مِنَ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (18)

الآية عند المفسرين في الاستدلال على القيامة، ومناسبتها في نظر البقاعي الشروع بها في ذلك الاستدلال، وأمّا عند ابن عاشور فبيان الآية التي قبلها؛ بأنّ إنكار البعث من أصول كفرهم.

فالملاحظ أنّ الآية لمّا كانت بداية مقطع في نظر البقاعي، كشف البقاعي عن مناسبة الافتتاح بها، ولمّا كان المقطع مبتدئاً بالآية التي قبلها في نظر ابن عاشور، كشف ابن عاشور عن مناسبتها لها. وهذا سبب لاختلاف القولين، واختلاف جهات مناسبة الآية مظنةً لإمكان اجتماع الأقوال فيها.

12- الآية: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ (20)

اتَّفَق المفسران في أنّ الآية تحتل معنيين اثنين؛ فإمّا أن يكون المراد تسهيل خروج الإنسان من بطن أمه، وإمّا أنّه تذييل طريق الخير و الشرّ من العمل الإنساني، وهما الطريق إلى الجنة أو النار.

أمّا على المعنى الأوّل، فقد اختلف المفسران في بيان المناسبة؛ حيث كشف البقاعي عن مناسبتها للآية التي قبلها، فأرجعها إلى ترتّب الحدوث، في حين توجه نظر ابن عاشور إلى مناسبتها هي مع الآية التي قبلها للآية التي بعدهما، فأرجعها إلى المقابلة بين مضمون الآيتين ومضمون الآية التي بعدهما، على النحو المبين في موضعه. ولعلّ سبب انصرافه عن بيان

المناسبة بين الآية والآية التي قبلها هو وضوحها، فيكون اتِّفَاقُ بينهما فيها، واجتماع المناسبتين المصرَّح بهما جائزٌ لاختلاف جهات المناسبة.

وأما على المعنى الثاني: فقد اختلفا في مناسبة الآية لما قبلها، وهي عِلَّةُ التَّرتيب بينهما؛ حيث أرجعها البقاعيُّ إلى التَّرتُّب في الحدوث، في حين أرجعها ابن عاشور إلى الارتقاء التَّرتُّبي في الاستدلال من العجيب إلى الأعجب، ولا تعارض بين القولين إذ يمكن الجمع بينهما.

13- الآية: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ﴾ (21)

اختلف المفسِّران في مناسبة الآية؛ فهي عند البقاعيِّ تعقيبُ الآية التي قبلها بما هو سببٌ لما أومأت إليه، وأما ابن عاشور فقد فصلَّ القول في جمليَّ الآية، فذكر أنَّ مناسبة الجملة الأولى هي العطف التَّرتُّبي على الآية التي قبلها في الاستدلال على القُدرة، وأنَّ الجملة الأولى - في الوقت نفسه - تمهيدٌ لما فُرع عليها من الامتنان المدمج في ذلك الاستدلال، وهو الجملة الثانية. فبيَّن أحدهما وجه الارتباط، وبيَّن الآخر عِلَّةَ التَّرتيب.

والجمع بين قولَي المفسِّرين ممكنٌ؛ إذ لا تعارض بينهما كما هو ظاهرٌ، حيث ذكرت الآية سبب ما أومأت إليه الآية التي قبلها (وهو الموت)، وهو متأخِّر في التُّبوة عمَّا ذُكر في تلك الآية (تيسير السبيل)، وهو في الوقت نفسه تمهيدٌ لما في الجملة الثانية من الآية (الإقبار).

14- الآية: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ (22)

الآية عند المفسِّرين من مقطعٍ في الاستدلال على البعث، وهي عندهما في تحقيق أمر البعث، وذلك كالنتيجة عقب الاستدلال عليه عند ابن عاشور، وأما عند البقاعيِّ فهو من باب تعقيب ذكر الإمامة والإقبار بما يكون بعدهما.

فالبقاعيُّ نظر في العلاقة المباشرة بين ما ذُكر في الآية وما ذُكر في الآية التي قبلها، وهي ترتُّب الحصول، في حين نظر ابن عاشور إلى العلاقة بين ما ذُكر في الآية وما ذُكر في الآي التي قبلها من المقطع نفسه، وذلك في سياق غرض المقطع، فكانت الآية كالنتيجة لما تقدَّمها من الاستدلال.

فاختلاف جهة النَّظر في المناسبة من أسباب الاختلاف في المناسبة، ولا تعارض بين المناسبات إن اختلفت الجهات، والجمع بينهما حينئذٍ ممكنٌ. وانفرد ابن عاشور ببيان مناسبة

الجملة الاعتراضية: ﴿إِذَا شَاءَ﴾.

15- الآية: ﴿كَلَّا لَمَاقِضٌ مَا أَمَرُهُۥ﴾ (23)

اختلف المفسران في مناسبة الآية بناءً على الاختلاف في تحديد متعلق الردع والزجر والإبطال الذي تفيد (كلاً)؛ فلما كان متعلق الردع والإبطال عند البقاعي ما قد يفهم خطأً من قوله: ﴿ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرُهُۥ﴾ (20) كانت المناسبة الاحتراس منه، ولما كان متعلق الردع والإبطال عند ابن عاشور إمّا شبهة الكفار التي تفهم من قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ انفِثْرُهُۥ﴾ (22)، فكانت المناسبة إبطال تلك الشبهة والجواب عنها، والزجر والردع عنها، وإمّا الجملة التي بعد حرف الردع والزجر، وهي قوله: ﴿لَمَاقِضٌ مَا أَمَرُهُۥ﴾، وتقديمه عليها للاهتمام به، فمناسبة الآية حينئذ هي الجواب عن السؤال الناشئ عن قوله: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (18) إلى قوله: ﴿انفِثْرُهُۥ﴾ (من الآية 22). وجميع ما ذكر أوجه جائزة.

16- الآية: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِۥ﴾ (24)

الآية بداية مقطع عند المفسرين. وقد ذهب البقاعي إلى أنّها مسببة عن الشروع في الغرض الذي سيق المقطع لأجله، وذهب ابن عاشور إلى أنّها إمّا مفرّعة على الآية التي قبلها مباشرة، وإمّا على قوله: ﴿مَا أَكْفَرَهُۥ﴾ (من الآية 17)، والفاء في كلتا الحالتين مع كونها للتفريع، تفيد معنى الفصيحة على النحو المبين في موضعه.

وكل ذلك جائز، وكذلك اجتماعه جائز؛ فتوجيه النظر إلى الطعام ممّا أمر به الإنسان، والغرض منه هو الوقوف على دليل من أدلة البعث، فيخرج به من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، فالنظر هو الأداة والوسيلة لفهم آيات الله الكونية، ودلائلها على قدرة الله تعالى على كلّ شيء، ومن ذلك البعث.

17- الآية: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (26)

كشف البقاعي عن مناسبة الآية، في حين لم يفعل ابن عاشور.

18- الآية: ﴿فَأَبْنَأُ فِيهَا جِبًّا﴾ (27)

يرى ابن عاشور أنّ الآية مفرّعة على الآية التي قبلها، ولم يبيّن كيف هذا التفريع، وأمّا البقاعي فذكر أنّ المناسبة تعقيب الشيء (الشق) بما يتسبب عنه.

والملاحظ أنّ ما ذكره البقاعي يفسّر ما ذكره ابن عاشور؛ فقد يرد القول مجملًا عند أحد

المفسرين ويفسره قول الآخر.

وانفرد البقاعي عن ابن عاشور ببيان المناسبة بين أنواع النّبات المذكورة في هذه الآيات، ومما بيّنه مناسبة ابتدائها بما ورد في هذه الآية وهو الحُبُّ.

19- الآيات: ﴿وَعِنْبًا وَقَضْبًا ۖ (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ (30) وَفَلَكِهِمْ وَأَبًا ۖ (31)﴾

كشف البقاعي عن المناسبة بين أنواع النّبات المذكورة في كلّ آية من الآيات لما ذكر في الآية التي قبلها، ولم يفعل ذلك ابن عاشور.

20- الآية: ﴿مَنْعًا لَكُمْ لِئَلَّا تُعْمِرُكُمْ ۖ (32)﴾

اختلف المفسران في علة التعقيب بهذه الآية، فهي عند ابن عاشور إدماج الامتنان في خلال الاستدلال، وأمّا عند البقاعي فهي التصريح بأنّ الكلّ عاجزون عن الوفاء بشكر النعمة. فاتفقا في تعقيب الاستدلال بذكر النعمة، واختلفا في مناسبة ذلك. واجتماع القولين جائز كما هو ظاهر.

21- الآية: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۖ (33)﴾

الآية بداية مقطع عند المفسرين، وقد بيّن البقاعي مناسبتها لما قبلها، في حين اكتفى ابن عاشور ببيان مناسبة المقطع الذي هي بدايته للمقطع الذي قبله.

22- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرْتَدُّ مِنَ الْخَيْدِ ۖ (34)﴾ لما بعدها وهو قوله: ﴿وَأُمِدُّهُ وَيَأْمُرُهُ ۖ (35) وَصَلِّبُهُ ۖ (36)﴾

﴿وَيَأْمُرُهُ ۖ (36)﴾

اختلف المفسران في مناسبة الآية لما بعدها، والمقصود بالمناسبة هنا علة ترتيب المذكورين في هذه الآية والآيتين اللتين بعدها؛ إذ أرجعها البقاعي إلى درجة الحُبِّ والذَّبِّ ترتيباً تصاعدياً، وأمّا ابن عاشور فأرجعها إلى قوّة القرابة ترتيباً تصاعدياً، تدرّجاً في تحويل يوم القيامة.

والذي يبدو الأقرب من قوليهما في علة الترتيب هو قول ابن عاشور، وهو الترتيب بحسب رتبة القرابة تصاعدياً دون الذَّبِّ والحُبِّ؛ إذ الحُبُّ غير منضبط ومطرّد عند جميع الناس بالترتيب المذكور، ولا يتوقّف على رتبة المحبوب في القرابة، فقد يُحِبُّ الأبعد أكثر من الأقرب، والذَّبُّ تابع له متوقّف على درجته، وأمّا إن كان الترتيب بحسب قوّة القرابة فهذا يعني أنّها

منضبطة على النحو المذكور في الآيات، تعمُّ الجميع.

23- الآية: ﴿لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ ذُرِّ الشَّانِ يُعْذِرُ﴾ (37)

منشأ الاختلاف بين المفسرين في مناسبة الآية هو الاختلاف في تحديد نوع الاستئناف، فهو عند ابن عاشور ابتدائي لزيادة التَّهْوِيلِ، في حين يفهم من كلام البقاعي أنه استئناف بياني لتعليل الفرار المذكور في الآيات التي قبلها. والجمع بين القولين ممكن؛ بأن يكون تعليل الفرار زيادةً للتَّهْوِيلِ.

24- الآية: ﴿وَجِئُوا يَوْمَ الذُّكْرِ﴾ (38)

بيَّن ابن عاشور مناسبة الآية لما قبلها بأنها جواب الشرط من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ إِصْبَاخُ﴾ (33)، كما بيَّن مناسبتها لما بعدها، وهي علة الترتيب بتقديم ذكر أهل النعيم على أهل الجحيم. في حين اعتبرها البقاعي بداية مقطع جديد، فاكتمل بيان مناسبتها، ولم يبيِّن مناسبة تقديم القسم المذكور فيها على القسم الآخر الذي يليه في الذكر.

25- الآية: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجْرُ﴾ (42)

مناسبة الآية لما قبلها عند ابن عاشور التصريح بما عُلم من السياق، زيادةً في التَّشْهِيرِ بحال الكفار يوم القيامة، وأمَّا عند البقاعي، فهي زيادة التَّهْوِيلِ، باستئناف الإخبار عن أهل الشقاوة.

والذي يترجح عندي من القولين، هو ما ذهب إليه ابن عاشور؛ لأنَّ الاستئناف على النحو الذي ذكره البقاعي لا يتطابق مع مضمون الآية، إلا أن يكون الاستئناف بيانياً كما سبق التنبه إليه.

وفي الأخير، يمكن تلخيص نتائج هذا الفصل فيما يلي:

- لم يكشف ابن عاشور عن مناسبة سورة عبس للسورة التي قبلها، فلم يُظهر موافقةً ولا مخالفةً للبقاعي في هذا النوع من أنواع مناسبات السورة.
- من أصل ستة مقاطع يرى البقاعي أنَّ السورة تتألف منها، وافق ابن عاشور البقاعي في مقطعين، وخالفه في أربعة مقاطع.

وأما مناسبات تلك المقاطع، فوافق ابن عاشور البقاعي في مناسبة مقطع واحد فقط، وهو المقطع الرابع في السورة، وخالفه في مناسبات المقاطع الخمسة المتبقية. وقد رجّحت رأي البقاعي في مناسبة مقطع واحد، في حين لم أرّجح قول أيّ واحدٍ منهما على الآخر في مناسبات المقاطع الأربعة المتبقية؛ إذ يجوز في مناسبة كلّ مقطعٍ منها ما قال به المفسران، والجمع بين قوليهما ممكنٌ فيها جميعاً.

وأما أسباب اختلافهما في مناسبات تلك المقاطع فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- الاختلاف في تحديد الغرض من كلّ مقطعٍ من المقطعين المطلوب وجهٌ تناسبهما.
- الاختلاف في اعتبار بعض الآيات مقطّعةً مستقلاً أو أنّها تابعةٌ للآيات التي قبلها في مقطّعتها.
- اختلاف جهة التعلُّق (جهة المناسبة)، ومن صور ذلك:
 - أن يبحث أحدهما عن مناسبة المقطع الأوّل في السورة لبعض أجزاء السورة السابقة لها، في حين يبحث الآخر عن مناسبتها للسورة التي هو منها.
 - الاختلاف في تحديد الآية أو الآيات التي يرتبط بها المقطع بوجهٍ ما.

ويمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات مقاطع سورة عبس بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة عبس	مجموع المقاطع
عدد مقاطع السورة في نظر البقاعي	6
عدد مقاطع السورة في نظر ابن عاشور	5
المقاطع المتفق في تحديدها	2
المقاطع المختلف في تحديدها	4
المقاطع المتفق في مناسبتها	1
المقاطع المختلف في مناسبتها	5
ترجيحي لقول البقاعي في المناسبة	1
ترجيحي لقول ابن عاشور في المناسبة	0
إمكان الجمع بين القولين في المناسبة	4

• في مناسبات آيات السُّورة: وافق ابن عاشور البقاعي في مناسبات عشر آيات، وخالفه في مناسبات ثماني عشرة آيةً، وأيتان كلاهما لم يذكر لهما مناسبتيهما، وأربع آيات انفرد البقاعي بعدم الكشف عن مناسباتها، وثمان آيات انفرد ابن عاشور بعدم الكشف عن مناسباتها، فتلك اثنتان وأربعون آيةً في سورة عبس.

فلملاحظ أنَّ مخالفة ابن عاشور للبقاعي في مناسبات آيات سُورة عبس أكثر من موافقته له. وأمَّا ما رأيت أنه الرَّاجح من القولين في كلِّ آيةٍ من الآيات المختلف في مناسباتها، فما قال به ابن عاشور في أربع آيات، وأمَّا بقيَّة الآيات المختلف فيها، وعددها أربع عشرة آيةً، فيجوز في كلِّ آيةٍ منها ما قال به المفسِّران، والجمع بين قوليهما ممكنٌ في اثني عشرة آيةً منها.

ويمكن تلخيص أسباب اختلاف المفسِّرين في مناسبات آيات من سورة عبس في النقاط

الآتية:

- اختلاف القراءة.
- الاختلاف في تقدير العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه.
- الاختلاف في مقصود الآية التي قبلها.
- الاختلاف في المعنى الذي وردت به بعض حروف المعاني (كلاً على سبيل المثال).
- الاختلاف في تحديد نوع الاستئناف.
- الاختلاف في تحديد المقطع الذي تنتمي إليه الآية؛ فإراها أحدهما آخر المقطع، وإراها الآخر أوَّل المقطع الذي يليه، فيختلفان في مناسبة الآية والآية التي تليها، لاختلاف جهة المناسبة.
- اختلاف جهة المناسبة: ومن صور ذلك:
 - أن يبيِّن أحدهما مناسبة افتتاح المقطع بالآية، ويبين الآخر مناسبتها لما قبلها من الآية.
 - أن يبيِّن أحدهما مناسبة الآية للآية التي قبلها مباشرةً، ويبين الآخر مناسبتها لمجموع آيات قبلها، أو لمحدوفٍ مقدَّرٍ قبلها
- اختلاف زاوية النَّظر:
 - أن ينظر أحدهما في مناسبة الآية لما قبلها من زاوية موضوعها، وينظر الآخر في التَّناسب من زاوية غرضها.

- أن يبيّن أحدهما وجه الارتباط بين الآيتين، ويبين الآخر علّة الترتيب.
- في علّة الترتيب بين الآيتين، ينظر أحدهما من زاوية ترتّب الحدوث، وينظر الآخر من زاوية أخرى كقوة الاستدلال مثلاً.

كما يمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات آيات سورة عبس بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة عبس	مجموع الآيات
آيات السورة	42
اتّفا في المناسبة	10
البقاعي لم يبيّن المناسبة	4
ابن عاشور لم يبيّن المناسبة	8
كلاهما لم يبيّن المناسبة	2
اختلفا في المناسبة	18
جواز رأييهما	14
إمكان الجمع بين رأييهما	12
ترجيحي لرأي البقاعي	0
ترجيحي لرأي ابن عاشور	4

* * *

الفصل الرَّابِع: مناسبات سورتي التَّكْوِيرِ وَالانْفِطَارِ

بَيْنَ الْبِقَاعِيِّ وَابْنِ عَاشُورٍ

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: مناسبات سورة التَّكْوِيرِ بَيْنَ الْبِقَاعِيِّ وَابْنِ عَاشُورٍ

المبحث الثَّانِي: مناسبات سورة الانْفِطَارِ بَيْنَ الْبِقَاعِيِّ وَابْنِ عَاشُورٍ

* * *

توطئة:

يجمع هذا الفصل بين مقارنة مناسبات سورة التكوير بين البقاعي وابن عاشور، ومقارنة مناسبات سورة الانفطار بينهما أيضاً، وذلك من خلال كتابيهما «نظم الدرر» و«التحجير والتنوير» على الترتيب، فجاء الفصل في مبحثين اثنين كما يلي:

المبحث الأول: مناسبات سورة التكوير بين البقاعي وابن عاشور

سورة التكوير مكيّة، وعدد آياتها تسع وعشرون، إجماعاً⁽¹⁾. ويتناول هذا المبحث بيان مدى عناية البقاعي وابن عاشور بالكشف عن مناسبات هذه السورة، ثمّ المقارنة بين ما توصّلا إليه في مناسباتها؛ قصد الوصول إلى جزء من الإجابة عن إشكاليّة هذه الدّراسة، باعتبار هذه السورة جزءاً من عيّنتها، فجاء المبحث في ثلاثة مطالب، وهي كالآتي:

المطلب الأول: مناسبات سورة التكوير عند البقاعي

يستعرض هذا المطلب مناسبة سورة التكوير للسورة التي قبلها، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها، وذلك وفقاً لاجتهادات البقاعي.

الفرع الأول: مناسبة سورة التكوير لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعي

سورة التكوير هي السورة رقم: 81 في ترتيب المصحف، والسورة التي قبلها هي سورة عبس، فكيف يرى البقاعي التّناسب بين السّورتين؟ وما هي مقاطع سورة التّكوير في نظره؟ وما أوجه المناسبات بينها؟ ذلك ما سيتمُّ بحثه في العنصرين الآتيين.

أ- المناسبة بين سورة التكوير وسورة عبس عند البقاعي:

يرى البقاعي أنّ تناسب السّورتين حاصلٌ من جهتين:

الجهة الأولى: ارتباط مقصود التكوير بمقطع من مقاطع عبس

بيّن البقاعي مقصود سورة التكوير فقال: "مقصودها التّهديد الشّديد بيوم الوعيد ... لمن كذّب بأنّ هذا القرآن تذكرةٌ لمن ذكره في صحفٍ مكرّمة مرفوعةٍ مطهّرةٍ بأيدي سفرةٍ، والدّلالة

(1) البقاعي، مساعد النّظر، (160/3)، ابن عاشور، التّحجير والتّنوير، (139/30).

على حقيّة كونه كذلك⁽¹⁾. أي أنّ مقصودها التّهديدُ بيوم القيامة لمن كذّب بما ذُكر في أحد مقاطع السّورة الّتي قبلها (المقطع الثّاني من سورة عبس)، مِنْ أنّ القرآن تذكّرٌ لمن ذكره، والدّلالةُ على أنّ وصفه بذلك حقٌّ.

فارتبط المقصود بالمقطع المشار إليه من وجهين؛ تأكيد ما فيه، والتّهديد لمن كذّب به، وكلاهما تعليلٌ لترتيب السّورتين.

الجهة الثّانية: تناسب مطلع التّكوير ومقطع عبس

كشف البقاعي عن المناسبة بين مطلع التّكوير ومقطع عبس فقال: "لَمَّا حُتِمَت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصّاحّة لجحودهم بما لهذا القرآن من التّذكرة، ابتدئَتْ هذه بإتمام ذلك، فسوّر ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتّى كأنّه رأي عين⁽²⁾، ثُمَّ ذُكر أنّ سياق المطلع للتّرهيب⁽³⁾.

فالمناسبة أنّ المطلع تصوّرٌ لليوم المتوعّد به في المقطع، بما يكون فيه من الأهوال؛ ترهيبًا منه. فمطلع التّكوير من تمام مقطع عبس، وهذا الوجه من المناسبة معلّلٌ لترتيب السّورتين.

ويُستنتج من جهتي التّناسب المذكورتين أنّ سورة التّكوير تتمّةٌ لسورة عبس؛ إذ ارتبطت بمقطعها مقصودًا ومطلعاً.

ب- مناسبات مقاطع سورة التّكوير عند البقاعي:

يرى البقاعي أنّ السّورة مؤلّفة من مقطعين متناسبين، وأنّ المقطع الأوّل مؤلّف من مقطعين فرعيتين متناسبين، وذلك على النحو الآتي:

(1) البقاعي، نظم الدرر، (274/21).

(2) نفسه، (275/21).

(3) ينظر: نفسه، (284/21).

1- مناسبة المقطع الأول:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ ﴾ (التكوير: 1-14)

كشف البقاعي عن مناسبة المقطع الأول من السورة -على أساس أنه مطلعها- لمقطع عبس، وقد سبق بيانها قريباً بأنها إتمام الوعيد بوصف أهوال اليوم المتوقع به من عالم الملك والمملوك. فالمقطع الأول عنده مؤلف من مقطعين فرعيين:

• المقطع الفرعي الأول: (الآيات: 1-6). وهو في ذكر ما يكون من أهوال عالم الملك والشهادة.

• المقطع الفرعي الثاني: (الآيات: 7-14). وهو في ذكر ما يكون من أهوال عالم الغيب والمملوك.

ومناسبة تقديم أهوال عالم الملك على أهوال عالم المملوك، وهي علة الترتيب، تتجلى في قوله: "فقال بادئاً بعالم الملك والشهادة لأنه أقرب تصوُّراً، لِمَا يَغْلِبُ على الإنسان من الوقوف مع المحسوسات"⁽¹⁾.

كما بيّن أيضاً وجه ارتباط المقطعين الفرعيين فقال: "ولمّا ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين ومن السفلية أربعة، فأفهم جميع الخلق أنّ الأمر في غاية الخطر، فتشوّفت النفوس إلى ما يفعل، قال ذاكراً لِمَا أراد من عالم الغيب والمملوك، وهو أمورٌ سيّئة، على عدد ما مضى من عالم الملك والشهادة، ترغيباً في الأعمال الصالحة والقرناء الصالحين"⁽²⁾. فالارتباط بينهما حاصل بوجهين: الأول: التعقيب بذكر ما تشوّفت النفوس إلى معرفته، والثاني: المقابلة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، أو عالم الملك وعالم المملوك.

(1) البقاعي، نظم الدرر، (275/21).

(2) نفسه، (279/21).

وتبَّه البقاعيُّ إلى وقت حصول تلك الأهوال، فقال: "وجميع هذه الأشياء الاثني عشر المعدودة، المذكورة في حيز ﴿إِذَا﴾، في الآخرة بعد النَّفخة الثانية" (1).

2- مناسبة المقطع الثاني:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ﴾ (15) ﴿الْجَوَارِ الْكُنُفِ﴾ (16) ﴿وَالْيَلِ إِذَا عَسَّسَ﴾ (17) ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَّسَ﴾ (18) ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾
﴿كَرِيمٍ﴾ (19) ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (20) ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (21) ﴿وَمَا صَجَّكَرُ بِمَجْنُونٍ﴾ (22) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾
﴿23﴾ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (24) ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ﴾ (25) ﴿فَأَن تَذَهَبُونَ﴾ (26) ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (27)
﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (28) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (29) (التكوير: 15-29)

يرى البقاعيُّ أنَّ سياق سورة التكوير للتَّرهيب، وجاء ذلك بعد الوعيد بالكفرة في آخر سورة عبس؛ فالسِّياق كلُّه لهم، وأنَّه لَمَّا أخبر تعالى أنَّ بعد تلك الأهوال تَعَلَّم كلُّ نفسٍ ما أحضرت (في الآية 14)، وكان أعظم ما يحضُّره الكفرة من أعمالهم بعد الشِّرك التَّكذيب بالحقِّ، وأعظمه التَّكذيب بالقرآن، سَبَّب عن هذا التَّهديد القَسَم على عظيم قَدْر القرآن (2)؛ فللمناسبة بين مقطعي السُّورة تعقيبُ تهديد الكفرة والوعيد بهم، بالقَسَم على عظيم قدر ما كفروا وكذَّبوا به وهو القرآن العظيم.

أمَّا القَسَم؛ فواقعٌ بترك الإقسام بأشياء هي في أعلى مقامات الإجلال والإعظام، لأجل حَقِّيَّة القرآن، لأنَّه لشدَّة ظهوره وانتشار نوره غنيٌّ عن قَسَم. ولَمَّا يلحق تلك الأشياء من عيوب، والقرآن منزَّه عن كلِّ شائبة نقصان. (3)

ووضَّح البقاعيُّ كيف يحصل القَسَم بترك القَسَم فقال: "فإنَّ نفي الإقسام بها، بما ذكر من نقائصها، كالإقسام بها مع بيان أنَّ المُقسَم عليه أعظم منها بما لا يقايس" (4). وبينَّ وجه حَقِّيَّة القرآن بأن لا يُقسَم عليه بتلك الأشياء، ببيان النَّقص الذي فيها ونفيه عن القرآن (في

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (283/21).

(2) ينظر: نفسه، (284/21).

(3) ينظر: نفسه، (285-284/21)، بتصرُّف يسير.

(4) نفسه، (288/21).

الحُسن الجوار الكُنس والليل)، أو ببيان قصورها عن القرآن فيما تميّزت به (في الصُّبح).⁽¹⁾

الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة التَّكْوِير عند البقاعي

يرى البقاعي أنّ تناسب آيات سورة التَّكْوِير واردٌ على النحو الآتي:

1- مناسبة الآية: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾⁽¹⁾

الآية بداية مقطع في الوعيد بيوم القيامة، بتصوير ذلك اليوم بما يكون فيه من الأهوال، وهي بداية المقطع الفرعيّ الأوّل منه، الذي هو في ذكر أهوال عالم الملك. وبعدهما بين البقاعي مناسبة المقطع ومناسبة مقطعه الفرعيّ الأوّل، بين مناسبة الابتداء بما تضمّنته هذه الآية وهو وصف الشَّمس، فأرجعه إلى أنّها: "أعظم آيات السَّماء الظَّاهرة وأوضحها لِلْحَسَنِ"⁽²⁾.

2- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾⁽²⁾

بين البقاعي مناسبة تعقيب ذكر الأثر في الشَّمس بذكر الأثر في النُّجوم فقال: "ولمّا كان التأثير في الأعظم دالًّا على التأثير فيما دونه بطريق الأولى، أتبع ذلك قوله معممًا بعد التَّخصيص: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ﴾ أي كلّها صغارها وكبارها"⁽³⁾. فعطف الآية على التي قبلها عند البقاعي عطفٌ للعام على الخاص، والمناسبة: تصريح الآية بمدلول التي قبلها.

3- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾⁽³⁾

وضّح البقاعي مناسبة الآية مع ما بعدها لما قبلها بقوله: "ولمّا بدأ بأعلام السَّماء لأنّها أشهر وأعمُّ تخويفًا وإرهابًا، وذكر منها اثنين هما أشهر ما فيها وأعمُّها نفعًا، أتبعها أعلام الأرض"⁽⁴⁾. فالمناسبة: المقابلة.

وأما مناسبة ابتداء أعلام الأرض بالجبال، فلأنّها أصلب ما فيها، مثل الابتداء بالشَّمس من عالم السَّماء لأنّها أعظم وأوضح، ولأنّ الجبال في الأرض كالنُّجوم في العالم العلويّ.⁽⁵⁾

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (287-285/21).

(2) نفسه، (275/21).

(3) وانكدرت النُّجوم أي: "انقضت فتهوت وتساقطت وتناثرت... أو أظلمت، من كدرت الماء فانكدر" (نفسه، 276/21).

(4) نفسه.

(5) ينظر: نفسه.

4- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿4﴾﴾

بيّن البقاعي مناسبة الآية لما قبلها فقال: "ولمّا ذكر أعلام الجماد، أتبعه أعلام الحيوان النافع الذي هو أعزُّ أموال العرب وأغلبها، على وجه دلّ على عِظَم الهول" (1). فالمناسبة: ما بين الجماد والحيوان من التّقابل. وأمّا تخصيص الحيوان الأليف التّفيس بالذّكر، فللدلالة على عِظَم الهول بأنّ النّاس تحمله.

5- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿5﴾﴾

مناسبة الآية عند البقاعي تقريب الأمر المراد الذي دلّت على عظمتها مُقَرِّعات الآيات التي قبلها بإفهام أنّه الحشر. (2)

6- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿6﴾﴾

مناسبة الآية لما قبلها عند البقاعي أنّها بعدما أفهمت الآية السّابقة أنّ الأمر متعلّق بالحشر، كتّت هذه عمّا ينال أهل الموقف من الشّدائد من شدّة الحرّ، بذكر ملء البحار وإحماؤها، وتفجير بعضها إلى بعض حتى تصير بحرًا واحدًا، ولا يكون ذلك إلا وقد حصل من الحرّ ما يُذيب الأكباد. (3)

7- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿7﴾﴾

الآية بداية المقطع الفرعيّ الثاني، الذي هو- عند البقاعي- في ذكر ما يكون من أهوال عالم الغيب والملكوت كما سبق بيانه، فذكر فيه سِتّة أمورٍ على عدد ما مضى ذكره في المقطع الذي قبله من أهوال عالم الملك والشّهادة. ويرى البقاعي أنّ ترتيبها جاء مناسبًا لترتيب السِتّة التي قبلها، فالابتداء بذكر تزويج النّفوس لمناسبته لتكوير الشّمس حيث قال: "وابتداء بما يناسب: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ﴾ أي من كلّ ذي نفس من النّاس وغيرهم ﴿زُوِّجَتْ﴾ أي قرنت بأبدانها وجمع كلّ من الخلق إلى ما كانت نفسه تألفه وتنزع إليه، فكانوا أصنافًا كما قال تعالى: ﴿انْحَسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿22﴾﴾ من دون الله ﴿(الصّافات: 22)﴾، وجزء من

(1) ﴿العِشَارُ﴾: "التُّوق التي أتى على حملها عشرة أشهر"، عُطِّلَتْ: "أي تركت مهملة" (البقاعي، نظم الدرر، 277/21).

(2) ينظر: نفسه، (278/21).

(3) ينظر: نفسه، (279-278/21).

(الآية 23)، وإلتفاف الأزواج كالتفاف الشمس حتى يذهب نورها".⁽¹⁾

8- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾⁽⁸⁾

وجه ارتباط الآية بما قبلها عند البقاعي أنه سبحانه وتعالى لما صرح بالبعث في الآية التي قبلها، أعقبه في هذه بذكر المقصود الأعظم منه وهو السؤال، على وجه يفهم العموم.⁽²⁾ وشرح البقاعي كيف يفهم هذا السؤال العموم بقوله: "ولما كان هذا أهون القتل عندهم، وكانوا يظنون أنه مما لا عبرة به، بين أنه معتنى به"⁽³⁾، وقال في موضع آخر: "ويؤخذ من سؤال المؤدة"⁽⁴⁾ تحريم الظلم لكل أحد، وكف اليد واللسان عن كل إنسان"⁽⁵⁾. وأما علة الترتيب عنده، فقد سبق التنبية إليها بأنها راجعة إلى موافقة ترتيب السنة الأول من أشراف عالم الملك، فقال البقاعي عن هذه الآية: "والقاؤها في البئر المحفور لها (يعني الموءودة) قريب من انكدار النجوم وتساقطها"⁽⁶⁾.

9- مناسبة الآية: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾⁽⁹⁾

يرى البقاعي أن الآية مستأنفة تخويفاً للوالدين، والظاهر أنه يقصد الاستئناف البياني، الناشئ عن الإخبار بسؤال الموءودة. وذكر أن سؤالها إنما هو على وجه التبكيت لقاتلها.⁽⁷⁾

10- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾⁽¹⁰⁾

يتجلى وجه ارتباط الآية بالآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "ولما دل هذا على عموم السؤال، ذكر ما ينشأ عنه مما يدل على النعيم أو التكال فقال: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ أي الأوراق التي كتبت فيها أعمال العباد ﴿نُشِرَتْ﴾"، وأما علة الترتيب ففي قوله: "ونشرها مثل تسيير

(1) البقاعي، نظم الدرر، (279/21).

(2) ينظر: نفسه.

(3) نفسه، (280/21).

(4) هكذا كتبها البقاعي حتى في نص الآية، قال الألوسي: "وقرأ البزي في رواية: المؤدة" (شهاب الدين الألوسي، روح المعاني،

52/30). وهذا ما يؤكد ما سبق ذكره من أن البقاعي لا يعتمد قراءة محددة.

(5) البقاعي، نظم الدرر، (281/21).

(6) نفسه، (280/21).

(7) ينظر: نفسه.

الجمال وتطيرها".⁽¹⁾

11- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (11)

يظهر وجه ارتباط الآية بما قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمَّا ذُكِرَ ما يُطْلَقُ ويُنْشَرُ، أتبعه ما يُطَوَى ويُحْصَرُ، ليبدو ما فوقه من العجائب ويُنْظَرُ"⁽²⁾؛ فالمناسبة راجعة إلى تقابل الأحوال. وأمَّا عِلَّةُ التَّرتيبِ ففي قوله: "وكشطها هو مثل انكشاف النَّاسِ عن العشار وتفريقهم عنها"⁽³⁾، فهي متابعة لترتيب أشراف عالم الملك والشَّهادة بما يوافقها ويقارب معانيها.

12- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ (12)

يرى البقاعي أنَّ الآية ذِكرٌ لما يتسبَّب عمَّا ذُكِرَ في الآية الَّتِي قبلها، فقال: "ولمَّا زالت الموانع، ظهرت عجائب الصَّناعات الَّتِي هي غايات المطالب ونهايات الرِّغائب والرَّهائب، فقال: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ﴾...".⁽⁴⁾

وأما عِلَّةُ ترتيبها، فليتوافق مع قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (5)، للتقارب بين العُسر الحاصل من إيقاد الجحيم وتقريبها من الكافرين والهول الحاصل من حشر الوحوش.⁽⁵⁾

13- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ (13)

مناسبة الآية للآية الَّتِي قبلها عند البقاعي تتمثل في المقابلة، حيث قال: "ولمَّا ذُكِرَ دار الأعداء البعداء ترهيبًا، أتبعه دار المقرِّبين السُّعداء ترغيبًا"⁽⁶⁾، فالمقابلة بين الجحيم والجنة من جهة، وبين التَّرهيب والترغيب من جهةٍ أخرى. وذُكر أيضًا أنَّ الآية من الاحتباك فقال: "ذِكر التَّسعير أوَّلًا دالٌّ على ضِدِّه في الجنة ثانيًا، وذِكر التَّقريب ثانيًا دالٌّ على مثله أوَّلًا"⁽⁷⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر، (281/21)

(2) وشرح ﴿كُشِطَتْ﴾ بقوله: "أي قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة، وأزيلت عن مكانها الَّتِي هي ساترةٌ له محيطَّةٌ به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الَّذِي هو كالروح لها، كما يُكشَطُ الإهاب عمَّا هو ساترٌ له ومحيطٌ به مع شدَّة الالتزاق به". (نفسه).

(3) نفسه، (281/21-282).

(4) نفسه، (282/21).

(5) ينظر: نفسه.

(6) نفسه.

(7) نفسه، (282/21-283).

14- مناسبة الآية: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿14﴾﴾

الآية عند البقاعيّ جملةٌ جواب الشرط في ﴿إِذَا﴾ وما عطف عليها. وقد شرح المناسبة بين الشرط وجوابه بأن تلك الشروط -التي هي جميعاً من أحداث ما بعد البعث- أوجبت لهولها انصراف الفكر عن أمور الدنيا إلى الاهتمام بمصيرها، فأوجب ذلك العلم بما يُرجي نعيماً أو يوجب جحيماً. وهذا الذي قاله في المناسبة بين الأحداث. وأمّا المناسبة بالنسبة للسمع، فهي تشوّفه إلى معرفة ما يكون بعد تلك الشروط، فكشّف الجواب عنه.⁽¹⁾

15- مناسبة الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿15﴾﴾

الآية عند البقاعيّ بداية مقطع في الإقسام على عظيم قدر القرآن، وقد سبق بيان مناسباته لما قبله. وأمّا الآية، فجملة القسم. وقد بيّن البقاعيّ وجه المناسبة بين الأشياء المذكورة، دون أن يبيّن مناسبة الابتداء بالخُنُوس.⁽²⁾

16- مناسبة الآية: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿16﴾﴾

مناسبة الآية عند البقاعيّ أنّه عزّ وجلّ لمّا ذكر الخُنُوس في الآية السابقة، أبدل منها في هذه أعظمها وهي السّيّارة.⁽³⁾

17- مناسبة الآية: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿17﴾﴾

الآية عند البقاعيّ مقابلةٌ للآيتين اللّتين قبلها، وهي من الاحتباك، حيث قال: "ولمّا ذكر غيابها (يعني الكواكب بخنوسها وكنوسها) ففهم منه محله وهو النهار، ذكر محلّ ظهورها فأفهم الظهور"، وقال: "والآية من الاحتباك: ذكر خنوس الكواكب وكنوسها أوّلاً يفهم ظهورها ثانياً، وذكر الليل ثانياً يفهم حذف النهار أوّلاً".⁽⁴⁾

(1) ينظر: البقاعيّ، نظم الدرر، (283/21).

(2) ﴿الْخُنُوسِ﴾: "الكواكب التي يتأخّر طلوعها عن طلوع الشمس، فتغيب في النهار لغلبة ضياء الشمس لها، وهي النجوم ذوات الأنواء التي كانوا يعظّمونها بنسبة الأمطار والرّحمة -التي ينزلها الله- إليها" (نفسه، 285/21).

(3) ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾: "أي السّيّارة التي تختفي وتغيب بالنهار تحت ضوء الشمس"، و﴿الْكُنُوسِ﴾: من الكنوس، وهو أن تأوي إلى مكانسها، وهي بيوتها، والمعنى: غروبها. (ينظر: نفسه، 285/21-286).

(4) وعسّس الليل: أقبل ظلامه، وقيل: أدبر، وقيل: أظلم، وقيل: انتصف، وقيل: انقضى. (ينظر: نفسه، 286/21)

18- مناسبة الآية: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ (18)

تتجلى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمّا كان ربّما ظنّ ظانّاً أنّ ما نقص بالظلام عن صلاحية الإقسام يتأهّل ذلك بزواله، قال نافيّاً لذلك: ﴿وَالصُّبْحُ﴾ أي الذي هو أعدل أوقات النهار... "(1). فللمناسبة: الاحتراس ممّا قد يتوهّمه السامع من أنّ عدم تأهّل الشيء لأنّ يُقسّم به على القرآن بسبب نقص فيه، يعني أنّ ضده السالم من ذلك النقص يتأهّل له.

19- مناسبة الآية: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19)

الآية عند البقاعي جملة جواب القسم، حيث قال: "ولمّا بيّن أنّ هذه الأشياء تصغر عن أن يُقسّم بها على شيء من فضائل القرآن، لمّا له من عظيم الشأن، قال مجيباً لذلك، إخباراً عمّا هو محقّق في نفس الأمر أعظم من تحقّق هذه الأشياء المُقسّم بها، هادٍ إلى مصالح الدارين أكثر من هدايتها، مبيّناً للسّفيرين به الملكي والبشري، عليهما الصلّاة والسّلام والتّحيّة والإكرام، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ "(2).

فذكر في هذه الآية الرّسول الملكي، وهو جبريل عليه الصلّاة والسّلام، فوصفه ببيان منزلته عنده ووجاهته وبيان قدره ونفوذ كلمته، وهو ما يفهم حفظ القول الذي أرسل به، من غير تحريف ولا تغيير بوجه من الوجوه، فقال: ﴿كَرِيمٍ﴾ (3).

20- مناسبة الآية: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (20)

مناسبة الآية عند البقاعي التّصريح بما دلّت عليه الآية التي قبلها، تأكيداً له. فبعدما فسّر الكرم بأنّه: "اجتماع كمالات الشيء اللاتقة به"، قال: "ولمّا اقتضى هذا القوّة، صرّح به تأكيداً فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، وأكّد القوّة بقوله: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ "(4).

(1) وتنفس الصُّبْحُ: "أضاء وأقبل روحه ونسيمه، وأنسه ونعيمه، واتسع نوره، وانفج به عن الليل ديجوره". (البقاعي، نظم الدرر،

287/21). وقد سبق ذكر أنّ القسم جاء بترك الإقسام بالأشياء المذكورة لأجل النقص الذي يلحقها.

(2) نفسه، (287/21-288). بتصرفٍ بالحذف.

(3) ينظر: نفسه، (288/21-289).

(4) نفسه، (289/21)، بتصرفٍ بالحذف اليسير.

21- مناسبة الآية: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ﴾ (21)

تتجلى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمَّا كان المتمكِّن في نفسه قد لا يكون له أعوانٌ، قال: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ﴾ أي في الملاء الأعلى، فَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أطوع شيء له، ولمَّا كان ذلك يقتضي الأمانة، صرَّح بها فقال: ﴿أَمِينٌ﴾".⁽¹⁾

22- مناسبة الآية: ﴿وَمَا صَجَّحِكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (22)

مناسبة الآية عند البقاعي أنَّه لمَّا كان المقصود من الإخبار بأوصاف الرِّسُولِ المَلَكِيِّ - في الآيات التي قبلها - بما يزيل عن القرآن أيُّ لبسٍ، إثبات شرف الرِّسُولِ البَشَرِيِّ، بأنَّ ما يقوله كلام الله حقًّا، أعقبه بقوله: ﴿وَمَا صَجَّحِكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾؛ تبيكتًا لهم، وإبطالًا لاتهممهم له بالجنون.⁽²⁾

23- مناسبة الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْيَمِينِ﴾ (23)

يرى البقاعي أنَّ الآية مناسبةٌ لمحدوفٍ مقدَّرٍ قبلها، ووجه المناسبة: جَمْعُ حِسِّ البَصْرِ إلى حِسِّ السَّمْعِ تأكيدًا لمصدر التَّلَقِّي، حيث قال: "ولمَّا كان المجنون لا يُثبت ما يسمعه ولا ما يبصره حقًّا الإثبات، فكان التَّقدير بعد هذا النَّقي: فلقد سمع من رسولنا إليه ما أرسل به حقًّا السَّمْع⁽³⁾، ما التبس عليه فيه حقٌّ بباطلٍ، عَطَفَ عليه الإخبار برفعه شأنه في رؤية ما لم يره غيره وأمانته وجوده فقال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أي المرسل إليه، وهو جبريل - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - على صورته الحقيقيَّة، ليلة المعراج وبعرفات، جامعًا إلى حِسِّ السَّمْعِ حِسِّ البَصْرِ ﴿بِالْأَفْقِ الْيَمِينِ﴾ أي الأعلى الذي هو عند سدرة المنتهى، حيث لا يكون لبسٌ أصلًا، ولا يكون لشيطانٍ على ذلك المكان سبيلًا، فعرفه حقًّا المعرفة"⁽⁴⁾.

24- مناسبة الآية: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (24)

كشف البقاعي عن المناسبة بين الآية وما قبلها فقال: "ولمَّا انتفى ما يُظنُّ من لبس

(1) البقاعي، نظم الدرر، (290/21)، بتصرفٍ بحذفٍ يسيرٍ.

(2) ينظر: نفسه.

(3) هنا إشارةٌ من البقاعي إلى أنَّ تقدير المحذوف بالسَّمْعِ مناسبٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ (من الآية 19).

(4) البقاعي، نظم الدرر، (293-292/21).

السَّمْعِ وَزَيْغِ الْبَصْرِ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّأْدِيَةِ؛ فَنفَى مَا يُتَوَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ". وقال:
 ﴿بِظَنِّينٍ﴾ أَي بَمَتَّهِمْ، مِنَ الظَّنَّةِ وَهِيَ التُّهْمَةُ ... هَذَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَالْكَسَائِيِّ
 وَرُوَيْسٍ عَنِ يَعْقُوبِ بِالظَّاءِ، وَالْمَعْنَى فِي قِرَاءَةِ الْبَاقِينَ بِالضَّادِ: بِبِخِيلٍ⁽¹⁾.

25- مناسبة الآية: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (25)

كشفت البقاعي عن وجه ارتباط الآية بما قبلها، بأنَّه سبحانه وتعالى لَمَّا نفى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَهْتَوِي بِهِ وَهُوَ الْجَنُونُ، وَأَثَبَتْ لَهُ الْأَمَانَةَ وَالْجُودَ، وَذَلِكَ فِي الْآيَاتِ (22-24)، أَعْقَبَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِنَفْيِ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ -الَّذِي مِنْ جَمَلَةِ مَعْجَزَاتِهِ الْإِخْبَارِ بِالْمَغْيِبَاتِ- قَوْلَ شَيْطَانٍ مَلْعُونٍ، لِأَنَّ الْقَائِلَ لَهُ لَيْسَ بِكَاهِنٍ كَمَا يَعْلَمُونَ. فَاِلْمُنَاسِبَةُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ نَفَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُهَانَةَ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، أَعْقَبَهُ بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ وَهُوَ نَفْيِ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ قَوْلَ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ.
 وَقَدْ تَضَمَّنَ كَلَامَهُ التَّلْمِيحَ إِلَى مَنَاسِبَتِهَا لِلآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا مَبَاشَرَةً، بِأَنَّ مَجِيئَهَا كَانَ بِمُنَاسِبَةٍ ذَكَرَ الْغَيْبِ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.⁽²⁾

26- مناسبة الآية: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (26)

الآية عند البقاعي توبيخ للكافرين، مسبب عمَّا سبق بيانه من البراهين على عظيم قدر القرآن الكريم، حيث قال: "ولمَّا لم يدع وجهًا يُلبس به على من لا يعرف حاله صلى الله عليه وسلم، سبب عنه قوله موبخًا منكرًا: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ ... وقد علمتم هذا الحفظ العظيم في الرسولين الملكيِّ والبشريِّ، فمن أين يأتي ما تدعون من التخليط في هذا الكتاب العظيم؟ ... وهو استضلالٌ لهم واستجهاؤٌ على أبلغ وجهٍ في كلِّ ما كانوا ينسبونه إليه بحيث صار ضلالهم معروفًا لا لبس فيه"⁽³⁾.

27- مناسبة الآية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (27)

المفهوم من كلام البقاعي أنَّ الآية كالتَّيْجَةُ وَالْخُلَاصَةُ لِمَا سَبَقَ الْإِخْبَارُ بِهِ نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا فِي الْآيَاتِ الَّتِي قَبْلَهَا؛ لِتَقْرِيرِ عَظِيمِ قَدْرِ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَأْكِيدِ وَصُولِ الْأَمْرِ إِلَى غَايَةِ الْوَضُوحِ

(1) وقد سبق التَّشْبِيهُ إِلَى كِتَابَةِ الْبِقَاعِيِّ لَهَا بِالظَّاءِ مَخَالَفًا بِذَلِكَ إِجْمَاعَ الْمُصَاحِفِ فِي رِسْمِهَا. (البقاعي، نظم الدرر، 293/21).

(2) ينظر: نفسه، (293/21-294).

(3) نفسه، (294/21-295).

في الآية التي قبلها مباشرة⁽¹⁾.

28- مناسبة الآية: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (28)

تتجلى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعي في قوله: "ولمّا تشرف الوجود كله بإظهاره فيه نوع تشرف، أطلق هذه العبارة (يعني الآية 27). ولمّا كان الذي تمّ شرفه المهتدي، فكان الوعظ والتشرف إنّما هو له في الحقيقة قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾...⁽²⁾. والمعنى أنّ الآية مبدلة من التي قبلها لبيان أنّ المتشرف بالقرآن حقيقة والمتعظ هو المهتدي به.

29- مناسبة الآية: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (29)

يرى البقاعي أنّ المناسبة بين الآية والآية التي قبلها نفي الثانية للاستقلالية في المشيئة التي قد تفهم من ظاهر الأولى، حيث قال: "ولمّا كان ذلك ربّما تعنت به المتعنت في خلق الأفعال، قال نافيًا لاستقلالهم ومثبًا للكسب⁽³⁾: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ أي أيّها الخلائق الاستقامة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئتكم، وإن لم يشأها لم تقدرُوا على مشيئة⁽⁴⁾".

كما كشف البقاعي عن مناسبة الجملة الثانية في الآية للجملة التي قبلها فقال: "ولمّا وصف نفسه سبحانه بأنّه لا يخرج شيء عن أمره، أتبع ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾"⁽⁵⁾.

ثمّ كشف البقاعي عن مناسبة هذه الآية باعتبارها محتتم السورة لمفتتح السورة نفسها فقال: "فلهذه الرّبوبيّة صحّ تصرّفه في الشّمس وما تبعها ممّا ذكر أول السورة لإقامة السّاعة لأجل حساب الخلائق، والإنصاف بينهم بقطع كلّ العلائق، كما يفعل كلّ ربّ مع من يريه،

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (295/21).

(2) نفسه.

(3) الكسب: من أشهر أقوال الأشاعرة، وهو في باب أفعال العباد. واختلف الأشاعرة أنفسهم في تحديد معناه اختلافاً كبيراً؛ حتّى قال الرّازي: "وعند هذا التّحقيق يظهر أنّ الكسب اسم بلا مسمّى" (فخر الدّين محمّد بن عمر الخطيب الرّازي، محصل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين من العلماء والحكماء والمنتكلمين، وبذيله: تلخيص المحصل لنصير الدّين الطّوسي، راجعه وقدم له: طه عبد الرّؤوف سعد، طبع ضمن: من تراث الرّازي (4)، مكتبة الكليّات الأزهرية-الأزهر، (د ط ت)، ص: 199).

(4) البقاعي، نظم الدرر، (295/21-296)، بحذف يسير جداً.

(5) نفسه، (296/21).

فكيف بأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين! فقد التقى طرفاها على أشرف الوجوه وأجلاها"⁽¹⁾.

المطلب الثاني: مناسبات سورة التَّكْوِيرِ عند ابن عاشور

يستعرض هذا المطلب مناسبة سورة التَّكْوِيرِ للسُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها، وذلك وفقاً لاجتهادات ابن عاشور.

الفرع الأول: مناسبة سورة التَّكْوِيرِ لما قبلها (عبس) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور لم يكشف ابن عاشور عن المناسبة بين سورة التَّكْوِيرِ وسورة عبس. وأما مقاطع سورة التَّكْوِيرِ فيظهر رأيه فيها من خلال حديثه عن أغراض السُّورَةِ؛ حيث ذكر أنَّها اشتملت على: "إثبات البعث، وابتدئ بوصف الأهوال الَّتِي تتقدَّمه، وانتقل إلى وصف أهوالٍ تقع عقبه. وعلى التَّنويه بشأن القرآن الَّذِي كذَّبوا به لأنَّه أوعدهم بالبعث زيادةً لتحقيق وقوع البعث"⁽²⁾. والتَّحقيق الأوَّل لوقوع البعث (في هذه السُّورَةِ) عند ابن عاشور يبرزه قوله: "صيغة الماضي في الجمل التَّيَّي عشرة الواردة شروطاً ل (إذا) مستعملةً في معنى الاستقبال، تنبيهاً على تحقُّق وقوع الشَّرط"⁽³⁾. فيستنتج من كلامه أنَّ السُّورَةَ مؤلَّفةً من مقطعين، وأنَّ المقطع الأوَّل منهما مؤلَّفٌ من مقطعين فرعيَّين، وذلك على النحو الآتي:

1- المقطع الأوَّل:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَامَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ ﴾ (التَّكْوِير: 1-14)

المقطع الأوَّل عند ابن عاشور في إثبات البعث بوصف أهواله المحقِّق وقوعها، وهو مؤلَّفٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر، (296/21-297).

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (139/30-140). ورد في الأصل في آخر كلامه "البحث" بدل "البعث"، وهو خطأً في الطَّباعَة، والمثبت في المتن هو الصَّحِيح.

(3) نفسه، (141/30).

من مقطعين فرعيتين اثنتين:

● **المقطع الفرعي الأول:** في وصف الأهوال التي تتقدم البعث، وذلك في الآيات (1-6)؛ إذ ذكرت ستة أحداثٍ تحصل في آخر الحياة الدنيوية، عند اقتراب فناء العالم. وأكد ابن عاشور أنها في الدنيا، في أثناء تفسيره حشر الوحوش حيث قال: "وليس هذا الحشر الذي يُحشر النَّاسُ به للحساب، بل هذا حشرٌ في الدنيا، وهو المناسب لما عُدد معه من الأشراف".⁽¹⁾

● **المقطع الفرعي الثاني:** في وصف الأهوال التي تقع عقب البعث، وذلك في الآيات (7-14)، إذ ذكرت ستة أحداثٍ تحصل في الآخرة.⁽²⁾

وعلة ترتيب المقطعين الفرعيين جليئة وهي ترتب الحصول، قال ابن عاشور: "وقد انتقل إلى ذكرها لأنها تحصل عقب الستة التي قبلها"⁽³⁾.

2- المقطع الثاني:

﴿ فَلَا أَقِيمُ بِالْخَيْسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ وَالْبَلِإِ إِذَا عَسَّسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِمَّةٌ قَوْفَةً عِنْدَ ذِمَّةِ الْعَرَبِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَجَبَكُنَّ بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رِيَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝٢٥ فَأَتَيْنَ تَذَهْبُونَ ۝٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩ ﴾ (التَّكْوِير: 15-29)

المقطع الثاني عند ابن عاشور في التنويه بشأن القرآن، ومناسبته لما في المقطع الأول زيادةً تحقيق وقوع البعث.

ثم فصل ابن عاشور القول في المناسبة لما شرع في تفسير آيات المقطع الثاني فقال: "الفاء لتفريع القسم وجوابه على الكلام السابق، للإشارة إلى [أن⁽⁴⁾] ما تقدم من الكلام هو بمنزلة التمهيد لما بعد الفاء، فإنَّ الكلام السابق أفاد تحقيق وقوع البعث والجزاء، وهم قد أنكروه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (141/30، 143).

(2) نفسه، (141/30).

(3) نفسه، (143/30).

(4) زيادةً متي اقتضاها السياق، لا توجد في الأصل.

وكذبوا القرآن الذي أنذرهم به، فلمَّا قُضي حَقُّ الإنذار به وذكُرَ أشرطه، فُرع عنه تصديقُ القرآن الذي أنذرهم به، وأنه موخى به من عند الله⁽¹⁾. فالمناسبة بين المقطعين أنه -سبحانه- لمَّا حَقَّق وقوع البعث في المقطع الأوَّل، فُرع عليه في المقطع الثاني تصديق القرآن الذي أنذر به، فالمقطع الأوَّل بمنزلة التمهيد للثاني، والمقطع الثاني لزيادة تحقيق المحقق في المقطع الأوَّل.

الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة التكوير عند ابن عاشور

كشف ابن عاشور عن مناسبات آيات سورة التكوير، وهي عنده على النحو الآتي:

1- الآية: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (1)

الآية بداية مقطع في إثبات البعث كما سبق بيانه، وقد تكلم ابن عاشور عن مناسبة الافتتاح بها فقال: "الافتتاح ب (إِذَا) افتتاح مشوق؛ لأنَّ (إِذَا) ظرفٌ يستدعي متعلقًا، ولأنَّه أيضًا شرطٌ يؤدِّن بذكر جوابٍ بعده، فإذا سمعه السامع ترقَّب ما سيأتي بعده، فعندما يسمعه يتمكَّن من نفسه كمال تمكُّن"⁽²⁾.

2- الآية: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (2)

مناسبة الآية لما قبلها عند ابن عاشور تعقيب الأمر بما يحصل بعده مسببًا عنه ومرتبًا عليه، حيث قال: "وإذا زال ضوء الشمس انكدرت النجوم، لأنَّ معظمها يستنير من انعكاس نور الشمس عليها". وعلل رأيه بأنَّ: "الانكدار: مطاوع كدَّره المضاعف على غير قياس، أي حصل للنجوم انكدارٌ من تكدير الشمس لها حين زال عنها انعكاس نورها، فلذلك ذكر مطاوع كدَّر دون ذكر فاعل التَّكدير. والكُدرة: ضدُّ الصَّفَاءِ كنعير لون الماء ونحوه"⁽³⁾. كما ذكر ابن عاشور قول من فسَّر الانكدار بالتساقط والانقراض بسبب اختلال نظام الجاذبيَّة الذي يمسكها، ولم يبيِّن سبب ذلك الاختلال، ولا مناسبة الآية وفق هذا الوجه من التَّأويل⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (152/30).

(2) نفسه، (140/30).

(3) نفسه، (142-141/30).

(4) ينظر: نفسه، (142/30)، وعلى هذا الوجه من التَّأويل تبقى المناسبة نفسها؛ إذ يتسبَّب عن فساد جُرم الشمس فساد نظام الجاذبيَّة في المجموعة الشمسيَّة وما حولها من الفضاء؛ فينتج عنه تساقط النجوم.

3- الآية: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (3)

لم يذكر ابن عاشور للآية مناسبة.

4- الآية: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (4)

مناسبة الآية عند ابن عاشور على حسب تفسيرها، وقد ذكر وجهين في معنى العِشَار وتعطيلها.

فإمّا أن يكون المقصود بالعِشَار الثُّوق الحوامل، وهي أنفُس مكاسب العرب، ومعنى تعطيلها: ترك الانتفاع بها لشدة الهول، قال ابن عاشور: "وعلى هذا الوجه، يكون ذلك من أَسْرَاط السَّاعَةِ في الأرض، فيناسب وإذا الوحوش حُشِرَتْ (الآية التي بعدها)"⁽¹⁾. فذكر أنّ تفسيرها بهذا الوجه يجعل المناسبة اشتراكها مع ما قبلها وما بعدها في كونها من أَسْرَاط السَّاعَةِ في الأرض، وذلك مقابل لما ذكر قبلها من أَسْرَاط السَّاعَةِ في السَّمَاء. ولعلّه رتب على هذا الوجه من التفسير مناسبة الآية للتي بعدها دون التي قبلها، لوضوح التي قبلها، ولمزيد فائدة من التي بعدها؛ بالإشارة إلى مناسبة أخرى وهي الاشتراك في الحيوانية زيادةً على الاشتراك في الأرضية.

وإمّا أن يكون المقصود بالعِشَار الأَسْحَبَةُ المَحْمَلَةُ بالمطر، ومعنى تعطيلها: حبس مطرها عن النزول بعارضٍ، أو منع تكوُّنِها أصلاً، فيتوالى القحط فيهلك النَّاسُ والأنعام، قال ابن عاشور: "وعلى هذا الوجه، فذلك من أَسْرَاط السَّاعَةِ العلوية، فيناسب تكوير الشَّمْسِ وانكدار النُّجُوم"⁽²⁾، فوجه المناسبة اشتراك الأشياء المذكورة في كونها من أَسْرَاط السَّاعَةِ العلوية، ولم يبيّن في هذه الحالة مناسبة الاعتراض بذكر الجبال وهي ليست منها.

5- الآية: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (5)

سبق ذكر كلام ابن عاشور في بيان المناسبة بين الآية والآية التي قبلها، بأنّ تفسير العِشَار بأنّها الثُّوق مناسبٌ لقوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، والمناسبة: اشتراكهما في كونهما من أَسْرَاط عالم الأرض، مع ما يُشير إليه كلامه من مناسبة الاشتراك في الحيوانية.

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (142/30).

(2) ينظر: نفسه، (143-142/30).

6- الآية: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿6﴾﴾

يرى ابن عاشور أنّ عطف الآية على الآية التي قبلها مُشعرٌ بأنّ المناسبة بينهما تعقيب الأمر بما يكون سبباً له، حيث قال: "فقد يكون سببٌ حشرها طوفاناً يغمر الأرض من فيضان البحار، فكلّما غمر جزءاً من الأرض فرّت وحوشه حتّى تجتمع في مكانٍ واحدٍ طالبةً النّجاة من الهلاك، ويشعر بهذا عطف ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ عليه"⁽¹⁾.

7- الآية: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿7﴾﴾

الآية عند ابن عاشور بداية المقطع الفرعيّ الثاني، الذي هو في ذكر الأحوال الحاصلة في الآخرة يوم القيامة. ومناسبة الابتداء بما ذكر فيها أنّه أوّل تلك الأحوال حصولاً.⁽²⁾ أمّا معنى تزويد النفوس، فذكر من أقوال المفسرين معنيين يرى أنّهما مناسبان للسياق؛ فهو إمّا تزويد الأرواح بالأجساد المخصّصة لها، وذلك هو البعث، وإمّا تصنيف النّاس إلى أصنافٍ، وقد قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿7﴾﴾ (الواقعة: 7). ثمّ توقع أن يكون العدول عن ذكر ما زُوِّجَتْ به النفوس مقصوداً، لإفادة المعنيين المحتملين معاً؛ فأوّل البعث يكون باقتزان الأرواح بأجسادها، ثمّ تقسيم النّاس إلى مراتبهم للحشر.⁽³⁾

8- الآية: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴿8﴾﴾

مناسبة الآية للآية التي قبلها عند ابن عاشور أنّه - سبحانه وتعالى - لمّا ذكر تزويد النفوس بالأجساد يوم القيامة، أعقبه بذكر سببٍ من أسباب التّفريق بينها في الحياة الدُّنيا (جرمة وأد البنات)، بأنّه أوّل ما يُقضى فيه يوم القيامة - بظاهر الآية -.⁽⁴⁾

9- الآية: ﴿يَأْتِي ذَنْبٌ قِيلَتْ ﴿9﴾﴾

ذكر ابن عاشور أنّ الآية بيانٌ لجملة ﴿سُيِّلَتْ﴾ من الآية التي قبلها.⁽⁵⁾

(1) وتسجير البحار: فيضانها. (ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 143/30).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، 144/30.

(4) ينظر: نفسه.

(5) ينظر: نفسه، 146/30.

10- الآية: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ﴾ (10)

لم يذكر ابن عاشور للآية مناسبة.

11- الآية: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ﴾ (11)

علّل ابن عاشور ترتيب الآية بعد ما قبلها بترتيب الوقوع، فظاهر الآيات عنده يدلّ على أنّ كشط السّماء يكون بعد انقضاء الحساب، أي بعد جميع ما ذكر في الآي السابقة، فهذا وجه مناسبتها لما قبلها. ومعنى كشطها إزالتها، فتكشط عن عالم الخلود بعدما كانت منشقةً منفطرةً لعروج الملائكة. (1)

كما يرى ابن عاشور جواز أن يكون كشط السّماء من أشرط السّاعة، وأنّه من قبيل الانشقاق والانفطار، فيكون الكشط لبعض أجزاء السّماء والمكشوط عنه بعض آخر، ثمّ بين علة تأخير ذكره عن موقع ترتبه ليذكر مع ما يكون بعد البعث بقوله: "وأحرّ ذكره لمناسبة ذكر نشر الصّحف، لأنّ الصّحف تنشرها الملائكة وهم من أهل السّماء" (2). فعلة الترتيب على هذا الوجه راجعة إلى ما بين (نشر الصّحف) و(السّماء) من الارتباط، بأنّ الأوّل يكون من أعمال أهل الثاني.

12- الآية: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ﴾ (12)

ذكر ابن عاشور أنّ بين الآية والآية التي بعدها مناسبة المقابلة، حيث قُوبلت الجحيم دار العذاب بالجنة دار النّعيم (3)، ولم يكشف عن مناسبة الآية لما قبلها، أو حتّى مجموع هذه الآية والتي بعدها لما قبلهما.

13- الآية: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ۖ﴾ (13)

مناسبة الآية للآية التي قبلها عند ابن عاشور تتمثل - كما سبق ذكره - في المقابلة.

14- الآية: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ (14)

الآية عند ابن عاشور جملة جواب الشّروط الاثني عشر، حيث قال: "وجواب الشّروط

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّشوير، (149/30).

(2) ينظر: نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (150/30).

الاثني عشر هو قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾، وتتعلق به الظروف المُشْرِبة معنى الشرط⁽¹⁾. ثم بين وجه كون الشروط الستة الأولى مُقَارِنَةً لعلم النفوس بأعمالها، بالرغم من أنها من أحوال الدنيا قبل القيامة، فقال: "وجعلت معرفة النفوس لجزء أعمالها حاصلةً عند حصول مجموع الشروط التي ذكرت في الجمل التني عشرة لأن بعض الأحوال التي تضمنتها الشروط مُقَارِنٌ لحصول علم النفوس بأعمالها وهي الأحوال الستة المذكورة أخيراً، وبعض الأحوال حاصلٌ من قبل بقليل وهي الأحوال الستة المذكورة أولاً. فنزل القريب منزلة المقارن، فلذلك جعل الجميع شروطاً ل (إذَا)"⁽²⁾.

15- الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ (15)

الآية بداية مقطع في التنويه بشأن القرآن وتصديقه كما سبق بيانه وبيان مناسبته للمقطع الذي قبله، وتحقيق ذلك ورد بالقسم وجوابه، فأما القسم فابتداءً بهذه الآية، وعُدَّت (لَا) زائدة. ولم يكشف ابن عاشور عن مناسبة ابتداء القسم بالكواكب (الخنس) من بين الأشياء العديدة المقسم بها في هذه الآيات. في حين ذكر أنه حصل إدماج أوصاف الأشياء المقسم بها في القسم للدلالة على تمام القدرة.⁽³⁾

16- الآية: ﴿الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ (16)

الآية عند ابن عاشور من تمام أوصاف الكواكب المذكورة في الآية التي قبلها، والذي يدل عليه كلامه في تفسيرها أن المناسبة بين الأوصاف هي مراعاة ترتب أحوالها، فبعد تحجبها في النهار بشعاع الشمس وهي في مطالعها (الخنس)، تبدو للناظرين بعد ذلك على ما يبدو للأنظار من تنقلها بحسب ما يقابلها من جزء الكرة الأرضية (الجوار)، ثم تغرب بعد ذلك وهو كنوسها.⁽⁴⁾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (141/30)، وينظر كذلك: (150/30).

(2) نفسه، (151/30).

(3) وفسر ﴿الْخَنَسِ﴾ بأنها: "جمع خانسة، وهي التي تخنس، أي تحتفي، وهي الكواكب التي تحتفي فلا ترى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها، وهي مع ذلك موجودة في مطالعها". (ينظر: نفسه، 152/30-153).

(4) وفسر ﴿الْكَنَسِ﴾ بأنها: "جمع كانسة، يقال: كنس الظبي، إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذ للمبيت". (ينظر: نفسه).

17- الآية: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (17)

بيّن ابن عاشور مناسبة الآية لما قبلها، فقال: "ثمَّ عُطِفَ الْقَسْمُ بِاللَّيْلِ عَلَى الْقَسْمِ بِالْكَوَاكِبِ، لِمُنَاسِبَةِ جَرِيَانِ الْكَوَاكِبِ فِي اللَّيْلِ، وَلِأَنَّ تَعَاقُبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ أَجْلِ مَظَاهِرِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ". (1)

18- الآية: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ (18)

تظهر مناسبة الآية للآية التي قبلها عند ابن عاشور في قوله: "وَعُطِفَ عَلَيْهِ الْقَسْمُ بِالصُّبْحِ حِينَ تَنَفَّسَهُ، أَيِ انشِقَاقِ ضَوْئِهِ لِمُنَاسِبَةِ ذِكْرِ اللَّيْلِ، وَلِأَنَّ تَنَفُّسَ الصُّبْحِ مِنْ مَظَاهِرِ بَدِيعِ النَّظَامِ" (2). فالمناسبة أنه سبحانه لما ذكر الليل أعقبه بما ينشئ عنه، ممّا هو أيضاً من بديع النّظام، وهو ضوء الصّبح.

19- الآية: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19)

الآية عند ابن عاشور جملة جواب القسم (3)، وقال: "وَضَمِيرُ ﴿إِنَّهُ﴾ عَائِدٌ إِلَى الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ ذِكْرٌ، وَلَكِنَّهُ مَعْلُومٌ مِنَ الْمَقَامِ فِي سِيَاقِ الْإِخْبَارِ بِوُقُوعِ الْبَعْثِ، فَإِنَّهُ مِمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ الْقُرْآنُ، وَكَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ لِأَجْلِ ذَلِكَ" (4).

والثناء على القرآن في هذه الآية وردَ باستطراد الثناء على المرسل به في خلاله، تنويهاً بالقرآن، لأنَّ كمال القائل يدلُّ على صدق المقول. والمرسل به -على ما ذكر ابن عاشور- إمّا أن يكون المرادُ به جبريل عليه السلام، وإمّا النبيُّ محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (5)

20- الآيتان: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (20) ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (21)

الآيتان من تمام الاستطراد السابق في وصف المرسل بالقرآن تنويهاً به. وقد اكتفى ابن عاشور بتفسير معاني الأوصاف الخمسة (كريم، ذي قوّة، مكين، مطاع، أمين)، وبيان وجوه اتّصاف الموصوف بها، وبيان مناسبة مجموعها لما قبلها، دون بيان تفصيليٍّ للمناسبات

(1) و﴿عَسَسَ﴾ من الأضداد؛ بمعنى أقبل وبمعنى أدبر، وأوثر لإفادة الحالين. (ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 154/30).

(2) نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (157/30).

(4) نفسه، (154/30).

(5) ينظر: نفسه، (156-154/30).

(1). بينها.

21- الآية: ﴿وَمَا صَجَّحَكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (22)

يرى ابن عاشور أنَّ الآية معطوفة على جملة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19)، جواباً ثانياً عن القسم.

وأما المناسبة بين جوابي القسم، فبينها بقوله: "بعد أن أتى الله على القرآن بأنه قول رسولٍ مُرسَلٍ من الله، وكان قد تضمَّن ذلك ثناءً على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه صادقٌ فيما بلغه عن الله تعالى، أعقبه بإبطال بهتان المشركين فيما اختلقوه عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من قولهم: ﴿مَعَامِرٌ مَّجْنُونٌ﴾ (الدُّخَان: من الآية 14)، وقولهم: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ (سبأ: من الآية 8) ... والمعنى: نفى أن يكون القرآن من وساوس المجانين، فسلامة مُبلَّغه من الجنون تقتضي سلامة قوله عن أن يكون وسوسةً". (2)

وفي حال كان المراد بـ ﴿رَسُولٍ﴾ جبريل عليه السلام والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاً، فَذَكَرُ ﴿صَجَّحَكُمْ﴾ لتخصيص الكلام بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (3)

22- الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ (23)

صرَّح ابن عاشور بأنَّ مناسبة الآية للآية التي قبلها تتمثل في تعقيب نفي الجنون عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتحقيق أنه رأى جبريلَ القويَّ الأمين. (4)

23- الآية: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (24)

ذكر ابن عاشور أنَّ الآية تحتمل عدَّة معانٍ، ومن أسباب ذلك الاختلاف في قراءة ﴿بِضَنِينٍ﴾. فقد نقل ابن عاشور اتفاق مصاحف المسلمين في كتابتها بالضاد، وأنَّهم اختلفوا في قراءتها بين الضاد والظاء، والقراءتان متواترتان. (5)

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (157-155/30).

(2) ينظر: نفسه، (157/30).

(3) ينظر: نفسه، (159/30).

(4) نفسه.

(5) نفسه، (161-160/30).

فعلى القراءة بالضاد: معنى (ضنين) هو البخيل الذي لا يعطي ما عنده. فإن حُمل على معناه الحقيقي، فذلك كناية عن نفي أن يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- كاهناً أو عرافاً يتلقى الأخبار عن الجن؛ فأقام لهم الفرق بين حال الكُهَّان وحاله صلى الله عليه وسلم بالإشارة إلى أنه لا يبخل عليهم بما يوحى إليه من أمور الغيب، فلا يسألهم عوضاً عما يُخبرهم به، وأن الكاهن يأخذ على ما يُخبر به ما يسئونه حُلواناً.

والمناسبة على هذا الوجه، وإن لم يذكرها بصريح العبارة، فهي واردة في كلامه بالإشارة، ومفادها: أنه لَمَّا نفى عنه تهمة الجنون وأنَّ الذي يتراءى له جِيءٌ، ثمَّ أعقبه بتحقيق أنه رأى جبريلَ القويَّ الأمين، أعقبه في هذه الآية بالتفريق بين حاله صلى الله عليه وسلم وحال من يتلقى عن الجنِّ وهم الكُهَّان.

وإن حُمل (ضنين) على المجاز، فهو مجازٌ في الکتمان، والمعنى: ما هو بكاتم شيئاً من الغيب ممَّا يوحى إليه، فما أخبركم به فهو عين ما أوحيناه إليه وهو الحقُّ. ولم يذكر لهذا الوجه من التَّأويل مناسبة، لا بالعبارة ولا بالإشارة.

وأما على القراءة بالظاء: فمعنى (ظنين) أي مظنون، على وزن فعيلٍ بمعنى مفعول، والظنُّ التُّهمة، والمراد نفي أن يكون مظنوناً به سوء، ومعنى الآية: "ما هو بمتهم في أمر الغيب، وهو الوحي، أن لا يكون كما بلغه، أي أن ما بلغه هو الغيب لا ريب فيه". ولم يذكر لهذا الوجه من التَّأويل مناسبة، لا بالعبارة ولا بالإشارة.⁽¹⁾

24- الآية: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (25)

الآية عند ابن عاشور إبطال لقول المشركين في النبي صلى الله عليه وسلم إنه كاهن، فإنهم كانوا يزعمون أن الشياطين تأتي الكُهَّانَ بأخبار الغيب، ومناسبة مجيء هذا الإبطال ذكر الغيب في الآية التي قبلها؛ فهذه مناسبتها للآية التي قبلها مباشرة.

ثمَّ إنَّه بيَّن موقع جملة الآية من الجُمْل التي قبلها، فذكر أنَّها معطوفة على جملة ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19)، رجوعاً إلى ما أقسم عليه من أن القرآن قول رسول كريم، وتخلصاً -بعد الاستطرادات التي سبقتها- إلى العود لتنزيه القرآن العظيم. وهذه مناسبتها للآية التي قبلها

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (162/30-163).

على بُعدٍ منها.

فجميع الآي التي بين: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19) وبين ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (25) استطراداتٌ للدلالة على "زيادة كمال هذا القول، بقدسيّة مصدره، ومكانة حامله عند الله، وصدق متلقيه منه عن رؤيةٍ محققةٍ لا تخيل فيها". (1)

25- الآية: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (26)

يرى ابن عاشور أنّ الآية معترضةٌ بين قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (25) وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (27)، ومناسبة اعتراضها: "تفريع التّويخ والتّعجيز على الحجج المتقدّمة المثبتة أنّ القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن، وأنّه وحى من الله بواسطة الملك" (2).
أمّا التّويخ فبالإنكار عليهم سلوكهم طريق الضلالة وأمرهم بالعدول عنه، وأمّا التّعجيز فبمعنى "أنّه قد سُدَّتْ عليكم طرق بهتانكم؛ إذ اتّضح بالحجّة الدامغة بطلان ادّعائكم أنّ القرآن كلام مجنونٍ أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك؟!". (3).

26- الآية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (27)

كشف ابن عاشور عن مناسبة الآية للآية المعترضة التي قبلها مباشرةً، فالاعتراض لا يمنع بحث المناسبة بينه وبين ما قبله وما بعده، حيث قال: "بعد أن أفقهم من ضلالتهم أرشدهم إلى حقيقة القرآن بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾".
كما نبّه إلى مناسبتها للآية قبل المعترضة فقال: "وهذه الجملة تنزّل منزلة المؤكّدة لجملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (25)". ثمّ بيّن أنّ ما أفاد التأكيد هو أسلوب القصر الذي وردت به، الدال على تأكيد نفي غير المقصور عليه ممّا ذكر في الجملة المؤكّدة وفي غيرها. (4)

27- الآية: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (28)

تتجلى مناسبة الآية للآية التي قبلها عند ابن عاشور في قوله: "وأبدل من ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحريير والتّنوير، (163/30-164).

(2) نفسه، (164/30).

(3) ينظر: نفسه، (164/30-165).

(4) ينظر: نفسه، (165/30).

قوله: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ بدل بعضٍ من كلِّ، وقال: "وفائدة هذا الإبدال التنبية على أن الذين تذكروا بالقرآن قد شاءوا الاستقامة فنصحوا أنفسهم، والتعريض بأن الذين لم يتذكروا بالقرآن ما حال بينهم وبين التذكُّر به إلا أنهم لم يشاءوا أن يستقيموا، بل رضوا لأنفسهم بالاعوجاج، ليَعْلَم السَّامِعُونَ أَنَّ دَوَامَ أَوْلَئِكَ عَلَى الضَّلَالِ لَيْسَ لِقُصُورِ الْقُرْآنِ عَنْ هُدْيِهِمْ، بَلْ لِأَنَّهُمْ أَبَوْا أَنْ يَهْتَدُوا بِهِ، إِمَّا لِلْمُكَابِرَةِ وَإِمَّا لِلْإِعْرَاضِ عَنْ تَلْقِيهِ"⁽¹⁾.

28- الآية: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁹⁾

ذكر ابن عاشور أحوالاً جائرة في موقع الآية، ثم بين مناسبتها للآية التي قبلها فقال: "يجوز أن تكون تذيلاً أو اعتراضاً في آخر الكلام، ويجوز أن تكون حالاً. والمقصود التكميل والاحتباس في معنى ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾⁽²⁸⁾، أي ولمن شاء له ذلك من العالمين". والظاهر من عبارته أنه يقصد أن الهداية من الله تكون لمن شاءها، وكذلك لمن شاءها الله له حتى وإن لم يشأها العبد لنفسه. ولفظ الآيتين لا يحتمله؛ إذ هو في تقييد مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى.

وأما جملة ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، فيرى أنها مفيدةٌ لتعليل ارتباط مشيئة من شاء الاستقامة من العالمين بمشيئة الله بأنه ربُّ العالمين. وزاده توضيحاً بقوله: "فهو الخالق فيهم دواعي المشيئة وأسباب حصولها المتسلسلة، وهو الذي أرشدهم للاستقامة على الحق، وبهذا الوصف ظهر مزيد الاتصال بين مشيئة الناس الاستقامة بالقرآن وبين كون القرآن ذكراً للعالمين"⁽²⁾.

هذا، وبعد الوقوف على مناسبات السورة عند المفسرين فيما سبق، يأتي المطلب التالي للمقارنة بين ما توصلنا إليه من المناسبات.

المطلب الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة التكوير عند البقاعي وابن عاشور

تهدف هذه المقارنة إلى بيان مدى موافقة ابن عاشور للبقاعي في مناسبات سورة التكوير، ومدى مخالفته له فيها فجاء بما هو أكثر إقناعاً، من خلال الكشف عن مواضع الاتفاق في

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتوير، (166/30).

(2) ينظر: نفسه، (167/30).

المناسبة ومواضع الاختلاف فيها، وإحصائها جميعاً، ثمَّ محاولة الكشف عن أسباب الاختلاف، ثمَّ النظر في مدى جواز قوليهما في المناسبة، ومدى إمكانية اجتماعهما، أو التَّرجيح بينهما. وتشمل هذه المقارنة أقوال المفسِّرين في مناسبة السُّورة للسُّورة التي قبلها، ومناسبات مقاطع السُّورة فيما بينها، ومناسبات آيات السُّورة آيةً آيةً.

الفرع الأوَّل: مقارنة مناسبة سورة التَّكْوِيرِ لما قبلها (عبس) ومناسبات مقاطعها

كشف البقاعي عن المناسبة بين سورة التَّكْوِيرِ وسورة عبس، في حين لم يفعل ابن عاشور؛ بناءً على رأيه في البحث في تناسب السُّور.

وأما مناسبات مقاطع سورة التَّكْوِيرِ، فاتفق المفسِّران في أنَّ السُّورة مؤلَّفة من مقطعين، وأنَّ المقطع الأوَّل يتألَّف من مقطعين فرعيَّين، واتفقا في تحديد الآي التي يتألَّف منها كلُّ مقطعٍ من تلك المقاطع.

وكالعادة، كشف البقاعي عن مناسبة المقطع الأوَّل -على أنَّه مفتتح السُّورة- لمختتم السُّورة التي قبلها، في حين لا يلتفت ابن عاشور لهذا النوع من المناسبة، وإنما كشف عن مناسبه للمقطع الذي بعده، واختلاف جهة المناسبة مظنةً لاختلاف قوليهما فيها، وإمكان الجمع بينهما؛ فسور المطلع ما تُوعَد به في مقطع السُّورة السَّابقة، ومهد لما سيأتي في المقطع الذي يليه.

واختلفا في تحديد موضوع المقطع الأوَّل؛ فهو عند البقاعي وصف أهوال يوم القيامة ممَّا يكون بعد البعث، وأما عند ابن عاشور فهو وصف أهوال القيامة ممَّا يكون قبل القيام وما يكون بعده. ثمَّ اختلفا بعد ذلك في الغرض من الوصف، وذلك ما يؤثِّر في الكشف عن المناسبة بين مقطعي السُّورة.

فلمَّا كان الغرض من الوصف عند البقاعي هو الوعيد بالكفرة، أعقبه في المقطع الثاني القسم على عظيم قدر ما كفروا وكذَّبوا به وهو القرآن العظيم.

ولمَّا كان الغرض من الوصف عند ابن عاشور هو إثبات البعث، أعقبه في المقطع الثاني التَّنويه بشأن القرآن المخبر بوقوعه، زيادةً لتحقيق وقوعه. وكلاً القولين جائز.

واختلف المفسِّران في المناسبة بين المقطعين الفرعيَّين في المقطع الأوَّل، تبعاً للاختلاف في تحديد موضوع المقطع إجمالاً؛ فلمَّا كان المقطع -عند ابن عاشور- في وصف أهوال القيامة عمومًا، كانت علة التَّرتيب بين المقطعين الفرعيَّين البدء بأهوال ما قبل البعث ثمَّ التَّعقيب بأهوال

ما بعد البعث، تبعًا لترتُّب الحصول. ولمَّا كان المقطع -عند البقاعيِّ- في وصف أهوال يوم القيامة بعد البعث خصوصًا، كانت عِلَّةُ التَّرتيب بين المقطعين الفرعيَّين البدءُ بأهوال ما هو من عالم الشَّهادة قبل أهوال ما هو من عالم الغيب؛ لأنَّه أقرب تصوُّرًا، ولأنَّ القصد هو التَّزْهيد فيه. (1)

وانفرد البقاعيُّ عن ابن عاشور بالحديث عن وجه الارتباط بين المقطعين الفرعيَّين زيادةً على عِلَّةِ التَّرتيب بينهما.

الفرع الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة التَّكْوِيرِ

اتَّفَق المفسِّران في مناسبات بعض آي السُّورة واختلافًا في البعض الآخر، على النَّحو الآتي.

أ- مواضع الاتِّفاق:

اتَّفَق المفسِّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿يَأْتِي ذَنْبٌ قُنِلَتْ ﴿٩﴾﴾

اتَّفَقا في أنَّ الآية بيانٌ للسُّؤال الموجَّه للموءودة المذكور في الآية التي قبلها، ويبيِّن البقاعيُّ أنَّ المقصود به تبكيت قاتلها.

2- الآية: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾﴾

اتَّفَق المفسِّران في أنَّ المناسبة بين الآية والآية التي قبلها تتمثَّل في التَّقابل.

3- الآية: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

اتَّفَق المفسِّران في أنَّ الآية جملة جواب الشُّروط المذكورة قبلها. وزيادةً عند البقاعيِّ ببيان المناسبة بين الشُّرط وجوابه، في حين اكتفى فيها ابن عاشور باقتران حصول المشروط بحصول الشُّرط.

4- الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾

الآية عند المفسِّرين بداية مقطع في القسم على عظيم شأن القرآن الكريم، وكلاهما لم يكشف عن مناسبة ابتداء القسم بالخُنَّس.

(1) قال الرَّازيُّ: "واعلم أنَّ هذه العلامات البيِّنَّة يمكن وقوعها في أوَّل زمان تخريب الدُّنيا، ويمكن وقوعها أيضًا بعد قيام القيامة، وليس في اللَّفظ ما يدلُّ على أحد الاحتمالين، أمَّا البيِّنَّة الباقية فإنَّها مختصَّة بالقيامة" (الرَّازيُّ، التَّفْسير الكبير، 69/31).

5- الآية: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآية جملة جواب القسم الوارد في الآيات التي قبلها وهي الآيات:

﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَنِينِ﴾ (15) ... وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ (18) (التَّكْوِير: 15-18).

6- الآية: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (22)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآية واردةٌ في إبطال اتِّهام المشركين للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُنُونِ بعدما دلت الآيات التي قبلها على صدقه عليه الصَّلَاة والسَّلَام، وذلك من باب تعقيب تقرير الشَّيْء -من أجل إثباته- بنفي ما يقدر فيه، إتماماً للاستدلال عليه.

والآية عند ابن عاشور جوابٌ ثانٍ عن القسم، وبَيَّنَّ أنَّ المناسبة المذكورة إنما هي بين جوالي القسم، وذكر للآية مناسبةً أخرى لما قبلها، وهي تعقيب العامِّ بالخاصِّ، وذلك بتأويل ﴿رَسُولٍ﴾ بجبريل والنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ- معاً، و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

7- الآية: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (25)

اختلف المفسِّران في تحديد الغرض من الآية؛ فهو عند ابن عاشور إبطال التُّهمة بالكهانة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمَّا عند البقاعيِّ فهو صريح الآية، بنفي أن يكون القرآن قول شيطانٍ رجيمٍ، لأنَّ القائل له ليس بكاهنٍ كما يعلمون، فانتفاء الكهانة في نظر البقاعيِّ تمَّ التسليم به مسبقاً.

وبالرَّغم من اختلافهما في غرض الآية، إلاَّ أنَّهما اتَّفَقَا في المناسبة التي استدعتها بأنَّها ذكر الغيب في الآية التي قبلها؛ لَمَّحَ إلى ذلك البقاعيُّ، وصرَّح به ابن عاشور وذكر أنَّه من باب التَّخْلُص من الاستطراد. فمِنْ صور الاتِّفاق بين المفسِّرين في المناسبة: أن يصرَّح أحدهما بما يلمَّح إليه الآخر.

كما كشفنا عن جهات أخرى لمناسبتها؛ حيث ربطها البقاعيُّ بالآي التي قبلها مباشرةً

وهي الآيات: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (22) وَلَقَدْ رِءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24)،

في حين ربطها ابن عاشور بآيةٍ قبلها على بُعدٍ منها وهي الآية: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19).

8- الآية: ﴿فَاتِن تَذَهَبُونَ﴾ (26)

اتفق المفسران في أنَّ الآية مفرَّعةٌ مسبَّبةٌ على الحجج المنقَّدة، توبيخًا للمكذِّبين بالقرآن الكريم وإنكارًا عليهم بهتانهم. وزيادةً عند ابن عاشور وهي تعجيزُهم، كما ذكر أنَّ تفرُّيعها جاء بالاعتراض.

9- الآية: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (29)

المفهوم من قول البقاعيِّ في مناسبة الآية هو المصرَّح به عند ابن عاشور، وهو أنَّها الاحتراس في معنى الآية التي قبلها. واختلفا في المعنى المحترس منه؛ فهو عند البقاعيِّ: استقلالية مشيئة العبد عن مشيئة الله، وأمَّا عند ابن عاشور فهو: اقتصار الهداية على من شاءها فقط. كما اتَّفقا في مناسبة جملة ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ للجملة التي قبلها بأنَّها تعليلٌ لها. وكشف البقاعيُّ عن وجهين آخرين من المناسبة وهما: مناسبة الآية باعتبارها محتتم السُّورة لمفتَّح السُّورة نفسها، ومناسبتها لمفتَّح السُّورة التي بعدها، وذلك ما لم يبيِّنه ابن عاشور.

ب- مواضع الاختلاف:

اختلف المفسران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (1)

اختلف المفسران في بيان مناسبة الابتداء بها؛ إذ توجَّه نظر البقاعيِّ إلى مناسبة ابتداء المقطع الأوَّل وما سيق له من غرض التَّهويل بذكر الشَّمس، في حين نظر ابن عاشور إلى مناسبة افتتاح المقطع بالظُّرف المُشرب معنى الشَّرط. وباختلاف زوايا النَّظر انتفى تعارض القولين، وأمکن الجمع بينهما.

2- الآية: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (2)

اختلف المفسران في مناسبة الآية للآية التي قبلها، ومنشأ الاختلاف اختلاف زوايا النَّظر أو المستوى المنظور في العلاقة بين الآيتين؛ فنظر ابن عاشور في العلاقة بين المُسند والمُسند في الآيتين، أي علاقة انكدار النُّجوم بتكوير الشَّمس، وهما الأثران؛ فكانت المناسبة تعقيبُ الأمر بما يتسبَّب عنه ويترتَّب عليه بقرينة فعل المطاوعة (انكدرت)، وأمَّا البقاعيُّ فنظر في علاقة المُسند إليه بالمُسند إليه، أي علاقة الشَّمس بالنُّجوم، وهما المُتأثران، والعلاقة بينهما

علاقة العموم والخصوص؛ فكانت المناسبة تصريح الآية بمدلول التي قبلها، وذلك بالتصريح بالعام الذي دل عليه الخاص بدلالة الأولى. ولا تعارض بين قولي المفسرين واجتماعهما ممكن.

3- الآية: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (3)

لم يكشف ابن عاشور عن مناسبة الآية، خلافاً للبقاعي.

4- الآية: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (4)

ذكر ابن عاشور وجهين في تفسيرها، وافق في أحدهما القول الواحد عند البقاعي (تفسير العشار بالنوق الحوامل)، وحيثما وافقه في التفسير، خالفه في المناسبة؛ إذ توجه نظر البقاعي فيها إلى خصائص الأشياء من ناحية الجمود والحيوانية، في حين توجه نظر ابن عاشور فيها إلى خصائص الأشياء من ناحية العلوية والسفلية. فيتكرر هنا عامل اختلاف زوايا النظر في حصول الاختلاف في المناسبات، الذي هو مظنة لإمكان الجمع بين الأقوال.

وأما على الوجه الآخر، الذي انفرد به ابن عاشور عن البقاعي في تفسير الآية (تفسير العشار بالسحب المحملة بالمطر)، فيرى أن المناسبة هي الاشتراك مع أحداث الشمس والنجوم في كونها من أشراط الساعة العلوية. والإشكال الذي يرد عليه ولم يتطرق له هو اعتراض آية الجبال بين أشراط العالم العلوي.

5- الآية: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (5)

اختلف المفسران في مناسبة الآية لما قبلها، حيث نظر ابن عاشور في المناسبة بينها وبين الآية التي قبلها مباشرة، فرأى أنها الاشتراك في النوع (الأرضية والحيوانية)، وأما البقاعي فنظر في المناسبة بينها وبين مجموع الآي التي قبلها، فرأى أن المناسبة تقرب الآية الأمر المراد من الآي التي قبلها. ولما اختلفت مستويات النظر، انتفى التعارض بين القولين، وأمكن الجمع بينهما كما هو ظاهر.

6- الآية: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (6)

اختلف المفسرين في مناسبة الآية للآية التي قبلها راجعاً إلى اختلافهما في زاوية النظر؛ حيث نظر ابن عاشور في العلاقة بين حديثهما، وهما حشر الوحوش وتسجير البحار، بأن كان أحدهما سبباً للآخر، وأما البقاعي فنظر في العلاقة بين المعنيين المفهومين من الآيتين؛ فلما أفهمت الأولى أن الأمر متعلق بالحشر، كنت الأخرى عمّا ينال أهل الموقف من

الشّدائد⁽¹⁾. ولا مانع من اجتماع المناسبتين كما هو ظاهرٌ.

7- الآية: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿7﴾﴾

لَمَّا اختلف المفسّران في تحديد موضوع المقطع الفرعيّ الذي هذه الآية بدايته، اختلفا في مناسبة الابتداء بها تبعاً لذلك؛ فهي عند ابن عاشور أنّه أوّل أحوال الآخرة، وأمّا عند البقاعيّ فلأنّه المناسب لتكوير الشّمس المذكور أوّلاً في المقطع الفرعيّ الأوّل. ويبدو أنّ ما ذكره البقاعيّ من التّكلف الذي أنكره العلماء في طلب المناسبة.

8- الآية: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ﴿8﴾﴾

اختلف المفسّران في مناسبة الآية للآية التي قبلها، فهي عند البقاعيّ تعقيبٌ لذكر البعث بذكر المقصود منه وهو السُّؤال، في حين أنّها عند ابن عاشور تعقيبٌ لذكر إعادة الرُّوح في الجسد بذكر أحد الأسباب التي أدّت إلى التّفريق بينهما وهو القتل. والاختلاف - كما هو ظاهرٌ - راجعٌ إلى اختلاف الجزء المنظور إليه من هذه الآية، حيث ناسب البقاعيّ بين مدلول الآية السّابقة والسُّؤال الذي هو المُسنَد من هذه الآية، في حين

(1) عن أبي بن كعبٍ أنّه قال: "سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ بَيْنَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ، إِذْ ذَهَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَنَاءَتَرَ النَّجُومُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَتَحَرَّكَتْ وَاضْطَّرَبَتْ وَاخْتَرَقَتْ، وَفَرَعَتِ الْجِبُّ إِلَى الْإِنْسِ، وَالْإِنْسُ إِلَى الْجِنِّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ، وَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قَالَ: اخْتَلَطَتْ، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَالَ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قَالَ: قَالَتِ الْجِبُّ لِلْإِنْسِ: نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالْحَبْرِ. قَالَ: فَأَنْطَلَقُوا إِلَى الْبِحَارِ، فَإِذَا هِيَ نَارٌ تَأْجُجُ. قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ صَدْعَةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى وَإِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا. قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرِّيحُ فَأَمَاتَتْهُمْ".

أخرجه ابن أبي الدنيا (ت: 281هـ) في كتاب «الأهوال» (ابن أبي الدنيا، كتاب الأهوال، تح: مجدي فتحي السّيد، مكتبة آل ياسر للنشر والتوزيع، الجيزة، ط: 1، 1413هـ/1993م، رقم الأثر: 23، ص: 55). والطبريّ (ت: 310هـ) في تفسيره واللفظ له (الطبريّ، تفسير الطبريّ، 129-128/24)، كلاهما بإسنادٍ واحدٍ، موقوفاً على أبيّ.

قال محقق كتاب الأهوال: "إسناده لا بأس به" (ابن أبي الدنيا، كتاب الأهوال، ص: 55)، وذكر حكمت بن بشير أنّ سنده جيّد (حكمت بن بشير بن ياسين، التفسير الصحيح موسوعة الصحاح المسبور من التفسير بالمأثور، دار المآثر، المدينة النبويّة، ط: 1، 1420هـ/1999م، 597/4).

والأثر يدلُّ على أنّ ترتيب هذه الأحداث راجعٌ إلى ترتّب حدوثها، إلّا تسجير البحار ترتيبه راجعٌ إلى علم النَّاس به؛ إذ حصل متأخراً. والتعليل بالترتّب لا يمنع ارتباط الأحداث بعضها ببعض، كأن يكون تسجير البحار مسبباً عن سقوط الشّمس والنُّجوم فيها (ينظر: أبو الليث، نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسير السمرقنديّ المسمّى بحر العلوم، تح: علي محمّد معوّض وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط: 1، 1413هـ/1993م، 452-451/3، الرّازي، التفسير الكبير، 69/31).

ناسب ابن عاشور بين مدلول الآية السابقة والوَاد الذي جاء في صورة المُسند إليه من هذه الآية. والجمع بين القولين ممكنٌ فيقال إنَّ المناسبة تتمثل في تعقيب ذكر إعادة الرُّوح في الجسد، وهو البعث، بذكر أحد الأسباب التي أدَّت إلى التَّفريق بينهما، وهو القتل، وبذكر المقصود منه وهو السُّؤال.

9- الآية: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿10﴾﴾

لم يذكر ابن عاشور للآية مناسبة، خلافاً للبقاعي.

10- الآية: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿11﴾﴾

كشطُ السَّمَاء عند ابن عاشور يجوز أن يكون قبل البعث كما يجوز أن يكون بعد البعث، وأمَّا عند البقاعيِّ فقولٌ واحدٌ وهو أنَّه بعد البعث. وعلى الوجه المتفق فيه بين المفسِّرين؛ اختلفا في عِلَّة التَّرتيب، وما ذكره ابن عاشور من ترتُّب حصول الحالين أنسب ممَّا ذكره البقاعيُّ، وأمَّا وجه الارتباط بين الحالين فانفرد البقاعيُّ بذكره، وهو التَّقابل على النَّحو المبين في موضعه. والجمع بين وجه الارتباط عند البقاعيِّ وعلة التَّرتيب عند ابن عاشور ممكنٌ.

وأما على الوجه الَّذي انفرد به ابن عاشور، وهو أنَّ الكشط قبل البعث، فعَلَّ التَّرتيب فيه بمناسبة الارتباط بين السَّمَاء ونشر الصُّحف على النَّحو المبين في موضعه.

11- الآية: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿12﴾﴾

كشف البقاعيُّ عن مناسبة الآية للآية التي قبلها، في حين كشف ابن عاشور عن مناسبتها للآية التي بعدها، والجمع بين القولين ممكنٌ لاختلاف الجهة.

12- الآية: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿16﴾﴾

سبب اختلاف المفسِّرين في مناسبة الآية للاختلاف في تفسير ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾؛ حيث اعتبرها البقاعيُّ بدلَ بعضٍ من كلِّ، أُبدل الخاصُّ السِّيَّار من العامِّ، في حين اعتبر ابن عاشور ما تضمَّنته الآية أوصافاً أخرى للموصوف نفسه في الآية التي قبلها.

والملاحظ أنَّ البقاعيِّ فسَّر الحُتْس بالقمر وكواكب عطارد والزُّهرة والمريخ والمشتري، وهي

ضمن ما يُسمَّى الآن بـ: "الكواكب السَّيَّارة" ⁽¹⁾، فلا وجه للمناسبة التي ذكرها، في حين أنَّ المناسبة عند ابن عاشور واضحة، والمعنى عنده منسجمٌ تمامًا مع الترتيب، وذلك ما يرجِّح قوله.

13- الآية: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (17)

يرى البقاعيُّ أنَّ التَّعْقِيبَ بِاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ ظُهُورِ الْكَوَاكِبِ اسْتَدْعَتْهُ مَنَاسِبَةُ الْمَقَابِلَةِ لِلنَّهَارِ، الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْخُنُوسُ وَ الْكُنُوسُ إِذْ هُوَ مُحْلُهُمَا، وَذَلِكَ أَنْسَبُ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ عَاشُورٍ مِنْ أَنَّ جَرِيَانَ الْكَوَاكِبِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ يَكُونُ فِي اللَّيْلِ الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مُنَاقِضٌ لِمَا ذَكَرَهُ فِي مَعْنَى الْكُنُوسِ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّ جَرِيَانَ الْكَوَاكِبِ يُرَى فِي اللَّيْلِ لِظُهُورِهَا فِيهِ، وَلَيْسَ هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِهِ.

14- الآية: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ (18)

المناسبة عند ابن عاشور من باب تعقيب الشيء بما ينشئ عنه، وأمَّا عند البقاعيِّ فهي من باب الاحتراس إزالةً للبس. فنظر ابن عاشور للعلاقة المباشرة بين الليل والصُّبح، في حين نظر البقاعيُّ إلى علاقة التَّضَادِّ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، بِتَفْسِيرِهِ الصُّبْحَ بِالنَّهَارِ. وَرَأَى الْبِقَاعِيُّ مَبْنِيَّ عَلَى تَفْسِيرِ الْقَسْمِ بِتَرْكِ الْقَسْمِ، فَنَظَرَ فِي الْمَنَاسِبَةِ بَيْنَ تَرْكِ الْقَسْمِ بِاللَّيْلِ وَتَرْكِ الْقَسْمِ بِالصُّبْحِ، فِي حِينِ أَنَّ ابْنَ عَاشُورٍ يَرَى أَنَّ (لَا) فِي الْقَسْمِ زَائِدَةٌ. وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مُحْتَمَلٌ.

15- الآيتان: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (20) ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (21)

اكتفى ابن عاشور ببيان أنَّ وصف المُرسَلِ بِالْقُرْآنِ اسْتِطْرَافٌ لِلتَّنْوِيهِ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ، فِي حِينِ كَشَفِ الْبِقَاعِيُّ عَنِ الْمَنَاسِبَاتِ بَيْنَ تِلْكَ الْأَوْصَافِ. فَمِنْ مَظَاهِرِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْمَفْسِّرَيْنِ فِي الْمَنَاسِبَةِ أَنْ يُفَصِّلَ أَحَدُهُمَا الْقَوْلَ فِي مَنَاسِبَاتِ الْأَوْصَافِ الْمَعْطُوفِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيُجَمِّلُ الْكَلَامَ فِيهَا الْآخَرَ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مُحْتَمَلٌ.

16- الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ (23)

بالرَّغْمِ مِنْ اتِّفَاقِ الْمَفْسِّرَيْنِ فِي أَنَّ غَرَضَ الْآيَةِ تَأْكِيدُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَلَقَّى مِنْ

(1) وقد ذكر ذلك ابن عاشور في أثناء تفسير سورة النبأ (ينظر: ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، 23/30).

المَلَكُ لا مِنَ الْجِنِّ، إِلَّا أَكْثَرُهُمَا اخْتَلَفَا فِي مَنَاسِبَتِهَا لَمَّا قَبْلُهَا.
 فالآية عند البقاعي مناسبةٌ لمحدوفٍ مقدَّرٍ قبلها بإثبات سماعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل، فجاءت الآية جامعةً إلى حَسِّ السَّمْعِ حَسَّ البَصْرِ.
 وأمَّا عند ابن عاشور فالآية مناسبةٌ للآية التي قبلها؛ بأنَّه سبحانه وتعالى لَمَّا نَفَى عَنْهُ الْجِنُونَ، حَقَّقَ أَنَّهُ إِنَّمَا رَأَى جَبْرِيْلَ وَليْسَ وَاحِدًا مِنَ الْجِنِّ.
 وكما سبق تقريره، فإنَّ القَوْلَ بِالاتِّصَالِ المَبَاشِرِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ الْمُحْتَمَلِ أَوَّلَى مِنْ إِظْهَارِ الْإِتِّصَالِ بِتَقْدِيرِ مَحْدُوفٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الجَمْعَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي هَذَا المَوْضِعِ مُمْكِنٌ؛ بِأَنَّهُ لَمَّا نَفَى عَنْهُ الْجِنُونَ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا، حَقَّقَ فِي هَذِهِ أَنَّهُ إِنَّمَا رَأَى جَبْرِيْلَ وَليْسَ وَاحِدًا مِنَ الْجِنِّ؛ فَجَمَعَ بِذَلِكَ إِثْبَاتَ الرُّؤْيَا إِلَى إِثْبَاتِ السَّمْعِ المَقْدَّرِ قَبْلَ الْآيَةِ، دَلَالَةً عَلَى الزِّيَادَةِ فِي اليَقِينِ بِأَنَّ التَّلْقِيَّ مِنْ رَسُولِ كَرِيمٍ.

وذلك المقدَّرُ نَاشِئٌ عَنِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19) وقوله ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (22)؛ فمجموع الآيتين يدلُّ على أَنَّهُ سَمِعَ الكَلَامَ مِنْ رَسُولِ كَرِيمٍ لا مِنْ جَنِّيٍّ.

17- الآية: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (24)

اختلف المفسِّران في وجه ارتباط الآية بما قبلها، إذ يرى البقاعي أَنَّهُ بَعْدَ تَأْكِيدِ الْآيَاتِ الَّتِي قَبْلُهَا صِحَّةَ التَّلْقِيَّ، أَكَّدَتْ هَذِهِ الْآيَةُ صِحَّةَ الْأَدَاءِ، بِنَفْيِ التُّهْمَةِ أَوْ البُخْلِ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأمَّا ابن عاشور فيرى أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ نَفَتْ الْآيَتَانِ السَّابِقَتَانِ لِهَذِهِ الْآيَةِ تَهْمَةَ الْجِنُونَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الفَرْقَ بَيْنَ الكَاهِنِ وَالرَّسُولِ، نَفْيًا لوصف الكهانة عن الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 ولا تعارض بين القولين، إذ يمكن اجتماعهما كما هو ظاهر؛ فالبقاعي نظر إلى المناسبة بين الغرضين، وابن عاشور نظر إلى المناسبة بين المضمونين.

18- الآية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (27)

اختلف المفسِّران في بيان مناسبة الآية؛ حيث كشف ابن عاشور عن مناسبتها للآية التي قبلها، التي ذكر أنَّها معترضة، ثمَّ عن مناسبتها للآية التي قبل المعترضة، وأمَّا البقاعي فكشف عن مناسبة الآية لمجموع آيات قبلها، وهي الآية التي قبلها مباشرةً والآيات الواردة جوابًا عن القسم.

وإنَّ اختلاف جهات المناسبة - كما سبق تقريره غير مرَّة - مظنَّةٌ لحصول الاختلاف بينهما، اختلافًا يمكن معه الجمع بين الأقوال.

19- الآية: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (28)

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآية مُبدلةٌ من الَّتِي قبلها، ثُمَّ اختلفا في الغرض من الإبدال. وإنَّ المناسبة المعنويَّة بين الآيتين تتجلَّى في الغرض من الإبدال؛ فهو عند البقاعيِّ بيانُ المتشرفِ حقيقةً بالقرآنِ والمنعظِ به، وأمَّا عند ابنِ عاشور فهو بيانُ أنَّ التَّدكُّرَ بالقرآنِ يحصل لمن شاءه، وأنَّ من لم يتدكَّر به فلقصورٍ فيه لا في القرآنِ الكريمِ، وجاء ذلك عندهما بعد ذكر عمومِ الدِّكر للعالمين.

فعلى تفسير الدِّكر بالشرف - كما هو عند البقاعيِّ - يصحُّ المعنى الَّذِي ذكره؛ لأنَّ التشرفُ بالقرآنِ لا يحصل إلَّا لمن اهتدى به، إلَّا أنَّ ظاهر الآية لا يدلُّ على المهتدي وإمَّا على من أراد الهداية، بدليل الاحتراس الَّذِي في الآية بعدها.

وعلى تفسير الدِّكر بالموعظة - كما هو عند كليهما - فالمعنى عند البقاعيِّ أنَّه لا يتعظ بالقرآنِ إلَّا المهتدي به، إلَّا أنَّ ظاهر الآية لا يدلُّ عليه، وإمَّا يدلُّ على الَّذِي ذكره ابن عاشور بأنَّه لا يتعظ بالقرآنِ إلَّا من رغب في الاهتداء، وأمَّا المُعرِّضُ عنه والمتكبرُ، فلا يتعظان به. وبناءً عليه، فالَّذِي أرَّجحه هو ما ذكره ابن عاشور.

ويتبيَّن أيضًا أنَّ الاختلاف في تفسير الآية السَّابقة مظنَّةٌ لاختلاف في مناسبة الآية اللاحقة، والاتِّفاق في تفسير الآية السَّابقة لا يعني بالضرَّورة الاتِّفاق في مناسبة الآية اللاحقة.

كان ما سبق في المقارنة بين مناسبات سورة التَّكْوِيرِ عند المفسِّرين، وفي المبحث الآتي المقارنة بين مناسبات السُّورة الأخيرة من عيِّنة هذه الدِّراسة وهي سورة الانفطار، عندهما.

المبحث الثاني: مناسبات سورة الانفطار بين البقاعي وابن عاشور

سورة الانفطار مكيَّةٌ، وعدد آياتها تسع عشرة آيةً، إجمالاً⁽¹⁾. ويتناول هذا المبحث بيان مدى عناية البقاعي وابن عاشور بالكشف عن مناسبات هذه السُّورة، ثمَّ المقارنة بين ما توصَّلا إليه في مناسباتها؛ قصد الوصول إلى جزءٍ من الإجابة عن إشكاليَّة هذه الدِّراسة، باعتبار هذه السُّورة جزءاً من عيَّنتها، فجاء المبحث في ثلاثة مطالبٍ، وهي كالآتي:

المطلب الأوَّل: مناسبات سورة الانفطار عند البقاعي

يستعرض هذا المطلب مناسبة سورة الانفطار للسُّورة التي قبلها، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها وفقاً لاجتهادات البقاعي.

الفرع الأوَّل: مناسبة سورة الانفطار لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعي

سورة الانفطار هي السُّورة رقم: 82 في ترتيب المصحف، والسُّورة التي قبلها هي سورة التَّكْوِير، فكيف يرى البقاعي التَّناسب بين السُّورتين؟ وما هي مقاطع سورة الانفطار في نظره؟ وما أوجه المناسبات بينها؟ ذلك ما سيتمُّ بحثه في العنصرين الآتيين.

أ- المناسبة بين سورة الانفطار وسورة التَّكْوِير عند البقاعي:

يرى البقاعي أنَّ تناسب السُّورتين حاصلٌ من جهتين، بثلاثة أوجهٍ، على النحو الآتي:

● الجهة الأولى: تناسب مقطع التَّكْوِير ومطلع الانفطار

وفيها وجهان:

– الوجه الأوَّل: ذكره في آخر تفسيره سورة التَّكْوِير، وهو إتباع السَّبب بذكر المُسَبَّب؛ فبعد

أَنْ شَرَحَ الْبِقَاعِيُّ مَعْنَى الرَّبُّوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ﴾ (29: التَّكْوِير) واقْتِضَاءَهَا نَفَادَ أَمْرِهِ وَحُكْمِهِ، قَالَ: "فَلِهَذِهِ الرَّبُّوبِيَّةِ صَحَّ

(1) البقاعي، مساعد النظر، (164/3)، ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (169/30).

تصرُّفه في الشَّمْسِ وما تبعها ممَّا ذُكِرَ أَوَّلَ السُّورَةِ ... وانتظم أَوَّلَ الانفطار بما له من بديع الأسرار، فالتَّكْوِيرُ كالانشقاق والتَّفْطِيرُ، والانكدار مثل التساقط والانتشار⁽¹⁾.

والمعنى أَنَّهُ لَمَّا دَلَّ مَقْطَعُ التَّكْوِيرِ عَلَى نَفَازِ أَمْرِهِ وَحُكْمِهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْعَوَالِمِ بِسَبَبِ رُبُوبِيَّتِهِ لَهَا، أَتْبَعَهُ فِي مَطْلَعِ الْانْفِطَارِ بِذِكْرِ بَعْضِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ وَيَتَسَبَّبُ عَنْهُ، مِنْ صِحَّةِ تَصَرُّفِهِ فِي السَّمَاءِ، وَفِيمَا ذُكِرَ بَعْدَهَا بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرَ الرَّبِّ، وَهَذَا مِمَّا يَعْلَلُ التَّرْتِيبَ.

— **الوجه الثاني:** يتجلَّى في قول البقاعيِّ: "لَمَّا حُتِمَتِ التَّكْوِيرُ بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُخْرِجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَأَنَّهُ مُوجِدُ الْخَلْقِ وَمُدَبِّرُهُمْ، وَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ هَكَذَا بِهَذَا الْوَصْفِ لَا آخَرَ لَهُ، أَرْحَامٌ تَدْفَعُ وَأَرْضٌ تَبْلَعُ وَمِنْ مَاتَ فَاتَ وَصَارَ إِلَى الرُّفَاتِ وَلَا عَوْدَ بَعْدَ الْفَوَاتِ، افْتَتَحَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هَذِهِ بِ (مَا يَكُونُ مَقْدِمَةً لِمَقْصُودِ الَّتِي قَبْلَهَا مِنْ⁽²⁾) أَنَّهُ لَا بَدَأَ مِنْ نَقْضِهِ لِهَذَا الْعَالَمِ وَإِخْرَابِهِ لِيَحَاسِبَ النَّاسَ فَيَجْزِي كَأَلَّا مِنَ الْمَحْسَنِ وَالْمَسِيءِ بِمَا عَمِلَ"⁽³⁾. فقدرَّ البقاعيُّ معنيَّ محذوفًا بين المقطع والمطلع بنحو: "وكان من النَّاسِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَا آخَرَ لَهُ" لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى رِبْطِ الْمَقْطَعِ بِالْمَطْلَعِ، وَلَعَلَّهُ مِنَ التَّكَلُّفِ الْمُنْهَبِيِّ عَنْهُ فِي طَلَبِ التَّنَاسُبِ. وَلَا تَظْهَرُ الْحَاجَةُ لِتَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ؛ إِذْ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَقْتَصِرَ قَوْلُهُ عَلَى: "لَمَّا حُتِمَتِ التَّكْوِيرُ بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُخْرِجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَأَنَّهُ مُوجِدُ الْخَلْقِ وَمُدَبِّرُهُمْ، افْتَتَحَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هَذِهِ بِذِكْرِ أَنَّهُ لَا بَدَأَ مِنْ نَقْضِهِ لِهَذَا الْعَالَمِ وَإِخْرَابِهِ؛ لِيَحَاسِبَ النَّاسَ، فَيَجْزِي كَأَلَّا مِنَ الْمَحْسَنِ وَالْمَسِيءِ بِمَا عَمِلَ"؛ فَتَكُونُ الْمُنَاسِبَةُ مِنْ بَابِ تَعْقِيبِ ذِكْرِ إِيجَادِ الْخَلْقِ بِذِكْرِ فَنَائِهِمْ وَمَصِيرِهِمْ بَعْدَهُ.

● الجهة الثانية: بين مطلع سورة الانفطار ومقصود سورة التَّكْوِيرِ

أشار البقاعيُّ في كلامه السَّابِقِ إِلَى الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ مَطْلَعِ سُورَةِ الْانْفِطَارِ وَمَقْصُودِ سُورَةِ التَّكْوِيرِ بِقَوْلِهِ: "افْتَتَحَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هَذِهِ بِمَا يَكُونُ مَقْدِمَةً لِمَقْصُودِ الَّتِي قَبْلَهَا". وَذَكَرَ فِيمَا بَعْدُ، أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ فِي مَطْلَعِ الْانْفِطَارِ عَدَدًا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْانْتِقَالِ مِنْ

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (296-297/21). ولعلَّ الصَّوَابُ: "الانتار" مكان "الانتشار"، وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكُورُكِبُ

انْتَرَتْ⁽²⁾﴾ (الانفطار: 2)، فيكون ما جاء في الأصل من أخطاء الطِّبَاعَةِ.

(2) هذه العبارة بين قوسين تدلُّ على مناسبةٍ أُخْرَى يَأْتِي ذِكْرُهَا بَعْدَ هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْمُنَاسِبَةِ.

(3) البقاعيُّ، نظم الدرر، (298/21).

هذه الدَّارِ إلى دارٍ أخرى؛ لخراب هذه الدَّارِ⁽¹⁾، وذكر في تفسير سورة التَّكْوِيرِ أَنَّ مقصودها هو: "التَّهْدِيدُ الشَّدِيدُ بِيَوْمِ الوَعِيدِ لِمَنْ كَذَّبَ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تَذَكُّرٌ لِمَنْ ذَكَرَهُ"⁽²⁾.
فوجه المناسبة: أَنَّهُ لَمَّا هَدَّدَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي سُورَةِ التَّكْوِيرِ، افْتَتَحَ الْانْفِطَارَ بِذِكْرِ بَعْضِ مَقَدِّمَاتِهِ وَأَشْرَاطِهِ. وَهَذَا مَنَاسِبٌ لِتَعْلِيلِ التَّرْتِيبِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ.

ب- مناسبات مقاطع سورة الانفطار عند البقاعي:

يرى البقاعي أَنَّ السُّورَةَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ أَرْبَعَةِ مَقَاطِعَ مَنَاسِبَةٍ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

1- المقطع الأول:

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤ ﴾ (الانفطار: 1-5)

يَذَكِّرُ الْمَقْطَعُ الْأَوَّلُ -وهو مطلع السُّورَةِ- عددًا من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْانْتِقَالِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ إِلَى دَارٍ أُخْرَى، لَخْرَابِ هَذِهِ الدَّارِ.⁽³⁾
وَقَدْ كَشَفَ الْبِقَاعِيُّ عَنِ مَنَاسِبَةِ افْتِتَاحِ السُّورَةِ بِهِ؛ فَارْجَعَهَا إِلَى الْمَنَاسِبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَقْصُودِ السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَإِلَى الْمَنَاسِبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَقْطَعِ السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُمَا قَرِيبًا فِي أَثْنَاءِ الْكَشْفِ عَنِ وَجْهِهِ تَنَاسُبِ السُّورَتَيْنِ.

2- المقطع الثاني:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْرَبِ ⑥ أَلَمْ يَخْلُقْكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ⑨ ﴾ (الانفطار: 6-9)

المقطع الثاني عند البقاعي في إنكار الاغترار بكرم الله تعالى، مع ما تضمنته من الدلالة على قدرته على الإعادة بالقدرة على الابتداء⁽⁴⁾، ومناسبته للمقطع الذي قبله أَنَّهُ بَعْدَ التَّرْهِيْبِ

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (301-300/21).

(2) نفسه، (274/21)، بتصرفٍ بحذفٍ يسيرٍ.

(3) ينظر: نفسه، (301-300/21).

(4) نفسه، (305/21).

في المقطع الأوَّل بيوم القيامة، وبوقوف كلِّ نفسٍ على كلِّ ما عملت، من خيرٍ أو شرٍّ، أعقبه في هذا المقطع بإنكار ما قد يكون من بعض النَّاس من تهاونٍ ببعض المعاصي اغترارًا بكرم الله تعالى، بأنَّه لكرمه لا يفعل بالمتهاون إلاَّ خيرًا⁽¹⁾.

3- المقطع الثالث:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الانْفِطَار: 10-12)

يرى البقاعيُّ أنَّ المقطع الثالث واردٌ في تأكيد حفظ الملائكة لأعمال العباد، وهو ما يستلزم الجزاء عليها، وأنَّ ذلك التأكيد مُسَبَّبٌ عمَّا ذُكر في المقطع الذي قبله من تكذيبهم بالجزاء على الأعمال يوم البعث⁽²⁾.

4- المقطع الرابع:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الانْفِطَار: 13-19)

يرى البقاعيُّ أنَّ المقطع بيانٌ للجزاء النَّاتج عن حفظ الأعمال المذكور في المقطع الذي قبله، فقال: "ولمَّا كانت نتيجة حفظ الأعمال الجزاء عليها، أنتج ذلك بيان ما كانت الكتابة لأجله، تفريقًا بين المحسن والمسيء، الذي لا يصحُّ في حكمة حكيمٍ ولا كرم كريمٍ غيره"⁽³⁾.

الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة الانفطار عند البقاعيِّ

يرى البقاعيُّ أنَّ تناسب آيات سورة الانفطار واردٌ على النَّحو الآتي:

1- مناسبة الآية: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ ﴾

الآية بداية السُّورة وبداية المقطع الأوَّل منها، وقد اكتفى البقاعيُّ ببيان مناسبة افتتاح

(1) ينظر: البقاعيُّ، نظم الدرر، (301/21).

(2) ينظر: نفسه، (306/21).

(3) نفسه.

السُّورَةُ بِهَذَا الْمَقْطَعِ، وَمُنَاسِبَتُهُ لِمَقْطَعِ السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، دُونَ أَنْ يَكْشِفَ عَنِ مَنَاسِبَةِ افْتِتَاحِ الْمَقْطَعِ بِهَذِهِ الْآيَةِ.

2- مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ (2)

مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِلآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا عِنْدَ الْبِقَاعِيِّ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَمَّا ذَكَرَ انْفِطَارَ السَّمَاءِ، أَعْقَبَهُ بِمَا يَلِزَمُ مِنْهُ وَهُوَ وَهْيُهَا وَسُقُوطُ كَوَاكِبِهَا، تَخْوِيفًا لِمَنْ تَحْتَهَا. (1)

3- مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ (3)

كَشَفَ الْبِقَاعِيُّ عَنِ مَنَاسِبَةِ الْآيَةِ لِلآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا فَقَالَ: "وَلَمَّا كَانَ إِخْبَارُهُ بِمَا دَلَّ عَلَى وَهْيِ السَّمَاءِ مُشْعَرًا بِوَهْيِ الْأَرْضِ، لِأَنَّهَا أَتَقَنَّ مِنْهَا وَأَشْرَفَ؛ إِذْ هِيَ لِلْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ الذِّكْرِ لِلْأُنْثَى، صَرَّحَ بِوَهْيِ الْأَرْضِ فَقَالَ مُخْبِرًا بِانْفِطَارِ الْأَرْضِ أَيْضًا، لِيَجْمَعَ بَيْنَ التَّخْوِيفِ بِالْمُطَلِّ (2) وَالتَّرْوِيعِ بِالْمَقْلِ (3) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ﴾... (4)". وَالْمَعْنَى أَنَّ التَّعْقِيبَ بِالآيَةِ جَاءَ لِمَنَاسِبَتَيْنِ: التَّصْرِيحُ بِمَا أَشْعَرَتِ الْآيَةُ الَّتِي قَبْلَهَا أَنَّهُ أَوْلَى بِالْحَصُولِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ أَنْوَاعٍ مِنَ التَّخْوِيفِ.

4- مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ (4)

يَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ التَّعْقِيبَ بِالآيَةِ لِدَفْعِ مَا قَدْ يُتَوَهَّمُ مِنَ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، فَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِحْتِرَاسِ، حَيْثُ قَالَ: "وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ (يَعْنِي تَفْجِيرَ الْبِحَارِ) مُقْتَضِيًا لِعَمْرِ الْقُبُورِ، فَأَوْهَمَ أَنَّ أَهْلَهَا لَا يَقُومُونَ، كَمَا كَانَ الْعَرَبُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَنْ مَاتَ فَاتَ، قَالَ دَافِعًا لِذَلِكَ عَلَى نَمَطِ كَلَامِ الْقَادِرِينَ إِشَارَةً إِلَى سَهُولَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ﴾ أَي مَعَ ذَلِكَ كَلِمَةُ ﴿بُعِثَتْ﴾ (5)".

5- مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (5)

الآيَةُ - عِنْدَ الْبِقَاعِيِّ - جَمَلَةٌ جَوَابُ الشُّرُوطِ السَّابِقَةِ، وَبَيْنَ الشَّرْطِ وَالْمَشْرُوطِ مَنَاسِبَةٌ حَيْثُ قَالَ: "وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الشُّرُوطُ كُلُّهَا الَّتِي جُعِلَتْ أَشْرَاطًا عَلَى السَّاعَةِ مُوجِبَةً لِعُلُومٍ دَقِيقَةٍ،

(1) يَنْظُرُ: الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرْرِ، (299/21).

(2) "الْمُطَلُّ مِنَ الْأُمُورِ غَيْرِ الْمُسْتَقَرِّ، يُقَالُ أَمْرٌ مُطَلٌّ" (مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، ص: 564). وَيَقْصِدُ بِهِ هُنَا السَّمَاءُ حَالِ كَوْنِهَا مَنْفُطَرَةً.

(3) "الْمَقْلُ: مَعَاصُ الْبَحْرِ" (نَفْسُهُ، ص: 880)، أَي مَوْضِعُ الْمَغَاصِ مِنْهُ.

(4) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرْرِ، (300-299/21)، بِتَصْرُفٍ بِالْحَذْفِ.

(5) وَبِعِثْرَةُ الْقُبُورِ: "نَبَشُ تَرَابِهَا، عَلَى أَسْهَلِ وَجْهِ، عَنِ أَهْلِهَا؛ فَقَامُوا أَحْيَاءَ كَمَا كَانُوا". (نَفْسُهُ، 300/21).

وتكشف كلُّ واحدةٍ منها عن أمورٍ عجيبةٍ، وكانت كلُّها دالَّةً على الانتقال من هذه الدَّارِ إلى دارٍ أخرى لخراب هذه الدَّارِ، ناسب أن يجيب ﴿إِذَا﴾ بقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ ... ﴿مَا قَدَّمَتْ﴾ أي من عمل ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ أي جميع ما عملت من خيرٍ أو شرٍّ أو غيرهما، أو ما قدَّمت قبل الموت وما أَخَّرَتْ من سُنَّةٍ تبقى بعده⁽¹⁾. فالمعنى أنَّ الآية جوابُ الشُّروطِ السَّابِقةِ بما يناسب ما دلَّت عليه من وجوب العلم والكشف.

6- مناسبة الآية: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ﴾

الآية عند البقاعيِّ بداية مقطوعٍ في إنكار اجترأ الإنسان على المعاصي اغترارًا بكرم الله تعالى، فبيَّن البقاعيُّ مناسبة الآية لغرض للمقطع، بأنَّ الإنكار فيها جاء بوصفَي الرُّبوبيَّةِ والكرم؛ حيث إنَّهما مع دلالتهما على الإحسان، يدلَّان على الجبروت والقهر والانتقام عند الإمعان في الإجرام، فكان ذلك مانعًا من الاغترار.

وأما من جهة معاني الإحسان فيهما، فالمحسن الَّذي لا تكدير في إحسانه بوجه، أحقُّ بأن يُستحى منه فلا يُعصى له أمرٌ، ولا يفرط له في حقِّ.

ووجهٌ آخر للإنكار بمهذين الوصفين، وهو إقامة الحجَّة، فالرَّبُّ الكريم هو المستحقُّ لأنَّ يطاع فلا يعصى⁽²⁾.

7- مناسبة الآية: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّبَكَ غَدَاةً﴾

يرى البقاعيُّ أنَّ الآية في موقع الدَّلِيلِ على الوصفين المذكورين في الآية التي قبلها، تقريرًا لهما⁽³⁾.

8- مناسبة الآية: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

يرى البقاعيُّ أنَّ الآية مُنتِجَةٌ عمَّا دلَّت عليه الآية التي قبلها، حيث قال: "ولمَّا أضاء بهذا إضاءة الشَّمْسِ أنَّه عظيم القُدرة على كلِّ ما يريد، أنتج قوله معلِّقًا بـ (رَكَّبَ): ﴿فِي أَيِّ﴾

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (301-300/21).

(2) ومعنى ﴿الكَرِيمِ﴾: "أي الَّذي له الكمال كلُّه المقنضي لئلاَّ يهمل الظَّالم بل يمهله، ولا يسوِّي بين المحسن والمسيء، والموالي والمعادي، والمطيع والمعاصي". (ينظر: نفسه، 303-302/21).

(3) ينظر: نفسه، (303/21).

﴿سُورَةٍ﴾...⁽¹⁾؛ أي لَمَّا دَلَّت الآية التي قبلها على عظيم قدرة الله تعالى، ذُكرت هذه أحد مظاهر تلك القدرة العظيمة.

9- مناسبة الآية: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾⁽⁹⁾

الآية في نظر البقاعي بيان لدرجة الاغترار المذكور في الآي التي قبلها أنه سبب خسار الإنسان، وبيان لحقيقته، حيث قال: "ولمَّا أوضح سبحانه غاية الإيضاح الدليل على قدرته على الإعادة بالابتداء، وبيّن تعالى أنه ما أوجب للإنسان الخسار بنسيان هذا الدليل الدال على تلك الدار إلا الاغترار، وكان الاغترار يُطلق على أدنى المعنى، بيّن أنه ارتقى به الذروة فقال: ﴿كَلَّا﴾ أي ما أوقعكم أيها الناس في الإعراض عمّن يجب الإقبال عليه، ويقبُح غاية القباحة الإعراض بوجهٍ عنه مطلق الغرور ﴿بَلْ﴾ أعظمه، وهو أنكم ﴿تُكَذِّبُونَ﴾... ﴿بِالَّذِينَ﴾ أي الجزاء الذي وظّفه الله في يوم البعث"⁽²⁾.

10- مناسبة الآية: ﴿وَلِإِن عَلِمْتُمْ لِحُفُوظِن﴾⁽¹⁰⁾

الآية عند البقاعي بداية مقطع، وقد بيّن مناسبتها لما قبلها من الآي، فذكر أنّها مفرّعة على الآي التي قبلها موعظة للمغترّين وردعاً لهم، للرجوع عن الغرور مطلقاً خاصّاً وعامّاً، وذلك بإعلامهم أنّ عليهم ملائكة حافظين، أي في غاية العلوّ على أعمالهم، بحيث لا يخفى عليهم منها جليلٌ ولا حقيرٌ.⁽³⁾

11- مناسبة الآية: ﴿كِرَامًا كِنِين﴾⁽¹¹⁾

الآية في وصف الملائكة المذكورين في الآية التي قبلها، وقد بيّن البقاعي مناسبة الوصفين المذكورين فيها للوصف المذكور في الآية التي قبلها فقال: "ولمَّا أثبت لهم الحفظ، نرّهم عن الزيادة والتقص فقال: ﴿كِرَامًا﴾ أي فهم في غاية ما يكونون من طهارة الأخلاق والعفة والأمانة... ولمَّا ثبت الحفظ والأمانة بغاية الإبانة، وكان الحافظ رُماً ينسى قال: ﴿كِنِين﴾ أي هم راسخون في وصف الكتابة، يكتبونها في الصُّحف كما يكتب الشُّهود بينكم العهود،

(1) البقاعي، نظم الدرر، (304/21).

(2) نفسه، (305/21).

(3) ينظر: نفسه.

ليقع الجزاء على غاية التَّحْرِيرِ" (1).

12- مناسبة الآية: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (12)

الآية عند البقاعيِّ مصرَّحةٌ بالمفهوم من الآيتين اللَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا، حيث قال: "وَلَمَّا أَفْهَمَ الاستِعْلَاءُ والتَّعْبِيرُ بالوصف إحاطة الإطْلَاعِ على ما يَبْرُزُ من الأعمال، صرَّحَ به فقال: ﴿يَعْلَمُونَ﴾... (2)".

13- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (13)

الآية عند البقاعيِّ بدايةً مقطوعٍ في بيان الجزاء على أعمال العباد يوم القيامة كما سبق ذكره، ولم يكشف البقاعيُّ عن مناسبة الابتداء بذكر الأبرار قبل الفجَّارِ.

14- مناسبة الآية: ﴿وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (14)

مناسبة الآية للآية التي قبلها عند البقاعيِّ أنَّه سبحانه بعدما ذكَّرَ قِسْمَ الأبرار، أعقبه بذكر قِسْمِ الفجَّارِ؛ تفريقاً بين المحسن والمسيء. (3)

15- مناسبة الآية: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (15)

تتجلَّى مناسبة الآية للآية التي قبلها -عند البقاعيِّ- في قوله: "وَلَمَّا كَانَ السِّبَاقُ للترَّهيبِ، وصف عذاب الفجَّارِ فقال: ﴿يَصَلُّونَهَا﴾، أي يغمسون فيها كالشَّاةِ المصلية، فيباشرون حرَّها" (4). فالمناسبة: الاستطرادُ بوصف عذاب الفجَّارِ لأنَّ سياق السُّورة للترَّهيبِ.

16- مناسبة الآية: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ (16)

كشف البقاعيُّ عن مناسبة الآية للآية التي قبلها فقال: "وَلَمَّا كَانَ العذاب على ما نعهده لِأَبْدُ أَنْ يَنْقُضِي، بَيَّنَّ أَنَّ عَذَابَهُ على غير ذلك" (5).

17- مناسبة الآية: ﴿وَمَا أَدْرَبَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (17)

مناسبة الآية عند البقاعيِّ أنَّه سبحانه وتعالى لَمَّا ذكَّرَ يَوْمَ الدِّينِ فيما قبلها، هوَّلَ في هذه

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر، (306-305/21).

(2) نفسه، (306/21).

(3) نفسه.

(4) نفسه، (307/21).

(5) نفسه.

أمره، حيث قال: "وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْوَعِيدَ الْأَعْظَمَ يَوْمَ الدِّينِ، هَوَّلَ أَمْرَهُ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ إِعْلَامًا بِأَنَّهُ أَهْلٌ لِأَنَّ يُصَرِّفَ الْعَمْرُ إِلَى الْإِعْتِنَاءِ بِأَمْرِهِ وَالسُّؤَالِ عَنْ حَقِيقَةِ حَالِهِ، سَوْأَلِ إِيمَانٍ وَإِدْعَانٍ، لَا سَوْأَلِ كِفْرَانٍ وَطُغْيَانٍ، لِيَكُونَ أَقْعَدَ فِي الْوَعِيدِ بِهِ"⁽¹⁾.

18- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ مَا آذَرَبِكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽¹⁸⁾

الآية عند البقاعي زيادة تَهْوِيلٍ لِلأَمْرِ الْمُهَوَّلِ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، حَيْثُ قَالَ: "وَلَمَّا كَانَتْ أَهْوَالُهُ زَائِدَةً عَلَى الْحَدِّ، كَرَّرَ ذَلِكَ السُّؤَالَ لِذَلِكَ الْحَالِ، فَقَالَ مَعْبَرًا بِأَدَاةِ التَّرَاخِي زِيَادَةً فِي التَّهْوِيلِ: ﴿ثُمَّ مَا آذَرَبِكَ﴾ ..."⁽²⁾.

19- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾⁽¹⁹⁾

الآية مؤلفة من جملتين، يرى البقاعي أَنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى مَبْدَلَةٌ مِنْ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾؛ لِتَلْخِيصِ عِظْمَةِ الْيَوْمِ الْمُعْظَمِ فِي الْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا بِمَا تَحْتَمِلُهُ الْعُقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، وَدَفْعِ شَبْهَةِ إِمْكَانِ الْخِلَاصِ مِنَ الْعِقَابِ.

وَأَمَّا الْجُمْلَةُ الْأُخْرَى فَمَعْطُوفَةٌ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا مُؤَكِّدَةٌ لِمَعْنَاهَا، حَيْثُ قَالَ: "وَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ: فَلَا أَمْرَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَصْلًا، لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا، عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أَي كُلُّهُ مَخْتَصٌّ بِهِ لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ مَشَارِكٌ ظَاهِرًا كَمَا أَنَّهُ لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ بَاطِنًا"⁽³⁾.
وَلَمَّا كَانَتْ الْآيَةُ آخِرَ آيِ هَذِهِ السُّورَةِ، بَيَّنَّ مَنَاسِبَتَهَا لِأَوَّلِ السُّورَةِ فَقَالَ: "وَيَحْصُلُ هُنَاكَ الْكَشْفُ الْكُلِّيُّ، فَلَا يَدَّعِي أَحَدٌ لِأَحَدٍ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ بَغَيْرِ إِذْنِ ظَاهِرٍ خَاصٍّ، وَتَصْبِيرُ الْمَعَارِفِ بِذَلِكَ ضَرُورِيَّةٌ، فَلِذَلِكَ كَانَ الْإِنْفِطَارُ وَالزَّلَازِلُ الْكُبَارُ، وَالْإِحْصَاءُ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ الصِّغَارِ وَالْكُبَارِ، وَقَدْ رَجَعَ آخِرُهَا كَمَا تَرَى إِلَى أَوَّلِهَا، وَالتَّفَتُّ مِفْصَلُهَا بِمَوْصِلِهَا"⁽⁴⁾.

فوجه المناسبة بين المفتتح والمختتم عنده أَنَّ مَا يَقَعُ مِمَّا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ إِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ أَنْ يَتَحَقَّقَ مَا ذُكِرَ فِي آخِرِ السُّورَةِ. إِلَّا أَنَّ مَا قَدَّرَهُ الْبِقَاعِيُّ مِنْ مَعْنَى حَصُولِ الْكَشْفِ لَا تَظْهَرُ دَلَالَةُ آخِرِ السُّورَةِ عَلَيْهِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر، (308/21).

(2) نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (309-308/21).

(4) نفسه، (309/21).

المطلب الثاني: مناسبات سورة الانفطار عند ابن عاشور

يستعرض هذا المطلب مناسبة سورة الانفطار للسُّورَة الَّتِي قَبْلَهَا، ومناسبات مقاطعها فيما بينها، ومناسبات آياتها فيما بينها وفقاً لاجتهادات ابن عاشور.

الفرع الأول: مناسبة سورة الانفطار لما قبلها (التَّكْوِير) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور
لم يكشف ابن عاشور عن المناسبة بين سورة الانفطار وسورة التَّكْوِير. وأمَّا مقاطع سورة الانفطار، فيرى أنَّها أربعة متناسبة، وذلك على النحو الآتي:

1- المقطع الأول:

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤ ﴾ (الانفطار: 1-5)

المقطع الأول من السُّورَة تَهْوِيلٌ وَإِنْدَارٌ بوقوع البعث، ومناسبة الافتتاح به أنَّه بمنزلة المقدِّمة المهيَّئة للسَّامِع لتلقِّي موعظة المقطع الَّذِي يليه، وسيأتي ذكر الشَّاهد من كلام ابن عاشور في أثناء الحديث عن المقطع التَّالِي.

2- المقطع الثاني:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ ⑥ اذْكُرْ خَلْقَكَ فَسَوْدَكَ فَعَدْلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَبُّكَ ⑧ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ⑨ ﴾ (الانفطار: 6-9)

يرى ابن عاشور أنَّ المقطع مُسْتَأْنَفٌ موعظةٌ للسَّامِع، حيث قال: "استئناف ابتدائي؛ لأنَّ ما قبله بمنزلة المقدِّمة له لتهيئة السَّامِع لتلقِّي هذه الموعظة؛ لأنَّ ما سبقه من التَّهْوِيلِ وَالْإِنْدَارِ يَهَيِّئُ النَّفْسَ لِقَبُولِ الموعظة، إذ الموعظة تكون أشدَّ تغلغلاً في القلب حينئذٍ، لِمَا يَشْعُرُ به السَّامِع من انكسار نفسه ورقَّة قلبه، فيزول عنه طغيان المكابرة والعناد، فَحَطَرَ فِي النَّفْسِ تَرَقُّبٌ شَيْءٍ بعد ذلك"⁽¹⁾. وأُعْقِبَتِ الموعظة فيه بتوبيخٍ وزجرٍ على الكفر والشِّرك والتَّكْذِيبِ بالبعث⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (173/30).

(2) ينظر: نفسه، (178/30).

3- المقطع الثالث:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الانفطار: 10-12)

يرى ابن عاشور أنَّ المقطع معطوفٌ على جملة ﴿ تَكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ (من الآية 9) لتأكيد ثبوت الجزاء على الأعمال، وقال: "إذ لولا الجزاء على الأعمال لكان الاعتناء بإحصائها عبثاً"⁽¹⁾، فالتأكيد حصل بذكر اعتناء الملائكة بإحصاء أعمال العباد.

وقد سبق وأن ذكر ابن عاشور دلالة قوله تعالى: ﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ على ثبوت الجزاء⁽²⁾، فلذلك كان إثبات الجزاء في هذا الموضع من باب التأكيد.

4- المقطع الرابع:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الانفطار: 13-19)

يرى ابن عاشور أنَّ المناسبة بين المقطع والمقطع الذي قبله حاصلةٌ بوجهين:

• الأول: أنه مستأنفٌ استئنافاً بيانياً، جواباً عن سؤالٍ يخطر في نفس السامع يُثيره قوله

تعالى: ﴿ بَلْ تَكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ ﴾، إذ تتشوّف النفس إلى معرفة

ماهية هذا الجزاء، وإلى معرفة غاية إقامة الملائكة لإحصاء الأعمال ما هي؟ فجاء

بيان ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

• الثاني: أنه تفصيلٌ لجملة ﴿ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، وذلك بتقسيم أصحاب

الأعمال.⁽³⁾

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّوْبِيرُ، (179/30).

(2) نفسه، (172/30، 173).

(3) ينظر: نفسه، (181/30).

الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة الانفطار عند ابن عاشور

يرى ابن عاشور أنّ آيات سورة الانفطار متناسبة على النحو الآتي:

1- مناسبة الآية: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت﴾ (1)

الآية بداية السُّورة وبداية المقطع الأوّل منها، وقد كشف ابن عاشور عن مناسبة الافتتاح بها فقال: "الافتتاح بـ ﴿إِذَا﴾ افتتاحٌ مشوّقٌ لما يرد بعدها من متعلّقها الذي هو جوابٌ ما في ﴿إِذَا﴾ من معنى الشرط" (1).

ولم يصرّح بمناسبة تقديم ذكر انفطار السّماء على بقية الأحداث، وإن كان يُفهم من كلامه أنّها أوّلها حدوداً وبقية متأثرة عنها، كما سيأتي بيانه.

2- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْكواكبُ انثرت﴾ (2)

وضّح ابن عاشور العوامل المؤدّية إلى انفطار السّماء وانتثار الكواكب وانفجار البحار، وبالتأمّل فيها يمكن استنتاج المناسبة بين الآيات الثلاث الأولى من السُّورة عند ابن عاشور. فلمّا كان انفطار السّماء علامةً على انحلال النّظام المتعلّق بها كلّها، أعقب ذلك بما يتأثر عن اختلال قوّة الجاذبيّة التي أقيم عليها نظام العالم الشمسيّ، وهو انتشار الكواكب. (2)

3- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْبِحارُ فجرت﴾ (3)

بيّن ابن عاشور سبب انفجار البحار بأنّه لَمّا فسد نظام السّماء، فسدت كرة الهواء الضّاغطة على مياه البحر، ممّا أدّى إلى انفجارها وغمرها سطح الأرض، فيهلك ما عليها. (3) وذلك سرُّ ترتيب الآيات الثلاث الأولى عنده، وهو أنّ المتأخّرة متأثرة عن المتقدّمة.

4- مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا الْقُبورُ بعثرت﴾ (4)

كشف ابن عاشور عن مناسبة تخصيص ذكر بعثرة القبور من أحوال الأرض الأخرى فقال: "وبعثرة القبور: حالة من حالات الانقلاب الأرضيّ والحسف، حُصّت بالذّكر من بين حالات الأرض لِمّا فيها من الهول باستحضار حالة الأرض وقد أُلّقت على ظاهرها ما كان

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّشوير، (170/30).

(2) ينظر: نفسه، (171/30).

(3) ينظر: نفسه، (172/30).

في باطن المقابر من جُثثٍ كاملةٍ ورفاتٍ" (1).

5- مناسبة الآية: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۖ﴾ (5)

الآية عند ابن عاشور جملة جواب الشرط، حيث قال: "وجملة: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۖ﴾ جواب لما في ﴿إِذَا﴾ من معنى الشرط، ويتنازع التعلُّق به جميع ما ذُكر من كلمات ﴿إِذَا﴾ الأربع. وهذا العلم كناية عن الحساب على ما قدَّمت النفوس وأخَّرت". وأشار إلى المناسبة بين الشرط و المشروط، فقال: "وعلم النفوس بما قدَّمت وأخَّرت يحصل بعد حصول ما تضمَّنته جُمْل الشرط بـ ﴿إِذَا﴾؛ إذ لا يلزم في ربط المشروط بشرطه أن يكون حصوله مقارناً لحصول شرطه". (2)

6- مناسبة الآية: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (6)

الآية عند ابن عاشور بدايةً مقطعٍ مستأنفٍ للوعظ كما سبق بيانه. ومناسبة افتتاحه بأسلوب النداء عنده تتجلى في قوله: "النداء للتنبية تنبيهاً يُشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه... موجَّهاً لكلِّ من يسمعه بقصدٍ أو بغير قصدٍ"، وإن كان النداء موجَّهاً لكلِّ من يسمعه، فالمقصود بالسُّورة هم المشركون المنكرون البعث. (3) وتضمَّنت الآية استفهاماً مجازاً في الإنكار والتعجيب من الشِّرك وإنكار البعث، وتذكيراً بربوبية الله وكرمه تعريضاً بالتَّوْبِيخِ على ترك موجَّبهما من الطَّاعة والشُّكر. (4)

7- مناسبة الآية: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ﴾ (7)

الآية من تمام التَّذْكِيرِ السَّابِقِ ببعض النِّعمِ تعريضاً بالتَّوْبِيخِ على ترك موجَّبهما، قال ابن عاشور: "والوصف الثالث الذي تضمَّنته الصِّلَّةُ ﴿فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾ جامعٌ لكثيرٍ ممَّا يُؤذَنُ به الوصفان الأوَّلان، فإنَّ الخلق والتَّسْوِيَةَ والتَّعْدِيلَ وتحسين الصُّورة من الرِّفْقِ بالمخلوق، وهي نعمٌ عليه، وجميع ذلك تعريضٌ بالتَّوْبِيخِ على كفران نعمته بعبادة غيره" (5).

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّوْبِيخُ، (172/30).

(2) نفسه.

(3) ينظر: نفسه، (174-173/30).

(4) ينظر: نفسه، (175-174/30).

(5) نفسه، (175/30).

8- مناسبة الآية: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾

مناسبة الآية عند ابن عاشور مبنيّة على تقدير مواقع أجزائها، وقد ذكر وجهين لقراءة الآية، تبعًا لموقع قوله: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ۝٨ ﴾. فإمّا أن تكون من تنمّة الآية التي قبلها، حالًا من كاف الخطاب في قوله ﴿ فَعَدَّلَكَ ۝٨ ﴾، وتكون جملة ﴿ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ بيانًا لجملة ﴿ عَدَّلَكَ ۝٨ ﴾، ولكون جملة ﴿ عَدَّلَكَ ۝٨ ﴾ مفرّعة على جملة ﴿ فَسَوَّيْنَاكَ ۝٨ ﴾ المفرّعة على جملة ﴿ خَلَقْنَاكَ ۝٨ ﴾ فيها بيانٌ لهما. وإمّا أن تكون جملة ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ۝٨ ﴾ متعلّقة بقوله ﴿ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾، حالًا من كاف الخطاب فيها، ويكون قوله ﴿ مَا شَاءَ ۝٨ ﴾ معترضًا بين ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ۝٨ ﴾ وبين ﴿ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾⁽¹⁾. ولم يبيّن في هذه الحالة مناسبتها للآية التي قبلها.

9- مناسبة الآية: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝٩ ﴾

الآية مؤلّفة من حرف الرّدع والإبطال ﴿ كَلَّا ۝٩ ﴾ والجملة التي بعده، فإمّا أن تكون ﴿ كَلَّا ۝٩ ﴾ ردعًا عن الغرور المتضمّن في قوله: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٩ ﴾ (من الآية 6)، وتكون الجملة التي بعد ﴿ كَلَّا ۝٩ ﴾ إضرابًا انتقاليًا من التّوبيخ والزّجر على الكفر إلى التّوبيخ والزّجر على جرم فطيع آخر، وهو التّكذيب بالبعث والجزاء. وإمّا أن تكون ﴿ كَلَّا ۝٩ ﴾ إبطالًا لوجود ما يغرّ الإنسان أن يُشرك بالله، فلا عذر له في ذلك، وتكون الجملة التي بعدها إضرابًا إبطاليًا، وما بعد ﴿ بَلْ ۝٩ ﴾ بيانًا لما جرّأهم على الإشراك، وهو التّكذيب بالجزاء⁽²⁾.

10- مناسبة الآية: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ ﴾

الآية بداية مقطع في تأكيد ثبوت الجزاء على الأعمال كما سبق بيانه، وقد كشف ابن عاشور عن مناسبة الابتداء بها فقال: "وابتدئ منها (أوصاف الملائكة) بوصف الحفظ لأنّه الغرض الذي سبق⁽³⁾ لأجله الكلام الذي هو إثبات الجزاء على جميع الأعمال"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحوير والتّنوير، (177/30).

(2) ينظر: نفسه، (178/30).

(3) ورد في الأصل "سبق" ويبدو أنّه من أخطاء الطّباعة.

(4) ابن عاشور، التّحوير والتّنوير، (179/30).

11- ﴿كِرَامًا كَانِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

اكتفى ابن عاشور بإجمال القول في مناسبة الآيتين للآية التي قبلهما فقال: "ثمَّ ذُكِرَتْ بعده صفاتٌ ثلاثٌ بها كمال الحفظ والإحصاء، وفيها تنويهٌ بشأن الملائكة الحافظين"⁽¹⁾. فللمناسبة تعقيبُ المذكور بما به كماله. وقد شرح معاني تلك الصفات الأربع وهي: الحفظ، والكرم، والكتابة، والعلم بما يعمله النَّاسُ، وبيَّن أثرها في حفظ أعمال العباد.⁽²⁾

12- مناسبة الآية: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

الآية - كما سبق ذكره - بداية مقطعٍ مبينٍ للغاية من إحصاء الملائكة للأعمال، ومُقَسِّمٍ لأصحاب الأعمال، ومبيِّنٍ للجزاء، ولم يكشف ابن عاشور عن مناسبة الابتداء بذكر قسم الأبرار وجزائهم.

13- مناسبة الآية: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾

لَمَّا لم يتكلَّم ابن عاشور عن مناسبة الابتداء بالقسم الأوَّل، لم يتكلَّم عن مناسبة التَّعْقِيبِ بالقسم الثاني. ومهما يكن المبدوء به أوَّلًا، فإنَّ مناسبة التَّعْقِيبِ بالآخر ظاهرةٌ وهي إتمام التَّقْسِيمِ والمقابلة.

14- مناسبة الآية: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾﴾

تتضح مناسبة الآية عند ابن عاشور من قوله: "و﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾ ظرفٌ لـ ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ وذكر بيان أنَّهم يصلونها جزاءً عن فجورهم، لأنَّ الدِّينَ الجزاءُ، ويوم الدِّينِ يومُ الجزاء، وهو من أسماء يوم القيامة"⁽³⁾. فمناسبة الآية للآية التي قبلها أنَّه تعالى لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ الْفُجَّارَ فِي الْجَحِيمِ، أعقبه ببيان سبب ذلك العقاب، بأنَّه الجزاءُ على فجورهم.

15- مناسبة الآية: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

ذكر ابن عاشور أنَّ جملة الآية حالٌ من الجملة التي قبلها، حيث قال: "جملة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ عَطْفٌ عَلَى جملة ﴿يَصَلُّونَهَا﴾، أي يَصَلُّونَ حَرِّهَا ولا يفارقونها، أي وهم خالدون

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، (179/30).

(2) ينظر: نفسه، (180/30).

(3) وصلي النَّار: "مسَّ حَرِّهَا للجسم، يقال: صلي النَّار، إذا أَحَسَّ بِحَرِّهَا، وحقيقته: الإحساس بِحَرِّ النَّارِ الْمُؤَلَّمِ". (نفسه، 182/30).

فيها"⁽¹⁾. فالمناسبة أنه تعالى بعد أن ذكر صليهم النار بين حالهم فيها بأنهم فيها خالدون.

16- مناسبة الآية: ﴿وَمَا أَدْرِيكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽¹⁷⁾

تحدث ابن عاشور عن موقع جملة الآية فقال: "يجوز أن تكون حاليّة، والواو واو الحال، ويجوز أن تكون معترضةً إذا جعل ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ (من الآية 19) بدلاً من ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ (من الآية 15) المنصوب على الظرفيّة"، ثم قال: "والاستفهام الأول مستعمل كنايةً عن تعظيم أمر اليوم وتهويله ... والمقصود أنه لا تصل إلى كنهه دراية دار، والاستفهام الثاني حقيقي، أي سؤال سائل عن حقيقة يوم الدين"⁽²⁾.

فسواءً أكانت جملة الآية حالاً أم معترضةً، فالمناسبة واحدة وهي: بعد أن ذكر أنهم يصلون الجحيم يوم القيامة، أعقبه بهويل ذلك اليوم وتعظيم أمره.

17- مناسبة الآية: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرِيكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽¹⁸⁾

تتلخص مناسبة الآية للآية التي قبلها عند ابن عاشور في قوله: "تكريرٌ للتهويل تكريراً يؤذن بزيادته"⁽³⁾.

18- مناسبة الآية: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾⁽¹⁹⁾

الآية مؤلفة من جملتين، يرى ابن عاشور أنّ الجملة الأولى وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ مبيّنة للتهويل العظيم المُجمل الذي أفاده قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِيكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽¹⁷⁾ ثمّ ما أَدْرِيكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ⁽¹⁸⁾، مع ما يفيد ذلك البيان من التعقيب بزيادة التهويل مع التأسيس من وجدان نصيرٍ أو مُعين⁽⁴⁾. وأمّا الثّانية؛ فهي عنده بذلك العموم تذييل⁽⁵⁾،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (183/30).

(2) نفسه.

(3) نفسه، (184/30).

(4) ينظر: نفسه.

(5) ينظر: نفسه، (185/30). وعرف ابن أبي الإصبع التّذييل بقوله: "أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقّق فيها ما قبلها من الكلام"

(ابن أبي الإصبع، تحرير التّحبير، ص: 387)، وعرفه في بدیع القرآن بقوله: "أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقّق ما قبلها" (ابن أبي الإصبع: بدیع القرآن، القسم الثّاني، ص: 155). وعرفه الزّركشي بقوله: "أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقلّ في معنى الأوّل؛ تحقّقاً لدلالة منطوق الأوّل أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكتمل عند من فهمه" (الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 664).

وحصل التذليل بتعقيب الخاصِّ بالعامِّ، والغرض تأكيدُ المعنى وتحقيقه.
كما كشف ابن عاشور عن المناسبة بين أوَّل السُّورة وآخرها، فقال: "وفي هذا الحتام رُدُّ العَجْزِ على الصِّدْرِ؛ لأنَّ أوَّل السُّورة ابْتُدئ بالخبر عن بعض أحوال يوم الجزاء وحُتمت السُّورة ببعض أحواله"⁽¹⁾.

هذا، وبعد الوقوف على مناسبات السُّورة عند المفسِّرين فيما سبق، يأتي المطلب التالي للمقارنة بين ما توصَّلا إليه من المناسبات.

المطلب الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة الانفطار عند البقاعيِّ وابن عاشور

تهدف هذه المقارنة إلى بيان مدى موافقة ابن عاشور للبقاعيِّ في مناسبات سورة الانفطار، ومدى مخالفته له فيها فجاء بما هو أكثر إقناعاً، من خلال الكشف عن مواضع الاتِّفاق في المناسبة ومواضع الاختلاف فيها، وإحصائها جميعاً، ثمَّ محاولة الكشف عن أسباب الاختلاف، ثمَّ النَّظر في مدى جواز قوليهما في المناسبة، ومدى إمكانية اجتماعهما، أو التَّرجيح بينهما.
وتشمل هذه المقارنة أقوال المفسِّرين في مناسبة السُّورة للسُّورة التي قبلها، ومناسبات مقاطع السُّورة فيما بينها، ومناسبات آيات السُّورة آيةً آيةً.

الفرع الأوَّل: مقارنة مناسبة سورة الانفطار لما قبلها (التَّكْوِير) ومناسبات مقاطعها

كشف البقاعيُّ عن المناسبة بين سورة الانفطار وسورة التَّكْوِير، في حين لم يفعل ابن عاشور بناءً على رأيه في تناسب السُّور.

وأما مناسبات مقاطع سورة الانفطار، فاتفق المفسِّران في أنَّ السُّورة مؤلَّفة من أربعة مقاطع، كما اتَّفقا في تحديد آيات كلِّ مقطع، واختلفا في مناسبة المقطع الأوَّل ومناسبة المقطع الثاني، واتفقا في مناسبة المقطع الثالث ومناسبة المقطع الرابع، على النَّحو الآتي.

1- المقطع الأوَّل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾⁽¹⁾... عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ⁽⁵⁾

اختلف المفسِّران في مناسبة افتتاح السُّورة بما تضمَّنه المقطع الأوَّل؛ فذهب البقاعيُّ إلى أنَّ الافتتاح به مناسبٌ لمقصود السُّورة التي قبله، بأنَّه مقدِّمة الأمر الذي قصدت السُّورة السَّابِقة

(1) ابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير، (185/30)

التَّهْدِيدِ به، ومناسبٌ أيضًا لمقطع السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهُ عَلَى النَّحْوِ الْمُبَيَّنِّ فِي مَوْضِعِهِ، فِي حِينَ يَرَى ابْنَ عَاشُورٍ أَنَّ الْإِفْتِتَاحَ بِهِ مُنَاسِبٌ لِّلْمَقْطَعِ الَّذِي بَعْدَهُ، حَالُ كَوْنِهِ كَالْمَقْدِمَةِ الْمَهِيئَةِ لِتَلْقَى مَا جَاءَ فِيهِ.

وَلَا مَنَاعَ مِنْ اجْتِمَاعِ الْأَقْوَالِ لِاخْتِلَافِ مَسْتَوِيَاتِ النَّظَرِ، مَعَ أَنَّ مَا قَالَهُ الْبِقَاعِيُّ، مِنْ ذِكْرِ مَقْدِمَاتِ الْبَعْثِ، قَدْ حَصَلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ التَّكْوِيرِ نَفْسَهَا، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنْ تَكَرُّرِهِ فِي مَطْلَعِ الْإِنْفِطَارِ.

2- المقطع الثاني: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ... كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾﴾

اختلف المفسران في بيان المناسبة بين المقطع الثاني والمقطع الذي قبله؛ إذ نظر ابن عاشور إلى صورتَي المقطعين، حيث جاء الأول في صورة مقدِّمة، والثاني في صورة موعظةٍ مستأنفةٍ هيأت لقبولها تلك المقدِّمة، وأمَّا البقاعيُّ فناسب بين مضموني المقطعين؛ إذ تضمَّن الأول تقريرَ المحاسبة على جميع الأعمال، وتضمَّن الثاني إنكارَ التَّهَؤُنِ بِالْمَعَاصِي اغْتِرَارًا، وتقريرَ الحسابِ مُوجِبًا لِلْحَذَرِ مِنَ التَّهَؤُنِ وَالْإِغْتِرَارِ.

واجتماع وجهي المناسبة ممكن؛ فيقال في مناسبة المقطع الثاني: أنَّهَا الْمَوْعِظَةُ لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ وَلِلْمَعَاصِيْنَ بِإِنْكَارِ اغْتِرَارِهِمْ بِكَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى، بَعْدَ التَّهْيِئَةِ لِتِلْكَ الْمَوْعِظَةِ فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ بِالتَّهْوِيلِ وَالْإِنْدَارِ بِوُقُوعِ الْبَعْثِ وَتَقْرِيرِ الْمَحَاسِبَةِ عَلَى جَمِيعِ الْأَعْمَالِ.

3- المقطع الثالث: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

اتَّفَقَ الْمَفْسِّرَانِ فِي أَنَّ مَنَاسِبَةَ الْمَقْطَعِ تَأْكِيدُ ثُبُوتِ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْبَعْثِ عَقِبَ ذِكْرِ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ فِي الْمَقْطَعِ الَّذِي قَبْلَهُ، بِذِكْرِ إِحْصَائِهَا مِنْ طَرَفِ الْحَفِظَةِ.

4- المقطع الرابع: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ... وَالْآمِرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

اتَّفَقَ الْمَفْسِّرَانِ فِي أَنَّ الْمَقْطَعِ بَيَانٌ لِلْجَزَاءِ النَّاتِجِ عَمَّا ذُكِرَ فِي الْمَقْطَعِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَاخْتِلَافًا يَسِيرًا فِي تَحْدِيدِ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ؛ فَهُوَ عِنْدَ الْبِقَاعِيِّ "حَفِظُ الْأَعْمَالِ"، وَأَمَّا عِنْدَ ابْنِ عَاشُورٍ فَهُوَ "التَّكْذِيبُ بِالْجَزَاءِ وَحَفِظُ الْأَعْمَالِ".

وَصَرَّحَ ابْنُ عَاشُورٍ بِأَنَّ هَذَا الْبَيَانَ وَارِدٌ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَزَادَ وَجْهًا آخَرَ لِلْمَنَاسِبَةِ وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمَقْطَعُ تَفْصِيلًا لِإِجْمَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى مِنَ الْمَقْطَعِ السَّابِقِ: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾، وَذَلِكَ بِتَقْسِيمِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ.

الفرع الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة الانفطار

اتَّفَقَ المفسِّران في مناسبات بعض آي السُّورَةِ واختلَفًا في البعض الآخر، وذلك على النَّحو الآتي.

أ- مواضع الاتِّفاق:

اتَّفَقَ المفسِّران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الآية: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝٢﴾

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ المناسبة بين الآية والآية التي قبلها تعقيب الشَّيء بما يتأثر عنه.

2- الآية: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾

اتَّفَقَ المفسِّران في أنَّ الآية جملة جواب الشُّروط الواردة فيما قبلها من الآي، وكلاهما كشف عن المناسبة بين الشُّرْطِ والمشروط؛ فعَلَّلَ ابن عاشور التَّرتيب بينهما، وأرجعه إلى ترتُّب حصول الشُّرْطِ والمشروط، في حين كشف البقاعي عن وجه الارتباط بين الشُّرْطِ والمشروط، فذكر أنَّ المشروط مُوجِبٌ لتلك الشُّروط. واجتماع القولين ممكنٌ لاختلاف زوايا النَّظر عند المفسِّرين.

3- الآية: ﴿كِرَامًا كَانِينَ ۝١١﴾

كشَفَ المفسِّران عن مناسبة الوصفين المذكورين في الآية للوصف المذكور في الآية التي قبلها؛ أمَّا ابن عاشور فيرى أنَّ المناسبة تعقيب الشَّيء بما به يكون كماله، وأمَّا البقاعي فيرى أنَّها من باب تعقيب إثبات أمرٍ (الحفظ) بنفي ضده (الزيادة والنقص)، ثُمَّ بتأكيدهِ (الرُّسوخ في الكتابة). وحقيقة القولين واحدةٌ وهي تأكيد الحفظ.

4- الآية: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾

الآية بداية مقطع عند المفسِّرين، وكلاهما لم يكشف عن مناسبة الابتداء بذكر الأبرار.

5- الآية: ﴿وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾

اتَّفَقَ المفسِّران في المناسبة بين الآية والآية التي قبلها، ووجه المناسبة أنَّه سبحانه وتعالى لَمَّا أخبر بأنَّ الفجَّار يصلُّون الجحيم، أعقبه ببيان أنَّ عذابها -على غير المعهود- لا ينقضي، فالحال أنَّهم خالدون فيها لا يفارقونها.

فذكر ابن عاشور ما صرَّحت به الآية وهو حال خلودهم في الجحيم، وذكر البقاعي ما

كُنْتُ عَنْهُ الْآيَةُ وَهُوَ عَدَمُ انْقِضَاءِ عَذَابِهَا، وَحَقِيقَةُ الْقَوْلَيْنِ وَاحِدَةٌ؛ فَعَدَمُ الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ يَعْنِي عَدَمَ انْقِضَاءِ الْعَذَابِ لِأَنَّهَا دَارُهُ.

6- الْآيَةُ: ﴿وَمَا آذْرَبْنَاكَ مَأْيَوْمَ الدِّينِ﴾ (17)

اتَّفَقَ الْمَفْسِّرَانِ فِي أَنَّ الْآيَةَ تَهْوِيلٌ لِيَوْمِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ

الدِّينِ﴾ (15)

7- الْآيَةُ: ﴿ثُمَّ مَا آذْرَبْنَاكَ مَأْيَوْمَ الدِّينِ﴾ (18)

اتَّفَقَ الْمَفْسِّرَانِ فِي أَنَّ الْآيَةَ زِيَادَةٌ تَهْوِيلٌ لِلْمُهْوَلِ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.

8- الْآيَةُ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (19)

الْآيَةُ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ جَمَلَتَيْنِ، وَقَدْ بَيَّنَّ كُلُّ مِنَ الْمَفْسِّرَيْنِ مَنَاسِبَةَ كُلِّ جَمَلَةٍ مِنْهُمَا لَمَّا قَبْلَهَا، وَاتَّفَقَا فِيهِمَا جَمِيعًا؛ فَأَمَّا مَنَاسِبَةُ الْأُولَى لَمَّا قَبْلَهَا، فَأَنَّهَا بَيَانٌ لِلتَّهْوِيلِ الْمُجْمَلِ ذِكْرُهُ فِي الْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا، وَأَنَّ فِيهَا تَأْيِيسًا مِنْ إِمْكَانِ الْخِلَاصِ مِنَ الْعِقَابِ، وَأَمَّا مَنَاسِبَةُ الْجَمَلَةِ الثَّانِيَةِ لِلأُولَى، فَأَنَّهَا مُؤَكَّدَةٌ لِمَعْنَاهَا.

كَمَا كَشَفَ كِلَاهُمَا عَنْ مَنَاسِبَةِ آخِرِ السُّورَةِ لِأَوَّلِهَا، وَاتَّفَقَا فِي أَنَّهَا مِنْ رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ، إِلَّا أَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الْبِقَاعِيُّ يَبْدُو مُتَكَلِّفًا نَوْعًا مَا، بِخِلَافِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَاشُورٍ؛ إِذْ يَظْهَرُ فِيهِ وَجْهُ ارْتِبَاطِ الْآخِرِ بِالأَوَّلِ ظَهُورًا جَلِيًّا.

ب- مواضع الاختلاف:

اختلف المفسران في مناسبات الآيات الآتية:

1- الْآيَةُ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (1)

كَشَفَ ابْنُ عَاشُورٍ عَنْ مَنَاسِبَةِ الْإِفْتِتَاحِ بِالْآيَةِ، فِي حِينِ اكْتَفَى الْبِقَاعِيُّ بِبَيَانِ مَنَاسِبَةِ مَطْلَعِ السُّورَةِ الَّذِي هِيَ بَدَايَتُهُ.

2- الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ (3)

اختلف المفسران في المناسبة بين الآية والآية التي قبلها؛ فيرى ابن عاشور أنها من باب تعقيب الشيء بما يتأثر عنه، وأما البقاعي فذكر وجهين آخرين وهما: تصريح الآية بما تُشعر به التي قبلها أنه أولى، والجمع بين أنواع من التخويف. والوجه الذي ذكره ابن عاشور أظهر في

المناسبة وأقوى حجّة؛ لتفسيره العلمي للعلاقة بين الحديثين، خلافاً لما ذكره البقاعي.

3- الآية: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿4﴾﴾

اختلف المفسران في المناسبة بين الآية والآية التي قبلها؛ فهي الاحتراس عند البقاعي، وأمّا ابن عاشور فيرى أنّ الآية ذكرت من أحوال الأرض بعد ما ذكر فيما قبلها من أحوال السماء؛ فكشف عن مناسبة تخصيص بعثة القبور من أحوال الأرض. واجتماع القولين ممكن.

4- الآية: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿6﴾﴾

بيّن ابن عاشور مناسبة أسلوب النداء الذي وردت به الآية لافتتاح المقطع به، في حين بيّن البقاعي مناسبة الآية لغرض المقطع، والجمع بين القولين ممكن، لاختلاف زوايا النظر.

5- الآية: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿7﴾﴾

اختلف المفسران في مناسبة الآية للآية التي قبلها، فهي عند البقاعي الاستدلال على الوصفين المذكورين في الآية التي قبلها؛ تقريراً لهما. في حين اعتبر ابن عاشور الآية من تمام التذكير السابق ببعض نعم الله على عباده التي توجب الشكر والطاعة، وإن كان ذكر بعضها يُغني عن بعض، إلا أنّ قصد إظهار مراتب النعمة استدعى التوقيف على كلّ واحدة منها بخصوصها⁽¹⁾.

وما ذكره البقاعي أظهر في المناسبة بين الآيتين؛ إذ الخلق تقرير للربوبية، والتسوية والتعديل تقرير للكرم، ولا يتعارض ذلك مع ما ذكره ابن عاشور من مناسبة تعداد النعم، فبالرغم من ترجيح رأي البقاعي إلا أنّ الجمع بين القولين ممكن.

6- الآية: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿8﴾﴾

بيّن البقاعي مناسبة الآية، باعتبارها جملة واحدة معترضة في وسطها بالمشيئة، للآية التي قبلها. في حين اكتفى ابن عاشور بذكر هذا الوجه من أوجه تقدير العلاقة بين أجزاء الآية دون أن يبيّن مناسبتها، ليذكر المناسبة باعتبار آخر ذكر جوازه وهو أنّ شبه الجملة ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾ متعلّقة بما قبلها وهو قوله ﴿عَدَلَكَ﴾ حالاً من كاف الخطاب منها، وأمّا الجملة التي تليها ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ فهي بيان للآية التي قبلها، وكلا قولي المفسرين جائز.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (175/30).

ومأ يستفاد من هذا الموضوع؛ أن من أسباب الاختلاف في المناسبة الاختلاف في تقدير مواقع أجزاء الآية.

7- الآية: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾⁽⁹⁾

اختلف المفسران في مناسبة الآية لما قبلها من الآي، ومرجع الاختلاف معنى ﴿كَلَّا﴾ ومتعلقاتها؛ حيث ذكرنا من معانيها الردع والإبطال. فتأويلها بمعنى الإبطال، اختلفا في الأمر المُبطل؛ إذ هو عند البقاعي مُطلق الغرور أي الدرّجة الدنيا منه، ليثبت بعده الدرّجة العليا منه وهو الغرور المُطلق، وأمّا عند ابن عاشور فهو وجود ما يغزّ الإنسان، أي الدّاعي إلى الغرور، ليبيّن بعده حقيقة ما جرّاهم على الشّرك. ولمّا ذكر ابن عاشور احتمال أن تكون للردع، بيّن أنّه عن ذلك الغرور المذكور في الآي التي قبلها، لينتقل إلى الردع بعدها عن جُزء آخر. ولمّا كانت ﴿كَلَّا﴾ تحتل كلا المعنيين، فكلّ ما ذكر من الأقوال جائزٌ وجيهٌ، ولعلّه من بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم التي هي أحد أوجه إعجازه.

8- الآية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾⁽¹⁰⁾

الآية بداية مقطع عند المفسرين، كشف البقاعي عن مناسبتها لما قبلها من الآي، في حين كشف ابن عاشور عن مناسبة ابتداء المقطع بها، والجمع بين القولين في هذه الحالة ممكنٌ لاختلاف جهات التعلّق.

9- الآية: ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾⁽¹²⁾

اختلف المفسران في مناسبة الآية لما قبلها؛ فعند البقاعي هي التّصريح بما يفهم من الآيتين اللّتين قبلها، وأمّا عند ابن عاشور، فالآية مع التي قبلها في ذكر الصّفات التي بها كمال الحفظ المذكور في الآية التي قبلها.

والاختلاف في مناسبة هذه الآية راجع إلى الاختلاف في تفسيرها؛ فلمّا أدخل ابن عاشور في الأفعال المعلومة للملائكة الخواطر القلبية، باعتبار أنّها من عمّل القلب⁽¹⁾، أرجع المناسبة إلى الكمال في الوصف، ولمّا لم يتحدّث البقاعي عن ذلك أرجع المناسبة إلى التّصريح

(1) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، (180/30).

بالمفهوم.

وكلاهما جاء بملحظٍ دقيقٍ؛ فالتفسير بالمعنى الخاصِّ دلٌّ على إرادة الكمال، والتفسير بالمعنى العامِّ دلٌّ على إرادة التأكيد من خلال التصريح بالمفهوم؛ فكلا القولين جائزٌ.

10- الآية: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾

كشفت البقاعي عن مناسبة الآية، في حين لم يفعل ذلك ابن عاشور.

11- الآية: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٥﴾

اختلف المفسران في مناسبة الآية للآية التي قبلها؛ فهي عند البقاعي الاستطراد بوصف عذاب الفجار لأن سياق السورة لهم، وأمّا عند ابن عاشور فهي بيان أنّ ما ذكر في الآية التي قبلها إنّما هو من باب الجزاء. وكأنّ البقاعي نظر في ناحية دلالة الصلّي على العذاب، في حين نظر ابن عاشور في ناحية دلالة الدين على الجزاء، فاختلفت الزاوية المنظورة من الآية مظنةً للاختلاف في مناسبتها. وكلا وجهي المناسبة حسنٌ، واجتماعهما ممكنٌ، فتكون المناسبة: التعقيب بوصف العذاب، وبيان أنّه من باب الجزاء.⁽¹⁾

وفي الأخير، يمكن تلخيص نتائج هذا الفصل فيما يلي:

أولاً: نتائج مقارنة المناسبات في سورة التَّكْوِيرِ:

- لم يكشف ابن عاشور عن مناسبة سورة التَّكْوِيرِ للسورة التي قبلها، فلم يُظهر موافقةً ولا مخالفةً للبقاعي في هذا النوع من أنواع مناسبات السورة.
- وافق ابن عاشور البقاعي في أنّ السورة مؤلّفة من مقطعين، وخالفه في مناسبتها. ولم أرحح قول أيّ واحدٍ منهما على الآخر؛ إذ يجوز في مناسبة كلّ مقطعٍ ما قال به المفسران، والجمع بين قوليهما ممكنٌ في مناسبة المقطع الأوّل لاختلاف الجهة. وأمّا سبب اختلافهما في مناسبة المقطع الثاني، فاختلف قولهما في موضوع المقطع الأوّل والغرض منه.

ويمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات مقاطع سورة التَّكْوِيرِ بالأرقام في الجدول الآتي:

(1) يمكن أن يُضاف إلى وجهي المناسبة عند المفسرين وجهٌ آخر، وهو أنّه بعدما أخبر سبحانه وتعالى بأنّ الفجار في جحيمٍ تحقياً لدخولهم إليها، استأنف بذكر وقت دخولهم إليها.

سورة التَّكْوِيرِ	مجموع المقاطع
عدد مقاطع السُّورة في نظر البقاعي	2
عدد مقاطع السُّورة في نظر ابن عاشور	2
المقاطع المتَّفَق في تحديدها	2
المقاطع المختلف في تحديدها	0
المقاطع المتَّفَق في مناسبتها	0
المقاطع المختلف في مناسبتها	2
ترجيحي لقول البقاعي في المناسبة	0
ترجيحي لقول ابن عاشور في المناسبة	0
جواز القولين في المناسبة	2
إمكان الجمع بين القولين في المناسبة	1

• في مناسبات آيات السُّورة: وافق ابن عاشور البقاعي في مناسبات ثماني آياتٍ، وخالفه في مناسبات ثماني عشرة آيةً، وآيةً كلاهما لم يذكر لها مناسبةً، وآيتان انفرد ابن عاشور بعدم الكشف عن مناسبتيهما، فتلك تسعٌ وعشرون آيةً في سورة التَّكْوِيرِ.

فالملاحظ أنَّ ابن عاشور **خالف** البقاعي في مناسبات أكثر آيات سورة التَّكْوِيرِ. وأمَّا ما رأيتُ أنَّه الرَّاجح من القولين في كلِّ آيةٍ من الآيات المختلف في مناسباتها: فما قال به البقاعي في آيةٍ واحدةٍ، وما قال به ابن عاشور في ثلاث آياتٍ، وأمَّا بقيَّة الآيات المختلف فيها، وعددها أربع عشرة آيةً، فيجوز في كلِّ آيةٍ منها ما قال به المفسِّران، والجمع بين قوليهما ممكنٌ في ثلاث عشرة آيةً منها.

ويمكن تلخيص أسباب اختلاف المفسِّرين في مناسبات آياتٍ من سورة التَّكْوِيرِ في

التَّقَاتِ الآتية:

- الاختلاف في تفسير الآية المطلوب مناسبتها، أو الاختلاف في تفسير الآية التي قبلها.
- من أسباب الاختلاف في مناسبة ابتداء مقطعٍ ما بالآية التي هي بدايته: الاختلاف في موضوع المقطع.
- اختلافهما في أسلوب القسم بأن تكون (لا) زائدةً في القسم أو مفيدةً لترك القسم.

- أن يُفصِّلَ أحدهما القول في مناسبات الأوصاف المعطوف بعضها على بعض، ويُجمل الكلام فيها الآخر فيجعل مناسبتها واحدةً.
 - اختلاف جهة المناسبة، ومن صور ذلك: أن يبيِّن أحدهما مناسبة الآية لآيةٍ قبلها، ويبين الآخر مناسبتها لمجموع آياتٍ قبلها، أو لمحدوفٍ مقدَّرٍ قبلها، أو لآيةٍ بعدها.
 - اختلاف زوايا النَّظَر: ومن صور ذلك:
 - أن ينظر أحدهما في العلاقة بين المُسند والمُسند في الآيتين، وينظر الآخر في العلاقة بين المُسند إليه والمُسند إليه فيهما.
 - أن يبيِّن أحدهما مناسبة المسند في الآية لمدلول الآية التي قبلها، ويبين الآخر مناسبة المسند إليه في الآية لمدلول الآية التي قبلها.
 - أن يبيِّن أحدهما المناسبة بين غرضي المتناسبين، ويبين الآخر المناسبة بين مضمونيهما.
 - أن ينظر أحدهما في العلاقة بين حدثي الآيتين، وينظر الآخر في العلاقة بين المعنيين المفهومين من الآيتين.
 - أن يلحظ أحدهما تناسب الأشياء المذكورة في الآيتين في خاصيةٍ غير التي ذكرها الآخر، بسبب تنوع الروابط بين تلك الأشياء، لتنوع خصائصها.
 - اختلاف نظرهما في مناسبة ابتداء المقطع الأوَّل بالآية، بين مناسبة ابتدائه بما تضمَّنته، أو مناسبة ابتدائه بالأسلوب الذي جاءت عليه.
- كما يمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات آيات سورة التَّكْوِيرِ بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة التَّكْوِيرِ	مجموع الآيات
آيات السُّورة	29
اتَّفقا في المناسبة	8
البقاعيُّ لم يبيِّن المناسبة	0
ابن عاشور لم يبيِّن المناسبة	2
كلاهما لم يبيِّن المناسبة	1
اختلفا في المناسبة	18
جواز رأييهما	14
إمكان الجمع بين رأييهما	13
ترجيحي لرأي البقاعيِّ	1
ترجيحي لرأي ابن عاشور	3

ثانيا: نتائج مقارنة مناسبات سورة الانفطار:

- لم يكشف ابن عاشور عن مناسبة سورة الانفطار للسُّورة التي قبلها، فلم يُظهر موافقةً ولا مخالفةً للبِقَاعِيّ في هذا النَّوع من أنواع مناسبات السُّورة.
 - وافق ابن عاشور البِقَاعِيّ في أنَّ السُّورة مؤلَّفة من أربعة مقاطع، ووافقه أيضًا في تحديد آيات كلِّ مقطع.
- وأما مناسبات تلك المقاطع، فوافق ابن عاشور البِقَاعِيّ في مناسبتين، وخالفه في مناسبتين. وحيثما خالفه أمكن الجمع بين قوليهما.

وأما أسباب اختلافهما في مناسبات تلك المقاطع، فيمكن تلخيصها في النَّقاط الآتية:

- اختلاف جهة التَّعلُّق (جهة المناسبة)، ومن ذلك: أن يبحث أحدهما عن مناسبة المقطع الأوَّل في السُّورة لبعض أجزاء السُّورة المتقدِّمة عليها، في حين يبحث الآخر عن مناسبتة للمقطع الذي يليه من السُّورة نفسها.
- اختلاف زوايا النَّظر، ومن ذلك: أن ينظر أحدهما في المناسبة بين صورتَي المقطعين، وينظر الآخر في المناسبة بين مضموني المقطعين.

ويمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات مقاطع سورة الانفطار بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة الانفطار	مجموع المقاطع
عدد مقاطع السُّورة في نظر البِقَاعِيّ	4
عدد مقاطع السُّورة في نظر ابن عاشور	4
المقاطع المتَّفَق في تحديدها	4
المقاطع المختلف في تحديدها	0
المقاطع المتَّفَق في مناسبتها	2
المقاطع المختلف في مناسبتها	2
ترجيح قول البِقَاعِيّ في المناسبة	0
ترجيح قول ابن عاشور في المناسبة	0
إمكان الجمع بين القولين في المناسبة	2

وأما مناسبات آيات السُّورَةِ؛ فقد وافق ابن عاشور البقاعيَّ في مناسبات سبع آياتٍ، وخالفه في مناسبات تسعٍ، وآيةً واحدةً كلاهما لم يذكر لها مناسبةً، ومثلها انفرد البقاعيُّ بعدم الكشف عن مناسباتها، ومثلها انفرد ابن عاشور بعدم الكشف عن مناسباتها، فتلك تسع عشرة آيةً في سورة الانفطار.

فالملاحظ أنَّ مخالفة ابن عاشور للبقاعيَّ في مناسبات آيات سورة الانفطار أكثر من موافقته له. وأما ما رأيت أنه الرَّاجح من القولين في كلِّ آيةٍ من الآيات المختلف في مناسباتها، فما قال به البقاعيُّ في آيةٍ واحدةٍ، وما قال به ابن عاشور في آيةٍ واحدةٍ كذلك، وأما بقيَّة الآيات المختلف فيها، وعددها سبعٌ، فيجوز في كلِّ آيةٍ منها ما قال به المفسِّران، والجمع بين قوليهما ممكنٌ في أربعٍ منها.

ويمكن تلخيص أسباب اختلاف المفسِّرين في مناسبات آيات من سورة الانفطار في النَّقاط الآتية:

- الاختلاف في تقدير العلاقة بين حدثي الآيتين المطلوب وجه تناسبهما.
- الاختلاف في تقدير العلاقة بين الآيتين، فيرى أحدهما أنَّها من تمام غرض التي قبلها، ويرى الآخر أنَّها في الاستدلال على ما فيها.
- الاختلاف في تقدير مواقع أجزاء الآية.
- الاختلاف في المعنى الذي وردت به بعض حروف المعاني (كلاً على سبيل المثال).
- الاختلاف في تفسير الآية.
- اختلاف جهة المناسبة، ومن ذلك: أن يبيِّن أحدهما مناسبة افتتاح المقطع بالآية، ويبيِّن الآخر مناسبتها لما قبلها من الآي.
- اختلاف زاوية النَّظر: ومن ذلك:
 - أن ينظر أحدهما في مناسبة الآية لغرض المقطع، وينظر الآخر في مناسبة أسلوب الآية لأن يفتتح بها المقطع.
 - اختلاف الجزء المنظور إليه من الآية.

كما يمكن استعراض نتائج مقارنة مناسبات آيات سورة الانفطار بالأرقام في الجدول الآتي:

سورة الانْفِطَارِ	مجموع الآيات
آيات السُّورَة	19
اتَّفَقَا فِي الْمُنَاسِبَة	7
الْبِقَاعِيُّ لَمْ يَبَيِّنِ الْمُنَاسِبَة	1
ابن عَاشُور لَمْ يَبَيِّنِ الْمُنَاسِبَة	1
كِلَاهُمَا لَمْ يَبَيِّنِ الْمُنَاسِبَة	1
اِخْتَلَفَا فِي الْمُنَاسِبَة	9
جَوَّاز رَأْيَيْهِمَا	7
إِمْكَانُ الْجَمْعِ بَيْنَ رَأْيَيْهِمَا	4
تَرْجِيحُ رَأْيِ الْبِقَاعِيِّ	1
تَرْجِيحُ رَأْيِ ابْنِ عَاشُور	1

ويمكن تلخيص أهم نتائج باب الدراسة التطبيقية المقارنة بين تناسب الآيات والسُور عند المفسرين في السُور الخمس (النَّبأ، النَّازعات، عبس، التَّكْوِير، الانفطار)، في النِّقاط الآتية، وهي على مستوى الطَّابع العامِّ وعلى مستوى الطَّابع الخاصِّ.

أمَّا على مستوى الطَّابع العامِّ عند ابن عاشور، فاعتماده كثيرًا على الجانب النَّحويِّ في تقدير مواقع الجُمْل؛ وبناءً عليه يكشف عن المناسبة، وأيضًا كثرة الوجوه والاحتمالات الجائزة التي يذكرها في الموضوع الواحد. وقد اعتبر خالد محمود محمَّد عزَّام إظهارَ التَّناسب بثوبٍ بلاغيٍّ نحويٍّ صرِّيٍّ دون تكلفٍ من مظاهر الجِدَّة في التَّناسب عند ابن عاشور⁽¹⁾.

وأما البقاعيِّ، فالطَّابع العامُّ عنده سلوكه الطَّرِيق المباشر في ذكر المناسبة، ولعلَّ السَّبب في ذلك أنَّ كتاب البقاعيِّ كتابٌ مناسباتٍ، في حين أنَّ كتاب ابن عاشور كتابٌ تفسيرٍ يعنى كثيرًا بالمناسبات.

هذا، وإنَّ جُلَّ اختلاف المفسرين في المناسبة من اختلاف التَّنوع، الذي يمكن فيه الجمع بين الأقوال، وذلك ما يؤكِّد قوَّة تماسك أجزاء القرآن الكريم وتناسقها.

وأما على مستوى الطَّابع الخاصِّ، فالنتائج كالاتي:

أولاً: نتائج مقارنة مناسبات السُور

من خلال مقارنة تناسب السُور بين المفسرين توصلتُ إلى أنَّ ابن عاشور لم يتحدَّث عن هذا النوع من المناسبة في السُور الخمس المدروسة، فلم يُظهر موافقةً ولا مخالفةً للبقاعيِّ فيها، وذلك ما يؤكِّد ما سبق تقريره في منهجه في التَّناسب بين السُور، من أنَّه لا يرى وجوب البحث فيه، فصدَّق عمله قوله.

أمَّا البقاعيُّ، فالتَّناسب بين السُور عنده حاصلٌ من جهاتٍ مختلفةٍ، وقد تحمَّل الجهة الواحدة أكثر من وجهٍ في المناسبة، والجهات التي وقفت عليها في هذه السُور الخمس هي:

- التَّناسب بين موضوعي السُورتين.
- التَّناسب بين مقصودي السُورتين.

(1) خالد محمود محمَّد عزَّام، التَّناسب القرآنيُّ عند ابن عاشور في تفسيره التَّحْزِير والتَّنْوِير، دراسةً تطبيقيةً: (الجزء الأوَّل والجزء الثَّلاثون من القرآن الكريم)، ص: 5.

- التّناسب بين مطلع السّورة ومقطع السّورة التي قبلها.
- التّناسب بين مطلع السّورة ومضمون السّورة التي قبلها.
- التّناسب بين مطلع السّورة ومقصود السّورة التي قبلها.
- التّناسب بين مقصود السّورة ومقطع السّورة التي قبلها.
- التّناسب بين مقصود السّورة ومقطع من مقاطع السّورة التي قبلها.

ثانيا: نتائج مقارنة مناسبات المقاطع

توصّلتُ من خلال مقارنة مناسبات مقاطع السّور بين المفسّرين إلى ما يلي:

- الغالب موافقة ابن عاشور للبقاعيّ في تحديد عدد مقاطع السّور، وأيضاً في تحديد الآيات المُشكّلة لكلِّ مقطعٍ.
- وافق ابن عاشور البقاعيّ في تقسيم بعض المقاطع إلى مقاطع فرعيّة، ويوافقه أحياناً في عدد تلك المقاطع الفرعيّة، وأحياناً يخالفه.
- من أسباب اختلاف المفسّرين القليل في تحديد الآيات المُشكّلة لبعض المقاطع اختلافهما في تعيين جملة جواب القسم، أو جملة جواب الشرط، بين كونها ظاهرة أم مقدّرة.
- من أصل ثلاثة وعشرين مقطّعا، مجموع مقاطع السّور الخمس، وافق ابن عاشور البقاعيّ في مناسبات ثمانية مقاطع، وخالفه في مناسبات خمسة عشر مقطّعا.
- من أصل خمسة عشر مقطّعا اتّفق المفسّران في تحديدها، وافق ابن عاشور البقاعيّ في مناسبات سبعة منها، وخالفه في مناسبات البقية (ثمانية مقاطع).
- من أصل ثمانية مقاطع اختلف المفسّران في تحديدها، وافق ابن عاشور البقاعيّ في مناسبة مقطع واحد، وخالفه في مناسبات بقية المقاطع (سبعة مقاطع)؛ فالاختلاف في تحديد الآيات المُشكّلة لمقطعٍ ما من أسباب الاختلاف في مناسبتها، وخاصّةً إذا كثر عدد الآي المختلف فيها، فحينئذٍ لا مجال لمقارنة المناسبة، أمّا إن كان اختلافهما في آية واحدة فقط بين كونها من مقطعٍ أو من المقطع الذي قبله، كما حصل في بعض المواضع، فقد يختلفان في المناسبة كما قد يتّفقان فيها بأن لا يؤثر اختلافهما في الآية على اتّفاقهما في المناسبة، وكلاهما حصل.
- من أصل خمسة عشر مقطّعا خالف ابن عاشور البقاعيّ في مناسباتها، ترجّح عندي قول البقاعيّ في مقطع واحد، ومقطع آخر لا وجه فيه للمقارنة؛ لاختلافهما في الآيات المُشكّلة

- له، وأمّا بقية المقاطع وعددها ثلاثة عشر، فيجوز في مناسبة كل واحد منها ما قال به المفسران، كما يمكن الجمع بين قوليهما في اثني عشر مقطعاً منها.
- قد يزيد أحد المفسرين على الآخر أحياناً، في المقاطع التي اتفقا في مناسباتها، بوجه آخر أو بجهة أخرى للمناسبة؛ ليؤكد تناسب أجزاء القرآن الكريم.
 - من أسباب اختلاف المفسرين في مناسبات بعض المقاطع التي اتفقا في تحديد الآي المشكّلة لها ما يلي:

- اختلافهما في تعيين موضوع المقطع السابق.
- اختلافهما في تحديد غرض المقطع المطلوب وجه ارتباطه بما قبله، أو في تحديد غرض المقطع الذي قبله، أو في تحديد غرضي كلا المقطعين، فيمكن عندئذ جواز القولين، كما يمكن اجتماعهما؛ لإمكان تعدد أغراض المقطع الواحد.
- اختلاف جهة التعلق (جهة المناسبة)، وهو اختلاف تنوع، يمكن فيه الجمع بين الأقوال، ومن صوره:

○ أن يربط أحدهما المقطع بمقطع ظاهر قبله، ويربطه الآخر بمحذوف مقدّر قبله، فقد يُرجح الارتباط مع الظاهر إذا كان وجهه مُحتملاً؛ لأنه الأصل، كما يمكن اجتماع القولين معاً لاختلاف جهتي الارتباط.

○ أن يربط أحدهما المقطع بالمقطع الذي قبله مباشرة، في حين يربطه الآخر بمقطع آخر قبله على بُعد منه.

○ الاختلاف في تحديد الآية أو الآيات التي يرتبط بها المقطع بوجه ما.

- اختلاف زاوية النظر عند المفسرين، وذلك بعد اتفاقهما في تحديد جهة التعلق، وهو اختلاف تنوع، يمكن فيه الجمع بين الأقوال، ومن صوره:

○ أن يناسب أحدهما بين غرضي المقطعين، ويناسب الآخر بين وسيلتي ذينك الغرضين.

○ الاختلاف في علّة الترتيب، بين النظر إلى شرف الأشياء كعلّة، أو النظر إلى مدى قربها من حسّ الإنسان، أو النظر إلى قوة الدلالة على المقصود، أو النظر إلى الأسبقية في الوجود... إلخ.

- أن ينظر أحدهما في المناسبة بين صورتَي المقطعين، وينظر الآخر في المناسبة بين مضموني المقطعين.
- لكل واحدٍ من المفسِّرين منهجٌ في التعامل مع المقطع الأوَّل والمقطع الأخير من السُّورة، وذلك على النحو الآتي.
- المقطع الأوَّل في السُّور الخمس عيّنة الدِّراسة هو دائماً مطلع السُّورة عند البقاعيِّ، وأمَّا ابن عاشور فميِّز بين المقطع الأوَّل ومطلع السُّورة في سورةٍ واحدةٍ (النَّزعات).
- اختلف المفسِّران في مناسبة المقطع الأوَّل من السُّورة في جميع السُّور عيّنة الدِّراسة، حيث يربطه البقاعيُّ بأجزاء السُّورة التي قبلها؛ بناءً على مذهبه المؤكِّد لطلب التَّناسب بين جميع السُّور، في حين أنَّ ابن عاشور يبحث مناسبتَه في إطار السُّورة مستقلاً عن سابقتها؛ بناءً على رأيه المُنكر لوجوب طلب التَّناسب بين جميع السُّور، فتارةً يكشف عن مناسبة افتتاح السُّورة به؛ وهي إمَّا براعة الاستهلال أو الافتتاح بذكر الحادثة التي كانت سبباً في نزول السُّورة، وتارةً يكشف عن مناسبتَه للمقطع الذي بعده. ويسبب هذا الاختلاف في جهات المناسبة يمكن الجمع بين قوليهما، إن جازاً جميعاً.
- يميِّز ابن عاشور أحياناً بين المقطع الأخير في السُّورة ومقطع السُّورة، والملاحظ عنده أنَّه لا يناسب بين المقطعين الأوَّل والأخير في السُّورة، وإمَّا يناسب أحياناً بين مطلع السُّورة ومقطعها (مثلما هو الحال في سورتي: النَّبأ، الانفطار). في حين أنَّ البقاعيِّ يناسب أحياناً بين المقطعين الأوَّل والأخير في السُّورة، باعتبارهما المطلع والمقطع (النَّبأ، عبس)، وأحياناً أخرى يميِّز بين مقطع السُّورة والمقطع الأخير فيها، فيناسب بين المقطع والمطلع (النَّزعات، التَّكوير، الانفطار).
- في مناسبة المقطع الأخير من كلِّ سورةٍ، من بين خمسة مواضع، خالف ابن عاشور البقاعيِّ في مناسبات ثلاثة مواضع، ووافقه في مناسبتَي موضعين اثنين.
- وفي الجدول الآتي إحصاءٌ عدديٌّ لمواضع الاتِّفاق والاختلاف بين المفسِّرين في تحديد المقاطع وفي بيان مناسباتها، ولرأبي في اختلافهما في مناسباتها.

السورة ←	التبأ	النزعات	عبس	التكوير	الانفطار	المجموع
عدد المقاطع في نظر البقاعي	5	6	6	2	4	23
عدد المقاطع في نظر ابن عاشور	6	6	5	2	4	23
مواضع الاتفاق في تحديد المقاطع	3	4	2	2	4	15
مواضع الاختلاف في تحديد المقاطع	2	2	4	0	0	8
مواضع الاتفاق في المناسبة	4	1	1	0	2	8
مواضع الاختلاف في المناسبة	1	5	5	2	2	15
ترجيحي لقول البقاعي في المناسبة	0	0	1	0	0	1
ترجيحي لقول ابن عاشور في المناسبة	0	0	0	0	0	0
جواز القولين في المناسبة	1	4	4	2	2	13
إمكان الجمع بين القولين في المناسبة	1	4	4	1	2	12
لا وجه للمقارنة لاختلاف آيات المقطعين	0	1	0	0	0	1

ثالثاً: نتائج مقارنة مناسبات الآيات

من خلال مقارنة مناسبات الآيات بين المفسرين توصلت إلى مجموعة من النتائج، وهي

كالآتي:

● أوجه الاتفاق بين المفسرين في بحث المناسبات:

— كلاً المفسرين اهتمّ ببيان مناسبات جميع الآيات، إلا مواضع محدودة جداً، فمن أصل مئة وستة وسبعين آية، اتفق المفسران في عدم الكشف عن مناسبات سبع آيات فقط، في حين انفرد البقاعي بعدم الكشف عن مناسبات تسع آيات، وانفرد ابن عاشور بعدم الكشف عن مناسبات ثماني عشرة آية، وسيأتي بيان أسباب عدم الكشف عن مناسباتها قريباً.

— كلا المفسرين يذكر أحياناً أكثر من وجهٍ للمناسبة.

— كلا المفسرين يبيّن أحياناً في مناسبة الآية علّة الترتيب، وأحياناً وجه الارتباط، وأحياناً يذكرهما معاً.

— كلا المفسرين اهتمّ بالكشف عن مناسبات جُمْل الآية الواحدة.

– كلا المفسرين يكشف عن مناسبة الآية في ظلّ غرض المقطع الذي تنتمي إليه؛ يحرص على ذلك ابن عاشور ولا يلتزم به البقاعي، وأحياناً في ظلّ غرض السورة عند ابن عاشور، أو مقصودها عند البقاعي.

● اتّفاق المفسرين في المناسبة وأسبابه:

- وافق ابن عاشور البقاعي في مناسبات إحدى وخمسين آية، من أصل مئة وستٍ وسبعين آية، فعددها كثيرٌ ولكنها ليست الأكثر، ومن صور الاتفاق بينهما ما يلي:
- أن يتّفقا في مناسبة الآية ويزيد أحدهما عن الآخر بوجهٍ آخر أو أكثر للمناسبة، أو بمناسبةٍ من جهةٍ أخرى أو أكثر.
- قد يتّفقان في وجه الارتباط ويختلفان في علّة الترتيب.
- أن يذكر كلاهما أكثر من وجهٍ للمناسبة، فيتّفقان في أحد الأوجه، ويختلفان في الباقي.
- قد يتّفقان في مناسبة آيةٍ ثمَّ يختلفان في شرحها؛ كمناسبة التلازم الذهني، فيختلفان في تحديد طبيعة ذلك التلازم، أو مناسبة السببية فيختلفان في السبب، أو مناسبة التقسيم فيختلفان في العلاقة بين القسمين، أو الاحتراس ويختلفان في المحترس منه... إلخ
- أن يُصرّح أحدهما بالمناسبة ويُلمّح ويومئ إليها الآخر، أو يتجاوزها لشدة وضوحها إلى بيان جوانبٍ أخرى بلاغية.
- أن يختلفا ويكون الاختلاف ظاهرياً؛ لاختلاف العبارة، وحقيقة القولين واحدة.

ومن أهم أسباب اتّفاق المفسرين في المناسبة: وضوح المناسبة وظهورها؛ كأن تكون الآية جواباً عن سؤال آيةٍ سابقة، أو جواب قسّمها، أو جواب شرطها، أو أن تكون العلاقة بين الآيتين هي السببية، أو التعليل⁽¹⁾، أو التّقابل، أو التلازم الذهني، وغيرها من أنواع العلائق الظاهرة.

(1) تختلف مناسبة السببية عن مناسبة التعليل؛ فمناسبة السببية: أن تذكر آيةً أمراً، وتذكر الآية التي تليها أمراً آخر، ويكون أحدهما سبباً في حصول الآخر. أو هي: تعقيب أمرٍ بامرٍ آخر يتسبب عنه، أو يكون سبباً له. ومثاله قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ②﴾ (التكوير: 1-2)، فتكوير الشمس سبب انكدار النجوم، وليس علّة له. وأمّا مناسبة التعليل: فالتعليل بيان الحكمة المنوطة بالفعل أو الغرض منه، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً مُّجَابِبًا ④﴾ لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑤﴾ (النبا: 14-15)، فالأم هنا لام التعليل؛ فالغاية من إنزال المطر هي إخراج النبات وهي علته، ونزول المطر سبب في خروج النبات.

أو تكون المناسبة في علّة الترتيب تتابع حصول حدثي الآيتين، بأن يلي أحدهما الآخر. ووضوح المناسبة أحد أهم أسباب عدم تصريح أحدهما أو كليهما بها، كما سيأتي ذكره قريباً.

● اختلاف المفسرين في المناسبة وأسبابه:

خالف ابن عاشور البقاعي في مناسبات إحدى وتسعين آيةً، من أصل مئة وستٍ وسبعين آيةً، فعددها كثيرٌ، وهي الأكثر مقارنةً بعدد الآيات المتفق في مناسباتها. وقد ترجّح عندي قول البقاعي في مناسبات خمس آياتٍ، وقول ابن عاشور في مناسبات خمس عشرة آيةً، ورجّحت في مناسبة آيةٍ واحدةٍ قولاً آخر لغيرهما، وأمّا بقيّة الآيات وعددها سبعون آيةً، فيجوز في مناسباتها ما قال به المفسران، بل ويمكن الجمع بين قوليهما في مناسبات ستٍّ وخمسين منها.

ويمكن تلخيص أسباب اختلافهما في مناسبات الآيات في النقاط الآتية:

1- السبب الرئيس في اختلاف المفسرين في مناسبات الآيات:

إنّ وفرة معاني القرآن الكريم هي السبب الرئيس في اختلاف المفسرين في مناسبات الآيات، حيث يذكر كل واحدٍ منهما ما توصّل إليه باجتهاده. ولاشكّ في أنّ هناك أسباباً مباشرةً أدّت إلى تنوّع ما توصّلوا إليه، وهي التي يمكن استعراضها على النحو الآتي.

2- أسباب متعلّقة بالآية المطلوب الوقوف على مناسبتها:

– الاختلاف في تفسير الآية، مع ملاحظة أنّه أحياناً قد تتعدّد أوجه تفسير الآية وتبقى مناسبتها للآية التي قبلها نفسها، فالاختلاف في التفسير مَظَنَّة الاختلاف في المناسبة، وليس ذلك دائماً.

– الاختلاف في القراءات.

– الاختلاف في تقدير مواقع أجزاء الآية وإعرابها.

– الاختلاف في تقدير موقع الآية؛ كأن يراها أحدهما معترضاً، ولا يراها الآخر كذلك، أو أن يراها أحدهما جواب القسم الوارد قبلها، ويرى الآخر أنّ جواب القسم محذوفٌ مقدّرٌ قبلها، أو أنّه آيةٌ أخرى تأتي بعدها.

– تنوّع أغراض الأسلوب الوارد في الآية وكثرة فوائده.

– الاختلاف في تحديد نوع استئناف الآية.

- الاختلاف في المعنى الذي وردت به بعض حروف المعاني.
- الاختلاف في أسلوب القسم، بأن تكون (لا) زائدة في القسم، أم مفيدة لترك القسم.
- الاختلاف في تحديد المقطع الذي تنتمي إليه الآية؛ فإرها أحدهما آخر المقطع، وإرها الآخر أول المقطع الذي يليه؛ فيختلفان في مناسبة الآية، وفي مناسبة الآية التي تليها أيضاً، لاختلاف جهة المناسبة عندئذٍ.
- 3- أسباب متعلّقة بالمقطع الذي تنتمي إليه الآية المطلوب الوقوف على مناسبتها:**
 - الاختلاف في تحديد غرض المقطع الذي تنتمي إليه الآية.
 - الاختلاف في تحديد موضوع المقطع الذي تنتمي إليه الآية.
- 4- اختلاف الحيز الذي تبحث في ظلّه مناسبة الآية:**
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبة الآية في ظلّ غرض المقطع الذي تنتمي إليه، ويكشف عنها الآخر في ظلّ مقصود السّورة.
 - أن يبحث أحدهما عن مناسبة الآية في ظلّ غرض المقطع الذي تنتمي إليه أو غرض السّورة عموماً، ولا يفعل الآخر، فيرجعها إلى عاملٍ خارجٍ عن إطار السّورة.
- 5- أسباب متعلّقة بالآية السّابقة للآية المطلوب الوقوف على مناسبتها:**
 - الاختلاف في تفسير الآية التي قبل الآية المطلوب الوقوف على مناسبتها.
 - الاختلاف في مقصود الآية السّابقة للآية المطلوب الوقوف على مناسبتها.
 - الاختلاف في مناسبة الآية السّابقة، فيتحكّم السّياق في مناسبة الآية اللاحقة.
- 6- أسباب متعلّقة بكلتا الآيتين طرفي المناسبة:**
 - الاختلاف في تفسير كلتا الآيتين موضوع طلب المناسبة بينهما.
 - الاختلاف في تقدير العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه.
 - أن يفصل أحدهما القول في مناسبات كلّ آيةٍ من مجموع آياتٍ بعضها معطوفٌ على بعضٍ (كأن يبيّن علل ترتيبها)، ويُجمل القول فيها الآخرُ باعتبار تلك الآيات جملةً بيانيةً واحدةً.
 - الاختلاف في تقدير طبيعة العلاقة بين الآيتين، فيرى أحدهما أنّها من تمام غرض التي قبلها، ويرى الآخر أنّها في الاستدلال على ما فيها.

- الاختلاف في تقدير العلاقة بين حدثي الآيتين المطلوب وجه تناسبهما.
- 7- الاختلاف في جهة تعلق الآية (جهة المناسبة): ومن ذلك:
- الاختلاف في تحديد السَّابِق الذي ترتبط به الآية؛ ومن صورته:
- أن يكشف أحدهما عن مناسبة الآية للآية التي قبلها مباشرةً، ويكشف الآخر عن مناسبتها لآية قبلها على بُعدٍ منها، أو لمجموع آياتٍ قبلها، أو لمحدوفٍ مقدّرٍ قبلها.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبتها لمجموع آياتٍ قبلها على بُعدٍ منها، ويكشف الآخر عن مناسبتها لمجموع آياتٍ أخرى قبلها على بُعدٍ منها.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبتها للآيات التي قبلها مباشرةً، المشتركة معها في المقطع، ويكشف الآخر عن مناسبتها لآياتٍ قبلها من المقطع السَّابِق لمقطعها.
- الاختلاف في جهة مناسبة الآية الأولى في السُّورة أو في المقطع؛ ومن صورته:
- الاختلاف في متعلق الابتدء بالآية الأولى، بين بداية السُّورة أم بداية المقطع الأوَّل منها.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبة الافتتاح بالآية لمقصود السُّورة، ويكشف الآخر عن مناسبة الافتتاح بها لما سيأتي بعدها.
 - الاختلاف في كون الآية متعلِّقةً بالآية التي قبلها أو كونها مستأنفةً.
 - أن يكشف أحدهما عن مناسبة ابتداء المقطع بالآية، ويكشف الآخر عن مناسبتها لما قبلها، أو مناسبتها للآية التي بعدها.
- 8- اختلاف زوايا النَّظَر:

- بعد اتِّفاق المفسِّرين في تحديد جهة التَّعلُّق، قد يختلفان في زوايا النَّظَر؛ ومن صور ذلك:
- أن ينظر أحدهما في المناسبة بين المُسند والمُسند في الآيتين، وينظر الآخر في المناسبة بين المُسند إليه والمُسند إليه فيهما.
- اختلاف الجزء المنظور إليه من الآية، كأن ينظر أحدهما إلى مناسبة المُسند، وينظر الآخر إلى مناسبة المُسند إليه، مع الاتِّفاق في الجزء المنظور إليه من الآية التي قبلها.
- الاختلاف في تعيين متعلِّق الآية من أجزاء الآية التي قبلها.

- أن يكشف أحدهما عن المناسبة بين غرضي المتناسبين، ويكشف الآخر عن المناسبة بين مضمونيهما.
- أن ينظر أحدهما في العلاقة بين حدثي الآيتين، وينظر الآخر في العلاقة بين المعنيين المفهومين من الآيتين.
- أن ينظر أحدهما إلى التناسب بين قولي من أخبر عنهم القرآن (جملي مقول القول)، وينظر الآخر إلى التناسب بين الجملتين المخبرتين عن القولين (جملي القول ومقوله).
- أن ينظر أحدهما في مناسبة الآية لما قبلها من زاوية موضوعها، وينظر الآخر في التناسب من زاوية غرضها.
- أن يلحظ أحدهما تناسب الأشياء المذكورة في الآيتين في خاصية غير التي ذكرها الآخر، نظراً لتنوع الروابط بين تلك الأشياء، بسبب تنوع خصائصها.
- أن يكشف أحدهما عن وجه الارتباط بين الآيتين، ويكشف الآخر عن علة الترتيب.
- في علة الترتيب، الاختلاف بين النظر إلى شرف الأشياء كعلّة، أو النظر إلى مدى قربها من حسّ الإنسان، أو النظر إلى قوة الدلالة على المقصود، أو النظر إلى الأسبقية في الوجود... إلخ
- في علة الترتيب بين الآيتين، ينظر أحدهما من زاوية ترتب الحدوث، وينظر الآخر من زاوية أخرى كقوة الاستدلال مثلاً.
- اختلافهما في تقدير المعنى المحذوف الذي ترتبط به بالآية.
- في مناسبة الآية للمقطع الذي افتتح بها: أن ينظر أحدهما في مناسبة أسلوبها لأن يفتح به المقطع، وينظر الآخر من زاوية أخرى وهي مناسبة ما تضمنته لأن يفتح به المقطع، أو ينظر في مناسبتها لغرض المقطع.
- ومن أسباب اختلاف المفسرين في المناسبة بين جملي الآية الواحدة الاختلاف في تحديد مفصلهما.
- المعتمد في الترجيح بين الأقوال أو الجمع بينها:
- اعتمدت في الترجيح بين أقوال المفسرين أو الجمع بينها ما يلي:
- المناسبة التي تشهد لها نصوص القرآن أرجح من غيرها.

- تعليل الترتيب بما يتوافق مع غرض السورة أو غرض المقطع الذي تنتمي إليه الآيات أنسب وأرجح من تعليله بسبب خارج عن سياق السورة.
- القول المحتمل الذي يظهر الاتصال المباشر بين الآيتين المتجاورتين أولى من القول الذي يثبت الاتصال بكلامٍ مقدّر؛ وهو المُعبّر عنه بالمناسبة لمُحذوفٍ.
- القول في المناسبة الموافق لقواعد النحو أرجح من القول الذي لا تدلُّ عليه قواعد النحو.
- القول في المناسبة بين أحداث الكون المؤسس على النظريات العلمية أرجح وأقوى حجّةً ممّا سواه من الأقوال.
- القول الذي يظهر فيه التكلّف في طلب المناسبة مرجوحٌ.
- الاختلاف في زوايا النظر، وجهات التعلّق، وطرق التناول مَظنّة اختلاف التّنوع الذي يمكن فيه الجمع بين الأقوال.

● عدم الكشف عن المناسبة عند المفسّرين:

- قد لا يكشف أحد المفسّرين أو كلاهما عن مناسبة آيةٍ ما، ومن أسباب ذلك:
- وضوح المناسبة، فيكتفي المفسّر بتفسير الآية وبيان غرضها، أو يكتفي ببيان تعلّقها النحويّ بما قبلها مشيراً بذلك إلى مناسبتها، أو يكتفي بدلالة العطف على التّشريك في الحكم ومنه المناسبة.
- كون الآية تتمّةً لجملة الآية التي قبلها.
- في كثيرٍ من الآيات بدايات المقاطع، يُكتفي ببيان مناسبة المقطع أو ببيان مناسبة الجملة الثّانية من الآية للجملة الأولى منها؛ ولعلّ السّبب مجيئ الآية بمقتضى الانتقال إلى موضوع أو غرض مقطّعها.
- أن يُكتفى بإجمال القول في مناسبة مجموع آياتٍ بعضها معطوفٌ على بعضٍ، باعتبارها جملةً بيائيّةً واحدةً.
- أحياناً لا أقف على سببٍ لعدم ذكر المناسبة.

وفي الأخير أقول: قد يكون الاختلاف في عُرف النّاس مذمومًا، إلّا أنّه في عُرف الباحثين، في مواضع، أقربُ إلى مسرّة القلب من الاتّفاق، ومن تلك المواضع: اختلاف العلماء في وجوه التّناسب بين الآيات؛ فحيثُما وقف الباحث على اختلافٍ في المناسبة، صوّب نظره، وحرّك فكره؛

فزاد علمه، وانشرح صدره، واطمأن قلبه لما يحصل عنده من الفوائد الغزيرة من الوقوف على أوجه كثيرة للمناسبات.

وفي الجدول الآتي: إحصاءٌ عدديٌّ للاتِّفاق والاختلاف بين المفسِّرين في مناسبات الآيات، ولرأبي بعد ذلك في اختلافهما.

السورة ←	النَّبأ	النَّازعات	عبس	التَّكْوِير	الانفطار	المجموع
عدد الآيات	40	46	42	29	19	176
عدد الآيات المتَّفَق في مناسباتها	11	15	10	8	7	51
عدد الآيات التي لم يبيِّن البقاعي مناسباتها	2	2	4	0	1	9
عدد الآيات التي لم يبيِّن ابن عاشور مناسباتها	1	6	8	2	1	18
عدد الآيات التي لم يبيِّن كلا المفسِّرين مناسباتها	1	2	2	1	1	7
عدد الآيات المختلف في مناسباتها	25	21	18	18	9	91
عدد الآيات التي يجوز فيها رأيا المفسِّرين	19	16	14	14	7	70
عدد الآيات التي يمكن فيها الجمع بين رأبي المفسِّرين	16	11	12	13	4	56
عدد الآيات التي رجَّحت فيها رأي البقاعي	2	1	0	1	1	5
عدد الآيات التي رجَّحت فيها رأي ابن عاشور	4	3	4	3	1	15
عدد الآيات التي رجَّحت فيها قولاً آخر ليس لهما.	0	1	0	0	0	1
مناسبات من رأبي	3	3	0	1	1	8



الخطبة

الحمد لله على منِّه وكرمه، أن وفق لإتمام هذه الدِّراسة، والتي من خلالها توصلت إلى مجموعة من النَّتائج، وهي الملخَّصة في التِّقاط الآتية:

- علم المناسبات هو العلم الَّذي يوقَّف به على وجوه ارتباط وعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم وفق ترتيبها في المصحف العثمانيّ.

- علم المناسبة عظيم القدر، غزير الفوائد؛ فهو يفيد في الفهم الكلِّي للقرآن الكريم، وإدراك مقاصده، والكشف عن أسراره، وبيان إعجازه، والرّدّ على الشُّبهات المثارة حوله، وفي تيسير حفظه، وسرعة استيعابه، وتذكُّره وخاصَّةً في المتشابه اللفظيِّ وخواتيم الآي؛ لذلك ينبغي على المتخصِّصين في التفسير وعلوم القرآن الاهتمام به.

- البقاعيُّ عالمٌ حافظٌ محقِّقٌ مجاهدٌ من علماء القرن التَّاسع الهجريِّ، شاميُّ أشعريُّ شافعيُّ، مفسِّرٌ، وتفسيره «نظم الدرر» مفردٌ لبيان مناسبات الآيات والسُّور، ولا نظير له قبله في بابه.

- ابن عاشور عالمٌ مصلحٌ مجتهدٌ مجدِّدٌ من علماء القرن الرَّابِع عشر الهجريِّ، تونسيُّ أشعريُّ مالكيُّ، مفسِّرٌ، وتفسيره «التَّحرير والتَّنوير» تفسيرٌ لغويُّ بلاغيُّ اهتمَّ فيه ببيان مناسبات اتِّصال الآي.

- كلٌّ من البقاعيِّ وابن عاشور يرى أنَّ التَّناسب أصلٌ في القرآن الكريم.
- لابن عاشور والبقاعيِّ جهودٌ كبيرةٌ في الكشف عن مناسبات آي القرآن، وعنايةٌ فائقةٌ بها.
- عدم اهتمام ابن عاشور بمناسبات السُّور، خلافًا للبقاعيِّ الَّذي يرى أنَّ التَّناسب بينها حاصلٌ من جهاتٍ عدَّة.

- معالجة إشكاليَّة الدِّراسة الرِّئيسة، بالجواب عن سؤالها، والجواب هو: وافق ابن عاشور البقاعيِّ في مناسبات كثيرٍ من الآي (176/51) ولكنه ليس الأكثر، في حين خالفه في كثيرٍ من الآي (176/91) وهو الأكثر مقارنةً بعدد الآيات التي اتَّفقا في مناسباتها.

وأكثر مخالفة ابن عاشور للبقاعيِّ إنّما هي من اختلاف التَّنوع الَّذي يجوز فيه القولان (91/70)، بل ويمكن اجتماعهما (91/56)، وهو الَّذي لا يزيد القارئ إلَّا يقينًا بقوة ارتباط الآي وتناسقها وانسجامها؛ ولذلك فإنَّ قُدْر استخلاص كتابٍ مفردٍ في المناسبات من «التَّحرير والتَّنوير» فسيكون بينه وبين «نظم الدرر» تكاملٌ رائعٌ.

- وأما ما خالف فيه ابن عاشور البقاعي وكان قوله أكثر إقناعاً مما ذكره البقاعي - وذلك وفقاً لرأي المتواضع - فمناسبات خمس عشرة آية، مع ما له من إضافاتٍ تتمثل في الكشف عن مناسبات بعض الآيات التي لم يكشف البقاعي عن مناسباتها، وبلغ عددها تسعاً.
- إنَّ الاختلاف في مناسبات الآي بين المفسِّرين راجعٌ إلى أسبابٍ كثيرةٍ أهمُّها اختلاف جهات النَّظر وزواياها، فإذا وقف الباحث أو القارئ على اختلافٍ بين المفسِّرين في المناسبة، فعليه أولاً أن ينظر في جهة المناسبة، فإن اتَّفقا فيها فينظر في الزَّاوية المنظورة منها، فإن اتَّفقا في الزَّاوية فينظر في طريقة تناول المناسبة، فإن اختلفا في واحدةٍ من تلك الأمور فهو من اختلاف التَّنوع الذي يمكن فيه الجمع بين القولين، وإن اتَّفقا في جميع ما سبق واختلفا في المناسبة بأن كان القول بإحدهما يمنع من القول بالأخرى، فينظر في القواعد التي يمكن من خلالها إثبات جواز كِلَا القولين، أو ترجيح أحدهما على الآخر.
 - إنَّ قواعد التَّرجيح في المناسبة - مبدئياً - مثل قواعد التَّرجيح في التفسير، وتحتاج هذه الجزئية إلى مزيد نظرٍ واستقراءٍ للتأكد من مدى إمكان تحديد المشترك والمفترق بينهما.
 - إنَّ اتفاق المفسِّرين في المناسبة، لا يعني أنَّ الأمر قد طوي، وأنه لا تُطلب مناسبةٌ أخرى، فإنَّ القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، وكلُّما فتح عليه المتدبِّر قلبه، كلُّما أفاض الله عليه من درره وأسراره.
 - حقيقٌ على كلِّ باحثٍ وطالبٍ علم التفسير أن يطَّلِع على جهود هذين العَلَمين الجليلين في المناسبات، لما للمناسبات من أثرٍ في فهم كلام الله تعالى.
 - إنَّ النَّاطِر في جهود العَلَمين يدرك أنَّ للزَّمن أثره في المناسبات، وخاصَّةً من جهة آي القرآن المتحدِّثة عن ظواهر الكون، من خلال تطوُّر النَّظَريَّات وتجدُّد الاكتشافات العلميَّة عبر العصور.
 - يمكن من خلال تفسير «التَّحرير والتَّنوير» استخلاص كتابٍ في المناسبات لا يقلُّ قيمةً من النَّاحية العلميَّة عن «نظم الدرر»، وهذه النَّتيجة في حدود العينة المدروسة.
 - إنَّ بين آيات القرآن الكريم وسُوِّره كثيرٌ من الأسرار الدَّفينة والدرر الثَّمينة، حقيقتهَا معانٍ جليَّة زائدة عن معاني الآيات مستقلة؛ لا تزال بحار القرآن تجود بها، وتنتظر من الغائصين في بحور العلم استخراجها، وهي تلك المعاني التي تُبرز انسجام أجزاء القرآن الكريم فيما بينها،

وارتباطها والتتامها من أوله إلى آخره، مثل تلك الأنوار التي تشعُّ من لآليِّ العقد الثمين توهجًا حتى تبدو اللآليُّ كحلقةٍ واحدةٍ مشعَّةٍ لا يُدرى أين طرفاها.

- إنَّ علم المناسبة لم يترك مجالًا للمتطفِّلين للطَّعن في إتقان وإحكام وانسجام وتناسق وترابط وتماسك أجزاء القرآن الكريم.

ومن توصياتي للباحثين في العلوم الشرعيَّة، وهي التي أهتمها في أثناء إنجاز هذه الدِّراسة ما يلي:

- تناول بقية سور القرآن الكريم في مشاريع بحثية في رسائل الماجستير والدكتوراه على نحو هذه الدِّراسة وبنفس المنهج والمنهجية، والتأكيد على الحرص على الاستقراء التامَّ للمناسبات وتتبعها في كلِّ آية وفي كلِّ سورة، قصد التأكيد من صحَّة تعميم نتائج هذه الدِّراسة على عمل المفسِّرين في جميع القرآن العظيم، مع ما يمكن أن تقدِّمه تلك المشاريع من إضافاتٍ علميةٍ كبيرةٍ متعلِّقة بعلم المناسبات وبمنهجي المفسِّرين فيها.
- توصية لأصحاب الهمم العالية بمحاولة استخلاص كتابٍ مفردٍ في المناسبات من خلال تفسير «التحرير والتَّوير» على منوال كتاب البقاعيِّ «نظم الدرر».
- إفراد كتابٍ في مناسبات السُّور مستخلصٍ من كتاب البقاعيِّ «نظم الدرر»، على نحو كتاب ابن الزبير الغرناطيِّ «البرهان في تناسب سور القرآن»، وكتاب الشُّيوطيِّ «تناسق الدرر في تناسب السُّور»، واقترح أن يكون عنوانه: "الدرر في تناسب السُّور".
- لعلَّ باحثًا يقف على النُّسخة الخطيَّة الكاملة لتفسير ابن عاشور، التي تظهر فيها الرُّموز التي ذكر ابن عاشور أنَّه يميِّز بها اجتهاداته التفسيرية عمَّا نقله من غيره، فيعمل على استخلاص تلك الاجتهادات ويفردها بكتابٍ، واقترح له عنوان: "تحرير التحرير".
- تحقيق مذهب الشُّوكانيِّ في مناسبات الآيات، مع الأخذ بعين الاعتبار الفرضية التي طرحتها في تأويل صنيعه وهو ما يبدو من تناقضٍ بين قوله في إنكار تناسب الآيات وفعله في الكشف عنه في مواضع من تفسيره.
- كما أوصي بالناية بعلم المناسبات وعلم البلاغة العربيَّة في المقرَّرات الدِّراسية بالجامعات والمعاهد الإسلاميَّة لأهميتهما في مواجهة شبهات المشكِّكين.

هذا، وأقول أخيراً: قد أنجزت هذه الدِّراسة وما آلوت فيها جهداً، فما كان فيها من صوابٍ فالفضل كلُّه لله عزَّ وجلَّ، وما كان فيها من خطأٍ فمن تقصير نفسي ومن الشَّيطان المتربِّص، أسأل الله تعالى أن يعفو ما كان مِنِّي من زللٍ، وأن يهديني وكلَّ المسلمين إلى خير القول والعمل. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.



المفهارس

فهرس الأيات

الصفحة	الرقم	الآية
سورة الفاتحة		
52	4	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
سورة البقرة		
54	1	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾
55-54	5	﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُطْلِحُونَ﴾
51	6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾
55	6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
-227 228	7	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
55 131	20	﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
227	38	﴿فَأَمَّا يَا تَبِيتُكُمْ مَنِ هَدَى﴾
30	40	﴿يَبْنِي إِسْرَاءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِيَ بِعَهْدِكُمْ﴾
	41	﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾
	47	﴿يَبْنِي إِسْرَاءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
	48	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾
227	48	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
-177 178	62	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
177	99	﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾
61	136	﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾
51	189	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾
8	194	﴿ فَمَنْ يَعْتَدِ عَلَىٰ عِلَّتِكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾
301	196	﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾
225	210	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمِّ ﴾
103	216	﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾
259	238	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾
262	238	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾
259	239	﴿ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾
206	251	﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾
9-8	276	﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ ﴾
261	281	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾
61-60	285	﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾
48	286	﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾
سورة آل عمران		
154	33	﴿ إِنَّ اللَّهَ أَبْصَرُنِي ﴾
260	72	﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا وَلَكِنَّا آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾
	73	﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَيْتُمُ هَدَى اللَّهُ أَنْ يُوَفِّيَ أَحَدًا مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
سورة النساء		
20	82	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ ﴾
ر	82	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
4	82	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
28	163	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾
	164	﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾
سورة المائدة		
169	9	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾
	10	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾
22	13	﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾
34	36	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَٰنَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
	37	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الْبَارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾
46	38	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
سورة الأنعام		
28	84	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾
	86	﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
48	109	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
165	145	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
سورة الأعراف		
52	26	﴿ يَبْنِيهِ ءَادَمَ فَذُنُوبُنَا عَلَيْنَا لِيَأْسَ يَوْمَئِذٍ سَوَاءُ تَكُونُ سَوَاءً لِيَأْسَ نَقُوتِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ - آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾
267	105	﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾
سورة الأنفال		
182	1	﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾
51	4	﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾
	5	﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾
66	10	﴿ وَمَا التَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾
	11	﴿ يُغَشِّيكُمْ ﴾
		﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ ﴾
49	71	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
سورة هود		
26	1	﴿ أَلْبَرِكُنْبُ أَحْكَمَتْ - ابْنُهُ ۖ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾
39	56	﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
سورة يوسف		
47	85	﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾
سورة النحل		
177	19	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾
66	49	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾
	51	﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نُنزِّلُ الْإِهْلِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَأَتَى فَأَرْهَبُونَ ﴾
	52	﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفِقُونَ ﴾
177	65	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾
255	125	﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾
سورة الإسراء		
39	60	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾
261	106	﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾
سورة مريم		
260	63	﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾
	64	﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾
سورة النور		
25	30	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
سورة الشعراء		
377	23	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
378-377	24	﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾
378	25	﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾
	26	﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾
	27	﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾
	28	﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
	29	﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْإِنْسَاءُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾
	30	﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾
	31	﴿ قَالَ فَاتِ بِهِ إِذَا كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
	32	﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾
	33	﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾
	34	﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾
	35	﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾
ر	88	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾
	89	﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾
302	221	﴿ هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾
سورة الروم		
159	11	﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
266	47	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
سورة لقمان		
شكر وتقدير	14	﴿ أَنْ شَكَرْتُمْ لِي وَلَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ لَفَعَلْنَا لَبِئْسَ الْأُمَّةَ الْمُكَفِّرِينَ ﴾
سورة سبأ		
459	8	﴿ أَفَتَبْرَأُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾
227	24	﴿ وَإِنَّا أَوْ آيَاكُمْ لَعَلِيَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
سورة فاطر		
384	28	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
159	36	﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾
سورة الصافات		
443	22	﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾
	23	﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
57	180	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾
	181	﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾
	182	﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
سورة ص		
28	12	﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾
	14	﴿ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾
39	17	﴿ إِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾
52	49	﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَثَابٍ ﴾
سورة الزمر		
25	23	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾
158	38	﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتٌ رَحِمَتُهُ ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
سورة غافر		
40	13	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾
سورة فصلت		
395	53	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾
سورة الدخان		
459	14	﴿ مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾
سورة الفتح		
158	24	﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾
سورة الحجرات		
417	14	﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾
سورة ق		
46	1	﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾
	2	﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾
28	12	﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ... ﴾
	14	﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾
سورة الواقعة		
455	7	﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾
سورة الحديد		
262، 261	10	﴿ وَمَالِكُمْ أَلا تَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
261	16	﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾
158	23	﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾

الصفحة	الرقم	الآية
سورة الحشر		
54	1	﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
55	18	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ابْتَغُوا اللَّهَ﴾
	20	﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾
	22	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
سورة الملك		
230	1	﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
سورة القلم		
46	1	﴿ق وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾
	2	﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾
	3	﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾
سورة المعارج		
51	1	﴿سَالٍ سَالٍ مُّ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾
	3	﴿اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾
	4	﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾
سورة المزمل		
261	4	﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾
سورة القيامة		
261	1	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
261، 260	16	﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾
	17	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾
260	18	﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَالْتَبِعْ قُرْآنَهُ﴾

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾	19	260
سورة المرسلات		
﴿وَلِئَلَّيُؤْمِنَنَّ الْمُكَذِّبِينَ﴾	15	280
سورة النبأ		
﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾	1	281، 284، 297، 298، 302، 317، 325، 414
﴿عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ﴾	2	281، 285، 297، 298، 300، 302، 323، 414
﴿النَّبِئِ الْعَظِيمِ﴾	2	318، 319
﴿الَّذِينَ هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾	3	281، 285، 297، 298، 300، 302، 323
﴿كَلَّا سِعَامُونَ﴾	4	281، 285، 298، 299، 302، 317، 323، 333
﴿ثُمَّ كَلَّا سِعَامُونَ﴾	5	281، 286، 298، 299، 303، 317، 323
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾	6	281، 286، 287، 298، 303، 316، 318، 325، 327
﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾	7	281، 286، 298، 303، 323
﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾	8	281، 287، 298، 303، 304، 326
﴿وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمْ سُبَّانًا﴾	9	58، 281، 287، 298، 304، 318، 326، 327
﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِبَاسًا﴾	10	281، 287، 288، 298، 304، 318، 324
﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾	11	281، 287، 288، 298، 305، 318، 327

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾	12	327، 318، 305، 298، 288، 281
﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾	13	324، 318، 305، 298، 288، 281
﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾	14	327، 318، 305، 298، 288، 281 506
﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾	15	328، 307، 306، 298، 288، 281 506
﴿ وَجَنَّتِ الْفَأَقَا ﴾	16	318، 316، 306، 298، 288، 281 328
﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾	17	301، 300، 288، 284، 282، 280 321، 319، 317، 308، 307، 302 328
﴿ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾	17	314
﴿ يَوْمَ يُفْخِخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾	18	324، 308، 300، 307، 289، 282
﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾	19	328، 307، 300، 289، 282
﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾	20	319، 317، 307، 300، 289، 282 329
﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾	21	314، 310، 308، 300، 289، 283 331، 329، 319، 317
﴿ جَهَنَّمَ ﴾	21	309
﴿ لِلظَّالِمِينَ مَغَابًا ﴾	22	324، 310، 308، 300، 290، 283
﴿ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾	23	324، 308، 300، 290، 283
﴿ لَيْثِينَ ﴾	23	329
﴿ أَحْقَابًا ﴾	23	

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾	24	283، 290، 300، 308، 309، 329
﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴾	25	331
﴿ جَرَءًا وَفَاقًا ﴾	26	283، 290، 300، 309، 310، 312
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾	27	283، 290، 291، 300، 309، 330
﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾	28	
﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾	29	283، 291، 300، 310، 330
﴿ كِتَابًا ﴾	29	292
﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾	30	283، 291، 300، 310، 317، 319
﴿ فَذُوقُوا ﴾	30	292، 309
﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾	31	283، 292، 300، 310، 317، 319
﴿ مَفَازًا ﴾	31	311، 312، 325
﴿ حُدَاقٍ وَآعْنَبا ﴾	32	283، 292، 300، 311، 324
﴿ حُدَاقٍ ﴾	32	325
﴿ وَكَوَاعِبِ أُنْزَابًا ﴾	33	283، 293، 300، 311، 331
﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾	34	
﴿ وَكَأْسًا ﴾	34	312
﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴾	35	283، 293، 300، 312، 331
﴿ جَرَءًا مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾	36	283، 293، 300، 312، 332

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾	37	283, 294, 300, 313, 317, 319, 332
﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾	38	284, 294, 300, 313, 317, 319, 325, 320
﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾	38	315, 334
﴿ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ ﴾	38	295
﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾	39	284, 295, 301, 313, 314, 317, 332
﴿ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾	39	315, 334
﴿ إِنَّا أَنْزَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾	40	284, 295, 296, 301, 314, 315, 317, 333, 334
سورة النَّازِعَات		
﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾	1	341, 343, 356, 359, 373, 380
﴿ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴾	2	341, 343, 356, 359, 380
﴿ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴾	3	341, 344, 356, 359, 380
﴿ فَالَسَّيِّقَاتِ سَيْقًا ﴾	4	
﴿ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴾	5	341, 344, 356, 359, 373, 380
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾	6	341, 344, 356, 360, 361, 370, 373, 374, 381

الآية	الرقم	الصفحة
﴿تَبِعْهَا الرَّادِفَةُ﴾	7	341, 345, 356, 360, 361, 370 376
﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾	8	341, 345, 356, 360, 361, 370 381
﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾	9	341, 345, 356, 360, 361, 373 381, 374
﴿يَقُولُونَ أَمَّا الْمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾	10	341, 343, 345, 356, 361, 362 382, 376, 373
﴿يَقُولُونَ﴾	10	346
﴿أَمَّا الْمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾	10	358, 357
﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا تَاجِرَةً﴾	11	341, 343, 345, 346, 356, 361 376, 362
﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾	12	341, 343, 346, 356, 362, 376 382
﴿فَأْتِمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	13	341, 347, 356, 358, 362, 363 382, 375
﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾	14	341, 347, 356, 358, 363, 373 383, 375
﴿هَلْ أَبْنَيْكَ حَدِيثٌ مُؤْتَى﴾	15	341, 347, 357, 363, 365, 374 383
﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	16	341, 347, 357, 363, 383
﴿أَذْهَبِ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	17	341, 347, 357, 363, 364, 377
﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْبَكُنْ﴾	18	341, 348, 357, 364, 383, 384
﴿فَقُلْ﴾	18	377
﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشِينِي﴾	19	341, 348, 357, 364, 383, 384

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ فَأَرْبُهِ الْآيَةُ الْكُبْرَى ﴾	20	377, 364, 357, 348, 341
﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾	21	378, 365, 364, 357, 348, 341 384
﴿ وَعَصَى ﴾	21	349
﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ سِجِي ﴾	22	378, 365, 357, 349, 341
﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾	23	
﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾	24	384, 378, 365, 357, 349, 341
﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾	25	384, 365, 357, 349, 341
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَتَّخِذِي ﴾	26	384, 374, 365, 357, 349, 341
﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾	27	379, 375, 366, 357, 350, 342
﴿ بَنَاهَا ﴾	27	367
﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴾	28	379, 366, 357, 350, 342
﴿ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُغْنَهَا ﴾	29	384, 367, 366, 357, 350, 342
﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾	30	385, 367, 357, 350, 342
﴿ وَالْأَرْضَ ﴾	30	368, 351
﴿ دَحَاهَا ﴾	30	351
﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾	31	379, 367, 357, 351, 342
﴿ مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾	31	368
﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾	32	379, 368, 357, 351, 342
﴿ مَنَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾	33	385, 375, 368, 357, 351, 342
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴾	34	369, 368, 359, 358, 352, 342 386, 385, 375

الآية	الرقم	الصفحة
﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾	35	379, 369, 368, 358, 352, 342
﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾	36	385, 369, 358, 352, 342
﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾	37	370, 369, 358, 353, 352, 342
﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	38	386
﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	39	379, 369, 358, 353, 342
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾	40	380, 370, 369, 358, 353, 342
﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	41	375, 370, 369, 358, 353, 342
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	42	372, 370, 358, 354, 353, 343 387, 380, 375
﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾	43	387, 386, 371, 358, 354, 343
﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلًا﴾	44	
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخَشِنَهَا﴾	45	392, 387, 371, 358, 354, 343
﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَوْنَهَا أَكْأَبِدًا إِلَّا غَشِيَةً أَوْ ضُحَاهَا﴾	46	387, 375, 372, 358, 354, 343
﴿كَانَتْهُمْ﴾	46	355
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾	1	412, 410, 409, 407, 396, 393 426, 422
﴿أَنْ جَاءَهُ الْآعْجَى﴾	2	424, 412, 410, 407, 396, 393
﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾	3	426, 419, 410, 407, 397, 393
﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾	3	411
﴿يَزَّكَّى﴾	3	427

الآية	الرقم	الصفحة
﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾	4	427، 410، 407، 397، 393
﴿أَمَّا مَنْ اِسْتَعْيَنَ﴾	5	419، 411، 407، 398، 397، 393 427، 424
﴿فَأَن تَلَهُ تَصَدَّى﴾	6	412، 411، 409، 407، 397، 393 427، 419
﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْبِي﴾	7	424، 412، 411، 407، 397، 393
﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾	8	424، 412، 411، 407، 398، 393
﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾	9	
﴿فَأَن تَعَنَّ نَلِّهَى﴾	10	422، 412، 411، 407، 398، 393 428
﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾	11	428، 412، 407، 398، 394
﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾	11	413، 399
﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾	12	428، 413، 407، 399، 394
﴿فِي صُحُفٍ﴾	13	413
﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾	13	428، 414، 407، 399، 394
﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾	14	
﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾	15	425، 414، 407، 399، 394
﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	16	
﴿قُلْ أَلَا نَسُنَّ مَا أَكْفَرُوا﴾	17	414، 409، 408، 400، 399، 394 429، 423، 421
﴿مَا أَكْفَرُوا﴾	17	431، 417
﴿مِنْ آيَاتِنَا خَلَقَهُ﴾	18	416، 414، 409، 408، 400، 394 431، 429، 425

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾	19	425 ، 414 ، 408 ، 400 ، 394
﴿ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾	19	415
﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴾	20	425 ، 415 ، 408 ، 401 ، 400 ، 394 431 ، 429
﴿ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾	21	430 ، 415 ، 408 ، 401 ، 394
﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾	22	431 ، 430 ، 416 ، 408 ، 401 ، 394
﴿ كَلَّا لَمَّا بَقِضَ مَا أَمَرَهُ ﴾	23	431 ، 416 ، 408 ، 401 ، 394
﴿ لَمَّا بَقِضَ مَا أَمَرَهُ ﴾	23	417
﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾	24	425 ، 422 ، 417 ، 408 ، 402 ، 394 431
﴿ إِلَى طَعَامِهِ ﴾	24	423 ، 409
﴿ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾	25	425 ، 417 ، 409 ، 408 ، 402 ، 394
﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾	26	431 ، 417 ، 408 ، 402 ، 394
﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾	27	431 ، 418 ، 408 ، 402 ، 394
﴿ وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴾	28	432 ، 418 ، 408 ، 402 ، 394
﴿ وَعَبْنَا ﴾	28	403
﴿ وَزَيَّنَّا لَكُمُ الْأَرْضَ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهَا وَمَا يَكْفُرُوا بِاللَّحْمِ الَّتِي كَانُوا يُكْفَرُونَ ﴾	29	432 ، 418 ، 408 ، 403 ، 394
﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾	30	
﴿ وَفَكَهْمَةً وَأَبْنَا ﴾	31	432 ، 418 ، 408 ، 404 ، 402 ، 394
﴿ مَنَعْنَا لَكُمْ إِلَهُكُمْ وَلَا نُنْعِمُكُمْ ﴾	32	418 ، 409 ، 408 ، 404 ، 402 ، 394 432 ، 425 ، 423 ، 422
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعِقَةُ ﴾	33	419 ، 418 ، 409 ، 404 ، 395 ، 58 433 ، 432 ، 422 ، 421

الآية	الرقم	الصفحة
﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُ مِنْ أَخِيهِ﴾	34	395، 404، 409، 418، 426، 432
﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُ﴾	34	424
﴿يَقْرَأُ الرَّءُ﴾	34	419
﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾	35	404، 395، 405، 409، 418، 432
﴿وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾	36	
﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾	37	58، 395، 405، 409، 419، 421، 433
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾	38	396، 405، 406، 409، 419، 421، 424، 433
﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾	39	396، 405، 406، 409، 420، 426
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾	40	
﴿تَرْهَقُهَا قِنَّةٌ﴾	41	396، 406، 409، 420، 426
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ﴾	42	396، 406، 409، 420، 433، 424
سورة التَّكْوِيْر		
﴿إِذَا﴾	1	441، 446
﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾	1	440، 442، 451، 453، 466، 506
﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾	2	
﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾	3	440، 442، 451، 454، 467
﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾	4	440، 443، 451، 454، 467، 468
﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	5	440، 443، 445، 451، 454، 467، 468
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	6	440، 443، 451، 455، 467، 468
﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾	7	440، 443، 451، 455، 468

الآية	الرقم	الصفحة
﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾	8	468، 455، 451، 444، 440
﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنَلَتْ﴾	9	464، 455، 451، 444، 440
﴿وَإِذَا الضُّعْفُ نُشِرَتْ﴾	10	469، 456، 451، 444، 440
﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾	11	469، 456، 451، 445، 440
﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾	12	
﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾	13	464، 456، 451، 445، 440
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾	14	464، 457، 456، 451، 446، 440
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾	15	465، 464، 457، 452، 446، 441
﴿الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾	16	469، 457، 452، 446، 441
﴿وَالْيَلِ إِذَا عَسَّسَ﴾	17	470، 458، 452، 446، 441
﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾	18	470، 465، 458، 452، 447، 441
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	19	460، 459، 458، 452، 447، 441 471، 465، 461
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾	19	448
﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾	20	470، 458، 452، 447، 441
﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾	21	470، 458، 452، 448، 441
﴿وَمَا صَجَبَكُمُ بِمَجْنُونٍ﴾	22	471، 465، 459، 452، 448، 441
﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾	23	470، 465، 459، 452، 448، 441
﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾	24	471، 465، 459، 452، 448، 441
﴿بِضْنِينٍ﴾	24	449، 158
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾	25	465، 461، 460، 452، 449، 441
﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾	26	466، 461، 452، 449، 441

الآية	الرقم	الصفحة
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	27	471، 461، 452، 449، 441
﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾	28	472، 462، 461، 452، 450، 441
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	29	473، 466، 462، 452، 450، 441
سورة الانفطار		
﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾	1	492، 489، 484، 482، 476، 475
﴿إِذَا﴾	1	485، 478
﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ﴾	2	491، 484، 482، 477، 475، 474
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾	3	492، 484، 482، 477، 475
﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾	4	493، 484، 482، 477، 475
﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾	5	485، 483، 482، 478، 477، 475 491، 489
﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	6	493، 490، 485، 482، 478، 475
﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	6	486
﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَّكَ﴾	7	493، 486، 485، 482، 478، 475
﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	8	493، 486، 482، 478، 475
﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾	8	485، 479-478
﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ﴾	9	490، 486، 483، 482، 479، 475 494
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾	10	494، 490، 486، 483، 479، 476
﴿كَرَامًا كَتِيبِينَ﴾	11	491، 490، 487، 483، 479، 476
﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	12	494، 490، 487، 483، 480، 476

الآية	الرقم	الصفحة
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	13	491، 490، 487، 483، 480، 476
﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾	14	495، 487، 483، 480، 476
﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾	15	495، 492، 487، 483، 480، 476
﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾	15	488
﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾	16	491، 487، 483، 480، 476
﴿وَمَا أَدْرَبُكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾	17	492، 488، 483، 480، 476
﴿ثُمَّ مَا أَدْرَبُكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾	18	492، 488، 483، 481، 476
﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾	19	492، 490، 488، 483، 481، 476
سورة الغاشية		
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾	21	165
سورة الشرح		
﴿الْمَنْشَرَحَّ لَكَ صَدْرَكَ﴾	1	250
سورة القدر		
﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾	1	268، 265
سورة الكوثر		
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	1	62
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾	2	
سورة الإخلاص		
﴿أَحَدٌ﴾	1	54
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾	1	182، 30

فهرس الأحاديث والآثار

الأحاديث		
الصفحة	الراوي	طرف الحديث
267	أبو أمامة	{ أَفْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ ... }
32	ابن عباس	" أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... "
74	حذيفة	" صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبُقْرَةَ ... "
360	عثمان بن عفان	{ الْقَبْرِ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ ... }
261	ابن عباس	" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيْلُ بِالْوَحْيِ كَانَ مِمَّا يُحْرِكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفْتَيْهِ ... "
267	النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ	{ يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... }
35-34	جابر بن عبد الله	{ يُخْرِجُ اللَّهُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ ... }
آثار الصحابة		
الصفحة	صاحب الأثر	طرف الأثر
20	ابن مسعود	" إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ: كَيْفَ يَقْرَأُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا ... "
468	أبي بن كعب	" سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ ... "
257، 75	عائشة	" إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ ... "
262، 261	ابن مسعود	" مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا ... "
آثار التابعين		
الصفحة	صاحب الأثر	طرف الأثر
72	ربيعة الرأي	" سَمِعْتُ رَبِيعَةَ يُسْأَلُ: لِمَ قُدِّمَتِ الْبُقْرَةُ وَأُلِّ عِمْرَانَ ... "
35	مسلم بن يسار	" إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا ... "

فهرس الأبيات الشعرية

مرتبّة بحسب الحرف الأول من كلّ بيتٍ بترتيب أحرف الهجاء

97	أجزتهم مطلوبهم ومولدي *** تاسع قرن تاسع في الجبل
149	أذاهم وظلمهم *** بدعوة في الظلما
149	أستصرخ الله بهم *** أقول يا اللهم
148	ألقى إذا اشتد لظى *** أذى إذا هم رجما
148	ألقى إذا الليل دجا *** وبالابلا ادلهما
95	إنّا بنو حسنٍ والناس تعرفنا *** وقت النزال وأسد الحرب في حنق
152، 140	أودعته فرائدا *** يرقص منه الفهما
132، 95	بن أبي بكرٍ البقاعي الشافعي *** الله يعفو ما لهم من زل
152، 140	تجلو العمى من لطفها *** وتسمع الأصمّتا
152	تنطق من تغنى بها *** وإن يكونوا بكمّا
152، 149	جرت ينابيع الهدى *** منه فصارت يما
135	حروف النداء، سحفا لمن سمع النداء *** ولم ينطلق شوقا إلى صدمة العدا
152	خصّ نفيس علمها *** ولأنناسي عمّا
153، 140	صنعتة وفي بحتور *** علمه ما طما
148	عدّوا سنيين عددا *** يسقون قلبي السّما
135	على سبته تذكي القلوب سعيها *** لتقطر دمع العين وردا مؤردا
135	على سبته تهمي الدُموع سحائبًا *** وتُغني النواعي صبرها والتجلدا
147	عملته نصيحة لمن *** يجب العلمّا
152	غدت بحور علمه *** تمدّ مدا جمّا
189	فتى أنس الآداب أول نشئه *** فكانت له روحا وكان لها جسما
189	فتى شبّ في مهد النعيم ولم تنل *** زخارفه من عزمه المنتضى ثلما
148	كابدت فيه زمنّا *** من حاسدي ما غمّا

149	لا ذنب لي عندهم *** إلا الكتاب لَمَّا
135	لقد اتخذوا الدنيا قرارًا وغرهم *** بليل الأمانيّ من أضلّ وما هدى
135	ليكسر جمع الشّرك مفردُ عزمه *** إذا ما تثنى الرُّمَح سكرًا وعريداً
189	مساعي الوري شتّى وكلُّ له مرمى *** ومسعى ابن عاشور له الأمد الأسمي
152، 140	هذا كتاب لَمَّا *** لَمَّ المعاني لَمَّا
148	وأوسقوا قلبي أذى *** وأوسعوني ذمًّا
148	وأوعدوهم بالأذى *** وأوهنوهم رجماً
132، 94	وخطَّ إبراهيمُ نجل عمرِ بن *** الرُّباط حسنِ نجل علي
189	وشاد على التّحقيق صرح علومه *** فما اسطاع أعداءُ الثُّبوغ له هضمًا
148	وفتروا من قاصدي *** همهمّةً وعزماً
189	وفي بهجة الدنيا وخضرة عيشها *** غرورٌ لباعي المجد إن لم يقف حزمًا
328	وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ *** تدلُّ على أنّه الواحدُ
135	وقد أسمع الملهوف لو أنّ غوثه *** يفيد حياةً: مطلقًا أو مقيدًا
153، 140	وقد علا تركيبه *** وعاد يجلو نظماً
148	وكم بغوني عثرةً *** فما رأوا لي جرماً
148	وكم دهوني مرّةً *** وكم رموني سهمًا
135	ولكن هي الأشباح قد دفنت بها *** القلوبُ فما تحتاج حفرًا لثلحداً
328	ولله في كلّ تحريكَةٍ *** وفي كلّ تسكينَةٍ شاهدُ
189	وما أدب الإنسان إلاّ عوائدُ *** تحطُّ له في لوحِ إحساسه رسماً
149	يا ربِّ إنّي جاهدُ *** فافرج إلهي الغمًّا

قائمة المصادر والمراجع:

(مرتبّة ترتيبًا هجائيًا، ولا أعتبر " ال " في أوّل الاسم واعتبرها في بقيّته)

* القرآن الكريم، برواية ورشٍ عن نافع ورواية الشُّوسِي عن أبي عمرو.

1- ابتسام عمر العمودي، المختارات من المناسبات بين الشُّور والآيات، صدر عن مركز تدبُّر للدراسات والاستشارات، الرياض، ط:1، 1436هـ/2015م.

2- ابتسام عمر العمودي ورولا أسعد حجازي، مناسبات ختام الآيات، يليه الجزء الثاني من كتاب «المختارات من المناسبات بين الآيات»، مراجعة وتنسيق: رباب محمّد الشُّرجي، دار الصُّمعي، الرياض، ط:1، 1440هـ/2018م.

3- إبراهيم بن سليمان آل هويمل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، مجلّة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، مجلّة علميّة محكمة، تصدرها عمادة البحث العلميّ بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربيّة السُّعوديّة، ع:25، المحرّم 1420هـ/ أبريل 1999م.

4- إبراهيم علي الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنيّة ودلالاتها البلاغيّة في تفسير «التَّحْزِير والتَّنْوِير»، رسالة دكتوراه في البلاغة، كليّة اللُّغة العربيّة، قسم البلاغة والنَّقد، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السُّعوديّة، 1419هـ/1999م.

* ابن أبي الإصبع المصريّ:

5- بديع القرآن، تح: حفي محمّد شرف، نهضة مصر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، مصر، (د ط ت).

6- تحرير التَّحْزِير في صناعة الشُّعر والنَّثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفي محمّد شرف، المجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التُّراث الإسلاميّ، الجمهوريّة العربيّة المتَّحدة، (د ط ت).

7- ابن أبي الدُّنيا، كتاب الأهوال، تح: مجدي فتحي السُّيد، مكتبة آل ياسر للنَّشر والتَّوزيع، الجيزة، ط:1، 1413هـ/1993م.

8- ابن العربيّ، مُحي الدِّين، رحمةٌ من الرَّحمن في تفسير وإشارات القرآن، جمع وتأليف: محمود محمود الغراب، مطبعة نضر، دمشق، 1410هـ/1989م.

- 9- ابن التّديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د ط ت).
- 10- ابن بسّام التّحويّ، سرقات المتنبّي ومشكل معانيه، تح: محمّد الطّاهر ابن عاشور، الدار التّونسيّة للنّشر، 1970م.
- 11- ابن حجر العسقلانيّ، إنباء الغمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربيّة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، القاهرة، 1419هـ/1998م.
- 12- ابن عبد السّلام، عزّ الدّين عبد العزيز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المكتبة العلميّة بالمدينة المنوّرة، مطابع دار الفكر بدمشق، (د ط ت).
- 13- أبو البقاء، أيّوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ، الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة، قابله على نسخة خطّيّة وأعدّه للطّبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمّد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت-لبنان، ط:2، 1419هـ/1998م
- 14- أبو الحسن، الحرّائيّ المراكشيّ، تراث أبي الحسن الحرّائيّ المراكشيّ في التّفسير، 1- مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، 2- عروة المفتاح، 3- التّوشية والتّوفية، 4- نصوص من تفسيره المفقود، تصدير: محمّد بن شريفة، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السّلام الحياطي، وهو ضمن: سلسلة تراث أبي الحسن الحرّائيّ المراكشيّ (1)، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المملكة المغربيّة، ط:1، 1418/1997.
- * أبو الحسن، برهان الدّين إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن عليّ بن أبي بكر البقاعيّ الشّافعيّ:
- 15- الأجابة السّريّة عن الألغاز الجزريّة، تح: جمال بن السّيّد بن رفاعي الشايب، مخطوط يطبع لأوّل مرّة، مكتبة أولاد الشّيخ للتّراث، الهرم، (د ط ت).
- 16- إظهار العصر لأسرار أهل العصر تاريخ البقاعيّ، دراسة وتحقيق: محمّد سالم بن شديد العوفي، ج1: هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، جيزة- مصر، ط:1، 1412هـ/1992م، ج2، 3: عربيّة للطّباعة والنّشر، ط:1، 1414هـ/1993م.
- 17- الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشّام، قدّم له واعتنى به: محمّد مجير الخطيب الحسيني، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، 1418هـ/1997م.

- 18- الأقوال القديمة في حكم النّقل من الكتب القديمة، تح: محمّد مرسي الخولي، نشر في: مجلّة معهد المخطوطات العربيّة، الصّادرة عن المنظمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، مج:26، ج:2، المحرم 1401هـ/ نوفمبر (تشرين ثان) 1980م.
- 19- الأقوال القويمة في حكم النّقل من الكتب القديمة، تح: عبد الرّحيم السّايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، (د ط ت).
- 20- إنارة الفكر بما هو الحقُّ في كيفة الذّكر، تح: سليمان بن مسلم الحرش، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط:1، 1421هـ/2001م.
- 21- الإيذان بفتح أسرار التّشهُد والأذان، دراسة وتحقيق: مجدي فتحى السّيد، النّاشر: مكتبة الفوائد، توزيع: مكتبة الرّشد-الرّياض، ط:1، 1416هـ/1995م.
- 22- بذل النّصح والشّفقة للتّعريف بصحبة السّيد ورقة، وفيه: ديوان ورقة بن نوفل، تح: محمّد نبيل طريفي، دار الفكر العربيّ، بيروت-لبنان، ط:1، 2003م.
- 23- سرُّ الرّوح، تح: محمّد بدر الدّين التّعساني الحلبيّ، مطبعة السّعادة، القاهرة، ط:1، 1326هـ/1908م.
- 24- عنوان الزّمان بتراجم الشّيوخ والأقران، تح: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القوميّة، مركز تحقيق الثّرات، القاهرة، ط:1، ج:1: 1422هـ/2001م، ج:2: 1424هـ/2004م، ج:4: 1430هـ/2009م.
- 25- الفتح القدسيّ في آية الكرسيّ، تح: عبد الحكيم الأنيس، سلسلة الدّراسات القرآنيّة (3)، دار البحوث للدّراسات الإسلاميّة وإحياء الثّرات، دبي- دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ط:1، 1422هـ/2001م.
- 26- فهرست مصنّفات البقاعيّ (عن نسخة منقولة من خطّه)، دراسة وتحقيق: محمّد أجمل أيّوب الإصلاحي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنيّة، السّلسلة الثّالثة (57)، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، 1426هـ/2005م.
- 27- القول المعروف في مسألة يا دائم المعروف، تح: أبو عبد الله حسين عكاشة، منشور في: مجلّة الثّرات النّبويّ، مجلّة علميّة نصف سنويّة، تعنى بمخطوطات السّنة النّبويّة وعلومها وما يتّصل بهما من دراسات، وقف السّنة والثّرات النّبويّ، المملكة العربيّة السّعوديّة، ع: 1 و2، السّنة الأولى، مج:1، محرّم ورجب 1439هـ/أكتوبر 2017- مارس 2018م.

- 28- القول المفيد في أصول التَّجويد، تح: خير الله الشَّريف، دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1416هـ/1995م.
- 29- ما لا يستغني عنه الإنسان من مُلح اللِّسان، تح: مشهور مشاهرة وناصر الدِّين أبو خضير، دار الكتب العلميَّة، بيروت-لبنان، ط:1، 2010م.
- 30- مساعد النَّظر للإشراف على مقاصد السُّور، قدَّم له وحققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: عبد السَّميع محمَّد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرِّياض، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، ط:1، 1408هـ/1987م.
- 31- مصرع التَّصوُّف أو تنبيه الغيِّ إلى تكفير ابن عربيِّ، تح: عبد الرَّحمان الوكيل، دار الكتب العلميَّة، بيروت-لبنان، 1400هـ/1980م.
- 32- نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، دار الكتاب الإسلاميِّ، القاهرة، 1404هـ/1984م.
- 33- النُّكت الوفيَّة بما في شرح الألفيَّة، تح: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرُّشد- ناشرون، الرِّياض- المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، ط:1، 1428هـ/2007م.
- 34- النُّكت والفوائد على شرح العقائد، تح: إحسان إلفيف أحمد الدُّوري، المكتبة العصريَّة، صيدا- بيروت، لبنان، ط:1، 2012م/1433هـ.
- 35- أبو الحسن، عليُّ بن إسماعيل الأشعريُّ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: هلموت ريتز، دار فرانز شتاينر، فيسبادن، ط:3، 1400هـ/1980م.
- 36- أبو الحسن، عليُّ بن إسماعيل، المعروف بابن سيِّده، المخصَّص، تح: مكتب التَّحقيق بدار إحياء الثُّراث العربيِّ، دار إحياء الثُّراث العربيِّ، بيروت- لبنان، ط:1، 1417هـ/1996م.
- 37- أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريَّا، معجم مقاييس اللُّغة، تح: عبد السَّلَام محمَّد هارون، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط:2، 1399هـ/1979م.
- 38- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القُشيريُّ النَّيسابوريُّ، صحيح مسلم المسمَّى المسند الصَّحيح المختصر من السُّنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تح: أبو قتيبة نظر محمَّد الفاريابي، دار طيبة، الرِّياض، ط:1، 1427هـ/2006م.
- 39- أبو العبَّاس، أحمد القلقشنديُّ، صبح الأعشى، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، 1340هـ/1922م.

40- أبو العبّاس، الفضل بن شاذان الرّازي، سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله، تح: أبو عبد الرّحمن بشير بن حسن الحميري، دار ابن حزم، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط:1، 1430هـ/2009م.

41- أبو العبّاس، جعفر بن محمّد المستغفري، فضائل القرآن، تح: أحمد بن فارس السّلولم، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، 1427هـ/2006م.

42- أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت-لبنان، 1406هـ/1986م.

43- أبو العلاء، عادل بن محمّد، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسّور، مجلّة الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، ع:129، السّنة:37-1425هـ.

44- أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدّمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمّد السّلامة، دار طيبة، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، ط:2، 1420هـ/1999م.

45- أبو الفرج، جمال الدّين عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، زاد المسير في علم التّفسير، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1 الجديدة، 1423هـ/2002م.

* أبو الفضل، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ:

46- معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1408هـ/1988م.

47- الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدّراسات القرآنيّة، صدر عن وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، المدينة المنورة، 1426هـ.

48- أبو الفضل، جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقيّ المصريّ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط ت).

49- أبو الفضل، شهاب الدّين السّيّد محمود الألوسيّ البغداديّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت، (د ط ت).

50- أبو الفضل، عبد الله محمّد الصّديّق الغماريّ الحسنيّ، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، (د ط ت).

51- أبو الفلاح، شهاب الدين عبد الحفي بن أحمد بن محمد العكري، ابن العماد الحنبليّ الدمشقيّ،
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن
كثير، دمشق-بيروت، ط:1، 1413هـ/1993م.

52- أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالرّاعب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، تح:
مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د ط ت).

53- أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر الرّبخشريّ الخوارزميّ، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط:3،
1430هـ/2009م.

54- أبو القاسم، محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل، تح: محمد سالم هاشم، دار
الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1415هـ/1995م.

55- أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السّمرقنديّ، تفسير السّمرقنديّ المسمّى بحر
العلوم، تح: عليّ محمد معوّض وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1،
1413هـ/1993م.

56- أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقيّ، دلائل التّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد
المعطي قلّعجيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، دار الرّيّان للتراث، ط:1،
1408هـ/1988م.

57- أبو بكر، عبد الرّزاق بن همام الصّنعائيّ، المصنّف، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، طبع
ضمن: ديوان الحديث النّبويّ (22)، دار التّأصيل، ط:1، 1436هـ/2015م.

* أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجانيّ النّحويّ:

58- دلائل الإعجاز، علّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط:5،
2004م.

59- درج الدرر في تفسير الآي والسّور، تح: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللّطيف
القيسيّ، مجلّة الحكمة، سلسلة إصدارات الحكمة (22)، بريطانيا-مانشستر، ط:1،
1429هـ/2008م.

* أبو بكر، محمد بن الطَّيِّب الباقلائيُّ:

60- إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، طبع ضمن: "ذخائر العرب" رقم: 12، دار المعارف، مصر، (د ط ت).

61- الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، بالاشتراك مع دار الفتح عمّان-الأردن، ط: 1، 1422هـ/2001م.

* أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد، ابن العربيِّ المعافريُّ الإشبيليُّ:

62- النَّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: عبد الكبير العلويُّ المدغريُّ، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، 1992م/1413هـ.

63- أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت-لبنان، ط: 3، 1424هـ/2003م.

64- سراج المريدين في سبيل الدِّين لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدِّينيَّة والدُّنيويَّة بالأدلة العقليَّة والشرعيَّة القرآنيَّة والسُّننيَّة وهو القسم الرَّابع من علوم القرآن في التَّذكير، تح: عبد الله التَّورانيُّ، طبع ضمن: أعلاقُ أندلسيَّة إشبيليَّة (4)، سلسلة مؤلَّفات الإمام أبي بكر ابن العربيِّ (4)، دار الحديث الكنانيَّة، طنجة، المملكة المغربيَّة، ط: 1، 1438هـ/2017م.

* أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الثَّقفيُّ الغرناطيُّ:

65- البرهان في ترتيب سور القرآن، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، المملكة المغربيَّة، 1410هـ/1990م.

66- البرهان في تناسب سور القرآن، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزيِّ، ط: 1، محرَّم 1428هـ.

67- ملاك التَّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتَّعطيل في توجيه المتشابه اللَّفظ من آي التَّنزيل، تح: عبد الغنيِّ محمد عليِّ الفاسيِّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت-لبنان، (د ط ت).

68- أبو جعفر، محمد بن جرير الطَّبْرِيُّ، تفسير الطَّبْرِيِّ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي بالتَّعاون مع مركز البحوث والدراسات العربيَّة والإسلاميَّة، دار هجر، عبد السُّند حسن يمامة، القاهرة، ط: 1، 1422هـ/2001م.

* أبو حامد، محمد الغزالي الطوسي:

69- الاقتصاد في الاعتقاد، تح: إنصاف رمضان، دار قتيبة، دمشق-سوريا، ط:1، 1423هـ/2003م.

70- جواهر القرآن، تح: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط:2، 1406هـ/1986م.

* أبو حسان، جمال محمود أحمد:

71- الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلة علمية عالمية محكمة، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، مج:5، ع:(2/أ)، 1430هـ/2009م.

72- تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، رسالة ماجستير في الشريعة/أصول الدين، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1411هـ/1991م.

* أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي:

73- البحر المحيط في التفسير، عناية: زهير جعيد، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1431هـ- 1432هـ/2010م.

74- تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:1، 1413هـ-1993م.

75- أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 19، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، 1992م، أصله أطروحة دكتوراه الدولة في اللغة العربية وآدابها، نوقشت في سنة:1990م.

76- أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (د ط ت).

77- أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي، الشهير بابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدع وإعجاز القرآن، والمطبوع خطأ بعنوان: «الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية»، تح: زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط ت).

* أبو عبد الله، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرُّوميُّ البغداديُّ:

- 78- معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، (د ط ت).
79- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت-لبنان، ط:1، 1993م.

80- أبو عبد الله، محمّد بن أبي بكر بن أيُّوب، ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمّد العمران، مطبوعٌ ضمن: آثار الإمام ابن قيّم الجوزيّة وما لحقها من أعمال (1)، دار عالم الفوائد، (د ط ت).

81- أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت-لبنان، ط:1، 1427هـ/2006م.

82- أبو عبد الله، محمّد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط:1، 1423هـ/2002م.

83- أبو عبد الله، محمّد بن عبد الله الأصبهانيّ، المعروف بالخطيب الإسكافيّ، درّة التّنزيل وعرّة التّأويل، تح: محمّد مصطفى أيدين، سلسلة الرّسائل العلميّة الموصى بطبعها (30)، معهد البحوث العلميّة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ط:1، 1422هـ/2001م، أصله رسالة دكتوراه بعنوان: (درّة التّنزيل وعرّة التّأويل)، بكلّيّة الدّعوة وأصول الدّين بمكّة المكرّمة: قسم الكتاب والسنّة، (1418هـ).

* أبو عبد الله، محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوريّ:

84- المستدرك على الصّحّاحين، تح: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:2، 1422هـ/2002م.

85- المستدرك على الصّحّاحين، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، ديوان الحديث النّبويّ (13)، دار التّأصيل، ط:1، 1435هـ/2014م.

86- أبو عبيد، القاسم بن سلّام الهرويّ، فضائل القرآن، تح: مروان العطيّة وآخرون، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، (د ط ت).

- 87- أبو عليّ، الحسن بن رشيق القيروانيّ، **العمدة في صناعة الشّعر ونقده**، تح: النّبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:1، 1420هـ/2000م.
- 88- أبو عمرو الدّاني الأندلسيّ، **البيان في عدّ آي القرآن**، تح: غانم قدّوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتّراث والوثائق(42)، قسم القرآن الكريم وعلومه، الكويت، ط:1، 1414هـ/1994م.
- 89- أبو عيسى محمّد بن عيسى التّرمذيّ، **الجامع الكبير**، تح: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط:1، 1996م.
- 90- أبو محمّد، عبد الحقيّ بن غالب بن عطية الأندلسيّ، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1422هـ/2001م.
- * أبو محمّد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ:
- 91- **تأويل مشكل القرآن**، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:2، 1428هـ/2007م.
- 92- **تفسير غريب القرآن**، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1398هـ/1978م.
- 93- أحمد بن أبي الضّيّاف، **إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح: لجنة من وزارة الشّؤون الثّقافيّة، وزارة الثّقافة، تونس، تنفيذ: الدّار العربيّة للكتاب، 1999م.
- 94- أحمد بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، **الإعجاز في تناسب الآيات والسّور - دراسة تحليليّة**، مجلّة الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، ع:156.
- 95- أحمد بن محمّد الزّرقا، **شرح القواعد الفقهيّة**، تح: مصطفى أحمد الزّرقا، دار القلم، دمشق، ط:2، 1409هـ/1989م.
- * أحمد بن محمّد بن حنبل:
- 96- **المسند**، شرح: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط:1، 1416هـ/1995م.
- 97- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط:1، 1418هـ/1997م.

- 98- أحمد بن محمد بن عليّ المُقريّ القُيوميّ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، تح: عبد العظيم الشنّاويّ، دار المعارف، القاهرة، ط:2.
- 99- أحمد بن محمد بن قاسم مذکور، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعاً ودراسةً ونقداً، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسُنّة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1429هـ/2008م.
- 100- أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبيّ، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ط ت).
- 101- أحمد جلايلي، الحياة الثقافيّة في مصر المملوكيّة، الأثر، مجلّة جامعيّة محكمة في الآداب واللّغات، تصدر عن جامعة قاصدي مباح، ورقلة-الجزائر، ع:6، ماي 2007م.
- 102- أحمد حسن، في مناسبة الآيات والسُور، مجلّة الجامعة الإسلاميّة، تصدر عن الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، ع:2، السّنّة الثّانية، شوال 1389هـ.
- 103- أحمد رشيد العزاوي وهيفاء رزاق ناهي، علم المناسبة في سورة المجادلة، «الأستاذ»: مجلّة علميّة محكمة فصليّة، صادرة عن كليّة التّربية- ابن رشد للعلوم الإنسانيّة، جامعة بغداد، العراق، ع:209، مج:1، حزيران 2014م/1435هـ.
- 104- أحمد شهاب الدّين بن حجر الهيتميّ المكيّ، الفتاوى الحديثيّة، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د ط ت).
- 105- أحمد ماهر سعيد نصر، علم المناسبات في القرآن الكريم "دراسة تأصيليّة"، حوليّة كليّة أصول الدّين والدّعوة بالمنوفيّة، جامعة الأزهر، مصر، ع:37، (د ت).
- 106- أحمد محمد عطية يوسف المنيراوي، المناسبة بين الفواصل القرآنيّة وآياتها دراسة تطبيقيّة للجزء الأوّل من سورة البقرة، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كليّة أصول الدّين، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلاميّة: غزّة، 1431هـ/2010م.
- 107- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، ط:1، 1429هـ/2008م.
- 108- أحمد نتوف (Ahmed Natouf)، التّناسب مصادره وأنواعه ومصطلحاته في سورة البقرة، (JOURNAL of the FACULTY of DIVINITY, İNÖNÜ) البقرة، (UNIVERSITY, Volume:4, Issue:1, Spring 2013).

109- إسماعيل الحسني، نظريّة المقاصد عند الإمام محمّد الطاهر بن عاشور، سلسلة الرّسائل الجامعيّة (15) (المنهجية الإسلاميّة)، المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، فيرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ط:1، 1416هـ/1995م.

110- إسماعيل الميمنيّ، المناسبات في القرآن الكريم وأثرها في التّفسير، بحثٌ مقدّم في المؤتمر القرآنيّ الدّوليّ السنويّ (مقدس:4)، المنعقد في: 14-15 جمادى الآخرة 1435هـ الموافق 14-15/4/2014م، جامعة مالايا، كوالا لمبور- ماليزيا، يشرف على المؤتمر: مركز بحوث القرآن بجامعة مالايا.

111- إسماعيل باشا البغداديّ، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، (د ط ت).

112- إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:2، 1399هـ/1979م.

113- إسماعيل حقيّ البروسويّ، روح البيان، دار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت-لبنان، (د ط ت).

114- أشرف عليّ التّهانويّ (ت1362هـ)، سبق الغايات في نسق الآيات، تحقيقٌ ودراسةٌ من أوّله إلى خمسين آيةً من سورة البقرة، إعداد: أسامة عبد الرّحمن المراكبيّ، صدر عن: جامعة الأزهر، كليّة أصول الدّين والدّعوة الإسلاميّة بالمنوفيّة، دار الأندلس للطباعة (مستلّة من حوليّة كليّة أصول الدّين والدّعوة بالمنوفيّة، ع: 34، عام:2014م).

* أمينة رابع:

115- معالم تحقيق وحدة السّورة عند البقاعيّ من خلال مخطوط دلالة البرهان القويم على تناسب أي القرآن العظيم، المجلّة الجزائريّة للمخطوطات، مجلّة علميّة محكّمة يصدرها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلاميّة في شمال إفريقيا، جامعة وهران-الجزائر، ع:5، 2008م.

116- معالم تحقيق وحدة القرآن عند البقاعيّ من خلال مخطوط دلالة البرهان القويم، الجزء الثّاني، المجلّة الجزائريّة للمخطوطات، مجلّة علميّة محكّمة يصدرها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلاميّة في شمال إفريقيا، جامعة وهران-الجزائر، ع:11، مارس 2014م.

117- إياد حميد إبراهيم، أسرار ترابط خواتيم السّور القرآنيّة مع فواتحها التي بعدها، مجلّة أبحاث ميسان، مجلّة علميّة محكّمة، تصدر عن عمادة كليّة التّربية جامعة ميسان، العراق، مج:7، ع:13، 2010م.

118- إياد خالد الطّباع، محمّد الطّاهر ابن عاشور علّامة الفقه وأصوله والتّفسير وعلومه، منشور ضمن سلسلة: علماء ومفكّرون معاصرون لمحات من حياتهم، وتعريفٌ بمؤلّفاتهم (26)، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1426هـ/2005م.

119- أيمن بن غازي بن حسين صابر، الاستنباطات عند العلّامة محمّد الطّاهر ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير جمعاً ودراسةً، رسالة ماجستير في تخصّص التّفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسّنّة، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1435هـ/2014م.

120- بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل أحمد عليّ الدّمياطي، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م.

121- براهيم عبّاس، "التّحرير والتّنوير" للشيخ محمّد الطّاهر ابن عاشور، دراسة الأحاديث المرفوعة مع دراسة تطبيقية لأحاديث "سورة آل عمران"، الحديث: مجلّة علميّة محكمة نصف سنويّة، تعنى بالبحوث والدراسات الحديثيّة، يصدرها معهد دراسات الحديث النبويّ (إنهاد)، الكليّة الجامعيّة الإسلاميّة العالميّة بسلانجور (ماليزيا)، السّنّة الرّابعة، ع: 7، شعبان 1435هـ (يونيو 2014م).

122- برهان الدّين إبراهيم بن إبراهيم اللّقانيّ (ت: 1041هـ)، قضاء الوطر في نزهة النّظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ضمّنه مصنّفه: حاشية على النّزهة لتلميذ المصنّف برهان الدّين البقاعيّ (885هـ)، حاشية على النّزهة لتلميذ المصنّف قاسم بن فطّوبغا (879هـ)، دراسة وتحقيق: أبو حفص اليمانيّ شادي بن محمّد بن سالم آل نعمان، قدّم له: أبو الحسن السّليمانى ومشهور بن حسن آل سلمان، الدّار الأثريّة، عمّان، الأردن، ينشر لأوّل مرّة، ط: 1، 1431هـ-2010م.

123- بلاشير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، نقله إلى العربيّة: رضا سعادة، تح: محمّد عليّ الرّعي، دار الكتاب اللّبناييّ- بيروت، ط: 1، 1974م.

124- بلقاسم الغالي، من أعلام الزّيّتونة: شيخ الجامع الأعظم محمّد الطّاهر ابن عاشور، حياته وآثاره، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1417هـ/1996م.

125- بن الدّين بخولة، الإسهامات النّصيّة في التّراث العربيّ، رسالة دكتوراه علوم في اللّسانيّات النّصيّة تخصّص: معجميّات، كليّة: الآداب واللّغات، قسم: اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة وهران 1 - أحمد بن بلّة، الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبية، 2015-2016م.

- 126- تقيُّ الدِّين أحمد بن عليِّ المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطِّ المقرئ، تح: محمَّد زينهم ومديحة الشَّرقاوي، مكتبة مدُبُولي، القاهرة، ط:1، 1998م.
- 127- الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط:1، 1411هـ/1991م.
- 128- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة، مراجعة وتعليق: شوقي ضيف، دار الهلال، مصر، (د ط ت).
- * جلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السُّيوطي:
- 129- أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا ومرزوق عليِّ إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط ت).
- 130- الإتيقان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسَّسة الرِّسالة ناشرون، دمشق- سوريا، ط:1، 1429هـ/2008م.
- 131- تناسق الدرر في تناسب السُّور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، ط:1، 1406هـ/1986م.
- 132- قطف الأزهار في كشف الأسرار، تح: أحمد بن محمَّد الحمَّادي، إصدار وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، إدارة الشُّؤون الإسلاميَّة، دولة قطر، ط:1، 1414هـ/1994م.
- 133- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، تح: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكرك، منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتَّوزيع بالرياض (21)، مكتبة دار المنهاج، الرِّياض، ط:1، 1426هـ.
- 134- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبيِّ وشركاه، ط:1، 1968م/1387هـ.
- 135- نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرَّره: فيليب جيِّ، المطبعة السُّوريَّة الأمريكيَّة في نيويورك، 1927م.
- 136- جمال الدِّين محمَّد شرف، القراءات العشر المتواترة من طريق طيِّبة النَّشر مدعَّمة بالأدلة، تقديم: عبد الكريم صالح، دار الصَّحابة للتُّراث بطنطا، مصر، ط:4، 1433هـ/2012م.

- 137- جوده محمد أبو اليزيد المهدي، الاتجاه الصوفي عند أئمة تفسير القرآن الكريم، الدار الجوديّة، القاهرة، ط:1، 2007م.
- 138- حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التّونسيّين، مراجعة وإكمال: محمد العروسي المطوى وبشير البكوش، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط:1، 1425هـ/2005م.
- 139- حسين بن عليّ بن حسين الحربيّ، قواعد التّرجيح عند المفسّرين، دراسة نظريّة تطبيقية، دار القاسم، الرياض، ط:1، 1417هـ/1996م.
- 140- الحسين بن مسعود البغويّ، شرح السنّة، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط:2، 1403هـ/1983م.
- 141- حكمت بن بشير بن ياسين، التّفسير الصّحيح موسوعة الصّحيح المسبور من التّفسير بالمأثور، دار المآثر، المدينة النّبويّة، ط:1، 1420هـ/1999م.
- 142- حميد عنبري، مدخل لدراسة منهج الطّاهر بن عاشور في تفسير «التّحرير والتّنوير»، مجلّة دار الحديث الحسنيّة، سنويّة علميّة تعنى بشؤون الفكر الإسلاميّ، المملكة المغربيّة، ع:13، 1417هـ/1996م.
- 143- خالد الأزهرّي، شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح بمضمون التّوضيح في النّحو، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1421هـ/2000م.
- 144- خالد محمود محمد عزّام، التّناسب القرآنيّ عند ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير، دراسة تطبيقية: (الجزء الأوّل والجزء الثّلاثون من القرآن الكريم)، رسالة دكتوراه فلسفة في اللّغويّات العربيّة التّطبيقية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2007م.
- 145- خبير خليل عبد الكريم، التّكت الوفيّة بما في شرح الألفيّة للبقاعيّ ت 885هـ، من بداية الكتاب إلى نهاية قسم الحسن، تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، قسم الدّراسات العليا، شعبة السنّة، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1406هـ.
- 146- الخضر ناصر الجونة صالح، المناسبة بين كلمات الآية الواحدة في القرآن الكريم- دراسة تأصيليّة تفسيريّة-، رسالة ماجستير، كليّة التّربية، قسم الثّقافة الإسلاميّة، تخصّص: تفسير وحديث، جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1433-1434هـ.

- 147- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبدیع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 2003م/1424هـ.
- 148- خليل اينالجيک، تاريخ الدولة العثمانيّة من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد م. الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:1، 2002م.
- 149- خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط:15، 2002م.
- 150- خير الله الشّريف، الإمام البقاعي ومؤلفاته، آفاق الثقافة والتراث، مجلّة فصليّة ثقافيّة تراثيّة مكتبيّة، تصدر عن إدارة البحث العلميّ والنشاط الثقافيّ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، السنّة الثالثة، ع:9، المحرم 1416هـ/يونيو (حزيران) 1995م.
- 151- رابح عطّاسي، آليات الاستنباط عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"، رسالة ماجستير، كليّة العلوم الإسلاميّة، قسم: اللّغة والحضارة العربيّة الإسلاميّة، تخصّص: اللّغة والدراسات القرآنيّة، جامعة الجزائر، 1432هـ/2011م.
- 152- راجب السرجاني، قصّة تونس من البداية إلى ثورة 2011م، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط:1، 1432هـ/2011م.
- 153- رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة في ضوء تفسيره التّحرير والتنوير " المعاني والبدیع"، رسالة ماجستير في البلاغة العربيّة، كليّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، فلسطين، 1430هـ/2009م.
- 154- رضيّ الدين محمد الأستراباديّ، شرح الرّضيّ لكافية ابن الحاجب، القسم الأوّل-المجلّد الأوّل، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظيّ، سلسلة نشر الرّسائل الجامعيّة -13-، عمادة البحث العلميّ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، طباعة: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط:1، 1414هـ/1993م.
- 155- الرّمانيّ والخطّابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمانيّ والخطّابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ، في الدّراسات القرآنيّة والنّقد الأدبيّ، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ذخائر العرب (16)، دار المعارف، مصر، ط:3، 1976م.

- 156- زهر صالح إسماعيل أبو عبيد الله، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسُور، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية - غزة، فلسطين، 1433هـ/2012م.
- 157- سامي بن علي بن محمد القليطي العمري، الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي الشافعي، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.
- 158- سامي عطا حسن، المناسبات بين الآيات والسُور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، دراسات: علوم الشريعة والقانون، مجلة علمية محكمة، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مج:30، ع:1، 2003م.
- 159- سامية دبي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسُور للبقاعي دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير في الكتاب والسنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1421هـ-1422هـ/2000-2001م.
- 160- سرحان بن خميس، سؤال النظم القرآني بين رسائل النور ونظم الدرر، مجلة البحوث والدراسات، دورية أكاديمية دولية نصف سنوية، محكمة، تصدر عن جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر، مج:15، ع:01، شتاء 2018.
- 161- سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط:1، 1405هـ/1985م.
- 162- سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المالكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط:2، 1976م.
- 163- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط:32، 1423هـ/2003م.
- 164- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 1434هـ/2013م.

165- شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، مباحث التشبيه والتّمثيل في تفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور، رسالة دكتوراه في البلاغة والنّقد، كليّة اللّغة العربيّة، قسم الدّراسات العليا، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1424-1425هـ.

* شمس الدّين محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي:

166- الجواهر والدّرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، 1419هـ/1999م.

167- الضّوء اللّامع لأهل القرن التّاسع، دار الجيل، بيروت-لبنان، (د ط ت).

168- شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عليّ بوملحم، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1424هـ/2004م.

169- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربيّ الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط:1، 1977م.

170- صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط:10، آب (أغسطس) 1977.

171- صلاح أحمد القبندي، مفاتيح سور القرآن الكريم بطاقات في تعريف سور القرآن الكريم، الوعي الإسلاميّ، مجلّة كويتيّة شهريّة جامعة، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، دولة الكويت، ط:1، الإصدار: 120، 1437هـ/2016م.

* صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفديّ:

172- الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت-لبنان، ط:1، 1420هـ/2000م.

173- تصحيح التّصحيح وتحرير التّحريف، تح: السيّد الشّرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:1، 1407هـ/1987م.

174- ضياء الدّين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نضمة مصر، الفجالة-القاهرة، ط:2، (د ت).

175- الضيف نظور، تفرّدات الطاهر بن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشّافه وابن عطية في محرّره والبيضاوي في أنواره (دراسة مقارنة تفويجية)، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّراسات الإسلاميّة (أصول الدّين)، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، إسلام آباد-باكستان، 1429-1430هـ/2008-2009م.

176- طارق يوسف إسماعيل سليمان، آراء العلماء في تطبّ المناسبات بين السور والآيات، المجلة العربيّة للنشر العلميّ (AJSP)، مجلة علميّة محكمة، تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشريّة رماح-الأردن، ع:12، 2019/10/2.

177- طاهر الجزائريّ الدمشقيّ، التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن على طريق الإتيان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت-لبنان، ط:3، 1412هـ.

178- الطيّب صفيّة، نورة بن حسن، استدراقات السيوطيّ على البقاعيّ وابن الزبير الغرناطيّ في تناسب السور- دراسة في حزب "عم"، مجلة الإحياء، مجلة علميّة دوريّة محكمة، تصدر عن كليّة العلوم الإسلاميّة-جامعة باتنة1- الجزائر، مج:20، ع:24، ماي 2020.

179- عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، قدّم له: حسن خالد، مؤسّسة نويهض الثقافيّة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، ط:3، 1409هـ/1988م.

180- عبد الحكيم الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنيّة، مجلة الأحمديّة، مجلة علميّة دوريّة محكمة تعنى بالدّراسات الإسلاميّة وإحياء الثّراث، دار البحوث للدّراسات الإسلاميّة وإحياء الثّراث، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ع:11، جمادى الأولى 1423هـ، يوليو "تموز" 2002م.

181- عبد الحكيم قليل ومحمّد بن السّايح، المناسبات بين السور القرآنيّة في تفسير الإمام الرّازيّ، مجلة الدّراسات الإسلاميّة، مجلة دوريّة علميّة محكمة ومعتمدة، تعنى بالبحوث والدّراسات الإسلاميّة، يصدرها قسم العلوم الإسلاميّة بكليّة العلوم الإنسانيّة والعلوم الإسلاميّة والحضارة، جامعة عمّار ثليجي بالأغواط-الجزائر، ع:11، جوان 2018.

* عبد الحميد الفراهيّ الهنديّ:

182- دلائل النّظام، المطبعة الحميديّة، الهند، ط:1، 1388هـ.

183- التّكميل في أصول التّأويل، الدّائرة الحميديّة ومكبتها، المطبعة الحميديّة، الهند، ط:1، 1388هـ.

- 184- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، الهند، ط: 1، 2008م.
- 185- عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزء الثالث، رجال السلف ونسأؤه- تراجم أعلام - القصص - الفتاوى، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
- 186- عبد الحميد محمود طهماز، التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، دار القلم، دمشق، ط: 2، 1435هـ/2014م.
- 187- عبد الحفي حسن موسى عبد المجيد، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي المتوفى سنة 880هـ ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1424هـ/2003م.
- 188- عبد الرحمن علي الحفي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق-بيروت، ط: 2، 1402هـ/1981م.
- 189- عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن الرشيدان، النكت الوافية بما في شرح الألفية للإمام العلامة الحافظ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (ت 885هـ) من بداية نوع «معرفة من تقبل روايته ومن تردُّ» إلى نهاية مبحث «الإشارة بالرمز»، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، قسم علوم الحديث، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1415هـ-1416هـ.
- 190- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد العزيز اليوسف، أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية لأبي الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى سنة 749هـ، من أول سورة النساء إلى آخر سورة المائدة، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424-1425هـ.
- 191- عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى، حققها وقدم لها وعلق حواشيها: دكتور عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، (د ط ت).

- 192- عبد السّلام التّرماني، أحداث التّاريخ الإسلاميّ بترتيب السّنين، دار طلاس، دمشق، ط:1، 1417هـ/1997م.
- 193- عبد السّلام بن عبد الرّحمن بن محمّد بن برّجان اللّحميّ الإشبيليّ، تفسير ابن برّجان المسمّى تنبيه الأفهام إلى تدبّر الكتاب الحكيم وتعرّف الآيات والنّبأ العظيم، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1434هـ/2013م.
- 194- عبد الفتّاح بن اليمانيّ الرّويني، مدخلٌ إلى العقل الأصوليّ للإمام الطّاهر بن عاشور، المطبعة والوراقة الوطنيّة، مراكش، ط: الجزء الثّاني 2013م.
- 195- عبد القادر موفّق، التّأويل النّحويّ بين الخرق والمعيارية في تفسير التّحرير والتّنوير للشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور، رسالة دكتوراه في اللّغة، كليّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة والأدب العربيّ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة، 1433-1434هـ/2012-2013م.
- 196- عبد القاهر عبد الله الحوري، المناسبات في تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنّيسابوريّ من سورة الجمعة إلى سورة النّاس (دراسة مقارنة مع الرّازيّ وابن عاشور)، رسالة ماجستير في التّفسير وعلوم القرآن، كليّة أصول الدّين، قسم التّفسير وعلوم القرآن، جامعة أم درمان الإسلاميّة، السّودان، 1436هـ/2015م.
- 197- عبد الكريم إبراهيم صالح، مناسبة أوائل السّور لأواخرها من أوّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة النّاس، شركة القدس للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2017م.
- 198- عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الشّرعية والإنسانيّة، دوريّة علميّة محكّمة، جامعة الشّارقة، الإمارات العربيّة المتّحدة، مج:2، ع:2، ربيع الثّاني 1426هـ/ يونيو 2005م.
- 199- عبد الله بن مقبل بن ظافر القرني، المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرّازيّ، رسالة ماجستير، فرع الكتاب والسّنة، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1412-1413هـ.
- 200- عبد الله عبد الرّحمن الخطيب، برهان الدّين البقاعيّ ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم، المجلّة العلميّة لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانيّة والإداريّة)، المملكة العربيّة السّعوديّة، مج:6، ع:2، 1426هـ/2005م.

- 201- عبد المجيد حميد جبر الحمداني، علم المناسبة في سور القرآن وآيه، مجلّة البحوث والدراستات الإسلامية، مجلّة بحثية محكمة، دائرة البحوث والدراستات، ديوان الوقف السني، جمهورية العراق، ع:46، 2016.
- 202- عبد المحسن بن زين المطيري، علم المناسبات وأثره في تدبر القرآن الكريم مبادئ وتأصيل، جامعة الأزهر، حويّة كليّة اللّغة العربيّة بنين بجرجا، مجلّة علميّة محكمة، ع:20، 1437هـ/2016م، ج:2.
- 203- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة، دار الرّشيد، القاهرة، ط:1، 1413هـ/1993م.
- 204- عبير بنت عبد الله النّعيم، قواعد التّرجيح المتعلّقة بالنّص عند ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير، دراسة تأصيليّة تطبيقيّة، تقديم: فهد بن عبد الرّحمن الرّومي، إصدارات الجمعية العلميّة السّعوديّة للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرّسائل العلميّة (35)، دار التّدريّة، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط:1، 1436هـ/2015م.
- 205- عزمي طه السيّد أحمد، مدخل إلى علم المنطق، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد-الأردن، ط:1، 2015م.
- 206- علاء الدّين عليّ بن بلبان الفارسي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط:2، 1414هـ/1993م.
- 207- عليّ بن أحمد بن إبراهيم المهامي، تفسير القرآن المسّمى تبصير الرّحمن وتيسير المتّان، عالم الكتب، ط:2، 1403هـ/1983م.
- 208- عليّ بن داود الجوهري الصّيرفي، إنباء الهصر بأبناء العصر، تح: حسن حبشي، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، إدارة الثّراث، مصر، ط:2، 2002م.
- 209- عليّ بن عبد الله بن حمد السّكاكر، مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور جمعاً ودراسةً، رسالة دكتوراه، كليّة القرآن الكريم والدراستات الإسلاميّة، قسم التّفسير، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، 1431-1432هـ.
- 210- عليّ بن عيسى بن عليّ بن عبد الله، تفسير أبي الحسن الرّمانيّ وهو التّفسير المسّمى «الجامع لعلم القرآن»، تح: خضر محمّد نبها، موسوعة تفاسير المعتزلة (5)، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، (د ط ت).

211- علي بن محمد السَّيِّد الشَّرِيف الجُرْجَانِيُّ، معجم التَّعْرِيفَات، تحقيق ودراسة: محمَّد صَدِيق المِنْشَاوِيُّ، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط ت).

212- علي عبد العزيز سيور، مناسبات الآيات والسُّور (نشأة علم المناسبة، محلُّها، ودلالاتها وأثرها في التَّفْسِير)، مجلَّة كِلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة، إسلاميَّة فكريَّة محكمة، دبي، دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، ع: 25، ربيع الثَّاني 1424هـ/ يونيو 2003م.

213- عمَّار المختار بن ناصر الأخضرِيُّ، الضَّيَاء على الدُّرَّة البيضاء في الفرائض، مطابع الرِّشيد- المدينة المنوَّرة، ط: 2، 1410هـ/ 1990م.

214- عمر بن فهد الهاشميُّ المَكِّيُّ، معجم الشُّيوخ، تح: محمَّد الزَّاهي، طبع ضمن سلسلة: مؤرِّخو مكَّة المكرَّمة (1)، دار اليمامة، الرِّياض، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، ط: 1، 1402هـ/ 1982م.

215- عمر حسين الدَّويك، المناسبة بين الفاصلة القرآنيَّة وآياتها "دراسة تطبيقيَّة لسورة آل عمران، رسالة ماجستير في التَّفْسِير وعلوم القرآن، كِلِّيَّة أصول الدِّين، قسم التَّفْسِير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلاميَّة: غزَّة، 1429هـ/ 2008م.

216- عمر رضا كحَّالة، معجم المؤلِّفين تراجم مصنِّفي الكتب العربيَّة، مكتبة المثقَّى ودار إحياء الثَّراث العربيِّ، بيروت-لبنان، (د ط ت).

217- فاضل بن صالح المحوي الشَّهري، المناسبات بين سور القرآن عند الألويسيِّ، صدر عن: جامعة الأزهر، كِلِّيَّة أصول الدِّين والدَّعوة الإسلاميَّة بالمنوفيَّة، دار الأندلس للطِّباعة (مستلَّة من حوليَّة كِلِّيَّة أصول الدِّين والدَّعوة بالمنوفيَّة، ع: 32، 1434هـ/ 2013م).

218- فاضل صالح السَّامرائيُّ، التَّناسب بين السُّور في المفتاح والخواتيم، دار ابن كثير، بيروت-لبنان، ط: 1، 1437هـ/ 2016م.

* فخر الدِّين محمَّد بن عمر الخطيب الرَّازيُّ:

219- محصل أفكار المتقدِّمين والمتأخِّرين من العلماء والحكماء والمتكلِّمين، وبذيله: تلخيص المحصَّل لنصير الدِّين الطُّوسي، راجعه وقَدَّم له: طه عبد الرُّؤوف سعد، طبع ضمن: من تراث الرَّازيِّ (4)، مكتبة الكِلِّيَّات الأزهرية-الأزهر، (د ط ت).

220- تفسير الفخر الرَّازيِّ المشتهر بالتَّفْسِير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: 1، 1401هـ/ 1981م.

221- فريق من المختصين، المناسبات القرآنية، مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، 1438هـ.

* فضل حسن عباس:

222- إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان-الأردن، ط:1، 1997م.

223- إعجاز القرآن، جامعة القدس المفتوحة، عمان-الأردن، 2007م.

224- التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفايس، عمان، الأردن، ط:1، 1437هـ/2016م.

225- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرؤمي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، ط:14، 1426هـ/2005م.

226- فيصل عبد الله بن حمد، العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول (648-784هـ/1250-1381م) والثاني (784-922هـ/1381-1517م)، المنارة للبحوث والدراسات، مجلة علمية متخصصة محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، مج:14، ع:2.

227- مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط:4، 1425هـ/2004م.

228- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان-المملكة الأردنية الهاشمية، 1989م.

229- محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، دار المطبوعات الدولية، القاهرة، ط:1، 1399هـ/1979م.

230- محمد إقبال عروي، الوظيفة الترجيحية للسياق عند المفسرين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دولة الإمارات العربية المتحدة، السنة التاسعة، ع:35، رجب 1422هـ/أكتوبر (تشرين الأول) 2001م.

231- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأئمة، برج الكيفان، الجزائر، (د ط ت).

* محمد الحبيب ابن الخوجة:

232- محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، الجزء الأول: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 1425هـ/2004م.

233- محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، الجزء الثالث: مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 1425هـ/2004م.

234- مسند الرئاسة المذهبية الحنفية في الدولتين المرادية والحسينية، المجلة الزيتونية، مجلة علمية أدبية أخلاقية، تصدرها هيئة من مدربي جامع الزيتونة المعمور، شهرية وستة عشر أشهر، المطبعة التونسية، تونس، مج:3، ج:10، ربيع الثاني 1359هـ/ماي 1940م.

* محمد الخضر حسين:

235- تونس وجامع الزيتونة، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (20)، دار النوادر، سورية-لبنان-الكويت، ط:1، 1431هـ/2010م.

236- ديوان خواطر الحياة، طبع ضمن: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (13)، دار النوادر، سورية-لبنان-الكويت، ط:1، 1431هـ/2010م.

237- محمد الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، دمشق، ط:3، 1430هـ/2009م.

* محمد الطاهر ابن عاشور:

238- أصول الإنشاء والخطابة، مطبعة النهضة، تونس، ط:1، 1339هـ.

239- حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح، على شرح تنقيح الفصول في الأصول لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي، مطبعة النهضة، تونس، ط:1، 1341هـ.

240- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع-تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، ط:2، 1985م.

- 241- النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط:1، 1428هـ/2007م.
- 242- أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، ط:1، 1427هـ/2006م.
- 243- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط:2، 1429هـ/2008م.
- 244- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- 245- جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، دار الفرائس للنشر والتوزيع-الأردن، ط:1، 1436هـ/2015م.
- 246- دروس التفسير، المجلة الزيتونية، مجلة علمية أدبية أخلاقية، تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور، شهرية وسنتها عشرة أشهر، المطبعة التونسية، تونس، مج:1، ج:1، رجب 1355هـ/سبتمبر 1936م.
- 247- شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، تح: ياسر بن حامد المطيري، سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض (69)، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1431هـ.
- 248- فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمع وتحقيق: محمد بن إبراهيم بوزغيبية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث-دبي، مراجعة: قسم الدراسات والنشر بالمركز، ط:1، 1425هـ/2004م.
- 249- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: طه بن علي بوسريح التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط:1، 1427هـ/2006م.
- 250- موجز البلاغة، المطبعة التونسية، تونس، ط:1، (د ت).
- 251- ديوان بشار بن برد: جمع وتحقيق وشرح، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م.

252- مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط:2، 1421هـ/2001م.

253- محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، صدر عن: مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، السنة الثانية-الكتاب الثالث عشر، ربيع الأول سنة 1390هـ/ مايو سنة 1970م.

254- محمد اليتير، عنوان الأريب عمّا نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:1، 1996م.

255- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجينة، صدر ضمن سلسلة: "ما يجب أن تعرف عن"، دار سراس للنشر، ط:3، 1993م.

256- محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبيّة، القاهرة، 1284هـ.

257- محمد آيدين (Muhammad AYDIN)، تأملات في المناسبات ودراسة تطبيقية من القرآن الكريم،

(sakarya üniversitesi ilahiyat fakültesi dergisi 17/2008).

258- محمد بن إبراهيم الحمد، التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1433هـ/2012م.

259- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، ج:2: دار النشر: فرانز شتاينر- فيسبادن، ط:1، 1392هـ/1972م، ج:3: مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:3، 1404هـ/1984م.

260- محمد بن رزق بن طهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، طبع ضمن: رسائل جامعية (43)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1426هـ.

261- محمد بن سعد بن عبد الله القرني، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السعودية، 1427هـ.

* محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعائي الشوكائي:

- 262- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. (د ط ت).
263- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1431هـ/2010م، دار النوادر، الكويت.

* محمد بن عمر بن سالم بازمول:

- 264- علم المناسبات في السور والآيات، ويليهِ: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع لأبي الفضل، جلال الدين عبد الرحمن الشيوطي الشافعي، المكتبة المكيّة، مكّة المكرمة، ط:1، 1423هـ/2002م.
265- تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، ويليهِ: التناسق الموضوعي في السور القرآنية، سلسلة دراسات قرآنية (10)، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الصنوبر البحري-المحمديّة، الجزائر العاصمة، ط:1، 1439هـ/2018م.

- 266- محمد حسين، التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، تخصّص: علم أصول الفقه، كليّة العلوم الإسلامية، قسم: علم أصول الفقه، جامعة الجزائر، 2005م.

267- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، 1433هـ/2012م.

- 268- محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، 1418هـ/1997م.

- 269- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، دار المنار، القاهرة-مصر، (ج1: ط:2، 1366هـ/1947م)، (ج2: ط:2، 1350هـ)، (ج3، 4: ط:3، 1367هـ)، (ج5: ط:1، 1328هـ).

- 270- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فؤاد أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 1415هـ/1995م.

- 271- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، تح: عبد الحميد الدخاني، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:2، 1421هـ/2000م.

- 272- محمّد علي التّهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، طبع ضمن: سلسلة موسوعات المصطلحات العربيّة والإسلاميّة، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تح: علي دحروج، نقل النّصّ الفارسيّ إلى العربيّة: عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبيّة: جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط:1، 1996م.
- 273- محمّد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط:4، 1402هـ/1981م.
- * محمّد عناية الله أسد سبحاني:
- 274- البرهان في نظام القرآن (نظام سُور: الفاتحة والبقرة وآل عمران)، قدّم له: محمّد أديب الصّالح وآخرون، دار الكتب، (د م)، ط:1، 1414هـ/1994م.
- 275- إمعان النّظر في نظام الآي والسُّور، دار عمّار، عمّان-الأردن، (د ط ت).
- 276- محمّد عيسى صالحية، المعجم الشّامل للتّراث العربيّ المطبوع، معهد المخطوطات العربيّة (المنظمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم)، القاهرة، ط:2، 1992م.
- 277- محمّد غانم شريف ويونس أحمد عيدان، رفع اللّثام عن عرائس النّظام (في العروض والقافية) تحقيق ونقد، مجلّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانيّة، مجلّة علميّة محكمة، تصدر عن كليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة تكريت، العراق، مج:26، ع:12، 2019م.
- 278- محمّد فريد بك المحامي، تاريخ الدّولة العليّة العثمانيّة، تح: إحسان جوي، دار النّفائس، بيروت، ط:1، 1401هـ/1981م.
- 279- محمّد قاسم الشّوم، علوم القرآن ومناهج المفسّرين، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط:1، 1435هـ/2014م.
- 280- محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين التّونسيّين، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت-لبنان، ط:1، ج:2، 1982م، ج:3، 1404هـ/1984م.
- 281- محمّد مرتضى الحسيني الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العليم الطّحاوي، طبع ضمن سلسلة "التّراث العربيّ" الصّادرة عن وزارة الإعلام في الكويت، رقم (16)، مطبعة حكومة الكويت، ط:2، 1407هـ/1987م.

* محمد ناصر الدين الألباني:

282- صحيح التّرجيب والتّرهيب، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط:1، 1421هـ/2000م.

283- صحيح السّيرة النبويّة، ما صحّ من «سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه» للحافظ ابن كثير، المكتبة الإسلاميّة، عمّان - الأردن، ط:1، 1421هـ.

284- محمّد نعمان حسن، الاتّجاه اللّغويّ في تفسير التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور، مجلّة القسم العربيّ، مجلّة علميّة محكّمة تصدر من قسم اللّغة العربيّة، جامعة بنجاب، لاهور-باكستان، ع:21، 2014م.

285- محمّد هارون العزيميّ النّدويّ، العلامه المهائميّ وتفسيره تبصير الرّحمن وتيسير المتّان، البعث الإسلاميّ، مجلّة إسلاميّة شهريّة جامعة، تصدرها مؤسّسة الصّحافة والنّشر، الهند، ع:7، مج:42، ربيع الثّاني:1418هـ، أغسطس وسبتمبر 1997م.

286- محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط:1، 1406هـ/1986م.

287- محمود توفيق محمّد سعد، الإمام البقاعيّ جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ط:1، 1424هـ.

288- محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلميّ والأدبيّ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز، ط:2، 1384هـ/1965م.

* محمود شاكر:

289- التّاريخ الإسلاميّ -7- العهد المملوكيّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط:5، 1421هـ/2000م.

290- التّاريخ الإسلاميّ -8- العهد العثمانيّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط:4، 1421هـ/2000م.

291- محمود فايز بطاينة ومحمّد رضا حسن الحوري، التّناسب السّياقيّ للآيات القرآنيّة المعترضة بين الموضوع الواحد-دراسة لنماذج مختارة-، المجلّة الأردنيّة في الدّراسات الإسلاميّة، مجلّة علميّة عالميّة محكّمة، جامعة آل البيت، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، مج:13، ع:4، صفر 1439هـ/

تشرين الأوّل 2017م.

292- محيي الدّين الدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعيّة، حمص- سورية، ط:3، 1412هـ/1992م، دار ابن كثير للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق-بيروت، اليمامة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق-بيروت.

* مُسَاعِدِ بن سليمان بن ناصر الطّيّار:

293- المحرّر في علوم القرآن، سلسلة المقرّرات الدّراسيّة (1)، مركز الدّراسات والمعلومات القرآنيّة بمعهد الإمام الشّاطبيّ (3) التّابع للجمعيّة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدّة، ط:2، 1429هـ/2008م.

294- أنواع التّصنيف المتعلّقة بتفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزيّ، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط:2، رجب 1423هـ.

295- مشهور موسى مشهور مشاهرة، التّناسب القرآنيّ عند الإمام البقاعيّ دراسة بلاغيّة، رسالة ماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة الدّراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، كانون الثّاني 2001.

296- مصطفى بن عبد الله الشّهير بحاجّي خليفة وبكاتب حلبي، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، (د ط ت).

297- مصطفى صادق الرّافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، تح: درويش الجويديّ، المكتبة العصريّة، صيدا-بيروت، ط:3، 1426هـ/2005م.

298- مصطفى محمّد الذهبيّ، التّفسير والمفسّرون، دار الحديث، القاهرة، 1433هـ/2012م.

299- مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعيّ، دار القلم، دمشق، ط:3، 1421هـ/2000م.

300- مفيد الزّبيديّ، موسوعة التّاريخ الإسلاميّ، العصر المملوكيّ، دار أسامة، الأردن-عمّان، 2009م.

301- ممدوح بن تركي بن محمّد القحطانيّ، المناسبات وأثرها في تفسير "التّحرير والتّنوير" للطّاهر ابن عاشور، من أوّل سورة ق إلى آخر سورة النّاس، جمعاً ودراسةً وموازنةً، رسالة ماجستير، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسّنّة، شعبة التّفسير وعلوم القرآن، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1429-1430هـ.

- 302- مَنَاعُ القُطَّانِ، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:7، (د ت).
- 303- نبيل أحمد صقر، منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير "التحرير والتنوير"، الدار المصرية للنشر والتوزيع، ط:1، 1422هـ/2001م.
- 304- نجم الدين محمد بن محمد الغزالي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1418هـ/1997م.
- 305- نخبة من الأساتذة الجامعيين بإشراف: خليفة الشاطر، تونس عبر التاريخ، الجزء الثالث: الحركة الوطنيّة ودولة الاستقلال، وزارة البحث العلمي والتكنولوجيا وتنمية الكفاءات، مركز الدراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس، 2005.
- 306- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، صدر عن: كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، الإصدار رقم:102، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط:1، 1431هـ/2010م.
- 307- ندين بنت مصطفى بن علي السليمي، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة جمعاً ودراسةً وتحليلاً، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1430هـ/2009م.
- 308- نظام الدّين الحسن بن محمد بن حسين القويّ النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط:1، 1416هـ/1996م.

* نور الدّين عتر:

- 309- أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن، مجلّة كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة، دبي، ع:13، 1417هـ/1996م.
- 310- علم المناسبات وأهميّته في تفسير القرآن الكريم، مجلّة كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة، إسلاميّة فكريّة ثقافيّة محكّمة، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة-دبي، ع:11، 1416هـ/1995م.
- 311- نور الله كورت والجازي منصور العجمي، أهميّة علم المناسبات في فهم القرآن، جورنال البصيرة، أكاديميّة الدراسات الإسلاميّة، جامعة مالايا بماليزيا، مج:7، ع:2، ديسمبر 2017.

- 312- نورة بن حسن، التفسير الموضوعي: سورة البقرة أمودجًا، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 2001/2000م.
- 313- وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ضمن: صفحات من تاريخ مصر، رقم (25)، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط:1، 1415هـ/1995م.
- 314- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط:10، 1430هـ/2009م.
- 315- يوسف أحمد علي، البيضاوي ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا، فرع الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1990م.
- 316- يوسف بن زيدان بن مزيد السلمي، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من أول سورة الرعد إلى آخر سورة مريم، جمعًا ودراسةً ونقدًا، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/2009م.

مواقع إلكترونية:

- <https://aljameah.com/products/9fb42882-2473-4698-a786-9ed40b3df5d4>
- <https://vb.tafsir.net/tafsir6827/>
- <https://www.libandata.org/ar/almdn/khrbt-rwaha>
- <https://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb329076-320754&search=books>
- www.date-convert.com

تطبيقات الهاتف المحمول:

- خرائط قوقل (google maps).

فهرس الموضوعات

	إهداء
	شكر وتقدير
أ	مقدمة
الباب الأول: الدراسة النظرية	
2	توطئة الباب
3	الفصل الأول: التأسيس لعلم المناسبات
4	* المبحث الأول: علم المناسبات (تعريفه، موضوعه، ثمرته، وأهميته)
4	المطلب الأول: تعريف علم المناسبات
4	الفرع الأول: تعريف العلم
6	الفرع الثاني: تعريف المناسبات
13	الفرع الثالث: تعريف علم المناسبات كمركبٍ
15	المطلب الثاني: موضوع علم المناسبات وثمرته وأهميته
15	الفرع الأول: موضوع علم المناسبات وثمرته
15	الفرع الثاني: أهمية علم المناسبات
20	* المبحث الثاني: فوائد علم المناسبات
20	المطلب الأول: الفوائد التفسيرية
22	المطلب الثاني: الفوائد الكشفية
25	المطلب الثالث: الانتصار للقرآن الكريم
29	المطلب الرابع: الترجيح بين المذاهب والأقوال في بعض المسائل العلمية
32	* المبحث الثالث: مراحل ظهور علم المناسبات
32	المطلب الأول: النشأة الأولى لعلم المناسبات
34	المطلب الثاني: تطوّر علم المناسبات
34	الفرع الأول: المناسبات والتفسير بالسِّياق

35	الفرع الثاني: المناسبات في كتب علوم القرآن
37	الفرع الثالث: المناسبات في كتب التفسير
40	المطلب الثالث: استقلالية علم المناسبات
41	الفرع الأول: اعتبار المناسبة علمًا والتَّنظير له
43	الفرع الثاني: أفراد المناسبات بالتأليف
46	* المبحث الرابع: أنواع المناسبات
47	المطلب الأول: مناسبات السورة الواحدة
47	الفرع الأول: مناسبات الآيات آية آية
53	الفرع الثاني: مناسبات المقاطع
55	الفرع الثالث: مناسبات نظام السورة
60	المطلب الثاني: المناسبات بين السور
60	الفرع الأول: مناسبات المطالع والمقاطع
61	الفرع الثاني: مناسبات الموضوعات والمضامين والمقاصد
64	* المبحث الخامس: موقف العلماء من علم المناسبات
64	المطلب الأول: ترتيب الآي والتناسب بينها
64	الفرع الأول: مذاهب العلماء في ترتيب الآي
65	الفرع الثاني: مذاهب العلماء في تناسب الآي
70	الفرع الثالث: أثر القول في ترتيب الآي في القول في تناسبها
70	المطلب الثاني: ترتيب السور والتناسب بينها
71	الفرع الأول: مذاهب العلماء في ترتيب السور
76	الفرع الثاني: مذاهب العلماء في تناسب السور
77	الفرع الثالث: أثر القول في ترتيب السور في القول في تناسبها
79	* المبحث السادس: أشهر المصنّفات في المناسبات
79	المطلب الأول: كتب علوم القرآن التي تذكر المناسبات
81	المطلب الثاني: كتب التفسير التي تذكر المناسبات
86	المطلب الثالث: مصنّفات مفردة في المناسبات

86	الفرع الأول: كتب في المناسبات
88	الفرع الثاني: رسائل علمية في المناسبات
89	الفرع الثالث: بحوث ومقالات علمية في المناسبات
93	الفصل الثاني: البقاعي وكتابه «نظم الدرر»
94	* المبحث الأول: التعريف بالبقاعي
94	المطلب الأول: حياته الشخصية
94	الفرع الأول: اسمه ونسبه ونسبته
97	الفرع الثاني: مولده ونشأته
98	الفرع الثالث: رحلاته وبعض أحداثها
103	الفرع الرابع: وفاته
103	المطلب الثاني: مسيرته العلمية
104	الفرع الأول: طلبه للعلم وشيوخه
109	الفرع الثاني: وظائفه العلمية
111	الفرع الثالث: تلاميذه
113	الفرع الرابع: مؤلفاته
118	* المبحث الثاني: عصر البقاعي وأثره في بناء شخصيته وتوجهاته ومواقفه
118	المطلب الأول: عصر البقاعي
118	الفرع الأول: الحياة السياسية
122	الفرع الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية
124	الفرع الثالث: الحياة الثقافية والعلمية والفكرية
129	المطلب الثاني: أثر عصر البقاعي في بناء شخصيته وتوجهاته ومواقفه
129	الفرع الأول: أثر عصر البقاعي في بناء شخصيته العلمية وفي نتاجه العلمي
130	الفرع الثاني: أثر عصر البقاعي في توجهاته المذهبية
137	* المبحث الثالث: التعريف بكتاب «نظم الدرر»
137	المطلب الأول: عنوان الكتاب وموضوعه وتصنيفه
137	الفرع الأول: عنوان الكتاب: تحقيقه وشرحه

142	الفرع الثاني: موضوع الكتاب ومضمونه
143	الفرع الثالث: تصنيف الكتاب
145	المطلب الثاني: تأليف الكتاب ونشره وقيّمته ومصادره
145	الفرع الأول: تأليف الكتاب ونشره
150	الفرع الثاني: قيمة الكتاب ومكانته عند العلماء
153	الفرع الثالث: مصادر البقاعيّ في «نظم الدرر»
157	* المبحث الرابع: منهج البقاعيّ في «نظم الدرر»
157	المطلب الأول: منهج البقاعيّ في التّفسير
157	الفرع الأول: القراءة المعتمدة في «نظم الدرر»
159	الفرع الثاني: تفسير البقاعيّ بين الرّأي والأثر
162	الفرع الثالث: تفسير البقاعيّ بين التّفديد والتّجديد
163	الفرع الرابع: طريقة البقاعيّ في عرض التّفسير
167	الفرع الخامس: منهج البقاعيّ في التّعامل مع المعاني
170	المطلب الثاني: منهج البقاعيّ في المناسبات
170	الفرع الأول: منهج البقاعيّ في مناسبات السّورة الواحدة
178	الفرع الثاني: منهج البقاعيّ في تناسب السّور
185	الفصل الثالث: ابن عاشور وكتابه «التّحرير والتّنوير»
186	* المبحث الأول: التّعرّف بابن عاشور
186	المطلب الأول: حياته الشّخصيّة
186	الفرع الأول: اسمه ونسبه
188	الفرع الثاني: مولده ونشأته
191	المطلب الثاني: مسيرته العلميّة
191	الفرع الأول: طلبه للعلم وشيوخه
197	الفرع الثاني: وظائفه العلميّة وتلاميذه
198	الفرع الثالث: مؤلّفاته
203	* المبحث الثاني: عصر ابن عاشور

203	المطلب الأول: العالم الإسلامي في عصر ابن عاشور
203	الفرع الأول: سياسياً
205	الفرع الثاني: اقتصادياً واجتماعياً
205	الفرع الثالث: علمياً وتربوياً وثقافياً
206	الفرع الرابع: فكرياً
208	المطلب الثاني: تونس في عصر ابن عاشور
209	الفرع الأول: سياسياً
211	الفرع الثاني: اقتصادياً واجتماعياً
213	الفرع الثالث: علمياً وتربوياً
215	الفرع الرابع: ثقافياً
217	الفرع الخامس: فكرياً
220	* المبحث الثالث: أثر عصر ابن عاشور في بناء شخصيته وتوجهاته ومواقفه
220	المطلب الأول: أثر عصر ابن عاشور في بناء شخصيته العلمية ونتاجه العلمي ..
220	الفرع الأول: أثر الظروف السياسية
221	الفرع الثاني: أثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية
222	الفرع الثالث: أثر الظروف العلمية
223	الفرع الرابع: أثر الظروف الثقافية والفكرية
224	المطلب الثاني: أثر عصر ابن عاشور في توجهاته المذهبية ومواقفه السياسية
224	الفرع الأول: عقيدته
232	الفرع الثاني: مذهبه الفقهي
238	الفرع الثالث: مواقفه السياسية
239	* المبحث الرابع: التعريف بتفسير «التحرير والتنوير» ومنهج ابن عاشور فيه
239	المطلب الأول: التعريف بتفسير «التحرير والتنوير»
239	الفرع الأول: عنوان الكتاب
240	الفرع الثاني: تأليف الكتاب ونشره
243	الفرع الثالث: تصنيف تفسير «التحرير والتنوير»

244	الفرع الرَّابِع: مكانة تفسير «التَّحْرِير والتَّنْوِير» وأهمُّ مميَّزاته
246	الفرع الخَامِس: مصادر ابن عاشور في تفسيره
249	المطلب الثَّانِي: منهج ابن عاشور في التَّفْسِير في «التَّحْرِير والتَّنْوِير»
249	الفرع الأوَّل: تفسير ابن عاشور بين الرَّأْي والأثر
250	الفرع الثَّانِي: تفسير ابن عاشور بين التَّقْلِيد والتَّجْدِيد
251	الفرع الثَّالِث: طريقة ابن عاشور في عرض التَّفْسِير
253	الفرع الرَّابِع: منهج ابن عاشور في التَّعَامُل مع المعاني
254	الفرع الخَامِس: اهتمامات ابن عاشور في التَّفْسِير
256	* المبحث الخَامِس: موقف ابن عاشور من المناسبات ومنهجه فيها من خلال «التَّحْرِير والتَّنْوِير»
256	المطلب الأوَّل: تناسب الآي عند ابن عاشور
256	الفرع الأوَّل: تناسب الآيات بين النَّفْي والإثبات عند ابن عاشور
257	الفرع الثَّانِي: قيمة وأهمِّيَّة البحث في تناسب الآي عند ابن عاشور واهتمامه به
258	الفرع الثَّالِث: خفاء المناسبة وعدمها وموقف ابن عاشور من ذلك
262	الفرع الرَّابِع: من أنواع مناسبات الآيات عند ابن عاشور
263	المطلب الثَّانِي: تناسب السُّور عند ابن عاشور
264	الفرع الأوَّل: مذهب ابن عاشور في ترتيب السُّور
266	الفرع الثَّانِي: رأي ابن عاشور في تناسب السُّور
272	أهمُّ نتائج باب الدِّرَاسَة النَّظَرِيَّة
الباب الثاني: الدراسة التطبيقية	
276	توطئة الباب
277	الفصل الأوَّل: مناسبات سورة النَّبَأ بين البقاعيِّ وابن عاشور
279	* المبحث الأوَّل: مناسبات سورة النَّبَأ عند البقاعيِّ
279	المطلب الأوَّل: مناسبة سورة النَّبَأ لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعيِّ ...
279	الفرع الأوَّل: المناسبة بين سورة النَّبَأ وسورة المرسلات عند البقاعيِّ

281	الفرع الثاني: مناسبات مقاطع سورة النبأ عند البقاعيّ
284	المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة النبأ عند البقاعيّ
297	* المبحث الثاني: مناسبات سورة النبأ عند ابن عاشور
297	المطلب الأوّل: مناسبة سورة النبأ لما قبلها (المرسلات) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور
302	المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة النبأ عند ابن عاشور
316	* المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة النبأ عند البقاعيّ وابن عاشور ...
316	المطلب الأوّل: مقارنة مناسبة سورة النبأ لما قبلها (المرسلات) ومناسبات مقاطعها
322	المطلب الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة النبأ
323	الفرع الأوّل: مواضع الاتّفاق
325	الفرع الثاني: مواضع الاختلاف
338	الفصل الثاني: مناسبات سورة التّازعات بين البقاعيّ وابن عاشور
339	* المبحث الأوّل: مناسبات سورة التّازعات عند البقاعيّ
339	المطلب الأوّل: مناسبة سورة التّازعات لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعيّ
339	الفرع الأوّل: المناسبة بين سورة التّازعات وسورة النبأ عند البقاعيّ
341	الفرع الثاني: مناسبات مقاطع سورة التّازعات عند البقاعيّ
343	المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة التّازعات عند البقاعيّ
356	* المبحث الثاني: مناسبات سورة التّازعات عند ابن عاشور
356	المطلب الأوّل: مناسبة سورة التّازعات لما قبلها (النبأ) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور
359	المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة التّازعات عند ابن عاشور
373	* المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة التّازعات عند البقاعيّ وابن عاشور
373	المطلب الأوّل: مقارنة مناسبة سورة التّازعات لما قبلها (النبأ) ومناسبات مقاطعها
376	المطلب الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة التّازعات
376	الفرع الأوّل: مواضع الاتّفاق

380	الفرع الثاني: مواضع الاختلاف
391	الفصل الثالث: مناسبات سورة عبس بين البقاعيّ وابن عاشور
392	* المبحث الأوّل: مناسبات سورة عبس عند البقاعيّ
392	المطلب الأوّل: مناسبة سورة عبس لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعيّ ..
392	الفرع الأوّل: المناسبة بين سورة عبس وسورة النَّازعات عند البقاعيّ
393	الفرع الثاني: مناسبات مقاطع سورة عبس عند البقاعيّ
396	المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة عبس عند البقاعيّ
407	* المبحث الثاني: مناسبات سورة عبس عند ابن عاشور
407	المطلب الأوّل: مناسبة سورة عبس لما قبلها (النَّازعات) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور
409	المطلب الثاني: مناسبات آيات سورة عبس عند ابن عاشور
421	* المبحث الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة عبس عند البقاعيّ وابن عاشور ...
421	المطلب الأوّل: مقارنة مناسبة سورة عبس لما قبلها (النَّازعات) ومناسبات مقاطعها
424	المطلب الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة عبس
424	الفرع الأوّل: مواضع الاتِّفاق
426	الفرع الثاني: مواضع الاختلاف
437	الفصل الرابع: مناسبات سورتي التَّكْوِير والانْفِطَار بين البقاعيّ وابن عاشور
438	* المبحث الأوّل: مناسبات سورة التَّكْوِير بين البقاعيّ وابن عاشور
438	المطلب الأوّل: مناسبات سورة التَّكْوِير عند البقاعيّ
438	الفرع الأوّل: مناسبة سورة التَّكْوِير لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعيّ
442	الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة التَّكْوِير عند البقاعيّ
451	المطلب الثاني: مناسبات سورة التَّكْوِير عند ابن عاشور
451	الفرع الأوّل: مناسبة سورة التَّكْوِير لما قبلها (عبس) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور
453	الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة التَّكْوِير عند ابن عاشور

462	المطلب الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة التَّكْوِير عند البقاعيِّ وابن عاشور...
463	الفرع الأوَّل: مقارنة مناسبة سورة التَّكْوِير لما قبلها (عبس) ومناسبات مقاطعها
464	الفرع الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة التَّكْوِير
473	* المبحث الثاني: مناسبات سورة الانفطار بين البقاعيِّ وابن عاشور
473	المطلب الأوَّل: مناسبات سورة الانفطار عند البقاعيِّ
473	الفرع الأوَّل: مناسبة سورة الانفطار لما قبلها ومناسبات مقاطعها عند البقاعيِّ
476	الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة الانفطار عند البقاعيِّ
482	المطلب الثاني: مناسبات سورة الانفطار عند ابن عاشور
482	الفرع الأوَّل: مناسبة سورة الانفطار لما قبلها (التَّكْوِير) ومناسبات مقاطعها عند ابن عاشور
484	الفرع الثاني: مناسبات آيات سورة الانفطار عند ابن عاشور
489	المطلب الثالث: المقارنة بين مناسبات سورة الانفطار عند البقاعيِّ وابن عاشور..
489	الفرع الأوَّل: مقارنة مناسبة سورة الانفطار لما قبلها (التَّكْوِير) ومناسبات مقاطعها
491	الفرع الثاني: مقارنة مناسبات آيات سورة الانفطار
501	أهمُّ نتائج باب الدِّراسة التَّطبيقيَّة
513	الخاتمة
518	الفهارس
519	فهرس الآيات
541	فهرس الأحاديث
542	فهرس الأبيات الشعريَّة
544	قائمة المصادر والمراجع
577	فهرس المحتويات
586	الملخَّص

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مقارنةً بين جُهدَي عالِمَيْن جليلَيْن هما: البقاعي وابن عاشور، في أحد أهمِّ أنواع الإعجاز البلاغيِّ في القرآن الكريم، ألا وهو تناسب الآي والسُّور، من خلال كتابيهما «نظم الدرر» و«التحرير والتنوير» على التوالي، وأمَّا عِيْنَةُ الدِّرَاسَةِ فهِي: من أوَّل سورة النَّبَأِ إلى آخر سورة الانفطار.

ولمَّا كانت الدِّرَاسَاتُ المَقَارَنَةُ في مثل هذه المواضيع قائمةً على تحديد مواضع الاتِّفَاق والاختلاف، والكشف عن أسباب الاختلاف، ومحاولة الوصول إلى الرّأي الأصوب، وكان ابن عاشور قد اطَّلَعَ على عمل البقاعيِّ وانتقده، تَعَيَّنَ بذلك طرح الإشكاليَّة الآتية: إلى أيِّ مدَى وافق ابنُ عاشور البقاعيِّ في مناسبات السُّور الخمس الأولى من حزب (عمّ) أو خالفه فتمكَّنَ بذلك من الإضافة عليه والإتيان بما فيه مقنعٌ؟

فجاءت هذه الدِّرَاسَةُ من أجل معالجة تلك الإشكاليَّة تحت عنوان: "تناسب الآيات والسُّور بين «نظم الدرر» للبقاعيِّ و«التحرير والتنوير» لابن عاشور -دراسةً مقارنةً- من سورة النَّبَأِ إلى سورة الانفطار"، وتكمن أهميَّة هذه الدِّرَاسَةِ في أنّها متعلِّقةٌ بكلام الله تعالى، وتدرس جانبًا من جوانب إعجازه، وهو تناسب أجزائه، فتكشف عن أسراره، وذلك في إطار علمٍ من أشرف العلوم، وهو علم التَّفْسِير، ومن أهمِّ أهدافها إبراز مدى عناية كلا المفسِّرَيْن بالمناسبات، وجهودهما فيها. وقد جاءت في بابين وتضمَّن كلُّ بابٍ منهما فصولًا.

أمَّا الباب الأوَّل فخصِّصَ للدِّرَاسَةِ النَّظَرِيَّة، وقد جاء في ثلاثة فصولٍ على النحو الآتي:

الفصل الأوَّل في تأصيل علم المناسبات؛ وخلاصته أنّ علم المناسبات هو العلم الذي يوقِّف به على وجوه ارتباط وعلل ترتيب أجزاء القرآن الكريم وفق المصحف العثمانيِّ. وتكمن أهميَّته في أنّ التَّنَاسِبَ روح الكلام ووجهٌ من أوجه إعجاز القرآن، وأنَّ المناسبات معانٍ جليَّة، وأنَّ الجهل بها أمرٌ خطيرٌ، وأنَّ علم المناسبات كالرُّوح لعلم التَّفْسِير، وأنَّ فوائده غزيرةٌ: في التَّفْسِير، والكشف عن الخفيِّ من دلالات التُّصوِّص، وفي الانتصار للقرآن الكريم من شبهات الطَّاعنين.

وكانت نشأته بنزول القرآن الكريم، فالتَّنَاسِبُ أصلٌ فيه، وقد أشار النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذا العلم، وعمل بمقتضاه الصَّحابة والتَّابعون، ليتطوَّر عبر القرون؛ فيتناوله العلماء في كتب علوم القرآن من باب الدِّفاع عن نظم القرآن، وإبراز إعجازه فيه، ثُمَّ في كتب التَّفْسِير في جميع

القرآن أو معظمه لا في مواضع محدودةٍ منه، ليستقلّ بالتأليف بعد أن عُدَّ البحث في المناسبات علمًا ونظّر له في كتب علوم القرآن، فأفردت المناسبات بالتأليف من الجانب الفني أولًا ثمّ من الجانب النظريّ.

والمناسبات قسمان: الأول: مناسبات السُورة الواحدة، وفيها أنواع: مناسبات الآيات آيةً آيةً، ومناسبات مقاطع السُورة، واضطلّحتُ على النوع الأخير بمصطلح: "مناسبات نظام السُورة"، ونظام السُورة هو ذلك الرِّباط الذي تنتظم فيه جميع أجزاء السُورة الواحدة. وأمّا القسم الثاني من المناسبات فهو: المناسبات بين السُور، وهو الآخر ينقسم إلى قسمين: مناسبات المطالع والمقاطع، مناسبات الموضوعات والمضامين والمقاصد، وكلُّ قسمٍ فيه أنواعٌ. وقد أصَل العلماء لتلك الأقسام والأنواع بشواهد من القرآن، وقَرروها بما جادوا به من فصيح الكلام. ويكاد يحصل إجماعُ العلماء على تناسب الآي، واختلفوا في تناسب السُور، ويرجع الاختلاف بنسبةٍ كبيرةٍ إلى الاختلاف في ترتيب القرآن الكريم.

وأما الفصل الثاني فمتعلّقُ بالبقاعيّ وكتابه «نظم الدرر»، وخلاصته أنّ أبا الحسن، برهان الدّين إبراهيم بن عمر البقاعيّ، عالمٌ من علماء القرن التاسع الهجريّ (809هـ-885هـ)، حافظٌ محقّقٌ مجاهدٌ شاميّ أشعريّ شافعيّ، نشأ في أسرةٍ متعلّمةٍ متديّنةٍ وفقيرةٍ، في رعاية أبوين صالحين، قبل أن يفقد أبويه وعمره لم يتجاوز الثامنة عشر، لتتوالى عليه الابتلاءات فيصبر ويحتسب، ويردُّ في مقام الرّدّ.

أكثر البقاعيّ من التّنقل بين مصر والشّام، فطلب العلم في رحلاته وتفوَّق في الطُّلب، ومن أشهر شيوخه القاياتيّ وابن حجر، وجاهد في سبيل الله وغزا ورابط تحت ظلِّ الدّولة المملوكيّة التي كثرت فيها التّقلبات السّياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي المقابل سادت فيها الثّقافة الدّينيّة، وازدهرت فيها الحياة العلميّة، ومُكِّن فيها للمذاهب السُّنّيّة، فكان البقاعيّ من آثار تلك الطُّروف، كما كان مسهمًا فيها، فجلس للتّدريس والإقراء، وتلمذ على يديه كثيرٌ من الخلق، أكثرهم اختصاصًا به ابن قُرَيْبَةَ المحلّيّ، وألّف العديد من الكتب النّافعة أشهرها تفسيره الموسوعيّ «نظم الدرر»، الذي ألّفه في فنِّ قلٍّ من اعتنى به من العلماء وهو الكشف عن مناسبات الآيات والسُور، وغرضه منه بيان إعجاز القرآن، نصيحةً لطلّاب العلم، فكان سبّاقًا في استيعاب المناسبات في جميع آي القرآن وسوره، وأثنى العلماء كثيرًا على هذا الكتاب.

لم يكن للبِقاعيِّ منهجٌ مطَّردٌ في التَّفسير في «نظم الدرر»؛ لأنَّ أصل الكتاب البحث في المناسبات، وما جاء فيه من التَّفسير فخدمةٌ لذلك الأصل، ومع ذلك يمكن ملاحظة بعض المعالم المنهجية في التَّفسير، ومن ذلك: اعتماده التَّفسير بالمأثور وبالرأي، وعدم اقتصاره على إعادة ما توصل إليه السَّابقون، وإنما جدَّد للأُمَّة فهم القرآن العظيم بما يفتح الله عليه، واتَّبَعَ في تفسيره خطواتٍ تتناسب مع الفرِّ الذي خصَّه به، من الابتداء ببيان مقصود السُّورة بعد ذكر اسمها، ثمَّ المطابقة بينهما، ثمَّ بقية الخطوات التي صرَّح بها في مواضع من كتبه، ولا يقدِّم للسُّورة ببطاقة تعريفية وافية، وله طريقة في تأويل البسمة؛ حيث يفسرها في كلِّ سورة بما يناسب مقصودها، وأمَّا ألفاظ القرآن الكريم فيفسرها بحسب السِّياق الذي وردت فيه، ومن أجل نفي التَّرادف التَّام في ألفاظ القرآن الكريم فإنَّه يفسر الكلمة بكلمتين فأكثر ليُظهر سرَّ تخصيصها بموضعها.

وأما منهجه في المناسبات، فقد اهتمَّ ببيان مناسبات أجزاء السُّورة الواحدة، كما اهتمَّ بالكشف عن مناسبات السُّور فيما بينها. فأما مناسبات أجزاء السُّورة؛ فيبحث المناسبة بين اسم السُّورة ومقصودها، وله في الكشف عن مقصود السُّورة أسسٌ يعتمدها، لا كما زعم بعض الباحثين بأنَّه في ذلك كحاطب ليلٍ، ويبحث البقاعيُّ مناسبات آيات السُّورة في صورة مقاطع، فيبحث مناسبات المقاطع فيما بينها، كما يبحث في مناسباتها آيةً آيةً، ومن أنواع مناسبات الآي عنده: المناسبة بين آيتين متجاورتين، والمناسبة بين آيتين غير متجاورتين، ومناسبة الآية لأكثر من آيةٍ قبلها، فإن تعدَّدت أوجه مناسبة الآية فإنَّه يذكرها جميعاً، وقبل الحديث عن مناسبة آيةٍ فإنَّه يمهِّد لها بما يدلُّ على مناسبتها. ومن مناسبات أجزاء السُّورة الواحدة التي يبحثها أيضاً مناسبة القصَّة المكرَّرة للسُّورة التي أعيدت فيها.

وأما تناسب السُّور فيما بينها، فإنَّه يثبتُه، بالرَّغم من قوله إنَّ ترتيب السُّور كان باجتهاد الصَّحابة رضي الله عنهم، وتأوَّل ذلك بأنَّ اجتهادهم وافق ما في اللُّوح المحفوظ، ومناسبات السُّور عنده قسمان: مناسبات مقاصد السُّور، ومناسبات مطالع ومقاطع ومضامين السُّور.

وأما الفصل الثالث، فمتعلِّقُ بابن عاشور وكتابه «التَّحريِر والتَّنوير»، وخلصته أنَّ محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر بن عاشور، عالمٌ من علماء القرن الرَّابع عشر الهجريِّ (1296هـ-1393هـ)، تونسيُّ أشعريُّ مالكيُّ، من أسرة أدبٍ وعلمٍ وجاهٍ، نشأ في كنفها، وفي رعايةٍ خاصَّةٍ من جدِّه للأُمِّ الشَّيخ العالم الوزير محمَّد العزيز بوعثور ومن والده محمَّد.

حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الأساسية في بيته وفي المسجد المجاور له، ليلتحق في سنِّ الرابعة عشر بجامع الزيتونة لطلب العلم الشرعيِّ وتأصيله، على أيدي شيوخ أجلاء، من أشهرهم: سالم بوحاجب وعمر بن الشَّيخ، فبرع وتفوّق في الطُّلب، ليتوّج بعد سبع سنواتٍ من الطُّلب بشهادة التَّطويح، التي تحوّل له التّدريس بالجامع. والتحق بعدها بالقسم العالي أو الدِّراسة العليا لتحصيل الكمالات والتّوسُّع في العلوم.

تولّى ابن عاشور مناصب علمية كثيرةً متنوّعةً بين التّدريس ومناصب القضاء والإفتاء، وترقى فيها ابتداءً من التّطوُّع بالتّدريس في الزيتونة ووصولاً إلى منصب شيخ الإسلام المالكيِّ. وتلمذ على يديه كثيرٌ ممَّن صار فيما بعد عالمًا أو فقيهاً أو أديبًا ومن أشهرهم: ابنه محمّد الفاضل بن عاشور، ومحمّد الصّادق بن الحاج محمود المعروف بـ (بسّيس).

لقد عاش ابن عاشور في عصرٍ لم يكن فيه أمر الأُمَّة الإسلاميّة بيدها، إذ كان الاستعمار الغربيُّ هو المسيطر عليها في شتّى مجالات الحياة، وذلك ما أدّى إلى ظهور حركاتٍ إصلاحيةٍ عالميّةٍ ومحليّةٍ، سعت إلى تحقيق نهضةٍ فكريّةٍ تستردُّ بها بلدان العالم الإسلاميِّ سيادتها وتعود بها للأُمَّة مكانتها بين الأمم، فكان ابن عاشور من رواد الإصلاح والنّهضة في بلاده تونس، وكان على صلاتٍ وثيقةٍ بالحركات الإصلاحية خارجها. وبعد استقلال تونس عن الاستعمار الفرنسيِّ، تمكَّن التّيّار العلمانيُّ من الحكم، فحارب كلَّ مظاهر التّدنُّن في المجتمع التّونسيِّ.

إنَّ رغبة ابن عاشور في تغيير واقع الأُمَّة والنّهضة بها تظهر جليًّا من خلال مؤلّفاته، ومن أشهرها: تفسيره «التّحرير والتّنوير»، وهو الذي يقصد به تحرير معاني القرآن ممّا يشوبها من الغموض وتنوير عقول النَّاس من خلاله، لما في القرآن من الإرشاد لمصالح الإنسان الدّينيّة والدُّنيويّة، وإصلاح حال الأُمَّة في جماعتها وفي معاملتها مع الأمم التي تخالطها، فلاشكّ في أنّ من أهمِّ عوامل النّهوض بالأُمَّة الفهم الصّحيح للقرآن الكريم والتّمسك به، واتّخاذه دستورًا يُحكم به، وإنَّ الخطأ في فهمه وتطبيقه قد يؤدي إلى انحراف الأُمَّة عن الطريق الصّحيح للحريّة وللتّمكين في الأرض، بحسب درجة ذلك الانحراف.

لقد اهتمَّ ابن عاشور في تفسيره ببيان بلاغة القرآن الكريم ووجوه إعجازه، ويندرج تحت ذلك مناسبات آياته، ومهّد لتفسيره بلمحةٍ عن منهجه واهتماماته والتزاماته فيه، ثمَّ أعقبه بعشر مقدّماتٍ تضمّنت عرضًا وتلخيصًا لمباحث متعلّقةٍ بعلم التّفسير وما يتّصل به من علوم القرآن، مع ذكر آرائه فيها، تكون عونًا للباحث في التّفسير وتختصر له الطّريق.

هذا، وإنَّ ابن عاشور يثبت التفسير بالرأي ويبيحه، وانتهجه في تفسيره، وأمَّا التفسير بالمأثور فقليلٌ عنده، وحرص على التجديد في فهم معاني القرآن الكريم حتى لا يكون هناك تعطيلٌ لفيض القرآن الذي ما له من نفاذٍ.

وقبل الشروع في تفسير أيِّ سورةٍ، فإنَّ ابن عاشور يقدِّم بطاقةً تعريفيةً وافيةً بالسورة، فيذكر اسمها أو أسماءها، ونزولها، وعدد آيها، وغيرها من خصائص السور القرآنية، ثمَّ يشرع في تفسيرها آيةً آيةً على نمط التفسير التحليلي، ومن خلال تفسيره لآيات السورة يمكن استنباط رأيه في المقاطع التي تتألف منها السورة.

ولمَّا كان بيان مناسبات الآيات وفق ترتيبها المصحفي من اهتمامات ابن عاشور في تفسيره، فإنَّه يتدبَّر عمله التفسيريَّ ببيان مناسبة افتتاح السورة بمطلعها، وتفسير آي السورة بذكر مناسباتها، ثمَّ معناها إجمالاً، ثمَّ يشرح ألفاظها، ومعاني التراكيب فيها، ومعاني جملها إن كانت عديدة الجمل. ولكنَّه لا يلتزم هذا الترتيب دائماً. ولا يرى ابن عاشور البحث في مناسبات السور لازماً، ولم يكشف في تفسيره عن هذا النوع من المناسبات إلا في خمسة مواضع، وأمَّا رأيه في ترتيب السور هل هو بالتوقيف أم بالاجتهاد؟ فغير واضح.

وينهى ابن عاشور عن التكلُّف في طلب مناسبات الآيات، ويرشد المفسِّر إلى الإعراض عن الكشف عنها إذا لم يتيسَّر له ذلك، كما يجيز أن لا تكون للآية مناسبة، ويعني بذلك الارتباط بما قبلها، وحينئذٍ فإنَّه يبحث عن سبب وضعها في ذلك الموضع، ويُرجع المناسبة إليه، وصرَّح ببعض أسباب الوضع الممكنة وأغلبها مرتبطةً بظروف النزول.

ومن أنواع المناسبات التي ذكرها ابن عاشور في مقدِّمة تفسيره: التَّناسب بين آيتين متجاورتين، والتَّناسب بين مقاطع السورة الواحدة، والمناسبة بين القصَّة وغرض السورة.

وأما الباب الثاني فخصِّص للدراسة التطبيقية، وهي إجراء المقارنة بين مناسبات السور الخمس عينة الدراسة عند المفسِّرين، قصد الوقوف على مدى موافقة ابن عاشور للبقاعي في مناسباتها، ومدى مخالفته له ومجيئه بما هو أكثر إقناعاً في وجوه المناسبات. وقد جاء هذا الباب في أربعة فصول، خصِّص كلُّ فصلٍ منها لمقارنة مناسبات سورةٍ من السور الخمس، إلا الفصل الرابع الأخير فخصِّص لمقارنة مناسبات سورتين لقصرهما.

وملخص فصول باب الدراسة التطبيقية أن ابن عاشور لم يبحث مناسبات السور فيما بينها خلافاً للبقاعي، فلم يظهر في ذلك موافقةً ولا مخالفةً للبقاعي. وأمّا مناسبات مقاطع تلك السور، فكلاهما بحثها، ومن أصل ثلاثة وعشرين مقطعاً مجموع مقاطع السور الخمس عندهما، خالف ابن عاشور البقاعي في مناسبات خمسة عشر مقطعاً، ولم يترجح في نظري قول ابن عاشور على قول البقاعي في أيّ منها، فجلّ اختلافهما فيها من اختلاف التنوع الذي يمكن فيه الجمع بين القولين، فجلّها إضافاتٌ قيّمةٌ منه على أقوال البقاعي، في حين رجّحت قول البقاعي في مقطع واحد فقط. وأمّا مناسبات الآيات آيةً آيةً، فمن أصل مئة وستٍ وسبعين آيةً خالف ابن عاشور البقاعي في مناسبات إحدى وتسعين آيةً، وهي الأكثر مقارنةً بعدد الآيات المتفق في مناسباتها؛ إذ بلغ عددها إحدى وخمسين آيةً، وكان رأي ابن عاشور أكثر إقناعاً في مناسبات خمس عشرة آيةً، في حين كان رأي البقاعي أكثر إقناعاً في مناسبات خمس آيات، وأمّا بقية الآيات فجلّ اختلافهما في مناسباتها من اختلاف التنوع الذي يمكن فيه الجمع بين الأقوال، وأقلّه مما يُكتفى فيه بجواز الرأيين، فيحتمل هذا ويحتمل ذلك.

وبذلك يتبين أن جلّ مخالفة ابن عاشور للبقاعي إنما هي من باب الزيادة بأوجهٍ أخرى محتملةً للمناسبة، يمكن لمعظمها أن تجتمع مع ما قال به البقاعي. وإنّ من أهمّ أسباب اختلافهما في المناسبات الاختلاف في تعيين جهة الارتباط، وإلا فالاختلاف في زاوية النظر بعد الاتفاق في تعيين الجهة.

كان هذا ملخص ما جاء في البحث، والله هو الموفق والهادي إلى الصواب.

Abstract

This research deals with a comparison between the efforts of two venerable scholars, namely: Al Beka'i and Ibn Ashour, in one of the most important types of rhetorical miracles in the Holy Qur'an, which is the appropriateness of the verses and the surahs, through their books "Nazm Al-Durar" and "Al-Tahrir wa Al-Tanweer" respectively, from the beginning of Surat Al-Naba to the end of Surat Al-Infitar.

Since the comparative studies were based on a statement of the aspects of agreement and disagreement, detecting the reasons for the difference, and trying to reach the right opinion, besides Ibn Ashour had seen and criticized the work of al Beka'i, as a result; it was necessary to pose the following problematic: **To what extent did Ibn Ashour agree with al Beka'i on the occasions of the first five surahs of Hizb (Ammah) or disagree with him, so he came up with what is convincing?**

This study came to address this problematic under the title: **"The appropriateness of verses and surahs – a comparative study – from Surat Al-Naba to Surat Al-Infitar, between "Nazm Al-Durar" of Al Beka'i and "Al-Tahrir wa Al-Tanweer" of Ibn Ashour"**. The importance of this study lies in the fact that it is related to the word of Allah almighty, and studies some aspects of His miraculousness, which is the appropriateness of its parts, so it reveals its secrets within one of the most honorable sciences, which is the science of tafseer. One of the most important objectives of this study is to highlight the extent to which both interpreters take care of the occasions, and their efforts in them, thus it came in two parts, and each part included chapters.

The first part was devoted to the theoretical study, it came in three chapters:

The first chapter is related to the science of occasions. Its summary is that the science of occasions is the science by which the aspects of the connection and the reasons for arranging the parts of the holy Qur'an according to their arrangement in the Othmanic Mushaf are identified. Its importance lies in the fact that appropriateness is the spirit of speech and one of the aspects of the inimitability of the Qur'an, that occasions have great meanings, that ignorance of them is a dangerous matter, in addition that knowledge of occasions is like a soul for the science of interpretation, moreover its benefits are abundant: in interpretation, revealing hidden semantics of texts of holy Qur'an, and in supporting the holy Qur'an from skeptics' suspicions.

The science of occasions was with the revelation of the noble Qur'an, so appropriateness is an origin in the Holy Qur'an. The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, referred to this science and the companions and followers worked according to it, then it developed over the centuries; Scholars deal with it in the books of Qur'an' sciences in order to defend the "NAZm" of the Qur'an and highlight its miraculousness in it, then in the exegesis books in all or most of the Qur'an, not in limited places of it. After the research on occasions was considered as a science, and was theorized in the books of Quran' sciences, the occasions were singled out by authorship from the practical side first and then from the theoretical side.

The occasions are of two parts: the first: the occasions of a single surah, which have different types: the occasions of verses verse by verse and occasions of the sections of the surah, so I used the last type with the term: "occasions of NIZAM of the surah", I mean by "NIZAM" of the surah the link in which all the parts of one surah are organized. As for the second part of the occasions, it is: the occasions between the surahs, and it is divided into two parts: the occasions of the beginnings and the ends of the Surahs, the occasions of topics, contents and purposes, and each part contains types. The scholars have established these parts and types with evidence from the Qur'an, and they have confirmed them in their words.

Scholars almost unanimously agree on the appropriateness of the verses. They differed in the appropriateness of the surahs. The difference is largely due to the difference in the arrangement of the Noble Qur'an.

As for **the second chapter**, it is related to Al Beka'i and his book "Nazm al-Durar", its summary is that Abu al-Hasan, Burhan al-Din Ibrahim bin Omar Al Beka'i, was a scholar of the ninth century AH (809 AH-885 AH), a hafiz, Mujahid, Ash'ari, Shafi'i, from the Levant. He grew up in an educated, religious, poor family and in the care of good parents before he lost them when he was not more than eighteen, then afflictions rolled on him, so he met them with patience.

Al Beka'i traveled a lot between Egypt and the Levant, so he sought knowledge in his travels and excelled in demand. Among the most famous of his sheikhs is Al-Qayati and Ibn Hajar, he struggled for the sake of God, invaded and bonded under the shadow of the Mamluk state in which political, economic and social fluctuations abounded. On the other hand, religious culture prevailed, a scientific life flourished and Sunni sects were empowered in it, consequently; Al Beka'i was one of the effects of those circumstances, as he was a contributor to them; he sat down to teach and recite. He taught many people; most attached to him was Ibn Quraiba Al-Mahali and he authored many useful books, the most famous one is his encyclopedic interpretation

“Nazm Al-Durar”, which he composed in an art that few scholars took care of which is to reveal the occasions of verses and surahs. His purpose is to show inimitability of the Qur'an, as an advice to students. He was a pioneer in revealing the occasions in all the verses and surahs of the Qur'an. Scholars have greatly praised his book.

Al Beka'i did not have a steady method of interpretation in “Nazm Al-Durar”, because his book is based on a research on occasions and the interpretation that came within it is in service of occasions. Yet some methodological features can be noted in the interpretation including: its adoption of the salaf' interpretation and the interpretation by opinion, not limited to repeating what the predecessors reached, but rather he renewed the nation's understanding of the Great Qur'an. He followed in his interpretation steps that fit with the art that he singled out for it, starting with a statement of what is intended by the surah after mentioning its name, then matching between them, then the rest of the steps that he declared in places of his books, and he does not precede his interpretation of the surah with an adequate identification card. He has a way of interpreting the basmalah as he interprets it in every surah in a way that suits its purpose. As for the words of the Noble Qur'an, he interprets them according to the context in which they are mentioned, so in order to negate the complete synonymy in the words of the Noble Qur'an, he interprets the word with two or more words to reveal the secret of its specification in its place.

As for his approach in the occasions, he was interested in revealing the occasions of the parts of a single surah, as he was interested in revealing the occasions of the surahs between them. As for the occasions of the parts of the surah, he searches the occasion between the name of the surah and its purpose. In revealing the purpose of the surah, he has foundations to rely on, not as some researchers claimed that he is like a woodcutter collecting wood at night. he searches the occasions of the verses of the surah in the form of sections, so he searches the occasions of the sections between them, as he searches its occasions verse by verse. Among the types of occasions of verses in his opinion are: the occasion between two adjacent verses, and the occasion between two non-adjacent verses also the appropriateness of the verse for more than one verse before it. If the appropriateness of the verse is multiple, he mentions them all, and before talking about the occasion of a verse, he paves the way for it with what indicates its occasion. Among the occasions of the parts of a single surah that he also discusses was: the occasion of the repeated story for the surah in which it was repeated.

As for the appropriateness of the surahs among themselves, he proves it, despite his saying that the order of the surahs was according to the ijtiḥad of the companions, may God be pleased with them. He interpreted this as that

their ijthihad agreed with what is in the saved Board, and the occasions of the surah, according to him, are of two types: the occasions of the purposes of the surahs, and the occasions of the beginnings, the ends and the contents of the surahs.

As for the **third chapter**, it is related to Ibn Ashour and his book “Al-Tahrir wa Al-tanwir”. Its summary is that Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher bin Ashour, a Tunisian, Ash`ari, Maliki scholar of the fourteenth century AH (1296 AH-1393 AH). He is from a family of literature, knowledge and prestige. He grew up in its care, and under the special care of his maternal grandfather, the scholar Sheikh Minister Muhammad al-Aziz Bouattour, and from his father Muhammad.

Ibn Ashour memorized the Noble Qur’an and received the principles of basic sciences at his home also in the mosque adjacent to his house. At the age of fourteen, he joined the Zaytuna Mosque to seek Islamic knowledge from eminent scholars, the most famous of them were: Salem Buhajeb and Omar Ibn Al-Sheikh. He excelled in his studies to be crowned after seven years of study with a certificate that authorizes him to teach at the mosque. After that, he joined the higher department or higher study to expand in sciences.

Ibn Ashour held a variety of scientific positions including teaching, judiciary and fatwa positions and was promoted in them, starting from volunteering to teach in Zaytuna till reaching the position of Sheikh al-Islam al-Maliki. Many of those who later became a scholar, jurist or writer were taught by him, and the most famous of them are: his son Muhammad al-Fadil ibn Ashour and Muhammad al-Sadiq ibn al-Hajj Mahmud.

Ibn Ashour lived in an era when the Islamic nation was not free, as Western colonialism was dominant over it. These circumstances led to the emergence of global and local reform movements which sought to achieve an intellectual renaissance by which the countries of the Islamic world would regain their sovereignty and restore the nation's position among the nations. Ibn Ashour was one of the pioneers of reform and renaissance in his country Tunisia, he had close links with reform movements outside it. After Tunisia's independence from French colonialism, the secular trend was able to rule, it fought all manifestations of religiosity in Tunisian society. Ibn Ashour’s desire to change the state of the nation and advance it is evident through his books, the most famous is his interpretation “Al-Tahrir wa Al-Tanweer” which is intended to liberate the meanings of the Qur’an from what is tainted by ambiguity and enlighten people’s minds through it, for the guidance in the Qur’an for man's religious and worldly interests, beside the reform of the nation’s condition in its community and in its dealings with the nations it

deals with since there is no doubt that one of the most important factors for the advancement of the nation is the correct understanding of the Holy Qur'an, its adherence to it and its adoption as a constitution by which it is governed and the error in its understanding and application may lead the nation to deviate from the correct path of freedom and empowerment on earth according to the degree of that deviation.

Ibn Ashour was interested in his interpretation in explaining the eloquence of the Noble Qur'an and the aspects of its miraculousness, including the appropriateness of its verses, and paved the way to his interpretation with a glimpse of his approach, interests and commitments in it, and then followed it with ten introductions that included a presentation and a summary of topics related to the science of tafseer and the related sciences of the Qur'an, with a mention of his views in them, to help the researcher in tafseer and shorten the way for him.

Ibn Ashour proves the interpretation by opinion and permits it, he used it in his interpretation unlike the interpretation of the Salaf which has not been adopted very much. He was keen to renew in understanding the holy Qur'an so that there would be no stopping the flow of meanings from the Qur'an which has no depletion.

Before proceeding to the interpretation of any surah, Ibn Ashour presents a complete identification card of the surah, mentioning its name or names, its descent, the number of its verses, and other characteristics of the Qur'anic surahs then he proceeds to interpret it verse by verse; in the style of analytical interpretation and through his interpretation of the verses of the surah his opinion on the sections that make up the surah can be deduced.

Since explaining the occasions of the verses according to their scriptural arrangement is one of the concerns of Ibn Ashour in his interpretation, he begins his exegetical work by explaining the occasion of the opening of the surah with its beginning and the interpretation of the verses of the surah by mentioning their occasions then their overall meaning after that he explains the words of the verses, the meanings of the structures in the verses, and the meanings of their sentences if they are of multiple sentences. However, this arrangement is not always adhered to. Ibn Ashour does not see research on the occasions of the surahs as necessary, so he did not reveal in his interpretation of this type of occasions except in five places. As for his opinion on arranging the surahs, is it by tawqif or by ijtihad? It is not clear.

Ibn Ashour instructs the exegete to refrain from revealing occasion if it is not easy for him to do so. He also accepts that a verse may have no occasion, means by that the connection with what preceded it, then he

searches for the reason for placing it in that position, and refers the occasion to it, he stated some of the possible reasons most of them are related to the circumstances of the descent.

Among the types of occasions mentioned by Ibn Ashour in the introduction to his interpretation were: the appropriateness between two adjacent verses, the appropriateness between the sections of one surah and the appropriateness between the story and the purpose of the surah.

As for **the second part**, it was devoted to the applied study which is a comparison between the occasions of the five surahs- the sample of the study- according to the two exegetes in order to determine the extent to which Ibn Ashour agreed with Al Beka'i on their occasions, and the extent to which he contradicted him and coming with what is more convincing. This part came in four chapters; each chapter was devoted to comparing the occasions of one of the five surahs except for the last (fourth) chapter which was devoted to comparing the occasions of two surahs due to their shortness.

Summary of chapters for this second part, that Ibn Ashour did not discuss the occasions of the surahs among them, in contrast to Al Beka'i, so he did not appear to agree or disagree with Al Beka'i. As for sections of those surahs, both of them searched for their occasions. Out of twenty-three sections- the sum of sections of the five surahs- Ibn Ashour disagreed with Al Beka'i on the occasions of fifteen sections, I did not prefer Ibn Ashour's statement over Al Beka'i's statement in any of them, Most of their differences are from the difference of diversity in which it is possible to combine the two sayings, most of Ibn Ashour statements are valuable additions on the sayings of Al Beka'i. I have preferred Al Beka'i's saying in only one section. As for the occasions of verses, verse by verse, out of one hundred and seventy-six verses, Ibn Ashour disagreed with Al Beka'i on the occasions of ninety-one verses that are the most, compared to the number of verses agreed on their occasions that reached fifty-one. The opinion of Ibn Ashour was more convincing on the occasions of fifteen verses, while the opinion of Al Beka'i was more convincing on the occasions of five verses. As for the rest of the verses, the majority of their differences on their occasions are from the difference of diversity in which statements can be combined and the least of them is what suffices with the permissibility of the two opinions.

Thus, it becomes clear that most of what Ibn Ashour disagreed with Al Beka'i, is a matter of adding other possible occasions, most of which can be combined with what Al Beka'i said. And one of the most important reasons for their differences on occasions is the difference in determining the side of connection otherwise the difference is in the angle of view after agreement in determining the side.

This was a summary of the research so praise be to Allah.